الجزء الثانى من كتاب نفح الطيب
من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين
ابن الخطيب تأليف
العلامة المقرى
رحمه
الله

٢

(تنبيه) قد جعلنا عدد صحائف هذا الجزء الثانى من أعلى وأسفل تابعا لعدد صحائف الجزء الاول وكذلك نمر صحائف الجزء الرابع متممة لنمر صحائف الجزء الثالث تعريفا بذلك من أول الامر لكل مطالع حيث اقتضى الحال هذا التقسيم بعد تكميل الطبع والتقويم

محمد صادق بك
المحامى

(فهرسة الجزء الثانى من كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب)

صحيفه		
	أبو الحسن على بن حمدون المالقى	أول الجزء
٦٤١	عبد البر بن فرسان الغسانى	
٦٤٣	عبد المنعم بن عمر الغسانى	
٦٤٣	أحمد بن مسعود القرطبى الخزرجى	
٦٤٣	أبو العباس القرطبى صاحب المفهم	
٦٤٣	العارف الكبير جعفر بن عبد الله الخزاعى	
٦٤٤	محمد بن عبد الرحمن الخزرجى	
٦٤٤	محمد بن يحيى اللبسى	
٦٤٥	أبو عبد الله بن الحكيم الرندى ذو الوزارتين	
٦٤٩	الحافظ نجيب الدين اللخمى	
٦٤٩	أبو بكر بن العربى حفيد الحافظ الكبير أبى بكر بن العربى	
٦٤٩	ابن الخراز	
٦٤٩	محمد بن أحمد البكرى الشريشى	
٦٥٠	أبو بكر الجيانى	
٦٥١	أبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب الاندلسى	
٦٥١	عمر بن الحسن الهوزنى	
٦٥١	يحيى بن قاسم بن هلال القرطبى	
٦٥٢	يحيى بن مجاهد الغزارى	
٦٥٢	محمد بن أحمد الصدفى الاشبيلى	
٦٥٢	زكريا بن خطاب الكلبى	
٦٥٢	سعد الخير البلنسى	
٦٥٣	سعيد بن نصر الاستجى	
٦٥٣	سعيد الاعنافى	
٦٥٣	عبد الرحمن بن خلف التجيبى	
٦٥٣	ابن الطحان الاشبيلى	
٦٥٣	عبد العزيز بن خلف المعافرى	
٦٥٤	عبد العزيز بن عبد الله السعدى	
٦٥٤	الحكيم الطبيب محمد بن عبد المنعم الغسانى	
٦٥٥	الاستاذ عبد الوهاب بن محمد القرطبى	
٦٥٥	عبيد الله بن المظفر الباهلى	
٦٥٦	سليمان بن ابراهيم بن صافى الغرناطى	

صحيفه	
٦٥٦	ظالوت بن عبد الجبار المعافرى
٦٥٦	ابن خروف القيسى
٦٥٧	مالك بن مالك من أهل جيان
٦٥٧	أبو على بن خميس
٦٥٧	منصور بن لب الانصارى
٦٥٧	مفرج بن حماد المعافرى
٦٥٨	محب بن الحسين
٦٥٨	مساعد بن أحمد الاصبحى
٦٥٨	أبو حبيب نصر بن القاسم
٦٥٨	النعمان بن النعمان المعافرى
٦٥٨	نعم الخلف بن عبد الله الحضرمى
٦٥٨	نابت بن المفرج الخثعمى
٦٥٨	ضمام بن عبد الله الاندلسى
٦٥٩	ضرغام بن عروة
٦٥٩	عبد الله بن محمد المعافرى
٦٥٩	عبد الله بن حمود الزبيدى
٦٥٩	عبد الله بن رشيق القرطبى
٦٦٠	أبو بكر اليابرى
٦٦٠	عبد الله بن محمد بن مرزوق العجيسى
٦٦٠	عبد الله بن محمد الصريحى
٦٦٠	عبد الله بن عيسى الشلبى
٦٦١	عبد الله بن موسى الازدى
٦٦١	عبد الله بن محمد الدانى
٦٦٢	عبد الله بن يوسف القضاعى
٦٦٢	أحمد بن عبد الله الخثعمى
٦٦٣	أحمد بن صابر القيسى
٦٦٤	أبو القاسم ابن الامام القاضى أبى الوليد الباجى
٦٦٤	ابراهيم بن محمد الساحلى
٦٦٥	الوليد بن هشام المعروف بابى ركوة
٦٦٥	أبو زكريا الطليطلى
٦٦٦	يحيى بن عبد الله المعروف بالمغيلى
٦٦٦	محمد بن على الانصارى

صحيفه

٦٦٦ محمد بن علي الغرناطي
٦٦٧ أبو الحسن المارقي
٦٦٨ ابن عتبة الاشبيلي
٦٦٨ شمس الدين بن جابر الضرير
٦٧٤ أبو جعفر الالبيري رفيق ابن جابر
٦٨٣ أبو مروان عبد الملك بن ابراهيم القيسي
٦٨٣ ابن البيطار
٦٨٤ أبو الحسن القلصادي
٦٨٥ أبو عبد الله الراعي
٦٨٧ أبو عبد الله بن الازرق
٦٩٠ (الباب السادس) في ذكر بعض الوافدين على الاندلس من أهل المشرق
٦٩١ المنذر الذي يقال انه صحابي
٦٩١ أمير الاندلس موسى بن نصير التابعي
٦٩١ حنش الصنعاني التابعي
٦٩٢ علي بن رباح اللخمي التابعي
٦٩٢ عبد الله بن يزيد المعافري التابعي
٦٩٢ حيان بن أبي جبلة التابعي
٦٩٢ المغيرة بن أبي بردة التابعي
٦٩٣ حيوة بن رجاء التميمي التابعي
٦٩٣ عياض بن عقبة الفهري التابعي
٦٩٣ عبد الله بن سماسة الفهري التابعي
٦٩٣ عبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري
٦٩٣ منصور بن حزامة (من التابعين على ما قيل)
٦٩٤ مغيث فاتح قرطبة
٦٩٥ أبو أيوب بن حبيب اللخمي
٦٩٥ السمح بن مالك الخولاني
٦٩٧ بلج بن بشر القشيري
٧٠١ عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل
٧١٦ أبو الاشعث الكلبي
٧١٦ جزي بن عبد العزيز أخو عمر بن عبد العزيز
٧١٦ بكر بن سوادة الجذامي

صحيفه
٧١٧ زريق بن حكيم
٧١٧ زيد بن قاصد السكسكي
٧١٧ زرعة بن روح الشامي
٧١٧ محمد بن اوس بن ثابت الانصاري
٧١٨ عبد الملك بن عمر بن مروان الاموي
٧١٨ هاشم بن الحسين (من نسل سيدنا الحسين رضي الله تعالى عنه)
٧١٩ عبد الله بن المغيرة الكناني
٧١٩ عبد الله المعمر
٧١٩ عبد الرحمن بن شماسة المهري
٧١٩ عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه
٧١٩ عبد الرحيم بن أحمد بن نصر التميمي
٧٢٠ عبد الجبار بن أبي سلمة (وقد سبق في صحيفة ٦٩٣)
٧٢١ عبد الوهاب بن عبد الله المعروف بالطنداتي
٧٢١ عبد الخالق بن ابراهيم الخطيب
٧٢١ عبد اللطيف بن أبي الطاهر المعروف بالتوسي
٧٢١ عمر بن عثمان الباخرزي
٧٢٢ علي بن بندار البرمكي
٧٢٢ عبيد بن محمد النيسابوري
٧٢٢ سهل بن علي النيسابوري
٧٢٢ هبة الله بن الحسين المصري
٧٢٢ يحيى بن عبد الرحمن القيسي
٧٢٣ اسمعيل بن عبد الرحمن القرشي
٧٢٣ أبو علي القالي صاحب الامالي والنوادر
٧٢٦ صاعد بن الحسين البغدادي
٧٣٧ ابن جويه السرخسي
٧٤٣ ظفر البغدادي
٧٤٣ محمد بن موسى الرازي
٧٤٣ محمد بن عبد الواحد التميمي الدارمي
٧٤٧ الشهب بن العضد الخراساني
٧٤٧ أبو الحسن البغدادي الفيكي
٧٤٨ ابراهيم بن سليمان الشامي
٧٤٨ أبو بكر بن الازرق

صحيفه
٧٤٩ زرياب المغنى
٧٥٥ الامير شعبان بن كوحيا
٧٥٥ أبو البسر الرياضى
٧٥٦ أبو اسحق السنهورى
٧٥٧ عبد الله بن محمد القارى الخراسانى
٧٥٧ زكى الدين الزبزارى
(ذكر جملة من النساء القادمات من المشرق على الاندلس)
٧٥٨ عابدة المدينة
٧٥٨ فضل المدينة
٧٥٨ قرجارية ابراهيم بن حجاج اللخمى
٧٥٩ الجارية العجفاء
٧٥٩ من القادمين على الاندلس من المشرق الشيخ عبد القاهر الموصلى
٧٥٩ أحمد بن الحسن النخعى
٧٥٩ أحمد بن أبى عبد الرحمن القرشى الزهرى
٧٦٠ أبو الطاهر بن الاسكندرانى
٧٦٠ أبو الحسن الانطاكى
٧٦٠ عمر بن مودود الفارسى
٧٦٠ ابن عميرة المخزومى
٧٦١ تقى الدين بن الغرس الحنفى المصرى
٧٦٢ سيدى يوسف الدمشقى
٧٦٢ (الباب السابع) فى نبذة مما من الله تعالى به على أهل الاندلس من توقد الاذهان وبذلهم فى اكتساب المعارف والمعالى ماعز وهان الخ
٧٦٦ رسالة ابن حزم فى بعض فضائل علماء الاندلس
٧٧٩ رسالة الشقندى (فى تفضيل الاندلس وأهله)
٧٩٧ (ذكر نبذة من كلام الاندلسيين وحكاياتهم الدالة على سبقهم)
٧٩٩ (ذكر مذهب أهل الاندلس فى القديم وانتقالهم الى مذهب الامام مالك)
٨٠٢ (ماقاله ابن عبد البر فى الرد على من عابه بأكل طعام السلطان وقبول جوائزه
٨٠٣ (ذكر جملة من شعر ابن مجبر وغيره من الاندلسيين وطرف من نوادرهم)
٨٦٨ (قصة الرمادى الشاعر مع المنصور)
٨٦٩ (من حكايات الاندلسيين فى العدل)
٨٧٢ (من حكاياتهم فى الوفاء وحسن الاعتذار والقيام بحق الاخاء)

صحيفه
٨٧٢ (من حكاياتهم فى علو الهمة فى العلم والدنيا)
٨٧٣ (من حكاياتهم فى الذكاء واستخراج العلوم واستنباطها)
٨٧٦ (من حكاياتهم فى حب العلم)
٨٨٧ (من لطف أهل الاندلس ورقة طباعهم الخ)
٩١٣ (ضوابط حروف الزيادة)
٩٤٧ (ترجمة ابن سهل الاسرائيلى الاشبيلى)
٩٦٤ (من حكايات أهل الاندلس فى الانقباض عن السلطان الخ)
٩٦٤ (من دعاباتهم ومطحهم)
٩٦٤ (من أجوبة ملوكهم)
٩٦٤ (من غريب ما يحكى من قوتهم وشجاعتهم)
٩٦٧ (من حكاياتهم فى الظرف)
٩٦٨ (من حكاياتهم فى البلاغة)
٩٦٩ (من حكاياتهم فى عدم احتمال الضيم والذل والوصف بالانفة)
٩٧٠ (من حكاياتهم فى الجود والفضل ومكارم الاخلاق)
٩٧٢ (ذكر جملة من بنى مروان بالاندلس)
٩٧٢ (من حكاياتهم فى علو الهمة)
٩٨٣ (الرجوع للكلام على أهل الاندلس جملة)
٩٨٨ ذكر نبذة من سرعة بديهة أهل الاندلس وان مرت من ذلك جملة وستأتى أيضا
٩٩٠ (من حكايات أهل الاندلس فى العفو)
١٠١٠ (ترجمة ابن هانئ)
١٠٢٩ (ذكر ما يتعلق بكلمة مسهب هل هو بفتح الهاء أو كسرها)
١٠٣١ (المسئلة الزبيورية)
١٠٣٣ (ترجمة سيبويه امام النحو)
١٠٦٣ (ذكر مسئلة تتعلق بكلمة ماذا)
١٠٧٦ (الاديبات من نساء الاندلس)
١٠٧٦ أم السعد بنت عصام الجيرى المعروفة بسعدونة
١٠٧٧ حسانة التميمية
١٠٧٧ أم العلاء بنت يوسف الجهارية
١٠٧٨ أمة العزيز الشريقة الحسنية
١٠٧٨ أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح ملك المرية
١٠٧٨ الغسانية البجانية
١٠٧٨ العروضية مولاة أبى المطرف عبد الرحمن بن غلبون

صحيفه
١٠٧٨ حفصة بنت الحاج الركونية
١٠٨٣ (ذكر بعض أحوال أبي جعفر بن سعيد العنسي)
١٠٩١ (ذكر ما وقع بين أبي جعفر المذكور وابن سيد الشاعر المشهور باللص)
١٠٩٦ (ذكر بعض أخبار اللص المذكور)
١٠٩٧ ولادة بنت المستكفي
١١٠٠ اعتماد جارية لمعتمد بن عباد المشهورة بالرميكية
١١٠١ (ذكر ما وقع للمعتمد من الخلع والسجن بأغمات وما يتعلق بذلك)
١١١٠ (ترجمة المصحح الاديب أبي جعفر بن البني)
١١١٢ (ترجمته لابن اللبانة)
١١١٣ (ترجمته لابي بكر عبد المعطي)
١١١٥ (ترجمته ليحيى بن بقي القرطبي)
١١١٥ (ترجمة القلائد للمذكور)
١١١٩ (ترجمة المعتمد بن عباد)
١١٢٢ (ترجمة الراضي بن المعتمد)
١١٤٠ (العبادية جارية المعتضد)
١١٤٠ (بثينة بنت المعتمد بن عباد)
١١٤١ (حفصة بنت حمدون)
١١٤١ (زينب المرية)
١١٤١ (غاية المنى)
١١٤٢ (حمدة بنت زياد)
١١٤٣ (عائشة بنت أحمد القرطبية)
١١٤٣ (مريم بنت أبي يعقوب الانصاري)
١١٤٤ (أسماء العامرية)
١١٤٤ (أم الهناء بنت القاضي عبد الحق)
١١٤٤ (مهجة القرطبية صاحبة ولادة)
١١٤٥ (هند جارية عبد الله بن مسلمة الشاطبي)
١١٤٥ (الشلبية)
١١٤٦ (تزهون الغرناطية)
١١٧٣ (الباب الثامن) في ذكر تغلب العدو الكافر على الجزيرة الخضراء الخ
١١٧٤ (من أول ما استرد الافرنج من مدن الاندلس العظيمة مدينة طليطلة الخ)
١١٧٥ وقعة الزلاقة
١٢٠٢ (ذكر بعض انشاء لسان الدين في شأن ما يتعلق بجبل الفتح وغيره الخ)

وقعة

صحيفه

١٢٢٦ (وقعة بطرنة)
١٢٢٦ (تغلب العدو على بربشتر)
١٢٢٩ (نهوض العدو للاستيلاء على بلنسية)
١٢٣٢ (وقعة كسندة)
١٢٣٣ (دخول العدو مدينة المرية عنوة)
١٢٣٣ (رجوعها الى ملك المسلمين وبقاؤها بأيديهم سنين)
١٢٣٥ (أخذ العدو كورة ماردة)
١٢٣٦ (أخذ العدو جزيرة ميورقة)
١٢٣٨ (تاريخ أخذ العدو جزيرة شقر ومدينة سرقسطة واستيلاء الافرنج على شرق الاندلس شاطبة وغيرها وعلى مدينة قرطبة وتملكه على مرسية وحصره لاشبيلية وتملكه لها وتاريخ وقعة انيجة)
١٢٤٩ (ذكر رسالة خاطب بها ابن عميرة المخزومي أبا عبد الله بن الابار يذكر فيها أخذ العدو مدينة بلنسية)
١٢٥٢ (ذكر رسالة ابن الابار التي رسالة المخزومي جواب عنها)
١٢٥٤ (ذكر فصول مجموعة من كلام ابن الابار في كتابه المسمى بدرر السمط في خبر السبط)
١٢٥٩ (قصد ملوك الافرنج لاخذ غرناطة وما يتعلق بذلك)
١٢٦٩ (ذكر السلطان الذي أخذت على يده غرناطة وانقرضت بدولته مملكة الاسلام بالاندلس)
١٢٧٠ (ذكر الرسالة التي كتب بها السلطان المذكور الى سلطان فاس الشيخ الوطاسي)

تمت فهرسة الجزء الثاني من كتاب نفح الطيب

الجزء الثانى من كتاب نفح الطيب
من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين
ابن الخطيب تأليف
العلامه المقرى
رحمه
الله
م

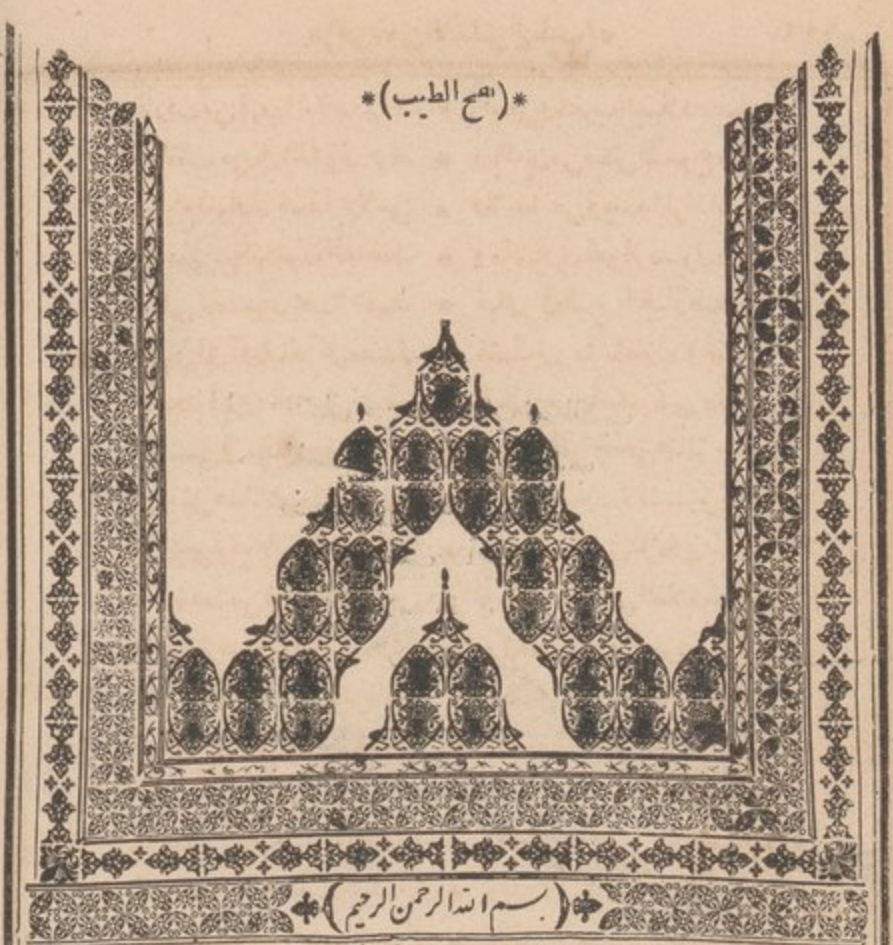

(بسم الله الرحمن الرحيم)

*(ومن المرتحلين من الاندلس الى المشرق) الامام النحوى اللغوى نور الدين أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن حمدون الحميرى الاندلسى المالقى قال شرف الدين الصابونى أنشدنا المذكور لنفسه سنة ٦٦٧

فؤاد بأيدى النائبات مصاب * وجفن لفيض الدمع فيه مصاب
تناءت ديار قد ألفت وجيرة * فهل لى الى عهد الوصال اياب
وفارقت أوطانى ولم أبلغ المنى * ودون مرادى أبحر وهضاب
مضى زمنى والشيب حل بمفرقى * وأبعد شئ أن يرد شباب
اذا مر عمر المرء ليس براجع * وان حل شيب لم يفده خضاب
فحل حمام الشيب فى فرق لمتى * وقد طار عنها للشباب غراب
وكم عظة لى فى الزمان وأهله * وبين فؤادى والقبول حجاب
فدع شهوات النفس عنك بمعزل * فعذب الليالى مقتضاه عذاب
وسل فؤادا عن رباب وزينب * فما القصد منها زينب ورباب
وأنوى متابا ثم أنقض نيتى * فربع صلاحى بالفساد خراب
أقر بتقصيرى وأطمع فى الرضا * وما القصد الا مرجع ومتاب
ويعتبنى فى العجز خل وصاحب * وهل نافع فى الجامدات عتاب
أطهر أثوابى وقلبى مدنس * وأزعم صدقا والمقال كذاب

وفارقت

وفارقت من غرب البلاد مواطنا * فيسقى رباغرب البلاد سحاب
فبالقلب من نار التشوق حرقة * وبالعين من فيض الدموع عباب
وما بلغ المملوك قصدا ولا منى * ولاحط عن وجه المراد نقاب
وأخشى سهام الموت تفجأ غفلة * وماسار بى نحو الرسول ركاب
وقلبى معمور بحب محمد * فمالى فى غير الحجاز طلاب
يحن الى أوطانه كل مسلم * فقدس منها منزل وجناب
فأسعد أيامى اذا قيل هذه * منازل من وادى الحمى وقباب
فجسمى فى مصر وروحى بطيبة * فللروح عن جسمى هنالك مناب
على مثل هذا العجز والعمر منقض * تشوق قلوب لاتشوق ثياب
وأرجو ثوابا بامتداحى محمدا * وما كل مثن فى الزمان يثاب
به أخذت من قبل نيران فارس * وحقق من ظبى الفلاة خطاب
وكم قدسق من كفه الجيش فارتووا * وكم قدشفى منه العيون رضاب
أجيب لما يختار فى حضرة العلا * وما كل خلق حيث قال يجاب
فلم تلهه دنياه عن خوف ربه * ولاشغلته عن رضاه كعاب
محمد المختار أعلى الورى ندى * وأكرم مبعوث أتاه كتاب
أتحسب أن تحصى بعد صفاته * وهيهات مايحصى علاه حساب
ثناء رسول الله خير ذخيرة * وقد ذل جبار وخيف عقاب
وقد نصب الميزان والله حاكم * وذلت لاحكام الاله رقاب
فكل ثناء واجب لصفاته * فمامدح مخلوق سواه صواب
اليك رسول الله أنهى مدائحى * وان رجائى راحة وثواب
اذا قيل من تعنى بمدحك كله * فأنت اذا خبرت عنه جواب
فليتك تحلو والحياة مريرة * وليتك ترضى والأنام غضاب
فأنت أجل العالمين مكانة * وأكرم مدفون حواه تراب

وله يرثى العز بن عبد السلام

أمد الحياة كما علمت قصير * وعليك تقادبها وبصير
عجبا لمغتر بدار فنائه * وله الى دار البقاء مصير
فسليمها للنائبات معرض * وعزيزها بيد الردى مقهور
أيظن أن العمر ممدود له * والعمر فيه على الردى مقصور

وهى طويلة ولم يحضرنى سوى ماذكرته *(ومنهم عبد البر بن فرسان بن ابراهيم ابن عبد الرحمن الغسانى الوادى اشى أبو محمد وله أخبار كثيرة فى الحماسة وعلو الهمة ومن نظمه لما تعمم مخدومه ابن غانية بعمامة بيضاء ولبس غفارة حمراء على جبة خضراء

فديتك بالنفس التى قد ملكتها * بما أنت موليها من الكرم الغض
تردیت للحسن الحقيقى بهجة * فصار لها الكلى فى ذاك كالبعض

ولما تلالا نورغـــرتك التى * تقسم فى طول البلاد وفى عرض
تلفعتها خضراء أحسن ناظر * نبت عنك اجلالا وذلا من الفرض
وأسدلت حمراء الملابس فوقها * بمفرق تاج المجد والشرف المحض
فأصبحت بدرا طالعا فى غمامة * على شفق دان الى خضرة الارض

وقال رحمه الله تعالى

أجبنا ورمحى ناصرى وحسامى * وعجزا وعزمى قائدى وامامى
ولى منك بطاش اليدين غضنفر * يحارب عن أشباله ويحامى

وقال رحمه الله تعالى لما أسن يستأذن مخدومه فى الحج والزيارة

امنن بتسريح على وفعله * سبب الزيارة للحطيم ويثرب
ولئن تقول كاشح ان الهوى * درست معالمه وأنكر مذهبى
فقالتى ماان ملات وانما * عمرى أبى حمل النجاد ومنكبى
وعجزت عن أن استثير كمينها * واشق بالصمصام صدر الموكب

وقال رحمه الله تعالى ولاخفاء ببراعته

فدى مخضلاذ الجناح المنمنما * وسقيا وان لم تسك ياساجعا ظما
أعدهن ألحانا على سمع معرب * يطارح مرتاحا على النضب مجما
وطرغير مقصوص الجناح مرفها * مسوغ أشتات الحبوب منعما
مخلى وأفراخا بوكر نئوما * ألاليت أفراخى معى كن نؤما

وقال رحمه الله تعالى

كفى حزنا أن الرماح صقيلة * وان الشبارهن الصدى بدمائه
وان يمادبق الجوانب فرزنت * ولم يعدرخ الدست بيت بنائه

وكان رحمه الله تعالى من جلة الادباء وفحول الشعراء وبرعة الكتاب كتب عن ابن غانية الامير أبى زكريا يحيى بن اسحق بن محمد بن على المسوفى الميرقى الثائر على منصور بن عبد المؤمن ثم على من بعده من ذريته الى أيام الرشيد منهم وكان منقطعا اليه وممن صحبه فى حركاته وكان آية فى بعد الهمة والذهاب بنفسه والغناء فى مواقف الحرب والجنسية علة الضم اذ ابن غانية كان غاية فى ذلك أيضا ووجهه الميرقى المذكور عشية يوم من أيام حروبه الى المازق وقد طال العراك وكاد الناس ينفصلون عن الحرب الى أن يباكروها من الغد فلما بلغ الصدر اشتد على الناس وذمر أرباب الحفيظة وأنهى اليهم العزم من أميرهم فى الجملة فانهزم عدوهم شر هزيمة ولم يعد أبو محمد الا فى آخر الليل بالاسلاب والغنيمة فقال له الامير وما حملك على ما صنعت فقال الذى عملت هو شانى واذا أردت من يصرف الناس عن الحرب ويذهب ريحهم فانظر غيرى وتشاجر له ولد صغير مع ترب له من أولاد أمير أبى زكريا فنال منه ولد الامير وقال وما قدر أبيك فلما بلغ ذلك أباه خرج مغضبا حينه ولقى ولد الامير المخاطب لولده فقال حفظك الله تعالى لست أشك فى أنى خديم أبيك ولكنى أحب أن أعرفك بنفسى ومقدارى ومقدار أبيك اعلم أن أبالك وجهنى رسولا

الى دار الخلافة ببغداد بكتاب عن نفسه فلما بلغت بغداد انزلت فى دار اكتريت لى بسبعة دراهم فى الشهر وأجرى على سبعة دراهم فى اليوم وطولع بكتابى وقيل من الميرقى الذى وجهه فقال بعض الحاضرين هو رجل مغربى تأثر على استاذه فأقمت شهرا ثم استدعيت فلما دخلت دار الخلافة وتكلمت مع من بها من الفضلاء وأرباب المعارف والآداب اعتذروا الى وقالوا للخليفة هذا رجل جهل مقداره فأعدت الى محل اكترى لى بسبعين درهما وأجرى على مثلها فى اليوم ثم استدعيت فودعت الخليفة واقتضيت ما تيسر من حوايجه وصدر لى شئ له حظ من صلته وانصرفت الى أبيك فالمعاملة الاولى كانت على قدر أبيك عند من يعرف الاقدار والثانية كانت على قدرى وترجمته رحمه الله تعالى واسعة *(ومنهم عبد المنعم بن عمر الغسانى الوادى اشى المؤلف الرحالة المتجول ببلاد المشرق سائحا صاحب المؤلفات الكثيرة التى منها جامع أنماط السائل فى العروض والخطب والرسائل ومن نظمه

ألا انما الدنيا بحار تلاطمت * فما أكثر الغرقى على الجنبات
وأكثر من لاقيت يغرق الفه * وقل فتى ينجى من الغمرات

توفى سنة ٦٠٣ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو العباس أحمد بن مسعود بن محمد القرطبى الخزرجى كان اماما فى التفسير والفقه والحساب والفرائض والنحو واللغة والعروض والطب وله تآليف حسان وشعر رائق فمنه قوله رحمه الله تعالى

وفى الوجنات ما فى الروض لكن * لرونق زهرها معنى عجيب
وأعجب ما التعجب عنه انى * أرى البستان يحمله قضيب

قوله ابن محمد فى نسخة ابن على اه

وتوفى رحمه الله تعالى سنة ٦٠١ *(ومنهم أبو العباس القرطبى صاحب المفهم فى شرح مسلم وهو أحمد بن عمر بن ابراهيم بن عمر الانصارى المالكى الفقيه المحدث المدرس الشاهد بالاسكندرية ولد بقرطبة سنة ٥٧٨ وسمع الكثير هنالك ثم انتقل الى المشرق واشتهر وطار صيته وأخذ الناس عنه وانتفعوا بكتبه وقدم مصر وحدث بها واختصر الصحيحين وكان بارعا فى الفقه والعربية عارفا بالحديث وممن أخذ عنه القرطبى صاحب التذكرة ومن تصانيفه رحمه الله تعالى المفهم فى شرح مسلم وهو من أجل الكتب ويكفيه شرفا اعتماد الامام النووى رحمه الله تعالى فى كثير من المواضع وفيه أشياء حسنة مفيدة ومنها اختصاره للصحيحين كما مر وله غير ذلك وتوفى رحمه الله تعالى بالاسكندرية رابع القعدة سنة ٦٥٦ وكان يعرف فى بلاده بابن المزين وله كتاب كشف القناع عن الوجد والسماع أجاد فيه وأحسن وكان يشتغل أولا بالمعقول وله اقتدار على توجيه المعانى بالاحتمال قال الشيخ شرف الدين الدمياطى أخذت عنه وأجاز لى مصنفاته رحمه الله تعالى وحدث بالاسكندرية وغيرها وصنف غير ما ذكرناه وكان اماما عالما جامعا لمعرفة الحديث والفقه والعربية وغيرها *(ومنهم العارف الكبير الولى الصالح الشهير أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونة الخزاعى الاندلسى أحد الاعلام المنقطعين المقربين أولى الهداية كان رضى الله تعالى عنه ونفعنا به كثير

الاتباع بعيد الصيت فذا شهيرا قال الحافظ ابن الزبير هو أحد الاعلام المشاهير فضلا وصلاحا قرأ ببلنسية وتفقه وحفظ نصف المدونة وأقرأها وكان يؤثر التفسير والحديث والفقه على غيرها أخذ عن أبوى الحسن بن النعمة وابن هذيل وحج ولقى فى رحلته من الاندلس جلة أكبرهم الولى الكبير سيدى أبو مدين شعيب أفاض الله تعالى علينا من أنواره وانتفع به ورجع عنه بعجائب فشهر بالعبادة وتبرك الناس به فظهرت عليه بركته توفى رحمه الله تعالى فى شوال سنة ٦٢٤ وعاش نيفا وثمانين سنة وله ترجمة فى الاحاطة ملخصها ما ذكرناه *(ومنهم محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب الخزرجى الانصارى الشاطبى الفقيه القاضى الصدر المتقن المحصل المجيد له علم محكم وعقد صحيح مبرم رحل الى المشرق وحج وكانت رحلته بعد تحصيله فزاد فضلا الى فضل ونبلا الى نبل وكان متثبتا فى فقهه لا يستحضر من النقل الكثير ولكنه يستحضر ما يحتاج اليه وكان له علم بالعربية واصول الفقه ومشاركة فى اصول الدين له شرح على الجزولية وكان أبوه قاضيا وبيتهم بيت قضاء وعلم وسودد متوارث ومجد مكسوب ومنسوب ثم ولى قضاء بجاية فكان ما فى قضائه على سنن الفضلاء وطريق الاولياء العقلاء بالحق مع الصدق معارضا للولاة وكان يرى أن لا يقدم الشهود الا عند الحاجة وأما ان حصل من تحصل به الكفاية فلا يقدم غيره ويرى ان الكثرة مفسدة وقد طلب منه الملك أن يقدم رجلا من أهل بجاية فقال له مشافهة ان شئتم قدموه وأخروه وكان اذا جرى الامر فى مجرى الشهادة وما قاله القاضى بن العربى أبو بكر وغيره من أنها قبول قول الغير على الغير بغير دليل يرى ان هذا من الامر العظيم الذى لا يليق أن يمكن منه الا الآحاد الذين تبين فضلهم فى الوجود وكان يرى ان جنايات الشاهد انما هى فى صحيفة من يقدمه من باب قوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة وقد سئل من أولياء الله فقال شهود القاضى لانهم لا يأتون كبيرة ولا يواظبون على صغيرة وان كانت الشهادة على هذه الصفة فلا شئ أجل منها وان كانت خطة لا صفة فلا شئ أحسن منها ولما كانت واقعة ابن مزين بطنجة عرض عليه أهلها أن يتقدم وأن يبايعوه فقال والله لا أفسد دينى ولما توفى عجز القاضى الذى تولى بعده عن سلوك منحاه واقتفاء سننه الذى اقتفاه قال هذا كله بمعناه وبعضه بحروفه الغبرينى فى عنوان الدراية فى علماء بجاية *(ومنهم محمد بن يحيى الاندلسى اللبسى بلام مفتوحة فسين قاضى القضاة أخذ عن الحافظ ابن حجر ونوه به عند الاشرف حتى ولاه قضاء المالكية بحماه وسار سيرة السلف الصالح ثم حق على نائبها فى بعض الامور وسافر الى حلب مظهرا ارادة السماع على حافظها البرهان ووصفه ابن حجر فى بعض مجاميعه بقوله الشيخ الامام العالم العلامة فى الفنون قاضى الجماعة وقال انه انسان حسن امام فى علوم منها الفقه والنحو واصول الدين يستحضر علوما كانها بين عينيه ووصفه أيضا بعلامة دهره وخلاصة عصره وعين زمانه وانسان أوانه جامع العلوم وفريد كل منثور ومنظوم قاضى القضاة لازالت رايات الاسلام به منصورة وأعلام الايمان به منشورة ووجوه الاحكام الشرعية بحسن نظره محبورة ولد سنة ٨٠٦ وتوفى

ببرسا من بلاد الروم أواخر شعبان سنة ٨٨٤ قاله السخاوى فى الضوء اللامع *(ومنهم الوزير الشهير أبو عبد الله بن الحكيم الرندى ذو الوزارتين رحل الى مصر والحجاز والشام وأخذ الحديث عن جماعة وقد ترجمناه فى باب مشيخة لسان الدين عند تعرضنا لذكر ابنه الشيخ أبى بكر بن الحكيم ولا بأس أن نزيد هنا ما ليس هنالك فنقول انّ من مشايخه برندة الشيخ الاستاذ النحوى أبا الحسن على بن يوسف العبدوى السفاح أخذ عنه العربية وقرأ عليه القرآن بالروايات السبع وأخذ عن الخطيب بها أبى القاسم ابن الابيض وأخذ رحمه الله تعالى عن جماعة من أعلام الاندلس وأخذ فى رحلته عن الجلة الذين يضيق عن أمثالهم الحصر فمن شيوخه الحافظ أبو اليمن بن عساكر لقيه بالحرم الشريف وانتفع به وأكثر من الرواية عنه والشيخ أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحرّانى المعروف بابن هبة الله والشيخ الشرف أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطى ابن الامام الجزائرى جزائر العرب نزيل بغداد والشيخ أبو الصفاء خليل بن أبى بكر المرادى الحنبلى لقيه بالقاهرة والشيخ رضى الدين أبو بكر القسطينى والشيخ شرف الدين الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطى امام الديار المصرية فى الحديث وحافظها ومؤرخها والشهاب بن الخيمى قرأ عليه قصيدته البائية الفريدة التى أولها

يا مطلبا ليس لى فى غيره ارب * اليك آل التقضى وانتهى الطلب

وفيها البيت المشهور الذى وقع النزاع فيه

يا بارقا بأعالى الرقتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

والشيخ جمال الدين أبو صادق محمد بن يحيى القرشى ومن تخريجه الاربعون المروية بالاسانيد المصرية وسمع الحلبيات من ابن عماد الحرّانى والشيخ أبى الفضل عبد الرحيم خطيب الجزيرة ومولده سنة ٥٩٨ وزينب بنت الامام أبى محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادى وتكنى أم الفضل وسمعت من أبيها ومن أشياخ ذى الوزارتين بن الحكيم المذكور الملك الاوحد يعقوب ابن الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب والشيخ عبد الرحمن بن سليمان بن طرخان وأخوه محمد بن سليمان فى طائفة كبيرة من مشايخ مصر والشام والعراق وغيرها من البلاد يطول تعدادهم وأخذ بجاية عن خطيبها أبى عبد الله بن رحمة الكنانى وبتونس عن قاضيها أبى العباس بن الغماز البلنسى وأخذ العربية عن قدوة النحاة أبى الحسين عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أبى الربيع القرشى ومن شعر ذى الوزارتين بن الحكيم المذكور قوله

هل الى ردّ عشيات الوصال * سبب أم ذا من ضرب المحال
حالة يسرى بها الوهم الى * انها تثبت برءا باعتلال
وليال ما تبقى بعدها * غير أشواقى الى تلك الليال
اذ مجال الوصل فيها مسرحى * ونعيمى آمر فيها ووال
ولحالات الرضى جولة * مرحت بين قبول واقتبال

قوله الجزيرة فى نسخة الجيزة اه

فبوادى الخيف خوفى مسعد * وباكناف منى أسنى موال
لست أنسى الانس فيها أبدا * لاولا بالعذل فى ذاك أبال
وغزال قد بدالى وجهه * فرأيت البدر فى حال الكمال
ماأمال التيه من أعطافه * لم يكن الاعلى خصل اعتدال
خص بالحسن فانت ترى * بعده للناس حظا فى الجمال
من تسلى عن هواه فانا * بسواه عن هواه غير سال
فلئن أتعبنى حبى له * فلكم نلت به أنعم حال
اذ لا لى جيده من قبلى * ووشاحاه يمينى وشمال
خلف النوم لى السهد به * وترامى الشخص لاطيف الخيال
فتداوى بلماه ظمئى * مزجك الصهباء بالماء الزلال

أواشادات بناء الملك الاوحد الاسمى الهمام المتعال

ملك ان قلت فيه ملكا * لم تكن الاحقا فى المقال
أيد الاسلام بالعدل فما * ان ترى رسما لاصحاب الضلال
ذو أياد شملت كل الورى * ومعال يالها خير معال
همة هامت بأحوال التقى * وصفات بالجلالات حوال
وقف النفس على اجهادها * بين صوم وصلاة ونوال

وهى طويلة ومنها

أيها المولى الذى نعماؤه * أعجزت عن شكرها كنه المقال
ها أنا أنشدكم مهنئا * من بديع النظم بالسحر الحلال
فأنا العبد الذى حبكم * لم يزل والله فى قلبى وبال
أورقت روضة آمالى بكم * مذ تولاها الرباب المتوال
واقتنيت الجاه من خدمتكم * فهى ما أذخره من كنز مال

ومنها

ياأمير المسلمين هذه * خدمة تنبئ عن اصدق حال
هى بنت ساعة أوائله * سهلت بالحب فى ذاك الجلال
ماعليها اذ أجادت مدحها * من بعيد الفهم يلغيها وقال
فهى فى تأدية الشكر لكم * أبدا بين احتفاء واحتفال

وكتب رحمه الله تعالى يخاطب أهله من مدينة تونس

حى حى بالله ياريح نجد * وتحمل عظيم شوقى ووجدى
واذا ما بثثت حالى فبلغ * من سلامى لهم على قدر ودى
ماتناسيتهم وهل فى مغيبى * هم نسونى على تطاول بعدى
بى شوق اليهم ليس يعزى * بجميل ولا لسكان نجد
يانسيم الصبا اذا جئت قوما * ملئت أرضهم بشيح ورند

فتلطف عند المرور عليهم * وحقوقا لهم على فأد
قل لهم قد غدوت من وجدهم في * حال شوق لكل رند وزند
وان استفسروا حديثي فاني * باعتناء الاله بلغت قصدي
قلها الحمد اذ حباني بلطف * عنده قل كل شكر وحمد

وافتتح مخاطبته لاخيه الاكبر أبي اسحق ابراهيم بقصيدة أولها

ذكر اللوا شوقا الى أقماره * فقضى أسى أو كاد من تذكاره
وعلا زفير حريق نار ضلوعه * فرمى على وجناته بشراره
لو كنت تبصر خطه في خده * لقرأت سر الوجد من أسطاره
ياعاذليه أقصروا فلربما * أفضى عتابكم الى اضراره
ان لم تعينوه على برحائه * لاتنكروا بالله خلع عذاره
ما كان أكتمه لاسرار الهوى * لو أن جند الصبر من أنصاره
ماذنبه والبين قطع قلبه * أسفا وأذكى النار في اعشاره
بخل اللوا بالساكنيه وطيفهم * وحديثه ونسيمه ومزاره
يابرق خذ دمعي وعرج باللوا * فاسفحه في بانائه وعراره
واذا القيت بها الذي بانحائه * ألقى خطوب الدهر أو بجواره
فاقر السلام عليه قدر محبتي * فيه وترفيعي الى مقداره
والمم بسائر اخوتي وقرابتي * من لم أكن لجوارهم بالكاره
مامنهم الا أخ أو سيد * أبدا أرى دأبي على اكباره
فابث لذا لحي أن أخاهم * في حفظ عهدهم على استبصاره

وقال رحمه الله تعالى في غرض كلفه سلطانه القول فيه

الا واصل مواصلة العقار * ودع عنك التخلق بالوقار
وقم واخلع عذارك في غزال * يحق لمثله خلع العذار
قضيب مائس من فوق دعص * تعمم بالدجى فوق النهار
ولاح بخده ألف ولام * فصار معرفا بين الدراري
رماني قاسم والسين صاد * بأشفار تنوب عن الشفار
وقد قسمت محاسن وجنتيه * على ضدين من ماء ونار
فذاك الماء من دمعي عليه * وتلك النار من فرط استعاري
عجبت له أقام بربع قلبي * على ماشب فيه من الاوار
ألفت الحب حتى صار طبعا * فما أحتاج فيه الى اذكار
فعالى عن مذاهبه ذهاب * وهذا فيه اشعاري شعاري

وقال العلامة ابن رشيد في ملء العيبة لما قدمنا المدينة سنة ٦٨٤ كان معي رفيق الوزير أبو عبد الله بن أبي القاسم بن الحكيم وكان أرمد فلما دخلنا ذا الحليفة أو نحوها نزلنا عن الاكوار وقوى الشوق لقرب المزار فنزل وبادر الى المشي على قدميه احتسابا

قوله سنة ٦٨٤ في نسخة سنة ٦٧٤ اه

لتلك الآثار واعظا ما لمن حل تلك الديار فأحس بالشفاء فأنشد لنفسه فى وصف الحال قوله

ولما رأينا من ربوع حبيبنا * بيثرب أعلاما أثرن لنا الحبا
وبالترب منها اذ كحلنا جفوننا * شفينا فلا بأسا نخاف ولا كربا
وحين تبدى للعيون جمالها * ومن بعدها عنا اديلت لنا قربا
نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة * لمن حل فيها أن نلم به ركبا
نسح سجال الدمع فى عرصاتها * ونلثم من حب لواطئه التربا
وان بقائى دونه لخسارة * ولو أن كفى تملأ الشرق والغربا
فيا عجبا ممن يحب بزعمه * يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتبا
وزلات مثلى لا تعد كثرة * وبعدى عن المختار أعظمها ذنبا انتهى

وخط الوزير ابن الحكيم فى غاية الحسن وقد رأيته مرارا وملكت بعض كتبه ونثره رحمه الله تعالى أعلى من شعره كما نبه عليه لسان الدين فى الاحاطة ومن نثره فى رسالة طويلة كتبها عن سلطانه ما صورته وقد تقرر عند الخاص والعام من أهل الاسلام واشتهر فى آفاق الاقطار اشتهار الصباح فى سواد الظلام أنا لم نزل نبذل جهدنا فى أن تكون كلمة الله هى العليا ونسمح فى ذلك بالنفوس والاموال رجاء ثواب الله لا لعرض الدنيا وانا ما قصرنا عن الاستنفار والاستنصار ولا أقصرنا عن الاعتضاد بكل من أملنا معاملته والاستظهار ولا اكتفينا بمطولات الرسائل وبنات الارسال حتى اقتحمنا بنفسنا لجج البحار فسمعنا بالطارف من أموال النساء والتلاد وأعطينا رجاء نصرة الاسلام موفور الاموال والبلاد واشترينا بما أنعم الله به علينا ما فرض الله على كافة أهل الاسلام من الجهاد فلم يكن بين تلبية المدعو وزهده ولا بين قبوله وردّه الا كما يحسو الطائر ماء الثماد ويأبى الله أن يكل نصرة الاسلام بهذه الجزيرة الى سواه ولا يجعل فيها شيأ الا لمن أخلص لوجهه الكريم علانيته ونجواه ولما اسلم الاسلام بهذه الجزيرة الغربية الى مناويه وبقى المسلمون يتوقعون حادثا ساءت ظنونهم لمباديه القينا الى الثقة بالله تعالى يد الاستسلام وشمرنا عن ساعد الجد فى جهاد عبدة الاصنام واخذنا بمقتضى قوله تعالى وأنفقوا فى سبيل الله أخذ الاعتزام فأمدنا الله تعالى فى ذلك بتوالى البشائر ونصرنا بألطاف أغنى فيها خلوص الضمائر عن قود العساكر ونقلنا على أيدى قوادنا ورجالنا من السبايا والغنائم ما غدا ذكره فى الآفاق كالمثل السائر وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وكيف يحصيها المحصى أو يحصرها الحاصر وحين أبدت لنا العناية الربانية وجوه الفتح سافرة المحيا وانتشقنا نسائم النصر الممنوح عبقة الريا استخرنا الله تعالى فى الغزو بنفسنا ونعم المستخار وكتبنا بما قد علم الى ما قرب من أعمالنا بالحض على الجهاد والاستنفار وحين وافى من خف للجهاد من الاجناد والمطوعين وغدوا بحكم رغبتهم فى الثواب على طاعة الله مجتمعين خرجنا بهم ونصر الله تعالى أهدى دليل وعناية الله تعالى بهذه الفئة المفردة من المسلمين تقضى بتقريب البعيد من آمالنا وتكثير القليل ونحن نسأل الله

قوله عن قود فى نسخة عن وفود اه

تعالى أن يحملنا على جادة الرضا والقبول وأن يرشدنا الى طريق تفضى الى بلوغ الامنية والمأمول وهذه رسالة طويلة سقنا بعضها كالعنوان لسائرها وقال ابن الحكيم رحمه الله تعالى من الرياسة والتحكم فى الدولة ما صار كالمثل السائر وخدمته العلماء الاكابر الاخيار كابن خميس وغيره وأفاض عليهم سجال خيره ثم ردت الايام منه ما وهبت وانقضت أيامه كأن لم تكن وذهبت وقتل يوم خلع سلطانه ومثل به سنة ٧٥٨ رحمه الله تعالى وانتهب من أمواله وكتبه وتحفه ما لا يعلم قدره الا الله تعالى أثابه الله تعالى بهذه الشهادة بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم *(ومن المرتحلين من الاندلس الى المشرق) الحافظ نجيب الدين أبو محمد عبد العزيز ابن الامير القائد أبى على الحسن بن عبد العزيز بن هلال اللخمى الاندلسى ولد سنة ٥٧٧ تقريبا ورحل فسمع بمكة من زاهر بن رستم وببغداد من أبى بكر أحمد بن سكينة وابن طبرزذ وطائفة وبواسط من أبى الفتح بن الميدانى وبأصبهان من عين الشمس الثقفية وجماعة وبخراسان من المؤيد الطوسى وأبى روح وأصحاب الفراوى وهذه الطبقة وخطه مليح مغربى فى غاية الدقة وكان كثير الاسفار دينا متصوفا كبير القدر قال الضياء فى حقه رفيقنا وصديقنا توفى بالبصرة عاشر رمضان سنة ٦١٧ ودفن الى جانب قبر سهل التسترى رضى الله تعالى عنه وما رأينا من أهل المغرب مثله وقال ابن نقطة كان ثقة فاضلا صاحب حديث وسنة كريم الاخلاق وقال مفضل القرشى كان كثير المروءة غزير الانسانية وقال ابن الحاجب كان كيس الاخلاق محبوب الصورة لين الكلام كريم النفس حلو الشمائل محسنا الى أهل العلم بماله وجاهه وقيل انه أوصى بكتبه للشرف المرسى رحمه الله تعالى *(ومنهم محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد ابو بكر بن العربى الاشبيلى حفيد القاضى الحافظ الكبير أبى بكر بن العربى تمر ألنا فع على قاسم بن محمد الزقاق صاحب شريح وحج فسمع من السلفى وغيره ثم رحل بعد نيف وعشرين سنة الى الشام والعراق وأخذ عن عبد الوهاب بن سكينة وطبقته ورجع فأخذوا عنه بقرطبة واشبيلية ثم سافر سنة ٦١٢ وتصوف وتعبد وتوفى بالاسكندرية سنة ٦١٧ قاله الذهبى فى تاريخه الكبير *(ومن المرتحلين من الاندلس يحيى بن عبد العزيز المعروف بابن الخراز أبو زكريا القرطبى سمع من العتبى وعبد الله بن خالد ونظراءهما من رجال الاندلس ورحل فسمع بمصر من المزنى والربيع بن سليمان المؤذن ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ويونس بن عبد الاعلى ومحمد بن عبد الله بن ميمون وعبد الغنى بن أبى عقيل وغيرهم وسمع بمكة من على ابن عبد العزيز وكانت رحلته ورحلة سعيد بن عثمان الاعناقى وسعيد بن حيد وابن أبى تمام واحدة وسمع الناس من يحيى المذكور مختصر المزنى ورسالة الشافعى وغير ذلك من علم محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وكان يميل فى فقهه الى مذهب الشافعى وكان مشاورا مع عبيد الله بن يحيى وأضرابه وحدث عنه من أهل الاندلس محمد بن قاسم بن بشير وابن عبادة وغير واحد ولم يسمع منه ابنه محمد لصغره وتوفى سنة ٢٩٥ رحمه الله تعالى ورضى عنه *(ومنهم الشيخ الامام العالم العامل الزاهد الورع العلامة جمال الدين أبو بكر

قوله سنة ٧٥٨ فى نسخة سنة ٧٠٨ اه

قوله وسنة فى نسخة وسند اه

قوله الزقاق فى نسخة ابن الرقاق اه

قوله سنة ٦١٢ فى نسخة سنة ٦١٦ اه

قوله ابن بشير فى نسخة وابن بشير اه

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البكري الشريشي المالكي كان من أكابر الصالحين المتورعين ومولده سنة ٦٠١ بشريش وتوفي برباط الملك الناصر بسفح قاسيون سنة ٦٨٥ في ٢٤ رجب ودفن بقبالة الرباط وله المصنفات المفيدة تولى مشيخة الصخرة بحرم القدس الشريف وقدم دمشق وتولى مشيخة الرباط الناصري فلما توفي قاضي القضاة جمال الدين المالكي ولوه مشيخة المالكية بدمشق وعرضوا عليه القضاء فلم يقبل وبقي في المشيخة الى أن توفي رحمه الله تعالى ونفعنا به وبأمثاله آمين

(ومن الراحلين من الاندلس الفقيه الصالح أبو بكر بن محمد بن علي بن ياسر الجياني المحدث الشهير ذكره ابن السمعاني وغيره سافر الكثير وورد العراق وطاف في بلاد خراسان وسكن بلخ وأكثر من الحديث وحصل الاصول ونسخ بخطه ما لا يدخل تحت حصر قال ابن السمعاني وله أنس ومعرفة بالحديث لقيته بسمرقند وكان قدمها سنة ٥٤٩ مع جماعة من أهل الحجاز لدين له عليهم وسمعت منه جزءا خرجه من حديث يزيد بن هرون عما وقع له عاليا وجزءا صغيرا من حديث أبي بكر بن أبي الدنيا واحاديث أبي بكر الشافعي في احد عشر جزءا المعروف بالغيلانيات بروايته عن أبي الحصين عن ابن غيلان وكان مولده بجيان سنة ٤٩٣ أو في التي بعدها الشك منه ثم لقيته بنسف في أواخر سنة خمسين ولم أسمع منه شيأ ثم قدم علينا بخارى في أوائل سنة احدى وخمسين وسمعت من لفظه جميع كتاب الزهد لهناد بن السري الكوفي بروايته عن أبي القاسم سهل بن ابراهيم المسجدي عن الحاكم أبي عبد الرحمن محمد بن أحمد الشاذياخي عن الحاكم أبي الفضل محمد بن الحسين الحدادي عن حماد بن أحمد السلمي عن مصنفه وأخبرنا الجياني بسمرقند أنبأنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الكاتب ببغداد أنبأنا أبو طالب محمد بن محمد ابن سلمة أنبأنا يزيد بن هرون أنبأنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادا هم مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا لم تروه قالوا وما هو ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم شيأ أحب اليهم من النظر اليه ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقال ابن السمعاني أيضا وأخبرنا الجياني المذكور بسمرقند أنبأنا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد ببغداد أنبأنا أبو طالب بن غيلان أنبأنا أبو بكر الشافعي أنبأنا ابو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي أنبأنا محمد بن حسان أنبأنا مبارك بن سعيد قال أردت سفرا فقال لي الاعمش سل ربك أن يرزقك صحابة صالحين فان مجاهدا حدثني قال خرجت من واسط فسألت ربي أن يرزقني صحابة ولم أشترط في دعائي فاستويت أنا وهم في السفينة فاذا هم أصحاب طابير وقال ابن السمعاني أيضا أخبرنا أبو بكر الجياني المغربي بسمرقند سمعت الامام أبا طالب ابراهيم بن هبة الله ببلخ يقول قرأت على أبي يعلى محمد بن أحمد العبدي بالبصرة قال قرأت على شيخنا أبي الحسين بن يحيى في كتاب العين باسناده الى الخليل بن أحمد أنه أنشد قول الشاعر

ان فى بيتنا ثلاث حبالى * فوددنا أن قد وضعن جميعا
زوجتى ثم هرتى ثم شاتى * فاذا ما وضعن كن ربيعا
زوجتى للخبيص والهر للفا * ر وشاتى اذا اشتهين مجيعا

قال أبو يعلى قال شيخنا ابن يحيى وذكر عن الخليل بن أحمد فى العين أن الجميع أكل التمر باللبن انتهى *(ومنهم أبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد ابن حزم الاندلسى المرى ذكره الحميدى فى تاريخه وأثنى عليه وقال كان من أهل العلم والادب والذكاء والهمة العالية كتب بالاندلس فأكثر ورحل الى المشرق فاحتفل فى العلم والرواية والجمع وذكره الحافظ الخطيب أبو بكر بن ثابت البغدادى وقال هو من بيت جلالة وعلم ورياسة وأخرج عنه فى غير موضع من مصنفاته وقدم بغداد ودمشق وحدث فيهما ثم عاد الى المغرب فتوفى ببلده المرية سنة ٤٥٤ وحدث عن أبى القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا الزهرى ويعرف بابن الاقليلى الاندلسى النحوى وغيره وكان صدوقا ثقة رحمه الله تعالى *(ومنهم العالم الحسيب أبو حفص عمر بن الحسن الهوزنى ذكره ابن بسام فى الذخيرة والحجارى فى المسهب ولما تولى المعتضد بن عباد والد المعتمد خاف منه فاستأذنه فى الحج سنة ٤٤٤ ورحل الى مصر والى مكة وسمع فى طريقه كتاب صحيح البخارى وعنه أخذه أهل الاندلس ورجع فسكن اشبيلية وخدم المعتضد فقتله ومن خاف من شئ ساط عليه وكان قتله يوم الجمعة لليلة خلت من ربيع الاول سنة ٤٦٠ رحمه الله تعالى ومن شعره يحرضه على الجهاد قوله

أعباد جل الرزء والقوم هجع * على حالة من مثلها يتوقع
فلق كأبى من فراغ ساعة * وان طال فالموصوف للطول موضع
اذا لم أبث الدار ب شكاية * أضعت وأهل للملام المضيع

ووصله بنثر وهو وما أخطأ السبيل من أتى البيوت من أبوابها ولا أرجا الدليل من ناط الامور بأربابها ولرب أمل بين أثناء المحاذير مدبج ومحبوب فى طى المكاره مدرج فاتهز فرصتها فقد بان من غير لك العجز وطبق مفاصلها فكأن قد أمكنك الحز ولا غرو ان يستقطر الغمام فى الجدب ويستصحب الحسام فى الحرب وله

صرح الشر فلا يستقل * ان نهلتم جاءكم بعد علل
بدء صعق الارض رش وطل * ورياح ثم غيم أبل
خفضوا فالداء رز أجل * واغمدوا سيفا عليكم يسل

وبسبب قتل بنى عباد لابى حفص الهوزنى المذكور تسبب ابنه أبو القاسم فى فساد دولة المعتمد بن عباد وحرض عليه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب المغرب حتى أزال ملكه وشرد سلكه وسبب هلكه كما ذكرناه فى غير هذا الموضع من هذا الكتاب غير مرة فليراجعه من اراده فى محاله وبيت بنى الهوزنى المذكور بالاندلس بيت كبير مشهور ومنهم عدة علماء وكبراء رحمهم الله تعالى الجميع *(ومنهم أبو زكريا يحيى بن قاسم بن هال القرطبى الفقيه المالكى أحد الائمة الزهاد كان يصوم حتى يعجز توفى سنة ٢٧٢ وقيل سنة ٢٧٨

قوله المعتضد بن عباد مقتضى ما تقدم له قريبا ان يقول المعتمد ابن المعتضد أو يبدل المعتمد بالمعتضد تأمل اه مصححه

ورحل الى المشرق وسمع من عبد الله بن نافع صاحب مالك بن أنس ومن سحنون بن سعيد وغيرهما وكان فاضلا فقيها عابدا عالما بالمسائل وروى عنه أحمد بن خالد وكان يفضله ويصفه بالفضل والعلم وهو صاحب الشجرة قال عباس بن اصبغ كانت فى داره شجرة تسجد لسجوده اذا سجد قاله ابن الفرضى رحمه الله تعالى ورضى عنه ونفعنا به * (ومنهم أبو بكر يحيى بن مجاهد بن عوانة الغزارى الالبيرى الزاهد سكن قرطبة قال ابن الفرضى كان منقطع القرين فى العبادة بعيد الاسم فى الزهد حج وعنى بعلم القرآن والقراآت والتفسير وسمع بمصر من الاسيوطى وابن الورد وابن شعبان وغيرهم وكان له حظ من الفقه والرواية الا أن العبادة غلبت عليه وكان العمل أملك به ولا أعلمه حدث توفى رحمه الله تعالى سنة ست وستين وثلثمائة ودفن فى مقبرة الربض وصلى عليه القاضى محمد بن اسحق بن السليم ثم صلى عليه حيان بن مرة ثانية رحمه الله تعالى وأفاض علينا من أنوار عنايته آمين * (ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد بن ابراهيم الصدفى الاشبيلى الاديب البارع له نظم حسن وموشحات رائقة قرأ على الاستاذ الشلوبين وغيره ومدح الملوك ورحل من الاندلس فقدم ديار مصر ومدح بها بعض من كان يوصف بالكرم فوصله بنزر يسير فكسر راجعا الى المغرب فتوفى ببرقة رحمه الله تعالى وكان من النجباء فى النحو وغيره ومن نظامه من قصيدة

قوله أبو بكر فى سخة أبو زكريا اه

مابى موارد أمر بل مصادره * اللحظ أوله واللحد آخره
أرسلت طرفى مرتادا فطل دمى * روض من الحسن مطلول أزاهره
رعيت فى خصبه لحظى فأعقبنى * جدبا بجسمى مايرويه هامره
وبى وان لم أكن بالذكر أشهره * فالوصف فيه لفقد المثل شاهره

وهى طويلة وأثنى عليه أثير الدين أبو حيان وأورد جملة من محاسن كلامه وبدائع نظامه رحم الله تعالى الجميع * (ومنهم أبو يحيى زكريا بن خطاب الكلبى التطيلى رحل سنة ٢٩٣ فسمع بمكة كتاب النسب للزبير بن بكار من الجرجانى الذى حدث به عن على بن عبد العزيز بن الجحى عن الزبير وروى موطأ مالك بن أنس رواية أبى مصعب أحمد بن عبد الملك الزهرى عن ابراهيم بن سعيد الحذاء وسمع بها من ابراهيم بن عيسى الشيبانى والقزاز فى آخرين وقدم الاندلس وكان الناس يرحلون اليه الى تطيلة للسماع منه واستقدمه المستنصر الحكم وهو ولى عهد فسمع منه أكثر مروياته وسمع منه جماعة من أهل قرطبة وكان ثقة مأمونا ولى قضاء بلده تطيلة احدى مدائن الاندلس بعد عمر بن يوسف بن الامام * (ومنهم سعد الخير بن محمد بن سعد أبو الحسن الانصارى البلنسى المحدث رحل الى أن دخل الصين ولذا كان يكتب البلنسى الصينى وركب البحار وقاسى المشاق وتفقه ببغداد على أبى حامد الغزالى وسمع بها أبا عبد الله النعال وطراد او غيرهما وباصبهان أبا سعد المطرز وسكنها وتزوج بها وولدت له فاطمة بها ثم سكن بغداد وروى عنه ابن عساكر وابن السمعانى وأبو موسى المدينى وأبو اليمن الكندى وأبو الفرج بن الجوزى وابنته فاطمة بنت سعد الخير فى آخرين وتأدب على أبى زكريا التبريزى وتوفى فى المحرم سنة ٥٤١

رحمه الله تعالى ببغداد وصلى عليه الغزنوى والشيخ الواعظ بجامع القصر وكان وصيه وحضر جنازته قاضى القضاة الزينبى والاعيان ودفن الى جانب عبد الله ابن الامام أحمد ابن حنبل رضى الله تعالى عنهم أجمعين بوصية منه *(ومنهم أبو عثمان سعيد بن نصر بن عمر بن خلفون الاسيجى سمع بقرطبة من قاسم بن اصبغ وابن أبى دليم وغيرهما ورحل فسمع بمكة من ابن الاعرابى وببغداد من أبى على الصفار وجماعة وبهما مات *(ومنهم أبو عثمان سعيد الاعناقى ويقال العناقى القرطبى كان ورعا زاهدا عالما بالحديث بصيرا بعلله سمع من محمد بن وضاح وصحبه ومن يحيى بن ابراهيم بن مزين ومحمد بن عبد السلام الخشنى وغيرهم ورحل فلقى جماعة من أصحاب الحديث منهم نصر بن مرزوق كتب عنه مسند أسد بن موسى وغير ذلك من كتبه ويونس بن عبد الاعلى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم والحرث بن مسكين فى آخرين حدث عنه أحمد بن خالد وابن أيمن ومحمد ابن قاسم وابن أبى زيد فى عدد كثير ومولده سنة ٢٣٣ وتوفى سنة ٣٠٥ بصفر والاعناقى نسبة الى موضع يقال له أعناق وعناق *(ومنهم أبو المطرف عبد الرحمن بن خلف التجيبى الاقليشى روى عن أبى عثمان سعيد بن سالم المجريطى وأبى ميمونة دارس بن اسمعيل فقيه فاس ورحل حاجا سنة ٣٤٩ فسمع بمكة من أبى بكر الآجرى وأبى حفص الجمحى وبمصر من أبى اسحق بن شعبان وروى عنه كتاب الزاهى جميعه وقد قرئ عليه جميعه وحمل عنه ومولده سنة ٣١٣ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو الاصبغ عبد العزيز ابن على المعروف بابن الطحان الاشبيلى المقرى ولد باشبيلية سنة ٤٩٨ ورحل فدخل مصر والشام وحلبا وتوفى بحلب بعد سنة ٥٥٩ وله كتاب نظام الاداء فى الوقف والابتداء ومقدمة فى مخارج الحروف ومقدمة فى أصول القراآت وكتاب الدعاء وكان من القراء المجودين الموصوفين بالاتقان ومعرفة وجوه القراآت وسمع الحديث على شريح بن محمد بن أحمد بن شريح الرعينى خطيب اشبيلية وأبى بكر يحيى بن سعادة القرطبى وله شعر حسن منه قوله

دع الدنيا لعاشقها * سيصبح من رشائقها
وعد النفس مصطبرا * وتنكب عن خلائقها
هلال المرء أن يضحى * مجدا فى علائقها
وذو التقوى يذللها * فيسلم من بوائقها

وأخذ القراآت ببلده عن أبى العباس بن عيشون وشريح بن محمد وروى عنهما وعن أبى عبد الله بن عبد الرزاق الكلبى وروى مصنف النسائى عن أبى مروان بن مسرة وتصدى للاقراء ثم انتقل الى فاس وحج ودخل العراق وقرأ بواسط القراآت وأقرأها أيضا ودخل الشام واشتهر ذكره وجل قدره وروى عنه أبو محمد عبد الحق الاشبيلى الحافظ وعلى بن يونس قال بعضهم سمعت غير واحد يقول ليس بالغرب أعلم بالقراآت من ابن الطحان قرأ عليه الاثير أبو الحسن محمد بن أبى العلاء وأبو طالب بن عبد السميع وغيرهما رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم أبو الاصبغ عبد العزيز بن خلف المعافرى قدم

قوله سنة ٥٠٢ فى نسخة سنة ٥٠٦ اه

مصر سنة ٥٠٢ وولد سنة ٤٤٨ وحدث بالموطا عن سليمان بن أبى القاسم أنبأنا أبو عمر بن عبد البر أنبأنا سعيد بن نصر عن قاسم بن اصبغ عن محمد بن وضاح عن يحيى بن يحيى عن مالك بن أنس امام دار الهجرة رضى الله تعالى عنه * (ومنهم أبو محمد عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبة السعدى الشاطبى قدم مصر ودمشق طالب علم وسمع أبا الحسن بن أبى الحديد وأبا منصور العكبرى وغيرهما وصنف غريب الحديث لابى عبيد القاسم ابن سلام على حروف المعجم وسمعه عليه أبو محمد الاكفانى وتوفى بأرض حوران من أعمال دمشق فى رمضان سنة ٤٦٥ رحمه الله تعالى ورضى عنه * (ومنهم الحكيم الطبيب أبو الفضل محمد بن عبد المنعم الغسانى الجليانى وهو عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن أحمد بن خضر بن مالك بن حسان ولد بقرية جليانة من أعمال غرناطة سابع المحرم سنة ٥٣١ وقدم الى القاهرة وسار الى دمشق فسكنها مدة ثم سافر الى بغداد فدخلها سنة ٦٠١ ونزل بالمدرسة النظامية وكتب الناس عنه كثيرا من نظمه وكان أديبا فاضلا له شعر مليح المعانى أكثر فى الحكم والالهيات وآداب النفوس والرياضات وكان طبيبا حاذقا وله رياضات ومعرفة بعلم الباطن وله كلام مليح على طريق القوم وكان مليح السمت حسن الاخلاق لطيفا حاضر الجواب ومات بدمشق سنة ٦٠٢ وكان يقال له حكيم الزمان وأراد القاضى الفاضل أن ينفض منه فقال له بحضرة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب كم بين جليانة وغرناطة فقال مثل ما بين بيسان وبيت المقدس ومن شعره قوله

خبرت بنى عصرى على البسط والقبض * وكاشفتهم كشف الطبائع بالنبض
فأنتج لى فيهم قياسى تخسليا * عن الكل اذ هم آفة الوقت والعرض
الازم كسر البيت خلوا وان يكن * خروج ففرد املصق الطرف بالارض
أرى الشخص من بعد فأغضى تغافلا * كمشدوه بال فى مهمته يمضى
ويحسبنى فى غفلة وفراستى * على الفور من لحيى بما قد نوى تقضى
أجانبهم سلما ليسلم جانبى * وليس لحقد فى النفوس ولا بغض
تخليت عن قومى ولو كان ممكنى * تخليت عن بعضى ليسلم لى بعضى

وقال

قالوا نراك عن الاكابر تعرض * وسواك تزوار لهم متعرض
قلت الزيارة للزمان اضاعة * واذا مضى زمن فما يتعوض
ان كان لى يوما اليهم حاجة * فبقدر ماضى من القضاء نقيض

وقال

حاول مفازلك قبل أن يتحولا * فالحال آخرها كحالك أولا
ان المنى من المنية لفظة * لتدل فى أصل البناء على البلا

وسماه بعضهم عبد المنعم وذكره العماد فى الخريدة وقال هو صاحب البديع البعيد والتوشيح والترشيح والترصيع والتصريع والتجنيس والتطبيق والتوفيق والتلفيق والتقريب والتقرير والتعريف والتعريب وهو مقيم بدمشق وقد

أتى العسكر المنصور الناصرى سنة ٥٨٦ بظاهر ثغر عكا وكتب الى السلطان صلاح الدين وقد جرح فرسه

أيا ملكا أنى العداة حسامه ○ ومنتجعا أقنى العفاة ابتسامه
لقاؤك يوما فى الزمان سعادة * فكيف بنا وفى حمالك حمامه
وعبدك شالك دينه وهو شاكر ○ نداك الذى يفنى الغمام غمامه
ولى فرس أصماؤه سهم فرده * أثافى ربع بالثلاث قيامه
تعمر فيه بالجراحة ساحة * وعطل منه مرجه ولجامه
أتينا لما عودتنا من مكارم * يلوذ بها الراجى فيشفى غرامه
فرحمالك غوث لا يغيب نصيره ○ ونعمالك غيث لا يغب انسجامه

وله رحمه الله تعالى غير هذا وترجمته واسعة *(ومنهم الاستاذ أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد القدوس القرطبى مؤلف المفتاح فى القراآت ومقرى أهل قرطبة رحل وقرأ القراآت على أبى على الاهوازى وبحران على أبى القاسم الريدى وبمصر على أبى العباس بن نفيس وبمكة على أبى العباس الكازرونى وسمع بدمشق من أبى الحسن بن السمسار وكان عجبا فى تحرير القراآت ومعرفة فنونها وكانت الرحلة اليه فى وقته ولد سنة ٤٠٣ ومات فى ذى القعدة سنة ٤٦١ قرأ عليه أبو القاسم خلف ابن النحاس وجماعة رحمه الله تعالى *(ومنهم عبيد الله وقيل عبد الله بغير تصغير ابن المظفر ابن عبد الله بن محمد أبو الحكم الباهلى الاندلسى ولد بالمرية سنة ٤٨٦ وحج سنة ٥١٦ وحج أيضا سنة ٥١٨ ودخل دمشق وقرأ بصعيد مصر وبالاسكندرية ثم مضى الى العراق وأقام ببغداد يعلم الصبيان وخدم السلطان محمود بن ملك شاه سنة ٥٢١ وأنشأ له فى معسكره مارستانا ينقل على أربعين جملا فكان طبيبه ثم عاد الى دمشق ومات بها سنة ٥٤٩ ودفن بباب الفراديس وكان ذا معرفة بالادب والطب والهندسة وله ديوان شعر سماه نهج الوضاعة لاولى الخلاعة ذكر فيه جملة شعراء كانوا بمدينة دمشق كطالب الصورى ونصر الهيثى وغيرهما كعرقلة وفيه نزهات أدبية ومفاكهات غريبة ممزوج جدها بسخفها وهزلها بظرفها ورثى فيه أنواعا من الدواب وأنواعا من الاثاث وخلقا من المغنين والاطراف وشرح هذا الديوان ابنه الحكيم الفاضل أبو المجد محمد بن أبى الحكم الملقب بافضل الدولة وكان كثير الهزل والمداعبة دائم اللهو والمطايبة وكان اذا أتاه الغلام وما به شئ فيجس نبضه ثم يقول له تصلح لك الهريسة وكان اعور فقال فيه عرقلة

لنا طبيب شاعر أعور * أراحنا من طبه الله
ما عاد فى صحة يوم فتى * الا وفى باقيه رثاه

وله يرثيه

يا عين سحى بدمع ساكب ودم * على الحكيم الذى يكنى أبا الحكم
قد كان لا رحم الرحمن شيبته * ولا سقى قبره من صيب الديم
شيخا يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستحل دم الحجاج فى الحرم

قوله سنة ٤٨٦ فى نسخة سنة ٤٩٩ اه

ومن كنايات أبي الحكم المستحسنة قوله

ألم ترني أكابد فيك وجدى * وأحمل منك مالا يستطاع
اذا ما أنجم الجوزا استقلت * ومال الدلو وارتفع الذراع

ومن شعره قوله

محاسن العالم قد جمعت * فى حسنه المستكمل البارع
وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم فى الجامع

*(ومنهم أبو الربيع سليمان بن ابراهيم بن صافى الغرناطى التيمانى وقيسانة من عمل غرناطة الفقيه المالكى ولد سنة ٥٦٤ وقدم القاهرة وناب فى الحسبة وله شعر حسن توفى بالقاهرة سنة ٦٣٤ رحمه الله تعالى *(ومنهم طالوت بن عبد الجبار المعافرى الاندلسى دخل مصر وحج ولقى امامنا مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه وعاد الى قرطبة وكان ممن خرج على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن من أهل ربض شقندة يريد خلعه واقامة أخيه المنذر وزحفوا الى قصره بقرطبة فحاربهم وقتلهم وفر من بقى منهم فاستتر الفقيه طالوت عاما عند يهودى ثم ترامى على صديقه أبى البسام الكاتب ليأخذ له امانا من الحكم فوشى به الى الحكم وأحضره اليه فعنفه ووبخه فقال له كيف يحل لى أن أخرج اليك وقد سمعت مالك بن أنس يقول سلطان جائر مدة خير من فتنة ساعة فقال الله تعالى لقد سمعت هذا من مالك فقال طالوت اللهم انى قد سمعته فقال انصرف الى منزلك وأنت آمن ثم سأله أين استتر فقال عند يهودى مدة عام ثم انى قصدت هذا الوزير فغدر بى فغضب الحكم على أبى البسام وعزله عن وزارته وكتب عهدا أن لا يخدمه أبدا فرثى أبو البسام بعد ذلك فى فاقة ونزل فقيل استجيبت فيه دعوة الفقيه طالوت رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو الحسن على بن محمد بن على بن محمد ضياء الدين ونظامه ابن خروف الاديب القيسى القرطبى القيذافى الشاعر قدم الى مصر ثم سار الى حلب ومات بها مترديا فى جب حنطة سنة ٦٠٣ وقيل فى التى بعدها وقيل سنة خمس وسبعمائة وله شرح كتاب سيبويه وحمله الى صاحب المغرب فأعطاه ألف دينار وله شرح جمل الزجاجى وكتب فى الفرائض وردعلى أبى زيد السهيلى وغير ذلك ومدح الافضل ابن السلطان صلاح الدين ومدح الظاهر بن الناصر أيضا وشعره جيد فمنه قوله فى كاس

أنا جسم للحميا * والحميا الى روح
بين أهل الظرف أغدو * كل يوم وأروح

وقال فى صبى حبس

أقاضى المسلمين حكمت حكما * غدا وجه الزمان به عبوسا
حبست على الدراهم ذا جمال * ولم تسجنه اذ سلب النفوسا

وقال

ما أعجب النيل ما أحلى شمائله * فى ضفتيه من الاشجار أدواح
من جنة الخلد فياض على ترع * تهب فيها هبوب الريح أرواح

ليست زيادته ماء كما زعموا * وانما هي أرزاق وأرباح

والقيذافي بقاف ثم ياء آخر الحروف بعدها ذال معجمة ثم ألف وفاء وله رسالة كتب بها الى بهاء الدين بن شداد بحلب يطلب منه فروة وهي

بهاء الدين والد نيا * ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الانوا * ء من جد والجلد ابى
وفضلك عالم أني * خروف بارع الادب
حلبت الدهر أشطره * وفي حلب صفا حلبي

ذو الحسب الباهر والنسب الزاهر يسحب ذيول سيرا السراء ويحب النحاة من أجل الفراء ويمن على الخروف النبيه بجلد أبيه فاني الصباغ قريب عهد بالدباغ ماضل طالب قرظه ولا ضاع بل ذاع ثناء صانعه وضاع اذا طهرا هابه يخافه البرد ويهابه أثيث خمائل الصوف يهز أبكل هوجاء عصوف مافي اللباس له ضريب اذا نزل الجليد والضريب ولا في الثياب له نظير اذا عرى من ورقه الغصن النضير والمولى يبعثه فرجي النوع أرجي الضوع يكون تارة لحافا وتارة بردا وهو في الحالين يحيي حرا ويميت بردا لا كطيلسان ابن حرب ولا كجلد عمرو المهزق بالضرب ان عزاه السواد الى حام فحام أو نماه البياض الى سام فسام كانه من جلد جمل الحرباء الذي يرعى القمر والنجم لا من جلد السخلة الجرباء التي ترعى الشجر والنجم لا زال مهديه سعيدا ينجز للاخيار وعدا وللاشرار وعيدا بالمنة والطول والقوة والحول *(ومنهم مالك بن مالك من أهل جيان رحل حاجا فأدى الفريضة وسكن حلبا ولقي عبد الكريم بن عمران وأنشد له قوله

يارب خذ بيدي مما دفعت له * فلست منه على ورد ولا صدر
الامر ما أنت راتيه وعالمه * وقد عتبت ولا عتب على القدر
من يكشف السوء الا أنت بارئنا * ومن يزيل بصفو حالة الكدر

*(ومنهم ابو علي بن خميس وهو منصور بن خميس بن محمد بن ابراهيم اللخمي من أهل المرية سمع من أبي عبد الله البوني وابن صالح وأخذ عنهما القراآت وروى أيضا عن الحافظ القاضي أبي بكر بن العربي وأبوى القاسم بن رضا وابن ورد وأبي محمد الرشاطي وأبي الحجاج القضاعي وأبي محمد عبد الحق بن عطية وأبي عمرو الخضر بن عبد الرحمن وأبي القاسم عبد الحق بن محمد الخزرجي وغيرهم ورحل حاجا فنزل الاسكندرية وسمع منه أبو عبد الله بن عطية الداني سنة ٥٩٦ وحدث عنه بالاجازة أبو العباس العزفي وغيره *(ومنهم منصور بن لب بن عيسى الانصاري من أهل المرية يكنى أبا علي أخذ القراآت ببلده عن ابن خميس المذكور قبله ورحل بعده فنزل الاسكندرية وأجازه أبو الطاهر السلفي في صغره وقد أخذ عنه فيما ذكر بعضهم ومولده سنة ٥٧١ رحمه الله تعالى *(ومنهم مفرج بن حماد بن الحسين بن مفرج المعافري من أهل قرطبة وهو جد ابن مفرج صاحب كتاب الاحتفال بعلم الرجال صحب المذكور محمد ابن وضاح في رحلته الثانية وشاركه في كثير من رجاله وصدر عن المشرق معه فاجتهد

ومن كنايات أبي الحكم المستحسنة قوله

ألم ترني أكابد فيك وجدى * وأحمل منك مالا يستطاع
اذا ما أنجم الجوّ استقلت * ومال الدلو وارتفع الذراع

ومن شعره قوله

محاسن العالم قد جمعت * فى حسنه المستكمل البارع
وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم فى الجامع

*(ومنهم أبو الربيع سليمان بن ابراهيم بن صافى الغرناطى التيسانى وتيسانة من عمل غرناطة الفقيه المالكى ولد سنة ٥٦٤ وقدم القاهرة وناب فى الحسبة وله شعر حسن توفى بالقاهرة سنة ٦٣٤ رحمه الله تعالى *(ومنهم طالوت بن عبد الجبار المعافرى الاندلسى دخل مصر وحج ولقى امامنا مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه وعاد الى قرطبة وكان ممن خرج على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن من أهل ربض شقندة يريد خلعه واقامة أخيه المنذر وزحفوا الى قصره بقرطبة فحاربهم وقتلهم وفرّ من بقى منهم فاستتر الفقيه طالوت عاما عند يهودى ثم ترامى على صديقه أبى البسام الكاتب ليأخذ له امانا من الحكم فوشى به الى الحكم وأحضره اليه فعنفه ووبخه فقال له كيف يحل لى أن أخرج اليك وقد سمعت مالك بن أنس يقول سلطان جائر مدة خير من فتنة ساعة فقال الله تعالى لقد سمعت هذا من مالك فقال طالوت اللهم انى قد سمعته فقال انصرف الى منزلك وأنت آمن ثم سأله أين استتر فقال عند يهودى مدة عام ثم انى قصدت هذا الوزير فغدر بى فغضب الحكم على أبى البسام وعزله عن وزارته وكتب عهدا أن لا يخدمه أبدا فرثى أبو البسام بعد ذلك فى فاقة ونزل فقيل استجيبت فيه دعوة الفقيه طالوت رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو الحسن على بن محمد بن على بن محمد ضياء الدين وتظامه ابن خروف الاديب القيسى القرطبى القيذافى الشاعر قدم الى مصر ثم سار الى حلب ومات بها مترديا فى جب حنطة سنة ٦٠٣ وقيل فى التى بعدها وقيل سنة خمس وستمائة وله شرح كتاب سيبويه وحمله الى صاحب المغرب فأعطاه ألف دينار وله شرح جمل الزجاجى وكتب فى الفرائض وردّ على أبى زيد السهيلى وغير ذلك ومدح الافضل ابن السلطان صلاح الدين ومدح الظاهر بن الناصر أيضا وشعره جيد فمنه قوله فى كاس

أنا جسم للحميا * والحميا الى روح
بين أهل الظرف أغدو * كل يوم وأروح

وقال فى صبى حبس

أقاضى المسلمين حكمت حكما * غدا وجه الزمان به عبوسا
حبست على الدراهم ذا جمال * ولم تسجنه اذ سلب النفوسا

وقال

ما أعجب النيل ما أحلى شمائله * فى ضفتيه من الاشجار أدواح
من جنة الخلد فياض على ترع * تهب فيها هبوب الريح أرواح

ليست زيادته ماء كما زعموا * وانما هي أرزاق وأرباح

والقيذافي بقاف ثم ياء آخر الحروف بعدها ذال معجمة ثم ألف وفاء وله رسالة كتب بها الى بهاء الدين بن شداد بحلب يطلب منه فروة وهي

بهاء الدين والد نيا * ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الانوا * ء من جدوالجلد ابي
وفضلك عالم أني * خروف بارع الادب
حلبت الدهر أشطره * وفي حلب صفا حلبي

ذوالحسب الباهر والنسب الزاهر يسحب ذيول سيرا السراء ويحب النجاة من أجل الفراء ويمن على الخروف النبيه بجلد أبيه فاني الصباغ قريب عهد بالدباغ ماضل طالب قرظه ولا ضاع بل ذاع ثناء صانعه وضاع اذا طهرا هابه يخافه البرد ويهابه أثيث خمائل الصوف يهز أبكل هو جاء صوف ما في اللباس له ضريب اذا نزل الجليد والضريب ولا في الثياب له نظير اذا عرى من ورقه الغصن النضير والمولى يبعثه فرجي النوع أرجي الضوع يكون تارة لحافا وتارة بردا وهو في الحالين يحيي حرا ويميت بردا لا كطيلسان ابن حرب ولا كجلد عمرو المعزق بالضرب ان عزاه السواد الى حام فحام أو نماه البياض الى سام فسام كانه من جلد جمل الحرباء الذي يرعى القمر والنجم لا من جلد السخلة الجرباء التي ترعى الشجر والنجم لا زال مهديه سعيدا ينجز للاخيار وعدا وللاشرار وعيدا بالمنة والطول والقوة والحول *(ومنهم مالك بن مالك من أهل جيان رحل حاجا فأدى الفريضة وسكن حلبا ولقي عبد الكريم بن عمران وأنشد له قوله

يارب خذ بيدي مما دفعت له * فلست منه على ورد ولا صدر
الامر ما أنت راتيه وعالمه * وقد عتبت ولا عتب على القدر
من يكشف السوء الا أنت بارئنا * ومن يزيل بصفو حالة الكدر

*(ومنهم ابو علي بن خميس وهو منصور بن خميس بن محمد بن ابراهيم اللخمي من أهل المرية سمع من أبي عبد الله البوني وابن صالح وأخذ عنهما القراآت وروى أيضا عن الحافظ القاضي أبي بكر بن العربي وأبوي القاسم بن رضا وابن ورد وأبي محمد الرشاطي وأبي الحجاج القضاعي وأبي محمد عبد الحق بن عطية وأبي عمرو الخضر بن عبد الرحمن وأبي القاسم عبد الحق بن محمد الخزرجي وغيرهم ورحل حاجا فنزل الاسكندرية وسمع منه أبو عبد الله بن عطية الداني سنة ٥٩٦ وحدث عنه بالاجازة أبو العباس العزفي وغيره *(ومنهم منصور بن لب بن عيسى الانصاري من أهل المرية يكنى أبا علي أخذ القراآت ببلده عن ابن خميس المذكور قبله ورحل بعده فنزل الاسكندرية وأجازه أبو الطاهر السلفي في صغره وقد أخذ عنه فيما ذكر بعضهم ومولده سنة ٥٧١ رحمه الله تعالى *(ومنهم مفرج بن حماد بن الحسين بن مفرج المعافري من أهل قرطبة وهو جد ابن مفرج صاحب كتاب الاحتفال بعلم الرجال صحب المذكور محمد ابن وضاح في رحلته الثانية وشاركه في كثير من رجاله رصدر من المشرق معه فاجتهد

فى العبادة وانتبذ من الناس ثم كر راجعا الى مكة عند موت ابن وضاح فنزلها واستوطنها الى أن مات فقبره هنالك وقال فى حقه أبو عمر عفيف انه كان من الصالحين رحل فحج وجاور بمكة نحو عشرين سنة الى أن مات بها رحمه الله تعالى * (ومنهم محب بن الحسين من أهل الثغر الشرقى كانت له رحلة حج فيها وسمع بالقيروان من أبى عبد الله بن سفيان الكنانى الهادى فى القراآت من تاليفه وكان رجلا صالحا حدث عنه أبو عبد الله محمد بن عبد الملك التجيبى من شيوخ أبى مروان بن السقل * (ومنهم مساعد بن احمد ابن مساعد الاصبحى من أهل اوريولة يكنى أبا عبد الرحمن ويعرف بابن زعوقة روى عن ابن أبى تليد وابن بجدر والحافظين أبى على الصدفى وأبى بكر بن العربى وكتب اليه أبو بكر ابن غالب بن عطية ورحل حاجا فى سنة أربع وتسعين وأربعمائة فأدى الفريضة سنة خمس بعدها ولقى بمكة أبا عبد الله الطبرى فسمع منه صحيح مسلم مشتركا فى السماع مع أبى محمد بن جعفر الفقيه ولقى ابا محمد بن العرجاء وأبا بكر بن الوليد الطرطوشى وأصحاب الامام أبى حامد الغزالى وأبا عبد الله المازرى وجماعة سواهم ساوى بلقائهم مشيختهم وانصرف الى بلده فسمع منه الناس وأخذوا عنه لعلو روايته وكان من أهل المعرفة والصلاح والورع وممن حدث عنه من الجلة أبو القاسم بن بشكوال وأبو الحجاج الثغرى الغرناطى وأبو محمد عبد المنعم بن الفرس وغيرهم وأغفله ابن بشكوال فلم يذكره فى الصلة مع كونه روى عنه وقال تلميذه أبو الحجاج الثغرى الغرناطى أخبرنى أبو سليمان بن حوط الله وغيره عنه قال أخبرنى الحاج أبو عبد الرحمن بن مساعد رضى الله تعالى عنه انه لقى بالمشرق امرأة تعرف بصباح عند باب الصفا وكان يقرأ عليها بعض التفاسير فجاء بيت شعر شاهد فسألت هل له صاحب فسألوا الشيخ أبا محمد بن العرجاء فقال الشيخ لا أذكر له صاحبا فأنشدت

طلعت شمس من أحبك ليلا * واستضاءت فما لها من مغيب
ان شمس النهار تغرب بالليـ * ـل وشمس القلوب دون غروب

ولد فى صفر سنة ٤٦٨ وتوفى باوريولة سنة ٥٤٥ قاله ابن شعبان * (ومنهم أبو حبيب نصر بن القاسم قال ابن الابار أظنه من اهل غرناطة له رحلة حج فيها وسمع من أبى الطاهر السلفى وحدث عنه عن ابن فتح بسند الجوهرى انتهى * (ومنهم النعمان بن النعمان المعافرى من أهل ميورقة منسوب الى جده رحل حاجا فأدى الفريضة وجاور بمكة ثم قفل الى بلده واعتزل الناس وكان يشار اليه باجابة الدعوة وتوفى سنة ٦١٦ رحمه الله تعالى ونفعنا به * (ومنهم نعم الخلف بن عبد الله بن أبى ثور الحضرمى من أهل طرطوشة أو ناحيتها رحل الى المشرق وأدى الفريضة ولقى بمكة أبا عبد الله الاصبهانى فسمع منه سنة ٤٢٢ حدث عنه ابنه القاسم بن نعم الخلف بيسير * (ومنهم نابت بالنون ابن المفرج بن يوسف الخثعمى أصله من بلنسية وسكن مصر يكنى أبا الزهر قال السلفى قدم مصر بعد خروجى منها وتفقه على مذهب الشافعى وتأدب وقال الشعر الفائق وكتب الى بشئ من شعره ومات فى رجب سنة ٥٤٥ بمصر * (ومنهم ضمام بن عبد الله الاندلسى رحل

الى المشرق ودخل بغداد وهو ممن يروى عن عبد السلام بن مسلم الاندلسى وممن روى عن ضمام أبو الفرج أحمد بن الناسم الخشاب البغدادى من شيوخ الدارقطنى قال ابن الابار هكذا وقع فى نسخة عتيقة من تأليف الدارقطنى فى الرواة عن مالك فى باب مسلمة منه ضمام بالضاد المعجمة وهكذا ثبت فى رواية أبى زكريا بن مالك بن عائذ عن الدارقطنى وقال فيه غيره همام بن عبد الله بالهاء وتشديد الميم وفى حرف الهاء أثبته أبو الوليد بن الفرضى من تاريخه والاول عندى أصح والله تعالى أعلم انتهى *(ومنهم ضرغام بن عروة بن حجاج بن أبى فريعة واسمه زيد مولى عبد الرحمن بن معاوية والداخل معه الى الاندلس من أهل ليلة له رحلة الى المشرق وكان فقيها ذكره الرازى *(ومنهم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبى عامر المعافرى من أهل قرطبة وأصله من الجزيرة الخضراء وهو والد المنصور بن أبى عامر ويكنى أبا حفص سمع الحديث وكتبه عن محمد بن عمر بن لبابة وأحمد بن خالد ومحمد بن فطيس وغيرهم ورحل الى المشرق فأدى الفريضة وكان من أهل الخير والدين والصلاح والزهد والقعود عن السلطان اثنى عليه الراوية أبو محمد الباجى وقال كان لى خير صديق أنتفع به وينتفع بى وأقابل معه كتبه وكتبى ومات منصرفه من حجه ودفن بمدينة طرابلس المغرب وقيل بموضع يقال له رقادة وكان رجلا عالما صالحا وقال بعضهم انه توفى فى آخر خلافة عبد الرحمن الناصر *(ومنهم أبو محمد عبد الله ابن حمود الزبيدى الاشبيلى ابن عم أبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى اللغوى كان من مشاهير أصحاب ابى على البغدادى ورحل الى المشرق فلم يعد الى الاندلس ولازم السيرافى ببغداد الى أن توفى فلازم بعده صاحبه أبا على الفارسى ببغداد والعراق وحيثما جال واتبعه الى فارس وحكى ابو الفتوح الجرجانى أن أبا على البغدادى غلس لصلاة الصبح فى المسجد فقام اليه ابو محمد الزبيدى من مدود كان لدابته خارج الدار قدبات فيه أو ادلج اليه ليكون أول وارد عليه فارتاع منه وقال ويحك من تكون قال أنا عبد الله الاندلسى فقال له الى كم تتبعنى والله انه ليس على وجه الارض انجى منك وكان من كبار النحاة وأهل المعرفة التامة والشعر وجمع شرح الكتاب سيبويه ويقال انه توفى ببغداد سنة ٣٧٣ *(ومنهم عبد الله بن رشيق القرطبى رحل من الاندلس فأوطن القيروان واختص بأبى عمران الفاسى وتفقه به وكان أديبا شاعرا عفيفا خيرا وفى شيخه أبى عمران أكثر شعره ورحل حاجا فأدى الفريضة وتوفى فى انصرافه بمصر سنة ٤١٩ وأنشد له ابن رشيق فى الانموذج قوله رحمه الله تعالى

خير أعمالك الرضا * بالمقادير والقضا
بينما المرء ناضر * قيل قد مات وانقضى

وقوله

سأقطع حبلى من حبالك جاهدا * وأهجر هجرا لا يجد له عرضا
وقد يعرض الانسان عمن يوده * ويلقى بشرا من يسره له البغضا

قال فى الانموذج وأراد الحج فناله وجع فمات بمصر بعد اشتهاره فيها بالعلم والجلالة وقد بلغ

عمره نحو الاربعين سنة رحمه الله تعالى وهو مخالف لما تقدم من أنه أدى الفريضة وقد ذكر ابن الابار العبارتين والله تعالى أعلم *(ومنهم أبو بكر اليابرى ويكنى أيضا أبا محمد وهو عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله أصله من يابرة ونزل هو اشبيلية وروى عن أبى الوليد الباجى وعن جماعة بغرب الاندلس منهم أبو بكر بن أيوب وأبو الحزم بن عليم وأبو عبد الله بن مزاحم البطليوسيون وغيرهم وكان ذا معرفة بالنحو والاصول والفقه وحفظ التفسير والقيام عليه وعلق به مدة باشبيلية وغيرها وهو كان الغالب عليه مع القصص فيسرد منه جملا على العامة وكان متكلما وله رد على أبى محمد بن حزم وكان أحد الائمة بجامع العديس ورحل الى المشرق فروى عن أبى بكر محمد بن زيدون بن على كتابه المؤلف فى الحديث المعروف بالزيدونى وألف كتابا فى شرح صدر رسالة ابن أبى زيد وبين مافيها من العقائد وله مجموعة فى الاصول والفقه منها كتاب سماه المدخل الى كتاب آخر سماه سيف الاسلام على مذهب مالك الامام ألفه للامير على بن تميم بن المعز الصنهاجى صاحب المهدية وذكر فى فصل الحج منه انه رحل الى المهدية سنة ٥١٥ واستوطن مصر مدة ثم رحل الى مكة وبها توفى رحمه الله تعالى روى عنه أبو المظفر الشيبانى وأبو محمد العثمانى وأبو الحجاج يوسف بن محمد القيروانى وأبو عمرو عثمان بن فرج العبدوى وأبو محمد بن صدقة المنكبى وأبو عبد الله بن يعيش البلنسى وغيرهم وكان سماع أبى الحجاج منه موطأ مالك سنة ٥١٦ رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن مرزوق اليحصبى الاندلسى رحل حاجا فسمع منه بالاسكندرية أبو الطاهر السلفى كتاب طبقات الامم لابى القاسم صاعد بن أحمد الطليطلى وحدث به عنه عن ابن برال عن صاعد *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الصريحى المرسى ويعرف بابن مطمحنة روى عن أبى بكر بن الفرضى النحوى وتأدب به ورحل الى المشرق ولقى أبا محمد العثمانى وغيره وحج وقعد لتعليم الآداب وممن أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن عبد السلام وأبو عبد الله المكناسى وغيرهما وأنشد رحمه الله تعالى قال أنشدنى أبو محمد عبد الله بن البياسى بالاسكندرية لنفسه

يمد الدهر من أجلى وعمرى * كما انى أمد من المداد
لنا خطان مختلفان جدا * كما اختلف الموالى والمعادى
فاكتب بالسواد على بياض * ويكتب بالبياض على السواد

وهذا نظير قول الآخر

ولى خط وللايام خط * وبينهما مخالفة المداد
فاكتبه سوادا فى بياض * وتكتبه بياضا فى سواد

وبعضهم ينسب الابيات الثلاثة السابقة للسلفى الحافظ فالله تعالى أعلم *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن عيسى الشلبى سمع من الصدفى وغيره وكان من أهل الحفظ للحديث ورجاله والعلم بالاصول والفروع ومسائل الخلاف وعلم العربية والهيئة مع الخير والدين والزهد وامتحن بالامراء فى قضاء بلده بعد أن تقلده نحو تسعة أعوام لاقامته الحق واظهاره العدل حتى أدى ذلك الى اعتقاله بقصر اشبيلية ثم سرح فرحل حاجا الى المشرق ودخل المهدية

قوله ابن احمد فى نسخة ابن محمد اه

فلقي بها المازري وأقام في صحبته نحو ثلاث سنين ثم انتقل الى مصر وحج سنة ٥٢٧ وأقام بمكة مجاورا وحج ثانية سنة ٥٢٨ ولقي بمكة أبا بكر عتيق بن عبد الرحمن الاوريولي في هذه السنة فحمل عنه ودخل العراق وخراسان وأقام بها أعواما وطار ذكره في هذه البلاد وعظم شأنه في العلم والدين وكان من بيت شرف وجاه في بلده عريض مع سعة الحال والمال وتوفي بهراة سنة ٥٥١ وقيل ان وفاته سنة ٥٤٨ وذكره العماد في الخريدة والسمعاني في الذيل وأنشد له

تلوّنت الايام لي بصروفها * فكنت على لون من الصبر واحد
فان أقبلت أدبرت عنها وان نأت * فأهون بفقود لا كرم فاقد

وولد سنة ٤٨٤ بشلب رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن موسى الازدي المرسي ويعرف بابن برطلة سمع من صهره القاضي الشهيد أبي علي الصدفي ورحل حاجا سنة ٥١٠ فأدى الفريضة وسمع من الطرطوشي والانماطي والسلفي وغيرهم وانصرف الى مرسية بلده وكان حسن السمت خاشعا مخبتا خيرا متواضعا نبيها نزها سالم الباطن وحكى عن شيخه أبي عبد الله الرازي عن أبيه انه أخبره أن قاضي البراس وكان رجلا صالحا خرج ذات ليلة الى النيل فتوضأ وأسبغ وضوءه ثم قام فقرن قدميه وصلى ما شاء الله تعالى أن يصلي فسمع قائلا يقول

لولا أناس لهم سرد يصومونا * وآخرون لهم ورد يقومونا
لزلزلت أرضكم من تحتكم سحرا * لانكم قوم سوء لا تبالونا

قال فتجوزت في صلاتي وأدرت طرفي فما رأيت شخصا ولا سمعت حسا فعلمت أن ذلك زاجر من الله تعالى وقال ابن برطلة رحمه الله تعالى أنشدني أبو عامر قال دخلت بعض مراسي الثغر فوجدت في حجر منقوش هذه الابيات

نزلت ولي أمل عودة * ولكنني لست أدري متى
ودافعني قدر لم أطق * دفاعا لمكروهه اذ أتى
ومن أمره في يدي غيره * سيغلب ان لان أو ان عتا
فما نازلا بعدنا ههنا * نجيبك ان كنت نعم الفتى

فسألت عن منشدها فقيل لي هو أبو بكر بن أبي درهم الوشقي وكان قد حج وأراد العودة فقال هذه الابيات ورواها بعضهم رحلت مكان نزلت وهو أصوب وأبدل قوله يا نازلا بياسا كذا والخطب سهل فيه وبعض يقول ان الابيات وجدت بجامع مصر والله تعالى أعلم *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن خلف بن سعادة الدالي الاصبحي لازم ابن سعد الخير واحتذى أول أمره مثال خطه فقاربه وسمع منه ثم رحل الى المشرق فسمع بالاسكندرية من أبي الطاهر بن عوف والسلفي وغيرهما قال التجيبي كان معنا بالاسكندرية بالعادلية منها وبقراءته سمعنا صحيح البخاري على السلفي سنة ٥٦٣ قال وأنشدنا الشيخ الاستاذ أبي الحسن علي بن ابراهيم بن سعد الخير البلنسي

يا لاحظا تمثال نعل نبيه * قبل مثال النعل لا متكبرا

قوله سنة ٥٦٣ في نسخة سنة ٥٧٣ اه

والثم له فلطالما عكفت به * قدم النبي مرة وحاورا بكرا
أولا ترى أن المحب مقبل * طلالا وان لم يلف فيه مخبرا

وقد سبق ابن سعادة أبو عبد الله وهو غير هذا والله تعالى أعلم *(ومنهم أبو محمد عبد الله ابن يوسف القضاعي المري سمع من أبي جعفر بن غزلون صاحب الباجي وغيره واحد ورحل الى المشرق فسمع بالاسكندرية من السلفي والرازي وتجول هنالك وأخذ عنه أبو الحسن بن المفضل المقدسي وغيره واحد وقال ابن المفضل أنشدني المذكور قال أنشدني أبو محمد بن صاره

قوله غزلون في نسخة غزيون اه

وكوكب أبصر العفريت مسترقا * للسمع فانقض يدني خلفه لهبه
فارس حل اعصار عمامته * فجزها كلها من خلفه عذبه

*(ومنهم شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن مهاجر الوادي آشي الحنفي سكن طرابلس الشام ثم انتقل الى حلب وأقام بها وصار من العدول المبرزين في العدالة بحلب يعرف النحو والعروض ويشتغل فيهما وله انتماء الى قاضي القضاة الناصر بن العديم قال الصفدي رأيته بحلب أيام مقامي بها سنة ٧٢٣ فرأيته حسن التودد وأنشدني لنفسه من لفظه

مالاح في درع يصول بسيفه * والوجه منه يضيء تحت المغفر
الا حسبت البحر مذ يجدول * والشمس تحت سحائب من عنبر

قال الصفدي جمع هذا المقطوع بين قول ابن عباد

ولما اقتحمت الوغى دارعا * وقنعت وجهك بالمغفر
حسبنا محيا الشمس الضحى * عليها سحاب من العنبر

وبين قول أبي بكر الرصافي

لو كنت شاهده وقد غشي الوغى * يختال في درع الحديد المسبل
لرأيت منه والقضيب بكفه * بحرا يريق دم الكماة بجدول

وقال يمدح الشيخ كمال الدين محمد بن الزملكاني وقد توجه الى حلب قاضي القضاة

يمن ترنم فوق الايك طائره * وطائر همت الدنيا بشائره
وسودد أصبح الاقبال ممتثلا * في أمره ما أخوه العز آمره

ومنها

من مخبر عني الشهباء أن كما * ل الدين قد شيدت فيه مقاصره
وان تقلده الزاهي وخلعته التي تطـ * ـرز عطفيها مآثره
بالنفس أفديك من تقليد مجتهد * سواه يوجد في الدنيا مناظره
أنشدت حين أدار البشر كاس طلى * حكت أوائله صفوا أواخره
وقد بدت في بياض الطرس أسطره * سود التبدي ما أهدت محابره
ساق تكون من صبح ومن غسق * فابيض خداه واسودت غدائره
وخلعة قلت اذ لاحت لتزرينا * بالروض تطفو على نهر أزاهره

وقد رآها عدو وكان يضمر لى * من قبل سوء اخفاته ضمائره
ورام صبرا فاعيته مطالبه * وغيض الدمع فانهلت بوادره
بعودة الدولة الغراء ثالثة * أمنت منك ونام الليل ساهره

وقال أيضا

تسعر فى الوغى نيران حرب * بأيديهم مهندة ذكور
ومن عجب لظى قد سعرتها * جداول قد أقلتها بدور

وقال ملغزا فى قالب لبن

ما آكل فى غبن * يغوط من مخرجين
مغرى بقبض وبسط * وماله من يدين
ويقطع الارض سعيا * من غير ما قدمين

وخمس لامية العجم مدحا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصفدى ولما كنت فى حلب كتب الى أبياتا انتهى *(ومنهم أبو جعفر أحمد بن صابر القيسى قال أبو حيان كان المذكور رفيقا للاستاذ أبى جعفر بن الزبير شيخنا وكان كاتبا مترسلا شاعرا حسن الخط على مذهب أهل الظاهر وكان كاتبا للامير أبى سعيد فرج ابن السلطان الغالب بالله بن الاحمر ملك الاندلس وسبب خروجه من الاندلس انه كان يرفع يديه فى الصلاة على ما صح فى الحديث فبلغ ذلك السلطان أبا عبد الله فتوعده بقطع يديه فضج من ذلك وقال ان اقليما تمات فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يتوعد بقطع اليد من يقيمها لجدير أن يرحل منه فخرج وقدم ديار مصر وسمع بها الحديث وكان فاضلا نبيلا ومن شعره

أتنكر أن بيض راسى لحادث * من الدهر لا يقوى له الجبل الراسى
وكان شعارا فى الهوى قد لبسته * فرأسى أمحى وقلبى عباسى

قلت لو قال شيبى لكان الغاية وأنشد له بعضهم

فلا تعجبا ممن عوى خلف ذى علا * لكل على فى الانام معاويه

قلت لا يخفى ما فيه من عدم سلوك الادب مع الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين ويرحم الله بعض الاندلسيين حيث قال فى رجز كبير

ومن يكن يقدح فى معاويه * فذاك كلب من كلاب عاويه

وأنشد أبو حيان للمذكور

أرى الدهر سادبه الارذلو * ن كالسيل يطفو عليه الغثا
ومات الكرام وفات المديح * فلم يبق للقول الا الرثا

وأنشد له أيضا

لولا ثلاث هن والله من * أكبر آمالى فى الدنيا
حج لبيت الله أرجو به * أن يقبل النية والسعيا
والعلم تحصيلا ونشرا اذا * رويت أوسعت الورى ريا

وأهل ود أسال الله ان * يمتع بالبقيا الى اللقيا
ما كنت أخشى الموت أنى أتى * بل لم أكن ألتذ بالحيا

وقال أبو حيان فى هذه المادة

أما انه لولا ثلاث أحبها * تمنيت انى لا أعد من الاحيا
فمنها رجائى أن أفوز بتوبة * تكفر لى ذنبا وتنجح لى سعيا
ومنهن صونى النفس عن كل جاهل * لئيم فلا أمشى الى بابه مشيا
ومنهن أخذى بالحديث اذا الورى * نسوا سنة المختار واتبعوا الرأيا
أترك نصا للرسول وتقتدى * بشخص اتى بدلت بالرشد الغيا انتهى

*(ومنهم الاستاذ أبو القاسم ابن الامام الفاضى أبى الوليد الباجى سكن سرقسطة وغيرها وروى عن أبيه معظم علمه وخلفه بعد وفاته فى حلقته وغلب عليه علم الاصول والنظر وله تآليف تدل على حذقه منها العقيدة فى المذاهب السديدة ورسالة الاستعداد للخلاص من المعاد وكان غاية فى الورع توفى بجدة بعد منصرفه من الحج سنة ٤٩٣ رحمه الله تعالى *(ومنهم الامام الفاضل الاديب أبو اسحق ابراهيم بن محمد الساحلى الغرناطى قال العزبن جماعة قدم علينا من المغرب سنة ٧٢٤ ثم رجع الى المغرب فى هذه السنة وبلغنا انه توفى بمراكش سنة نيف وأربعين وسبعمائة وأنشدوالدى قصيدة من نظمه امتدحه بها وأنا أسمع ومن خطه نقلت وهى

قفا مورد اعيناجرت بعدكم دما * أناضى أسفا رطوين على ظما
غدون أهلات تناقل أنجما * ورحن حنيات تفوق أسهما
يجشمها الحادى الامرين حسرا * ويوطئها الحادى الاخيرين هيما
على منسمها للشقائق منبت * وفى فوحها للشقاشق مرتما

الى أن قال

وتعسا لآمال جهام سحابها * تزجى ركاما ثم استهل ولاهمى
تجاذبها نفس تجيش نفيسة * ومن لم يجد الاصعيد اتيمما
فهل ذم يرعاه ليل طويته * طوانى سرابين جنبيه منهما
أقبل منه للبروق مباسما * وأرشف من بهماء ظلمانه لمى
الى أن تجلى من كثافة بدرها * فعرس ركبى فى حماه وخيما
شمال اليتامى حيث ليس مضلل * وكهف الايامى أيماء عزمرتما

ومنها

فيا كفه أأنت أم غيث ديمة * أسالت عبابا فى ثرى الجود عيلما
ويا سعيه يهنيك اجر ثنى به * على معطفى علياء برد امسهما
قضى بمنى أوطار نفس كريمة * ورتوى صداها حين حل بزمزما
وناداه داعى الحق حى على الهدى * فأسرج طوعا فى رضاه وألجما
فلله ما أهدى وارشد واهتدى * ولله ما أعطى وأوفى وأنعما

ومنها

أمت بآداب وعلم كليهما * اقاما لديك الدعى فرضا وألزما

وهى طويلة * (ومن الراحلين من الاندلس) الوليد بن هشام من ولد المغيرة بن عبد الرحمن الداخل فيما حكى بعض المؤرخين خرج من الاندلس على طريقة الفقر والتجرد ووصل برقة بركوة لا يملك سواها فعرف بابى ركوة وأظهر الزهد والعبادة واشتغل بتعليم الصبيان وتلقينهم القرآن وتغيير المنكر حتى خدع البربر بقوله وفعله وزعم أن مسلمة بن عبد الملك بشر بخلافته بما كان عنده من علم الحدثان وكان يقال عن مسلمة انه أخذ علم الحدثان عن خالد بن يزيد بن معاوية وأخرج لهم أرجوزة أسندها الى مسلمة ومنها فى وصفه واين هشام قائم فى برقة به ينال عبد شمس حقه يكون فى بربرها قيامه وقرة العرب لها اكرامه واتفق أن قرة انحرفوا عن الحاكم فمالوا اليه وحصروا معه مدينة برقة حتى فتحوها وخطبوا له فيها بالخلافة وكان قيامه فى رجب سنة ٣٩٧ فهزم عسكر باديس الصنهاجى صاحب افريقية وعسكر الحاكم بمصر وأحيا أمره وخاطبه بطانة الحاكم لكثرة خوفهم من سفك الحاكم الدماء ورغبوه فى الوصول الى أوسيم وهو مكان بالجيزة قبالة القاهرة فلما وصل اليها قام بمحاربته الفضل بن صالح القيام المشهور الى أن هزم أبا ركوة ثم جاء به الى القاهرة فأمر الحاكم أن يطاف به على جمل ثم قتل صبرا ١٣ رجب سنة ٣٩٩ ولما حصل فى يد الحاكم كتب اليه

فررت ولم يغن الفرار ومن يكن * مع الله لم يعجزه فى الارض هارب
ووالله ما كان الفرار لحاجة * سوى فزعى الموت الذى أنا شارب
وقد قادنى جرمى اليك برمتى * كما اجتر مينا فى رحى الحرب ساليب
وأجمع كل الناس أنك قاتلى * فيارب ظن ربه فيه كاذب
وما هو الا الانتقام وينتهى * وأخذك منه واجبا وهو واجب

ولابى ركوة المذكور أشعار كثيرة منها قوله

بالسيف يقرب كل أمر ينزح * فاطلب به ان كنت ممن يفلح

وله

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

وقوله

ان لم أجلها فى ديار العدا * تملأ وعر الارض والسهلا
فلا سمعت الحمد من قاصد * يوما ولا قلت له أهلا

وله غير ذلك مما يطول وخبره مشهور * (ومنهم أبو زكريا الطليطلى يحيى بن سليمان قدم الى الاسكندرية ثم رحل الى الشام واستوطن حلب وله ديوان شعر أكثر فيه من المديح والهجاء قال بعض من طالعه ما رأيته مدح أحدا الا وهجاه وله مصنفات فى الادب ومن نظمه قوله

أرض سقت غيطانها أعطانها • وزهت على كثبانها اقضبانها

ومنها

فتشكت بالباب الكماة فسيفها • من طرفها وسنانها وسنانها
لم يبق شخص بالبسيطة سالما • الا سبى انسانه انسانها

ومنها

وتصاحبت وتجاوبت أطيارها • وتداولت وتناولت ألحانها
وشمت وتبسمت أيامها • وتهللت وتكللت أزمانها
بمديرها ومنيرها ونميرها • ومعيرها حسنا جلاء عيانها

قوله ابن محمد فى نسخة ابن يحيى اه

• (ومنهم أبو بكر يحيى بن عبد الله بن محمد القرطبى المعروف بالمقيلى سمع من محمد بن عبد الملك بن أيمن وقاسم بن اصبغ وغيرهما ورحل فسمع من أبى سعيد بن الاعرابى وكان بصيرا بالعربية والشعر ومؤلفا جيد النظر حسن الاستنباط حدث وتوفى فجأة فى شهر ربيع الاول سنة ٣٦٢ قاله ابن الفرضى • (ومنهم الامام المحدث أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن يحيى بن سلة الانصارى الغرناطى قدم المشرق وتوفى بمصر سنة ٧٠٣ عن نحو خمسين سنة بالبيمارستان المنصورى قال قاضى القضاة عبد العزيز بن جماعة الكنانى فى كتابه نزهة الالباب أنشدنا المذكور لنفسه بالقاهرة بعد قدومه من مكة والمدينة وقد رام أن يعود اليهما فلم يتيسر له

قوله ابن على بن محمد بن يحيى فى نسخة ابن على بن يحيى وكذلك قوله ابن سلة فى نسخة ابن مسلة اه

لئن بعدت عنى ديار الذى أهوى • فقلبى على طول التباعد لا يقوى
فحدث رعاك الله عن عرب رامة • فانى لهم عبد على السر والنجوى
فان مت شوقا فى الهوى وصبابة • فيا بشرى ان مت فى حب من أهوى
فيا أيها العذال كفوا ملامكم • فما عندكم بعض الذى بى من الشكوى
ويا جيرة الحى الذى ولهى بهم • أما ترحموا صبا يحن الى حزوى
ويا أهل ذيال الحمى وحياتكم • يمين وفى صادق القول والدعوى
ملكتم فؤادى فارحموا وترفقوا • فأنتم مرادى لا سعاد ولا علوى
فما لى سواكم سادتى لا عدمتكم • وجودوا بوصل أنتم الغاية القصوى انتهى

• (ومنهم الفاضل الاديب أبو عبد الله محمد بن على بن يحيى بن على الغرناطى قال ابن جماعة فى الكتاب المسمى قريبا أنشدنى المذكور لنفسه على قبر سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه

يا سيد الشهداء بعد محمد • ورضيع ذى المجد المرفع أحمد
يا ابن الاعزة من خلاصة هاشم • سرج المعالى والكرام المجد
يا أيها البطل الشجاع المحتمى • دين الاله ببأسه المستأسد
يا تبعة الشرف الاصيل المعتلى • يا ذروة الحسب الاثيل الاتلد
يا نجدة الملهوف فى غمر الوغى • عند التهاب جحيمها المتوقد

يا غيث ذى الامل البعيد مرامه * يا غوث موتور الزمان الانكد
يا من لعظم مصابه خص الاسى * قلب الرسول وعم كل موحد
يا حرزة الخير المؤمل نفعه * يوم الهياج وعند فقد المعتمد
وافاك يا أسد الاله وسيفه * وفد أموا من حالك بمعهد
جئناك يا عم الرسول وصنوه * قصد الزيارة فاحتفل بالقصد
واسأل الهك فى اغتفار ذنوبنا * شيم المزور قيامه بالعوّد
لذنا بجانبك الكريم توسلا * وكذا العبيد ملاذهم بالسيد
فاشفع لضيفك فالكريم مشفع * عند الكريم ومن يشفع يقصد
يا ابن الكرام المكرمين نزيلهم * أهل المكارم والعلا والسودد
نزل الضيوف جناب ساحتك التى * منها يؤمل كل عطف مسعد
فاجعل أبا يعلى قرانا عطفة * وارغب لربك فى هدانا واقصد
فعسى يمن على الجميع بتوبة * يهدى بها نهج الطريق الارشد
فقد اعتمدنا منك خير وسيلة * نرجو بها حسن التجاوز فى غد
لم لا نؤم وأنت عم محمد * ولدينه قد صلت صولة أيد
ومحبته ونصرته وعضدته * وذببت عنه باللسان وباليد
وبذلت نفسك فى رضاه بصولة * فقتلت فى ذات الاله الاوحد
فجزاك عنا الله خير جزائه * وسقاك الحيا الغمام المرعد
وعلى رسول الله منه سلامه * وعليك متصل الرضا المتجدد

ولد ببعض أعمال غرناطة قبل التسعين وستمائة وتوفى بالمدينة الشريفة طابة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام سنة ٧١٥ ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى انتهى *(ومنهم الشيخ نور الدين أبو الحسن المارقى من أقارب بعض ملوك المغرب وكان من الفضلاء العلماء الادباء وله مشاركة جيدة فى العلوم ونظم حسن ومنه قوله

القضب راقصة والطير صادحة * والنشر مرتفع والماء منحدر
وقد تجلت من اللذات أوجهها * لكنها بظلال الدوح تستتر
فكل وادٍ به موسى يفجره * وكل روض على حافاته الخضر

وقوله

وذى هيف راق العيون انثناؤه * بقد كريان من البان مورق
كتبت اليه هل تجود بزورة * فوقع لا خوف الرقيب المصدق
فأيقنت من لا بالعناق تفاؤلا * كما اعتنقت لام لم تتفرق

وهذا أحسن من قول ذى القرنين بن حمدان

انى لاحسد لا فى أحرف الصحف * اذا رأيت اعتناق اللام والالف
وما أظنهما طال اعتناقهما * الا لما لقيا من لوعة الاسف

وأحسن من هذا قول القيسرانى

أستشعر الياس من لا تم يطمعني * اشارة فى اعتناق اللام والالف

وكانت وفاة أبى الحسن المذكور فى ربيع الاول سنة ٦٥٥ ودفن بقناسيرين رحمه الله تعالى والابيات التى أولها القضب راقصة الى آخره نسبها اليونينى وغيره واحد والصواب انها ليست له وانما هى لنور الدين بن سعيد صاحب المغرب وقد تقدم ذكره ولعل السهوسرى من تشارك الاسم واللقب والقطر ومثل هذا كثيرا ما يقع والله تعالى أعلم * (ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق) ابن عتبة الاشبيلى وكان فارق اشبيلية حين تولاها ابن هود واضطرمت بفتنته الاندلس نارا ولما قدم مصر هاربا من تلك الاهوال تغيرت عليه البلاد وتبددت به الاحوال فلما سئل عن حاله بعد بعده عن أرضه وترحاله بادر وأنشد

أصبحت فى مصر مستضاما * أرقص فى دولة القرود
واضيعة العمر فى أخير * مع النصارى أو اليهود
بالجد رزق الانام فيهم * لا بذوات ولا جدود
لا تبصر الدهر من يراعى * معنى قصيد ولا قصود
أودى من أوطانهم رجوعا * للغرب فى دولة ابن هود

وتذكرت بقوله ارقص فى دولة القرود ما وقع لابى القاسم بن القطان وهو مما يستطرف ويستظرف وذلك أنه لما ولى الوزارة الزينبى دخل عليه أبو القاسم المذكور والمجلس حافل بالرؤساء والاعيان فوقف بين يديه ودعا له واظهر الفرح والسرور ورقص فقال الوزير لبعض من يفضى اليه بسره قبح الله هذا الشيخ فانه يشير برقصه الى قول الشاعر

وارقص للقرد فى دولته * (ومن المرتحلين) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على الهراوى من أهل المرية ويعرف بشمس الدين بن جابر الضرير وله ترجمة فى الاحاطة ذكرناها مع زيادة عليها عند تعرضنا لاولاد لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى ورحل الى المشرق ودخل مصر والشام واستوطن حلبا وهو صاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان سكن حلبا وله أمداح نبوية كثيرة وتآليف منها شرح ألفية ابن مالك وغير ذلك وله ديوان شعر وأمداح نبوية فى غاية الاجادة ومن نظمه رحمه الله تعالى مورّيا بأسماء الكتب

عرائس مدحى كم أبين لغيره * فلما رأته قلن هذا من الاكفا
نوادر آدابى ذخيرة ماجد * شمائل كم فيهن من نكت تلتقى
مطالعها هن المشارق للعلا * قلائد قد راقت جواهرها رصفا
رسالة مدحى فيك واضحة ولى * مسالك تهذيب لتنبيه من أغفى
فيا منتهى سؤلى ومحصول غايتى * لانت امرؤ من حاصل المجد مستصفى

وقد اشتملت هذه الابيات الخمسة على التورية بعشرين كتابا وهى العرائس للثعالبى والنوادر للقالى وغيره والذخيرة لابن بسام وغيره والشمائل للترمذى والنكت لعبد الحق الصقلى وغيره والمطالع لابن قرقول وغيره والمشارق للقاضى عياض وغيره

والقلائد لابن خاقان وغيره ورصف المباني في حروف المعاني للاستاذ ابن عبد النور وهو كتاب لم يصنف في فنه مثله والرسالة لابن أبي زيد وغيره والواضحة لابن حبيب والمسالك للبكري وغيره والجواهر لابن شاس وغيره والتهذيب في اختصار المدونة وغيره والتنبيه لابي اسحق وغيره ومنتهى السؤل لابن الحاجب والمحصول للامام الرازي والغاية للنووي وغيره والحاصل مختصر المحصول والمستصفى للغزالي وما أحسن قول الحكيم موفق الدين

لله أيامنا والشمل منتظم * نظامه خاطر التفريق ما شعرا
والهف نفسي على عيش ظفرت به * قطعت مجموعه المختار مختصرا

وهذه ثلاث كتب مشهورة المختار والمجموع والمختصر وأحسن منه قول الآخر

عن حالتي يا نور عيني لا تسل * ترك الجواب جواب تلك المسئله
حالي اذا حدثت لا معاولا * جلا لا يضاحي بها من تكمله
عندي جوى يذر الفصيح مبلدا * فاترك مفصله ودونك مجمله
القلب ليس من الصحاح فسير * نجي اصلاحه والعين سهب منثله

وقد أوردنا في ترجمة أبي عبد الله بن جزي الكاتب الاندلسي جملة مستكثرة في التورية بأسماء الكتب فلتراجع ثمة *(رجع) الى الشمس بن جابر فنقول ومن نظمه رحمه الله تعالى تضمينه للابيات المشهورة

لم يبق في اصطبار
مذ خلفوني وساروا
وللحبيب أشاروا
جار الكرام فجاروا
لله ذاك الاوار
يا نوافح الدار دار
يا بدر اهلك جاروا * وعلوك التجرى
كانوا من الود أهلي
ما عاملوني بعدل
أصموا فؤادي بنبل
يا بين بينت ثكلي
يا روح قلبي قلي
أهم دعوك لقتلي
وحرموا لك وصلي * وحللوا لك هجري
حسبي وماذا عناد
هم المنى والمراد
وان عن الحق حادوا

أوجاملونى وجادوا
يامن به الكل سادوا
والكل عندى سداد
فليفعلوا ماأرادوا * فانهم أهل بدر

وتذكرت بهذا قول أبى البركات أيمن بن محمد السعدى رحمه الله تعالى

للعاشقين انكسار * وذلة وافتقار
وللملاح افتخار * وعزة واقتدار
وأهل بدرى أثاروا * ووقعونى وساروا
يابدر الخ

كتبت والوجد يملى * جدّ الهوى بعد هزل
وحار ذهنى وعقلى * مابين بدرى وأهلى
يابدر فاحكم بعدل * اذا اتولّه بعذل
وحزموا الخ

لولا هواك المراد * ماكنت ممن يصاد
ولا شجانى البعاد * يابدر اهلك جادوا
غلطت جاروا وزادوا * لكنهم بك سادوا
فليفعلوا الخ انتهى

(رجع) الى ابن جابر فنقول توفى رحمه الله تعالى فى البيرة فى جمادى الآخرة سنة ٧٨٠ ومن نظمه قوله

ياأهل طيبة فى مغناكم قمر * يهدى الى كل محمود من الطرق
كالغيث فى كرم والليث فى حرم * والبدر فى أفق والزهر فى خلق

وقوله

أمّا معانى المعانى فهى قد جمعت * فى ذاته فبدت نارا على علم
كالبدر فى شيم والبحر فى ديم * والزهر فى نعم والدهر فى نقم

وقال

ولما وقفنا كى نودّع من نأى * ولم يبق الا أن تحث الركائب
بكينا وحق للمحب اذا بكى * عشية سارت عن حماه الحبائب

وقال

ضحكت فقلت كان جيدك قد غدا * يهدى لثغرك من جواهر عقده
وكان ورد الخدّ منك بمائه * قد شاب عذب لمالك حالة وردّه

وقال

منعتنا قرى الجمال وقالت * ليس فى غير زادنا من مجال

فأقمنا على الرحال وقلنا * مالنا حاجة بحط الرحال

وقال

عذب قلبي رشا ناعم * أسهر طرفي طرفه الناعس
يحرس باللحظ جنى خده * ياليته لو غفل الحارس

وقال

وافيت ربعهم وقد بعد المدى * ونأى الفريق من الديار وسارا
ما كدت أعرف بعد طول تأمل * دارا بها طاف السرور ودارا

وله

ولست أرى الرجال سوى اناس * همومهم موافاة الرجال
أطالوا في الندى اهلال مال * فعاشوا في الانام ذوي كمال

وقال

أيها المتهمون نفسي فداكم * أتجدوني على الوصول لنجد
وقفوا بي على منازل ليلى * فوجودي هنالك يذهب وجدي

وما كتبه على كتاب نسيم الصبا لابن حبيب وصورته لما وقفت على الفصول الموسومة بنسيم الصبا المرسومة في صفحات الحسن فاذا أبصرها اللبيب صبا التعس بها الخاطر انتعاش النبت بالغمام وهملت سحائب بيانها فأثمرت حدائق الكلام وأخرجت أرض القرائح ما فيها من النبات وسمعت الآذان ضجة الاذهان بهذه الابيات

هذي فصول الربيع في الزمن * كم حسن أسندت الى حسن
رقت وراقت فمن شمائلها * بمثل صرف الشمول تتحفني
كم ملح قد حوت وكم لمح * يعجبني لفظها ويعجزني
كم فيه من نفث ومن نكت * أشهدني حسنها فأدهشني
جمع عدمناله النظير فلا * يصرف عن خاطر ولا أذن
يا حبر أهل العلا وبحرهم * أي بديع الكلام لم ترني
بدرك في مطلع الفضائل لا * يكون مثل له ولم يكن
هذي الفصول التي أتيت بها * قد ألجمت كل ناطق لسن
كم فن معنى بها يذكرني * شجوي لشدو الحمام في فنن
فن نسيب مع النسيم جرى * لطفا فأزرى بالجوهر الثمن
وحسن سجع كالزهر في أفق * والزهر في ناعم من الغصن
له معان أعيت مداركها * كل معان بنيلهن عنى
لازال راق للمجد راقمها * ذا سنن حاز أحسن السنن

فصول هي للحسن أصول وشمول لها على كل القلوب شمول ليس لقدامة على التقدم اليها حصول ولا لسحبان لان يسحب ذيلها وصول ولا انتهى قس الايادي الى هذه

الايادى ولاظفر بديع الزمان بهذه البدائع الحسان لقد قصر فيها حبيب عن ابنه وحار بين لطافة فضله وفضل ذهنه نزهت فى طرف خمائلها ونبهت بلطف شمائلها تالله انها السحر حلال وخلال ماءثلها خلال كلام كله كمال ومجال لايرى فيه الاجمال راقم بردها وناظم عقدها فى كل فصل جاء بكمال فصل وفى كل معنى عمر بالبراعة مغنى أعرب فأغرب وأوجز فأعجز وأطال فأطاب وأجاد حين أجاب فما أنفس فرائده وأنفع فوائده وأفصح مقاله وأفسح مجاله وأطوع للنظم طباعه وأطول فى النثر باعه أزاهر نبتت فى كتاب وجواهر تكونت من ألفاظ عذاب ومواهب لاتدرك بيد اكتساب سبحان من يرزق من يشاء بغير حساب فصول أحلى فى الافواه من الشهد وأشهى الى النواظر من النوم بعد السهد سبك أديبها فى قالب النكت الحسان وذهب بمحامد عبد الحميد ومحاسن حسان فما أحقها أن تسمى فصول الربيع وأصول البديع لازال حسنها يملأ الاوراق بمارق ويزين الآفاق بما فاق ولابرحت حدائق براعته نزهة للاحداق وحقائق بلاغته فى جيد الاجادة بمنزلة الاطواق بمن الله تعالى وكرمه انتهى * وحيث جرى ذكر نسيم الصبا فلا باس أن نذكر تقاريظ العلماء له * فمن ذلك قول القاضى شرف الدين بن ريان وقفت على هذا الكتاب الذى أبدع فيه مؤلفه ونظم فيه الجواهر النفيسة وصنفه وأينعت حدائق أدبه فدنا ثمرها لمن يقطفه وعرفت مقدار ما فيه من الانشاء وأين من يعرفه فوجدته ألطف من اسمه وأحسن من الدرر فى نظمه وأطيب من الورد عند شمه هبت على رياض فصوله نسيم صباها ففاقت الازهار فى رباها وتشوقت قلوب الادباء الى انتشاق شذاها وطيب رياها وفاضت عليه أنوار البدر فأغنى سناها عن الشمس وضحاها وتحلت نحور البلغاء من كلامه بالدر اليتيم ومن معانيه بالعقد النظيم وترنحت أفنان فنون الفصاحة لما هب عليها ذلك النسيم كل فصل له فى الفضل أسلوب على بابه وطريق انفرد به منشئه محاسن لاتوجد الا فى كتابه صدر هذا الكتاب عن علم سابق وفكر ثاقب وذهن رائق ونفس صادق وروية ملأت تصانيفها المغارب والمشارق وقريحة اذا ذقت جناها وشمت سناها تذكرت ما بين العذيب وبارق فالله تعالى يبقى مصنفه قبلة لاهل الادب ويديمه ويبلغه من سعادة الدنيا والآخرة مايروم بمنه وكرمه انتهى * وقرظ عليه بعضهم بقوله وقف المملوك سليمان ابن داود المصرى على فصول الحكم من هذه الفصول ووجد من نسيم الصبا أمارات القبول ونزه طرفه فى رياض هذا الكتاب وخاطب فكره العقيم فى وصفه فعجز عن رد الجواب

ماذا أقول وكل وصف دونه * أين الحضيض من السماك الاعزل

يالها كلمات نقصت قدر الافاضل وفضحت فصحاء الاوائل وسحبت ذيل الفصاحة على سحبان وائل وزادت فى البلاغة على قريد وغيرت حال القدماء فغا عبد الرحيم الفاضل وماعبد الحميد وذلت لها تشبيهات ابن المعتز طوعا وملكت زمام البيان فما تركت للبديع منه نوعا

قطف الرجال القول حين نباته * وقطفت أنت القول لما نورا

وخطاب أعجز الخطباء وصفه وجواب ألفى البلغاء رصفه وغرائب تعرفت بمهديها وشوارد تألفت بمهديها وجنان بلاغة لم يطمث أبكارها انس قبلك ولا جان ولم يقطف أزهارها عين ناظر ولا بنان معان تطرب السمع لها حكم وأحكام وألفاظ هى الارواح لا ارواح أجسام فلما ألقى فهمه عروة التماسك وضاقت عليه فى وصفه المسالك وعجز عن وصف بلوغ بلاغته عطف على حسن كتابته فرأى خطا يسبى الطرف ويستغرق الطرف نسج قلمه الكريم من وشى البلاغة ديباجا واتخذ من محاسن الحسان طريقا ومنهاجا فألفى ألفات كاعتدال القدود ونونات كاهلة السعود وسينات كالطرر ونقطا كالدرر جعل للاقلام حجة قاطعة على السيوف وحلى الاسماع بحلية زائدة على الشنوف فعطف ساعة يطنب فى دعائه وشكره وآونة يميل من طربه بألفاظه وسكره فلله درّ ألفاظك ودرر فضلك وأحسن بوابلك الهاطل بالبيان وطلك

لسانك غوّاص ولفظك جوهر * وصدرك بحر بالفضائل زاخر

والله المسؤل أن يرفع قدر مقالك ومقام قدرك ويوضح منهاج الادب بنور بدرك بمنه وكرمه انه على كل شئ قدير * وكتب قاضى القضاة تاج الدين السبكى رحمه الله تعالى فى تقريظ الكتاب المذكور مانصه الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم حدقت نحو الحدائق وفوقت سهمى تلقاء الغرض الشائق وطرقت الى مايضى أخا الجأ أسهل الطرائق فما علل صداى كنسيم الصبا ولا كمثله سهما صائبا صبابه من لا صبا ولا نظرت نظيره حديقة تنبت فضة وذهبا

وتجىء من ملح الكلا * م بطارف أو تالده
كلم نوابغ نحو آ * فاق المطالع صاعده
لو رامها قس لما * ألفى أباه ساعده
أبدى نتائج عبقه * فى ذى المعانى الشارده

فعين الله تعالى عليها كلمات عليها منه رقيب ومحاسن تسلى عندها بالحسن حبيب وفوائد حسان يذكرنا بها حسان البعيد حسن القريب كتبه عبد الوهاب بن السبكى انتهى * وكتب ناصر الدين صاحب دواوين الانشاء ماصورته وقفت على هذا الكتاب الذى أشبه الدرّ فى انتظامه والثغر فى ابتسامه وقطر الندى فى انسجامه وزهر الروض فى البكر اذا غنت على غصونه مطربات حمامه فوجدت بين اسمه ومسماه مناسبة اقتضاها طبع مؤلفه السليم واتصالا قريبا كاتصال الصديق الحميم فتحققت أن مؤلفه أبقاه الله تعالى وحرسه أبدع فى تأليفه وأصاب فى تمييزه بهذا الاسم وتعريفه فهو فى اللطافة كالماء فى أروائه وكالهواء المعتدل فى ملاءمة الارواح بجوهر صفائه وكالسلك اذا اتقى جوهره وأجيد فى اتقائه قد أينعت ثمرات فضائله فأصبحت دانية القطوف وتجلت عرائس بلاغته فظهر بدرها بلا كسوف وانجابت ظلمات الهموم بسماع موصول

مقاطعه التى هى فى الحقيقة لآذان الجوزاء شنوف فأكرم به من كتاب ما الروض بأبهى من وسيمه ولا الريحان بأعطر من شميمه ولا المدامة بأرق من هبوب نسيمه ولا الدر باسنى زهرا بل زهوا من رسومه اذا تدبره الاديب أغنته تلك الافانين عن نغمات القوانين واذا تأمله الاريب نزه طرفه فى رياض البساتين قد سور على كل نوع من البديع باب لا يدخله الا من خص من البلاغة باللباب والله تعالى يؤتيه الحكمة وفصل الخطاب ويمتع بفضائله التى شهدها أهل العلم وذوو الالباب بمنه وكرمه وكتبه محمد بن يعقوب الشافعى * وكتب الصفدى شارح لامية العجم بما نصه وقفت على هذا المصنف الموسوم بنسيم الصبا والتأليف الذى لو مر بالمجنون لما ألف ليلاه ولا مال اليها ولا صبا والانشاء الذى ان شاء قائله جعل الكلام غيره فى هبات الهواء هبا والنثر الذى أغار قائله على سبائك الذهب الابريز وسبا والكلام الذى نباعنه الجاحظ جاحدا وماله ذكر ولا نبا فسبحت جواهر حروفه لمن أوجده فى هذا العصر وعلمت ان ألفاظه ترمى قلوب حساده بشرر كالقصر وتحققت أن قعقعة طروسه أصوات أعلامه التى تخفق له بالنصر وتيقنت أن سطوره غصون لا تصل اليها كف جناية بجنى ولا هصر

وقلت لاهل النظم والنثر قابلوا * ترائبها مصقولة كالسجنجل

وميلوا بأعطاف التعجب انها * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

ولما ملت بعد ما تأملت وعزلت بعد ما هززت جردت من نفسى شخصا أخاطبه وأجاريه فى أوصاف محاسنها التى أناهيه منها وأناهبه فقال لى هذا الفن الفذ والنثر الذى قهر أقران هذه الصناعة وبذ والادب الذى سد الطرق على أوابده فما فاته شئ ولا شذ وهذا الانشاء الذى ماله عديل فى هذا العديد ولا ضريب وهذا الكلام الذى فاق فى الآفاق فما لحبيب بن أوس حسن حسن ابن حبيب فعين الله تعالى على هذه الكلم الساحره والفوائد التى أيقظت جفن الادب بعد ما كان بالساهره ومتع الله تعالى الزمان وأهله بهذا النوع الغض والنقد النض والبز البض والبديع الذى رتم ما تشعث من ربع هذا الفن ورض واقتض المعانى أبكاره واقتض وأرسل جارح بلاغته على الجوارح فصادها وانقض وأنبط ماء الفصاحة لما تحدروا رفض واستمال القلب اللفظ لما فك ختم ذهوله وفض انه على كل شئ قدير وبالاجابة جدير بمنه وكرمه وكتبه خليل الصفدى * انتهى * (ومنهم الاديب أبو جعفر الالبيرى رفيق ابن جابر السابق الذكر وهو البصير وابن جابر الاعمى وله نظم بديع منه قوله

أبدت لى الصدغ على خدها * فأطلع الليل لنا صبحه

خدها مع قدها قائل * هذا شقيق عارض رمحه

وقوله وقد دخل حمص

حمص لمن أضحى بها جنة * يدنو لديها الامل القاصى

حل بها العاصى الافا عجبوا * من جنة حل بها العاصى

وقوله

ان بين الحبيب عندى موت * وبه قد حييت منذ زمان
ليت شعرى متى تشاهده العيـ * ـن وتقضى من اللقاء الامانى

قال وفيه استخدام لان البين يطلق على البعد والقرب انتهى ومن نظمه أيضا رحمه الله تعالى

ومورد الوجنات دب عذاره * فكانه خط على قرطاس
لما رأيت عذاره مستعجلا * قد رام يخفى الورد منه باس
ناديته قف لى أودع ورده * ما فى وقوفك ساعة من باس

وهذا المعنى قد تبارى فيه الشعراء وتسابقوا فى مضماره فمنهم من جلى وبرز وحاز خصل السبق واحرز ومنهم من كان مصليا ومنهم من غدا لجيد الاحسان مجليا ومنهم من عاد قبل الغاية موليا * (رجع) ومن تاليفه رحمه الله تعالى شرحه لبديعية رفيقه ابن جابر المذكور وقال فى خطبته ولما كانت القصيدة المنظومة فى علم البديع المسماة بالحلة السيرا فى مدح خير الورى التى أنشأها صاحبنا العلامة شمس الدين أبو عبد الله بن جابر الاندلسى نادرة فى فنها فريدة فى حسنها تجنى ثمر البلاغة من غصنها وتنهل سواكب الاجادة من مزنها لم ينسج على منوالها ولا سمحت قريحة بمثالها رأيت أن أضع لها شرحا يجلو عرائس معانيها المعانيها ويبدى غرائب مافيها الموافيها لا أمل الناظر فيه بالتطويل ولا أعوقه بكثرة الاختصار عن مدارك التحصيل فخير الامور أوسطها والغرض ما يقرب المقاصد ويضبطها فأعرب من ألفاظها كل خفى وأسكت من لغاتها عن كل جلى والله أسأل أن يبلغنا ما قصدناه ويوردنا أحسن الموارد فيما أردناه انتهى وسمى الشرح المذكور طراز الحلة وشفاء الغلة ومما أورده رحمه الله تعالى فى ذلك الشرح من نظم نفسه قوله

طيبة ما أطيبها منزلا * سقى ثراها المطر الصيب
طابت بمن حل بأرجائها * فالترب منها عنبر طيب
ياطيب عيشى عند ذكرى لها * والعيش فى ذاك الحمى أطيب

وقال رحمه الله تعالى فى هذا الشرح بعد كلام ما نصه واذا أردت أن تنظر الى تفاوت درجات الكلام فى هذا المقام فانظر الى اسحق الموصلى كيف جاء الى قصر مشيد ومحل سرور جديد فخاطبه بما يخاطب به الطلول البالية والمنازل الدارسة الخالية فقال

يادار غيرك البلى ومحاك * فأحزن فى موضع السرور وأجرى كلامه على عكس الامور وانظر الى قول القطامى

انا محيوك فاسلم أيها الطلل * وان بليت وان طالت بك الطيل

فانظر كيف جاء الى طلل بال ورسم خال فأحسن حين حياه ودعاله بالسلامة كالمبتهج برؤية محياه فلم يذكر دروس الطلل وبلاه حتى آنس المسامع بأو فى التحية وأزكى السلامة والذى فتح هذا الباب وأطنب فيه غاية الاطناب صاحب اللواء والمقدم الشعراء حيث قال

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى * وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
وهل يعمن الا سعيد مخلد * قليل هموم ما يبيت بأوجال

قيل وهذا البيت الاخير يحسن أن يكون من أوصاف الجنة لان السعادة والخلود وقلة الهموم والاوجال لا توجد الا فى الجنة انتهى وقال رحمه الله تعالى عند رحيله من غرناطة وأعلام نجد تلوح وحمائمه تشدو على الايك وتنوح

ولما وقفنا للوداع وقد بدت * قباب بنجد قد علت ذلك الوادى
نظرت فالفت السبيكة فضة * لحسن بياض الزهر فى ذلك النادى
فلما كستها الشمس عاد لجينها * لها ذهبا فاعجب لا كسيرها البادى

والسبيكة موضع خارج غرناطة وقال رحمه الله تعالى

هذه عشرة تقضت وعندى * من أليم البعاد شوق شديد
واذا ما رأيت اطفاء شوق * بالتلاقى فذاك رأى سديد

وقال رحمه الله تعالى وقد أهدى طاقية

خذها اليك هدية * ممن يعز على أناسك
اخترتها لك عندما * أضحت هدية كل ناسك
أرسلتها طاقية * لتنوب فى تقبيل راسك

وله من رسالة وانى كتابك فوجدناه ازهى من الازهار واجهى من حسن الحباب على الانهار يشرق اشراق نجوم السماء ويسمو الى الاسماع سمو حباب الماء وقال رحمه الله تعالى فى العروض على مذهب الخليل

خل الانام ولا تخالط منهم * أحدا ولو اصفى اليك ضمائره
ان الموفق من يكون كأنه * متقارب فهو الوحيد بدائره

وقال على مذهب الاخفش

ان الخلاص من الانام لراحة * لكنه ما نال ذلك سالك
أضحى بدائرة له متقارب * يرجو الخلاص فعاقه متدارك

وله

دائرة الحب قد تناهت * فما لها فى الهوى مزيد
فجمر شوقى بها طويل * وجمر دمعى بها مديد
وان وجدى بها بسيط * فليفعل الحسن ما يريد

وهذا المعنى استعمله الشعراء كثيرا ومنهم الشيخ شهاب الدين بن صارو اليعلى قال أبو جعفر المترجم به أنشدنا شهاب الدين المذكور لنفسه بحماه

وبى عروضى سريع الجفا * يغار غصن البان من عطفه
الورد من وجنته وافر * لكنه يمنع من قطفه

قال وأنشدنا أيضا لنفسه

وبى عروضى سريع الجفا * وجدى به مثل جفاه طويل

قلت له قطعت قلبي أسى * فقال لي التقطيع دأب الخليل انتهى

وأنشد رحمه الله تعالى لرفيقه ابن جابر الضرير السابق الترجمة في ذلك

ان صدعني فاني لا أعاتبه * فما التنافر في الغزلان تنقيص
شوقي مديد وحبي كامل أبدا * لاجل ذلك قلبي فيه موقوص

وأنشد نا في ذلك أيضا

عالم بالعروض يخبر قلبي * في مديد الهوى بلفظ سريع
عنده وافر من الردف يبدو * وخفيف من خصره المقطوع

وله

ثيب خفيف خصرها ووراءه * من ردفها سبب ثقيل ظاهر
لم يجمع النوعان في تركيبها * الا لان الحسن فيهما وافر

وله

صدوده لي مديد * وأمر حبي طويل
وفيه أسباب حسن * وذلك عندي الاصول
فخصره لي خفيف * وردفه لي ثقيل

وقد ذكر أبو جعفر رحمه الله تعالى لرفيقه ابن جابر السابق الذكر مقطوعات كثيرة منها قوله

يا أيها الحادي اسقني كاس السرى * نحو الحبيب ومهجتي للساق
حي العراق على النوى واحمل الى * أهل الحجاز رسائل العشاق
ياحسن ألحان الحداة اذا جرت * نغماتها بمسامع المشتاق

واورد له أيضا

ياحسن ليلتنا التي قد زارني * فيها فأنجز ما مضى من وعده
قومت شمس جماله فوجدتها * في عقرب الصدغ الذي في خده

*(رجع) الى أبي جعفر رحمه الله تعالى ومن فوائده انه لما ذكر ذلك الحساب فقال هي التي يضعها أهل الحساب آخر جملهم المتقدمة فيقولون فذلك كذا وكذا انتهى ولما أنشد رحمه الله تعالى قول بعضهم

غزال قد غزا قلبي * بالحاظ وأحداق
له الثلثان من قلبي * وثلثا ثلثه الباقي
وثلثا ثلث ما يبقى * وباقي الثلث للساقي
وتبقى أسهم ست * تقسم بين عشاق

قال ما نصه هذا الشاعر قسم قلبه الى ٨١ سهما فجعل لمحبوبه منها الثلثين ٥٤ وبقي الثلث ٢٧ فزاده ثلثيه ١٨ فصار له ٧٢ يبقى ثلث الثلث وهو ٩ زاده منها ثلثي ثلثها وهو اثنان وبقي من الثلث واحد أعطاه للساقي فبقي من التسعة ستة قسمها بين العشاق فاجتمع لمحبوبه ٧٤ وللساقي سهم واحد وللعشاق ستة والجملة ٨١ انتهى

وأنشد رحمه الله تعالى فى علم الحساب لرفيقه ابن جابر السابق الذكر

قسم القلب فى الغرام بلحظ * يضرب القلب حين يرسل سهمه
هذه فى هواه ياقوم حالى * ضاع قلبى ما بين ضرب وقسمه

وأنشد له فى الهندسة

محيط بأشكال الملاحة وجهه * كما قد بدا قلبى يحدث
فعارضه خط استواء وخاله * به نقطة والشكل شكل مثلث

وأنشد له فى خط الرمل

فوق خديه للعذار طريق * قد بدا تحته بياض وحمره
قيل ماذا فقلت أشكال حسن * تقتضى أن أبيع قلبى بنظره

وأنشد له فى علم الخط

قد حقق الحسن نور حاجبه * وخط فى الصدغ واو ريحان
ومد من حسن قده ألفا * أوقف عينى وقوف حيران

وأنشد له أيضا

ألف ابن مقلة فى الكتاب كقده * والنون مثل الصدغ فى التحسين
والعين مثل العين لكن هذه * شكلت بحسن وفاحة ومجون
وعلى الجبين لشعره سين بدت * حار ابن مقلة عند تلك السين
قل للذى قد خط تحت الصدغ من * خيلانه نقطا لجلب فنون
يا للرجال ويا لها من فتنة * فى وضع ذاك النقط تحت النون

وأورد له فى ذكر الاقلام السبعة وغيرها

تعليق ردفك بالخصر الخفيف له * ثلث الجمال وقد وفته أجفان
خد عليه رفاع الروض قد جعلت * وفى حواشيه للصدغين ريحان
خط الشباب بطوماره العذار به * سطرا ففضاحه للناس فتان
محقق نسخ صبرى عن هواه ومن * توقيع مدمعى المنثور برهان
يا حسن ما قلم الاشعار خط على * ذاك الجبين فلا يسلوه انسان
أقسمت بالمصحف الشامى وأحرفه * ما مر بالبال يوما عنك سلوان
ولا غبار على حبى فعندك لى * حساب شوق له فى القلب ديوان

وأنشد له

يا صاحب المال ألم تستمع * لقوله ما عندكم ينفد
فاعمل به خيرا فوالله ما * يبقى ولا أنت به تخلد

وله

ان شئت أن تجد العدو وقد غدا * لك صاحبا ولى الجميل ويحسن
فاعمل كما قال الخبير بخلقه * فى قوله ادفع بالتى هى أحسن

وله

اذا شئت رزقا بلا حسبة * فلذ بالتقى واتبع سبله
وتصديق ذلك فى قوله * ومن يتق الله يجعل له

وأورد له أيضا

عمل ان لم يواقق نية * فهو غرس لا يرى منه ثمر
انما الاعمال بالنيات قد * نصه عن سيد الخلق عمر

وقوله

الخير فى أشياء عن خير الورى * وردت فأبدت كل نهج بين
دع ما يريبك واعملن بنية * وازهد ولا تغضب وخلقك حسن

وقوله

حياء المرء يزجره فيخشى * تخف من لا يكون له حياء
فقد قال الرسول بأن مما * به نطق الكرام الانبياء
اذا ما أنت لم تستحى فاصنع * كما تختار وافعل ما تشاء

وقوله

قال الرسول الحياء خير * فاصحب من الناس ذا حياء
وعن قليل الحياء فابعد * فخيره ليس ذا رجاء

وقوله

من سلم المسلمون كلهم * وآمنوا من لسانه ويده
فذلك المسلم الحقيق بذا * جاء حديث لا شك فى سنده

ولابن جابر مما كتب به الى الصلاح الصفدى

ان البراعة لفظ أنت معناه * وكل شئ بديع أنت مغناه
انشاد نظمك أشهى عند سامعه * من نظم غيرك لو اسحق غناه

وهى طويلة فأجابه الصفدى بقوله

يا فاضلا كرمت فينا سجاياه * وخصنا باللآلى فى هداياه
خصصتنى بقريض شف جوهره * لما تألق منه نور معناه
من كل بيت مبانيه مشيدة * كم من خبايا معان فى زواياه

وهى طويلة *(رجع)* الى نظم أبى جعفر فمن ذلك قوله

تريك قذا على ردف تجاذبه * كخوطة فى كثيب الرمل قد نبتت
ريا القرنفل فى ريح الصبا سحرا * يضوع منها اذا نحوى قد التفتت

عقد بهما ألفاظ قول امرئ القيس

اذا التفتت نحوى تضوع ريحها * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

وأورد له قوله

ولولا نجاء العيس حول ديارها * غداة منى لم يبق فى الركب محرم
ففوق ذرى المتنين بردمهلل * وتحت رداء الخز وجه معلم

عقد فى الاول قول ابن الخطيم

ديارالتى كنا ونحن على منى * تحوط بنا والولا نجاء الركائب

وعقد فى الثانى قول ابن أخى ربيعة

أماطت رداء الخزعن حرّ وجهها * وأرخت على المتنين بردا مهللا

وأورد له قوله

ان ادّعى لك مروان الجلال فقل * لا يجهل المرء بين الناس رتبته

ان الجلالة حقا للمقول له * هذا الذى تعرف البطحاء وطأته

وقوله

من منصفى ياقوم من ظبية * تسرف فى هجرى وتأبى الوصال

وكلما أسأل عن عذرها * تقول لى ما كل عذر يقال

وقوله

هم حسدوا الرسول فلم يجيبوا * وكم حسدوا فصار لهم فرار

وهاجر عند ما هجروا فأضحى * لخيمة أمّ معبد الفخار

وقوله

يحسبك أن تبيت على رجاء * ولو خطبتك لليأس الخطوب

ومهما أكربتك صروف دهر * فقل ما قاله الرجل الاريب

عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

وقوله

خليلىّ هذا قبر أشرف مرسل * فقانبك من ذكرى حبيب ومنزل

رويد كما نبكى الذنوب التى خلت * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

منازل كانت للتصابى فأقفرت * لما نسجتها من جنوب وشمأل

قال ثم جرى على هذا النمط واستخرج الدرر النفيسة من ذلك السفط وقال قبله انه أخذ أعجاز هذه القصيدة من أوّلها الى آخرها على التوالى وصنع لها صدورا وصرفها الى مدح النبىّ صلى الله عليه وسلم فجاء فى ذلك بما لم يسبق اليه ولم يقف أحد فى تلك المعانى على ما وقف عليه انتهى وقوله

كم ليال خلت بكم كاللآلى * نظمتها لنا يد الازمان

أيها النازحون عن رأى عينى * وهم فى جوانحى وجنانى

ما ألذ الوصال بعد التنائى * وأمرّ الفراق بعد التدانى

قد وكلنا كم لربّ كريم * غيروان عن عبده فى أوان

ما رحلنا عن اختيار ولكن * رحلتنا تلوّنات الزمان

وقوله

تشتكى الصفر من يديه وترضى السمر عن راحتيه عند الحروب

أحمر السيف أخضر السيب حيث الارض غبراء من سواد الخطوب

وقوله مما التزم فى أوله الدال

دفاع لمكروه أمان لخائف * سحاب لمستجد هلال لمستعدى
دروب على الحسنى عفو لمن جنى * منيب لمن أثنى مجيب لذى قصد
دع الغيث ان أعطى دع الليث ان سطا * دع الروض اذ أهدى دع البدر اذ بدا

وقوله

غزال ما توسد ظل بان * بهاجرة ولا عرف الظلالا
تبسم لؤلؤا واهتز غصنا * وأعرض شادنا وبدا هلالا

وقوله

رفع الحصر فوق منصوب ردف * والتزم القلوب فرعيه جرا
مال غصنا دنا رشا فاح مسكا * تاه درا أرنى دجى لاح بدرا

وقوله حين زار قبر قس بن ساعدة بجبل سمعان

هذى منازل ذى العلا * قس بن ساعدة الايادى
كم عاش فى الدنيا وكم * أسدى الينا من اياد
قد زانها بحلى البلا * غة مفصحا فى كل نادى
قد قر فى بطن الثرى * متفردا بين العباد

قال أبو جعفر زرنا قبره فرأينا موضعا ترتاح اليه النفس ويلوح عليه الانس وعند قبره عين ماء يقال انه ليس بجبل سمعان عين تجرى غيرها هنالك وأورد له قوله

كرام نخام من ذؤابة هاشم * يقولون للاضياف أهلا ومرحبا
فيفعل فى فقر المقلين جودهم * كفعل على يوم حارب مرحبا

(رجع) الى أبى جعفر رحمه الله تعالى فنقول انه كان بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم سنة ٧٥٥ ولما ذكر الروضة قال قيل ولا تكون الروضة الا بماسقتها ازال جنبها ولا يقال فى موضع الشجر روضة انتهى وقال

لقوامه الالف التى * جاءت بحسن ما ألفّ
عانقته فكأننى * لم معانقة الالف

وقال رحمه الله تعالى معتذرا عمن لم يسلم

لا تعتبن على ترك السلام فقد * جاءتك أحرفه كتبا بلا قلم
فالسين من طرقى واللام مع ألف * من عارضى وهذا الميم ميم فمى

وقال رحمه الله تعالى

لا يقنطنك ذنب * قد كان منك عظيم
فانه قد قال قولا * وهو الجواد الكريم
نبئ عبادى أنى * أنا الغفور الرحيم

وقال

اذا ظلم المرء فاصبر له * فبالقرب يقطع منه الوتين

قوله الا بماسقتها الخ كذا فى نسخة المؤلف رحمه الله تعالى اه من هامش

فقد قال ربك وهو القوى * وأملى لهم ان كيدى متين

ومن نثره لما ذكر قصيدة كعب بن زهير رضى الله تعالى عنه مانصه وهذه القصيدة لها الشرف الراسخ والحكم الذى لم يوجد له ناسخ أنشدها كعب فى مسجد المصطفى بحضرته وحضرة أصحابه وتوسل بها فوصل الى العفو عن عقابه فقد صلى الله عليه وسلم خلته وخلع عليه حلته وكف عنه كف من أراده وأبلغه فى نفسه وأهله مراده وذلك بعد اهداره دمه وماسبق من هذر كله فمحت حسناتها تلك الذنوب وسترت محاسنها وجه تلك العيوب ولولاها لمنع المدح والغزل وقطع من أخذ الجوائز على الشعر الامل فهى حجة الشعراء فيما سلكوه وملاك أمرهم فيما ملكوه حدثنى بعض شيوخنا بالاسكندرية باسناده أن بعض العلماء كان لا يستفتح مجلسه الا بقصيدة كعب فقيل له فى ذلك فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله قصيدة كعب انشدها بين يديك فقال نعم وأنا أحبها وأحب من يحبها قال فعاهدت الله أن لا أخلو من قراءتها كل يوم قلت ولم تزل الشعراء من ذلك الوقت الى الآن ينسجون على منوالها ويقتدون بأقوالها تبركا بمن أنشدت بين يديه ونسب مدحها اليه ولما صنع القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر قصيدة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم على وزن بانت سعاد قال

لقد قال كعب فى النبى قصيدة * وقلنا عسى فى مدحه نتشارك
فان شملتنا بالجوائز رحمة * كرحمة كعب فهو كعب مبارك انتهى

وقال رحمه الله تعالى

لقد كثر العذار بوجنتيه * كما كثر الظلام على النهار
فغابت شمس وجنته وجاءت * على مهل عشيات العذار
فقلت لناظرى لما رآها * وقد خلط السواد بالاحمرار
قنع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

وقال

قالوا عشقت وقد أضرّ بك الهوى * فأجبتهم ياليتنى لم أعشق
قالوا سبقت الى محبة حسنه * فأجبتهم ما فاز من لم يسبق

ولما أنشدنا رحمه الله تعالى قول ابن الخشاب فى المستضى بالله

ورد الورى سلسال جودك فارتووا * ووقفت دون الورد وقفة حائم
فظمئت أطلب خفة من زحمة * والورد لا يزداد غير تزاحم

قال مانصه فانظر حسن هذين البيتين كيف جريا كالماء فى سلاسته ووقعا من القلوب كالشهد فى حلاوته مع أن ناظمهما ما خرج عن وصف الماء كلامه ولا تعدى ذلك المعنى نظامه حتى قيل ان فيهما عشرة مواضع من مراعاة النظير فهما فى الحسن ما لهما من نظير لكنه ما سلم مليح من عيب ولا خلا من وقوع ريب فمع هذه المحاسن الوافيه ما سلما من

عيب القافيه انتهى ولنختم ترجمته بقوله عند شرح بيت رفيقه

خيرالليالى ليالى الخير فى اضم * والقوم قد بلغوا أقصى مرادهم

مانصه يقول ان خيرالليالى التى تنشرح لها الصدور ويحمد فيها الورود والصدور ليالى الخيرفى اضم حيث النزيل لم يضم والقوم قد وردوا موارد الكرم وبلغوا أقصى مرادهم فى ذلك الحرم *(ومن الراحلين الولى الصالح أبو مروان عبد الملك بن ابراهيم بن بشر القيسى وهو ابن أخت ابن صاحب الصلاة البجانسى نسبة الى بجانس قرية من قرى وادى آش وكان رحمه الله تعالى أواسط المائة السابعة وقد ذكره الفقيه أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن يحيى الازدى القشتالى فى تأليفه الذى سماه تحفة المغرب ببلاد المغرب وقال فيه راضوا نفوسهم لتنقاد للمولى سرا وعلنا وزهدوا فى الدنيا فلم يقولوا معنا ولالنا واقتدوا بقول الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال صاحب التأليف المذكور سألت الشيخ أبا مروان يوما فى مسيرى معه من وادى آش الى بلده بجانس سنة تسع وأربعين وستمائة فقلت له أنت ياسيدى لم تكن قرأت ولا لازمت المشايخ قبل سفرك للمشرق ولا سافرت مع عالم تقتدى ببركته فى هذا الطريق فقال لى أقام الله تعالى من باطنى شيخا قلت له كيف قال كنت اذا عرض لى أمر نظرت فى خاطرى فيخطر لى خاطران فى ذلك أحدهما محمود والآخر مذموم فكنت أجتنب المذموم وأرتكب المحمود فاذا وصلت الى أقرب بلد سألت عمن فيه من المشايخ والعلماء فاسأله عن ذلك فكان يذكر لى المحمود محمودا والمذموم مذموما فأحمد الله تعالى أن وفقنى ومع تتابع ذلك واتصاله دون مخالفة لم أعتمد على مايقع بخاطرى من الامور الشرعية الى الآن حتى أسأل عنه من حضر من العلماء انتهى ومن كلام صاحب التأليف المذكور قوله فى حق الصوفية نفعنا الله تعالى بهم حواطريق الحق فحماهم ونور بصائرهم فأصمهم عن الباطل وأعماهم وأهانوا فى رضاء نفوسهم ورفضوا نعماهم فاعلى قدرهم عنده وعند الناس واسماهم انتهى وما أحسن قوله فى التأليف المذكور ياهذا من حافظ حوفظ عليه ومن طلب الخير بصدق وصل اليه ومن أخلص العبودية لربه قام الاحرار خدمة بين يديه انتهى *(ومنهم الطبيب الماهر الشهير ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار المالقى نزيل القاهرة وهو الذى عناه ابن سعيد فى كتابه المغرب بقوله وقد جمع أبو محمد المالقى الساكن الآن بقاهرة مصر كتابا فى هذا الشان حشر فيه ماسمع به فقدر عليه من تصانيف الادوية المفردة ككتاب الغافقى وكتاب الزهراوى وكتاب الشريف الادريسى الصقلى وغيرها وضبطه على حروف المعجم وهو النهاية فى مقصده انتهى وقد ذكرت كلام ابن سعيد هذا بجملته فى غير هذا الموضع فليراجع وكان ابن البيطار أوحد زمانه فى معرفة النباتات سافر الى بلاد الاغارقة وأقصى بلاد الروم والمغرب واجتمع بجماعة كثيرة من الذين يعانون هذا الفن وعاين منابته وتحققها وعاد بعد أسفاره وخدم الكامل بن العادل وكان يعتمد عليه فى الادوية والحشائش وجعله فى الديار المصرية رئيسا على سائر العشابين وأصحاب البسطات ومن بعده خدم ولده الصالح وكان خطيبا

عنده الى أن توفى بشعبان سنة ٦٤٦ التى توفى بها ابن الحاجب وله من المصنفات كتاب الجامع فى الادوية المفردة وكتاب المغنى أيضا فى الادوية وكتاب الابانة والاعلام بما فى المنهاج من الخلل والاوهام وكتاب الافعال العجيبه والخواص الغريبه وشرح كتاب ديسقوريدوس قال الذهبى انتهت اليه معرفة تحقيق النبات وصفاته وأماكنه ومنافعه وتوفى بدمشق انتهى * (ومنهم الشيخ أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن على القرشى البسطى الشهير بالقلصادى بفتحات كما قال السخاوى الصالح الرحلة المؤلف الفرضى آخر من له التاليف الكثيرة من أئمة الاندلس وأكثر تصانيفه فى الحساب والفرائض كشرحيه المجيبين على تلخيص ابن البناء والحوفى وكفاه فخرا أن الامام السنوسى صاحب العقائد أخذ عنه جملة من الفرائض والحساب وأجازه بجميع مروياته وأصله من بسطة ثم انتقل الى غرناطة فاستوطنها وأخذ بها عن جماعة كابن فتوح والسرقسطى وغيرهما ثم ارتحل الى المشرق ومر بتلمسان فأخذ بها عن الامام عالم الدنيا ابن مرزوق والقاضى أبى الفضل قاسم العقبانى وأبى العباس بن زاغ وغيرهم ثم ارتحل فلقى بتونس تلامذة ابن عرفة كابن عقاب والقلشانى وحلولو وغيرهم ثم حج ولقى أعلاما وعاد فاستوطن غرناطة الى أن حل بوطنه ماحل فتحيل فى خلاصه من الشرك وارتحل ومر بتلمسان فنزل بها على الكفيف ابن مرزوق ابن شيخه ثم جدت به الرحلة الى أن وافته منيته بساحة افريقية منتصف ذى الحجة سنة ٨٩١ وكان كثير المواظبة على الدرس والكتابة والتاليف ومن تاليفه أشرف المسالك الى مذهب مالك وشرح مختصر خليل وشرح الرسالة وشرح التلقين وهداية الانام فى شرح مختصر قواعد الاسلام وهو شرح مفيد وشرح رجز القرطبى وتنبيه الانسان الى علم الميزان والمدخل الضرورى وشرح ايساغوجى فى المنطق وله شرح الانوار السنية لابن جزى وشرح رجز الشراز فى الفرائض الذى أوله

بحمد خير الوارثين أبتدى * وبالسراج النبوى أهتدى

وشرح حكم ابن عطاء الله ورجز أبى عمرو بن منظور فى أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وشرح البردة ورجز ابن برى ورجز شيخه أبى اسحق بن فتوح فى النجوم الذى أوله

سبحان رافع السماء سقفا * ناصبها دلالة لاتخفى

وشرح رجز ابن مقرعة وله النصيحة فى السياسة العامة والخاصة وهداية النظار فى تحفة الاحكام والاسرار وكشف الجلباب عن علم الحساب وكشف الاسرار عن علم الغبار والتبصرة وقانون الحساب فى قدر التلخيص وشرحه وشرحان على التلخيص كبير وصغير وشرح ابن الياسمين فى الجبر والمقابلة ومختصره وكليات الفرائض وشرحها وشرحان للتلمسانية كبير وصغير وشرح فرائض صالح بن شريف وابن الشاط وفرائض مختصر خليل والتلقين وابن الحاجب وله كتاب الغنية فى الفرائض وغنية النجاة وشرحاها الكبير والصغير وتقريب المواريث ومنتهى العقول البواحث

قوله ابن مقرعة فى نسخة أبى مقرعة اه

قوله وابن الشاط فى نسخة وابن الشاد اه

وشرح

وشرح مختصر العقباني ولم يتم ومدخل الطالبين ومختصر مفيد في النحو وشرح رجز ابن مالك والجرومية وجمل الزجاجي وملحة الحريري والخزرجية ومختصر في العروض وغير ذلك وأخذ بمصر عن الحافظ ابن حجر والزين طاهر النويري وأبي القاسم النويري والعلامة الجلال المحلي والتقي الشمني وأبي الفتح المراغي وغيرهم حسبما ذكر ذلك في رحلته الشهيرة وهي حاوية لشيوخه بالمغرب والمشرق وجملة من أحوالهم رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم أبو عبد الله الراعي وهو شمس الدين محمد بن اسمعيل الاندلسي الغرناطي ولد بها سنة ٧٨٢ تقريبا ونشأ بها وأخذ الفقه والاصول والعربية عن جماعة منهم أبو جعفر أحمد بن ادريس بن سعيد الاندلسي وسمع على أبي بكر عبد الله بن محمد بن محمد المعافري ابن الدب ويعرف بابن أبي عامر والخطيب أبي عبد الله محمد بن علي بن الحفار ومحمد بن عبد الملك بن علي القيسي المنتوري صاحب الفهرسة الكبيرة الشهيرة ومما أخذ عنه الجرومية بأخذه لها عن الخطيب أبي جعفر أحمد بن محمد بن سالم الجذامي عن القاضي أبي عبد الله محمد بن ابراهيم الحضرمي عن مؤلفها أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي عرف بابن آجروم وجميع خلاصة الباحثين في حصر حال الوارثين للقاضي أبي بكر بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الانصاري بأخذه لها عن مؤلفها وأجازله أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي والقاضي أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني والعلامة أبو الفضل محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن الامام وعالم الدنيا أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني وغيرهم من المغاربة ومن أشياخه من أهل المشرق الكمال بن خير السكندري والزين أبو بكر المراغي والزين محمد الطبري وأبو اسحق ابراهيم بن العفيف النابلسي في آخرين ودخل القاهرة سنة ٨٢٥ فحج واستوطنها وسمع بها من الشهاب المتبولي وابن الجزري والحافظ ابن حجر وطائفة وأم بالمؤيدية وقتا وتصدى للاشتغال فانتفع به الناس طبقة بعد أخرى لاسيما في العربية بل هي كانت فنه الذي اشتهر به وبجودة الارشاد لها وشرح كلا من الجرومية والالفية والقواعد وغيرها مما حمله عنه الفضلاء وله نظم وسط قال السخاوي كتبت عنه منه الكثير ومما لم أسمعه منه ما أودعه في مقدمة كتاب صنفه في نصرة مذهبه وأثبته دفعا لشيء نسب اليه فقال

عليك بتقوى الله ما شئت واتبع * أئمة دين الحق تهدى وتسعدا
فمالك هم والشافعي وأحمد * ونعمانهم كل الى الخير يرشد
فتابع لمن أحببت منهم ولا تقل * لذي الجهل والتعصيب ان شئت تحمد
فكل سواء في وجيبة الاقتدا * متابعهم جنات عدن يخلد
وحبهم دين يزين وبغضهم * خروج عن الاسلام والحق يبعد
فلعنة رب العرش والخلق كلهم * على من قلاهم والتعصب يقصد

وكان حاد اللسان والخلق شديد النفرة من الشيخ يحيى العجيسي أضر بآخرة ومات بسكنه بالصالحية يوم الثلاثاء ٢٧ ذي الحجة سنة ٨٥٣ بعد أن أنشد قبيل موته بشهر في حال صحته الشيخ جمال الدين بن الامانة من نظمه قوله

أفكر فى موتى وبعد فضيحتى * فيحزن قلبى من عظيم خطيئتى
وتبكى دماعينى وحق لها البكا * على سوء أفعالى وقلة حيلتى
وقد ذابت أكبادى عناء وحسرة * على بعد أوطانى وفقد أحبتى
فمالى الا الله أرجوه دائما * ولاسيما عند اقتراب منيتى
فنسأل ربى فى وفاتى مؤمنا * بجاه رسول الله خير البرية

قال السخاوى وعما كتبته عنه

ألفيته حول المعلم باكيا * ودموعه قد صاغها من كوثر
تثر الدموع على الخدود تخلتها * درا تناثر فى عقيق أحمر

وقوله

عليك بنعمة رب العلا * وراعى المماليك رعى الذمم
وذو العلم فارع له حقه * والا تفارق وتلق الندم
فهذا مقالى فلتسمعوا * نصيحة حبر من أهل الحكم
اذا كنت فى نعمة فارعها * فان المعاصى تزيل النعم

وقال

للغرب فضل شائع لا يجهل * ولاهله شرف ودين يكمل
ظهرت به أعلام حق حققت * ماقاله خير الانام المرسل
من انهم حتى القيامة لن يزا * لوا ظاهرين على الهدى لن يخذلوا

وممن حدث عن الراعى الحافظ ابن فهد والبرهان البقاعى ومن تأليفه شرح القواعد وكتاب انتصار الفقير السالك لمذهب الامام الكبير مالك فى كراريس أربعة حسن فى موضوعه وله النوازل النحوية فى عشرة كراريس أو أكثر وفيها فوائد حسنة وابحاث رائقة تكلم معه فى بعضها أبو عبد الله بن العباس التلمسانى وذكر بعضهم انه اختصر شرح شيخه ابن مرزوق على مختصر الشيخ خليل من باب القضاء الى آخر الكتاب انتهى وجرت له فى صغره حكاية دلت على نبله وهى انه دخل على الطلبة رجل وهم بجامع غرناطة فسألهم عمن كان وراء امام فحدث للامام عذر ذهب لاجله مثل الرعاف مثلا فصلوا بعض الصلاة لانفسهم ثم اقتدوا بامام منهم قدموه فيما بقى فهل تصح صلاتهم أم لا فلم يكن عند أحد من الحاضرين فيها علم فقال هو ان الصلاة باطلة لان النحاة يقولون الاتباع بعد القطع لا يجوز وقد حكى ذلك فى شرحه للجرومية الذى سماه بعنوان الافادة فى باب النعت اذ قال مانصه كنت جالسا بمسجد قيسارية غرناطة أنتظر سيدنا وشيخنا أبا الحسن على بن سمعت رحمه الله تعالى مع جماعة من كبار طلبته وكنت اذ ذاك من أصغرهم سنا وأقلهم علما فدخل سائل سأل عن مسئلة فقهية نصها ان اماما صلى بجماعة جزءا من صلاة ثم غلب عليه الحدث فخرج ولم يستخلف لهم فقام كل واحد من الجماعة وصلى وحده جزءا من الصلاة ثم بعد ذلك استخلفوا من أتم بهم الصلاة فهل تصح تلك الصلاة أم لا فلم يكن فيها عند الحاضرين جواب فقلت أنا أجاوب فيها بجواب نحوى فقال هات الجواب فقلت هذا

اتباع بعد القطع وهو ممتنع عند النحويين فصلاة هؤلاء باطلة فاستظرفها منى من حضر لصغر سنى ثم طلبنا النص فيها فلم نلقه فى ذلك التاريخ ولو لقيناه لكان الجواب حسنا انتهى ومن ألغازه قوله

حاجيتكم نحاتنا المصريه * أولى الذكا والعلم والطعميه
ما كلمات أربع نحويه * جمعن فى حرفين للاجنبيه

يعنى فعل الامر للواحد من وأى يئى اذا أضمر فانك تقول فيه ايازيد على حرف واحد وهو الهمزة المقطوعة فاذا قلت قل او نقلت حركته على لغة النقل الى الساكن صار هكذا قل فذهب فعل الامر وفاعله فهى كلمات أربع فعلا أمر وفاعلاهما جمعن فى حرفين القاف واللام فافهم وأحسن من هذا قوله ملغزا فى ذلك أيضا

فى أى لفظ يا نحاة الملة * حركة قامت مقام الجملة

وبالجملة فمحاسنه كثيرة رحمه الله تعالى ورضى عنه ومن فوائده قوله حكى لى بعض علماء المالكية قال كنا نقرأ المدونة على الشيخ سراج الدين البلقينى الشافعى فوقعت مسئلة خلافية بين مالك والشافعى فقال الشيخ فى مسئلة مذهبنا كذا فى مسئلة لم يقل فيها الشافعى بما قال وانما نسبها البلقينى لنفسه ثم فطن وخاف أن ينتقد عليه المالكية ويقولون له أنت شافعى وهذا ليس مذهب الشافعى فقال فان قلتم يا مالكية لسنا بمالكية وانما أنتم شافعية قلنا كذلك أنتم فاهمة وقد اجتمعنا الكل فى مالك قال وهذا الكلام حلو حسن فى غاية الانصاف من الشيخ قال ولما قرئ عليه كتاب الشفا مدحه وأثنى عليه الى الغاية وكان يحضره جماعة من المالكية فقال القاضى جمال الدين ابنه مالكم يا مالكية لا تكونون مثل القاضى عياض فقال له أبوه الشيخ سراج الدين المذكور ومالك لا تقول للشافعية مالكم يا شافعية لا تكونون مثل القاضى عياض ومن فوائد الراعى فى باب العلم من شرحه على الالفية فى الكلام عشر خصال محمودة ينبغى أن تكون فى كل فقير لا يزال جائعا وهو من دأب الصالحين ولا يكون له موضع يعرف به وذلك من علامة المتوكلين ولا ينام من الليل الا القليل وذلك من صفات المحبين واذا مات لا يكون له ميراث وذلك من أخلاق الزاهدين ولا يهجر صاحبه وان جفاه وطرده وذلك من شيم المريدين ويرضى من الدنيا بأدنى يسير وذلك من اشارة القانعين واذا غلب عن مكانه تركه وانصرف الى غيره وذلك من علامة المتواضعين واذا ضرب وطرد ثم دعى أجاب وذلك من أخلاق الخاشعين واذا حضر شئ من الاكل وقف ينظر من بعد وذلك من أخلاق المساكين واذا رحل لم يرحل معه بشئ وذلك من علامة المتجردين انتهى بمعناه وقد نسبه للحسن البصرى رحمه الله تعالى ورضى عنه بمنه ومن تصانيفه رحمه الله تعالى كتاب الفتح المنير فى بعض ما يحتاج اليه الفقير فى غاية الافادة ملكته ولم أره بهذه البلاد المشرقية وحفظت منه فوائد ممتعة *(ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق بعد أخذ جميع بلاد الاندلس) أعادها الله تعالى قاضى الجماعة بغرناطة أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن الازرق قال السخاوى انه لازم الاستاذ ابراهيم بن أحمد بن فتوح

مفتى غرناطة فى النحو والاصلين والمنطق بحيث كان جل انتفاعه به وحضر مجالس أبى عبد الله محمد بن محمد السرقسطى العالم الزاهد مفتيها أيضا فى الفقه ومجالس الخطيب أبى الفرج عبد الله بن أحمد البقنى والشهاب قاضى الجماعة بغرناطة أبى العباس أحمد بن أبى يحيى بن شرف التلمسانى انتهى وله رحمه الله تعالى تآليف منها بدائع السلك فى طبائع الملك كتاب حسن مفيد فى موضوعه لخص فيه كلام ابن خلدون فى مقدمة تاريخه وغيره مع زوائد كثيرة ومنها روضة الاعلام بمنزلة العربية من علوم الاسلام مجلد ضخم فيه فوائد وحكايات لم يؤلف فى فنه مثله وقفت عليه بتلمسان وحفظت منه ما أنشده لبعض أهل عصره مما يكتب فى سيف

قوله ابن أحمد فى نسخة ابن محمد اه

ان عمت الافق من نقع الوغى سحب * فشم بها بارقا من لمع ايماضى
وان نوت حركات النصر أرض عدا * فليس للفتح الا فعلى الماضى

ومن انشائه فى التأليف المذكور ما صورته قلت ولقد كان شيخنا العلامة أبو اسحق ابراهيم بن أحمد بن فتوح قدس الله تعالى روحه يفسح لصاحب البحث مجالا رحبا ويوسع المراجع له قبولا ورحبا بل يطالب بذلك ويقتضيه ويختار طريق التعليم به ويرتضيه توقيفا على ما خلص له تحقيقه ووضح له فى معيار الاختيار تدقيقه والافقد كان ما يلقيه غاية ما يتحصل ويتهدب به مختار ما يحفظ ويتأصل انتهى وهو يدل على ملكته فى الانشاء ويحقق ما يحصله الا أن ذلك اذا طال حتى وقع الملل والضجر أو كاد فينبغى الامساك عن البحث لئلا يفضى الحال الى ما ينهى عنه قال ومخالفة التلميذ الشيخ فى بعض المسائل اذا كان لها وجه وعليها دليل قائم يقبله غير الشيخ من العلماء ليس من سوء أدب التلميذ مع الشيخ ولكن مع ملازمة التوقير الدائم والاجلال الملائم فقد خالف ابن عباس عمر وعليا وزيد بن ثابت رضى الله تعالى عنهم وقد كان أخذ عنهم وخالف كثيرا من التابعين بعض الصحابة وانما أخذوا العلم عنهم وخالف مالك كثيرا من أشياخه وخالف الشافعى ابن القاسم وأشهب مالكا فى كثير من المسائل وكان مالك أكبر أساتيذ الشافعى وقال لا أحد أمن على من مالك وكاد كل من أخذ العلم أن يخالفه بعض تلامذته فى عدة مسائل ولم يزل ذلك دأب التلاميذ مع الاساتيذ الى زماننا هذا قال وشاهدنا ذلك فى أشياخنا مع أشياخهم رحمهم الله تعالى قال ولا ينبغى للشيخ أن يتبرم من هذه المخالفة اذا كانت على الوجه الذى وصفناه والله تعالى أعلم انتهى ولما أنشد ابن الازرق المذكور فى كتابه روضة الاعلام قول القائل فى مدح ابن عصفور

نقل النحو الينا الدولى * عن أمير المؤمنين البطل
بدأ النحو على وكذا * ختم النحو ابن عصفور على

قال بعده ما نصه على أن صاحبنا الكاتب الاديب الابرع أبا عبد الله محمد بن الازرق الوادى آشى رحمه الله تعالى قد قال فيما يدافع ابن عصفور عما اقتضاه هذا المدح له بتفضيل الاستاذ المحقق أبى الحسن بن الضائع عليه ولقد أبدع فى ذلك ما شاء لما تضمن من التورية

بضائعك ابن الضائع الندب قد أتت * بحظ من التحقيق والعلم موفور

فطرت عقابا كاسرا أو ماترى * مطارك قد أعيا جناح ابن عصفور انتهى

وقد نقل عن ابن الازرق صاحب المعيار فى جامعه وأثنى عليه غير واحد ومن أعظم تآليفه شرحه الحافل على مختصر خليل المسمى بشفاء الغليل فى شرح مختصر خليل وقد توارد معه الشيخ ابن غازى على هذه التسمية وكان مولانا العم الامام شيخ الاسلام سيدى سعيد بن أحمد المقرى رضى الله تعالى عنه قال لى حين سألته عن هذا التوارد لعل تسمية ابن الازرق شفاء العليل بالعين قلت بعد ذلك أن جماعة من تلامذته الاكابر كالوادى آشى وغيره كتبوه بخطوطهم بالغين فبان انه من توارد الخواطر وأن كلا منهما لم يقف على تسمية الآخر والله تعالى أعلم وقد رأيت جملة من هذا الشرح بتلمسان وذلك نحو ثلاث مجلدات ولا أدرى هل اكمله أم لا لان تقديره بحسب ما رأيت يكون عشرين مجلدا اذ المجلد الاول ما أتم مسائل الصلاة ورأيت الخطبة وحدها فى أكثر من كراسة أبان فيها عن علوم ولم أر فى شروح خليل مع كثرتها مثله ودخل تلمسان لما استولى العدو على بلاد الاندلس ثم ارتحل الى المشرق فدخل مصر واستنهض عزائم السلطان قايتباى لاسترجاع الاندلس فكان كمن يطلب بيض الانوق أو الابيض العقوق ثم حج ورجع الى مصر فجدد الكلام فى غرضه فدافعوه عن مصر بقضاء القضاة فى بيت المقدس فتولاه بنزاهة وصيانة وطهارة ولم تطل مدته هنالك حتى توفى به بعد سنة خمس وتسعين وثمانمائة حسبما ذكره صاحب الانس الجليل فى تاريخ القدس والخليل فليراجع فانه طال عهدى به ومن بارع نظمه رحمه الله تعالى قوله فى المحبيات

وربة محبوبة تبدت * كانها الشمس فى حلاها
فاعجب لحال الانام من قد * أحبها منهم قلاها

ومنه قوله رحمه الله تعالى

عذرى فى هذا الدخان الذى * جاورد اري واضح فى البيان
قد قلتم ان بها زخرفا * ولا يلى الزخرف الا الدخان

وقوله

تأملت من حسن الربيع نضارة * وقد غردت فوق الغصون البلابل
حكت فى غصون الدوح قسا فصاحة * لتعلم أن النبت فى الروض باقل

وقوله

وقائلة صف للربيع محاسنا * فقلت وعندى للكلام بدار
هى بساط الارض صوب من الحيا * فللنبت فى وجه الزمان عذار

وقوله

تعجبت من يانع الورد فى * سنى وجنة نبتها بارض
ولم لا يرى وردها يانعا * وقد سال من فوقها العارض

وقوله رحمه الله تعالى عند وفاة والدته

تقول لى ودموع العين واكفة * ما أفظع البين والترحال يا ولدى

فقلت أين السرى قالت لرحمة من * قد عز فى الملك لم يولد ولم يلد

قال تلميذه الحافظ ابن داود مما ألفيته بخط قاضى الجماعة أبى عبد الله بن الازرق عن على رضى الله تعالى عنه من أراد أن يطول الله عمره ويظفر بعدوه ويصان من فتن الدنيا ويوسع عليه باب رزقه فليقل هذا التسبيح اذا أصبح ثلاثا واذا أمسى ثلاثا سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش والحمد لله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش ولا اله الا الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش والله أكبر ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم مثل ذلك وصلى الله على سيدنا محمد وآله مثل ذلك قال وبخطه أيضا النيل الرزق وما يراد يا باسط يا جواد يا على فى عرشك بحق حقك على جميع خلقك ابسط لى رزقك وسخر لى خلقك وبخطه أيضا بسم الله الرحمن الرحيم الدافع المانع الحافظ الحى القيوم القوى القادر الولى الناصر الغالب الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم وبخطه أيضا يا فتاح يا عليم يا نور يا هادى يا حق يا مبين افتح لى فتحا تنور به قلبى وتشرح به صدرى واهدنى الى طريق ترضاه وبين لى أمرى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا انتهى وقال رحمه الله تعالى موريا

من تكن صنعته الانشاء لا * ينكر الرزق لاقصى العمر
ولو استعلى على السبع الذرا * رى بما فى فمه من درر
فانا الكاتب لكن لو بيا * ع الى العتق لكمت المشترى

هكذا رأيت نسبتها اليه ولنختم ترجمته بل والباب جميعا بقوله رحمه الله تعالى عند نزول طاغية النصارى بمرج غرناطة أعادها الله تعالى للاسلام بجاه النبى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام

مشوق بخيمات الاحبة مولع * تذكره نجدا وتغريه لعلع
مواضعكم يا الائمين على الهوى * فليس للسلوان فى القلب موضع
ومن لى بقلب تلتظى فيه زفرة * ومن لى بجفن تنهمى منه أدمع
رويدك فارقب للطائف موضعا * وخل الذى من شره تتوقع
وصبرا فان الصبر خير غنيمة * ويا فوز من قد كان للصبر يرجع
وبت واثقا باللطف من خير راحم * فألطافه من لمحة العين أسرع
وان جاء خطب فانتظر فرجاله * فسوف تراه فى غد عنك يرفع
وكن راجعا لله فى كل حالة * فليس لنا الا الى الله مرجع

(الباب السادس)

فى ذكر بعض الوافدين على الاندلس من أهل المشرق المهتدين فى قصدهم اليها بنور الهداية المضىء المشرق والاكابر الذين حلوا بحلولهم فيها الجيد منها والمفرق والمفخرون برؤية قطرها الموثق على المشئم والمعرق اعلم أن الداخلين للاندلس من المشرق قوم

كثيرون لا تحصر الاعيان منهم فضلا عن غيرهم ومنهم من اتخذها وطنا وصيرها سكنا الى أن وافته منيته ومنهم من عاد الى المشرق بعد أن قضيت بالاندلس امنيته *(فمن الداخلين الى الاندلس المنيذر الذى يقال انه صحابى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن الابار فى التكملة المنيذر الافريقى له صحبة وسكن افريقية ودخل الاندلس فيما ذكره عبد الملك بن حبيب قاله أبو محمد الرشاطى ولم يذكره أحد غيره روى عنه عبد الرحمن الجيلى انتهى وأنكر غير واحد دخول أحد من الصحابة الاندلس وذكر بعض الحفاظ المنيذر المذكور وقال انه المنيذر اليمانى وذكر الحجارى انه من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وانه دخل الاندلس مع موسى بن نصير غازيا وقال ابن بشكوال يقال فيه المنيذر لكونه من أحداث الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقد حكى ذلك الرازى وذكره ابن عبد البر فى كتاب الاستيعاب فى الصحابة وسماه بالمنيذر الافريقى وقال ابن بشكوال ان ابن عبد البر روى عنه حديثا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكره أبو على بن السكن فى كتاب الصحابة وقال روى عنه حديث واحد وأرجو أن يكون صحيحا وذكره ابن قانع فى معجم الصحابة له وذكره البخارى فى تاريخه الكبير اذ قال ابو المنيذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد حدث بافريقية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فأنا الزعيم لآخذن بيده فادخله الجنة كذا ذكره البخارى بالكنية وهذا الحديث هو الذى رووه عنه لا يعرف له غيره وذكره أبو جعفر أحمد بن رشد فى كتاب مسند الصحابة له فقال المنيذر اليمانى اتى من مذحج أو غيرها وذكر الحديث سواء وقد أشرنا فيما سبق الى المنيذر هذا *(ومن التابعين الداخلين الاندلس أميرها موسى بن نصير وقد سبق من الكلام عليه ما فيه كفاية *(ومن التابعين الداخلين الاندلس حنش الصنعانى وفى كتاب ابن بشكوال قال ابن وضاح حنش لقب له واسمه حسين بن عبد الله وكنيته أبو على ويقال أبو رشدين قال ابن بشكوال وهو من صنعاء الشام وذكره أبو سعيد بن يونس فى تاريخ أهل مصر وافريقية والاندلس فقال انه كان مع على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وغزا المغرب مع رفيقه رويفع بن ثابت وغزا الاندلس مع موسى بن نصير وكان فيمن ثار مع ابن الزبير على عبد الملك بن مروان فأتى به عبد الملك فى وثاق فعفا عنه وكان أول من ولى عشور افريقية فى الاسلام وتوفى بافريقية سنة مائة وذكر ابن يونس عن حنش انه كان اذا فرغ من عشائه وحوايجه وأراد الصلاة من الليل أوقد المصباح وقرب المصحف وانا فيه ماء فاذا وجد النعاس استنشق الماء واذا تعايا فى آية نظر فى المصحف واذا جاءه سائل يستطعم لم يزل يصبح بأهله أطعموا السائل حتى يطعم قال ابن حبيب دخل الاندلس من التابعين حنش بن عبد الله الصنعانى وهو الذى أشرف على قرطبة من الفج المسمى بفج المائدة وأذن وذلك فى غير وقت الاذان فقال له أصحابه فى ذلك فقال ان هذه الدعوة لا تنقطع من هذه البقعة الا أن تقوم الساعة هكذا ذكره غير واحد وقد كشف الغيب خلاف ذلك فلعل الرواية موضوعة أو مؤولة والله تعالى أعلم وذكره ابن عساكر فى تاريخه وطول ترجمته وقال ان

صنعاء المنسوب اليها قرية من قرى الشام وليست صنعاء اليمن وقد قيل انه لم يروعن حنش الشاميون وانما روى عنه المصريون وحدث حنش عن عبد الله بن عباس انه قال له ان استطعت أن تلقى الله تعالى وسيفك حليته حديد ففعل وكان عبد الملك بن مروان حين غزا المغرب مع معاوية بن حديج نزل عليه بافريقية سنة خمسين فحفظ له ذلك فعفا عنه حين أتى به فى وثاق حين ثار مع ابن الزبير وسئل أبو زرعة عن حنش فقال ثقة ولم يذكر ابن عساكر أن حنشا لقب له وان اسمه حسين بل اقتصر على اسمه حنش ولعله الصواب لما قاله ابن وضاح والله تعالى أعلم وفى تاريخ ابن الفرضى أبى الوليد أن حنشا كان بسرقسطة وانه الذى أسس جامعها وبهاماتا وقبره بها معروف عند باب اليهود بغربى المدينة وفى تاريخ ابن بشكوال انه أخذ أيضا قبلة جامع البيرة وعدل وزن قبلة جامع قرطبة الذى هو فخر الاندلس *(ومن التابعين الداخلين للاندلس أبو عبد الله على ابن رباح اللخمى ذكر ابن يونس فى تاريخ مصر انه ولد سنة خمس عشرة عام اليرموك وكان أعور ذهبت عينه يوم ذات السوارى فى البحر مع عبد الله بن سعيد سنة أربع وثلاثين وكان يفد للیمانية من أهل مصر على عبد الملك بن مروان وكانت له من عبد العزيز بن مروان منزلة وهو الذى زف أم البنين بنت عبد العزيز الى الوليد بن عبد الملك ثم غنت عليه عبد العزيز فأغزاه افريقية فلم يزل بافريقية الى أن توفى بها ويقال كانت وفاته سنة أربع عشرة ومائة قال ابن بشكوال أهل مصر يقولون على بن رباح بفتح العين واما أهل العراق فعلى بضم العين وقد سبق هذا الكلام عن ابن معين فى الباب الثانى وقال ابنه موسى بن على من قال لى موسى بن على بالتصغير لم أجعله فى حل *(ومن التابعين الداخلين أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافرى الجيلى قال ابن بشكوال انه يروى عن أبى أيوب الانصارى وعبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهم وغيرهم وروى عنه جماعة وذكر البخارى فى تاريخه الكبير انه يعد فى المصريين وذكر ابن يونس فى تاريخ المغرب انه توفى بافريقية سنة مائة وكان رجلا صالحا فاضلا رحمه الله تعالى ويذكر أهل قرطبة انه توفى بقرطبة وانه دفن بقبليها وقبره مشهور يتبرك به والله تعالى أعلم بحقيقة الامر فى ذلك *(ومن الداخلين من التابعين حيان بن أبى جبلة ذكر ابن بشكوال انه مولى قريش ويكنى أبا النضر وذكره أبو العرب محمد بن تميم فى تاريخ افريقية وقال حدث فى فرات بن محمد أن عمر بن عبد العزيز أرسل عشرة من التابعين يفقهون أهل افريقية منهم حيان بن أبى جبلة روى عن عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس وابن عمر رضى الله تعالى عنهم ويقال توفى بافريقية سنة ثنتين وعشرين ومائة وقيل سنة خمس وعشرين ومائة وذكر ابن الفرضى انه غزا مع موسى بن نصير حين افتتح الاندلس حتى انتهى الى حصن من حصونها يقال له قرقشونة فتوفى به قال وقال لنا أبو محمد النغرى بين قرقشونة وبرشلونة مسافة خمسة وعشرين ميلا وفيها الكنيسة المعظمة عندهم المسماة شنت مرية ذكر أن فيها سبع سوارى فضة خالصة لم ير الراؤن مثلها لا يحزم الانسان بذراعيه واحدة منها مع طول مفرط هكذا نقل ابن سعيد عن ذكر والله تعالى أعلم *(ومن الداخلين من التابعين فيما

ذكر المغيرة بن أبي بردة نشيط بن كنانة العذري روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ويروى عنه مالك في موطئه وذكره البخاري في تاريخه الكبير وفي كتاب الحافظ ابن بشكوال انه دخل الاندلس مع موسى بن نصير فكان موسى بن نصير يخرجه على العساكر

*(ومن التابعين حيوة بن رجاء التميمي ذكر ابن حبيب انه دخل الاندلس مع موسى بن نصير وأصحابه وانه من جملة التابعين رضي الله تعالى عنهم قاله ابن بشكوال في مجموعه المترجم بالتنبيه والتعيين لمن دخل الاندلس من التابعين قال ابن الابار وقد سمعته من أبي الخطاب بن واجب وسمعه هو منه انتهى وقال ابن الابار في موضع آخر ما صورته رجاء ابن حيوة مذكور في الذين دخلوا الاندلس من التابعين وفي ذلك عندي نظر وما أراه يصح والله تعالى أعلم انتهى فانظر هذا فانه سماه رجاء بن حيوة وذلك السابق حيوة بن رجاء فالله سبحانه أعلم بحقيقة الامر في ذلك *(ومنهم عياض بن عقبة الفهري من خيار التابعين ذكره ابن حبيب في الاربعة الذين حضروا غنائم الاندلس ولم يغلوا *(ومنهم عبد الله بن سماسة الفهري ذكر ابن بشكوال انه مضري وأن البخاري ذكره في تاريخه *(ومنهم عبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري جده عبد الرحمن أحد العشرة رضي الله تعالى عنهم وهو ممن ذكره ابن بشكوال في الاربعة من التابعين الذين لم يغلوا *(ومنهم منصور بن حزامة فيما يذكر قال ابن بشكوال قرأت في كتاب روايات الشيخ أبي عبد الله بن عائذ الراوية رحمه الله تعالى قال وممن دخل الاندلس من المعمرين ما وجدت بخط المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الناصر رضي الله تعالى عنه في بعض كتبه المختزنة انه قال طرأ علينا رجل أسود من ناحية السودان في سنة تسع وعشرين وثلثمائة فذكر انه منصور ابن حزامة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يزعم انه أدرك أيام عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وانه كان مراهقا وكان مع عائشة رضي الله تعالى عنها يوم الجمل وانه شهد صفين وأن حزامة اعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عن الاندلس في سنة ثلاثين وثلثمائة الى المغرب انتهى قلت هذا كله لا أصل له ويرحم الله تعالى حافظ الاسلام ابن حجر حيث كتب على هذا الكلام ما صورته هذا هذيان لا أصل له ولا يغتر به وكذلك ترجمة أشيخ العرب اتفق الحفاظ على كذبه انتهى قلت وما هو الا من نمط عكراش والله تعالى يحفظنا من سماع الاباطيل بمنه ومن هذه الاكاذيب ما يذكرون عن أبي الحسن علي بن عثمان بن خطاب وانه يعرف بأبي الدنيا وانه كان معمرا مشهورا بصحبة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وانه رأى جماعة من كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم ووصفهم بصفاتهم وانه رأى عائشة رضي الله تعالى عنها فيما زعم وقدم قرطبة على المستنصر الحكم ابن الناصر وهو ولي عهد وسأله أبو بكر بن القوطية عن مغازي علي وكتبها عنه وقد ذكره ابن بشكوال وغيره في كتبهم وتواريخهم فقد ذكر الثقات العارفون بالفن انه كذاب دجال ماين جاهل فاياك والاغترار بمثل ذلك مما يوجد في كتب كثير من المؤرخين بالمشرق والاندلس ولا يلتفت الى قول تميم بن محمد التجيبي انه كان اذ لقيه ابن ثلثمائة سنة وخمس سنين قال تميم واتصلت بناوفانه ببلده في نحو سنة عشرين وثلثمائة وبالجملة فلا أصل له

قوله عبد الله بن سماسة في نسخة أبو عبد الله بن شماسة اه

قوله على كذبه أي كذب ترجمة المذكور بمعنى خبره فلذا ذكر الضمير تامل اه مصححه

وانما ذكرناه للتنبيه عليه وقد عرفت بما ذكرناه التابعين الداخلين الاندلس على أن التحقيق انهم لم يبلغوا ذلك العدد وانما هم نحو خمسة أو أربعة كما ألمعنا به فى غير هذا الموضع والله تعالى أعلم * (ومن الداخلين الى الاندلس مغيث فاتح قرطبة وقد تقدم بعض الكلام عليه وذكر ابن حيان والحجارى انه رومى زاد الحجارى وليس برومى على الحقيقة وتصحيح نسبه انه مغيث بن الحرث بن الحويرث بن جبلة بن الايهم الغسانى سبى من الروم بالمشرق وهو صغير فأدبه عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد وأنجب فى الولادة وصار منه بنو مغيث الذين نجبوا فى قرطبة وسادوا وعظم بيتهم وتفرعت دوحتهم وكان منهم عبد الرحمن بن مغيث حاجب عبد الرحمن بن معاوية صاحب الاندلس وغيره ونشأ مغيث بدمشق ودخل الاندلس مع طارق فاتحها وجاز على مافى طريقها من البلاد الى الشام وقدمه طارق لفتح قرطبة ففتحها ووقع بينه وبين طارق ثم وقع بينه وبين موسى بن نصير سيد طارق فرحل معهما الى دمشق ثم عاد ظافرا عليهما الى الاندلس وانزل بقرطبة البيت المذكور وفى المسهب انه فتح قرطبة فى شوال سنة ٩٢ ثم فتح الكنيسة التى تحصن بها ملك قرطبة بعد حصار ثلاثة أشهر فى محرم سنة ٩٣ ولم يذكر له مولدا ولا وفاة وذكر الحجارى انه تأدب بدمشق مع بنى عبد الملك فأفصح بالعربية وصار يقول من الشعر والنثر ما يجوز كتبه وتدرب على الركوب وأخذ نفسه بالاقدام فى مضايق الحروب حتى تخرج فى ذلك تخرجا أهله للتقدم على الجيش الذى فتح قرطبة وكان مشهورا بحسن الرأى والكيد وقد قدمنا كيفية فتحه قرطبة وأسره ملكها الذى لم يؤسر من ملوك الاندلس غيره لان منهم من عقد على نفسه امانا ومنهم من فر الى جليقية وذكر الحجارى انه لما حصل بيده ملك قرطبة وحريمه رأى فيهن جارية كانها بين بدرين نجوم وهى تكثر التعرض له بجمالها فوكل بها من عرض عليها العذاب ان لم تقتر بما عزمت عليه فى شأن مغيث وانه قد فطن من كثرة تعرضها له بحسنها لما أضمرته من المكر فى شأنه فأقرت انها أكثرت التعرض لتقع بقلبه اذ حسنها فتان وقد أعدت له خرقة مسمومة لتمسح بها ذكره عند وقاعها فحمد الله تعالى على ما ألهمه اليه من مكرها وقال لو كانت نفس هذه الجارية فى صدر أبيها ما أخذت قرطبة من ليلة وذكر أن سليمان بن عبد الملك لما أصغى الى طارق فى شأن سيده موسى بن نصير فعذبه واستصفى أمواله أراد أن يصرف سلطان الاندلس الى طارق وكان مغيث قد تغير عليه فاستشار سليمان مغيثا فى تولية طارق وقال له كيف أمره بالاندلس فقال لو أمر أهلها بالصلاة الى أى قبلة شاءها لتبعوه ولم يروا أنهم كفروا فعملت هذه المكيدة فى نفس سليمان وبدا له فى ولايته فلقيه بعد ذلك طارق فقال له ليتك وصفت أهل الاندلس بعصيانى ولم تضمر فى الطاعة ما أضمرت فقال مغيث ليتك تركت لى العلج فتركت لك الاندلس وكان طارق قد أراد أن يأخذ منه ملك قرطبة الذى حصل فى يده فلم يمكنه منه فأغرى به سيده موسى بن نصير وقال له يرجع الى دمشق وفى يده عظيم من عظماء الاندلس وليس فى أيدينا مثله فأى فضل يكون لنا عليه فطلبه منه فامتنع من تسليمه قال ابن حيان فهجم موسى على العلج وانتزعه من مغيث فقيل له ان سرت به معك حيا

ادعاه مغيث والعلج لا ينكر ولكن اضرب عنقه ففعل فاضغنها عليه مغيث وبالغ
في اذايته عند سليمان وذكر الحجاري في المذهب ان لمغيث من الشعر ما يجوز كتبه فمن
ذلك شعر خاطب به موسى بن نصير ومولاه طارق ويكفي منه هنا قوله

أعنتكم ولكن ما وفيتم * فسوف أعيث في غرب وشرق

وعنوان طبقته في النثر أن موسى بن نصير قال له وقد عارضه بكلام في محفل من الناس كف
لسانك فقال لساني كالمفصل ما اكفه الا حيث يقتل وأضافه ابن حيان والحجاري الى ولاء ٢
الوليد بن عبد الملك وهو الذي وجهه الى الاندلس غازيا ففتح قرطبة ثم عاد الى المشرق
فاعاده الوليد رسولا عنه الى موسى بن نصير يستحثه على القدوم عليه فوفد معه فوجدوا
الوليد قد مات فخدم بعده سليمان بن عبد الملك * (ومن الداخلين أبو أيوب بن حبيب
اللخمي) ذكر ابن حيان انه ابن أخت موسى بن نصير وأن أهل اشبيلية قدموه على سلطان
الاندلس بعد قتل عبد العزيز بن موسى واتفقوا في أيامه على تحويل السلطان من اشبيلية
الى قرطبة فدخل اليها بهم وكان قيامه بامرهم ستة أشهر وقيل ان الذي نقل السلطنة من
اشبيلية الى قرطبة الحر بن عبد الرحمن الثقفي قال الرازي قدم الحر والياعلى الاندلس
في ذي الحجة سنة سبع وتسعين ومعه أربعمائة رجل من وجوه افريقية فمنهم أول طوالع
الاندلس المعدودين وقال ابن بشكوال كانت مدة الحر سنتين وثمانية أشهر وكانت
ولايته بعد قيام أبي أيوب بن حبيب اللخمي * (ومن الداخلين السمح بن مالك الخولاني
ولي الاندلس بعد الحر بن عبد الرحمن السابق قال ابن حيان ولاه عمر بن عبد العزيز وأوصاه
أن يخمس من أرض الاندلس ما كان عنوة ويكتب اليه بصفتها وأنهارها وبحارها قال
وكان من رأيه أن ينقل المسلمين عنها لانقطاعهم وبعدهم عن أهل كلمتهم قال وليت الله تعالى
أبقاه حتى يفعل فان مصيرهم مع الكفار الى بوار الا أن يستنقذهم الله تعالى برحمته وذكر
ابن حيان ان قدوم السمح كان في رمضان سنة مائة وانه الذي بنى قنطرة قرطبة بعد
ما استأذن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى وكانت دار سلطانه قرطبة قال ابن بشكوال
استشهد بأرض الفرنجة يوم التروية سنة اثنتين ومائة قال ابن حيان كانت ولايته سنتين
وثمانية أشهر وذكر انه قتل في الوقعة المشهورة عند أهل الاندلس بوقعة البلاط وكانت
جنود الافرنجة قد تكاثرت عليه فأحاطت بالمسلمين فلم ينج من المسلمين أحد قال ابن حيان
فيقال ان الاذان يسمع بذلك الموضع الى الآن * وقدم أهل الاندلس على أنفسهم بعده عبد
الرحمن بن عبد الله الغافقي وذكر ابن بشكوال انه من التابعين الذين دخلوا الاندلس وانه
يروى عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال وكانت ولايته للاندلس في حدود
العشر ومائة من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي صاحب افريقية واستشهد في قتال
العدو بالاندلس سنة خمس عشرة انتهى وفيه مخالفة لما سبق انه ولي بعد السمح
وأن السمح قتل سنة ١٠٢ وهذا يقول تولى سنة ١١٠ فأين ذا من ذا والله
تعالى أعلم ووصفه الحميدي بحسن السيرة والعدل في قسمة الغنائم وذكر الحجاري انه
ولي الاندلس مرتين وربما يجاب بهذا عن الاشكال الذي قدمناه قريبا ويضعفه أن ابن

حيان قال دخل الاندلس حين وليها الولاية الثانية من قبل ابن الحبحاب فى صفر سنة ثلاث عشرة ومائة وغزا الافرنج فكانت له فيهم وقائع جمة الى أن استشهد وأصيب عسكره فى شهر رمضان سنة ١١٤ فى موضع يعرف ببلاط الشهداء قال ابن بشكوال وتعرف غزوته هذه بغزوة البلاط وقد تقدم مثل هذا فى غزوة السمح فكانت ولايته سنة وثمانية أشهر وفى رواية سنتين وثمانية أشهر وقيل غير ذلك وكان سرير سلطانه حضرة قرطبة * وولى الاندلس بعده عنبسة بن سحيم الكلبى وذكر ابن حيان انه قدم على الاندلس واليا من قبل يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج حين كان صاحب افريقية وكان قدومه الاندلس فى صفر سنة ١٠٣ فتأخر بقدومه عبد الرحمن المتقدم الذكر قال ابن بشكوال فاستقامت به الاندلس وضبط أمرها وغزا بنفسه الى أرض الافرنجة وتوفى فى شعبان سنة ١٠٧ فكانت ولايته أربعة أعوام وأربعة أشهر وقيل ثمانية أشهر وذكر ابن حيان انه فى أيامه قام بجليقية علج خبيث يدعى بلاى فعاب على العلوج طول الفرار وأذكى قرائحهم حتى سمابهم الى طلب الثار ودافع عن أرضه ومن وقته أخذ نصارى الاندلس فى مدافعة المسلمين عما بقى بأيديهم من أرضهم والحماية عن حريمهم وقد كانوا لا يطمعون فى ذلك وقيل انه لم يبق بأرض جليقية قرية فما فوقها لم تفتح الا الصخرة التى لاذ بها هذا العلج ومات أصحابه جوعا الى أن بقى فى مقدار ثلاثين رجلا ونحو عشر نسوة ومالهم عيش الا من عسل النحل فى جباح معهم فى خروق الصخرة وما زالوا ممتنعين بوعرها الى أن أعيا المسلمين أمرهم واحتقروهم وقالوا ثلاثون علجا ما عسى أن يجىء منهم فبلغ أمرهم بعد ذلك فى القوة والكثرة والاستيلاء ما لا خفاء به * وملك بعده أذفونش جد عظماء الملوك المشهورين بهذه السمة قال ابن سعيد فأول احتقار تلك الصخرة ومن احتوت عليه الى أن ملك عقب من كان فيها المدن العظيمة حتى ان حضرة قرطبة فى يدهم الآن جبرها الله تعالى وهى كانت سرير السلطنة لعنبسة انتهى * قال ابن حيان والحجارى انه لما استشهد عنبسة قدم أهل الاندلس عليهم عزرة بن عبد الله الفهرى ولم يعده ابن بشكوال فى سلاطين الاندلس قال ثم تتابعت ولاة الاندلس مرسلين من قبل صاحب افريقية أولهم يحيى ابن سلمة وذكر الحجارى أن عزرة كان من صلحائهم وفرسانهم وصار لعقبه نباهة وولده هشام بن عزرة هو الذى استولى على طليطلة قصبة الاندلس وفى عقبه بوادى آش من مملكة غرناطة نباهة وأدب قال ابن سعيد وهم الى الآن ذوو بيت موصل ومجد موئل وكان سرير سلطانة عزرة قرطبة * وولى بعده يحيى بن سلمة الكلبى قال ابن بشكوال أنفذه الى الاندلس بشر بن صفوان الكلبى والى افريقية اذ استدعى منه أهلها واليا بعد مقتل أميرهم عنبسة فقدمها فى شوال سنة سبع ومائة وأقام عليها سنة وستة أشهر لم يغز فيها بنفسه غزوة ونحوه لابن حيان وكان سريره قرطبة * وتولى بعده عثمان بن أبى نسعة الجذامى وذكر ابن بشكوال انه قدم عليها واليا من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمى صاحب افريقية فى شعبان سنة عشر ومائة ثم عزل سريعا بعد خمسة أشهر وكان سرير سلطانه بقرطبة وولى بعده حذيفة بن الاحوص القيسى قال ابن بشكوال وانى اليها

قوله الاحوص فى نسخة الاخوص بالخاء المعجمة اه

والياما من قبل عبيدة المذكور على اختلاف فيه وفى ابن أبى نسعة أيهما تولى قبل صاحبه وكان قدوم حذيفة فى ربيع الاول سنة عشر ومائة وعزل عنها سريعا أيضا وقيل ان ولايته استقت سنة وكان بقرطبة * وولى بعده الاندلس الهيثم بن عدى الكلابى قال ابن بشكوال ولاه عبيدة المذكور فوافى الاندلس فى المحرم سنة احدى عشرة ومائة وقيل انه ولى سنتين وأياما وقد قيل أربعة أشهر وكان بقرطبة * وولى بعده محمد بن عبد الله الاشجعى قال ابن بشكوال قدمه الناس عليهم وكان فاضلا فصلى بهم شهرين * قال ثم قدم عليهم واليا عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى الذى تقدمت ترجمته وذكرت ولايته الاولى للاندلس وليها من قبل عبيد الله بن الحبحاب صاحب افريقية الى أن استشهد كما تقدم * وولى الاندلس بعده عبد الملك بن قطن الفهرى وذكر الجارى أن من نسله بنى القاسم أصحاب البونت وبنى الجد أعيان اشبيلية قال ابن بشكوال قدم الاندلس فى شهر رمضان سنة أربع عشرة ومائة فكانت مدة ولايته عامين وقيل أربع سنين ثم عزل عنها ذميما فى شهر رمضان سنة ست عشرة ومائة قال وكان ظلوما فى سيرته جائرا فى حكومته وغزا أرض البشكنس فأوقع بهم وذكر ابن بشكوال انه لما عزل وولى عقبة بن الحجاج وثب ابن قطن عليه فخلعه لا أدرى أقتله أم أخرجه وملك الاندلس بقية احدى وعشرين ومائة الى أن رحل بلج بن بشر بأهل الشام الى الاندلس فغلبه عليها وقتل عبد الملك بن قطن وصلب فى ذى القعدة سنة ثلاث وعشرين ومائة بعد ولاية بلج بعشرة أشهر وصلب بصحراء ربض قرطبة بعدوة النهر حيال رأس القنطرة وصلبوا عن يمينه خنزيرا وعن يساره كلبا وأقاموا على جذعه الى أن سرقه مواليه بالليل وغيبوه فكان المكان بعد ذلك يعرف بمصلب ابن قطن فلما ولى ابن عمه يوسف بن عبد الرحمن الفهرى استأذنه ابنه أمية بن عبد الملك وبنى فيه مسجدا نسب اليه فقيل مسجد أمية وانقطع عنه اسم المصلب وكان سن عبد الملك عند مقتله نحو التسعين وذكر ابن بشكوال أن عقبة بن الحجاج السلولى ولاه عبيد الله بن الحبحاب صاحب افريقية الاندلس ودخلها سنة سبع عشرة ومائة وقيل فى السنة التى قبلها فأقام بها سنين محمود السيرة مثابرا على الجهاد مفتتحا للبلاد حتى بلغ سكنى المسلمين أربونة وصار رباطهم على نهر دونة فأقام عقبة بالاندلس سنة احدى وعشرين ومائة وكان قد اتخذ بأقصى ثغر الاندلس الاعلى مدينة يقال لها أربونة كان ينزلها للجهاد وكان اذا أسر الاسير لم يقتله حتى يعرض عليه الاسلام ويبين له عيوب دينه فأسلم على يده ألف رجل وكانت ولايته خمس سنين وشهرين قال الرازى فثار أهل الاندلس بعقبة فخلعوه فى صفر سنة ثلاث وعشرين فى خلافة هشام بن عبد الملك وولوا على أنفسهم عبد الملك بن قطن وهى ولايته الثانية فكانت ولاية عقبة الاندلس ستة أعوام وأربعة أشهر وتوفى فى صفر سنة ١٢٣ وسيره قرطبة * (ومن الداخلين الى الاندلس بلج بن بشر بن عياض القشيرى قال ابن حيان لما انتهى الى الخليفة هشام بن عبد الملك ما كان من أمر خوارج البربر بالمغرب الاقصى والاندلس وخلعهم لطاعته وعيثهم فى الارض شق عليه فعزل عبيد الله بن الحبحاب عن افريقية وولى عليها كلثوم بن عياض القشيرى ووجه

معه جيشا كثيفا لقتالهم كان فيه مع ما انضاف اليه من جيوش البلاد التى صار عليها سبعون ألفا ومع ذلك فانه لما تلاقى مع ميسرة البربرى المدعى للخلافة هزمه ميسرة وجرح كلثوم ولاذ ببسبتة وكان بلج ابن أخيه معه فقامت قيامة هشام لما سمع بما جرى عليه فوجه لهم حنظلة بن صفوان فاوقع بالبربر وفتح الله تعالى على يديه ولما اشتد حصار بلج وعمه كلثوم ومن معهما من فل أهل الشام ببسبتة وانقطعت عنهم الاقوات وبلغوا من الجهد الى الغاية استغاثوا باخوانهم من عرب الاندلس فتثاقل عنهم صاحب الاندلس عبد الملك بن قطن لخوفه على سلطانه منهم فلما شاع خبر ضرهم عند رجال العرب أشفقوا عليهم فاغاثهم زياد ابن عمرو اللخمى بمركبين مشحونين ميرة أمسكا من أرماقهم فلما بلغ ذلك عبد الملك بن قطن ضربه سبعمائة سوط ثم اتهمه بعد ذلك بتغريب الجند عليه فسمل عينيه ثم ضرب عنقه وصلب عن يساره كلبا واتفق فى هذا الوقت أن برابر الاندلس لما بلغهم ما كان من ظهور برابر العدوة على العرب انتقضوا على عرب الاندلس واقتدوا بما فعله اخوانهم ونصبوا عليهم اماما فكثر ايقاعهم بجيوش ابن قطن واستفحل أمرهم فخاف ابن قطن أن يلقى منهم ما لقى العرب ببر العدوة من اخوانهم وبلغه انهم قد عزموا على قصده فلم ير أجدى من الاستعداد بصعاليك عرب الشام أصحاب بلج الموتورين فكتب لبلج وقدمات عمه كلثوم فى ذلك الوقت فأسرعوا الى اجابته وكانت أمنيتهم فأحسن اليهم وأسبغ النعم عليهم وشرط عليهم أن ياخذ منهم رهائن فاذا فرغوا له من البربر هزمهم الى افريقية وخرجوا له عن أندلسه فرضوا بذلك وعاهدوه عليه فقدم عليهم وعلى جنده ابنيه قطنا وأمية والبربر فى جموع لا يحصيها غير رازقها فاقتتلوا قتالا صعب فيه المقام الى ان كانت الدائرة على البربر فقتلتهم العرب بأقطار الاندلس حتى ألحقوا فلهم بالثغور وخفوا عن العيون فكثر الشاميون وقد امتلأت أيديهم من الغنائم فاشتدت شوكتهم وثابت همتهم وبطروا ونسوا العهود وطالبهم ابن قطن بالخروج عن الاندلس الى افريقية فتعللوا عليه وذكروا صنيعه بهم أيام انتصارهم فى سبتة وقتله الرجل الذى أغاثهم بالميرة فخلعوه وقدموا على أنفسهم أميرهم بلج بن بشر وتبعه جند ابن قطن وحملوا عليه فى قتال ابن قطن فأبى فثارت اليمانية وقالوا قد سميت لضرك والله لا نطيعك فلما خاف تفرق الكلمة أمر بابن قطن فأخرج اليهم وهو شيخ كبير كفرخ نعامة قد حضر وقعة الحرة مع أهل اليمامة فجعلوا يسبونه ويقولون له أقلت من سيوفنا يوم الحرة ثم طالبتنا بتلك الترة فعرضتنا لاكل الكلاب والجلود وحبستنا ببسبتة محبس الضنك حتى أمتنا جوعا فقتلوه وصلبوه كما تقدم وكان أمية وقطن ابناه عند ما خلع قد هربا وحشد الطلب الثار واجتمع عليهما العرب الاقدمون والبربر وصار معهم عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى كبير الجند وكان فى أصحاب بلج فلما صنع بابن عمه عبد الملك ما صنع فارقه فانحاز فيمن يطلب ثاره وانضم اليهم عبد الرحمن ابن علقمة اللخمى صاحب أربونة وكان فارس الاندلس فى وقته فأقبلوا نحو بلج فى مائة ألف أو يزيدون وبلج قد استعد لهم فى مقدار اثنى عشر ألفا سوى عبيده كثيرة وأتباع من البلديين فاقتتلوا وصبر أهل الشام صبرا لم يصبر مثله أحد قط وقال عبد الرحمن بن علقمة

قوله بتغريب الجند فى بعض النسخ بتضريب ولعله محرف عن تحزيب وليحرر اه مصححه

القيسي أروني بلجا فوالله لا قتلنه أو لاموتن دونه فأشاروا اليه فحمل بأهل الثغر حملة انفرج لها الشاميون والراية في يده فضربه عبد الرحمن ضربتين مات منهما بعد ذلك بأيام قلائل ثم ان البلديين انهزموا بعد ذلك هزيمة قبيحة واتبعهم الشاميون يقتلون ويأسرون فكان عسكرا منصورا مقتولا أميره وكان هلاك بلج في شوال سنة أربع وعشرين ومائة وكانت مدته أحد عشر شهرا وسيره قرطبة والعرب الشاميون الداخلون معه الى الاندلس يعرفون عند أهل الاندلس بالشاميين والذين كانوا في الاندلس قبل دخوله يشهرون بالبلديين * ولما هلك بلج قدم الشاميون عليهم بالاندلس ثعلبة بن سلامة العاملي وقد كان عندهم عهد الخليفة هشام بذلك فسار فيهم بأحسن سيرة ثم ان أهل الاندلس الاقدمين من العرب والبربر هموا بعد الوقعة لطلب الثار فأكل أمره معهم الى أن حصروه بمدينة ماردة وهم لا يشكون في الظفر الى أن حضر عيد تشاغلوا به فأبصر ثعلبة منهم غرة وانتشارا وأشرا بكثرة العدد والاستيلاء فخرج عليهم في صبيحة عيدهم وهم ذاهلون فهزمهم هزيمة قبيحة وأفشى فيهم القتل وأسر منهم ألف رجل وسبى ذريتهم وعيالهم وأقبل الى قرطبة من سبيهم بعشرة آلاف أو يزيدون حتى نزل بظاهر قرطبة يوم خميس وهو يريد أن يحمل الاسارى على السيف بعد صلاة الجمعة وأصبح الناس منتظرين لقتل الاسارى فاذا بهم قد طلع عليهم لواء فيه موكب فنظروا فاذا أبو الخطار قد أقبل واليا على الاندلس وهو أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي وذكر ابن حيان انه قدم واليا من قبل حنظلة بن صفوان صاحب افريقية والخليفة حينئذ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وذلك في رجب سنة خمس وعشرين ومائة بعد عشرة أشهر وليها ثعلبة بن سلامة قال وكان مع فروسيته شاعرا محسنا وكان في أول ولايته قد أظهر العدل فدانت له الاندلس الى أن مالت به العصبية اليمانية على المضرية فنهاج الفتنة العمياء وكان سبب هذه الفتنة أن أبا الخطار بلغ به التعصب لليمانية أن اختصم عنده رجل من قومه مع خصم له من كنانة كان أبلج حجة من ابن عم أبي الخطار فمال أبو الخطار مع ابن عمه فأقبل الكناني الى الصميل بن حاتم الكلابي أحد سادات مضر فشكا له حيف أبي الخطار وكان أبيا للضيم حاميا للعشيرة فدخل على أبي الخطار وأمض عتابه فنجهه أبو الخطار وأغلظ له فردّ الصميل عليه فأمر به أبو الخطار فأقيم ودعق قفاه حتى مالت عمامته فلما خرج قال له بعض من على الباب أبا جوشن ما بال عمامتك مالت فقال ان كان لي قوم فسيقيمونها وأقبل الى داره فاجتمع اليه قومه حين بلغهم ذلك متعضين فباتوا عنده فلما أظلم الليل قال ما رأيكم فيما حدث علي فانه منوط بكم فقالوا أخبرنا بما تريد فان رأينا تبع رأيك فقال أريد والله اخراج هذا الاعرابي من هذا السلطان على ما خيلت وأنا خارج لذلك عن قرطبة فانه ما يمكنني ما أريد الا بالخروج فالى أين ترون أقصد فقالوا اذهب حيث شئت ولا تأت أبا عطاء القيسي فانه لا يوالي لك على أمر ينفعك وكان أبو عطاء هذا سيدا مطاعا يسكن باستجة وكان مشاحنا للصميل مساميا له في القدر فسكت عند ذكره أبو بكر بن الطفيل العبدري وكان من أشرافهم الا انه كان حدث السن فقال له الصميل ألا تتكلم فقال أتكلم بواحدة ما عندي غيرها قال وما هي

قال ان عدوت اتيان أبي عطاء وشتت أمرك لم يتم أمر ناوه لكنا وان أنت قصدته لم يتظر في شيء مما سلف بينكما وحركته الحمية لك فأجابك الى ماتريد فقال له الصميل أصبت الرأى وخرج من ليلته وقام أبو عطاء في نصرته على ما قدره العبدى وعمد الى نوابة بن يزيد الجذامى أحد أشراف اليمن وساداتهم وكان ساكنا بوورو وقد استفسد اليه أبو الخطار فأجابه حا في القيام والتقدم على المضرية فاجتمعوا في شدونة وآل الامر الى أن هزموا أبا الخطار على وادى لكة وحصل أسيرا في أيديهم فأرادوا قتله ثم أرجؤه وأوثقوه وأقبلوا به الى قرطبة وذلك في رجب سنة ١٢٧ بعد ولاية أبي الخطار بسنتين وما سجن أبو الخطار في قرطبة امتعض له عبد الرحمن بن حسان الكلبي فأقبل الى قرطبة ليلا في ثلاثين فارسا معهم طائفة من الرجالة فهجموا على الحبس وأخرجوه عنه ومضوا به الى غرب الاندلس فعاد في طلب سلطانه ودب في يمانيته حتى اجتمع له عسكر أقبل بهم الى قرطبة فخرج اليه نوابة ومعه الصميل فقام رجل من المضرية لبلا فصاح بأعلى صوته يامعشر اليمن مالكم تتعرضون الى الحروب وتردون المنايا عن أبي الخطار أليس قد قدرنا عليه لو أردنا قتله لفعلنا لكننا منا وعفونا وجعلنا الامير منكم أفلا تفكرون في أمركم فلو أن الامير من غيركم عذرتم ولا والله لا نقول هذا رهبة منكم ولا خوفا لحربكم ولكن تحرجا عن الدماء ورغبة في عاقبة العامة فتسامع الناس به وقالوا صدق فتداعوا للرحيل ليلا فما أصبحوا الا على أميال

قال الرازى ركب أبو الخطار البحر من ناحية تونس في المحرم سنة ١٢٥ وفي كتاب ابى الوليد بن الفرضى كان أبو الخطار أعرابيا عصبيا أفرط في التعصب لليمانيين وتحامل على مضر وأسخط قيسا فثاروا به زعيمهم الصميل فخلعه ونصب مكانه نوابة وهاج بين الفريقين الحروب المشهورة وخلع أبو الخطار بعد أربع سنين وتسعة أشهر وذلك سنة ١٢٨ وآل أمره الى أن قتله الصميل وولى الاندلس نوابة بن سلامة الجذامى قال ابن بشكوال لما اتفقوا عليه خاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب صاحب القيروان فكتب اليه بعهد الاندلس وذلك سلخ رجب سنة ١٢٧ فضبط البلد وقام بأمره كله الصميل واجتمع عليه أهل الاندلس وأقام واليا سنة أو نحوها ثم هلك وفي كتاب ابن الفرضى انه ولى سنتين ثم ولى الاندلس يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى وجده عقبة بن نافع صاحب افريقية وباني القيروان المجاب الدعوة صاحب الغزوات والآثار الحميدة ولهذا البيت في السلطنة بافريقية والاندلس نباهة وذكر الرازى أن مولده بالقيروان ودخل أبوه الاندلس من افريقية مع حبيب بن أبي عبيدة الفهرى عند افتتاحهم ثم عاد الى افريقية وهرب عنه ابنه يوسف هذا من افريقية الى الاندلس مغاضبا له فهوى الاندلس واستوطنها فسادبها قال الرازى كان يوسف يوم ولى الاندلس ابن سبع وخمسين سنة وأقامه أهل الاندلس بعد أميرهم نوابة وقد مكثوا بغير وال أربعة أشهر فاجتمعوا عليه باشارة الصميل من أجل انه قرشي رضي به الجميع فرفعوا الحرب ومالوا الى الطاعة فدانت له الاندلس تسع سنين وتسعة أشهر وقال ابن حيان قدمه أهل الاندلس في ربيع الآخر سنة ١٢٩ واستبد بالاندلس دون ولاية أحد له غير من بالاندلس

وحكى ابن حيان أنه أنشد قول حرقة بنت النعمان بن المنذر يوم خلعه بالامان من سلطانه ودخوله عسكر عبد الرحمن الداخل المروانى

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

قال ابن حيان لما سمع أبو الخطار بتقديمه حرك يمانيته فأجابوا دعوته فأدى ذلك الى وقعة شقندة بين اليمانية والمضرية فيقال انه لم يك بالمشرق ولا بالمغرب حرب أصدق منها جلادا ولا أصبر رجالا طال صبر بعضهم على بعض الى أن فنى السلاح وتجاذبوا بالشعور وتلاطموا بالايدى وكل بعضهم عن بعض وثابت للصميل غرة فى اليمانية فى بعض الايام فأمر بتحريك أهل الصناعات بأسواق قرطبة فخرجوا فى نحو أربعمائة رجل من أنجادهم بما حضرهم من السكاكين والعصى ليس فيهم حامل رمح ولا سيف الا قليلا فرماهم على اليمانية وهم على غفلة وما فيهم من يبسط يد القتال ولا ينهض لدفاع فانهزمت اليمانية ووضعت المضرية السيف فيهم فأبادوا منهم خلقا واختفى أبو الخطار تحت سرير رحى فقبض عليه وجىء به الى الصميل فضرب عنقه وقد ذكرنا خبر انخلاع يوسف عن سلطانه فى ترجمة عبد الرحمن الداخل وهو آخر سلاطين الاندلس الذين ولوها من غير موارثة حتى جاءت الدولة المروانية وذكر ابن حيان أن القائم بدولة يوسف والمستولى عليها الصميل بن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن الكلابى وجده شمر هو قاتل الحسين رضى الله تعالى عنه وكان شمر قد فر من المختار بولده من الكوفة الى الشام فلما خرج كانوم بن عياض للمغرب كان الصميل فيمن خرج معه ودخل الاندلس فى طالعة بلج وكان شجاعا جوادا جسورا على قلب الدول فبلغ ما بلغ وآل أمره الى أن قتله عبد الرحمن الداخل المروانى فى سجن قرطبة مخنوقا وذكر ابن حيان انه كان ممن ثار على يوسف الفهرى عبد الرحمن بن علقمة اللخمى فارس الاندلس ووالى ثغر أربونة وكان ذا بأس شديد وشجاعة عظيمة فبينما هو فى تدبير غزو يوسف اذ اغتاله أصحابه وأقبلوا برأسه اليه ثم ثار عليه بعد ذلك بمدينة باجة عروة بن الوليد فى أهل الذمة وغيرهم فملك اشبيلية وكثر جمعه الى أن خرج له يوسف فقتله وثار عليه بالجزيرة الخضراء عامر العبدرى فخرج له وأنزله على أمان فى سكنى قرطبة ثم ضرب عنقه بعد ذلك وقيل ان أول من خرج على يوسف عمرو بن يزيد الازرق فى اشبيلية فظفر به فقتله وثار عليه فى كورة سرقسطة الحباب الزهرى الى أن ظفر به يوسف فقتله ثم جاءته الداهية العظمى بدخول عبد الرحمن بن معاوية المروانى الى الاندلس وسعيه فى افساد سلطانه فتم له ما أراده والله تعالى أعلم *(ومن الداخلين من المشرق الى الاندلس ملكها عبد الرحمن بن معاوية ابن أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالداخل وذلك انه لما أصاب دولتهم ما أصاب واستولى بنو العباس على ما كان بأيديهم واستقر قدمهم فى الخلافة فر عبد الرحمن الى الاندلس فنال بها ملكا أورثه عقبه حقبة من الدهر قال ابن حيان فى المقتبس انه لما وقع الاختلال فى دولة بنى أمية والطلب عليهم فر عبد الرحمن ولم يزل فى فراره منتقلا بأهله وولده الى أن حل بقرية على الفرات ذات شجر وغياض يريد المغرب لما حصل فى خاطره من بشرى مسلمة فحاكى عنه أنه قال انى لجالس يوما فى تلك القرية فى ظلمة بيت

توارت فيه لرمد كان بي وابني سليمان بكر ولدي يلعب قدامي وهو يومئذ ابن أربع سنين أو نحوها اذ دخل الصبي من باب البيت فازعابا يكا فأهوى الى حجري فجعلت أدفعه لما كان بي ويأبى الا التعلق وهو دهش يقول ما يقوله الصبيان عند الفزع فخرجت لانظر فاذا بالروع قد نزل بالقرية ونظرت فاذا برايات السود عليها منحطة وأخي لي حدث السن كان معي يشتد هاربا ويقول لي النجاء يا أخي فهذه رايات المسودة فضربت بيدي على دنانيري تناولتها وتجوت بنفسي والصبي أخي معي واعمات اخواتي بتوجهي ومكان مقتصدي وأمرتهن أن يلحقنني ومولاي بدر معهن وخرجت فكمنت في موضع ناء عن القرية قيما كان الا ساعة حتى أقبلت الخيل فأحاطت بالدار فلم تجد أثرا ومضيت ولحقني بدر فأتيت رجلا من معارف بشط الفرات فأمرته أن يبتاع لي دواب وما يصلح لسفري فدل على عبد سوء له العامل فغار علينا الاجلبة الخيل تحفزنا فاشتددنا في الهرب فسبقناها الى الفرات فرمينا فيه بأنفسنا والخيل تنادينا من الشط ارجعا لا بأس عليكما فسبحت حاثا لنفسي وكنت أحسن السبح وسبح الغلام أخي فلما قطعنا نصف الفرات قصر أخي ودهش فالتفت اليه لاقوي من قلبه واذا هو قد أصغى اليهم وهم يخدعونه عن نفسه فنادينه تقتل يا أخي الي الي فلم يسمعني واذا هو قد اغتر بامانهم وخشي الغرق فاستعجل الانقلاب نحوهم وقطعت انا الفرات وبعضهم قد هم بالتجرد للسباحة في اثري فاستكفه أصحابه عن ذلك فتركوني ثم قدموا الصبي أخي الذي صار اليهم بالامان فضربوا عنقه ومضوا برأسه وأنا أنظر اليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة فاحتملت فيه ثكلا ملأني مخافة ومضيت الى وجهي أحسب أني طائر وأنا ساع على قدمي فلجأت الى غيضة أشبة فتواريت فيها حتى انقطع الطلب ثم خرجت هاربا أؤم المغرب حتى وصلت الى افريقية قال ابن حيان وسار حتى أتى افريقية وقد ألحقت به أخته شقيقته أم الاصبغ مولاه بدرا ومولاه سالما ومعهما دنانير للنفقة وقطعة من جوهر فنزل بافريقية وقد سبقه اليها جماعة من فل بني أمية وكان عندها عبد الرحمن بن حبيب الفهري يهودي حدثاني صحب مسلمة بن عبد الملك وكان يتكهن له ويخبره بتغلب القرشي المرواني الذي هو من أبناء ملوك القوم واسمه عبد الرحمن وهو ذو ضفيرتين يملك الاندلس ويورثها عقبه فاتخذ الفهري عند ذلك ضفيرتين أرسلهما رجاء أن تناله الرواية فلما جيء بعبد الرحمن ونظر الى ضفيرتيه قال لليهودي ويحك هذا هو وأنا قاتله فقال له اليهودي انك ان قتلته فما هو به وان غلبت على تركه انه لهو وثقل فل بني أمية على ابن حبيب صاحب افريقية فطرد كثيرا منهم مخافة وتجنى على ابنين للوليد بن يزيد كانا قد استجارا به فقتلهما وأخذ مالا كان مع اسمعيل بن ابان بن عبد العزيز بن مروان وغلبه على أخته فتزوجها بكرهه وطلب عبد الرحمن فاستخفى انتهى وذكر ابن عبد الحكم أن عبد الرحمن الداخل أقام ببرقة مستخفيا خمس سنين وآل أمره في سفره الى أن استجار ببني رستم ملوك تيهرت من المغرب الاوسط وتقلب في قبائل البربر الى أن استقر على البحر عند قوم من زناتة وأخذ في تجهيز بدر مولاه الى العدوة للاندلس لموالي بني أمية وشيعتهم بها وكانت الموالي المروانية المدونة بالاندلس في ذلك الاوان ما بين الاربعمائة والخمسمائة ولهم

جرة وكانت رياستهم الى شخصين أبي عثمان عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد وهما من موالي عثمان رضي الله تعالى عنه وكانا يتوليان لواء بني أمية يعتقبان حمله ورياسة جند الشام النازلين بكورة البيرة فعبر بدر مولى عبد الرحمن الى أبي عثمان بكتاب عبد الرحمن يذكره فيه أيادي سلفه من بني أمية وسببه بهم ويعرفه مكانه من السلطان وسعيه لنيله اذ كان الامر لجده هشام فهو حقيق بوراثته ويسأله القيام بشأنه وملاقاة من يثق به من الموالي الاموية وغيرهم ويتلطف في ادخاله الى الاندلس ليبلي عذرا في الظهور عليها ويعده باعلاء الدرجة ولطف المنزلة ويأمره أن يستعين في ذلك بمن يأمنه ويرجو قيامه معه ويأخذ فيه مع اليمانية ذوي الحنق على المضرية لما بين الحيين من الترات فمشى أبو عثمان لما دعاه اليه وبانت له فيه طماعية وكان عند ورود بدر قد تجهز الى ثغر سرقسطة لنصرة صاحبها الصميل بن حاتم وجه دولة يوسف بن عبد الرحمن صاحب الاندلس فقال لصهره عبد الله بن خالد المذكور لو كنا ذاكرنا الصميل خبر بدر وما جاءه لنختبر ما عنده في موافقتنا وكانا على ثقة في انه لا يظهر على سرهما أحد المروءته وانفته فقال له ان نحن فعلنا لم نأمن من أن تدرك الغيرة على سلطان يوسف لما هو عليه من شرف القدر وجلالة المنزلة فيتوقع سقوط رياسته فلا يساعدنا قال أبو عثمان فمسح اذا على أمره ونذكره انه قصد لارادة الايواء والامان وطلب أخماس جده هشام لديننا ليتعيش بها لا يريد غير ذلك فاتفقا على هذا فلما دعا الصميل خلوا به في ذلك وقد ظهر لهما منه حقد على صاحبه يوسف في ابطائه عن امداده لما حاربه الحباب الزهري بكورة سرقسطة فقال لهما انا معكما فيما تحبان فاكتبا اليه أن يعبر فاذا حضر سألنا يوسف أن ينزله في جواره وأن يحسن له ويزوجه بابنته فان فعل والا ضربنا صلعته بأسيافنا وصرفنا الامر عنه اليه فشكراه وقبلا يده ثم ودعاه وأقام بطليطلة وقد ولاه يوسف عليها وعزله عن الثغر وانصرفا الى وطنهما بالبيرة وقد كانا القيا من كان معهما في العسكر من وجوه الناس وثقاتهم فطار حاهم أمر ابن معاوية ثم دسا في الكور الى ثقاتهما بمثل ذلك فدب أمره فيهم دبيب النار في الجمر وكانت سنة خلف بالاندلس بعد خروج من الجماعة التي دامت بالناس وفي رواية ان الصميل لان لهما في أن يطلب الامر عبد الرحمن الداخل لنفسه ثم دبر ذلك لما انصرفا فتراجع فيه فردهما وقال اني رويت في الامر الذي أردته معكما فوجدت الفتى الذي دعوتماني اليه من قوم لو بال أحدهم بهذه الجزيرة غرقنا نحن وأنتم في بوله وهذا رجل تتحكم عليه ونميل على جوانبه ولا يعنا بدل منه ووالله لو بلغتما بيوتكما ثم بدا لي فيما فارقتكما عليه لرأيت أن لا أقصر حتى القاكما ثلاثا أغز كما من نفسي فاني أعلمكما أن أول سيف يسل عليه سيفي فبارك الله لكما في رأيكما فقبلا له ما لنا رأي الا رأيك ولا مذهب لنا عنك ثم انصرفا عنه على أن يعينهما في أمره ان طلب غير السلطان وانفصلا عنه الى البيرة عازمين على التصميم في امره وينما من مضر وربيعة ورجعا الى اليمانية وأخذا في تهييج أحقاد أهل اليمن على مضر فوجداهم قوما قد وغرت صدورهم عليهم يتمنون شيأ يجدون به السبيل الى ادراك ثارهم واغتنما بعد يوسف صاحب الاندلس في الثغر وغيبة الصميل فابتاعا مركبا ووجها فيه احد عشر رجلا منهم مع

بدر الرسول وفيهم تمام بن علقمة وغيره وكان عبد الرحمن قد وجه خاتمه الى موالية فكتبوا تحت ختمه الى من يرجونه فى طلب الامر فبثوا من ذلك فى الجهات مادب به أمرهم ولما وجه أبو عثمان المركب المذكور مع شيعته ألفوه بشط مغيلة من بلاد البربر وهو يصلى وكان قد اشتد قلقه وانتظاره لبدر رسوله فبشره بدر بتمكن الامر وخرج اليه تمام مكثر التبشيره فقال له عبد الرحمن ما اسمك قال تمام قال وما كنيتك قال أبو غالب فقال الله أكبر الآن تم أمرنا وغلبنا بحول الله تعالى وقوته وأدنى منزلة أبى غالب لما ملك ولم يزل حاجبه حتى مات عبد الرحمن وبادر عبد الرحمن بالدخول الى المركب فلما هم بذلك أقبل البربر فتعرضوا دونه ففرقت فيهم من مال كان مع تمام صلات على أقدارهم حتى لم يبق أحد حتى أرضاه فلما صار عبد الرحمن بداخل المركب أقبل عات منهم لم يكن أخذ شيأ فتعلق بحبل الهودج يعقل المركب فحول رجل اسمه شاكريده بالسيف فقطع يد البربرى وأعانتهم الريح على التوجه بمركبهم حتى حلوا بساحل البيرة فى جهة المنكب وذلك فى ربيع الآخر سنة ١٣٨ فأقبل اليه نقباء أبو عثمان وصهره أبو خالد فنقلاه الى قرية طرش منزل أبى عثمان فجاءه يوسف بن بخت وانثال عليه الاموية وجاءه جدران بن عمرو المذحجى من أهل مالقة فكان بعد ذلك قاضيه فى العساكر وجاءه أبو عبدة حسان بن مالك الكلبى من اشبيلية فاستوزره وانثال عليه الناس انثيالا فقوى أمره مع الساعات فضلا عن الايام وأمده الله تعالى بقوة عالية فكان دخوله قرطبة بعد ذلك بسبعة أشهر وكان خبر دخوله للاندلس قد صادف صاحبها يوسف الفهرى بالثغر وقد قبض على الحباب الزهرى الثائر بسرقسطة وعلى عامر العبدرى الثائر معه فبينما هو بوادى الرمل بقربة من طليطلة وقد ضرب عنق عامر العبدرى وابن عامر برأى الصميل اذ جاءه قبل أن يدخل رواقه رسول يركض من عند ولده عبد الرحمن بن يوسف من قرطبة يعلمه بأمر عبد الرحمن ونزوله بساحل جند دمشق واجتماع الموالى المروانية اليه وتشوف الناس لامره فانتشر الخبر فى العسكر لوقته وشمت الناس بيوسف لقتله القرشيين عامرا وابنه وختره بعهدهما فسارع عدد كثير الى البدار لعبد الرحمن الداخل وتنادوا بشعارهم وقوضوا عن عسكره واتفق أن جادت السماء بوابل لا عهد بمثله لما شاء الله تعالى من التضييق على يوسف فأصبح وليس فى عسكره سوى غلمانه وخاصته وقوم الصميل قيس وأتباعه فأقبل الى طليطلة وقال للصميل ما الرأى فقال بادره الساعة قبل أن يغلظ أمره فانى لست آمن عليك هؤلاء اليمانية لحنقهم علينا فقال له يوسف أتقول ذلك ومع من نسير اليه وأنت ترى الناس قد ذهبوا عنا وقد انفضضنا من المال وأنضينا الظهر ونكبتنا الجماعة فى سفرتنا هذه ولكن نسير الى قرطبة فنستأنف الاستعداد له بعد أن تنظر فى أمره ويتبين لنا خبره فلعله دون ما كتب الينا فقال الصميل الرأى ما أشرت به عليك وليس غيره وسوف تتبين غلطك فيما تذكره ومضوا الى قرطبة وسار عبد الرحمن الداخل الى اشبيلية وتلقاه رئيس عربها أبو الصباح بن يحيى اليحصبى واجتمع الرأى على أن يقصدوا به دار الامارة قرطبة فلما نزلوا بطشانة قالوا كيف نسير بأمير لا لواء له ولا علم نهتدى اليه فجاؤا بقناة وعمامة ليعقدوها عليه فكرهوا أن يميلوا القناة لتعقد تطيرا

فأقاموها بين زيتونتين متجاورتين فصعد رجل فرع احداهما فعقد اللواء والقناة قائمة كما سيأتي وحكى أن فرقدا العالم صاحب الحدثان مر بذلك الموضع فنظر الى الزيتونتين فقال سيعقد بين هاتين الزيتونتين لواء لامير لا يثور عليه لواء الا كسره فكان ذلك اللواء يعقد به هو وولده من بعده ولما أقبل الى قرطبة خرج له يوسف وكانت الجماعة توالت قبل ذلك ست سنين فأورثت أهل الاندلس ضعفا ولم يكن عيش عامة الناس بالعسكر ما عدا أهل الطاقة فخرجوا من اشبيلية الا القول الاخضر الذى يجدونه فى طريقهم وكان الزمان زمان ربيع فسمى ذلك العام عام الخلف وكان نهر قرطبة حائلا فسار يوسف من قرطبة وأقبل ابن معاوية على بر اشبيلية والنهر بينهما فلما رأى يوسف تصميم عبد الرحمن الى قرطبة رجع مع النهر محذيا له فتسايروا والنهر حاجز بينهما الى أن حل يوسف بصحراء الصارة غربى قرطبة وعبد الرحمن فى مقابلته وتراسلا فى الصلح وقد أمر يوسف بذبح الجزر وتقدم بعمل الاطعمة وابن معاوية أخذ فى خلاف ذلك قد أعد للحرب عدتها واستكمل أهبتها وسهر الليل كله على نظام أمره كما سنذكره ثم انهزم اهل قرطبة وظفر عبد الرحمن الداخل ونصر نصرا لا كفاء له وانهزم الصميل وفر الى شوذر من كورة جيان وفر يوسف الى جهة ماردة وذكر أن أبا الصباح رئيس اليمانية قال لهم عند هزيمة يوسف يا معشر يمن هل لكم الى فتحين فى يوم قد فر غنا من يوسف وصميل فلنقتل هذا الفتى المقدامة ابن معاوية فيصير الامر لنا نتقدم رجلا منا ونحل عنه المضربة فلم يجبه أحد لذلك وبلغ الخبر عبد الرحمن فأسرها فى نفسه الى أن اغتاله بعد عام فقتله ولما انفضت الهزيمة أقام ابن معاوية بظاهر قرطبة ثلاثة أيام حتى أخرج عيال يوسف من القصر وعف وأحسن السيرة ولما حصل بدار الامارة وحل محل يوسف لم يستقر به قرار من افلات يوسف والصميل فخرج فى أثر عدوه واستخلف على قرطبة القائم بأمره أبا عثمان واستكتب كاتب يوسف أمية بن زياد واستنام اليه اذ كان من موالى بنى أمية ونهض فى طلب يوسف فوقع يوسف على خبره فخالفه الى قرطبة ودخل القصر وتحصن أبو عثمان خليفة عبد الرحمن بصومعة الجامع فاستنزله بالامان ولم يزل عنده الى أن عقد الصلح بينه وبين ابن معاوية وكان عقد الصلح المشتمل عليه وعلى وزيره الصميل فى صفر سنة ١٣٩ وشارطه على أن يخلى بينه وبين أمواله حيثما كانت وأن يسكن بلاط الحر منزلة بشرقى قرطبة على أن يختلف كل يوم الى ابن معاوية ويريه وجهه وأعطاه رهينة على ذلك ابنه أبا الاسود محمد بن يوسف زيادة على ابنه عبد الرحمن الذى أسره ابن معاوية يوم الوقعة ورجع العسكران وقد اختلطا الى قرطبة وذكر ابن حيان أن يوسف بن عبد الرحمن فتك سنة ١٤١ فهرب من قرطبة وسعى بالفساد فى الارض وقد كانت الحال اضطربت به فى قرطبة ودس له قوم قاموا عليه فى أملاكه زعموا انه غصبهم اياها فدفع معهم الى الحكام فاعنتوه وجعل عنه فى التألم بذلك كلام رفع الى ابن معاوية أصاب أعداء يوسف به السبيل الى السعاية به والتخويف منه فاشتد توحشه فخرج الى جهة ماردة واجتمع اليه عشرون ألفا من أهل الشتات فغلظ أمره وحدثته نفسه بلقاء ابن معاوية فخرج

نحوه من ماردة وخرج ابن معاوية من قرطبة فبيفا ابن معاوية فى حصن المدور مستعدا اذا التقى يوسف عبد الملك بن عمر بن مروان صاحب اشبيلية فكانت بينهما حرب شديدة انكشف عنها يوسف بعد بلاء عظيم منهزما واستحر القتل فى أصحابه فهلك منهم خلق كثير وسار يوسف لناحية طليطلة فلقيه فى قرية من قراها عبد الله بن عمر والانصارى فلما عرفه قال لمن معه هذا الفهرى قد ضاقت عليه الارض وقتله الراحة له والراحة منه فقتله واحتز رأسه وقدم به الى عبد الرحمن فلما قرب وأوذن عبد الرحمن به أمره أن يتوقف به دون جسر قرطبة وأمر بقتل ولده عبد الرحمن المحبوس عنده وضم الى رأسه رأسه ووضعا على قناتين مشهورين الى باب القصر وكان عبد الرحمن لما فر يوسف قد سجن وزيره الصميل لانه قال له أين توجه فقال لا أعلم فقال ما كان ليخرج حتى يعلمك ومع ذلك فان ولدك معه وأكد عليه فى أن يحضره فقال لو أنه تحت قدمى هذه مارفعتها لك عنه فاصنع ماشئت فحينئذ أمر به للحبس وسجن معه ولدى يوسف ابا الاسود محمدا المعروف بعد بالاعمى وعبد الرحمن فتهيأ لهما الهرب من نقب فأما أبو الاسود فنجا سالما واضطرب فى الارض يبغى الفساد الى أن هلك حتف أنفه وأما عبد الرحمن فاثقله اللحم فانبهر فرد الى الحبس حتى قتل كما تقدم وانف الصميل من الهرب فأقام بمكانه فلما قتل يوسف أدخل ابن معاوية على الصميل من خنقه فاصبح ميتا فدخل عليه مشيخة المضرية فى السجن فوجدوه ميتا وبين يديه كاس وتقل كانه بغت على شرابه فقالوا والله انا لنعلم يا أبا جوشن انك ماشربتها ولكن سقيتها وعما ظهر من بطش الامير عبد الرحمن بن معاوية وصرامته فتكه بأحد دعائم دولته رئيس اليمانية أبى الصباح بن يحيى وكان قد ولاه اشبيلية وفى نفسه منه ما أوجب فتكه به ومن ذلك النوع حكايته مع العلاء بن مغيث اليحصبى اذ ثار بباجة وكان قد وصل من افريقية على أن يظهر الرايات السود بالاندلس فدخل فى ناس قليلين فارسى بناحية باجة ودعا أهلها ومن حولهم فاستجاب له خلق كثير الى أن لقيه عبد الرحمن بجهة اشبيلية فهزمه وجىء به وبأعلام أصحابه فقطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه وأعناقهم وأمر فقرطت الصكاك فى آذانهم بأسمائهم وأودعت جوالقا محصنا ومعها اللواء الاسود وأنفذ بالجوالق تاجرا من ثقاته وأمره أن يضعه بمكة أيام الموسم ففعل ووافق أبا جعفر المنصور قد حج فوضعه على باب سرادقه فلما كشفه ونظر اليه سقط فى يده واستدعى عبد الرحمن وقال عرضنا هذا البائس يعنى العلاء للعتف مافى هذا الشيطان مطمع فالحمد لله الذى صير هذا البحر بيننا وبينه ولما أوقع عبد الرحمن باليمانية الذين خرجوا فى طلب ثار رئيسهم أبى الصباح اليحصبى وأكثر القتل فيهم استوحش من العرب قاطبة وعلم انهم على دغل وحقد فانحرف عنهم الى اتخاذ المماليك فوضع يده فى الابتياع فابتاع موالى الناس بكل ناحية واعتضد أيضا بالبربر ووجه عنهم الى بر العدوة فأحسن لمن وفد عليه احسانا رغب من خلفه فى المتابعة قال ابن حيان واستكثر منهم ومن العبيد فاتخذ أربعين ألف رجل صاروا هم غالبا على أهل الاندلس من العرب فاستقامت مملكته ووطدت وقال ابن حيان كان عبد الرحمن راجح الحلم فاسح العلم ثاقب الفهم كثير الحزم نافذ العزم بريأ من العجز سريع النهضة

متصل الحركة لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامور الى غيره ثم لا ينفرد في ابرامها برأيه شجاعا مقداما بعيد الغور شديد الحدة قليل الطمأنينة بليغا مفوها شاعرا محسنا سمحا سخيا طلق اللسان وكان يلبس البياض ويعتم به ويؤثره وكان قد أعطى هيبة من وليه وعدوه وكان يحضر الجنائز ويصلي عليها ويصلي بالناس اذا كان حاضرا الجمع والاعياد ويخطب على المنبر ويعود المرضى ويكثر مباشرة الناس والمشي بينهم الى أن حضر في يوم جنازة فتصدى له في منصرفه عنها رجل متظلم عامي وقاح ذو عارضة فقال له أصلح الله الامير ان قاضيك ظلمني وأنا أستجيرك من الظلم فقال له تنصف ان صدقت فمد الرجل يده الى عنانه وقال أيها الامير أسألك بالله لما برحت من مكانك حتى تأمر قاضيك بانصافي فانه معك فوجم الامير والتفت الى من حوله من حشمه فرآهم قليلا ودعا بالقاضي وأمر بانصافه فلما عاد الى قصره كلمه بعض رجاله ممن كان يكره خروجه وايتيذاله فيما جرى فقال له ان هذا الخروج الكثير أبقى الله تعالى الامير لا يجعل بالسلطان العزيز وان عيون العامة تخلق تجلته ولا تؤمن بوادرهم عليه فليس الناس كما عهد وافترك من يومئذ تشهود الجنائز وحضور المحافل ووكل بذلك ولده هشاما * ومن نظم عبد الرحمن الداخل ما كتب به الى اخته بالشام

أيها الراكب الميمم أرضي * اقرمني بعض السلام لبعضي
ان جسمي كما تراه بأرض * وفؤادي ومالكيه بارض
قدر البين بيننا فافترقنا * وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الدهر بالفراق علينا * فعسى باجتماعنا سوف يقضي

وكتب الى بعض من وفد عليه من قومه لما سأله الزيادة في رزقه واستقل ما قابله به وذكره بحقه بهذه الابيات

شتان من قام ذا امتعاض * منتضي الشفرتين نصلا
يخاب قفرا وشق بحرا * مسامي الجمة ومحلا
دبر ملكا وشاد عزا * ومنبرا للخطاب فصلا
وجند الجند حين أودى * ومصر المصر حين أجلى
ثم دعا أهله اليه * حيث انتأوا أين هلم أهلا
فجاء هذا طريد جوع * شديد روع يخاف قتلا
فنال امنا ونال شبعا * ونال مالا ونال أهلا
ألم يكن حق ذا على ذا * أعظم من منعم ومولى

وحكى ابن حيان أن عبد الرحمن لما أذعن له يوسف صاحب الاندلس واستقر ملكه استحضر الوفود الى قرطبة فاثالوا عليه ووالى القعود لهم في قصره عدة أيام في مجالس يكلم فيها رؤساءهم ووجوههم بكلام سرهم وطيب نفوسهم مع انه كساهم وأطعمهم ووصلهم فانصرفوا عنه محبورين مغتبطين يتدارسون كلامه ويتهافتون بشكره ويتهانؤن بنعمة الله تعالى عليهم فيه وفي بعض مجالسهم هذه مثل بين يديه رجل من جند قنسرين يستجديه

فقال له يا ابن الخلائف الراشدين والسادة الاكرمين اليك فررت وبك عذت من زمن ظلوم ودهر غشوم قل المال وكثر العيال وشعث الحال فصير الى ندالك المامل وأنت ولي الحمد والمجد والمرجو للرفد فقال له عبد الرحمن مسرعا قد سمعنا مقالتك وقضينا حاجتك وأمرنا بعونك على دهرك على كرهنا لسوء مقامك فلا تعودن ولا سوالك لمثله من اراقة ماء وجهك بتصريح المسئلة والالحاف في الطلبة واذا ألممت بك خطب أو حزبك أمر فارفعه الينا في رقعة لا تعدو لك كيما نستر عليك خلتك ونكف شمات العدو عنك بعد رفعك اياها الى مالك الملك ومالك الكل عز وجهه باخلاص الدعاء وصدق النية وأمر له بجائزة حسنة وخرج الناس يتعجبون منه من حسن منطقه وبراعة أدبه وكف فيما بعد ذوي الحاجات عن مقابلته بها شفاها في مجلسه قال ابن حيان ووقع الى سليمان بن يقظان الاعرابي على كتاب منه سلك به سبيل الخداع أما بعد فدعني من معاريض المعاذير والتعسف عن جادة الطريق لتمدن يدا الى الطاعة والاعتصام بحبل الجماعة أولا زوين بنانها عن رصف المعصية نكالا بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد وفي المسهب ان عبد الرحمن كان من البلاغة بالمكان العالي الذي يرتد عنه أكثر بني مروان حسيرا وقد جرى بينه وبين مولاه بدر ما لا يجب اهماله وذلك انه لما سعى بدر في تكميل دولته من ابتدائها الى استقرارها صحبه عجب وامتنان كاد يردان به حياض المنية فأول ما بدأ به أن قال بعنا أنفسنا وخاطرنا بها في شأن من هانت عليه لما بلغ أقصى أمله وقال وقد أمره بالخروج الى غزاة انما تعبنا اولا لنستريح آخرا وما أرانا الا في أشد مما كنا وأطال أمثال هذه الاقوال وأكثر الاستراحة في جانبه فهجره وأعرض عنه فزاد كلامه وكتب له رقعة منها أما كان جزائي في قطع البحر وجوب القفر والاقدام على تشتيت نظام مملكة واقامة أخرى غير الهجر الذي أهانني في عيون اكفائي وأشمت بي أعدائي وأضعف أمري ونهى عني من يلوذ بي وبتر مطامع من كان يكرمني ويحفدني على الطمع والرجاء وأظن أعداء بني العباس لو حصلت بأيديهم ما بلغوا بي أكثر من هذا فانا لله وانا اليه راجعون فلما وقف عبد الرحمن على رقعته اشتد غيظه عليه فوقع عليها وقفت على رقعتك المنبئة عن جهلك وسوء خطابك ودناءة أدبك ولئيم معتقدك والعجب أنك متى ما أردت أن تبني لنفسك عندنا مقاما تأتي بما يهدم كل مقامات مشيد مما تمن به مما قد أضجر الاسماع تكراره وقدحت في النفوس اعادته مما استخرنا الله تعالى من أجله على أمرنا باستئصال مالك وزدنا في هجرك وابعادك وهضنا جناح ادلالك فلعل ذلك يقمع منك ويردعك حتى تبلغ منك ما نريد ان شاء الله تعالى فنحن أولى بتأديبك من كل أحد اذ شرك مكتوب في مثالبنا وخيرك معدود في مناقبنا فلما ورد هذا الجواب على بدر سقط في يده وسلم للقضاء وعلم انه لا ينفع فيه قول ووجه عبد الرحمن من استأصل ماله وألزمه داره وهتك حرمته وقص جناح جاهه وصيره أهون من قعيس على عمته ومع هذا فلم ينته بدر عن الاكثار من مخاطبة مولاه تارة يستلينه وتارة يذكره وتارة ينفث مصدورا يخط قلمه ما يلقيه عليه بلسانه غير مفكر فيما يؤول اليه الى أن كتب له قد طال هجري وتضاعف همي وفكري وأشد ما على

كونى سليبا من مالى فعسى أن تأمر لى باطلاق مالى واتحدبه فى معزل لا أشتغل بسلطان
ولا أدخل فى شئ من أموره ماعشت فوقع له ان لك من الذنوب المترادفة مالوسلب معها
روحك لكان بعض ما استوجبته ولا سبيل الى رد مالك فان تركك بمعزل فى بلهنية الرفاهية
وسعة ذات اليد والتخلى من شغل السلطان أشبه بالنعمة منه بالنقمة فايأس من ذلك فان
اليأس مريح فسكت لما وقف على هذه الاجابة مدة الى أن أتى عيد فاشتد به حزنه لما رأى
من حاجة من يلوذ به وهمهم بما يفرح به الناس فكتب اليه فى ذلك رقعة منها وقد أتى هذا
العيد الذى خالفت فيه أكثر من أساء اليك وسعى فى خراب دولتك ممن عفوت عنه
فتبتك النعمة فى ذراك واقتعد ذروة العز وأنا على ضد من هذا سليبا من النعمة مطرحا
فى حضيض الهوان أيأس مما يكون وأقرع السن على ما كان فلما وقف على هذه الرقعة
أمر بنفيه عن قرطبة الى أقصى الثغور وكتب له على ظهر رقعته لتعلم انك لم تزل بمقتك
حتى ثقلت على العين طلعتك ثم زدت الى أن ثقل على السمع كلامك ثم زدت الى أن ثقل
على النفس جوارك وقد أمرنا باقصائك الى أقصى الثغور فبالله الا ما أقصرت ولا يبلغ بك
زائد المقت الى أن تضيق معى الدنيا ورأيتك تشكو لفلان وتتألم من فلان وما تقوله عليك
ومالك عدو أكبر من لسانك فما طاح بك غيره فاقطعه قبل أن يقطعك * ولما فتح الداخل
سرقسطة وحصل فى يده ثائرها الحسين الانصارى وشدخت رؤس وجوهها بالعمد وانتهى
نصره فيها الى غاية أمله أقبل خواصه يهنئونه فجرى بينهم أحد من لا يؤبه به من الجند
فهنأه بصوت عال فقال والله لولا أن هذا اليوم يوم أسبغ على فيه النعمة من هو فوقى
فأوجب على ذلك أن أنم فيه على من هو دونى لاصلينك ما تعرضت له من سوء المقال
من تكون حتى تقبل مهنئا رافعا صوتك غير متلجلج ولا متهيب لمكان الامارة ولا عارف
بقيمتها حتى كأنك تخاطب أبالك أو أخالك وان جهلك ليحملك على العود لمثلها فلا تجد مثل
هذا الشافع فى مثلها من عقوبة فقال ولعل فتوحات الامير يقترن اتصالها باتصال جهلى
وذنوبى فتشفع لى متى أتيت بمثل هذه الزلة لا أعدمنيها الله تعالى فتهلل وجه الامير وقال
ليس هذا باعتذار جاهل ثم قال نبهونا على أنفسكم اذا لم تجدوا من ينبهنا عليها ورفع
مرتبته وزاد فى عطائه * ولما أنحى أصحابه على أصحاب الفهرى بالقتل يوم هزيمتهم على
قرمابة قال لا تستأصلوا شأفة اعداء ترجون صداقتهم واستبقوهم لاشد عداوة منهم يشير
الى استبقائهم ليستعان بهم على أعداء الدين * ولما اشتد الكرب بين يديه يوم حربه مع
الفهرى ورأى شدة مقاساة أصحابه قال هذا اليوم هو أس ما يبنى عليه اما ذل الدهر واما عز
الدهر فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون تربحوا بها بقية أعماركم فيما تشتهون * ولما خرج من
البصرة أول قدومه على الاندلس أتوه بخمر فقال انى محتاج لما يزيد فى عقلى لا لما ينقصه
فعرفوا بذلك قدره ثم اهديت اليه جارية جميلة فنظر اليها وقال ان هذه من القلب والعين
بمكان وان أنا اشتغلت عنها بهمتى فيما أطلبه ظلمتها وان اشتغلت بها عما أطلبه ظلمت همتى
ولا حاجة لى بها الآن وردها على صاحبها * ولما استقامت له الدولة بلغه عن بعض من أعانه
انه قال لولا أنا ما توصل لهذا الملك ولكان منه أبعد من العيوق وأن آخر قال سعده أعانه

لاعقله وتدبيره فحركه ذلك الى أن قال

لايلف عمتي علينا قائل ٭ لولاى ماملك الانام الداخل
سعدى وجرمى والمهند والقنا ٭ ومقادر بلغت وحال حائل
ان المحاول مع الزمان كواكب ٭ نجم يطالعنا ونجم آفل
والحزم كل الحزم أن لايغفلوا ٭ أيروم تدبير البرية غافل
ويقول قوم سعده لاعقله ٭ خير السعادة ماحماها العاقل
أبنى أمية قد جبرنا صدعكم ٭ بالغرب رغما والسعود قبائل
مادام من نسلى امام قائم ٭ فالملك فيكم ثابت متواصل

وحكى ابن حيان أن جماعة من القادمين عليه من قبل الشام حدثوه يوما فى بعض مجالسهم عنده ماكان من انغمر بن يزيد بن عبد الملك أيام محنتهم وكلامه لعبد الله بن على بن عبد الله بن عباس السفاطى بهم وقد حضروا رواقه وفيه وجوه المسودة من دعاة القوم وشيعتهم راداً على عبد الله فيما أراقه من دماء بنى أمية وسلبهم والبراءة منهم فلم ترده هيبته وعصف ريحه واحتفال جمعه عن معارضته والرد عليه بتفضيله لاهل بيته والذب عنهم وانه جاء فى ذلك بكلام غاظ عبد الله وأغضه بريقه وعاجل الغمر بالحتف فقضى وخلف فى الناس ماخلف من تلك المعارضة فى ذلك المقام وكثر القوم فى تعظيم ذلك فكان الامير عبد الرحمن احتقر ذلك الذى كان من الغمر فى جنب ما كان منه فى الذهاب بنفسه عن الاذعان لعدوهم والانف من طاعتهم والسعى فى اقتطاع قطعة من مملكة الاسلام عنه وقام عن مجلسه فصاغ هذه الابيات بديهة

شنان من قام ذا امتعاض ٭ فحرّ ما قال واضمحلا
ومن غدا مصلتا لعزم ٭ مجرّد للعداة نصلا
فجاب قفرا وشق بحرا ٭ ولم يكن فى الانام كلا
فشاد ملكا وشاد عزا ٭ ومنبرا للخطاب فصلا
وجند الجند حين أودى ٭ ومصر المصرحين أجلى
ثم دعا أهله جميعا ٭ حيث انتأوا وأن هلّ أهلا

وله غير ذلك من الشعر وسياتى بعضه مما يقارب هذه الطبقة ٭ وأول ناصر لعبد الرحمن سائر معه فى التحول والاستخفاء مولاه المتقدم الذكر سعى فى سلطانه شرقا وغربا برا وبحرا فلما كمل له الامر سلبه من كل نعمة وسجنه ثم أقصاه الى أقصى الثغر حتى مات وحاله أسوأ حال والله تعالى أعلم بالسرائر فلعل له عذرا وليومه من يسمع مبدأه ومآله ورأس الجماعة الذين توجه اليهم بدر فى القيام بسلطانه أبو عثمان ولما توطدت دولة الداخل استغنى عنه وعن أمثاله فأراد أبو عثمان أن يشغل خاطره وينظر فى شئ يحتاج به اليه فجعل ابن أخته يثور عليه فى حصن من حصون البيرة فوجه عبد الرحمن من قبض عليه وضرب عنقه ثم أخذ أبو عثمان مع ابن أخى الداخل وزين له القيام عليه فسعى لعبد الرحمن بابن أخيه قبل أن يتم أمره فضرب عنقه وأعناق الذين دبروا معه وقيل له ان أباعثمان كان معه وهو الذى

ضمن له تمام الامر فقال هو أبو سلمة هذه الدولة فلا يتحدث الناس عنه بما تحدثوا عن بني العباس في شأن أبي سلمة لكن سأعتبه عتبا أشد من القتل وجعل يوعده ورجع له الى ما كان عليه في الظاهر وكان صاحبه الثاني في الموازرة والقيام بالدولة صهره عبد الله بن خالد وكان قد ضمن لابي الصباح رئيس اليمانية عن الداخل أشياء لم يف بها الداخل وقتل أبا الصباح فانعزل عبد الله وأقسم لا يشتغل بشغل سلطان حياته فبات منفردا عن السلطان وكان ثانيهما في النصرة والاختصاص تمام بن علقمة وهو الذي عبر البحر اليه وبشره باستحكام أمره ففتل هشام بن عبد الرحمن ولد تمام المذكور وكذلك فعل بولد أبي عثمان المتقدم الذكر قال ابن حيان فذا قام ثكل ولديهما على يدي أعز الناس عليهما ما أراهما ان أحد الا يقدر أن ينظر في تحسين عاقبته واذا تتبع الامر في الذين يقومون في قيام دولة كان ما آلهم مع من يظهرونه هذا المآل وأصعب * وذكر ان أول حجاب الداخل تمام بن علقمة مولاه ذو العمر الطويل ثم يوسف بن بخت الفارسي مولى عبد الملك بن مروان وله بقرطبة عقب نابه ثم عبد الكريم بن مهران من ولد الحرث بن أبي شمر الغساني ثم عبد الرحمن بن مغيث بن الحرث بن حويرث بن جبلة بن الايهم الغساني وأبو مغيث فاتح قرطبة الذي تقدمت ترجمته ثم منصور الخصي وكان أول خصي استحجبه بنو مروان بالاندلس ولم يزل حاجبه الى أن توفي الداخل * ولم يكن للداخل من يناطق عليه سمة وزير لكنه عين أشياخا للمشاورة والموازرة أولهم أبو عثمان المتقدم الذكر وعبد الله بن خالد السابق الذكر وأبو عبدة صاحب اشبيلية وشهيد بن عيسى بن شهيد مولى معاوية بن مروان بن الحكم وكان من سبي البربر وقيل انه رومي وبنو شهيد الفضلاء من نسله وعبد السلام بن بسيل الرومي مولى عبد الله بن معاوية ولولده نباهة عظيمة في الوزارة وغيرها وثعلبة بن عبيد بن النظام الجذامي صاحب سرقسطة لعبد الرحمن وعاصم بن مسلم الثقفي من كبار شيعته وأول من خاض النهر وهو عريان يوم الوقعة بقرطبة ولعقبه في الدولة نباهة * وأول من كتب له عند خلوص الامر له واحتلاله بقرطبة كبير نقبائه أبو عثمان وصاحبه عبد الله ابن خالد المتقدما الذكر ثم لزم كاتبه أمية بن يزيد مولى معاوية بن مروان وكان في عديد من يشاوره أيضا ويفضل أمره وآراءه وكان يكتب قبله ليوسف الفهري وقيل انه ممن اتهم في مجالاة اليزيدي في افساد دولة عبد الرحمن فاتفق أن مات قبل قتل اليزيدي واطلاع عبد الرحمن على الامر * وذكر ابن زيدون أن الداخل ألفى على قضاء الجماعة بقرطبة يحيى بن يزيد الحصبي فأقره حينا ثم ولى بعده أبا عمرو معاوية بن صالح الحمصي ثم عمر بن شراحيل ثم عبد الرحمن بن طريف وكان جد ابن عمرو يقضي في العساكر * وكان الداخل يرتاح لما استقر سلطانه بالاندلس الى أن يفد عليه فل بيته بني مروان حتى يشاهدوا ما أنعم الله تعالى عليه وتظهر يده عليهم فوفد عليه من بني هشام بن عبد الملك أخوه الوليد ابن معاوية وابن عمه عبد السلام بن يزيد بن هشام قال ابن حيان وفي سنة ١٦٣ قتل الداخل عبد السلام بن يزيد بن هشام المعروف باليزيدي وقتل معه من الوافدين عليه عبيد الله بن أبان بن معاوية بن هشام المعروف باليزيدي وهو ابن أخي الداخل وكانا تحت

تدبيره بيرمانه في طلب الامر فوشى بهما مولى لعبيد الله بن أبان وكان قد ساعدهما على ما هما به من الخلاف أبو عثمان كبير الدولة فلم ينله ما نالهما وذكر الحجاري أن الداخل كان يقول أعظم ما أنعم الله تعالى به علي بعد تمكني من هذا الامر القدرة على ايواء من يصل الي من أقاربي والتوسع في الاحسان اليهم وكبرى في أعينهم وأسماعهم ونفوسهم بما منحني الله تعالى من هذا السلطان الذي لا منة علي فيه لاحد غيره وذكر ابن حزم انه كان فيمن وفد عليه ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية فسعى في طلب الامر لنفسه فقتله سنة ١٦٧ وقتل معه من أصحابه هذيل بن الصميل بن حاتم ونفى أخاه الوليد بن معاوية والد المغيرة المذكور الى العدوة بماله وولده وأهله وفي المذهب حدث بعض موالي عبد الرحمن الخاصين به انه دخل على الداخل اثر قتله ابن أخيه المغيرة المذكور وهو مطرق شديد الغم فرفع رأسه الي وقال ما عجبي الا من هؤلاء القوم سعينا فيما يضجعهم في مهاد الامن والنعمة وخاطرنا فيه بحياتنا حتى اذا بلغنا منه الى مطلوبنا ويسر الله تعالى أسبابه أقبلوا علينا بالسيوف ولما آويناهم وشاركناهم فيما أفردنا الله تعالى به حتى أمنوا وردت عليهم أخلاف النعم هزوا أعطافهم وشمخوا بآنافهم وسموا الى العظمى فنازعونا فيما منحنا الله تعالى فخذلهم الله بكفرهم النعم اذ أطلمناهم على عوراتهم فعاجلناهم قبل أن يعاجلونا وأدى ذلك الى أن ساء ظننا في البري منهم وساء أيضا ظنه فينا وصار يتوقع من تغيرنا عليه ما نتوقع نحن منه وان أشد ما علي في ذلك أخي والد هذا المخذول فكيف تطيب لي نفس بمجاورته بعد قتل ولده وقطع رحمه أم كيف يجتمع بصري مع بصره اخرج له الساعة فاعتذر اليه وهذه خمسة آلاف دينار ادفعها اليه واعزم عليه في الخروج عني من هذه الجزيرة الى حيث شاء من بر العدوة قال فلما وصلت الى أخيه فوجدته أشبه بالاموات منه بالاحياء فآنسته وعزفته ودفعت له المال وأبلغته الكلام فتأوه وقال ان المشؤم لا يكون بليغا في الشؤم حتى يكون على نفسه وعلى سواه وهذا الولد العاق الذي سعى في حتفه قد سرى ما سعى فيه الى رجل طلب العافية وقنع بكسر بيت في كنف من يحمل عنه معرة الزمان وكله ولا حول ولا قوة الا بالله لا مرد لما حكم به وقضاه ثم ذكر انه أخذ في الحركة الى بر العدوة قال ورجعت الى الامير فأعلمته بقوله فقال انه نطق بالحق ولكن لا يخدعني بهذا القول عما في نفسه والله لو قدر أن يشرب من دمي ما عف عنه لحظة فالحمد لله الذي أظهرنا عليهم بما نوينا فيهم وأذلهم بما نووه فينا * واعلم انه دخل الاندلس أيام الداخل من بني مروان وغيرهم من بني أمية جماعة كثيرون سرد أسماءهم غير واحد من المؤرخين وذكر أعقابهم بالاندلس ومنهم جزي بن عبد العزيز أخو عمر بن عبد العزيز وسيأتي قريبا * وقد ثار على عبد الرحمن الداخل من أعيان الغرب وغيرهم جماعة كثيرون ظفره الله تعالى بهم وقد سبق ذكر بعضهم ومنهم الدعي الفاطمي البربري بشنت مرية فاعيا الداخل أمره وطال شره سنين متوالية الى أن فتك به بعض أصحابه فقتله ومنهم حيوة بن ملابس الحضرمي رئيس اشبيلية وعبد الغفار بن حميد اليحصبي رئيس لبلة وعمرو بن طالوت رئيس باجة اجتمعوا وتوجهوا نحو قرطبة يطلبون دم رئيس اليمانية أبي الصباح فقتلوا في هزيمة عظيمة وقيل

نجوا بالفرار فامنهم الداخل وفى سنة ١٥٧ ثار بسرقسطة الحسين بن يحيى بن سعيد ابن عبادة الخزرجى وشايعه سليمان بن يقظان الاعرابى الكلبى رأس الفتن وآل أمرهما الى أن قتل الحسين بسليمان وقتل الداخل الحسين كما مر وفى سنة ١٦٣ ثار الدماحس ابن عبد العزيز الكنانى بالجزيرة الخضراء فتوجه له عبد الرحمن الداخل ففر فى البحر الى المشرق * قال ابن حيان كان مولد عبد الرحمن الداخل سنة ١١٣ وقيل فى التى قبلها بالعليا من تدمر وقيل بدير حنا من دمشق وبها توفى أبوه معاوية فى حياة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك وكان قد رشحه للخلافة وبقبر معاوية المذكور استجار الكميت الشاعر حين أهدر هشام دمه وتوفى الداخل لست بقين من ربيع الآخر سنة ١٧١ وهو ابن سبع وخمسين سنة وأربعة أشهر وقيل اثنتان وستون سنة ودفن بالقصر من قرطبة وصلى عليه ابنه عبد الله * وكان منصورا مؤيدا مظفرا على أعدائه وقد مر دنا من ذلك جملة حتى قال بعضهم ان الراية التى عقدت له بالاندلس حين دخلها لم تهزم قط وان الوهن ما ظهر فى ملك بنى أمية الا بعد ذهاب تلك الراية قال أكثر هذا مؤرخ الاندلس الثبت الثقة أبو مروان بن حيان رحمه الله تعالى * ولا بأس أن نورد زيادة على ما سلف وان تكرر بعض ذلك فنقول قال بعض المؤرخين من أهل المغرب بعد كلام ابن حيان الذى قدمنا ذكره ما نصه كان الامام عبد الرحمن الداخل راجح العقل راسخ الحلم واسع العلم كثير الحزم نافذ العزم لم ترفع له قط راية على عدو الا هزمه ولا بلد الا افتتحه شجاعا مقداما شديد الحذر قليل الطمأنينة لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامر الى غيره كثير الكرم عظيم السياسة يلبس البياض ويعتم به ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويصلى بالناس فى الجامع والاعياد ويخطب بنفسه جند الاجناد وعقد الرايات واتخذ الحجاب والكتاب وبلغت جنوده مائة ألف فارس وملخص دخوله الاندلس انه لما اشتد الطلب على ولد بنى أمية بالمشرق من وارثى ملكهم بنى العباس خرج مستترا الى مصر فاشتد الطلب على مثله فاحتال حتى وصل برقة ثم لم يزل متوغلا فى سيره الى أن بلغ المغرب الاقصى ونزل بنفزة وهم اخواله فأقام عندهم أياما ثم ارتحل الى مغيلة بالساحل فارسل مولاه بدرا بكتابه الى موالى بالاندلس عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد وتمام بن علقمة وغيرهم فأجابوه واشتروا مركبا وجهزوه بما يحتاج اليه وكان الذى اشتراه عبيد الله بن عثمان وأركب فيه بدرا وأعطاه خمسمائة دينار برسم النفقة وركب معه علقمة بن تمام بن علقمة وبينما هو يتوضأ لصلاة المغرب على الساحل اذ نظر الى المركب فى لجة البحر مقبلا حتى أرسى أمامه فخرج اليه بدر سابحا فبشره بما تم له بالاندلس وبما اجتمع عليه الامويون والموالى ثم خرج اليه تمام ومن معه فى المركب فقال له ما اسمك وما كنيتك فقال اسمى تمام وكنيتى أبو غالب فقال تم أمرنا وغلبنا عدونا ان شاء الله تعالى ثم ركبوا المركب معه فنزل بالمنكب وذلك غرة ربيع الاول سنة ١٣٨ فلما اتصل خبر جوازه بالاموية أتاه عبيد الله بن عثمان وجماعة فتلقوه بالاعظام والاكرام وكان وقت العصر فصلى بهم العصر وركبوا معه الى قرية طرش من كورة البيرة فنزل بها وأتاه بها جماعة من وجوه الموالى وبعض العرب فبايعوه وكان من

قوله الدماحس فى نسخة الرماحس اه

أمره ما يذكر وقيل انه أقام بالبيرة حتى كمل من معه ستمائة فارس من موالى بنى أمية ووجوه العرب فخرج من البيرة الى كورة رية فدخلت فى جماعته ثم بايعته أهلها وأجنادها ثم ارتحل الى شدونة ثم الى مدور ثم سار الى اشبيلية وقال بعضهم لما أراد عبد الرحمن قصد قرطبة عند دخوله الاندلس من المشرق نزل بطشانة فأشاروا عليه أن يعقد له لواء فجاؤا بعمامة وقناة فكرهوا أن يميلوا القناة تطيرا فأقاموها بين شجرتين من الزيتون متجاورتين وصعد رجل على فرع احداهما فعقد اللواء والقناة قائمة وتبرك هو وولده بهذا اللواء فكان بعد أن بلى لا تحل منه العقدة التى عقدت أولا بل تعقد فوقها الالوية الجدد وهى مستكنة تحتها ولم يزل الامر على ذلك حتى انتهت الدولة الى عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وقيل الى ابنه محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل فاجتمع الوزراء على تجديد اللواء فلما رأوا تحت اللواء أسمالا خلقة ملفوفة معقدة جهلوها فاستذلوها وأمروا بحلها ونبذها وجددوا غيرها وكان جهور بن يوسف بن بخت شيخهم غائبا فحضر فى اليوم الثانى وطولع بالقصة فأنكرها أشد انكار وساءه ما فعلوه وقال ان جهلتم شأن تلك الاخلاق فكان ينبغى أن تتوقفوا عن نبذها حتى تسألوا المشايخ وتتفكروا فى أمرها وخبرهم خبرها فتطلبوا تلك الاخلاق فلم توجد ويقال كما قال ابن حيان انه لم يزل يعرف الوهن فى ملك بنى أمية بالاندلس من ذلك اليوم وقد كان الذى عقده أولا عبد الله ابن خالد من موالى بنى أمية وكان والده خالد عقد لواء مروان بن الحكم جد عبد الرحمن الاعلى لما اجتمع عليه بنو أمية وبنو كلب بعد انقراض دولة بنى حرب على قتال الضحاك بن قيس الفهرى يوم مرج راهط فانتصر على الضحاك وقتله ولما عرف الامير بقصة اللواء حزن أشد حزن وانفتقت عليه اثر ذلك الفتوق العظام وكانوا يرون أنها جرت بسبب اللواء لانه لم ينهزم قط جيش كان تحته على ما اقتضته حكمة الله التى لا تتوصل اليها الافكار وتولى حمل هذا اللواء لعبد الرحمن الداخل أبو سليمان داود الانصارى ولم يزل يحمله ولده من بعده الى أيام محمد بن عبد الرحمن ولما تلاقى عبد الرحمن الداخل مع أمير الاندلس يوسف الفهرى بالقرب من قرطبة وتراسلا تخادعه يومين آخرهما يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين ومائة أظهر عبد الرحمن قبول الصلح فبات الناس على ذلك ليلة العيد وكان قد أسر خلاف ما أظهر واستعد للحرب ولما أصبح يوم الاضحى لم يثب أن غشيت الخيل ووكل عبد الرحمن بخالد بن زيد الكاتب رسول يوسف جماعة وأمرهم ان كانت الدائرة عليهم أن يضربوا عنقه والا فلا فكان خالد يقول ما كان شئ فى ذلك الوقت أحب الى من غلبة عبد الرحمن الداخل عدوى وصاحبى وركب عبد الرحمن جوادا فقالت اليمانية الذين أعانوه هذا فتى حديث السن تحته جواد ومانا من أول ردعة يردعها أن يطير منهزما على جواده ويدعنا فأتى عبد الرحمن أحد مواليه فأخبره بمقالتهم فدعا بأبى الصباح وكان له بغل أشهب يسميه الكوكب فقال له ان فرسى هذا قلق تحتى لا يمكننى من الرمى فقدم الى بغلك المحمود أركبه فقدمه فلما ركب اطمأن أصحابه وقال عبد الرحمن لاصحابه أى يوم هذا قالوا الخميس يوم عرفة فقال فالاضحى غدا يوم الجمعة والتقى الجندان أموى وفهرى

والجندان

والجندان قيس ويمن قد تقابل الاشكال جدا وأرجوانه أخو يوم مرج راهط فأبشروا وجدوا فذكرهم يوم مرج راهط الذى كانت فيه الوقعة بين جده مروان بن الحكم وبين الضحاك بن قيس الفهرى وكانت يوم جمعة ويوم أضحى فدارت الدائرة لمروان على الضحاك فقتل الضحاك وقتل معه سبعون ألفا من قبائل قيس وأحلافهم وقيل انه لم يحضر مرج راهط من قيس مع مروان غير ثلاثة نفر عبد الرحمن بن مسعدة الفزارى وابن هبيرة المحاربى وصالح الغنوى وكذا لم يحضر مع عبد الرحمن الداخل يوم الصمارة غربى قرطبة من قيس غير ثلاثة جابر بن العلاء بن شهاب والحصين بن الدجن العقيليان وهلال ابن الطفيل العبدى وكان الظفر لعبد الرحمن وانهزم يوسف وصبر الصميل بن حاتم بعده معذرا وعشيرته يحفونه فلما خاف انهزامهم عنه تحول على بغله الاشهب معارضة لعبد الرحمن الداخل فخرجه أبو عطاء فقال له يا أبا جوشن احتسب نفسك فان للاشياء أشباها أموى بأموى وفهرى بفهرى وكلبى بكلبى ويوم اضحى بيوم أضحى ويمنى بقيسى والله انى لاحسب هذا اليوم بمثل مرج راهط سواء فقال له الصميل كبرت وكبر علمك الآن تجلى الغماء وتحرك منتفخ فانثنى أبو عطاء لوجهه منقلبا وانهزم الصميل وملك عبد الرحمن قرطبة ويوسف الفهرى هو ابن عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة ابن نافع الفهرى باني القيروان وأمير معاوية على افريقية والمغرب وهو مشهور وأما الصميل فهو ابن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن وقيل الصميل بن حاتم بن عمرو بن جندع ابن الشمر بن ذى الجوشن كان جده شمر من أشراف الكوفة وهو أحد قتلة الحسين رضى الله تعالى عنه ودخل الصميل الاندلس حين دخل كانوم بن عياض المغرب غازيا وسادبها وكان شاعرا كثير السكر أميا لا يكتب ومع ذلك فانتهت اليه فى زمانه رياسة العرب بالاندلس وكان أميرها يوسف الفهرى كالمغلوب معه وكانت ولاية الفهرى الاندلس سنة تسع وعشرين ومائة فدانت له تسع سنين وتسعة أشهر وعنه كما مر انتقل سلطانها الى بنى أمية واستقل ملكهم بها الى بعد الاربعمائة ثم انتثر سلكهم وباد ملكهم كما وقع لغيرهم من الدول فى القرون السالفة سنة الله التى قد خلت فى عباده وكانت مدة الامراء قبل عبد الرحمن الداخل من يوم فتحت الاندلس الى هزيمة يوسف الفهرى والصميل ستا وأربعين سنة وشهرين وخمسة أيام لان الفتح كان حسبما تقدم لخمس خلون من شوال سنة اثنتين وتسعين وهزيمة يوسف يوم الاضحى لعشر خلون من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة والله غالب على أمره * وحكى أن عبد الرحمن بن معاوية دخل يوما على جده هشام وعنده أخوه مسلمة بن عبد الملك وكان عبد الرحمن اذ ذاك صبيا فأمر هشام أن ينحى عنه فقال له مسلمة دعه يا أمير المؤمنين وضمه اليه ثم قال يا أمير المؤمنين هذا صاحب بنى أمية ووزرهم عند زوال ملكهم فاستوص به خيرا قال فلم أزل أعرف مزية من جدى من ذلك الوقت وكان الداخل يقاس بابى جعفر المنصور فى عزمه وشدته وضبط المملكة ووافقه فى أن أم كل منهما بربرية وأن كلا منهما قتل ابن أخيه اذ قتل المنصور ابن السفاح وقتل عبد الرحمن ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية * ومن شعر عبد الرحمن

قوله عبد الرحمن بن مسعدة فى نسخة عبد الرحمن بن مسعود وفى أخرى عبد الله بن مسعدة اه

وقد رأى نخلة بر صافته

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة * تناءت بارض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى * وطول اكتئابي عن بني وعن أهلي
نشأت بارض أنت فيها غريبة * فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي
سقتك غوادي المزن في المنتأى الذي * يصح ويسقي المساكين بالوبل

وكان نقش خاتمه بالله يثق عبد الرحمن وبه يعتصم وأشاع سنة ١٦٣ الرحيل الى الشام لانتزاعها من بني العباس وكتب جماعة من أهل بيته ومواليه وشيعته وعمل على أن يستخلف ابنه سليمان بالاندلس في طائفة ويذهب بعامة من أطاعه ثم أعرض عن ذلك بسبب أمر الحسن الانصاري الذي انتزى عليه بسرقسطة فبطل ذلك العزم * ومن شعر عبد الرحمن أيضا قوله يتشوق الى معاهد الشام

أيها الراكب الميمم أرضي * اقرمني بعض السلام لبعضي
ان جسمي كما علمت بارض * وفؤادي ومالكيه بأرض
قدر البين بيننا فافترقنا * وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالفراق علينا * فعسى باجتماعنا سوف يقضي

وترجمة الداخل طويلة وقد ذكر منها ما فيه مقنع انتهى والله تعالى الموفق للصواب وفي بنائه جامع قرطبة يقول بعضهم

وأبرز في ذات الاله ووجهه * ثمانين ألفا من بلين وعسجد
وانفقها في مسجد زانه التقى * وقرب به دين النبي محمد
ترى الذهب الوهاج بين سموكه * يلوح كلمع البارق المتوقد

*(ومن الوافدين على الاندلس أبو الاشعث الكابي) دخل الاندلس وكان شيخا مسنا يروي عن أمه عن عائشة رضي الله تعالى عنها الا انه كان مندرا صاحب دعابة وكان مختصا بعبد الرحمن بن معاوية وله منه مكانة لطيفة يدل بها عليه ولما توفي حبيب بن عبد الملك ابن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وكانت له من عبد الرحمن خاصة لم تكن لاحد من أهل بيته جعل عبد الرحمن يبكي ويجتهد في الدعاء والاستغفار لحبيب وكان الى جنبه أبو الاشعث هذا قائما وكانت له دالة عليه ودعابة يحتملها منه فأقبل عند استقباره كالمخاطب للمتوفى علانية يقول يا أبا سليمان لقد نزلت بحفرة قلما يغفى عنك فيها بكاء الخليفة عبد الرحمن بعده فأعرض عنه عبد الرحمن وقد كاد التبسم يغلبه هكذا ذكره ابن حيان رحمه الله تعالى في المقتبس ونقله عنه الحافظ ابن الابار * (ومن الداخلين الى الاندلس جزي بن عبد العزيز أخو عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه دخل الاندلس ومات في مدة الداخل وكان من أولياء الله تعالى مقتفيا سبيل أخيه عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى * (ومنهم بكر بن سوادة بن ثمامة الجذامي ويكنى أبا ثمامة وجده صحابي وكان بكر هذا فقيها كبيرا من التابعين روى عن جماعة من الصحابة كعبد الله ابن عمرو بن العاص وقيس بن سعد بن عبادة وسهل بن سعد الساعدي وسفيان بن وهب

الخولانى وحبان بن سمح الصدائى وقيد اسمه الدارقطنى رحمه الله تعالى حبان بكسر الحاء المهملة وبباء موحدة بواحدة ونقله الامير كذلك وهو ممن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر قال ابن يونس ويقال فيه حبان بالكسر وحبان بالفتح أصح انتهى وضبطه بعضهم بالياء المثناة تحت (رجع) وممن روى عنه بكر من الصحابة أبو نور الفهمى وأبو عميرة المزنى وروى عن جماعة من التابعين أيضا كسعيد بن المسيب وأبى سلمة بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير وجماعة سواهم يكثر عددهم ويطول سردهم منهم ربيعة ابن قيس الحملى وأبو عبد الرحمن الحبلى وزياد بن نعيم الحضرمى وسفيان بن هانئ الجيشانى وسعيد بن شمر السبائى وعبد الله بن المستورد بن شداد الفهرى وعبد الرحمن ابن أوس المزنى وزيادة بن ثعلبة البلوى وشيبان بن أمية القتبانى وعامر بن ذريح الحميرى وعمير بن الفيض اللخمى وأبو حمزة الخولانى وعياض بن فروخ المعافرى ومسلم بن مخشى المدبجى وهانئ بن معاوية الصدفى وغيرهم ممن اشتمل على ذكرهم التاريخان لابن عبد الحكم وابن يونس وممن روى عن بكر المذكور عبد الله بن لهيعة وعمرو بن الحرث وجعفر بن ربيعة وأبو زرعة بن عبد الحكم الافريقى وغيرهم قال ابن يونس توفى بافريقية فى خلافة هشام بن عبد الملك وقيل بل غرق فى مجاز الاندلس سنة ثمان وعشرين ومائة قال وجده ثمامة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وله بمصر حديث رواه عمرو بن الحرث وقال أبو بكر عبد الله بن محمد القيروانى المالكى فى تاريخه المسمى برياض النفوس وقد ذكر بكرا هذا انه كان أحد العشرة التابعين يعنى الموجهين الى افريقية من قبل عمر بن عبد العزيز فى خلافته ليفقهوا أهل افريقية ويعلموهم أمر دينهم قال وأغرب بحديث عن عقبة بن عامر لم يروه غيره فيما علمت حدث عبد الله بن لهيعة عنه عن عقبة ابن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان رأس مائتين فلا تأمر بمعروف ولا تنه عن منكر وعليك بخاصة نفسك وحكى المالكى أيضا عن أبى سعيد بن يونس قال كان فقيها مفتيا سكن القيروان وكانت وفاته كما تقدم وذكره الحميدى فى الداخلين الى الاندلس ولم يذكره ابن الفرضى • (ومنهم زريق بن حكيم أحد المعدودين فى الداخلين الى الاندلس ذكره أبو الحسن بن النعمة عن أبى المطرف عبد الرحمن بن يوسف الرفاء القرطبى وحكى انه كتب ذلك من خطه وسماه مع جماعة منهم حبان بن أبى جبلة وعلى ابن أبى رباح وأبو عبد الرحمن الحبلى وحنش بن عبد الله الصنعانى ومعاوية بن صالح وزيد ابن الحباب العكلى وانتهى عددهم بزريق هذا سبعة ولم يذكره ابن الفرضى ولا غيره قاله الحافظ أبو عبد الله القضاعى • (ومنهم زيد بن قاصد السكسكى قال ابن الابار وهو تابعى دخل الاندلس وحضر فتحها وأصله من مصر يروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه وروى عنه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الافريقى ذكره يعقوب بن سفيان وأورد له حديثا من كتاب الحميدى انتهى • (ومنهم زرعة بن روح الشامى دخل الاندلس وحدث عنه ابنه مسلمة بن زرعة بحكاية عن القاضى مهاجر بن نوفل • (ومنهم محمد بن أوس بن ثابت الانصارى قال ابن الابار تابعى دخل الاندلس يروى عن أبى هريرة قرأته

قوله وزياد فى نسخة وزيد اه

قوله حبان الخ فى نسخة حيان ابن جبلة اه
قوله ابن أبى رباح فى نسخة ابن رباح وقوله وأبو عبد الرحمن فى نسخة وعبد الرحمن اه
قوله العكلى فى نسخة العشكلى اه
قوله ابنه مسلمة فى نسخة ولده مسلم اه

بخط ابن حبيش وقال أبو سعيد بن يونس مؤرخ مصر انه يروى عنه الحرث بن يزيد ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان وكان غزا المغرب والاندلس مع موسى بن نصير ويروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وقال الحميدي انه كان من أهل الدين والفضل معروفا بالفقه ولي بحر افريقية سنة ثلاث وتسعين وغزا المغرب والاندلس مع موسى بن نصير فيما حكاه ابن يونس صاحب تاريخ مصر وكان على بحر تونس سنة ثنتين ومائة على ما حكاه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ولما قتل يزيد بن أبي مسلم والي افريقية اجتمع رأي أهلها عليه فولوه أمرهم وذلك في خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان الى أن ولي بشر بن صفوان الكلبي افريقية وكان على مصر فخرج اليها واستخلف أخاه حنظلة انتهى

(ومنهم عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم الاموي فر من الشام خوفا من المسودة فمر بمصر ومضى الى الاندلس وقد غلب عليها الامير عبد الرحمن بن معاوية الداخل فأكرمه ونوه به وولاه اشبيلية لانه كان قعدد بني أمية ثم انه لما وجد الداخل يدعو لابي جعفر المنصور أشار عليه بقطع اسمه من الخطبة وذكره بسوء صنيع بني العباس ببني أمية فتوقف عبد الرحمن في ذلك فما زال به عبد الملك حتى قطع الدعاء له وذلك انه قال له حين امتنع من ذلك ان لم تقطع الخطبة لهم قتلت نفسي فقطع حينئذ عبد الرحمن الخطبة بالمنصور بعد أن خطب باسمه عشرة أشهر ولما زحف أهل غرب الاندلس نحو قرطبة لحرب الامير عبد الرحمن أنهض اليهم عبد الملك هذا فنهض في معظم الجيش وقدم ابنه أمية أمامه في أكثر العساكر فخالطهم أمية فوجد فيهم قوة لخلاف الفضيحة معهم فانحاز بهم راجعا الى أبيه فلما جاءه سقط في يده وقال له ما حملك على أن استخففت بي وجرأت الناس علي والعدو ان كنت فررت من الموت فقد جئت اليه فأمر بضرب عنقه وجمع أهل بيته وخاصته وقال لهم طردنا من الشرق الى أقصى هذا الصقع ونحسد على لقمة تبقى الرمق اكسروا جفون السيوف فالموت أولى أو الظفر ففعلوا وحملوا وتقدمهم فهزم اليمانية وأهل اشبيلية ولم تقم بعدها لليمانية قائمة وقتل بين الفريقين ثلاثون ألفا وجرح عبد الملك فأتاه عبد الرحمن وجرحه يجري دما وسيفه يقطر دما وقد لصقت يده بقائم سيفه فقبل بين عينيه وجزاه خيرا وقال له يا ابن عم قد أنكحت ابني وولي عهدي هشاما ابنتك فلانة وأعطيتها كذا وكذا وأعطيتك كذا ولاولادك كذا وأقطعتك واياهم كذا وواليتكم الوزارة ومن شعر ملما نظر نخلة منفردة باشبيلية فتذكر وطنه بالشام وقال

يا نخل أنت فريدة مثلي * في الارض نائية عن الاهل
تبكي وهل تبكي مكممة * عجماء لم تجبل على جبل
ولو أنها عقلت اذا البكت * ماء الفرات ومنبت النخل
لكنها حرمت وأخرجني * بغضي بني العباس عن أهلي

*(ومن الداخلين من المشرق الى الاندلس هاشم بن الحسين بن ابراهيم بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين ونزل حين دخوله بلبلة وتعرف منازلهم فيها بمنازل الهاشمي وذكره أمير المؤمنين الحكم المستنصر في كتابه

أنساب الطالبيين والعلويين القادمين الى المغرب • (ومن الداخلين الى الاندلس عبد الله ابن المغيرة الكناني حليف بني عبد الدار سماه أبو محمد الاصيلي الفقيه في الداخلين الاندلس من التابعين حكى ذلك عنه أبو القاسم بن بشكوال في مجموعه المسمى بالتنبيه والتعيين قال ابن الابار وما أراه يتابع عليه وذكره أبو سعيد بن يونس من أهل افريقية انتهى وذكر انه يروى عن سفيان بن وهب الخولاني • (ومنهم عبد الله المعمر الذي طرأ على الاندلس في آخر الزمان وكان يزعم انه لقي بعض التابعين قال ابن الابار روى عنه أبو محمد أسد الجهني ذكر ذلك القيسي وفيه عندي نظر انتهى • (ومنهم أبو عمرو عبد الرحمن ابن شماسة بن ذئب المهري روى عن أبي ذر وقيل عن أبي نضرة عن أبي ذر وعائشة وعمرو بن العاص وابنه عبد الله وزيد بن ثابت وأبي نضرة الغفاري وعقبة بن عامر الجهني وعوف بن مالك الاشجعي ومعاوية بن حديج ومسلمة بن مخلد وأبي رهم ذكره ابن يونس في تاريخ مصر وسماه ابن بشكوال في الداخلين الاندلس من التابعين وروى ذلك عن الحميدي قاله ابن الابار وقال ابن يونس وآخر من حدث عنه بمصر حرملة بن عمران • (ومن الداخلين الى الاندلس من المشرق عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه وقد ذكره ابن حيان في مقتبسه وأخبر أن يوسف بن عبد الرحمن الفهري كتب له أن يدافع عبد الرحمن المرواني الداخل للاندلس وكان المذكور اذذاك أميرا على اليمانية من جند دمشق وانما ركن اليه في محاربة عبد الرحمن لما بين بني عمار وبني أمية من الثار بسبب قتل عمار بصفين وكان عمار رضي الله تعالى عنه من شيعة علي كرم الله وجهه وهذا عبد الله بن سعيد هو جد بني سعيد أصحاب القلعة الذين منهم عدة رؤساء وأمراء وكتاب وشعراء ومنهم صاحب المغرب وغير واحد ممن عرفناه في هذا الكتاب ومن مشاهيرهم أبو بكر محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد صاحب أعمال غرناطة في مدة الملثمين قال وهو القائل يفتخر

ان لم أكن للعلاء أهلا • بمائراه فمن يكون
فكل ما أبتغيه دوني • ولي على همتي ديون
ومن يرم ما يقل عنه • فذاك من فعله جنون
فرع بأفق السماء سام • وأصله راسخ مكين

وقوله

الله يعلم اني • أحب كسب المعالي
وانما أتواني • عنها لسوء المآل
تحتاج للكد والبذ • ل واصطناع الرجال
ودع كل من شاء يسمو • لها بكل احتيال
يخالهم في انعكاس • بها وحالي حالي

وتراجمهم واسعة وقد بسطت في المسهب والمغرب وغيرهما وقد قدمنا في الباب قبل هذا من أخبار بني سعيد هؤلاء ما يثلج الصدر فليراجع • (ومن الوافدين على الاندلس

قوله شماسة في نسخة سماسة بهملتين اه

من المشرق أبو زكريا عبد الرحيم بن أحمد بن نصر بن اسحق بن عمرو بن مزاحم بن غياث التميمي البخاري الحافظ نزيل مصر سمع ببخارى بلده من ابراهيم بن محمد بن يزداد وأخيه أحمد وكانا يرويان معا عن عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي وعن أبي الفضل السليماني بيكند وأبي عبد الله محمد بن أحمد المعروف بغنجار وأبي يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلبي وأقرانه باليمن وأبي القاسم تمام بن محمد الرازي بدمشق وابن أبي كامل باطرابلس الشام وأبي محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ بمصر وله رواية عن أبي نصر الكلاباذي وأبي عبد الله الحاكم وأبي بكر بن فورك المتكلم وأبي العباس بن الحاج الاشبيلي وأبي القاسم علي ابن أحمد الناراعي صاحب الهيثم بن كليب وأبي الفضل العباس بن محمد الحداد التنيسي وأبي الفتح محمد بن ابراهيم بن الجندري وأبي بكر محمد بن داود العقلاني وهلال الحفار وصدقة بن محمد بن مروان الدمشقي ولقي بافريقية العابد ولي الله سيدي محرز بن خلف القيسي مولاهم وصحبه وقال لقد هبته يوم لقيته هيبة لم أجدها لاحد في نفسي من الناس ودخل الاندلس وبلاد المغرب وكتب بها عن شيوخها ولم يزل يكتب الى أن مات حتى كتب عمن دونه وله رسالة الرحلة وأسبابها وقول لا اله الا الله ونوابها فسمع منه أبو عبد الله الرازي وذكره في مشيخته قال الحافظ ابن الابار ومنها نقلت اسمه وتعرفت دخوله الاندلس وحدث عنه هو وجماعة منهم أبو مروان الطبني وقال هو من الرحالين في الآفاق أخبرني انه يحدث عن مئتين من أهل الحديث وأبو عبد الله الحميدي وأبو بكر الطليطلي وأبو عبد الله بن منصور الحضرمي وأبو سعيد الرهاوي وأبو محمد جعفر بن محمد السراج وأبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقي وأبو الحسن بن مشرف الانماطي وأبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي وأبو محمد شعيب بن سبعون الطرطوشي وأبو بكر بن نعمة العابر وأبو الحسن علي بن الحسين الموصلي الغراف وأبو عثمان سعد بن عبد الله الحيدري من شيوخ السلفي وأبو محمد عبد الكريم بن حمزة بن الخضر السلمي وأبو اسحق الكلاعي من شيوخ أبي بحر الاسدي وأبو محمد بن عتاب كتب اليه بجميع ماروى ولم يعرف ذلك في حياته وسماه أبو الوليد بن الدباغ في الطبقة العاشرة من طبقات أئمة المحدثين من تأليفه مع أبي عمر بن عبد البر وابي محمد بن حزم وأبي بكر بن ثابت الخطيب وذكره أبو القاسم بن عساكر في تاريخه وقال سمع بما وراء النهر والعراق ومصر واليمن والقيروان ثم سكن مصر وقدم دمشق قديما وحدث بها وسمى جماعة كثيرة من الرواة عنه وحكى انه قال لي ببخارى أربعة عشر ألف جزء حديث أريد أن أمضي وأجيء بها قال وسئل عن مولده فقال في شهر ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة قال وتوفي بالحوراء سنة احدى وسبعين وأربعمائة رحمه الله تعالى ورضي عنه انتهى قلت والذي أعتقده انه لم يدخل الاندلس من أهل المشرق أحفظ منه للحديث وهو ثقة عدل ليس له مجازفة والحق أبلج ﴿ومن دخل الاندلس من المشرق عبد الجبار بن أبي سلمة الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري دخل الاندلس مع موسى بن نصير وكان على ميسرة عسكره ونزل باجة ثم بطليوس ومن نسله الزهريون الاشراف الذين كانوا باشبيلية

قوله التميمي في نسخة التيمي اه

قوله السليماني في نسخة سليمان اه

قوله أبي نصر في نسخة أبي بكر اه

قوله جعفر في نسخة حفص اه

١ قلوا

انتقلوا الى سكناها قديما هكذا فى خبر القاضى أبى الحسين الزهرى منهم عن أبى بكر بن خير وغيره قال ابن بشكوال فى مجموعه المسمى بالتنبيه والتعيين لمن دخل الاندلس من التابعين عبد الجبار بن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف من التابعين وقع ذكره فى كتاب شيخنا أبى الحسن بن مغيث انتهى قال ابن الابار ولم يزد على هذا انتهى

*(ومن الداخلين الى الاندلس من المشرق أبو محمد عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب من أهل مصر ومكن بغداد ويعرف بالطندتانى قرية بمصر نسب اليها روى عن أبى محمد الشارمساحى وتفقه به وقدم الاندلس رسولا بزعمه من عند الخليفة العباسى فسكن مرسية ودرس بها وخرج منها سنة اثنتين وأربعين وستمائة بعد أن تملكها النصارى صلحا وأسر بناحية صقلية قال ابن الابار ثم بلغنى انه تخلص ولحق ببلده رحمه الله تعالى

*(ومنهم عبد الخالق بن ابراهيم الخطيب يكنى أبا القاسم قال ابن الابار لا أعرف موضعه من بلاد المشرق وكان أديبا قوى العارضة مطبوع الشعر مديد النفس ومن شعره من قصيدة صنعها فى وقت رحلته الى الاندلس قوله

على الذل أوفاحمل عقال الركائب * وللضيم أوفاحمل صدور الكتائب
فاما حياة بعد ادراك منية * واما مماة تحت عز القواضب
فما العيش فى ظل الهوان بطيب * وما الموت فى سبل العلا بعائب

*(ومنهم أبو محمد عبد اللطيف بن أبى الطاهر أحمد بن محمد بن هبة الله الهاشمى الصدفى من أهل بغداد يعرف بالنرسى دخل الاندلس وكان يزعم انه روى عن أبى الوقت السجزى وأبى الفرج الجوزى وغيرهما وله تأليف سماه بالدليل فى الطريق من أقاويل أهل التحقيق ذكره أبو عبد الله محمد بن سعيد الطراز وضعفه بعد ما سمع منه أخذ عنه وسمع منه هو وأبو القاسم عبد الرحمن بن القاسم المغيلى وغيرهما وقال ورد علينا غرناطة قريبا من سنة ثلاث عشرة وستمائة وتوفى عفا الله تعالى عنه باشبيلية قريبا من هذا التاريخ وقال فيه أبو القاسم بن فرقد عبد اللطيف بن عبد الله الهاشمى البغدادى النرسى منسوب الى قرية من قرى بغداد سمع صحيح البخارى من أبى الوقت السجزى وروى عن غيره وله تآليف قال ابن الابار فى التصوف منها تأليف فى اباحة السماع قرأت عليه أكثره وقرأت عليه عوالى النقيب بمدينة اشبيلية بحومة القصر المبارك عام خمسة عشر وستمائة

*(ومنهم أبو بكر عمر بن عثمان بن محمد بن أحمد الخراسانى الباخرزى المالينى يكنى أبا بكر سمع من أبى الخير أحمد بن اسمعيل الطالقانى القزوينى وأبى يعقوب يوسف ابن عمر بن أحمد الخالدى الزنجانى وقدم الاندلس وحدث بصحيفتى الاشج وجعفر ابن نسطور الرومى وسمع منه بغرناطة ومرسية وغيرهما من بلاد الاندلس حدث عنه أبو القاسم الملاحى وسمع منه بمالقة أبو جعفر بن عبد الجبار وأبو على بن هاشم فى صفر سنة ٦٠٠ ومولده فى ربيع الاول سنة ٥٦٠ انتهى من تكملة ابن الابار قلت ولا يخفى على من له بصر بعلم الحديث أن الاشج وابن نسطور لا يلتفت اليهما ويرحم الله تعالى السائى الحافظ اذ قال

حديث ابن نسطور وقيس ويعنم * وبعد أشج الغرب ثم خراش
ونسخة دينار ونسخة تربه * أبي هدبة القيسي شبه فراش

قال ابن عات كان الحافظ السلفي اذا فرغ من انشاد هذين البيتين ينفخ في يديه اشارة الى أن هذه الاشياء كالريح انتهى * (ومن الوافدين على الاندلس من أهل المشرق على ابن بشدار بن اسمعيل بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي من أهل بغداد قدم الاندلس تاجرا سنة سبع وثلاثين وثلثمائة وكان قد أخذ عن أبي الحسن عبد الله بن أحمد ابن محمد بن المغلس الفقيه الداودي وتلمذ له وسمع منه الموضح والمنجح من تأليفه في الفقه وماتم له من أحكام القرآن هكذا نقله الحافظ ابن حزم عن أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله المعتنى بهذا الشان رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو العلا عبيد بن محمد بن عبيد أبو العلا النيسابوري لقيه الحافظ أبو علي الصدفي ببغداد وأخذ عنه اذ قدمها حاجا وهو يحدث عن أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد البصروي قال أبو علي وأراه دخل الاندلس ويغلب على ظني اني لقيته بسرقسطة ذكر ذلك القاضي عياض في المعجم من تأليفه والله تعالى أعلم * (ومنهم سهل بن علي بن عثمان التاجر النيسابوري يكنى أبا نصر سمع جماعة من الخراسانيين وغيرهم منهم أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازي وأبو الفتح السمرقندي وأدرك الامام أبا المعالي الجويني وحضر مجلسه ودرسه ولقي بعده أصحابه القشيري والطوسي وغيرهما وكان شافعي المذهب ذكره عياض وقال حدثني بحكايات وفوائد وأنشدني لابي طاهر السلفي وأجازني جميع رواياته وحدثني ان وفاة أبي المعالي كانت بنيسابور سنة خمس أو أربع وسبعين وأربعمائة وقال أبو محمد العثماني أنشدني أبو نصر سهل بن علي النيسابوري الحقواني قال أنشدنا أبو الفتح نصر بن الحسن أنشدنا أبو العباس العذري قال أنشدنا أبو محمد بن حزم الحافظ لنفسه

ولما رأيت الشيب حل مفارقي * نذيرا برحال الشباب المفارق
رجعت الى نفسي فقلت لها انظري * الى ما أتى هذا ابتداء الحقائق
دعي دعوات اللهو قد فات وقتها * كما قد أفات الليل نور المشارق
دعي منزل اللذات ينزل أهله * وجدي لما تدعى اليه وسابقي

قال عياض توفي سهل هذا غريقا في البحر منصرفا الى بلده من المرية رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو المكارم هبة الله بن الحسين المصري كان من أهل العلم عارفا بالاصول حافظا للحديث يقظا حسن الصورة والشارة دخل الاندلس وولي قضاء اشبيلية منها آخر شعبان سنة تسع وسبعين وخمسمائة قال ابن الابار وبه صرف أبو القاسم الخولاني وأقام بها سنة وحضر غزوة شنترين وكان قدوم أبي المكارم هذا الاندلس خوفا من صلاح الدين يوسف بن أيوب في قوم من شيعة العبيدي ملك مصر ووفد أيضا معه أبو الوفاء المصري ثم استصحبه أمير المؤمنين يعقوب المنصور معه في غزوة قفصة الثانية وولاه حينئذ قضاء تونس وكان قد ولي قضاء فاس وولي أيضا أبو الوفاء صاحبه القضاء وتوفي وهو متولي قضاء تونس سنة ست وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى * (ومنهم يحيى بن عبد الرحمن بن

عبد المنعم بن عبد الله القيسي الدمشقي أصله من دمشق وبها ولد ويعرف بالاصبهاني في مجلس أبي طاهر السلفي لدخوله اياها واقامته بها أزيد من خمسة أعوام لقراءة الخلافيات ويكنى أبا زكريا وسمع بالمشرق أبا بكر بن ماشاده السكري وأبا الرشيد بن خالد البيع وأبا الطاهر السلفي وغيرهم وقصد المغرب بعد أداء الفريضة فلقي ببجاية أبا محمد عبد الحق الاشبيلي وأجازه وحضه على الوعظ والتذكير فامتثل ذلك ودخل الاندلس وتجول ببلادها واستوطن غرناطة منها وكان فقيها على مذهب الشافعي عارفا بالاصول والتصوف زاهدا ورعا كثير المعروف والصدقة يعظ الناس ويسمع الحديث ولم يكن بالضابط فيما قاله الحافظ ابن الابار قال وله كتاب الروضة الانيقة من تأليفه حدث عنه جماعة من الجلة منهم أبو جعفر بن حميرة الضبي وابنا حوط الله أبو محمد وأبو سليمان وأبو القاسم الملاحي وأبو العباس بن الجبار وأبو الربيع بن سالم وقال أنشدني عند تودديي اياه بغرناطة قال سمعت بعض المذكورين ينشد

يازائرا زار وما زارا * كأنه مقتبس نارا
مرتياب الدار مستعجلا * ماضر لو دخل الدارا
نفسي فداء لك من زائر * مازار حتى قيل قد سارا

وسمع منه أبو جعفر بن الدلال كتاب المعالم للخطاب في شرح سنن أبي داود بقراءة جميعه عليه ومولده في شوال سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وتوفي بغرناطة بعد أن سكنها يوم الاثنين سادس شوال سنة ثمان وستمائة قال ابن الابار وفي هذا اليوم بعينه كانت وفاة شيخنا أبي عبد الله بن نوح بالمسية رحمهما الله تعالى *(ومن الوافدين من المشرق الى الاندلس اسمعيل بن عبد الرحمن بن علي القرشي من ذرية عبد بن زمعة أخي سودة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها رحل من مصر الى الاندلس في زمن السلطان الحاكم المستنصر بالله أعوام الستين وثلثمائة حين ملك بنو عبيد مصر وأظهروا فيها معتقدهم الخبيث فخرج يومئذ من الحكم المستنصر محل الرحب والسعة ولما ثارت الدولة العامرية أوى الى اشبيلية واوطنها دارا واتخذها قرارا وبها لقيه أبو عمر بن عبد البر علامة الاندلس فدرس عليه واقتبس مما لديه وقد ذكره في تاريخ شيوخه ولم يزل عقبه بها الى أن نجم منهم أبو الحسين سالم بن محمد بن سالم وهو من رجال الذخيرة وله نثر كما تفتح الزهر وتدفق البحر ونظم كما اتسق الدر وسفرت عن محاسنها الانجم الغر فمن نظمه قوله

خليلي هل ليلى ونجد كعهدنا * فيا حبذا ليلى ويا حبذا نجد
عسى الدهر أن يقضي لنا بالتفاتة * فيارب عهد قد يجدده بعد

وله أثناء رسالة قوس

قوس العلا وضعت في كف باريها * وأسهم الخطب عادت نحو راميها
وانما الشمس لاحت في مطالعها * بلى وأجرى جياد الخيل مجريها

ونشأ هذا النجم الثاقب والصيب الساكب وقد أخذ من العلوم في غير مافن وحقق فيه كل ماظن وذكره في المسهب وسمط الجمان وفضله أشهر رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو

على القالى صاحب الامالى والنوادر وفد على الاندلس أيام الناصر أمير المؤمنين عبد الرحمن فأمر ابنه الحكم وكان يتصرف عن أمر أبيه كالوزير عاملهم ابن رماحس أن يجى مع أبى على القالى قرطبة و يتلقاه فى وفد من وجوه رعيته ينتخبهم من بياض أهل الكورة تكرمة لابى على ففعل وسار معه نحو قرطبة فى موكب نبيل فكانوا يتذاكرون الادب فى طريقهم ويتناشدون الاشعار الى أن تحاوروا يوما وهم سائرون أدب عبد الملك بن مروان ومساءلته جلساءه عن أفضل المناديل وأنشاده بيت عبدة بن الطبيب

ثم قمنا الى جرد مسومة * أعرافهن لايدينا مناديل

وكان الذاكر للحكاية الشيخ أبا على فأنشد الكلمة فى البيت اعرافها لايدينا مناديل فانكرها ابن رفاعة الاليرى وكان من أهل الادب والمعرفة وفى خلقه حرج وزعارة فاستعاد أبا على البيت متثبتا مرتين فى كتبهما أنشده أعرافها فلوى ابن رفاعة عنانه منصرفا وقال مع هذا يوفد على أمير المؤمنين ويتجشم الرحلة لتعظيمه وهو لا يقيم وزن بيت مشهور بين الناس لاتغلط الصبيان فيه والله لا تبعته خطوة وانصرف عن الجماعة وندبه أميره ابن رماحس أن لا يفعل فلم يجد فيه حيلة وكتب الى الحكم يعرفه ويصف له ما جرى لابن رفاعة ويشكوه فأجابه على ظهر كتابه الحمد لله الذى جعل فى بادية من بوادينا من يخطئ وافد أهل العراق البنا وابن رفاعة أولى بالرضا عنه من السخط فدعه لشانه واقدم بالرجل غير منتقص من تكرمته فسوف يعليه الاختبار ان شاء الله تعالى أو يحطه

وبعض المؤرخين يزعم أن وفادة أبى على القالى انما كانت فى خلافة الحكم المستنصر بالاندلس لا فى خلافة أبيه الناصر والصواب ان وفادته فى أيام الناصر لما ذكره غير واحد من حصره وعيه عن الخطبة يوم احتفال الناصر لرسول الافرنج كما ألمعنا به فى غير هذا الموضع وفى القالى يقول شاعر الاندلس الرمادى

من حاكم بينى و بين عذولى * الشجو شجوى والعويل عويلى
فى أى جارحة أصون معذبى * سلمت من التعذيب والتنكيل
ان قلت فى بصرى فثم مدامعى * أو قلت فى قلبى فثم غليلى
لكن جعلت له المسامع موضعا * وحميتها عن عذل كل عذول

ولما سمع المتنبى البيت الثانى قال يصونه فى استه وكان الرمادى لما سمع قول المتنبى

كفى بجسمى نحولا انتى رجل * لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

قال أظنه ضرطة والجزاء من جنس العمل وباسم أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله طرز الشيخ أبو على القالى كتاب الامالى وكان الحكم كريما معنيا بالعلم وهو الذى وجه الى الحافظ أبى الفرج الاصبهانى ألف دينار على أن يوجه له نسخة من كتاب الاغانى وألف أبو محمد الفهرى كتابا فى نسب أبى على البغدادى وروايته ودخوله الاندلس وحكى ابن الطيلسان عن ابن جابر انه قرأ هذين البيتين فى لوح رخام كان سقط من القبة المبنية على قبر أبى على البغدادى عند تدمها وهما

صلوا لحد قبرى بالطريق وودعوا * فليس لمن وارى التراب حبيب

ولا تدفنوني بالعراء فربما * بكى ان رأى قبرا لغريب غريب

واسم أبي علي اسمعيل بن القاسم بن عيذون بن هرون بن عيسى بن محمد بن سليمان وجده سليمان مولى عبد الملك بن مروان وكان أبو علي أحفظ أهل زمانه باللغة والشعر ونحو البصريين وأخذ الادب عن أبي بكر بن دريد الازدي وأبي بكر بن الانباري وابن درستويه وغيرهم وأخذ عنه أبو بكر الزبيدي الاندلسي صاحب مختصر العين ولابي علي التصانيف الحسان كالامالي والبارع وطاف البلاد وسافر الى بغداد سنة ٣٠٣ وأقام بالموصل لسماع الحديث من أبي يعلى الموصلي ودخل بغداد سنة ٣٠٣ وأقام بها الى سنة ٣٢٨ وكتب بها الحديث ثم خرج من بغداد قاصدا الاندلس وسمع من البغوي وغيره قال ابن خلكان ودخل قرطبة لثلاث بقين من شعبان سنة ثلاثين وثلثمائة انتهى وهو مما يعين انه قدم في زمن الناصر لا في زمن ابنه الحكم كما تقدم وقد صرح بذلك الصفدي في الوافي فقال ولما دخل المغرب قصد صاحب الاندلس الناصر لدين الله عبد الرحمن فأكرمه وصنف له ولولده الحكم تصانيف وبث علومه هناك انتهى وقال ابن خلكان انه استوطن قرطبة الى أن توفي بها في شهر ربيع الآخر وقيل جمادى الاولى سنة ٣٥٦ ليلة السبت لست خلون من الشهر المذكور ودفن ظاهر قرطبة ومولده بمنازكرد من ديار بكر سنة ٢٨٨ وقيل سنة ٢٨٠ وانما قيل له القالي لانه سافر الى بغداد مع أهل قاليقلا وهي من أعمال ديار بكر وهو من محاسن الدنيا رحمه الله تعالى وعيذون بفتح العين وسكون الياء المثناة التحتية وضم الذال المعجمة وقال ابن خلكان في ترجمة ابن القوطية ان أبا علي القالي لما دخل الاندلس اجتمع به وكان يبالغ في تعظيمه قال له الحكم بن عبد الرحمن الناصر من أجل ما رأيته ببلدنا هذا في اللغة فقال محمد بن القوطية وكان ابن القوطية مع هذه الفضائل من العباد النساك وكان جيد الشعر صحيح الالفاظ حسن المطالع والمقاطع الا أنه تركه ورفضه وقال الاديب أبو بكر بن هذيل انه توجه يوما الى ضيعة له بسفح جبل قرطبة وهي من بقاع الارض الطيبة المونقة فصادف أبا بكر بن القوطية المذكور صادرا عنها وكانت له أيضا هناك ضيعة قال فلما رآني عرج علي واستبشر بلقائي فقلت مداعبا له

من أين أقبلت يا من لا شبيه له * ومن هو الشمس والدنيا له فلك

قال فتبسم وأجاب بسرعة

من منزل تعجب النساك خلوته * وفيه ستر على الفتاك ان فتكوا

فعلمت أن قبلت يده اذ كان شيخي ودعوت له انتهى وهو صاحب كتاب الافعال التي فتح فيه هذا الباب فتلاه ابن القطاع وله كتاب المقصور والممدود جمع فيه ما لا يحد ولا يعد وأعجز من بعده به وفاق من تقدمه رحمه الله تعالى ورضي عنه ومن أخذ عن أبي علي القالي بالاندلس أبو بكر محمد الزبيدي صاحب كتاب مختصر العين وغيره وكان الزبيدي كثيرا ما ينشد

الفقر في أوطاننا غربة * والمال في الغربة أوطان

قوله سنة ٣٥٦ في نسخة سنة ٣٥٢ اه

قوله بمنازك في نسخة بمنازل اه

والارض شئ كلها واحد * والناس اخوان وجيران

وترجمة الزبيدى واسعة وكان مؤدب المؤيد هشام ووصفه بأنه كان فى صباه فى غاية الحذق والذكاء رحمه الله تعالى وكان القالى قد بحث على ابن درستويه كتاب سيبويه ودقق النظر وانتصر للبصريين وأملى شيأ من حفظه ككتاب النوادر والامالى والمقصور والممدود والابل والخيل والبارع فى اللغة نحو خمسة آلاف ورقة ولم يصنف مثله فى الاحاطة والجمع ولم يتم ورتب كتاب المقصور والممدود على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق مستقصى فى بابه لا يشذ منه شئ وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب مقاتل الفرسان وتفسير السبع الطوال وكان الزبيدى اماما فى الادب ولكنه عرف فضل القالى فمال اليه واختص به واستفاد منه وأقزله وكان الحكم المستنصر قبل ولايته الامر وبعدها ينشط أباعلى ويعينه على التأليف بواسع العطاء ويشرح صدره بالافراط فى الاكرام وكانوا يسمونه البغدادى لوصوله اليهم من بغداد ويقال ان الناصر هو الذى استدعاه من بغداد لولائه فيهم وفيه يقول الرمادى متخلصا فى لاميته السابق بعضها

روض تعاهده السحاب كانه * متعاهد من عهد اسمعيل
قسه الى الاعراب تعلم أنه * أولى من الاعراب بالتفضيل
حازت قبائلهم لغات فرقت * فيهم وحاز لغات كل قبيل
فالشرق خال بعده وكأنما * نزل الخراب بربعه الماهول
فكأنه شمس بدت فى غربنا * وتغيبت عن شرقهم بأفول
ياسيدى هذا ثنائى لم أقل * زورا ولا عرضت بالتنويل
من كان يأمل نائلا فأنا امرؤ * لم أرج غير الغرب فى تأميلى

وقد تقدمت أبيات القالى التى أجاب بها منذر بن سعيد فى الباب قبل هذا فلتراجع ثمة والله تعالى أعلم * (ومن الوافدين الى الاندلس من المشرق أبو العلاء صاعد بن الحسين بن عيسى البغدادى اللغوى وأصله من الموصل قال ابن بسام ولما دخل صاعد قرطبة أيام المنصور بن أبى عامر عزم المنصور على أن يقفى به آثار أبى على البغدادى الوافد على بنى أمية فما وجد عنده ما يرتضيه وأعرض عنه أهل العلم وقدحوا فى علمه وعقله ودينه ولم يأخذوا عنه شيأ لقلة الثقة به وكان ألف كتابا سماه كتاب الفصوص فدحضوه ورفضوه ونبذوه فى النهر ومن شعره قوله

ومهفهف أجهى من القمر * قهر الفؤاد بفاتن النظر
خالسته تفاح وجنته * فأخذتها منه على غرر
فأخافنى قوم فقلت لهم * لا قطع فى ثمر ولا كثر

والكثر الجمار وهذا اقتباس من الحديث وقال الحميدى سمعت أبا محمد بن حزم الحافظ يقول سمعت أبا العلاء صاعدا ينشد بين يدى المظفر عبد الملك بن أبى عامر من قصيدة يهنيه فيها بعيد الفطر سنة ٣٩٦

حسبت المنعمين على البرايا * فألفيت اسمه صدر الحساب

قوله سنة ٣٩٦ فى نسخة سنة ٣٩٩.

وما قدمته الاكانى ● أقدم تاليا أم الكتاب

وذكر الحميدى أن عبد الله بن ما كان الشاعر تناول نرجسة فركبها فى وردة ثم قال لصاعد ولابى عامر بن شهيد صفاها فأخما ولم يتجه لهما القول فبينما هم على ذلك اذ دخل الزهيرى صاحب أبى العلاء وتلميذه وكان شاعرا أديبا أميا لا يقرأ فلما استقر به المجلس أخبر بما هم فيه فجعل يضحك ويقول

ما للاديبين قد أعيتهما ● مليحة من مخ الجنه

نرجسة فى وردة ركبت ● كمثله تطرف فى وجنه انتهى

ومن غريب ما جرى لصاعد أن المنصور جلس يوما وعنده أعيان مملكته ودولته من أهل العلم كالزبيدى والعاصمى وابن العريف وغيرهم فقال لهم المنصور هذا الرجل الوافد علينا يزعم انه متقدم فى هذه العلوم واحب أن يمتحن فوجه اليه فلما مثل بين يديه والمجلس قد احتفل بجلل فرفع المنصور محله وأقبل عليه وسأله عن أبى سعيد السيرافى فزعم انه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه فبادره العاصمى بالسؤال عن مسئلة من الكتاب فلم يحضره جوابها واعتذر بأن التحوليس جل بضاعته فقال له الزبيدى فما تحسن أيها الشيخ فقال حفظ الغريب قال فما وزن أولق فضحك صاعد وقال أمثلى يسأل عن هذا انما يسأل عنه صبيان المكتب قال الزبيدى قد سألناك ولا نشك انك تجهله فتغيروا نه وقال أفعل وزنه فقال الزبيدى صاحبكم ممخرق فقال له صاعد اخال الشيخ صناعته الابنية فقال له أجل فقال صاعد وبضاعتى أنا حفظ الاشعار ورواية الاخبار وفك المعمى وعلم الموسيقى قال فناظره ابن العريف فظهر عليه صاعد وجعل لا يجرى فى المجلس كلمة الا أنشد عليها شعرا شاهدا وأتى بحكاية تجانسها فاعجب المنصور ثم أراه كتاب النوادر لابى على القالى فقال ان أراد المنصور أمليت على كتاب دولته كتابا أرفع منه وأجل لا أورد فيه خبرا مما أورده أبو على فأذن له المنصور فى ذلك وجلس بجامع مدينة الزاهرة على كتابه المترجم بالفصوص فلما أكمله تتبعه أدباء الوقت فلم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم ولا خبر ثبت لديهم وسألوا المنصور فى تجليد كراريس بياض تزال جدتها حتى توهم القدم وترجم عليه كتاب النكت تأليف أبى الغوث الصنعانى فترامى اليه صاعد حين رآه وجعل يقبله وقال اى والله قرأته بالبلد الفلانى على الشيخ أبى فلان فأخذه المنصور من يده خوفا أن يفتحه وقال له ان كنت قد قرأته كما تزعم فعلام يحتوى فقال وأبيك لقد بعد عهدى به ولا أحفظ الآن منه شيأ ولكنه يحتوى على لغة منثورة لا يشوبها شعر ولا خبر فقال له المنصور أبعد الله مثلك فما رأيت أكذب منك وأمر باخراجه وأن يقذف كتاب الفصوص فى النهر فقال فيه بعض الشعراء

قد غاص فى النهر كتاب الفصوص ● وهكذا كل ثقيل يغوص

فأجابه صاعد

عاد الى معدنه انما ● توجد فى قعر البحار الفصوص

قال ابن بسام وما أظن أحدا يجترئ على مثل هذا وانما صاعد لشرط أن لا يأتى الا بالغريب

غير المشهور وأعانهم على نفسه بما كان يتنفق به من الكذب وحكى ابن خلكان أن المنصور أثابه على كتاب الفصوص بخمسة آلاف دينار ومن أعجب ما جرى له انه كان بين يدى المنصور فأحضرت اليه وردة فى غير وقتها لم يستتم فتح ورقها فقال فيها صاعد مرتجلا

أتتك أبا عامر وردة * يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها راسها

فسر بذلك المنصور وكان ابن العريف حاضرا فحسده وجرى الى مناقضته وقال لابن أبى عامر هذان البيتان لغيره وقد أنشدنيهما بعض البغداديين لنفسه بمصر وهما عندى على ظهر كتاب بخطه فقال له المنصور أرنيه فخرج ابن العريف وركب وحرك دابته حتى أتى مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل زمانه بديهة فوصف له ما جرى فقال هذه الابيات ودس فيها بيتى صاعد

غدوت الى قصر عباسة * وقد جدل النوم حراسها
فألفيتها وهى فى خدرها * وقد صرع السكر أناسها
فقالت أسار على هجعة * فقلت بلى فرمت كأسها
ومدت يديها الى وردة * يحاكى لمك الطيب أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها راسها
وقالت خف الله لا تفضحن * فى ابنة عم عباسها
فوليت عنها على غفلة * وما خنت نامى ولا ناسها

فطار ابن العريف بها وعلقها على ظهر كتاب بخط مصرى ومداد أشقر ودخل بها على المنصور فلما رآها اشتد غيظه على صاعد وقال للحاضرين غدا أمتحنه فان فضحه الامتحان أخرجته من البلاد ولم يبق فى موضع لى عليه سلطان فلما أصبح وجه اليه فأحضر وأحضر جميع الندماء فدخل بهم الى مجلس محفل قد أعد فيه طبقا عظيما فيه سقائف مصنوعة من جميع النواوير ووضع على السقائف لعب من ياسمين فى شكل الجوارى وتحت السقائف بركة ماء قد ألقى اللآلى مثل الحصباء وفى البركة حية تسبح فلما دخل صاعد ورأى الطبق قال له المنصور ان هذا يوم اما أن تسعد فيه معنا واما أن تشقى بالضد عندنا لانه قد زعم قوم أن كل ما تأتى به دعوى وقد وقفت من ذلك على حقيقة وهذا طبق ما توهمت انه حضر بين يدى ملك قبلى شكله فصفه بجميع ما فيه وعبر بعض عن هذه القصة بقوله أمر فعبى له طبق فيه أزهار ورياحين وياسمين وبركة ماء حصباؤها اللؤلؤ وكان فى البركة حية تسبح وأحضرها صاعد فلما شاهد ذلك قال له المنصور ان هؤلاء يذكرون ان كل ما تأتى به دعوى لا صحة لها وهذا طبق ما ظننت انه عمل لملك مثله فان وصفته بجميع ما فيه علمت صحة ما تذكره فقال صاعد بديهة

أبا عامر هل غير جدوالذ واكف * وهل غير من عاد الى الارض خائف
يسوق اليك الدهر كل غريبة * واعجب ما يلقاه عندك واصف

وشائع نور صاغها هامر الحيا * على حافتيها عبقر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت * عليها بأنواع الملاهى الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كنسا * تظلها بالياسمين السقائف
وأعجب منها انهن نواظر * الى بركة ضمت اليها الطرائف
حصاها اللآلى سابح فى عبابها * من الرقش مسموم الثعابين زاحف
ترى ماتراه العين فى جنباتها * من الوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة فى مثل ذلك الموضع وكتبها المنصور بخطه وكان الى ناحيته من تلك السقائف سفينة فيها جارية من النوار تجذف بمجاذيف من ذهب لم يرها صاعد فقال له المنصور أحسنت الا انك أغفلت ذكر المركب والجارية فقال للوقت

وأعجب منها غادة فى سفينة * مكللة تصبو اليها المهاتف
اذا راعها موج من الماء تتقى * بسكانها ما أنذرته العواصف
متى كانت الحسناء ربان مركب * تصرف فى يمنى يديه المجاذف
ولم ترعينى فى البلاد حديقة * تنقلها فى الراحتين الوصائف
ولا غروان ساقت معاليك روضة * وثنتها أزاهير الربا والزخارف
فأنت امرؤ لو رمت نقل متالع * ورضوى ذرتها من سطاك نواسف
اذا قلت قولا أو بدهت بديهة * فكلنى له انى لجدلك واصف

فأمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب ورتب له فى كل شهر ثلاثين دينارا وألحقه بالندماء قال وكان شديد البديهة فى ادعاء الباطل قال له المنصور يوما ما الخنبشار فقال حشيشة يعقد بها اللبن ببادية الاعراب وفى ذلك يقول شاعرهم

لقد عقدت محبتها بقلبى * كما عقد الحليب الخنبشار

وقال له يوما وقد قدم اليه طبق فيه تمر ما التمركل فى كلام العرب فقال يقال تمركل الرجل تمركلا اذا التف فى كسائه وكان مع ذلك عالما قال وكان لابن ابى عامر فتى يسمى فاتنا أوحد لا نظير له فى علم كلام العرب فناظر صاعدا هذا فقطعه وظهر عليه وبكته فاعجب المنصور منه فتوفى فاتن هذا سنة ٤٠٢ وبيعت فى تركته كتب مضبوطة جليلة صحيحة وكان منقادا لما نزل به من المثلة فلم يتخذ النساء كغيره وكان فى ذلك الزمان بقرطبة جملة من الفتيان المخانيث ممن أخذ بأوفر نصيب من الادب قال ورأيت تأليف الرجل منهم يعرف بحبيب ترجمه بكتاب الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة وذكر فيه جملة من أشعارهم وأخبارهم ونوادرهم قال ابن بسام وغيره ومن عجائب ما جرى لصاعد انه أهدى أيلا الى المنصور وكتب على يد موصله

ياحرز كل مخوف وأمان كل مشرد ومعز كل مذلل
ياسلك كل فضيلة ونظام كل جزيلة وثراء كل معيل

ومنها

تالله ان رأت عينى وعلمك شاهد * جدوى علائك فى معم مخول

ومنها

وأبي مؤانس غربتي وتحفظي * من صفر أيامي ومن مستعمل
عبد جذبت بضبعه ورفعت من * مقداره أهدى اليك بأيل
سميته غرسية وبعثته * في حبله ليصح فيه تفاؤلي
فلئن قبلت فتلك أنفس منة * أهدى بها ذو منحة وتطول
منحتك غادية السرور بعزة * وحملت أوجاء السحاب المخضل

فقضى في سابق علم الله سبحانه وتعالى أن ملك الروم غرسية أسر في ذلك اليوم بعينه الذي بعث فيه بالايل وسماه باسمه على التفاؤل انتهى وكان غرسية أمنع من النجم وسبب أخذه انه خرج يتصيد فلقيته خيل للمنصور من غير قصد فأسرته وجاءته به فكان هذا الاتفاق مما عظم به العجب ولنورد من أخبار صاعد فنقول حكى ان المنصور قال بسبب هذه القضية انه لم يتفق لصاعد هذا الفأل الغريب الا لحسن نيته وسريرته وصفاء باطنه فرفع قدره من ذلك اليوم فوق ما كان ورجحه على أعدائه وحق له ذلك وفي الزهرة الثامنة والعشرين من كتاب الازهار المنثورة في الاخبار المأثورة حكى أن صاعدا قال جمعت خرق الاكياس والصرر التي قبضت فيها صلات المنصور محمد بن أبي عامر فقطعت الكافور الاسود غلامي منها قميصا كالمرقعة وبكرت به معي الى قصر المنصور فاحتلت في تنشيطه حتى طابت نفسه فقلت يا مولانا لعبدك حاجة فقال اذكرها قلت وصول غلامي كافور الى هنا فقال وعلى هذه الحال فقلت لا أقنع بسواه الا بحضوره بين يديك فقال أدخلوه فمثل قائما بين يديه في مرقعته وهو كالنخلة أشرافا فقال قد حضر وانه لباذل الهيئة فعلك أضعته فقلت يا مولانا هنالك الفائدة اعلم يا مولاي انك وهبت لي اليوم مملوكا كافورا مالا فتهلل وقال لله در من شاكر مستنبط لغوامض معاني الشكر وأمر لي بمال واسع وكسوة وكسا كافورا أحسن كسوة انتهى ولما دخل صاعد دانية وحضر مجلس الموفق مجاهد العامري أمير البلد كان في المجلس أديب يقال له بشار فقال للموفق دعني أعبث بصاعد فقال له لا تتعرض اليه فانه سريع الجواب فأبى الا مساءلته وكان بشار المذكور أعمى فقال لصاعد يا أبا العلاء ما الجرنفل في كلام العرب فعرف صاعد انه وضع هذه الكلمة وليس لها أصل في اللغة فقال بعد أن اطرق ساعة الجرنفل في اللغة الذي يفعل بنساء العميان ولا يتجاوزهن الى غيرهن وهو في ذلك كله يصرح ولا يكني فخجل بشار وانكسر وضحك من كان حاضرا فقال له الموفق قلت لك لا تفعل فلم تقبل انتهى والجرنفل بضم الجيم والراء وسكون النون وضم الفاء وبعدها لام ولصاعد أخبار ونوادر كثيرة غير ما تقدم وله مع المنصور بن أبي عامر رحمه الله تعالى من ذلك كثير وبعضه ذكرناه في هذا الكتاب ومن حكاياته انه خرج معه يوما الى رياض الزاهرة فمد المنصور يده الى شئ من الريحان المعروف بالترنجان فعبث به ورماه الى صاعد وأشار اليه أن يقول فيه فارتجل (لم أر قبل ترنجان عبثت به) الابيات الآتية وهذا المنصور بن أبي عامر قد تقدمت جملة من أخباره ومن أعجب ما وقع له ما رأيته بخزانة فاس في كتاب ألفه صاحبه في الازهار والانوار حكى

فيه فى ترجمة النيلوفر أن المنصور لما قدم عليه رسول ملك الروم الذى هو أعظم ملوكهم
فى ذلك الزمان ليطلع على أحوال المسلمين وقوتهم فامر المنصور أن يغرس فى بركة عظيمة ذات
أميال نيلوفر ثم أمر بأربعة قناطير من الذهب وأربعة قناطير من الفضة فسبكت قطعا
صغارا على قدر ما تسع النيلوفرة ثم ملأ بها جميع النيلوفر الذى فى البركة وأرسل الى
الرومى فحضر عنده قبل الفجر فى مجلسه السامى بالزاهرة بحيث يشرف على موضع البركة
فلما قرب طلوع الشمس جاء ألف من الصقالبة عليهم أقبية الذهب والفضة ومناطق الذهب
والفضة وبيد خمسمائة أطباق ذهب وبيد خمسمائة أطباق فضة فتعجب الرسول من حسن
صورهم وجميل شارتهم فلم يدر ما المراد حتى أشرقت الشمس ظهر النيلوفر من البركة
وبادروا الاخذ الذهب والفضة من النيلوفر وكانوا يجعلون الذهب فى أطباق الفضة والفضة
فى أطباق الذهب حتى التقطوا جميع ما فيها وجاؤا به فوضعوه بين يدى المنصور حتى صار
كوما بين يديه فتعجب النصرانى من ذلك وأعظمه وطلب المهادنة من المسلمين وذهب
مسرعا الى مرسله وقال له لا تعاد هؤلاء القوم فانى رأيت الارض تخدمهم بكنوزها
انتهى وهذه القضة من الغرائب وانها لحيلة عجيبة فى اظهار عز الاسلام وأهله وكان
المنصور بن أبى عامر آية الله سبحانه فى السعد ونصرة الاسلام قال ابن بسام نقلا عن ابن
حيان انه لما انتهت خلافة بنى مروان بالاندلس الى الحكم تاسع الائمة وكان مع فضله
قد استهواه حب الولد حتى خالف الحزم فى توريثه الملك بعده فى سن الصبا دون مشيخة
الاخوة وفتيان العشيرة ومن كان ينهض بالامر ويستقل بالملك قال ابن بسام وكان يقال
لا يزال ملك بنى أمية بالاندلس فى اقبال ودوام ما توارثه الابناء عن الآباء فاذا انتقل الى
الاخوة وتوارثوه فيما بينهم أدبروا نصرم ولعل الحكم لحظ ذلك فلما مات الحكم أخفى
جؤذر وفائق فتياه ذلك وعزما على صرف البيعة الى أخيه المغيرة وكان فائق قد قال له ان
هذا الايتم لنا الا يقتل جعفر المصحفى فقال له جؤذر ونستفتح أمرنا بسفك دم شيخ مولانا
فقال له هو والله ما أقول لك ثم بعثا الى المصحفى ونعيا اليه الحكم وعرفاه رأيهما فى المغيرة
فقال لهما المصحفى وهل أنا الا تبع لكما وأنتما صاحبا القصر ومدبرا الامر فشرعا فى تدبير
ما عزما عليه وخرج المصحفى وجمع أجناده وقواده ونعى اليهم الحكم وعرفهم مقصود جؤذر
وفائق فى المغيرة وقال ان بقينا على ابن مولانا كانت الدولة لنا وان بدلنا استبدلنا فقالوا
الرأى رأيك فبادر المصحفى بانفاذ محمد بن أبى عامر مع طائفة من الجند الى دار المغيرة لقتله
فوافاه ولا خبر عنده فنعى اليه الحكم أخاه فجزع وعرفه جلوس ابنه هشام فى الخلافة فقال
أنا سامع مطيع فكتب الى المصحفى بحاله وما هو عليه من الاستجابة فأجابه المصحفى بالقبض
عليه والاوجه غيره ليقتله فقتله خنقا فلما قتل المغيرة واستوثق الامر لهشام بن الحكم
افتتح المصحفى أمره بالتواضع والسياسة واطراح الكبر ومساواة الوزراء فى الفرش
وكان ذلك من أول ما استحسن منه وتوفر على الاستئثار بالاعمال والاحتجان للاموال
وعارضه محمد بن أبى عامر فتى ما جد أخذ معه بطرفى نقيض بالبذل جودا وبالاستبداد أثرة
وتملك قلوب الرجال الى أن تحركت همته للمشاركة فى التدبير بحق الوزارة وقوى على

أمره بنظره فى الوكالة وخدمته السيدة صبح أم هشام وكانت حاله عند جميع الخدم أفضل الاحوال بتصديه لمواقع الارادة ومبالغته فى تأدية لطيف الخدمة فأخرجت له أم هشام الخليفة الى الحاجب جعفر المصحفى بأن لا ينفرد عنه برأى وكان غير متخيل منه سكونا الى ثقته فامتثل الامر وأطلعه على سره وبالغ فى بره وبالغ محمد بن أبى عامر فى مخادعته والنصح له فوصل المصحفى يده بيده واستراح الى كفايته وابن أبى عامر يمكر به ويضرب عليه ويغرى به الحرة ويناقضه فى أكثر ما يعامل به الناس ويقضى حوايجهم ولم يزل على ما هذه سبيله الى أن انحل أمر المصحفى وهوى نجمه وتفرد محمد بن أبى عامر بالامر ومنع أصحاب الحكم وأجلاهم وأهلكهم وشردهم وشتتهم وصادرهم وأقام من صنائعهم من استغنى به عنهم وصادر الصقالبة وأهلكهم وأبادهم فى أسرع مدة قال ابن حيان وجاشت النصرانية بموت الحكم وخرجوا على أهل الثغور فوصلوا الى باب قرطبة ولم يجدوا عند جعفر المصحفى غناء ولا نصرة وكان مما أتى عليه أن أمر أهل قلعة رباح بقطع ستة رهم لما تخيله من أن فى ذلك النجاة من العدو ولم تقع حيلته لاكثر منه مع وفور الجيوش وجموم الاموال وكان ذلك من سقطات جعفر فأنف محمد بن أبى عامر من هذه الدنية وأشار على جعفر بتبديد الجيش بالجهاد وخوفه سوء العاقبة فى تركه وأجمع الوزراء على ذلك الا من شذ منهم واختار ابن أبى عامر الرجال وتجهز للغزاة واستصحب مائة ألف دينار ونفذ بالجيش ودخل على الثغر الجوفى ونازل حصن الحافة ودخل الربض وغنم وقفل فوصل الحضرة بالسبى بعد اثنين وخمسين يوما فعظم السرور به وخلصت قلوب الاجناد له واستهلكوا فى طاعته لما رأوه من كرمه ومن أخبار كرمه ما حكاه محمد بن أفلح غلام الحكم قال دفعت الى مالا أطيقه من نفقة فى عرس ابنة لى ولم يبق معى سوى لجام محلى ولما ضاقت بى الاسباب قصدته بدار الضرب حين كان صاحبها والدراهم بين يديه موضوعة مطبوعة فأعلمته ما جئت له فابتهج بما سمعه منى وأعطانى من تلك الدراهم وزن اللجام بجديده وسيوره فلا أجرى وكنت غير مصدق بما جرى لعظمه وعملت العرس وفضلت لى فضلة كثيرة وأحبه قلبى حتى لو حملنى على خلع طاعة مولاى الحكم لفعلت وكان ذلك فى أيام الحكم قبل أن يقتعد ابن أبى عامر الذروة وقال غير واحد انه صنع يوما قصرا من فضة لصبح أم هشام وحمله على رؤس الرجال فجلب حبها بذلك وقامت بأمره عند سيدها الحكم وحدثت الحكم خواصه بذلك وقال ان هذا الفتى قد جلب عقول حرمنا بما يتحفهم به قالوا وكان الحكم لشدة نظره فى علم الحديث يتخيل فى ابن أبى عامر انه المذكور فى الحديث ويقول لاصحابه أما تنظرون الى صفرة كفيه ويقول فى بعض الاحيان لو كانت به شجة لقلت انه هو بلا شك فقضى الله أن تلك الشجة حصلت للمنصور يوم ضربه غالب بعد موت الحكم بمدة قال ابن حيان وكان بين المصحفى وغالب صاحب مدينة سالم وشيخ الموالى وفارس الاندلس عداوة عظيمة ومباينة شديدة ومقاطعة مستحكمة وأعجز المصحفى أمره وضعف عن مباراته وشكا ذلك الى الوزراء فأشاروا عليه بملاطفته واستصلاحه وشعر بذلك ابن أبى عامر فأقبل على خدمته وتجرد لاتمام ارادته ولم يزل على ذلك حتى خرج الامر بأن ينهض غالب الى تقدمة

جيش

جيش الثغر وخرج ابن أبي عامر الى غزوته الثانية واجتمع به وتعاقدا على الايقاع بالمصحفي وفشل ابن أبي عامر خاطرا غانما وبعد صيته فخرج أمر الخليفة هشام بصرف المصحفي عن المدينة وكانت في يده يومئذ وخلع على ابن أبي عامر ولا خبر عند المصحفي وملك ابن أبي عامر الباب بولايته للشرطة وأخذ عن المصحفي وجوه الحيلة وخلاه وليس بيده من الامر الا أقله وكان ذلك باعانة غالب له وضبط المدينة ضبطا أنسى به أهل الحضرة من سلف من الكفاة وتولى السياسة وانهماك ابن أبي عامر في صحبة غالب فقطن المصحفي لتدبير ابن أبي عامر عليه فكاتب غالبا يستصلحه وخطب أسماء بنته لابنه عثمان فأجابه غالب لذلك وكادت المصاهرة تتم له وبلغ ابن أبي عامر الامر فقامت قيامته وكاتب غالبا يخوفه الحيلة ويهيج حقوده وألقى عليه أهل الدار وكاتبوه فصرفوه عن ذلك ورجع غالب الى ابن أبي عامر فانكحه البنت المذكورة وتم له العقد في محرم سنة سبع وستين وثلثمائة فأدخل السلطان تلك الابنة الى قصره وجهزها الى محمد بن أبي عامر من قبله فظهر أمره وعز جانبه وكثر رجاله وصار جعفر المصحفي بالنسبة اليه كلا شئ واستقدم السلطان غالبا وقلده الحجابة شركة مع جعفر المصحفي ودخل ابن أبي عامر على ابنته ليلة النيروز وكانت أعظم ليلة عرس في الاندلس وأيقن المصحفي بالنكبة وكف عن اعتراض ابن أبي عامر في شئ من التدبير وابن أبي عامر يساير ولا يظاهره وانفض عنه الناس وأقبلوا على ابن أبي عامر الى أن صار المصحفي يغدو الى قصر قرطبة ويروح وهو وحده وليس بيده من الحجابة سوى اسمها وعوقب المصحفي باعانته على ولاية هشام وقتل المغيرة ثم سخط السلطان على المصحفي وأولاده وأهله وأسبابه وأصحابه وطولبوا بالاموال وأخذوا برفع الحساب لما تصرف فوافيه وتوصل ابن أبي عامر بذلك الى اجتثاث أصولهم وفروعهم وكان هشام ابن أخي المصحفي قد توصل الى أن سرق من رؤس النصارى التي كانت تحمل بين يدي ابن أبي عامر في الغزاة الثالثة ليقدم بها على الحضرة وغاظه ذلك منه فبادره بالقتل في المطبق قبل عمه جعفر المصحفي فلما استقصى ابن أبي عامر مال جعفر حتى باع داره بالرصافة وكانت من أعظم قصور قرطبة واستقرت النكبة عليه سنتين مرة يحتبس ومرة يترك ومرة يقر بالحضرة ومرة ينفر عنها ولا براح له من المطالبة بالمال ولم يزل على هذا الحكم حتى استصفى ولم يبق فيه محمل واعتقل في المطبق بالزهراء الى أن هلك وأخرج الى أهله ميتا وذكر انه سم في ماء شربه قال محمد بن اسمعيل سرت مع محمد بن مسلمة الى الزهراء لنسلم جسد جعفر بن عثمان الى أهله بأمر المنصور وسرنا الى منزله فكان مغطى بخلق كساء لبعض البوابين ألقاه على سريره وغسل على فردة باب اختلع من ناحية الدار وأخرج وما حضر أحد جنازته سوى امام مسجده المستدعى للصلاة عليه ومن حضر من ولده فعجبت من الزمان انتهى وما أحسن عبارة المطمح عن هذه القضية اذ قال قال محمد بن اسمعيل كاتب المنصور سرت بأمره لتسليم جسد جعفر الى أهله وولده والحضور على انزاله في ملحده فنظرته ولا أشوفيه وليس عليه شئ يواريه غير كساء خلق لبعض البوابين فدعا له محمد بن مسلمة بغاسل فغسله والله على فردة باب اقتطع من جانب الدار وأنا أعتبر من تصرف الاقدار وخرج جنابنعشه الى قبره وما معنا سوى امام مسجده

المستدعى للصلاة عليه وما يجاسر أحد منا للنظر اليه وان لى فى شأنه لخبرا ما سمع بمثله طالب وعظ ولا وقع فى سمع ولا تصور فى لحظ وقفت له فى طريقه من قصرة أيام نهيه وأمره أروم اناوله قصه كانت به مختصه فوالله ما تمكنت من الدنو منه بحيلة لكثافة موكبه وكثرة من حف به وأخذ الناس السكك عليه وأفواه الطرق داعين وماريين بين يديه وساعين حتى ناولت قصتى بعض كتابه الذين نصبهم جناحى موكبه لاخذ القصص فانصرفت وفى نفسى ما فيها من الشرق بحاله والغصص فلم تطل المدة حتى غضب عليه المنصور واعتقله ونقله معه فى الغزوات واحتمله واتفق ان نزلت بجليقية الى جانب خبائه فى ليلة تهنى فيها المنصور عن وقود النيران ليخفى على العدو أثره ولا ينكشف اليه خبره فرأيت والله عثمان ولده يسقيه دقيقا قد خلطه بماء يقيم به أوده ويمسك بسببه رمقه بضعف حال وعدم زاد وهو يقول

تعاطيت صرف الحادثات فلم أزل * أراها تولى عند موعدها الحرا
فقه أيام مضت بسبيلها * فانى لا أنسى لها أبدا ذكرا
تجافت بها عنا الحوادث برهة * وأبدت لنا منها الطلاقة والبشرا
ليالى ما يدرى الزمان مكانها * ولا تطرت منها حوادثه شزرا
وما هذه الايام الا سحائب * على كل أرض تمطر الخير والشرا

انتهى وأما غالب الناصرى فانه حضر مع ابن أبى عامر فى بعض الغزوات وصعدا الى بعض القلاع لينظرا فى أمرها فجرت محاورة بين ابن أبى عامر وغالب فسبه غالب وقال له يا كلب أنت الذى أفسدت الدولة وخربت القلاع وتحكمت فى الدولة وسل سيفه فضربه وكان بعض الناس حبس يده فلم تتم الضربة وشجه فألقى ابن أبى عامر نفسه من رأس القلعة خوفا من أن يجهز عليه فقضى الله تعالى انه وجد شيأ فى الهواء منعه من الهلاك فاحتمله أصحابه وعالجوه حتى برئ ولحق غالب بالنصارى فجيش بهم وقابله ابن أبى عامر بمن منعه من جيوش الاسلام فحكمت الاقدار بهلاك غالب وتم لابن أبى عامر ما جد له وتخلصت دولته من الشوائب قالوا ولما وقعت وحشة بين ابن أبى عامر والمؤيد وكان سببها تضريب الحساد فيما بينهما وعلم انه ما دهى الا من جانب حاشية القصر فرقهم ومزقهم ولم يدع فيه منهم الا من وثق به أو عجز عنه ثم ذكر له أن الحرم قد انبسطت أيديهن فى الاموال المختزنة بالقصر وما كانت السيدة صبح أخت رائق تفعله من اخراج الاموال عند ما حدث من تغيرها على ابن أبى عامر وانها أخرجت فى بعض الايام مائة كوز مختومة على أعناق الخدم الصقالبة فيها الذهب والفضة وموهت ذلك كله بالمرى والشهد وغيره والاصباغ المتخذة بقصر الخلافة وكتبت على رؤس الكيزان أسماء ذلك ومرت على صاحب المدينة فاشك انه ليس فيها الا ما هو عليها وكان مبلغ ما حملت فيها من الذهب ثمانين ألف دينار فأحضر ابن أبى عامر جماعة وأعلمهم أن الخليفة مشغول عن حفظ الاموال بانهماكه فى العبادة وان فى اضاعتها آفة على المسلمين وأشار بنقلها الى حيث يؤمن عليها فيه فحمل منها خمسة آلاف ألف دينار عن قيمة ورق وسبعمائة ألف دينار وكانت صبح قد دافعت عما بالقصر من الاموال ولم تمكن من

اخراجها

اخراجها فاجتمع ابن أبي عامر بالخليفة هشام واعترف له بالفضل والغناء في حفظ قواعد الدولة فخرست ألسنة العدا والحسدة وعلم المنصور ما في نفوس الناس لظهور هشام ورؤيتهم له اذ كان منهم من لم يره قط فأبرزه للناس وركب الركبة المشهورة واجتمع لذلك من الخلق ما لا يحصى وكانت عليه الطويلة والقضيب في يده زي الخلافة والمنصور يسايره ثم خرج المنصور لآخر غزواته وقد مرض المرض الذي مات فيه وواصل شن الغارات وقويت عليه العلة فاتخذ له سرير خشب ووطئ عليه ما يقعد عليه وجعلت عليه ستارة وكان يحمل على أعناق الرجال والعساكر تحف به وكان هجر الاطباء في تلك العلة لاختلافهم فيها وأيقن بالموت وكان يقول ان زماني يشتمل على عشرين ألف مرتزق ما أصبح فيهم أسوأ حالة مني ولعله يعني من حضر معه تلك الغزاة والا فعساكر الاندلس ذلك الزمان أكثر من ذلك العدد واشتغل ذهنه بأمر قرطبة وهو في مدينة سالم فلما أيقن بالوفاة أوصى ابنه عبد الملك وجماعته وخلا بولده وكان يكرر وصايته وكلما أراد أن ينصرف رده وعبد الملك يبكي وهو ينكر عليه بكاءه ويقول وهذا من أول العجز وأمره أن يستخلف أخاه عبد الرحمن على العسكر وخرج عبد الملك الى قرطبة ومعه القاضي ابو ذكوان فدخلها أول شوال وسكن الارجاف بموت والده وعرف الخليفة كيف تركه ووجد المنصور خفة فأحضر جماعة بين يديه وهو كالخيال لا يبين الكلام وأكثر كلامه بالاشارة كالمسلم الموقع وخرجوا من عنده فكان آخر العهد به ومات لثلاث بقين من شهر رمضان وأوصى أن يدفن حيث يقبض فدفن في قصره بمدينة سالم واضطرب العسكر وتلوم ولده أياما وفارقه بعض العسكر الى هشام وقفل هو الى قرطبة فمن بقي معه ولبس فتيان المنصور السوح والاكسية بعد الوشي والحبر والخز وقام ولده عبد الملك المظفر بالامر وأجراه هشام الخليفة على عادة أبيه وخلع عليه وكتب له السجل بولاية الحجابة وكان الفتيان قد اضطربوا فقوم المائل وأصلح الفاسد وجرت الامور على السداد وانشرحت الصدور بما شرع فيه من عمارة البلاد فكان أسعد مولود ولد في الاندلس ولنمسك عنان القلم في أمر ابن أبي عامر فقد قدمنا في محله جملة من أحواله وما ذكرناه هنا وان كان محله ما سبق وبعضه قد تكرر معه فهو لا يخلو من فوائد زوائد والله تعالى ولي التوفيق (رجع) الى أخبار صاعد اللغوي البغدادي حكي انه دخل على المنصور يوم عيد وعليه ثياب جدد وخف جديد فمشى على حافة البركة لازدحام الحاضرين في الصف فزلق فسقط في الماء فضحك المنصور وأمر باخراجه وقد كاد البرد أن يأتي عليه فخلع عليه وأدنى مجلسه وقال له هل حضر لك شيء فقال

شيآن كانا في الزمان عجيبة * ضرط ابن وهب ثم وقعة صاعد

فاستبرد ما أتى به أبو مروان الكاتب الجزيري فقال هلا قلت

سروري بغرتك المشرقه * وديمة راحتك المغدقه
ثناني نشوان حتى غرقت في لجة البركة المطبقه
لئن طال عبدك فيها الغريق * لجودك من قبلها أغرقه

فقال له المنصور لله درك يا أبا مروان قسنا بأهل بغداد ففضلتهم فمن نقيسك بعد انتهى وقال في الذخيرة في ترجمة صاعد وفد على المنصور بجماعة من المشرق غرب ولسانا عن العرب أعرب وأراد المنصور أن يقفي به آثار أبي علي القالي فالفى سيفه كهاما وصحابه جهاما من رجل يتكلم بل فيه ولا يوثق بكل ما يذره ولا ما يأتيه انتهى باختصار واصل صاعد من ديار الموصل وقال ارتجالا وقد عبث المنصور بترنجان

لم أدر قبل ترنجان عبثت به * أن الزمرد أغصان وأوراق
من طيبه سرق الاترج نكهته * ياقوم حتى من الاثجار سراق
كأنما الحاجب المنصور علمه * فعل الجميل فطابت منه أخلاق

وقد مه الجاري بقوله

كأن ابريقنا والراح في فمه * طير تناول ياقوتا بمنقار

وقبله

وقهوة من فم الابريق صافية * كالدمع مفجوعة بالالف مغيار

وقال في بدائع البدائه دخل صاعد اللغوي على بعض أصحابه في مجلس شراب فملأ الساقي قدحا من ابريق فبقيت على فم الابريق نقاطة من الراح قد تكونت ولم تقطر فاقترح عليه الحاضرون وصف ذلك فقال وقهوة من فم الابريق ساكبة البيتين ثم قال بعدهما وانما هدم صاعد قول الشريف أبي البركات علي بن الحسين اللغوي

كأن ريح الروض لما أتت * فتت علينا مسك عطار
كأنما ابريقنا طائر * يحمل ياقوتا بمنقار انتهى

ومن نظم صاعد

قلت له والرقيب يجعله * مودعا للفراق أين أنا
فقد كفا الى ترائبه * وقال سر وادعا فأنت هنا

وقال صاعد لما أمر المنصور بن أبي عامر بمعارضة قصيدة لابي نواس

اني لاستحيي عملا * لمن ارتجال القول فيه
من ليس يدرك بالرويه * كيف يدرك بالبديه

وقال حاشد البغدادي في صاعد اللغوي وكان صاعد ينشدهما ويبكي ويقول ما هجيت بشيء اشد علي منهما

اقبل هديت أبا العلاء نصيحتي * بقبولها وبواجب الشكر
لا تهجون أسن منك فربما * تهجو أباك وأنت لا تدري

نعوذ بالله من لسان الشعراء وأنواع البلاء بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن نظم صاعد قوله

بعثت اليك من خيري روض * مخرمة كأوراق العقيق
توكل بالغروب عن التصابي * وتصطاد الخليع من الطريق

وروى صاعد عن القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي وأبي علي الحسن بن أحمد

الفارسي وأبي بكر بن مالك القطيعي وأبي سليمان الخطابي وغيرهم قال الحميدي خرج من الاندلس في الفتنة فمات بها قريبا سنة عشر وأربعمائة وقال ابن حزم توفي بصقلية سنة سبع عشرة وأربعمائة وقال ابن بشكوال في حقه انه يتهم بالكذب وقلة الصدق فيما يورده عفا الله تعالى عنه وقدم الاندلس من مصر أيام المؤيد وتحكم المنصور بن أبي عامر في حدود سنة ٣٨٠ فاكرمه المنصور وزاد في الاحسان اليه والافضال عليه وكان عالما باللغة والآداب والاخبار سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة فكه المجالسة وقال بعضهم دخل صاعد على المنصور وعنده كتاب ورد عليه من عامل له في بعض الجهات اسمه برمان بن يزيد يذكر فيه القلب والتزييل وهما عندهم اسم الارض قبل زراعتها فقال له يا أبا العلاء قال لبيك يا مولانا فقال هل رأيت أو وصل اليك من الكتب القوالبة والزوالبة لبرمان بن يزيد قال اى والله ببغداد في نسخة لابي بكر بن دريد بخطه كراع النمل في جوانبها فقال له أما تستحي أبا العلاء من هذا الكذب هذا كتاب عاملي ببلد كذا واسمه كذا يذكر فيه كذا فجعل يحلف له انه ما كذب ولكنه أمر وافق ومات عن سن عالية رحمه الله تعالى *(ومن الوافدين على الاندلس من المشرق الشيخ تاج الدين بن حمويه السرخسي ولد سنة ٥٧٣ وقد ذكر في رحلته عجائب شاهدها بالمغرب ومشايخ لقيهم فمنهم الحافظ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود ابن حوط الله الانصاري قال سمعت عليه سنة سبع وتسعين وخمسمائة الحديث وشيأ من تصانيف المغاربة وروى لنا عن الحافظ أبي اسحق ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم ابن قرقول وولي ابن حوط الله المذكور قضاء غرناطة وأدرك ابن بشكوال وابن حبيش وابن حميد المرسي النحوي وأبا يزيد السهيلي صاحب الروض وغيرهم ومن الشيوخ الذين لقيهم السرخسي المذكور بالمغرب الفقيه ابن أبي تميم قال وأنشدني

اسمع أخي نصيحتي * والنصح من محض الديانه
لاتقربن الى الشها * دة والوساطة والامانه
تسلم من ان تعزى لزو * ر أو فضول أو خيانه

وذكر انه أدرك الشيخ الولي العارف بالله سيدي أبا العباس أحمد بن جعفر الخزرجي السبتي صاحب الحالات والكرامات الظاهرة والطريقة الغريبة والاحوال العجيبة قال أدركته بمراكش سنة أربع وتسعين وخمسمائة وقد ناهز الثمانين ومهما حصل عنده مال فرقه في الحال وتركته في سنة ثمان وتسعين حيا يرزق انتهى وولي الله السبتي قد ذكرت في غير هذا الموضع بعض أحواله فلتراجع في الباب الثامن من ترجمة لسان الدين ابن الخطيب ومحله مقصود لقضاء الحاجات وقد زرته مرارا عديدة سنة ١٠١٠ وقال لسان الدين في نفاضة الجراب كتبت عن السلطان الغني بالله محمد بن يوسف بن نصر ونحن بفاس يخاطب الضريح المقصود والمنهل المورود والمرعى المتجمع والخوان الذي يكفي الغرثى ويمرض المرضى ويقوت الزمنى ويتعداهم الى أهل الجدة زعموا والغنى قبر ولي الله سيدي أبي العباس السبتي نفعنا الله به وجبر حالنا وأعاد علينا النعم ودفع عنا النقم

ياولى الاله أنت جـــواد * وقصـــدنا الى جمالك المنيع
راعنا الدهر بالخطوب فجئنا * نرتجى من علاك حسن الصنيع
قد دنا لك الاكف نرجى * عودة العز تحت ظلك جميع
قد جعلنا وسيلة تربك الزا * كى وزلفى الى العليم السميع
كم غريب أسرى اليك فوافى * برضا عاجل وخير سريع

ياولى الله الذى جعل جاهه سببا لقضاء الحاجات ورفع الازمات وتصريفه باقيا بعد الممات وصدق نقول الحكايات ظهور الآيات نفعنى الله ببنيتى فى بركة تربك وأظهر على أثر توسلى بك الى الله ربك مزق شملى وفرق بينى وبين أهلى وتعدى على وصرفت وجوه المكايد الى حتى أخرجت من وطنى وبلدى ومالى وولدى ومحل جهادى وحتى الذى صار لى طوعا عن آبائى وأجدادى عن بيعة لم يحل عقدتها الدين ولا ثبوت جرحة تشين وأنا قد قرعت باب الله سبحانه بتأميلك فالتمس لى قبوله بقبولك وردنى الى وطنى على أفضل حال وأظهر على كرامتك التى تشد اليها ظهور الرحال فقد جعلت وسيلتى اليك رسول الحق الى جميع الخلق والسلام عليك أيها الولى الكريم الذى يأمن به الخائف وينتصف الغريم ورحمة الله انتهى *(رجع) والسرخسى المذكور قال فى حقه بعض الائمة انه الشيخ الامام شيخ الشيوخ تاج الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن على بن محمد ابن حويه له رحلة مغربية انتهى وهو من بيت كبير وقال البدرى فى حقه ماصورته تاج الدين شيخ الشيوخ بدمشق أحد الفضلاء المؤرخين المصنفين له كتاب فى ثمان مجلدات ذكر فيه اصول الاشياء وله السياسة الملوكية صنفها للملك الكامل محمد وغير ذلك وسمع الحديث وحفظ القرآن وكان قد بلغ الثمانين وقيل لم يبلغها وقد سافر الى بلاد المغرب سنة ثلاث وتسعين واتصل بمراكش عند ملكها المنصور يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن فأقام هنالك الى سنة ستمائة وقدم مصر وولى مشيخة الشيوخ بعد أخيه صدر الدين بن حويه انتهى وقال غيره انه كان فاضلا متواضعا نزها حسن الاعتقاد قال أبو المظفر كان يحضر مجالسى وأنشدنى يوما

لم ألق مستكبرا الا تحول لى * عند اللقاء له الكبر الذى فيه
ولا حلا لى من الدنيا ولذتها * الا مقابلتى للتيه بالتيه

وقال السرخسى المذكور فى رحلته انى وان كنت خراسانى الطينة لكنى شامى المدينة وان كانت العمومة من المشرق فان الخؤلة من المغرب فحدث باعث يدعو الى الحركات والاسفار ومشاهدة الغرائب فى النواحى والاقطار وذلك فى حال ريعان الشباب الذى تعضده عزائم النفوس بنشاطها والجوارح بخفة حركاتها وانبساطها فخرجت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة الى زيارة البيت المقدس وتجديد العهد ببركاته واغتنام الاجر فى حلول بقاعه ومزاراته ثم سرت منه الى الديار المصرية وهى آهلة بكل ما تجمل به البلاد وتزدهى وينتهى وصف الواصف لشؤنها ولا تنتهى ثم دخلت الغرب من الاسكندرية فى البحر ودخلت مدينة مراكش أيام السيد الامام أمير المؤمنين أبى

قوله الغريم فى نسخة الظليم اه

يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي فاتصلت بخدمته والذي علمت من حاله انه كان يجيد حفظ القرآن ويحفظ متون الاحاديث ويتقنها ويتكلم في الفقه كلاما بليغا وكان فقهاء الوقت يرجعون اليه في الفتاوى وله فتاوى مجموعة حسبما أدى اليه اجتهاده وكان الفقهاء ينسبونه الى مذهب الظاهر وقد شرحت أحوال سيرته وما جرى في أيام دولته في كتاب التاريخ المسمى عطف الذيل وقد صنف كتابا جمع فيه متون أحاديث صحاح تتعلق بها العبادات سماه الترغيب وتهدده ملك الافرنج الفنش في كتابه فمزقه وقال لرسوله ارجع اليهم فلتأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ان شاء الله تعالى ثم قال للكاتب اكتب على هذه القطعة يعني من كتابه الذي مزقه الجواب ماترى لا ما تسمع

فلا كتب الا المشرفية والقنا * ولا رسل الا الخيس العرمرم

ومن شعره أبيات كتب بها الى المغرب وهي

يا أيها الراكب المزجى مطيته * على عذافرة تشقى بها الاكم
بلغ سليمى على بعد الديار بها * بيني وبينكم الرحمن والرحم
يا قومنا لا تشبوا الحرب ان خمدت * واستمسكوا بعرى الايمان واعتصموا
كم جرب الحرب من قد كان قبلكم * من القرون فبادت دونها الامم
حاشى الاعارب أن ترضى بمنقصة * ياليت شعري هل تراهم علموا
يقودهم أرمني لا خلاق له * كأنه بينهم من جهلهم علم

يعني بالارمني قرقوش مملوك بني أيوب الذي كان ذهب الى بلاد المغرب الادنى وأوقد النار الحربية من طرابلس الى تونس مع ابن غانية اللمتوني وحديثه مشهور وتمام الابيات

ألله يعلم أني ما دعوتكم * دعاء ذي قوة يوما فينتقم
ولا لجأت لامر يستعان به * من الامور وهذا الخلق قد علموا
لكن لاجزي رسول الله عن نسب * يفي اليه وترعى ذاكم الذمم
فان أتيتم فحبل الوصل متصل * وان أبيتم فعند السيف نحتكم

ثم قال السرخسي وبلغني أن قوما من الغرباء قصدوه ومعهم حيوانات معلمة منها أسد وغراب أما الاسد فيقصده من دون أهل المجلس ويربض بين يديه وربما أومأ بالسجود ومد ذراعيه وأما الغراب فكان يقول النصر والتمكين لسيدنا أمير المؤمنين وفي ذلك يقول بعض الشعراء

أنس الشبل أنها جا بالاسد * ورأى شبه أبيه فقصد
أنطق الخالق مخلوقاته * شهدوا والكل بالحق شهد
انك الخيرة من صفوته * بعد ما طال على الناس الامد

فاعطاهم وكساهم وأحسن حباهم وبلغني أن قوما أتوه بفيل من بلاد السودان هدية فأمر لهم بصلة ولم يقبله منهم وقال نحن لا نريد أن نكون أصحاب الفيل وقال لي يوما كيف ترى

هذه البلاد وأين هي من بلادك الشامية فقلت يا سيدنا بلادكم حسنة أنيقة مجملة مكملة وفيها عيب واحد فقال ما هو فقلت انها تنسى الاوطان فتبسم وظهر لي اعجابه بالجواب وأمر لي من غد بزيادة رتبة واحسان وحدثني بعض عمالهم انه فرق على الجند والامراء والفقراء في عيد سنة أربع وتسعين ثلاثة وسبعين ألف شاة من ضأن ومعز ودرج الى رحمة الله تعالى سنة خمس وتسعين وخمسمائة وكان قد استخلف ولده محمدا وقرر الامر له انتهى قلت بهذا وأمثاله تعلم فساد مازعمه غير واحد أن يعقوب المنصور هذا تخلى عن الملك وفر زهدا فيه الى المشرق وانه دفن بالبقاع لان هذه مقالة عامية لا يثبتها علماء المغرب وسبب هذه المقالة تولع العامة به فكذبوا في موته وقالوا انه ترك الملك وحكوا ما شاع الى الآن وذاع مما ليس له أصل ويرحم الله تعالى الامام العلامة القاضي الشريف الغرناطي شارح الخزرجية اذ قال في شرح مقصورة حازم عند ذكره وقعة الاراك ما معناه ان بعض الناس يزعمون أن المنصور ترك الملك وذهب الى المشرق وهذا كلام لا يصح ولا أصل له انتهى وقال في المغرب كان أبوه يوسف قد استوزره في حياته وخرج بين يديه وتمرس وهزم الفرنج الهزيمة الفظيعة وتولع بالعلم حتى نفى التقليد وحرق كتب المذاهب وقتل على السكر انتهى وحكى لسان الدين الوزير ابن الخطيب في شرح كتابه رقم الحلل في نظم الدول ان المنصور طلب من بعض أعيان دولته رجلين لتأديب ولده يكون أحدهما برا في عمله والآخر بحرا في عمله فجاءه بشخصين زعم انهما على وفق مقترح المنصور فلما اختبرهما لم يجدهما كما وصف فكتب الى الآتي بهما ظهر الفساد في البر والبحر انتهى وناهيك بهذا دلالة على قوة فطنته ومعرفته رحمه الله تعالى (رجع) الى أخبار السرخسي وقال في رحلته لما ذكر السيد أبا الربيع سليمان بن عبد الله ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي وكان في تلك المدة بلي مدينة سجلماسة وأعمالها اجتمعت به حين قدم الى مراكش بعد وفاة المنصور يعقوب لمبايعة ولده محمد فرأيته شيخا بهي المنظر حسن المخبر فصيح العبارة باللغتين العربية والبربرية ومن كلامه في جواب رسالة الى ملك السودان لغانة ينكر عليه تعويق التجار قوله نحن نتجاور بالاحسان وان تخالفنا في الاديان ونتفق على السيرة المرضية ونتألف على الرفق على الرعية ومعلوم أن العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة والجور لا تعانيه الا النفوس الشريرة الجاهلة وقد بلغنا احتباس مساكين التجار ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده وتردد الجلابة الى البلد مفيد اسكانها ومعين على التمكن من استيطانها ولو شئنا لاحتبسنا من في جهاتنا من أهل تلك الناحية لكنا لا نستصوب فعله ولا ينبغي لنا أن تنهى عن خلق ونأتي مثله والسلام ووقع الى عامل له كثرت الشكاوى منه قد كثرت فيك الاقوال واغضائي عنك رجاء أن تتيقظ فتنصلح الحال وفي مبادرتي الى ظهور الانكار عليك نسبة الى شر الاختيار وعدم الاختبار فاحذر فانك على شفا جرف هار ومن شعره المشهور قصيدة يمدح فيها ابن عمه المنصور يعقوب

هبت بنصركم الرياح الاربع * وجرت بسعدكم النجوم الطلع
واستبشر الفلك الاثير بنا * أن الامور الى مرادك ترجع

وأمدك الرحمن بالفتح الذى * ملأ البسيطة نوره المتشعشع
لم لا وأنت بذلك فى مرضاته * تفانتفدتيها الخلائق أجمع
ومضيت فى نصر الاله مصمما * بعزيمة كالسيف بل هى أقطع
فله جيشك والصوارم تنتضى * والخيل تجرى والاسنة تلمع
من كل من تقوى الاله سلاحه * ما ان له غير التوكل مفزع
لا يسلمون الى النوازل جارهم * يوما اذا أضحى الجوار يضيع

ومنها يصف انهزام العدو

ان ظن أن فراره منجله * فبجهله قد ظن مالا يقنع
أين المفر ولا فرار لهارب * والارض تنشر فى يديك وتجمع
أخليفة الله الرضا هنيته * فتح يمد بما سواه ويشفع
فلقد كسوت الدين عزا شامخا * وليست منه أنت مالا يخلع
هيهات سر الله أودع فيكم * والله يعطى من يشاء ويمنع
لكم الهدى لا يدعيه سواكم * ومن ادعاه يقول مالا يسمع
ان قيل من خير الخلائق كلها * فاليك يا يعقوب تومى الاصبع
ان كنت تتلو السابقين فانما * أنت المقدم والخلائق تتبع
خذها أمير المؤمنين مديحة * من قلب صدق لم يشنه تصنع
واسلم أمير المؤمنين لامة * أنت الملاذ لها وأنت المفزع
فالمدح منى فى علاك طبيعة * والمدح من غيرى اليك تطبع
وعليك يا علم الهداة تحية * يفنى الزمان وعرفها يتضوع

قال لى الفقيه أبو عبد الله محمد القسطلانى دخلت الى السيد أبى الربيع بقصر سجلماسة وبين يديه أقطاع عليها رؤس الخوارج الذين قطعوا الطريق على المسافرين بسجلماسة وغانة وهو ينكث الارض بقضيب من الابنوس ويقول

ولا غرو ان كانت رؤس عداته * جوابا اذا كان السيوف رسائله

ومات بعد السبعمائة رحمه الله تعالى انتهى وقال لما هجره أمير المؤمنين يعقوب المنصور ووافق ذلك أن وفد على حضرة الخلافة مراكش جمع من العرب والغز من بلاد المشرق ونزلوا بقرتاسقت ظاهر مراكش واستأذنوا فى وقت الدخول فكتب الى المنصور

يا كعبة الجود التى حجت لها * عرب الشآم وغزها والديلم
طوبى لمن أمسى يطوف بها غدا * ويحل بالبيت الحرام ويحرم
ومن العجائب أن يفوز بنظرة * من بالشام ومن بمكة يحرم

فعفا عنه وأحسن اليه وأمره بالدخول بهم والتقدم عليهم وقال فى المغرب فى حق السيد أبى الربيع المذكور ما ملخصه لم يكن فى بنى عبد المؤمن مثله فى هذا الشأن الذى نحن بصدده وكان تقدم على مملكتى سجلماسة وبجاية وكان كاتبا شاعرا أديبا ماهرا وشعره مدون وله الغاز وهو القائل فى جارية اسمها الوف

قوله بقرتاسقت فى نسخة بتمرنانسفت اه

خليلي قولا أين قلبي ومن به * وكيف بقاء المرء من بعد قلبه
ولو شئتما اسم الذي قد هويته * لصفحتما أمري لكم بعد قلبه

وله الابيات المشهورة التي منها

أقول لركب أدلجوا بسحيرة * قفوا ساعة حتى أزور ركابها
وأملأ عيني من محاسن وجهها * وأشكو اليها ان أطالت عتابها
فان هي جادت بالوصال وأنعمت * والا فحسبي أن رأيت قبابها

وقال يخاطب ابن عمه يعقوب المنصور

فلا ملأ الخافقين بذكركم * مادمت حيا ناظما ومرسلا
ولا بذلن نصحي لكم جهدي وذا * جهد المقل وما عسى أن أفعلا
ولا خلصن لك الدعاء وما أنا * أهل له ولعله أن يقبلا

وله مختصر كتاب الاغاني انتهى *(رجع) وذكر السرخسي أيضا في رحلته السيد أبا الحسن علي بن عمر ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن وقال في حقه انه كان من أهل الادب والعارب ولي بجاية مدة ثم عزل عنها لاهماله واغفاله وانهماكه في ملاذه أنشد لمحمد بن سعيد المهدي كاتبه قال كتب الامير أبو الحسن الى أمير المؤمنين يعقوب يمدحه ويستزيده ويطلب منه ما يقضي به ديونه

وجوه الامانى بكم مسفره * وضاحكة لى مستبشره
ولى أمل فيكم صادق * قريب عسى الله أن يسره
على ديون وتصحيفها * وعندكم الجود والمغفره

يعني ذنوب وحدثني الشيخ أبو الحسن بن فشتال الكاتب وقد أنشدته

أوحشتني ولو اطلعت على الذي * لك في ضميري لم تكن لي موحشا

فقال أنشدته هذا البيت في مجلس السيد أبي الحسن فقال لي ولمن حضر هل تعرفون لهذا البيت ثانيا فما فينا من عرفه فأنشدنا

أترى رشيت على اطراح مودتي * ولقد عهدتك ليس تنثك الرشا

أوحشتني البيت انتهى وقال في المغرب في حق السيد المذكور ما ملخصه كان هذا السيد أبو الحسن قد ولي مملكة تلمسان وبجاية وله حكايات في الجود برمكية ونفس عالية زكية كتب اليه السيد أبو الربيع يوم جمعة

اليوم يوم الجمعه * يوم سرور ودعه
وشملنا مفترق * فهل ترى أن نجمعه

فأجابه بقوله

اليوم يوم الجمعه * وربنا قد رفعه
والشرب فيه بدعة * فهل ترى أن ندعه

قال ولفظة السيد في المغرب بذلك العصر لا تطلق الا على بني عبد المؤمن بن علي انتهى *(رجع) قال السرخسي وقد ذكر في الرحلة المذكورة السيد أبا محمد عبد الله صاحب

فاس وله من أبيات في الفخر وقد انتحلها غيره

ألست ابن من تخشى الليالي انتقامهم * وترجوند اهم غاديات النحائب
يخطون بالخطى في حومة الوغى * سطور المنايا في نحور المقانب
كتابا باطراف العوالي ونقسه * دم القلب مشكولا بنقع التراتب
وما كنت أدري قبلهم أن معشرا * أقاموا كابا من نفوس الكتائب

وأنشدني المقدم الامير أبو زيد بن بكيت قال أنشدني بعض السادة من بني عبد المؤمن

فديت من أصبحت في أسره * وليس لي من حكمه فادي
ان حل يوما واديا كان لي * جنة عدن ذلك الوادي

ثم ذكر رحمه الله تعالى جملة من علماء الاندلس والمغرب لقيهم في هذه الرحلة ومن نظم السرخسي المذكور قوله رحمه الله تعالى

ياساهر المقلة لاعن كرى * غفلت عن هجعي وأوصابي
لولم يكن وجهك لي قبلة * ما أصبح الحاجب محرابي

وكان متفننا في العلوم وهو عم الامراء الوزراء الرؤساء فخر الدين واخوته ومن مصنفاته المسالك والممالك وعطف الذيل في التاريخ وله أمالي وتخاريج وقدمه المنصور صاحب المغرب على جماعة وتوفي رحمه الله تعالى بدمشق ودفن في مقابر الصوفية عند المنيبع وكان عالي الهمة شريف النفس قليل الطمع لا يلتفت الى أحد رغبة في دنياه لا من أهله ولا من غيرهم وذكره صاحب المرآة وغيره وترجمته واسعة رحمه الله تعالى *(ومن الوافدين على الاندلس ظفر البغدادي سكن قرطبة وكان من رؤساء الوراقين المعروفين بالضبط وحسن الخط كعباس بن عمر الصقلي ويوسف البلوطي وطبقتهما واستخدمه الحكم المستنصر بالله في الوراقة لما علم من شدة اعتناء الحكم بجمع الكتب واقتنائها وقد أشار ابن حيان في كتاب المقتبس الى ظفر هذا رحمه الله تعالى *(ومنهم الرازي وهو محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن لقيط الكناني الرازي والد أبي بكر محمد صاحب التاريخ غلب عليه اسم بلده وكان يفد من المشرق على ملوك بني مروان تابرا وكان مع ذلك متفننا في العلوم وهلك منصرفه من الوفادة على الامير المنذر بن محمد بالبيرة في شهر ربيع الآخر سنة ٢٧٣ ذكره ابن حيان في المقتبس *(ومنهم الوزير أبو الفضل محمد بن عبد الواحد ابن عبد العزيز بن الحرث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الاسود بن سفيان التميمي الدارمي البغدادي سمع من أبي طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص وغيره وخرج من بغداد رسولا عن أمير المؤمنين القائم بأمر الله العباسي رضي الله تعالى عنه الى صاحب افريقية المعز ابن باديس واجتمع مع أبي العلاء المعري بالمعرة وأنشده قصيدة لامية يمدح بها صاحب حلب فقبل عينيه وقال له لله أنت من ناظم وخرج من افريقية من أجل فتنة العرب وخيم عند المأمون بن ذي النون بطليطلة وله فيه أمداح كثيرة ومن فرائد شعره قوله

ياليل ألا انجليت عن قلق * طلت ولاصبر لي على الارق
جفت لحاظي التغميض فملتغا * تطبق أجفانها على الحدق

كأنى صورة تمثلت * ناظرها الدهر غير منطبق

وقال

يزرع وردا ناضرا ناظرى * فى وجنة كالقمر الطالع
أمنع أن أقطف أزهاره * فى سنة المتبوع والتابع
فلم منعتم شفتى قطفها * والشرع أن الزرع للزارع

هكذا نسبها له غير واحد كابن سعيد وابن كبيلة وبعضهم ينسبها للقاضى عبد الوهاب قلت وقد أجاب عنها بعض المغاربة بقوله

سلمت أن الحكم ما قلتم * وهو الذى نص عن الشارع
فكيف تبغى شفة قطفه * وغيرها المدعو بالزارع

قوله ابن كبيلة فى نسخة وأبى كبيلة اه

وردّه شيخ شيوخنا الامام الحافظ أبو عبد الله التنسى ثم التلمسانى بقوله

فى ذا الذى قد قلتم مبحث * اذ فيه ايهام على السامع
سلمتم الحكم له مطلقا * وغيره نص عن الشارع

يعنى انه يلزم على قول المجيب أن يباح له النظر مطلقا والشرع خلافه وأجاب بعض الحنفية بقوله

لان أهل الحب فى حكمنا * عبيدنا فى شرعنا الواسع
والعبد لا ملك له عندنا * فحقه للسيد المانع

وهو جواب حسن لا بأس به ورأيت جوابا لبعض المغاربة على غير رويه وهو

قل لابى الفضل الوزير الذى * باهى به مغربنا الشرق
غرست ظلما وأردت الجنى * والعرق ظلم حق

قلت وهذا مما يعين أن الابيات لابى الفضل الدارمى المذكور فى الذخيرة لا للقاضى عبد الوهاب والله تعالى أعلم ومن شعر الوزير المذكور قوله

بين كريمين منزل واسع * والود حال تقرب الشاسع
والبيت ان ضاق عن ثمانية * متسع بالوداد للتاسع

وولد رحمه الله تعالى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وهو من بيت علم وأدب قال الحميدى أخبرنى بذلك أبو عمر رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحرث وتوفى بطليطلة سنة أربع وخمسين وأربعمائة وقال ابن حيان توفى ليلة الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمس وخمسين وأربعمائة فى كنف المأمون يحيى بن ذى النون وذكر انه كان يتهم بالكذب فالله تعالى أعلم بحقيقة الامر وقال ابن ظافر فى كتابه بدائع البدائه مانصه حضر أبو الفضل الدارمى البغدادى مجلس المعز بن باديس وبالمجلس ساق وسيم قد مسك عذاره وردخديه وعجزت الراح أن تفعل فى الندامى فعل عينيه فأمره المعز بوصفه فقال بديها

ومعذر نقش الجمال بمسكه * خط اله يدم القلوب مضرجا
لما تيقن أن سيف جفونه * من نرجس جعل العذار بنفسجا

وقوله

وقوله فى جارية تبخرت بالند

ومخطوطة المتنين مهضومة الحشى * منعمة الارداف تدمى من اللمس
اذا مادخان الند من جيبها علا * على وجهها أبصرت غيما على شمس

وقوله

ولا غرزت بهجتى فى حبه * غرزا يطيل مع الخطوب خطابى
ولئن تعززان عندى ذلة * تستعطف الاعداء للاحباب

وقوله

دعتنى عيناك نحو الصبا * دعاء يكرر فى كل ساعه
ولولا وحقك عذر المشيب * لقلت لعينيك سمعا وطاعه

وقد تمثل بهذين البيتين لسان الدين بن الخطيب فى خطبة تأليفه المسمى بروضة التعريف بالحب الشريف وقال أبو الفضل الدارمى المذكور أيضا

سطا الفراق عليهم غفلة فغدوا * من جوره فرقا من شدة الفرق
فسرت شرقا وأشواقى مغربة * يابعد مانزحت عن طارقهم طرقى
لولا تدارك دمعى يوم كاظمة * لاحرق الركب ما أبديت من حرق
ياسارق القلب جهرا غير مكترث * أمنت فى الحب أن تعدى على السرق
ارمق بعين الرضا تنعش بعاطفة * قبل المنية ما أبقيت من رمقى
لم يبق منى سوى لفظ يبوح بما * ألقى فيا عجبا للفظ كيف بقى
صلنى اذا شئت أوفاهجر علانية * فكل ذلك محمول على الحدق

قوله بعاطفة فى نسخة بعانية اه

وقال

تذكر نجدا والحمى فبكى وجدا * وقال سقى الله الحمى وسقى نجدا
وخفة أنفاس الخزامى عشية * فهاجت الى الوجد القديم به وجدا
فأظهر سلوانا وأضمر لوعة * اذا طفئت نيرانها وقدت وقدا
ولو أنه أعطى الصبابة حكمها * لابدى الذى أخفى وأخفى الذى أبدى

وقال أيضا

قلت للملتقى على الخدين من ورد خمارا
أسبل الصدغ على خدك من مسك عذارا
أم أعان الليل حتى * قهر الليل النهارا
قال ميدان جرى الحسن عليه فاستدارا
ركضت فيه عيون * فأثارته غبارا

وقال

وكاتب أهديت نفسى له * فهى من الوفدى نفسه
فلست أدرى بعد ما حل بى * بسكه أتلف أم نفسه
سلط خديه على مهجتى * فاستأصلتها وهى من غرسه

وقال

وشادن أسرف فى صده * وزاد فى التيه على عبده
الحسن قد بث على خده * بنفسجا يزهو على ورده
رأيته يكتب فى طرسه * خطا يبارى الدر من عقده
فقلت ما قد خطه كفه * للحسن قد خط على خده

وقال

انى عشقت صغيرا * قد دب فيه الجمال
وكاد يغشى حديث الـ * ـفضول منه الدلال
لو مر فى طرق الهجـ * ـر لاعتراه ضلال
يريك بدرا منيرا * فى الحسن وهو هلال

وقال

ظبى اذا حرك أصداغه * لم يلتفت خلق الى العطر
عنى بشعرى منشد البتنى الـ * ـلفظ الذى أودعه شعرى
فكلما كرر انشاده * قبلته فيه ولم يدر

وقال

أينفع قولى انى لا أحبه * ودمعى بما عليه وجدى يكتب
اذا قلت للواشين لست بعاشق * يقول لهم فيض المدامع يكذب

وقال

وهبنى قد أنكرت حبك جملة * وآليت أنى لا أروم محطها
فمن أين لى فى الحب جرح شهادة * سقامى أملاها ودمعى خطها

وقال

انا أخشى ان دام ذا الهجر أن ينـ * ـشط من حبه عقال وثاقى
فأرى الفؤاد مما اعتراه * وارد الهوى على العشاق

وقال

كلانا لعمرى ذائبان من الهوى * فنارك من هجرى ونارى من هجرك
فانت على مقدار تقاسين من أذى * فصدرى فى نارى ونارى فى صدرى

وقال

ومن عجب العشق أن القتيل * يحن ويصبو الى القاتل

وقال

ألم أجعل مثار النقع بحرا * على أن الجياد له سفين

وقال

أصحت أحلب يأسا لا مدر له * واليأس من ظن أن اليأس محلوب

وأما الحكيم أبو محمد المصرى وهو القائل

رعى الله دهرا قد نعمنا بطيبه * ليالية من خمس الكؤس أصائل
ونرجسنا در على التبر جامد * وخمرتنا تبر على الدر سائل

فقد ترجمه فى الذخيرة فليراجع فان الذخيرة غريبة فى البلاد المشرقية وقد كان عندى بالمغرب من هذا النوع ما استعين به بخلفته هنالك والله تعالى يلم الشعث وقد ذكر فيها انه مغربى سافر الى مصر فقيل له المصرى لذلك فليعلم والله تعالى أعلم *(ومن الوافدين على الاندلس أشهب بن العضد الخراسانى قال ابن سعيد أنشدنا الملوفد على ابن هود فى اشبيلية قصيدة ابن النبيه (طاب الصبوح لنافها الدرهات) وادعاها وفيها

فى روضة غنا تخال طيورها * وغصونها همزا على ألفات

ولم أجد هذا البيت فى قصيدة ابن النبيه انتهى *(ومن الوافدين على الاندلس من المشرق أبو الحسن البغدادى الفكيك وهو مذكور فى الذخيرة وكان حلوا الجواب مليح التنذر يضحك من حضر ولا يضحك هو اذا ندر وكان قصيرا دميما قال ورأيته يوما وقد لبس ثوبا أحمر على بياض وفى رأسه طرطور أخضر عم عليه عمة لازوردية وهو بين يدى المعتمد بن عباد ينشد شعرا قال فيه

وأنت سليمان فى ملكه * وبين يديك انا الهدهد

وأنشد له فى المعتمد

أبا القاسم الملك المعظم قدره * سوالف من الاملاك ليس يعظم
لقد أصبحت حمص بعدلك جنة * وقد أبعدت عن ساكنيها جهنم
ولى فى محيا الربيع وانى * أزخرف أعلام الثناء وأرقم
وأنفقت ما أعطيتنى ثقة بما * أؤمل فالدينار عندى درهم
وقلبى الى بغداد يصبو وانى * لنشر صباها دائما أتنسم

وقال

وروى على ربع العقيق دموعه * عقيقا ففيها لوأم وفريد
شهدت وما تغنى شهادة عاشق * بأن قتيل الغانيات شهيد

ومنها

اذا قابلوه قبلوا ترب أرضه * وهم لعلاه ركع وسجود
وقد هزمنه الله للملك صارما * تقام بحدى شفرتيه حدود

وقال

لا ينحال حال عن سنة الكرى * ولم أصغ يوما فى هواه الى العذل

ومنها

كأن بقاء الطل فوق جفونها * دموع النصابى حزن فى الاعين النجل

ومنها

تملكت رقى بالعوارف منعما * وأغنيتنى بالجود عن كل ذى فضل
وأنسيتنى أرض العراق ودجلة * وربى حسنى ما أحن الى أهلى

وقال فى المقتدر بن هود

لعزك ذلت ملوك البشر * وعفرت تيجانهم فى العفر
وأصبحت أخطرهم بالقنا * وأركبهم لجواد الخطر
سهرت وناموا عن المأثرات * فنالهم فى المعالى أثر
وجليت فى حيث ضل الملوك * فكل بذيل العلا قد عثر

ومنها

وأنتم ملوك اذا شاجروا * أظلتهم من قفاهم شجر

وقال فيه من قصيدة

غنى حسامك فى أرجاء قرطبة * صوتا أباد العدا والليل معتكر
حيث الدماء مدام والقنا زهر * والقوم صرعى بكاس الحتف قد سكروا

وكان مشهورا بالهجاء وله فى نقيب بغداد وكانت فى عنقه غدة

بلع الامانة فهى فى حلقومه * لا ترتقى صعدا ولا تتنزل

وقال فى ناصر الدولة بن حمدان

ولئن غلطت بأن مدحتك طالبا * جدوالك مع علمى بأنك باخل
فالدولة الغراء قد غلطت بأن * سمتك ناصرها وأنت الخاذل
ان تم أمرك مع يديك أصبحت * شلاء فالامثال شئ باطل

ومما ينسب اليه وقيل لغيره

ووعدتنى وعدا حسبتك صادقا * فجعلت من طمعى أجى وأذهب
فاذا جمعت أنا وأنت بمجلس * قالوا مسيلمة وهذا أشعب

*(ومنهم ابراهيم بن سليمان الشامى دخل الاندلس من المشرق فى أخريات أيام الحكم شاديا للشعر وهو من موالى بنى أمية ولم يتفق على الحكم وتحول فى أيام ولده الامير عبد الرحمن فتفق عليه ووصله ثم فى أيام الامير محمد بن عبد الرحمن وكان أدرك بالمشرق كبار المحدثين كابى نواس وأبى العتاهية ومن شعره ما كتب به الى الامير عبد الرحمن

يا من تعالى عن أمية فى الذرى * قدما فاصبح عالى الاركان
ان الغمام غياثه فى وقته * والغيث من كفيك كل أوان
فالغيث قد عم البلاد وأهلها * وظمئت بينهم فبل لسانى

وله فى الامير عبد الرحمن بن الحكم

ومن عبد شمس بالمغارب عصبة * فاسعدها الرحمن حيث أحلها
دعائمها مهدا من العز آمنا * ومدجناحا فوقها فأظلها

*(ومنهم أبو بكر بن الازرق وهو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن حامد بن موسى بن العباس بن محمد بن يزيد وهو الحصنى بن محمد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان من أهل مصر خرج من مصر سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة وصار الى القيروان وامتحن بها مع الشيعة وأقام محبوسا بالمهدية ثم أطلق ووصل الاندلس سنة تسع وأربعين فأحسن اليه المستنصر

بالله الحكم وكان أديبا حكيما سمع من خاله أبي بكر أحمد بن مسعود الزهري وولد سنة تسع عشرة وثلثمائة بمصر وتوفي بقرطبة في ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى *(ومن الوافدين على الاندلس من المشرق رئيس المغنين أبو الحسن علي ابن نافع الملقب بزرياب مولى أمير المؤمنين المهدي العباسي قال في المقتبس زرياب لقب غلب عليه بناه من أجل سواد لونه مع فصاحة لسانه وحلاوة شمائله شبه بطائر أسود غرد عندهم وكان شاعرا مطبوعا وكان ابنه أحمد قد غلب عليه الشعر أيضا وكان من خبره في الوصول الى الاندلس انه كان تلميذا لاسحق الموصلي ببغداد فتلقف من أغانيه استراقا وهدى من فهم الصناعة وصدق العقل مع طيب الصوت وصورة الطبع الى ما فاق به اسحق واسحق لا يشعر بما فتح عليه الى أن جرى للرشيد مع اسحق خبره المشهور في الاقتراح عليه بغنج غريب مجيد للصنعة لم يشتهر مكانه اليه فذكر له تلميذه هذا وقال انه مولى لكم وسمعت له نزعات حسنة ونغمات رائقة ملتاطة بالنفس اذا أتا وقفته على ما استغرب منها وهو من اختراعي واستنباط فكري وأحدس أن يكون له شأن فقال الرشيد هذا طلبتي فاحضرنيه لعل حاجتي عنده فأحضره فلما كلمه الرشيد أعرب عن نفسه بأحسن منطق وأوجز خطاب وسأله عن معرفته بالغناء فقال نعم أحسن منه ما يحسنه الناس وأكثر ما أحسنه لا يحسنونه مما لا يحسن الا عندك ولا يتذخر الا لك فان أذنت غنيتك ما لم تسمعه أذن قبلك فأمر باحضار عود استاذه اسحق فلما أدنى اليه وقف عن تناوله وقال لي عود نحته بيدي وأرهفته باحكامي لا أرتضي غيره وهو بالباب فليأذن لي أمير المؤمنين في استدعائه فأمر بادخاله اليه فلما تأمله الرشيد وكان شيبها بالعود الذي دفعه قال له ما منعك أن تستعمل عود أستاذك فقال ان كان مولاي يرغب في غناء أستاذي غنيته بعوده وان كان يرغب في غنائي فلا بد لي من عودي فقال له ما أراهما الا واحدا فقال صدقت يا مولاي ولا يؤدي النظر غير ذلك ولكن عودي وان كان في قدر جسم عوده ومن جنس خشبه فهو يقع من وزنه في الثلث أو نحوه وأوتاري من حرير لم يغزل بما سخن يكسبها انانة ورخاوة وبها ومثلثها اتخذتهما من مصران شبل أسد فلها في الترنم والصفاء والجهارة والحدة أضعاف ما لغيرها من مصران سائر الحيوان ولها من قوة الصبر على تأثير وقع المضارب المتعاورة بها ما ليس لغيرها فاستبرع الرشيد وصفه وأمره بالغناء فجس ثم اندفع فغناه

يا أيها الملك الميمون طائره * هرون راح اليك الناس وابتكروا

فاتم النوبة وطار الرشيد طربا وقال لاسحق والله لولا اني أعلم من صدقك لي على كتمانه اياك لما عنده وتصديقه لك من انك لم تسمعه قبل لانزلت بك العقوبة لتركك اعلامي بشأنه فخذه اليك واعتن بشأنه حتى أفرغ له فان لي فيه نظرا فسقط في يد اسحق وهاج به من داء الحسد ما غلب على صبره فخلا بزرياب وقال يا علي ان الحسد أقدم الادواء وأدواها والدنيا فتانة والشر كامن في الصناعة عداوة ولا حيلة في حسمها وقد مكرت بي فيما انطويت عليه من اجادتك وعاوطبة تك وقصدت منفعتك فاذا أنا قد أتيت نفسي من مأمنها

بادنائك وعن قليل تسقط منزلتي وترتقي أنت فوقي وهذا مالا أصاحبك عليه ولو أنك ولدي ولولا رعي لذمة تربيتك لما قدمت شيأ على ان أذهب نفسك يكون في ذلك ما كان فتخير في ثنتين لابد لك منهما اما أن تذهب عني في الارض العريضة لا أسمع لك خبرا بعد أن تعطيني على ذلك الايمان الموثقة وأنهضك لذلك بما أردت من مال وغيره واما أن تقيم على كرهي ورغمي مستهدفا الى فخذ الآن حذرك مني فلست والله أبقي عليك ولا أدع اغتيالك باذلا في ذلك بدني ومالي فاقض قضاءك لخروج زرياب لوقته وعلم قدرته على ما قال واختار الفرار قدامه فاعانه اسحق على ذلك سريعا وراث جناحه فرحل عنه ومضى يبغي مغرب الشمس واستراح قلب اسحق منه وتذكره الرشيد بعد فراغه من شغل كان منغمسا فيه فأمر اسحق بحضوره فقال ومن لي به يا أمير المؤمنين ذاك غلام مجنون يزعم أن الجن تكلمه وتطارحه ما يزهى به من غنائه فما يرى في الدنيا من يعدله وما هو الا أن أبطأت عليه جائزة أمير المؤمنين وترك استعادته فقد را التقصير به والتهوين بصناعته فرحل مغاضبا ذاهبا على وجهه مستخفيا عني وقد صنع الله تعالى في ذلك لامير المؤمنين فانه كان به لم يغشاه ويفرط خبطه فيفزع من رآه فسكن الرشيد الى قول اسحق وقال على ما كان به فقد فتنا منه سرور كثير ومضى زرياب الى المغرب ففسي بالمشرق خبره اذ لم يكن اسمه شهرهنالك شهرته بالصقع الذي قطنه ونزعت اليه نفسه وسمت به همته فأم أمير الاندلس الحكم المباين لواليه وخاطبه وذكر له نزاعه اليه واختياره اياه ويعلمه بمكانه من الصناعة التي يفتحلها ويسأله الاذن في الوصول اليه فسر الحكم بكتابه وأظهر له من الرغبة فيه والتطلع اليه واجمال الموعد ما تمناه فسار زرياب نحوه بعياله وولده وركب بحر الزقاق الى الجزيرة الخضراء فلم يزل بها حتى توالت عليه الاخبار بوفاة الحكم فهم بالرجوع الى العدوة فكان معه منصور اليهودي المغني رسول الحكم اليه فثناه عن ذلك ورغبه في قصد القائم مقام الحكم وهو عبد الرحمن ولده وكتب اليه بخبر زرياب فجاءه كتاب عبد الرحمن يذكر تطلعه اليه والسرور بقدومه عليه وكتب الى عماله على البلاد أن يحسنوا اليه ويوصلوه الى قرطبة وأمر خصيا من أكابر خصيانه أن يتلقاه ببغال ذكور واناث وآلات حسنة فدخل هو وأهله البلد ليلا صيانة للحرم وأنزله في دار من أحسن الدور وحمل اليها جميع ما تحتاج اليه وخلع عليه وبعد ثلاثة أيام استدعاه وكتب له في كل شهر بمائتي دينار راتبا وأن يجري على بنيه الذين قدموا معه وكانوا أربعة عبد الرحمن وجعفر وعبيد الله ويحيى عشرون دينارا لكل واحد منهم كل شهر وأن يجري على زرياب من المعروف العام ثلاثة آلاف دينار منها لكل عيد ألف دينار ولكل مهرجان ونوروز خمسمائة دينار وأن يقطع له من الطعام العام ثلثمائة تمدى ثلثا هاشعير وثلثها قمح وأقطعه من الدور والمستغلات بقرطبة وبساتينها ومن الضياع ما يقوم بأربعين ألف دينار فلما قضى له سؤله وانجز موعوده وعلم أن قد أرضاه وملك نفسه استدعاه فبدأ بمجالسته على النبيذ وسماع غنائه فما هو الا أن سمعه فاستهوله واطرح كل غناء سواه وأحبه حبا شديدا وقدمه على جميع المغنين وكان لما خلابه أكرمه غاية الاكرام وأدنى منزلته وبسط أمله وذاكره في أحوال الملوك

وسير الخلفاء ونوادر العلماء فحزل منه بحرا زخر عليه مدة فاعجب الامير به وراقه ما أورده وحضر وقت الطعام فشرفه بالاكل معه هو وأكابر ولده ثم أمر كاتبه بأن يعتقد له صكا بما ذكرناه آنفا ولما ملك قلبه واستولى عليه حبه فتح له بابا خاصا يستدعيه منه متى أراده وذكر أن زرياب ادعى أن الجن كانت تعلمه كل ليلة ما بين نوبة الى صوت واحد فكان يهب من نومه سريعا فيدعو بجاريتيه غزلان وهنيدة فيأخذان عوده هما ويأخذ هو عوده فيطارحهما الليلة ثم يكتب الشعر ثم يعود عجلا الى مضجعه وكذلك يحكى عن ابراهيم الموصلي في لحنه البديع المعروف بالماخوري ان الجن طارحته اياه والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك وزاد زرياب بالاندلس في أوتار عوده وترا خامسا اخترعا منه اذ لم يزل العود ذا أربعة أوتار على الصنعة القديمة التي قوبلت بها الطبائع الاربع فزاد عليها وترا خامسا أحمر متوسطا فاكتسب به عوده ألطف معنى وأكمل فائدة وذلك أن الزير صبغ أصفر اللون وجعل في العود بمنزلة الصفراء من الجسد وصبغ الوتر الثاني بعده أحمر وهو من العود مكان الدم من الجسد وهو في الغلظ ضعف الزير ولذلك سمي مثنى وصبغ الوتر الرابع أسود وجعل من العود مكان السوداء من الجسد وسمي البم وهو أعلى أوتار العود وهو ضعف المثلث الذي عطل من الصبغ وترك أبيض اللون وهو من العود بمنزلة البلغم من الجسد وجعل ضعف المثنى في الغلظ فلذلك سمي المثلث فهذه الاربعة من الاوتار مقابلة للطبائع الاربع تقضي طبائعها بالاعتدال فالبم حار يابس يقابل المثنى وهو حار رطب وعليه تسويته والزير حار يابس يقابل المثلث وهو حار رطب قوبل كل طبع بضده حتى اعتدل واستوى كاستواء الجسم باخلاطه الا انه عطل من النفس والنفس مقرونة بالدم فأضاف زرياب من أجل ذلك الى الوتر الاوسط الدموي هذا الوتر الخامس الاحمر الذي اخترعه بالاندلس ووضعه تحت المثلث وفوق المثنى فكمل في عوده قوى الطبائع الاربع وقام الخامس المزيد مقام النفس في الجسد وهو الذي اخترع بالاندلس مضراب العود من قوادم النسر معتاضا به من مرهف الخشب فارع في ذلك للطف قشر الريشة ونقائه وخفته على الاصابع وطول سلامة الوتر على كثرة ملازمته اياه وكان زرياب عالما بالنجوم وقسمة الاقاليم السبعة واختلاف طبائعها وأهويتها وتشعب بحارها وتصنيف بلادها وسكانها مع ماسخ له من فك كتاب الموسيقى مع حفظه لعشرة آلاف مقطوعة من الاغاني بألحانها وهذا العدد من الالحان غاية ما ذكره بطليموس واضع هذه العلوم ومؤلفها وكان زرياب قد جمع الى خصاله هذه الاشتراك في كثير من ضروب الظروف وفنون الادب وألطف المعاشرة وحوى من آداب المجالسة وطيب المحادثة ومهارة الخدمة الملوكية مالم يجده أحد من أهل صناعته حتى اتخذه ملوك أهل الاندلس وخواصهم قدوة فيما سنه لهم من آدابه واستحسنه من أطعمته فصار الى آخر أيام أهل الاندلس منسوبا اليه معلوما به فمن ذلك انه دخل الى الاندلس وجميع من فيها من رجل أو امرأة يرسل جمته مفروقا وسط الجبين عاما للصغير والحاجبين فلما عاين ذوو التحصيل تحديقه هو وولده ونساؤه لشعورهم وتقصيرها دون جباههم وتسويتها مع حواجبهم وتدويرها

الى آذانهم واسدالها الى أصداغهم حسبما عليه اليوم الخدم الخصية والجوارى هوت اليه أفئدتهم واستحسنوه ومماسنه لهم استعمال المرتك المتخذ من المرداسنج لطرد ريح الصنان من مغابنهم ولاشئ يقوم مقامه وكانت ملوك الاندلس تستعمل قبله ذرور الورد وزهر الريحان وماشاكل ذلك من ذوات القبض والبرد فكانوا لا تسلم ثيابهم من وضر فدلهم على تصعيدها بالملح وتبييض لونها فلما جربوه أحدوه جدا وهو أول من اجتنى بقلة الهليون المسماة بلسانهم الاسفراج ولم يكن أهل الاندلس يعرفونها قبله ومما اخترعوه من الطبيخ اللون المسمى عندهم بالنقايا وهو مصطنع بماء الكزبرة الرطبة محلى بالسنبوسق والكباب ويليه عندهم لون التقلية المنسوبة الى زرياب ومما أخذه عنه الناس بالاندلس تفضيله آنية الزجاج الرفيع على آنية الذهب والفضة وايثاره فرش انطاع الاديم اللينة الناعمة على ملاحف الكتان واختياره سفر الاديم لتقديم الطعام فيها على الموائد الخشبية اذ الوضر يزول عن الاديم بأقل مسحة ولبسه كل صنف من الثياب فى زمانه الذى يليق به فانه رأى أن يكون ابتداء الناس للباس البياض وخلعهم للملوز من يوم مهرجان أهل البلد المسمى عندهم بالعنصرة الكائن فى ست بقين من شهر بؤنة الشمسى من شهورهم الرومية فيلبسونه الى أول شهر أكتوبر الشمسى منها ثلاثة أشهر متوالية ويلبسون بقية السنة الثياب الملونة ورأى أن يلبسوا فى الفصل الذى بين الحر والبرد المسمى عندهم الربيع من صبغهم جباب الخز واللهم والمحرر والدراريع التى لا بطائن لها لقربها من لطف ثياب البياض الظهائر التى ينتقلون اليها لخفتها وشبهها بالمحاشى ثياب العامة وكذا رأى أن يلبسوا فى آخر الصيف وعند أول الخريف المحاشى المروية والثياب المصمتة وماشاكلها من خفائف الثياب الملونة ذوات الحشو والبطائن الكثيفة وذلك عند قرص البرد فى الغدوات الى أن يقوى البرد فينتقلوا الى أثخن منها من الملونات ويستظهرون من تحتها اذا احتاجوا الى صنوف الفراء واستمر بالاندلس أن كل من افتتح الغناء فيبدأ بالنشيد أول شدوه بأى نقر كان ويأتى اثره بالبسيط ويختم بالمحركات والاهزاج تبعا لمراسم زرياب وكان اذا تناول الالقاء على تلميذ يعلمه أمره بالقعود على الوساد المدور المعروف بالمسورة وأن يشد صوته جدا اذا كان قوى الصوت فان كان لينه أمره أن يشد على بطنه عمامة فان ذلك مما يقوى الصوت ولا يجد متسعا فى الجوف عند الخروج على الفم فان كان أصم الاضراس لا يقدر على أن يفتح فاه أو كانت عادته زم اسنانه عند النطق راضه بأن يدخل فى فيه قطعة خشب عرضها ثلاث أصابع يبيتها فى فمه ليالى حتى يتفرج فكاه وكان اذا أراد أن يختبر المطبوع الصوت المراد تعليمه من غير المطبوع أمره أن يصيح بأقوى صوته ياجمام أو يصيح آه ويمتد بها صوته فان سمع صوته بها صافيا نديا قويا مؤديا لا يعتريه غنة ولا حبسة ولا ضيق نفس عرف أن سوف يجيب وأشار بتعليمه وان وجده خلاف ذلك أبعده وكان له من ذكور الولد ثمانية عبد الرحمن وعبيد الله ويحيى وجعفر ومحمد وقاسم وأحمد وحسن ومن الاناث ثنتان علية وحمدونة وكلهم غنى ومارس الصناعة واختلفت بهم الطبقة فكان أعلاهم عبيد الله ويتلوه

عبد الرحمن لكنه ابتلى من فرط التيه وشدة الزهو وكثرة العجب بغنائه والذهاب بنفسه بما لم يكن له شبه فيه وقلما يسلم مجلس حضوره من كدر يحدثه ولا يزال يجترى على الملوك ويستخف بالعظماء ولقد حمله سخفه على أن حضر يوما مجلس بعض الاكابر الاعاظم فى أنس قد طاب به سروره وكان صاحب قنص تغلب عليه لذته فاستدعى بازيا كان كافا به كثيرا لتذكره فجعل يمسح أعطافه ويعدل قوادمه ويرتاح لنشاطه فسأله عبد الرحمن أن يهبه له فاستحيا من رده وأعطاه اياه مع ضنه به فدفعه عبد الرحمن الى غلامه ليحمل به الى منزله وأسر اليه فيه بسر لم يطلع عليه فمضى لشأنه ولم يلبث أن جاء بطيفورية مغطاة مكرمة بطابع مختوم عليها من فضة فاذا به لون مصوص قد اتخذ من البازى بعد ذبحه على مائدة لاهله وذهب الى الانتقال اليه فى شرابه وقال لصاحب المجلس شاركنى فى نقلى هذا فانه شريف بديع الصنعة فلما رآه الرجل أنكر صفته وعاب لحمه وسأله عنه فقال هو البازى الذى كنت تعظم قدره ولا تصبر عنه قد صيرته الى ما ترى فغضب صاحب المنزل حتى ربا فى أثوابه وفارقه حمله وقال له قد كان والله أيها الكلب السفيه على ما قدرته وما اقتديت فيه الا بكبار الناس المؤثرين لمثله وما أسعفتك به الا معظما من قدرك ما صغرت من قدرى وأظهرت من هوان السنة عليك باستحلالك لسباع الطير المنهى عنها ولا أدع والله الآن تأديبك اذ أهملك أبوك معلم الناس المروءة ودعاله بالسوط وأمر بنزع قلنسوته وساط هامته مائة سوط فاستحسن جميع الناس فعله به وأبدوا الشماتة به وكان محمد منهم مؤثرا وكان قاسم أحذقهم غناء مع تجويده وتزوج الوزير هشام بن عبد العزيز جمدونة وذكر عبادة الشاعر أن أول من دخل الاندلس من المغنين علون وزرقون دخلا فى أيام الحكم بن هشام فتفقا عليه وكانا محسنين لكن غناؤهما ذهب لغلبة غناء زرياب عليه وقال عبد الرحمن بن الشمر منجم الامير عبد الرحمن ونديمه فى زرياب

يا علىّ بن نافع يا علىّ ● أنت أنت المهذب اللوذعىّ
أنت فى الاصل حين يسأل عنه ● هاشمىّ وفى الهوى عبشمىّ

قال ابن سعيد وأنشد لزرياب والدى فى مجمه

علقتها ريحانة ● هيفاء عاطرة نضيره
بين السمينة والهزيلة والطويلة والقصيره
لله أيام لنا ● سلفت على دير المطيره
لا عيب فيها للمتيم غير أن كانت يسيره

انتهى

وكان لزرياب جارية اسمها صفعة أدبها وعلمها أحسن أغانيه حتى شبت وكانت رائعة الجمال وتصرفت بين يدى الامير عبد الرحمن بن الحكم تغنيه مرة وتسقيه أخرى فلما فطنت لاعجابه بها أبدت له دلائل الرغبة فأبى الا التستر فغنته بهذه الابيات وهى لها فى ظن بعض الحفاظ

يا من يغطى هواه ● من ذا يغطى النهارا

قوله منفعة فى نسخة منعة اه

قد كنت أملك قلبي * حتى علقت فطارا
يا ويلتا أتراه * لي كان أو مستعارا
يا بابي قد رشي * خلعت فيه العذارا

فلما انكشف لزرياب أمرها أهداها اليه فحظيت عنده وكانت حمدونة بنت زرياب متقدمة في أهل بيتها محسنة لصناعتها متقدمة على اختها علية وهي زوجة الوزير هشام بن عبد العزيز كما مر وطال عمر علية بعد أختها حمدونة ولم يبق من أهل بيتها غيرها فافتقر الناس اليها وحملوا عنها وكانت مصابيح جارية الكاتب أبي حفص عمر بن قليل أخذت عن زرياب الغناء وكانت غاية في الاحسان والنبل وطيب الصوت وفيها يقول ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد وكتب به الى مولاها

يا من يضن بصوت الطائر الغرد * ما كنت أحسب هذا الضن من أحد
لو أن أسماع أهل الارض قاطبة * أصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد

من أبيات فخرج حافيا لما وقف على ذلك وأدخله الى مجلسه وتمتع من سماعها رحم الله تعالى الجميع وقال علوية كنت مع المأمون لما قدم الشام فدخلنا دمشق وجعلنا نطوف فيها على أماكن بني أمية فدخلنا قصرا مفروشا بالرخام الاخضر وفيه بركة يدخلها الماء ويخرج منها فيسقي بستانا وفي القصر من الاطيار ما يغني صوته عن العود والمزمار فاستحسن المأمون ما رأى وعزم على الصبوح فدعا بالطعام فأكلنا وشربنا ثم قال لي غني بأطيب صوت وأطربه فلم يمر على خاطري غير هذا الصوت

لو كان حولي بنو أمية لم * ينطق رجال أراهم نطقوا

فنظر الي مغضبا وقال عليك لعنة الله وعلى بني أمية فعلمت أني قد أخطأت فجعلت أعتذر من هفوتي وقلت يا أمير المؤمنين اتلومني أن أذكر مواليّ بني أمية وهذا زرياب مولاك عندهم بالاندلس يركب في أكثر من مائة مملوك وفي ملكه ثلثمائة ألف دينار دون الضياع وانى عندكم أموت جوعا وفي الحكاية طول واختلاف ومحل الحاجة منها ما يتعلق بزرياب رحم الله تعالى الجميع وذكرها الرقيق في كتاب معاقرة الشراب على غير هذا الوجه ونصه وركب المأمون يوما من دمشق يريد جبل الثلج فمر ببركة عظيمة من برك بني أمية وعلى جانبها أربع سروات وكان الماء يدخل سيحا فاستحسن المأمون الموضع ودعا بالطعام والشراب وذكر بني أمية فوضع منهم وتنقصهم فأخذ علوية العود واندفع يغني

أرى امرتي في كل يوم وليلة * يروح بهم داعي المنون ويغتدي
اولئك قوم بعد عز وثروة * تفانوا فالا أذرف العين أكمد

فضرب المأمون بكاسه الارض وقال لعلوية يا ابن الفاعلة لم يكن لك وقت تذكر مواليك فيه الا هذا الوقت فقال مولاكم زرياب عند مواليّ بالاندلس يركب في مائة غلام وانا عندكم بهذه الحالة فغضب عليه نحو شهر ثم رضي عنه انتهى ونحوه لابن الرقيق في كتابه قطب السرور وقال في آخر الحكاية وانا عندكم أموت من الجوع ثم قال وزرياب ولي المهدي ووصل الى بني أمية بالاندلس فعلت حاله حتى كان كما قال علوية انتهى ولما

غنى زرياب بقوله

ولولم يشقنى الظاعنون لشاقنى * حمام تداعت فى الديار وقوع
تداعين فاستبكين من كان ذا هوى * نوائح ما تجرى لهن دموع

ذيلها عباس بن فرناس يمدح بعض الرؤساء بديهة فقال

شددت بمعمود يداحين خانها * زمان لاسباب الرجاء قطوع
بقى لمساعى الجود والمجد قبلة * اليها جميع الاجودين ركوع

وكان محمود جوادا فقال له يا ابا القاسم أعزما يحضرنى من مالى القبة يعنى قبة قامت عليه بخمسمائة دينار وهى لك بما فيها مع كسوتى فى هذه وتكون فى ضيافتك بقية يومنا ودعا بكسوة فلبسها ودفع اليه الكسوة * (ومن الوافدين من المشرق الامير شعبان ابن كوحيا من غز الموصل وفد على أمير المؤمنين يعقوب المنصور ملك الموحدين ورفع له أمداحا جليلة وقدمه على امارة مدينة بسطة من الاندلس قال أبو عمران بن سعيد أنشدنى لنفسه

يقولون ان العدل فى الناس ظاهر * ولم أر شيأ منه سرا ولا جهرا
ولكن رأيت الناس غلاب أمرهم * اذا ما جنى زيد أعادوا به عمرا
والا فما بال النطاسى كلما * شكوت له يمنى يدى قصد اليسرى

* (ومن الوافدين من المشرق على الاندلس أبو اليسر ابراهيم بن أحمد الشيبانى من أهل بغداد وسكن القيروان ويعرف بالرياضى وكان له سماع ببغداد من جلة المحدثين والفقهاء والنحويين لقى الجاحظ والمبرد وثعلبا وابن قتيبة ولقى من الشعراء أبا تمام والبحترى ودعبلا وابن الجهم ومن الكتاب سعيد بن حميد وسليمان بن وهب وأحمد بن أبى طاهر وغيرهم وهو الذى أدخل افريقية رسائل المحدثين وأشعارهم وطرائف أخبارهم وكان عالما أديبا ومرسلا بليغا ضاربا فى كل علم وأدب سمع وكتب بيده أكثر كتبه مع براعة خطه وحسن وراقته وحكى انه كتب على كبره كتاب سيبويه كله بقلم واحد ما زال يبريه حتى قصر فأدخله فى قلم آخر وكتب به حتى فنى بتمام الكتاب وله تآليف منها لفظ المرجان وهو أكبر من عيون الاخبار وكتاب سراج الهدى فى القرآن ومشكله واعرابه ومعانيه والمرصعة والمديحة وجال فى البلاد شرقا وغربا من خراسان الى الاندلس وقد ذكر ذلك فى أشعاره وكان أديب الاخلاق نزيه النفس كتب لامير افريقية ابراهيم بن أحمد بن الاغلب ثم لابنه أبى العباس عبد الله وكان أيام زيادة الله بن عبد الله آخر ملوك الاغالبة على بيت الحكمة وتوفى بالقيروان سنة ثمان وتسعين ومائتين فى أول ولاية عبيد الله الشيعى وهو ابن خمس وسبعين سنة وممن ألم بذكره المؤرخ الاديب أبو اسحق ابراهيم ابن القاسم المعروف بالرقيق وقال على بن سعيد فى حقه انه كان أديبا شاعرا مرسلا حسن التأليف وقدم الاندلس على الامام محمد بن عبد الرحمن وذكر له معه قصة ذكرها ابن الابار فى كتابه اتحاف الوفادة وحكى ان له مسندا فى الحديث وكتابا فى القرآن سماه سراج الهدى والرسالة الوحيدة والمؤنسة وقطب الادب وغير ذلك من الاوضاع قال وكتب لبنى

الاغلب حتى انصرمت أيامهم ثم كتب لعبيد الله حتى مات ومن الرواة عنه أبو سعيد عثمان ابن سعيد الصيقل مولى زيادة الله بن الاغلب وأسند اليه الحافظ ابن الابار رواية شعر أبي تمام بان قال قرأت شعر حبيب على أبي الربيع بن سالم وقرأت جملة منه على غيره وناولنى جميعه وحدثنى به عن أبي عبد الله بن زرقون عن الخولانى عن أبي القاسم حاتم بن محمد عن أبي غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوى عن أبيه عن ابى تمام عن أبي سعيد المذكور يعنى ابن الصيقل عن أبي اليسر عن حبيب وهو اسناد غريب انتهى • (ومنهم أبو اسحق ابراهيم ابن خلف بن منصور الغسانى الدمشقى المعروف بالسنهورى وسنهور من بلاد مصر روى عن أبي القاسم بن العساكر وأبي اليمن الكندى وأبي المعالى الفراوى وأبي الطاهر الخشوعى وغيرهم قال أبو العباس التبانى قدم علينا يعنى اشبيلية سنة ثلاث وستمائة وسمى جماعة من شيوخه وحكى انه كان يروى موطأ أبي مصعب وصحيح مسلم بعلو وقال سليمان بن حوط الله أجازنى وابنى محمدا جميع ما رواه عن شيوخه الذين منهم أبو الفخر فتاخسرو بن فيروز الشيرازى وذكر أن روايته بنزول لانه لم يرحل الا بعد وفاة الشيوخ المشاهير بهذا الشان وقال أبو الحسن بن القطان وسماه فى شيوخه قدم علينا تونس سنة اثنتين وستمائة واستجزته لابنى حسن فأجازه وابا ى قال وانصرف من تونس الى المغرب ثم الاندلس وقدم علينا بعد ذلك مرتا كش فلقيناه من الاسر فظهر فى حديثه عن نفسه تجازف واضطراب وكذب زهد فيه واثر ذلك انصرف الى المشرق راجعا وقد كان اذ أجاز ابنى كتب بخطه جملة من أسانيده وسمى كتبا منها الموطأ والصحيحان وغير ذلك قال وقد تبرأت من عهدة جميعه لما أثبت من حاله وحدثنى أبو القاسم بن أبي كرامة صاحبنا بتونس أن السنهورى هذا لما انصرف الى مصر امتحن بملكها الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب لاجل معاداته أبا الخطاب بن الجميل فضرب بالسياط وطيف به على جمل مبالغة فى اهانته انتهى وقال بعض المؤرخين فى حقه ما نصه الشيخ المحدث الرحالة ابراهيم السنهورى صاحب الرحلة الى البلاد دخل الاندلس كما ذكره ابن النجار وغيره وهو الذى ذكر لمشايخ الاندلس وعلمائها أن الشيخ أبا الخطاب بن دحية يدعى انه قرأ على جماعة من شيوخ الاندلس القدماء فأنكروا ذلك وأبطلوه وقالوا لم يلق هؤلاء ولا أدركهم وانما اشتغل بالطلب أخيرا وليس نسبه بصحيح فيما يقوله ودحية لم يعقب فكتب السنهورى محضرا وأخذ خطوطهم فيه بذلك وقدم به ديار مصر فعلم أبو الخطاب ابن دحية بذلك فاشتكى الى السلطان منه وقال هذا يأخذ عرضى ويؤذينى فأمر السلطان بالقبض عليه فقبض وضرب وأشهر على حمار وأخرج من ديار مصر وأخذ ابن دحية المحضر وحرقه ولم يزل ابن دحية على قرب من السلطان الى حين وفاته وبنى له دارا للحديث وهى الكاملية بين القصرين فلم يزل يحدث بها الى أن مات وقد ذكرنا فى ترجمة ابن دحية من هذا الكتاب شيأ من أحواله وأن الناس فيه معتقد ومنتقد وهكذا جرت العادة خصوصا فى حق الغريب المنتسب للعلم وعند الله تجتمع الخصوم وممن كان عليه لاله أبو المحاسن محمد بن نصر المعروف بابن عنين فانه قال فيه

دحيـة لم يعقب فلم تعـتزى * اليه بالبهتان والافك
ماصح عند الناس شئ سوى * انك من كلب بلا شك

هكذا ذكره ابن النجار وأطال فى الوقيعة فى أبى الخطاب بن دحية وقال الذهبى قرأت بخط الضياء عند ماذكر ابن دحية انه قال لقيته بأصبهان ولم أسمع منه شيأ وأخبرنى ابراهيم الشهورى بأصبهان انه دخل المغرب وان مشايخه كتبوا له جرحه وتضعيفه وقد رأيت أنا منه غير شئ مما يدل على ذلك وبسببه بنى السلطان الملك الكامل دار الحديث بالقاهرة وجعله شيخها وقد سمع منه الامام أبو عمرو بن الصلاح الموطأ سنة نيف وستمائة وأخبره به عن جماعة منهم أبو عبد الله بن زرقون وقال ابن واصل كان أبو الخطاب مع فرط معرفته بالحديث وحفظه الكثير منه متهما بالمجازفة فى النقل وبلغ ذلك الملك الكامل فأمره أن يعلق شيأ على كتاب الشهاب فعلق كتابا تكلم فيه على أحاديثه وأسانيده فلما وقف الملك الكامل على ذلك قال له بعد أيام قد ضاع منى ذلك الكتاب فعلق لى مثله ففعل فجاء فى الثانى مناقضة للاول فعلم الملك الكامل صحة ماقيل عنه ونزلت مرتبته عنده وعزله عن دار الحديث أخيرا وولى أخاه أبا عمرو عثمان وقال ابن نقطة كان أبو الخطاب موصوفا بالمعرفة والفضل ولم أره الا أنه كان يدعى أشياء لاحقيقة لها ذكر لى أبو القاسم ابن عبد السلام وكان ثقة قال نزل عندنا ابن دحية فقال انى أحفظ صحيح مسلم والترمذى فأخذت خمسة أحاديث من الترمذى ومثلها من المسند ومثلها من الموضوعات فخلطتها فى جزء ثم عرضت عليه حديثا من الترمذى فقال ليس بصحيح وآخر فقال لا أعرفه ولم يعرف منها شيأ فأفسد نفسه بذلك وقال سبط ابن الجوزى انه كان يتزيد فى كلامه ويثلب المسلمين ويقع فيهم فترك الناس الرواية عنه وكذبوه وقد كان الملك الكامل مقبلا عليه فلما انكشف له شأنه أخذ منه دار الحديث وأهانه وقال العماد بن كثير قد تكلم الناس فيه بأنواع من الكلام ونسبه بعضهم الى وضع حديث فى قصر صلاة المغرب وكنت أود أن أقف على اسناده ليعلم كيف رجاله وقد أجمع العلماء كما ذكره ابن المنذر وغيره على أن صلاة المغرب لا تقصر واتفق انه وصل فى جمادى الاولى سنة ٦١٦ الى غزة فخرج كل من فى غزة بالاسلحة والعصى والحجارة الى الموضع الذى هو فيه وضربوه ضربا شديدا بعد أن انهزم من كان معه انتهى وقد منا فى ترجمته توثيق جماعة له فربك أعلم بحاله *(ومنهم عبد الله بن محمد بن آدم القارى الخراسانى رحل من خراسان الى الاندلس يكنى أبا محمد ذكره أبو عمرو المقرى وقال سمعته يقرأ مرات كثيرة فكان من أحسن الناس صوتا ولم تكن له معرفة بالقراءة ولا دراية بالاداء انتهى *(ومنهم عبد الرحمن بن داود بن على الواعظ من أهل مصر يعرف بالزبزارى يكنى أبا البركات وأبا القاسم ويلقب زكى الدين قدم على الاندلس وتجول فى بلادها واعظا ومذكرا وسمع منه الناس بقرطبة واشبيلية وهى سلية وبلنسية سنة ٦٠٨ قال ابن الابار وسمعت وعظه اذ ذاك بالمسجد الجامع من بلنسية وادعى الرواية عن أبى الوقت السجزى والسلفى وأبى الفضل عبد الله بن أحمد الطوسى وأبى محمد بن المبارك بن الطباخ وأبى الفضل محمد بن يوسف الغزنوى وشهدة الكاتبة بنت

الابرى زعم انه قرأ عليها صحيح البخارى وجماعة بالمشرق والاندلس لم يلقهم ولم يسمع منهم وربما حدث بواسطة عن بعضهم واكثرهم مجهولون وقفت على ذلك فى فهرسة روايته فزهد أكثر السامعين منه واطرحوا الرواية عنه ومنهم أبو العباس النباتى وأبو عبد الله بن أبى البقاء وجمع أربعين حديثا مسلسلة سماها باللآلى المفصلة حدث فيها عن ابن بشكوال وابن غالب الشراط وغيرهما من الاندلسيين الذين لم يلقهم ولا أجاز له أخذها عنه ابن الطيلسان وغيره وكان مع هذا فقيها على مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه فصيحا مشاركا فى فنون من العلم سمح الله تعالى له انتهى (ولا بأس أن نذكر جملة من النساء القادمات من المشرق على الاندلس ثم نعود أيضا الى ذكر أعلام الرجال فنقول)

(من النساء الداخلات الاندلس من المشرق عابدة المدينة أم ولد حبيب بن الوليد المروانى المعروف بدحون وكانت جارية سوداء من رقيق المدينة حالكة اللون غير أنها تروى عن مالك بن أنس امام دار الهجرة وغيره من علماء المدينة حتى قال بعض الحفاظ انها تروى عشرة آلاف حديث وقال ابن الابار انها تسند حديثا كثيرا وهى أم ولد بشر بن حبيب والذى وهبها الدحون فى رحلته الى الحج هو محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك ابن مروان فقدم بها الاندلس وقد أعجب بعلمها وفهمها واتخذها للفراشة رحم الله تعالى الجميع (ومنهن فضل المدنية وكانت حاذقة بالغناء كاملة الخصال وأصلها لاحدى بنات هرون الرشيد ونشأت وتعلمت ببغداد ودرجت من هنالك الى المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فازدادت ثم طبقتها فى الغناء واشتريت هنالك للامير عبد الرحمن صاحب الاندلس مع صاحبتها علم المدنية وصواحب غيرها اليهن تنسب دار المدنيات بالقصر وكان يؤثرهن لجودة غنائهن ونصاعة ظرفهن ورقة أدبهن وتضاف اليهن جارية قلم وهى ثالثة فضل وعلم فى الحظوة عند الامير المذكور وكانت أندلسية الاصل رومية من سبى البشكنس وحملت صبية الى المشرق فوقعت بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم وتعلمت هنالك الغناء فحذقته وكانت أديبة ذاكرة حسنة الخط راوية للشعر حافظة للاخبار عالمة بضروب الآداب (ومن النساء الداخلات الى الاندلس من المشرق قمر جارية ابراهيم بن حجاج اللخمى صاحب اشبيلية وكانت من أهل الفصاحة والبيان والمعرفة بصوغ الالحان وجلبت اليه من بغداد وجمعت أدبا وظرفا ورواية وحفظا مع فهم بارع وجمال رائع وكانت تقول الشعر بفضل أدبها وله فى مولاها تمدحه

ما فى المغارب من كريم يرتجى * الا حليف الجود ابراهيم
انى حللت لديه منزل نعمة * كل المنازل ما عداه ذميم

وأنشد لها السالمى لما ذكرها عدة أشعار منها قولها تتشوق الى بغداد

آها على بغداد ها وعراقها * وظبائها والسحر فى أحداقها
ومجالها عند الفرات بأوجه * تبدو وأهلتها على أطواقها
متبخترات فى النعيم كأنما * خلق الهوى العذرى من أخلاقها
نفسى الفداء لها فأى محاسن * فى الدهر تشرق من سنا اشراقها

(ومن

*(ومنهن الجارية العجفاء) قال الارقى قال لى أبو السائب وكان من أهل الفضل والنسك هل لك فى أحسن الناس غناء فجئنا الى دار مسلم بن يحيى مولى بنى زهرة فاذن لنا فدخلنا بيتا عرضه اثنا عشر ذراعا فى مثلها وطوله فى السماء ستة عشر ذراعا وفى البيت نمرقتان قد ذهب عنهما اللحمة وبقى السدى وقد حشيتا بالليف وكرسيان قد تفككا من قدمهما ثم اطلعت علينا عجفاء كلفاء عليها هروى أصفر غسيل وكان وركبها فى خيط من وسطها ففلت لابى السائب بأبى أنت ماهذه فقال اسكت فتناولت عودا فغنت

بيد الذى شغف الفؤاد بكم * تفريج ما ألقى من الهمّ
فاستبقنى ان قد كلفت بكم * ثم افعلى ماشئت عن علم
قد كان صرم فى المماة لنا * فعجلت قبل الموت بالصرم

قال فتحسنت فى عينى وبدا ما أذهب الكلف عنها وزحف أبو السائب وزحفت معه ثم تغنت

برح الخفاء فايما بك تكتم * وسوف يظهر ماتسر فيعلم
مما تضمن من عزيز قلبه * ياقلب انك بالحسان لمغرم
ياليت انك ياحسام بأرضنا * تلقى المراسى طائعا وتخيم
فتذوق لذة عيشنا ونعيمه * ونكون اخوانا فاذا انتقم

فقال أبو السائب ان يقم هذا فأعضه الله تعالى بكذا وكذا من أبيه ولا يكنى فزحفت مع أبى السائب حتى فارقنا النمرقتين وربت العجفاء فى عينى كما يربو السويق بماء مزنة ثم غنت

ياطول ليلى أعالج السقما * أدخل كل الاحبة الحرما
ما كنت أخشى فراقكم أبدا * فاليوم أمسى فراقكم عزما

فألقيت طيلسانى وأخذت شادكونة فوضعتها على رأسى ووضعت كما يصاح على اللوبيا بالمدينة وقام أبو السائب فتناول ربعة فى البيت فيها قوارير ودهن فوضعها على رأسه وصاح صاحب الجارية وكان الشغ قوانيق يعنى قوارير فاصطكت القوارير وتكسرت وسال الدهن على راس أبى السائب وصدره وقال للعجفاء لقد هجت لى داء قديما ثم وضع الربعة وكنا نختلف اليها حتى بعث عبد الرحمن بن معاوية صاحب الاندلس فابتيعت له العجفاء وحملت اليه *(ومن القادمين على الاندلس من المشرق الشيخ عبد القاهر بن محمد ابن عبد الرحمن الموصلى قال أبو حيان قدم علينا رسولا من ملك مصر الى ملك الاندلس فسمعت منه بالمرية انتهى *(ومنهم أحمد بن الحسن بن الحرث بن عمرو بن جرير بن ابراهيم بن مالك المعروف بالاشتر بن الحرث النخعى يكنى أبا جعفر دخل الاندلس فى ايام الامير محمد بن عبد الرحمن وأصله من الكوفة وكان يروى أحاديث عظيمة العدد ذكر ذلك الرازى وحكى أن الامير محمدا روى عنه منها وأنزله برية *(ومنهم أحمد بن ابى عبد الرحمن واسمه يزيد بن أحمد بن عبد الرحمن القرشى الزهرى من ولد عبد الرحمن بن عوف من أهل مصر وفد على الناصر بقرطبة وكان دخوله اليها فى محرم سنة ٣٤٣

فاكرم الناصر مثواه وكان نقيه أهل مصر ذكره ابن حيان * (ومنهم أبو الطاهر اسمعيل ابن الاسكندراني الذي ببلده أبا طاهر السلفي وسمع منه ودرس عليه كتاب الاصطلاح للسمعاني وقدم الاندلس ودخل مرسية تاجرا وكان فقيها على مذهب الشافعي وأنشد على السلفي قوله

أنا من أهل الحديث وهم خير فئه
عشت تسعين وأر * جو أن أعيش لمائه

فعاش كما تمنى رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن اسمعيل بن بشر الانطاكي الامام أبو الحسن التميمي نزيل الاندلس ومقريها ومسندها أخذ القراءة عرضا وسماعا عن ابراهيم بن عبد الرزاق ومحمد بن الاخرم وأحمد بن يعقوب النائب وأحمد ابن محمد بن خشيش ومحمد بن جعفر بن بيان وصنف قراءة ورش قرأ عليه جماعة منهم أبو الفرج الهيثم الصباغ وابراهيم بن مبشر المقرى وطائفة آخرون من قراء الاندلس وسمع منه عبد الله بن أحمد بن معاذ الداراني قال أبو الوليد بن الفرضي أدخل الانطاكي الاندلس علما جما وكان بصيرا بالعربية والحساب وله حظ من الفقه قرأ الناس عليه وسمعت أنا منه وكان اماما في القراآت لا يتقدمه أحد في معرفتها في وقته وكان مولده بانطاكية سنة ٢٩٩ ومات بقرطبة في ربيع الاول سنة ٣٧٧ رحمه الله تعالى * (ومنهم عمر بن مودود بن عمر الفارسي البخاري يكنى أبا البركات ولد بسلماس ونشأ بها وكتب الحديث هنالك وتعلم العربية والفقه وهو من أبناء الملوك وانتقل الى المغرب فدخل الاندلس ونزل مالقة في حدود ثلاثين وستمائة ودخل اشبيلية وكانت له رواية بالمشرق قال ابن الابار أجاز لي ما رواه ولم يسم أحدا من شيوخه وبلغني انه سمع صحيح البخاري بالدامغان على أبي عبد الله محمد بن محمود وكانت اجازته لي سنة ٦٣١ وعاش بعد ذلك وتوفي بمرسية بعد الاربعين وستمائة وحدث بالاندلس وأخذ عنه الناس وكان من أهل التصوف والتحقق بعلم الكلام رحمه الله تعالى * (ومنهم الشريف الاجل الرحالة الشيخ نجم الدين بن مهذب الدين وكنت لا أتحقق من أي البلاد هو من المشرق ثم اني علمت انه من بغداد اذ وقفت على كتابين كتبهما في شأن العناية به الاديب العلامة أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي أحدهما لابي العلا حسان والثاني للكاتب أبي الحسن العنسي وهو الذي يفهم منه انه من بغداد (ونص الاول)

يا ابن الوصي اذا حملت وصيتي * أوجبت حقا للحقوق يضاف
وتحيتي كل التحايا دونها * وكذاك دون رسولها الاشراف
أحسن بأن تلقى ابن حسان بها * مهتزة لورودها الاعطاف
كالروض باكره الندى فاعرفها * يا ابن النبي على الندى مطاف
وعلا لسان أبا العلا وكانه * يلقى به الاسعاد والاسعاف
وأحق من عرف الكرام بوصفهم * من جعت منهم له أوصاف

هذه يا سيدي تحية تجب لها اجابة وحيه وتصلح بها هشاشة وأريحيه أودعتها بطن هذه

الجمالة وبعثتها مع صدر من أبناء الرسالة ولله درّ من راضع درّ انبوته متواضع مع شرف الابوة نازعته طرف الاشعار وأطراف الاخبار فوجدته بحرا حصاه الدرّ النفيس وروضا يجتنى منه أطايب السمر الجليس وينعت بنجم الدين وهو كنعته نجم يضيء سناه ويحلّ بيتا من الشرف ربه بناه وقد جاب الفضاء العريض ورأى القصور الحمر والبيض وورد الجون بعد ما شرب من ماء جيحون وزار مشاهد الحرمين ثم سار فى أرض الهرمين وفارق افريقية لهذا الافق مختارا وعبر الى الاندلس فاطال بها اعتبارا وتشوق الى حضرة الانوار المفاضه والنعم السابغة الفضفاضه وجعل قصدها بحجة سفره طواف الافاضه وهمه أن يشاهد سناها العلوى ويبصر ما يحقر عنده المرئى والمروى وهى غاية يقول الآمل عليها أطلت حومى وجنة يتلو الداخل لها يا ليت قومى وسيدى هو منها باب على الفتح بنى وجناب عنان الامل اليه ثنى وقصده من هذا الشريف أجلّ قاصد وأظلته سماء المجد بجمال المشترى وظرف عطارد ومتى نعتناه فالخبر ليس كالعيان ومتى شبهناه فالتمويه بالشبه عقوق المعقبان ومن يفضح قريحته بأن يقول لها صفيه لكن يعرّف عن نفسه بما ليس فى وسع واصفيه ويقتضى من عزيمة برّه ما لا سعة للمترخص فيه ان شاء الله تعالى وهو يديم علاكم ويحرس مجدكم وسناكم بمنه والسلام الكريم الطيب العميم يخصكم به معظم مجدكم المعتد بذخيرة ودّكم المحافظ على كريم عهدكم ابن عميرة ورحمة الله تعالى وبركاته وفى الرابع والعشرين لربيع الآخر من سنة ٦٣٩ انتهى (ونص الثانى) هل لك يا سيدى أبا الحسن فيمن له كل شاهد حسن فى الشرف المنتقى له قدم أثبتها بالوصىّ والحسن أيها الاخ الذى ملكته قيادى وأسكنته فؤادى عهدى بك تعتام الآداب النقيه وتشتاق اللطائف المشرقيه وتتصفّ فترى أن فى سيلنا جفاء وفى مغرسنا جفاء وأن المحاسن نبت أرض مابها ولدنا وزرع وادليس بما عهدنا وانا فى هذا أشايعك وأتابعك وأنا فضل من يشازلك ويشازعك وقد أتانا الله تعالى بحجة تقطع الحجج وتسكت المهج وهو الشريف الاجل السيد المبارك نجم الدين بن مهذب الدين نجل الذرّية المختاره ونجم الدرّية السياره جرى مع زعزع ونسيم ورتع فى جميم وهشيم وشاهد عجائب كل أقليم وشرّق الى مطلع ابن جلا وغرّب حتى نزل بشاطئ سلا وقد توجه الآن الى حضرة الامامة الرشيدية أيدها الله تعالى لينتهى من أصابع العدالى العقد ويحصل من مخض الحقيقة على الزبد وقد علم انه ما كل الخطب كخطبة المنبر ولا جميع الايام مثل يوم الحج الاكبر وأدبه يا سيدى من نسبة أفقه بل على شكل حسبه وخلقه فاذا رأيته شهدت بأن الشرق قد اتحفه أبرقة بغداذه بل رمانا بجملة أفلاذه والحظ فيما يجب من بره وتأنيسه انما هو فى الحقيقة لجليسه فيا غبطة من يسبق لجواره ويقبس من أنواره وأنت لا محالة تفهمه فهمى وتشيم من شيمه عارضا برى القلوب الهيم بهمى وتضرب فى الاخذ من فوائده وقلائده بسهم وددت انه سهمى والسلام انتهى * (ومنهم تقىّ الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين أبى العباس أحمد بن الغرس الحنفىّ المصرىّ قال الوادى آشى فيه

انه من أعيان مصر قال وسألته هل يقع بين أهل مصر تنازع فى تفضيل بعض المذاهب على بعض فأجابنى بأن هذا لا يقع عندهم بين أهل الرسوخ فى العلم وذوى المعرفة والفهم وانما يصدر هذا بين الناشئين قال والحنفية الظهور عليهم حين يقولون لهم لنا عليكم اليد الطولى فى الخبز لكونه بمصر يطيب فى الفرن بارواث الدواب وكذلك تسخين الحمام فان المالكية وغيرهم بمصر يقلدون الحنفية فى ذلك قال وسألته حفظه الله تعالى هل للوباء بمصر وقت معلوم فقال لى جرت العادة عندهم بقدر الله تعالى وسره فى خليقته أن كل سنة أو اثنتين أو ثلاث مثلثة يكون فيها الوباء والله تعالى أعلم وان هذا متعارف عندهم هكذا قال لى وعيب ما يقع من بعض النقادين بتونس وما يصدر عنهم بكثرة من القائهم الاسئلة العويصة فى أصول الدين وغيرها على من يرد عليهم قصدا فى تعجيزه وتعنيته ثم قال ان من المنقول عن الامام أبى حنيفة رحمه الله تعالى ان من حفظت عنه تسعة وتسعون خصلة تقتضى الكفر وواحدة تقتضى الايمان ان الواحدة المقتضية للايمان تغلب وتبقى حرمتها عليه انتهى •

وقد ذكرنا فى الباب الاول من هذا القسم حكاية البصرى المغنى القادم من المشرق من البصرة على عبد الوهاب الحاجب بافريقية فى دولة بنى المعز بن باديس وسردنا دخوله عليه فى مجلس أنسه وما اتفق فى ذلك له معه وانه وصف له بلاد الاندلس وحسنها وطيبها فارتحل المغنى اليها ومات بها حسبما لخصناه من كلام الكاتب ابن الرقيق الاديب المؤرخ فى كتابه قطب السرور ولولا انه لم يسم المغنى المذكور لجعلنا له ترجمة فى هذا الباب اذ هو به أليق والامر فى ذلك سهل والله تعالى الموفق للصواب •

(ومنهم الولى الصالح العارف بالله سيدى يوسف الدمشقى رضى الله تعالى عنه وهو كما قال ابن داود من كبار الاولياء شاذلى الطريقة قدم من المشرق الى الاندلس وكان يأتى مدينة وادى آش الكثرة بعد الكثرة لزيارة معارف له بها وكان من الذين أخفاهم الله لا يتعرف به الا من تعرف له أعاد الله تعالى علينا من بركاته قال العلامة ابن داود وحدثنى مولاى والدى رضى الله تعالى عنه من لفظه بتلمسان امنها الله تعالى يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول الشريف سنة ٨٩٥ قال دخل على سنة شهر رمضان المعظم فى زمان ولايتى الخطابة والامامة بالعراص من خارج وادى آش أعادها الله تعالى فقعدت أول ليلة منه منفردا بالمسجد الاعظم من الرباط المذكور بين العشاءين وفكرت فى ذكر اتخذه فى هذا الشهر المبارك يكون جامعا بين الدنيا والآخرة فأجمعت على مطالعة حلية النواودى لعلى أقف على ما أختاره لذلك فلما أصبحت دخلت الى المدينة ولم أكن اطلعت على فكرتى أحدا فلقينى الحاج الاستاذ أبو عبد الله بن خلف رحمه الله تعالى فى الطريق فقال لى سيدى يوسف الدمشقى يسلم عليك ويقول لك الذكر الذى تعمر به هذا الشهر الفاضل اللهم ارزقنى الزهد فى الدنيا وتورثنى بنور معرفتك قال والدى رضى الله تعالى عنه وكان هذا سبب تعرفى له ولقائى اياه وكنت قبل ذلك منكرا عليه لكثرة الدعاوى فى هذا الطريق نفع الله تعالى به انتهى ولنجعل هذه الترجمة آخر هذا الباب تبركا بهذا الولى الصالح نفعنا الله تعالى ببركاته مع علمى بأن الوافدين من المشرق على الاندلس كثيرون جدا الا أن

قوله سنة ٨٩٥ فى نسخة سنة ٨٩٩ اه

قوله النواودى فى نسخة النواوى اه

عدم المادة التى أستعين بها فى هذه البلاد تين عذرى ولو اجتمعت على كتبى المخلفة بالمغرب لاتيت فى ذلك وغيره بما يشفى ويكفى وفى الاشارة مايغنى عن الكلم

(الباب السابع)

فى نبذة مما من الله تعالى به على أهل الاندلس من توقد الاذهان وبذلهم فى اكتساب المعارف والمعالى ماعزوهان وحوزهم فى ميدان البراعة من قصب البراعة خصل الرهان وجملة من أجوبتهم الدالة على لوذعيتهم وأوصافهم المؤذنة بألمعيتهم وغير ذلك من أحوالهم التى لها على فضلهم أوضح برهان

اعلم أن فضل أهل الاندلس ظاهر كما أن حسن بلادهم باهر ولذلك ذكر ابن غالب فى فرحة الانفس لما أثنى على الاندلس وأهلها أن بطليوس جعل لهم من أجل ولاية الزهرة لبلادهم حسن الهيئة فى الملبس والمطعم والنظافة والطهارة والحب للهو والغناء وتوليد اللحون ومن أجل ولاية عطارد حسن التدبير والحرص على طلب العلم وحب الحكمة والفلسفة والعدل والانصاف * وذكر ابن غالب أيضا ماخصوا به من تدبير المشترى والمريخ * وانتقد عليه بعضهم بأن أقاليم الاندلس الرابع والخامس والسادس فى ساحلها الشمالى والسابع فى جزائر المجوس والاقليم الرابع الشمس وللخامس الزهرة وللسادس عطارد وللسابع القمر والمشترى للاقليم الثانى والمريخ للثالث ولامدخل لهما فى الاندلس انتهى * ثم قال صاحب الفرحة وأهل الاندلس عرب فى الانساب والعزة والانفة وعلو الهمم وفصاحة الالسن وطيب النفوس واباء الضيم وقلة احتمال الذل والسماحة بما فى أيديهم والنزاهة عن الخضوع واتيان الدنية هنديون فى افراط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها وضبطهم لها وروايتهم بغداديون فى نظافتهم وظرفهم ورقة أخلاقهم ونباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم وجودة قرائحهم ولطافة أذهانهم وحدة أفكارهم ونفوذ خواطرهم يونانيون فى استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الفراسات واختيارهم لاجناس الفواكه وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضر وصنوف الزهر فهم أحكم الناس لاسباب الفلاحة ومنهم ابن بصال صاحب كتاب الفلاحة الذى شهدت له التجربة بفضله وهم أصبر الناس على مطاولة التعب فى تجويد الاعمال ومقاساة النصب فى تحسين الصنائع أحذق الناس بالفروسية وأصبرهم بالطعن والضرب وعد رحمه الله تعالى من فضائلهم اختراعهم للخطوط المخصوصة بهم قال وكان خطهم أولا مشرقيا انتهى * قال ابن سعيد أما اصول الخط المشرقى وما تجدد له فى القلب واللحظ من القبول فمسلم له لكن خط الاندلس الذى رأيته فى مصاحف ابن غطوس الذى كان بشرق الاندلس وغيره من الخطوط المنسوبة عندهم له حسن فائق ورونق آخذ بالعقل وترتيب يشهد لصاحبه بكثرة الصبر والتجويد انتهى ونحو صدر كلام ابن غالب السابق مذكور فى رسالة لابن حزم وقال فيها ان أهل الاندلس صينيون فى اتقان الصنائع العملية واحكام المهن الصورية تركيون فى معاناة

الحروب ومعالجات آلاتها والنظر فى مهماتها انتهى * وعد ابن غالب فى فضائلهم اختراعهم للموشحات التى استحسنها أهل المشرق وصاروا ينزعون منزعها وأما نظمهم ونثرهم فلا يخفى على من وقف عليهما علو طبقاتهم * ثم قال ابن غالب ولما نفذ قضاء الله تعالى على أهل الاندلس بخروج أكثرهم عنها فى هذه الفتنة الاخيرة المبيرة تفرقوا ببلاد المغرب الاقصى من برّ العدوة مع بلاد افريقية فأما أهل البادية فمالوا فى البوادى الى ما اعتادوه ودخلوا أهلها وشاركوهم فيها فاستبطوا المياه وغرسوا الاشجار وأحدثوا الارحى الطاحنة بالماء وغير ذلك وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها فشرفت بلادهم وصلحت أمورهم وكثرت مستغلاتهم وعمتهم الخيرات فهم أشبه الناس باليونانيين فيما ذكرت ولان اليونانيين سكنوا الاندلس فورثوا عنهم ذلك وأما أهل الحواضر فمالوا الى الحواضر واستوطنوها فأما اهل الادب فكان منهم الوزراء والكتاب والعمال وجبلة الاموال والمستعملون فى أمور المملكة ولا يستعمل بلدى ما وجد أندلسى وأما أهل الصنائع فانهم فاقوا أهل البلاد وقطعوا معاشهم وأجلوا أعمالهم وصيروهم أتباعا لهم ومتصرفين بين أيديهم ومتى دخلوا فى شغل عملوه فى أقرب مدة وأفرغوا فيه من أنواع الحذق والتجويد ما يميلون به النفوس اليهم ويصير الذكر لهم قال ولا يدفع هذا عنهم الا جاهل أو مبطل انتهى * وقال ابن سعيد لما ذكر جملة من محاسن الاندلسيين يعلم الله تعالى انى ما أقصد الا انصاف المصنفين الذين لا يميل بهم التعصب ولا يجمح بهم الهوى ولكن الحق أحق أن يتبع فلعل مطلعا يقف على ما ذكره ابن غالب فيقول هذا الرجل تعصب لاهل بلده ثم يغمص التابع له والراضى بنقل قوله فى هذه الصيغة ويحمله على ذلك بعده عن الارضين

ولو أبصر واليلى أقروا بحسنها * وقالوا بأنى فى الثناء مقصر

ويمكنى فى الانصاف أن أقول ان حضرة مرّاكش هى بغداد المغرب وهى أعظم ما فى برّ العدوة وأكثر مصانعها ومبانيها الجليلة وبساتينها انما ظهرت فى مدة بنى عبد المؤمن وكانوا يجلبون لها صناع الاندلس من جزيرتهم وذلك مشهور معلوم الى الآن ومدينة تونس بافريقية قد انتقلت اليها السعادة التى كانت فى مرّاكش بسلطان افريقية الآن أبى زكريا يحيى بن أبى محمد بن أبى حفص فصار فيها من المبانى والبساتين والكروم ما شابهت به بلاد الاندلس وعرفا صناعها من الاندلس وتماثيله التى يبنى عليها وان كان أعرف خلق الله تعالى باختراع محاسن هذا الشان فانما أكثرها من أوضاع الاندلسيين وله من خاطره تنبيهات وزيادة ظهر حسن موقعها ووجوه صنائع دولته لا تجدهم الا من الاندلس فصح قول ابن غالب انتهى * قال الحميدى أنشد بحضرة بعض علماء الاندلس قطعة لبعض أهل المشرق وهى

وماذا عليهم لو أجابوا فسلموا * وقد علموا أنى المشوق المتيم
سروا ونجوم الليل زهر طوالع * على انهم بالليل فى الناس أنجم
واخفوا على تلك المطايا سيرهم * فنم عليهم فى الظلام التبسم

وأفرط بعض الحاضرين فى استحسانها وقال هذا ما لا يقدر أندلسى على مثله وبالحضرة أبو بكر يحيى بن هذيل فقال بديها

عرفت بعرف الريح أين تيمموا * وأين استقل الظاعنون وخيموا
خليلى ردانى الى جانب الحمى * فلست الى غير الحمى أتيمم
أبيت سمير الفرقدين كأنما * وسادى قتاد أو ضجيعى أرقم
وأحور وسنان الجفون كأنه * قضيب من الريحان لدن منعم
نظرت الى أجفانه والى الهوى * فأيقنت أنى لست منهن أسلم
كما أن ابراهيم أول نظرة * رأى فى الدرارى انه سوف يسقم انتهى

ومن كلام ابن بسام صاحب الذخيرة فى جزيرة الاندلس أشراف عرب المشرق افتتحوها وسادات أجناد الشام والعراق نزلوها فبقى النسل فيها بكل اقليم على عرق كريم فلا يكاد بلد منها يخلو من كاتب ماهر وشاعر قاهر وذكر أن أبا على البغدادى صاحب الامالى الوافد على الاندلس فى زمان بنى مروان قال لما وصلت القيروان وأنا أعتبر من أمر به من أهل الامصار فأجدهم درجات فى العبارات وقلة الفهم بحسب تفاوتهم فى مواضعهم منها بالقرب والبعد كان منازلهم من الطريق هى منازلهم من العلم محاصة ومقايسة قال أبو على فقلت ان نقص أهل الاندلس عن مقادير من رأيت فى أفهامهم بقدر نقصان هؤلاء عمن قبلهم فسأحتاج الى ترجمان فى هذه الاوطان قال ابن بسام فبلغنى انه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من أهل هذا الافق الاندلسى فى ذكائهم ويتغطى عنهم عند المباحثة والمناقشة ويقول لهم ان على علم رواية وليس علم دراية فخذوا عنى ما نقلت فلم آل لكم أن صححت هذا مع اقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الروايات والاخذ عن الثقات انتهى * ومن كلام الحجارى فى المسهب الاندلس عراق المغرب عزة أنساب ورقة آداب واشتغالا بفنون العلوم وافتنانا فى المنثور والمنظوم لم تضق لهم فى ذلك ساحه ولا قصرت عنه راحه فما مر فيه بصر الا وفيه نجوم وبدور وشموس وهم أشعر الناس فيما كثره الله تعالى فى بلادهم وجعله نصب أعينهم من الاشجار والانهار والطيور والكؤس لا ينازعهم أحد فى هذا الشان وابن خفاجة سابقهم فى هذا المضمار الحائز فيه قصب الرهان وأما اذا هب نسيم ودار كاس فى كف ظبى رخيم ورجع بم توزير وصفق للماء خرير أورقت العشيه وخلعت السحب أبرادها الفضية والذهبيه أو تبسم عن ثغاء ثغر نهر أو ترقرق بطل جفن زهر أو خفق بارق أو وصل طيف طارق أو وعد حبيب فزار من الظلماء تحت جناح وبات مع من يهواه كالماء والراح الى أن ودع حين أقبل رائد الصباح أو أزهرت دوحة السماء بزهر كواكبها أو فوضت عند فيض نهر الصباح بيض مضاربها فاولئك هم السابقون السابقون الذين لا يجارون ولا يلحقون وليسوا بالمقصرين فى الوصف اذا تقعقعت السلاح وسالت خلجان الصوارم بين قضبان الرماح وبنت الحرب من العجاج سماء وأطلعت شبه النجوم أسنة وأجرت شبه الشفق دماء وبالجملة فانهم فى جميع الاوصاف والتخيلات أئمه ومن وقف على أشعارهم فى هذا الشان فضلهم

فيه على أصناف الأمم وقد أعانتهم على الشعر أنسابهم العربية وبقاعهم النضرة وهممهم الأبية ولشطار الأندلس من النوادر والتركيبات والتركيبات وأنواع المضحكات ما تملأ الدواوين كثرة وتضحك الثكلى وتسلي المصاب قصته عما وسمعه الجاحظ لم يعظم عنده ما حكى وماركب ولا استغرب أحد ما أورده ولا تعجب الا أن موانى هذا الافق طمست هممهم عن التصنيف في هذا الشان فكاد يمرضا عا فقمت محتسبا بالظرف فتداركته جامعا فيه ما أمسى شعاعا انتهى • وقد رأيت أن أذكر رسالة أبي محمد بن حزم الحافظ التي ذكر فيها بعض فضائل علماء الأندلس لاشتمالها على ما نحن بصدده وذلك انه كتب أبو علي الحسن بن محمد بن أحمد بن الربيب التميمي القيرواني الى أبي المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن حزم يذكر تقصير أهل الأندلس في تخليد أخبار علمائهم وما آثر فضائلهم وسير ملوكهم ما صورته كتبت يا سيدي وأجل عددي كتب الله تعالى لك السعادة وأدام لك العز والسيادة سائلا مسترشدا وباحثا مستخبرا وذلك اني فكرت في بلادكم اذ كانت قرارة كل فضل ومنهل كل خير وتنبل ومصدر كل طرفه وموردكل تحفه وغاية آمال الراغبين ونهاية أماني الطالبين ان بارت تجارة فاليها تجاب وان كسدت بضاعة ففيها تنفق مع كثرة علمائها ووفور أدبائها وجلالة ملوكها ومحبتهم في العلم وأهله يعظمون من عظمه علمه ويرفعون من رفعه أدبه وكذلك سيرتهم في رجال الحرب يقدمون من قدمته شجاعته وعظمت في الحروب نكايته فشجع الجبان وأقدم الهيبان ونبه الخامل وعلم الجاهل ونطق العي وشعر الكي واستنسر البغاث وتنعين الحفاث فتنافس الناس في العلوم وكثر الحذاق بجميع الفنون ثم هم مع ذلك في غاية التقصير ونهاية التفريط من أجل أن علماء الامصار دونوا فضائل أمصارهم وخلدوا في الكتب مآثر بلدانهم وأخبار الملوك والامراء والكتاب والوزراء والقضاة والعلماء فابقوا لهم ذكرا في الغابرين يتجدد على مر الليالي والايام ولسان صدق في الآخرين يتأكد مع تصرف الاعوام وعلماؤكم مع استظهارهم على العلوم كل امرئ منهم قائم في ظله لا يبرح وراتب على كعبه لا يتزحزح يخاف ان صنف أن يعنف وان ألف أن يخالف ولا يؤالف أو تخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق لم يتعب أحد منهم نفسا في جمع فضائل أهل بلده ولم يستعمل خاطره في مفاخر ملوكه ولا بل قلما يناقب كتابه ووزرائه ولا سود قرطاسا بمحاسن قضاته وعلمائه على انه لو أطاق ما عقل الاغفال من لسانه وبسط ما قبض الاهمال من بنانه لوجد للقول مساغا ولم تضق عليه المسالك ولم تحرج به المذاهب ولا اشتبهت عليه المصادر والموارد ولكن همة أحدهم أن يطلب شأو من تقدمه من العلماء ليحوز قصبات السبق ويفوز بقدح ابن مقبل ويأخذ بكظم دغفل ويصير شجا في حلق أبي العميثل فاذا أدرك بغيته واخترمته منيته دفن معه أدبه وعلمه فمات ذكره وانقطع خبره ومن قد مناذكره من علماء الامصار احتالوا للبقاء ذكرهم احتيال الاكياس فللفؤاد وان بقي لهم بها ذكر مجدد طول الابد فان قلت انه كان مثل ذلك من علمائنا وألفوا كتبا

لكنها

لكنها لم تصل الينا فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق لانه ليس بيننا وبينكم غير روحة راكب أو رحلة قارب لو نفث من بلدكم مصدور لاسمع من ببلدنا فى القبور فضلا عمن فى الدور والقصور وتلقوا قوله بالقبول كما تلقوا ديوان أحمد بن عبد ربه الذى سماه بالعقد على انه يلحقه فيه بعض اللوم لاسيما اذ لم يجعل فضائل بلده واسطة عقده ومناقب ملوكه بتيمة سلكه أكثر الحزو أخطأ المفصل وأطال الهزل سيف غير مصقل وقعد به ما قعد بأصحابه من ترك ما يعنيهم واغفال ما يهمهم فأرشد أخاك أرشدك الله واهده هداك الله ان كانت عندك فى ذلك الجليه وبدلك فصل القضيه والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

* فكتب الوزير الحافظ أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم عقد وقوفه على هذه الرسالة مانصه الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله على أصحابه الاكرمين وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته الفاضلين الطيبين أما بعد يا أخى يا أبا بكر سلام عليك سلام أخ مشوق طالت بينه وبينك الاميال والفراسخ وكثرت الايام والليالى ثم لقيتك فى حال سفر ونقله وواذلك فى خلال جولة ورحله فلم يقض من محاورتك أربا ولا بلغ فى مجاورتك مطلبا وانى لما احتللت بك وجالت يدى فى مكنون كتبك ومضمون دواوينك لمحت عينى فى تضاعيفها دراجا فتأملته فاذا فيه خطاب لبعض الكتاب من مصافينا فى الدار أهل افريقية ثم من ضمته حضرة قيروانهم ان رجل اندلسى لم يعينه باسمه ولا ذكر ينسبه يذكر له فيها ان علماء بلادنا بالاندلس وان كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفانين العلوم وفى الغاية القصوى من التحكم على وجوه المعارف فان همتهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلدهم ومكارم ملوكهم ومحاسن فقهائهم ومناقب قضاتهم ومفاخر كتابهم وفضائل علمائهم ثم تعدى ذلك الى أن أخلى أرباب العلوم منا من أن يكون لهم تأليف يحيى ذكرهم ويبقى علمهم بل قطع على أن كل واحد منهم قد مات فدفن علمه معه وحقق ظنه فى ذلك واستدل على صحته عنده نفسه بأن شيأ من هذه التآليف لو كان منا موجودا لكان اليهم منقولا وعندهم ظاهرا لقرب المزار وكثرة السفار وتردد هم اليهم وتكررهم علينا ثم لما ضمنا المجلس الحافل باصناف الآداب والمشهد الآهل بأنواع العلوم والقصر المعمور بأنواع الفضائل والمنزل المحفوف بكل لطيفة وسيعة من دقيق المعانى وجليل المعالى قرارة المجد ومحل السؤدد ومحط رحال الخائفين وملقى عصا التسيار عند الرئيس الاجل الشريف قديمه وحسبه الرفيع حديثه ومكسبه الذى أجله عن كل خطة يشركه فيها من لا توازى قومته نومته ولا ينال حضيره هويناه وأربى به عن كل مرتبة يلحقه فيها من لا يسمو الى المكارم سموه ولا يدنو من المعالى دنوه ولا يعلو فى حيد الخلال علوه بل اكتفى من مدحه باسمه المشهور واجتزى من الاطالة فى تقريظه بمنتهاه المذكور فحسبى بذينك العلمين دليلا على سعيه المشكور وفضله المشهور أبى عبد الله محمد ابن عبد الله بن قاسم صاحب البونت أطال الله بقاءه وأدام اعتلاءه ولا عطل الحامدين من تحليهم بحلاه ولا أخلى الايام من تزينها بعلاه فرأيته أعزه الله تعالى حريصا على أن يجاوب هذا المخاطب وراغبا فى أن يبين له ما العلم قدره فنسى أو بعد عنه نحفى فتناولت

الجواب المذكور بعد أن بلغني أن ذلك المخاطب قد مات رحمنا الله تعالى وإياه فلم يكن لقصده بالجواب معنى وقد صارت المقابر له مغنى فلسنا بأسمعين من في القبور فصرفت عنان الخطاب اليك اذ من قبلك صرت الى الكتاب المجاوب عنه ومن لدنك وصلت الى الرسالة المعارضة وفي وصول كتابي على هذه الهيئة حيثما وصل كفاية لمن غاب عنه من أخبار تآليف أهل بلدنا مثل ما غاب عن هذا الباحث الاول ولله الامر من قبل ومن بعد وان كنت في اخباري اياك بما أرسمه في كتابي هذا كمهد الى البركان نارا لحباحب وباني رضوى في مهيع القصد اللاحب فانك وان كنت المقصود والمواجه فانما المراد من أهل تلك الناحية من نأى عنه علم ما استجلبه السائل الماضي وما توفيقي الا بالله سبحانه فأما ما ظهر بلدنا فقد ألف في ذلك أحمد بن محمد الرازي التاريخي كتابا جمع منها كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الاندلس وممراسيها وأمهاتها مدنها وأجنادها الستة وخواص كل بلد منها وما فيه مما ليس في غيره وهو كتاب مريح مليح وأنا أقول لو لم يكن لاندلسنا الا ما رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر به ووصف أسلافنا المجاهدين فيه بصفات الملوك على الاسرة في الحديث الذي رويناه من طريق أبي حزرة أنس بن مالك أن خالته أم حرام بنت ملحان زوج أبي الوليد عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين حدثته عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخبرها بذلك لكفى بشرفا بذلك يسرعا يله ويغبط آبله فان قال قائل لعله صلوات الله تعالى عليه انما عنى بذلك الحديث أهل صقلية واقريطش وما الدليل على ما ادعيته من انه صلى الله عليه وسلم عنى الاندلس حتما ومثل هذا من التأويل لا يتساهل فيه ذو ورع دون برهان واضح وبيان لائح لا يحتمل التوجيه ولا يقبل التجريح فالجواب وبالله التوفيق انه صلى الله عليه وسلم قد أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب وأمر بالبيان لما أوحي اليه وقد أخبر في ذلك الحديث المتصل سنده بالعدول عن العدول بطائفتين من أمته يركبون ثبج البحر غزاة واحدة بعد واحدة فسألته أم حرام أن يدعو به تعالى أن يجعلها منهم فاخبرها صلى الله عليه وسلم وخبره الحق بانها من الاولين وهذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وهو اخباره بالشيء قبل كونه وصح البرهان على رسالته بذلك وكانت من الغزاة الى قبرص وخسرت عن بغلتها هنالك فتوفيت رحمها الله تعالى وهي أول غزاة ركب فيها المسلمون البحر فثبت يقينا أن الغزاة الى قبرص هم الاولون الذين بشر بهم النبي صلى الله عليه وسلم وكانت أم حرام منهم كما أخبر صلوات الله تعالى وسلامه عليه ولا سبيل أن يظن به وقد أوتي ما أوتي من البلاغة والبيان انه يذكر طائفتين قد سمى احداهما أولى الاولى والتالية لها ثانية فهذا من باب الاضافة وتركيب العدد وهذا مقتضى طبيعة صناعة المنطق اذ لا تكون الاولى أولى الا لثانية ولا الثانية ثانية الا لاولى فلا سبيل الى ذكر ثالث الا بعد ثان ضرورة وهو صلى الله عليه وسلم انما ذكر طائفتين وبشر بفئتين وسمى احداهما الاولين فاقتضى ذلك بالقضاء الصدق آخرين والآخر من الاول هو الثاني الذي أخبر صلى الله عليه وسلم انه خير القرون بعد قرنه وأولى القرون بكل فضل بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه خير من كل قرن بعده ثم ركب البحر بعد ذلك أيام سليمان بن عبد الملك الى القسطنطينية وكان الامير بها

فى تلك السفن هبيرة الفزارى وأما صقلية فانها فتحت صدر أيام الاغالبة سنة ٢١٢ ٥
أيام قاد اليها السفن غازيا أسد بن الفرات الغازى صاحب أبى يوسف رحمه الله تعالى وبها
مات وأما اقريطش فانها فتحت بعد الثلاث والمائتين افتتحها أبو حفص عمر بن شعيب
المعروف بابن الغليظ من أهل قرية بطروج من عمل حمص البلوط المجاور لقرطبة من بلاد
الاندلس وكان من قل الربضيين وتداولها بنوه بعده الى أن كان آخرهم عبد العزيز بن
شعيب الذى غفلها فى أيام أرمانوس بن قسطنطين ملك الروم سنة ٣٥٠ وكان أكثر
المفتتحين لها أهل الاندلس وأما فى قسم الاقاليم فان قرطبة مسقط رؤسنا ومعلق تمائمنا مع
سر من رأى فى اقليم واحد فلنا من الفهم والذكاء ما اقتضاه اقليمنا وان كانت الانوار
لا تأتينا الا مغربة عن مطالعها على الجزء المعمور وذلك عند المحسنين للاحكام التى تدل
عليها الكواكب ناقص من قوى دلائلها فلها من ذلك على كل حال حظ يفوق حظ أكثر
البلاد بارتفاع أحد النيرين بهما تسعين درجة وذلك من أدلة التمكن فى العلوم والنفاذ
فيها عند من ذكرنا وقد صدق ذلك الخبر وأبانته التجربة فكان أهلها من التمكن فى علوم
القرآت والروايات وحفظ كثير من الفقه والبصر بالنحو والشعر واللغة والخبر والطب
والحساب والنجوم بمكان رحب الفناء واسع العطن متناهى الاقطار فسيح المجال والذى نعاه
علينا الكاتب المذكور لو كان كما ذكر لكان فيه شركاء لاكثر أمهات الحواضر وجلائل البلاد
ومتسعات الاعمال فهذه القيروان بلد المخاطب لنا ما أذكر أنى رأيت فى أخبارها تاليفا غير
المعرب عن أخبار المغرب وحاشى تاليف محمد بن يوسف الوراق فانه ألف للمستنصر
رحمه الله تعالى فى مسالك افريقية وممالكها ديوانا ضخما وفى أخبار ملوكها وجروبهم
والقائمين عليهم كتابة وكذلك ألف أيضا فى أخبار تيهرت ووهران وتونس وسجلماسة
وتكرور والبصرة وغيرها تاليف حسانا ومحمد هذا أندلسى الاصل والفرع آباؤه من
وادى الحجارة ومدفنه بقرطبة ومهجرته اليها وان كانت نشأته بالقيروان ولا بد من اقامة
الدليل على ما أشرت اليه هنا اذ مرادنا أن نأتى منه بالمطلوب فيما يستأنف ان شاء الله تعالى
وذلك أن جميع المؤرخين من أئمتنا السالفين واللاحقين دون محاشاة أحد بل قد تيقنا
اجماعهم على ذلك متفقون على أن ينسبوا الرجل الى مكان هجرته التى استقر بها ولم يرحل
عنها رحيل ترك لمكانها الى أن مات فان ذكروا الكوفيين من الصحابة رضى الله تعالى عنهم
صدروا بعلى وابن مسعود وحذيفة رضى الله تعالى عنهم وانما سكن على الكوفة خمسة
أعوام وأشهرا وقد بقى ٥٨ عاما وأشهرا بمكة والمدينة شرفها الله تعالى وكذلك أيضا
أكثر أعمار من ذكرنا وان ذكروا البصريين بدؤا بعمران بن حصين وأنس بن مالك وهشام
ابن عامر وأبى بكرة وهؤلاء مواليدهم وعامة زمن أكثرهم وأكثر مقامهم بالحجاز وتهامة
والطائف وجمهرة أعمارهم خلت هنالك وان ذكروا الشاميين نوهوا بعبادة بن الصامت
وأبى الدرداء وأبى عبيدة بن الجراح ومعاذ ومعاوية والامر فى هؤلاء كالامر فيمن قبلهم
وكذلك فى المصريين عمرو بن العاص وخارجة بن حذافة العدوى وفى المكيين عبد الله
ابن عباس وعبد الله بن الزبير والحكم فى هؤلاء كالحكم فيمن قصصنا فيمن هاجر الينا من

قوله ابن يوسف فى نفضة ابن مسلم اه

سائر البلاد فنحن أحق به وهو منا بحكم جميع أولى الامر منا الذين اجماعهم فرض اتباعه وخلافه محرم اقترانه ومن هاجر منا الى غيرنا فلا حظ لنا فيه والمكان الذى اختاره أسعد به فكما لا ندع اسمعيل بن القاسم فكذلك لا ننازع فى محمد بن هانئ سوانا والعدل أولى ما حرص عليه والنصف أفضل ما دعى اليه بعد التفصيل الذى ليس هذا موضعه وعلى ما ذكرنا من الانصاف تراضى الكل وهذه بغداد حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة والمحلة التى سبق أهلها الى حمل الوية المعارف والتدقيق فى تصريف العلوم ورقة الاخلاق والنباهة والذكاء وحدة الافكار ونفاذ الخواطر وهذه البصرة وهى عين المعمور فى كل ما ذكرنا وما أعلم فى أخبار بغداد تأليفا غير كتاب أحمد بن أبى طاهر وأما سائر التواريخ التى ألفها أهلها فلم يخه وابادتهم بها دون سائر البلاد ولا أعلم فى أخبار البصرة غير كتاب عمر بن شبة وكتاب لرجل من ولد الربيع بن زياد المنسوب الى أبى سفيان فى خطط البصرة وقطائعها وكتابين لرجلين من أهلها يسمى أحدهما عبد القاهر كريزى النسب وصفاتها وذكر أسواقها ومحالها وشوارعها ولا أعلم فى أخبار الكوفة غير كتاب عمر بن شبة وأما الجبال وخراسان وطبرستان وجرجان وكرمان وسجستان والسند والرى وارمينية واذربيجان وتلك الممالك الكثيرة الفخمة فلا أعلم فى شئ منها تأليفا قصد به أخبار ملوك تلك النواحى وعلمائها وشعرائها وأطبائها ولقد تاقت النفوس الى أن يتصل بها تأليف فى أخبار فقهاء بغداد وما علمناه علم على أنهم العلية الرؤساء والاكابر العظماء ولو كان فى شئ من ذلك تأليف لكان الحكم فى الاغلب أن يبلغنا كما بلغ سائر تأليفهم وكما بلغنا كتاب حمزة بن الحسن الاصبهانى فى أخبار أصبهان وكتاب الموصلى وغيره فى أخبار مصر وكما بلغنا سائر تأليفهم فى أنحاء العلوم وقد بلغنا تأليف القاضى أبى العباس محمد بن عبدون القيروانى فى الشروط واعتراضه على الشافعى رحمه الله تعالى وكذلك بلغنا رد القاضى أحمد بن طالب التميمى على أبى حنيفة وتشنيعه على الشافعى وكتب ابن عبدوس ومحمد بن سحنون وغير ذلك من حوامل تأليفهم دون مشهورها واما جهتنا فالحكم فى ذلك ما جرى به المثل السائر أزهد الناس فى عالم أهله وقرأت فى الانجيل أن عيسى عليه السلام قال لا يفقد النبى حرمته الا فى بلده وقد تيقنا ذلك بما لقى النبى صلى الله عليه وسلم من قريش وهم أوفر الناس أحلاما وأصحهم عقولا وأشدهم تثبتا مع ما خصوا به من سكناهم أفضل البقاع وتغذيتهم بأكرم المياه حتى خص الله تعالى الاوس والخزرج بالفضيلة التى أبانتهم بها عن جميع الناس والله يؤتى فضله من يشاء ولا سيما أندلسنا فانها خصت من حسد أهلها للعالم الظاهر فيهم الماهر منهم واستقلالهم كثير ما يأتى به واستهجانهم حسناته وتتبعهم سقطاته وعثراته وأكثر ذلك مدة حياته بأضعاف ما فى سائر البلاد ان أجاد قالوا سارق مغير ومنتحل مدع وان توسط قالوا غث بارد وضعيف ساقط وان بارز الحلبة لقصب السبق قالوا متى كان هذا ومتى تعلم وفى أى زمان قرأ ولا مه الهبل وبعد ذلك ان ولجت به الاقدار أحد طريقين اما شفوقها دائما عليه على نظرائه أو سلوكا فى غير السبيل التى عهد وهما فهنالك حمى الوطيس على البائس وصار غرضا

قوله ابن شبة فى نسخة ابن أبى شيبة اه

قوله ابن عبدوس فى نسخة ابن عبدون اه

للاقوال وهدفا للمطالب ونصبا للتسبيب اليه ونهبا للالسنة وعرضة للتطرق الى عرضه وربما تحمل مالم يقل وطوق مالم يتقلد وألحق به مالم يفه به ولا اعتقده قلبه وبالجراء وهو السابق المبرزان لم يتعلق من السلطان بحظ أن لا يسلم من المتالف ويجوز من المخالف فان تعرض لتأليف غمز ولمز وتعرض وهمز واشتط عليه وعظم يسير خطبه واستشنع هين سقطه وذهبت محاسنه وسترت فضائله وهتف ونودى بما أغفل فتنكسر لذلك همته وتكل نفسه وتبرد حميته وهذا عند نا يصيب من ابتدأ يحول شعرا أو يعمل بعمل رياسة فانه لا يفلت من هذه الحبائل ولا يتخلص من هذه النصب الا الناهض الفائت والمطفف المستولى على الامد وعلى ذلك فقد جمع ماظنه الظان غير مجموع وألفت عندنا تآليف فى غاية الحسن لنا خطر السبق فى بعضها فمنها كتاب الهداية لعيسى بن دينار وهى أرفع كتب جمعت فى معناها على مذهب مالك وابن القاسم وأجمعها للمعانى الفقهية على المذهب ومنها كتاب الصلاة وكتاب البيوع وكتاب الجدار فى الاقضية وكتاب النكاح والطلاق ومن الكتب المالكية التى ألفت بالاندلس كتاب القصى لمالك بن على وهو رجل قرشى من بنى فهر لقى أصحاب مالك وأصحاب أصحابه وهو كتاب حسن فيه غرائب ومستحسنات من الرسائل المولدات ومنها كتاب أبى اسحق ابراهيم بن مزين فى تفسير الموطا والكتب المستقصية لمعانى الموطا وتوصيل مقطوعاته من تآليف ابن مزين أيضا وكتابه فى رجال الموطا ومالك عن كل واحد منهم من الآثار فى موطئه وفى تفسير القرآن كتاب أبى عبد الرحمن بقى بن مخلد فهو الكتاب الذى أقطع قطعا لا أستثنى فيه انه لم يؤلف فى الاسلام تفسير مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبرى ولا غيره ومنها فى الحديث مصنفه الكبير الذى رتبه على أسماء الصحابة رضى الله تعالى عنهم فروى فيه عن ألف وثلثمائة صاحب ونيف ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الاحكام فهو مصنف ومسند وما أعلم هذه الرتبة لاحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله فى الحديث وجودة شيوخه فانه روى عن مائتى رجل و ٨٤ رجلا ليس فيهم عشرة ضعفاء وسائرهم أعلام مشاهير ومنها مصنفه فى فضل الصحابة والتابعين ومن دونهم الذى أربى فيه على مصنف أبى بكر بن أبى شيبة ومصنف عبد الرزاق بن همام ومصنف سعيد بن منصور وغيرها وانتظم علما لم يقع فى شئ من هذه فصارت تآليف هذا الامام الفاضل قواعد الاسلام لا نظير لها وكان متخيرا لا يقلد أحدا وكان ذا خاصة من أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه ومنها فى أحكام القرآن كتاب ابن أمية الجارى وكان شافعى المذهب بصيرا بالكلام على اختياره وكتاب القاضى أبى الحكم منذر بن سعيد وكان داودى المذهب قويا على الانتصار له وكلاهما فى أحكام القرآن غاية ولمنذر مصنفات منها كتاب الابانة عن حقائق أصول الديانة ومنها فى الحديث مصنف أبى محمد قاسم ابن اصبغ بن يوسف بن ناصح ومصنف محمد بن عبد الملك بن أيمن وهما مصنفان رفيعان احتويا من صحيح الحديث وغريبه على ما ليس فى كثير من المصنفات ولقاسم بن اصبغ هذا تآليف حسان جدا منها أحكام القرآن على أبواب كتاب اسمعيل وكلامه ومنها كتاب

قوله أن لا يسلم الخ راجع لقوله وبالجراء وقوله وهو السابق المبرز جملة حالية من فاعل يسلم وقوله ان لم يتعلق الخ قيد لمضمون قوله وبالجراء أن لا يسلم الخ وتقدير العبارة هكذا وبالجراء أى بالتطفيق أن لا يسلم والحال انه السابق المبرز ان لم يتعلق الخ تأمل اه مصححه

المجتبى على أبواب كتاب ابن الجارود المنتقى وهو خير منه وانقى حديثا وأعلى سندا وأكثر فائدة ومنها كتاب فى فضائل قريش وكنانة وكتابه فى الناسخ والمنسوخ وكتاب غرائب حديث مالك بن أنس مما ليس فى الموطا ومنها كتاب التمهيد لصاحبنا أبى عمر يوسف بن عبد البر وهو الآن بعد فى الحياة لم يبلغ سن الشيخوخة وهو كتاب لا أعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله أصلا فكيف أحسن منه ومنها كتاب الاستذكار وهو اختصار التمهيد المذكور ولصاحبنا أبى عمر بن عبد البر المذكور كتب لا مثيل لها منها كتابه المسمى بالكافى فى الفقه على مذهب مالك وأصحابه خمسة عشر كتابا اقتصر فيه على ما يلمفتى الحاجة اليه وبوبه وقربه فصار مغنيا عن التصنيفات الطوال فى معناه ومنها كتابه فى الصحابة ليس لاحد من المتقدمين مثله على كثرة ما صنفوا فى ذلك ومنها كتاب الاكتفاء فى قراءة نافع وأبى عمرو بن العلاء والحجة لكل واحد منهما ومنها كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس مما يجرى فى المذاكرات من غرر الابيات ونوادر الحكايات ومنها كتاب جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته ومنها كتاب شيخنا القاضى أبى الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف ابن الفرضى فى المختلف والمؤتلف فى أسماء الرجال ولم يبلغ عبد الغنى الحافظ البصرى فى ذلك الا كتابين ويبلغ ابو الوليد رحمه الله تعالى نحو الثلاثين لا أعلم مثله فى فنه البتة ومنها تاريخ أحمد بن سعيد ما وضع فى الرجال أحد مثله الا ما يلغنا من تاريخ محمد بن موسى العقيلى البغدادى ولم أره وأحمد بن سعيد هو المتقدم فى التأليف القائم فى ذلك ومنها كتب محمد بن يحيى بن مفرج القاضى وهى كثيرة منها أسفار سبعة جمع فيها فقه الحسن البصرى وكتب كثيرة جمع فيها فقه الزهرى وما يتعلق بذلك شرح الحديث لعامر بن خلف السرقطى فاشا أبو عبيد الا بتقدم العصر فقط ومنها فى الفقه الواضحة والمالكيون لا قانع بينهم فى فضلها واستحسانهم اياها ومنها المستخرجة من الاسمعة وهى المعروفة بالعتبية ولها عند أهل افريقية القدر العالى والطير ان الحثيث والكتاب الذى جمعه أبو عمر أحمد بن عبد الملك بن هشام الاشبيلى المعروف بابن المكوى والقرشى أبو مروان المعيطى فى جمع أقاويل مالك كلها على نحو الكتاب الباهر الذى جمع فيه القاضى أبو بكر محمد بن أحمد بن الحداد البصرى أقاويل الشافعى كلها ومنها كتاب المنتخب الذى ألفه القاضى محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة وما رأيت لمالكى قط كتابا أنبل منه فى جمع روايات المذهب وشرح مستغلقها وتفريع وجوهها وتأليف قاسم بن محمد المعروف بصاحب الوثائق وكلها حسن فى معناه وكان شافعى المذهب نظارا جاريا فى ميدان البغداديين ومنها فى اللغة الكتاب البارع الذى ألفه اسمعيل بن القاسم يحتوى على لغة وكتابه فى المقصور والممدود والمهموز لم يؤلف مثله فى بابه وكتاب الافعال لمحمد بن عامر العزى المعروف بابن القوطية بزيادات ابن طريف مولى العبديين فلم يوضع فى فنه مثله وكتاب جمعه أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التيانى فى اللغة لم يؤلف مثله اختصارا واكثارا وثقة نقل وهو أظن فى الحياة بعد وههنا قصة لا ينبغى أن تخلو رسالتنا عنها وهى أن أبا الوليد عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضى

قوله فقه فى نسخة نقد اه

قوله الكوى فى نسخة الكورى اه

قوله التيانى فى نسخة التيام اه

حدثني أن أبا الجيش مجاهدا صاحب الجزائر ودانية وجه الى أبي غالب أيام غلبته على مرسية وأبو غالب ساكن بها ألف دينار أندلسية على أن يزيد في ترجمة الكتاب المذكور مما ألفه تمام بن غالب لابي الجيش مجاهد فرد الدنانير وأبى من ذلك ولم يفتح في هذا بابا البتة وقال والله لو بذل لي الدنيا على ذلك ما فعلت ولا استجزت الكذب لاني لم أجمعه له خاصة بل لكل طالب فاعجب لهمة هذا الرئيس وعلوها واعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها ومنها كتاب أحمد بن ابان بن سيد في اللغة المعروف بكتاب العالم نحو مائة سفر على الاجناس في غاية الايعاب بدأ بالفلك وختم بالذرة وكتاب النوادر لابي علي اسمعيل بن القاسم وهو مبارلكتاب الكامل لابي العباس المبرد ولعمري لئن كان كتاب أبي العباس أكثر نصوا وخبرا فان كتاب أبي علي لا كثر لغة وشعرا وكتاب الفصوص لصاعد بن الحسن الربعي وهو جار في مضمار الكتابين المذكورين ومن الانحاء تفسير الحوفي الكتاب الكسائي حسن في معناه وكتاب ابن سيده في ذلك المنبوز بالعالم والمتعلم وشرح له لكتاب الاخفش ومما ألف في الشعر كتاب عبادة بن ماء السماء في أخبار شعراء الاندلس كتاب حسن وكتاب الحدائق لابي عمر أحمد بن فرج عارض به كتاب الزهرة لابي محمد بن داود رحمه الله تعالى الا أن أبا بكر انما أدخل مائة باب في كل باب مائة بيت وأبو عمر أورد مائتي باب في كل باب مائة بيت ليس منها باب تكرر اسمه لابي بكر ولم يورد فيه لغير أندلسي شيأ وأحسن الاختيار ما شاء وأجاد فبلغ الغاية وأتى الكتاب فردا في معناه ومنها كتاب التشبيهات من أشعار أهل الاندلس جمعه أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الحسن الكاتب وهو حي بعد ومما يتعلق بذلك شرح أبي القاسم ابراهيم بن محمد الافليلي لشعر المتنبي وهو حسن جدا ومن الاخبار تواريخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي في أخبار ملوك الاندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم وذلك كثير جدا وكتاب له في صفة قرطبة وخططها ومنازل الاعيان بها على نحو ما بدأ به ابن أبي طاهر في أخبار بغداد وذكر منازل صحابة أبي جعفر المنصور بها وتواريخ متفرقة رأيت منها أخبار عمر بن حفصون القائم بربية ووقائعه وسيره وحروبه وتاريخ آخر في أخبار عبد الرحمن بن مروان الجليقي القائم بالحوف وفي أخبار بني قيس والتجيبيين وبني العويل والثغر وقد رأيت من ذلك كتابا مصنفة في غاية الحسن وكتاب مجزأ في أجزاء كثيرة في أخبار ربية وحصونها وحروبها وفقهائها وشعرائها تأليف اسحق ابن سلمة بن اسحق الليثي وكتاب محمد بن الحرث الخشني في أخبار القضاة بقرطبة وسائر بلاد الاندلس وكتاب في أخبار الفقهاء بها وكتاب لاحمد بن محمد بن موسى في أنساب مشاهير أهل الاندلس في خمسة أسفار ضخمة من أحسن كتاب في الانساب وأوسعها وكتاب قاسم بن اصبغ في الانساب في غاية الحسن والايعاب والايجاز وكتابه في فضائل بني أمية وكان من الثقة والجلالة بحيث اشتهر أمره واقتشر ذكره ومنها كتب مؤلفة في أصحاب المعاقل والاجناد الستة بالاندلس ومنها كتب كثيرة جمعت فيها أخبار شعراء الاندلس للمستنصر رحمه الله تعالى رأيت منها أخبار شعراء البيرة في نحو عشرة أجزاء ومنها كتاب الطوالع في أنساب أهل الاندلس ومنها كتاب التاريخ الكبير في أخبار

قوله ابن الحسن في نسخة ابن الحسين اه

أهل الاندلس تأليف أبي مروان بن حيان نحو عشرة أسفار من أجل كتاب ألف في هذا المعنى وهو في الحياة بعد لم يتجاوز الاكتهال وكتاب المآثر العامرية لحسين ابن عاصم في سير ابن أبي عامر وأخباره وكتاب الافشين محمد بن عاصم النحوي في طبقات الكتاب بالاندلس وكتاب سكن بن سعيد في ذلك وكتاب أحمد بن فرج في المتنزين والقائمين بالاندلس وأخبارهم وكتاب أخبار أطباء الاندلس لسليمان بن جلجل وأما الطب فكتب الوزير يحيى بن اسحق وهي كتب حسان رفيعة وكتب محمد بن الحسن المذحجي أستاذنا رحمه الله تعالى وهو المعروف بابن الكتاني وهي كتب رفيعة حسان وكتب التصريف لابي القاسم خلف بن عباس الزهراوي وقد أدركناه وشاهدناه ولئن قلنا انه لم يؤلف في الطب أجمع منه ولا احسن للقول والعمل في الطبائع لنصدقن وكتب ابن الهيثم في الخواص والسموم والعقاقير من أجل الكتب وأنفعها وأما الفلسفة فاني رأيت فيها رسائل مجموعة وعيونا مؤلفة لسعيد بن فتحون السرقسطي المعروف بالحمار دالة على تمكنه من هذه الصناعة وأما رسائل أستاذنا أبي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي في ذلك فمشهورة متداولة وتامة الحسن فائقة الجودة عظيمة المنفعة وأما العدد والهندسة فلم يقسم لنا في هذا العلم نفاذ ولا تحققنا به فلسنا نثق بأنفسنا في تمييز الحسن من المقصر في المؤلفين فيه من أهل بلدنا الا اني سمعت من أثق بعقله ودينه من أهل العلم ممن اتفق على رسوخه فيه يقول انه لم يؤلف في الازياج مثل زيج مسلة وزيج ابن السمح وهما من أهل بلدنا وكذلك كتاب لاحمد بن نصر فما تقدم الى مثله في معناه وانما ذكرنا التآليف المستحقة للذكر والتي تدخل تحت الاقسام السبعة التي لا يؤلف عاقل عالم الا في أحدها وهي اما شيء يخترعه لم يسبق اليه أو شيء ناقص يتممه أو شيء مستغلق يشرحه أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه أو شيء متفرق يجمعه أو شيء مختلط يرتبه أو شيء أخطأ فيه صاحبه يصلحه وأما التآليف المقصرة عن مراتب غيرها فلم نلتفت الى ذكرها وهي عندنا من تآليف أهل بلدنا أكثر من أن نحيط بعلمها وأما علم الكلام فان بلادنا وان كانت لم تتجاذب فيها الخصوم ولا اختلفت فيها النحل فقل لذلك تصرف فهم في هذا الباب فهي على كل حال غير مرية عنه وقد كان فيهم قوم يذهبون الى الاعتزال تطار على أصوله ولهم فيه تآليف منهم خليل بن اسحق ويحيى بن السمينة والحاجب موسى ابن جدير وأخوه الوزير صاحب المظالم أحمد وكان داعية الى الاعتزال لا يستر بذلك ولنا على مذهبنا الذي نختاره من مذاهب أصحاب الحديث كتاب في هذا المعنى هو وان كان صغير الجرم قليل عدد الورق يزيد على المائتين زيادة يسيرة فعظيم الفائدة لانا أسقطنا فيه المشاغب كلها وأضربنا عن التطويل جملة واقتصرنا على البراهين المنتخبة من المقدمات الصحاح الراجعة الى شهادة الحس وبديهة العقل بالصحة ولنا فيما تحققنا به تآليف جمة منها ما قدمنا ومنها ما شارف التمام ومنها ما قد مضى منه صدر ويعين الله تعالى على باقيه لم نقصد به قصد مباهاة فنذكرها ولا أردنا السمعة فنسميها والمراد بها ربنا جل وجهه وهو ولي العون فيها والملي بالمجازاة عليها وما كان لله تعالى فسيد ووحسبنا الله ونعم الوكيل

قوله بابن الكتاني في نسخة بالكتاني اه

وبلدناهذا على بعده من ينبوع العلم ونأيه من محلة العلماء فقد ذكرنا من تآليف أهله ما ان طلب مثلها بفارس والاهواز ودیار مضر ودیار ربیعة واليمن والشام أعوز وجود ذلك على قرب المسافة فى هذه البلاد من العراق التى هى دار هجرة الفهم وذويه ومراد المعارف وأربابها ونحن اذا ذكرنا أبا الاجرب جعونة بن الصمة الكلابى فى الشعر لم نباه به الاجرير والفرزدق لكونه فى عصرهما ولو أنصف لاستشهد بشعره فهو جار على مذهب الاوائل لا على طريقة المحدثين واذا سمينا بقى بن مخلد لم نسابق به الا محمد بن اسمعيل البخارى ومسلم بن الحجاج النيسابورى وسليمان بن الاشعث السجستانى وأحمد بن شعيب النسائى واذا ذكرنا قاسم بن محمد لم نباه به الا القفال ومحمد بن عقيل الفريابى وهو شريكهما فى صحبة المزنى بن ابراهيم والتتلمذ له واذا نعتنا عبد الله بن قاسم بن هلال ومنذر بن سعيد لم نجار بهما الا أبا الحسن بن المغلس والخلال والديباجى وورد ابن أحمد وقد شاركهم عبد الله فى أبى سليمان وصحبته واذا أشرنا الى محمد بن عمر بن لبابة وعمه محمد بن عيسى وفضل بن سلمة لم تساطح بهم الا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومحمد بن حمون ومحمد بن عبدوس واذا صرنا حناذ كر محمد بن يحيى الرياحى وأبى عبد الله محمد بن عاصم لم يقصرا عن أكابر أصحاب محمد بن يزيد المبرد ولو لم يكن لنا من فحول الشعراء الا أحمد بن محمد بن دراج القسطلى لما تأخر عن شاو بشار وحبيب والمتنبى فكيف ولنا معه جعفر بن عثمان الحاجب وأحمد بن عبد الملك بن مروان وأغلب بن شعيب ومحمد بن شخيص وأحمد بن فرج وعبد الملك بن سعيد المرادى وكل هؤلاء فحل يهاب جانبه وحصان يمسوح الغرة ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا وهو حى بعد لم يبلغ سن الاكتهال وله من النصر ف فى وجوه البلاغة وشعابها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لسانى عمرو ومهلهل ومحمد بن عبد الله بن مسرة فى طريقه التى سلك فيها وان كنا لا نرضى مذهبه فى جماعة يكثر تعدادهم وقد انتهى ما اقتضاه خطاب الكاتب رحمه الله تعالى من البيان ولم نتزيد فيما رغب فيه الا ما دعت الضرورة الى ذكره لتعلقه بجوابه والحمد لله الموفق للعلم والهادى الى الشريعة المزلفة منه والموصلة وصلى الله على محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرم انتهت الرسالة • وكتب الحافظ ابن حجر على هامش قوله فيها وانما سكن على الكوفة خمسة أعوام وأشهرا ما نصه صوابه أربعة أعوام انتهى • وقال ابن سعيد بعد ذكره هذه الرسالة ما صورته رأيت أن أذيل ما ذكره الوزير الحافظ أبو محمد ابن حزم من مفاخر أهل الاندلس بما حضرنى والله تعالى ولى الاعانة أما القرآن فمن أجل ما صنف فى تفسيره كتاب الهداية الى بلوغ النهاية فى نحو عشرة أسفار صنفه الامام العالم الزاهد أبو محمد مكى بن أبى طالب القرطبى وله كتاب تفسير اعراب القرآن وعد ابن غالب فى كتاب فرحة الانفس تآليف مكى المذكور فبلغ بها ٧٧ تاليفا وكانت وفاته سنة ٤٣٧ ولابى محمد بن عطية الغرناطى فى تفسير القرآن الكتاب الكبير الذى اشتهر وطار فى الغرب والشرق وصاحبه من فضلاء المائة السادسة وأما القراآت فلمكى المذكور فيها كتاب التبصرة وكتاب التيسير لابى عمرو الدانى مشهور فى أيدى الناس وأما الحديث فكان

قوله ابن عمر وفى نسخة ابن عمر اه

قوله سنة ٤٣٧ فى نسخة سنة ٤٧٤ اه

بعصرنا فى المائة السابعة الامام أبو الحسن على بن القطان القرطبى الساكن بحضرة مرّاكش وله فى تفسير غريبه وفى رجاله مصنفات واليه كانت النهاية والاشارة فى عصرنا وسمعت انه كان اشتغل بجمع أمهات كتب الحديث المشهورة وحذف المكرر وكتاب رزين ابن معاوية الاندلسى فى جمع ما يتضمنه كتاب مسلم والبخارى والموطا والسنن والنسائى والترمذى كتاب جليل مشهور فى أيدى الناس بالمشرق والمغرب وكتاب الاحكام لابى محمد عبد الحق الاشبيلى مشهور متداول القراءة وهى أحكام كبرى وأحكام صغرى قبل ووسطى وكتاب الجمع بين الصحيحين للحميدى مشهور وأما الفقه فالكتاب المعتمد عليه الآن الذى ينطلق عليه اسم الكتاب عند المالكية حتى بالاسكندرية فكتاب التهذيب للبراذعى السرقسطى وكتاب النهاية لابى الوليد بن رشد كتاب جليل معظم معتمد عليه عند المالكية وكذلك كتاب المنتقى للباجى وأما اصول الدين واصول الفقه فللامام أبى بكر بن العربى الاشبيلى من ذلك ما منه كتاب العواصم والقواصم المشهور بايدى الناس وله تصانيف غير هذا ولابى الوليد بن رشد فى أصول الفقه ما منه مختصر المستصفى وأما التواريخ فكتاب ابن حيان الكبير المعروف بالمتين فى نحو ستين مجلدة وانما ذكر ابن حزم كتاب المقتبس وهو فى عشر مجلدات والمتين يذكر فيه أخبار عصره ويعمن فيها مما شاهده ومنه ينقل صاحب الذخيرة وقد ذيل عليه أبو الحجاج البياسى أحد معاصرينا وهو الآن بافريقية فى حضرة تونس عند سلطانها تحت احسانه الغمر وكتاب المظفر ابن الافطس ملك بطليوس المعروف بالمظفرى نحو كتاب المتين فى الكبر وفيه تاريخ على السنين وفنون آداب كثيرة وتاريخ ابن صاحب الصلاة فى الدولة المتونية وذكر ابن غالب ان ابن الصيرفى الغرناطى له كتاب فى أخبار دولة لمتونة وأن أبا الحسن السالمى له كتاب فى أخبار الفتنة الثانية بالاندلس بدأ من سنة ٥٣٩ ورتبه على السنين وبلغ به سنة ٥٤٧ وأبو القاسم خلف بن بشكوال له كتاب فى تاريخ أصحاب الاندلس من فتحها الى زمانه وأضاف الى ذلك من أخبار قرطبة وغيرها ما جاء فى خاطره وله كتاب الصلة فى تاريخ العلماء وللحميدى قبله جذوة المقتبس وقد ذيل كتاب الصلة فى عصرنا هذا أبو عبد الله بن الابار البلنسى صاحب كتاب سلطان افريقية وذكر ابن غالب أن الفقيه أبا جعفر بن عبد الحق الخزرجى القرطبى له كتاب كبير بدأ فيه من بدء الخليقة الى أن انتهى فى أخبار الاندلس الى دولة عبد المؤمن قال وفارقته سنة ٥٦٥ وأبو محمد بن حزم صاحب الرسالة المتقدمة الذكر له كتب جمة فى التواريخ مثل كتاب نقط العروس فى تواريخ الخلفاء وقد صنف أبو الوليد بن زيدون كتاب التبيين فى خلفاء بنى أمية بالاندلس على منزع كتاب التعيين فى خلفاء المشرق للمسعودى وللقاضى أبى القاسم صاعد بن أحمد الطليطلى كتاب التعريف بأخبار علماء الامم من العرب والعجم وكتاب جامع أخبار الامم وأبو عمر بن عبد البر له كتاب القصد والامم فى معرفة أخبار العرب والعجم وعريب بن سعيد القرطبى له كتاب اختصار تاريخ الطبرى قد سعد باغتباط الناس به وأضاف اليه تاريخ افريقية والاندلس ولاحمد

ابن سعيد بن محمد بن عبد الله بن الفياض كتاب العبر وكتاب أبي بكر الحسين بن محمد الزبيدي في أخبار النحويين واللغويين بالمشرق والاندلس وكتاب القاضي أبي الوليد بن الفرضي في اخبار العلماء والشعراء وما يتعلق بذلك ولبعضي بن حكم الغزال تاريخ ألفه كله منظوما كما صنع أيضا بعده أبو طالب المتنبي من جزيرة شقر في التاريخ الذي أورد منه صاحب الذخيرة ما أورد وكتاب الذخيرة لابن بسام في جزيرة الاندلس ليس هذا مكان الاطناب في تفضيلها وهي كالذيل على حدائق ابن فرج وفي عصرها صنف الفتح كتاب القلائد وهو مملوء بلاغة والمحاكمة بين الكتابين ذكرت بمكان آخر ولصاحب القلائد كتاب المطمح وهو ثلاث نسخ كبرى ووسطى وصغرى يذكر فيها من الذين ذكرهم في القلائد ومن غيرهم الذين كانوا قبل عصرهم وكتاب سمط الجمان وسقط المرجان لابي عمرو بن الامام بعد الكتابين المذكورين ذكر من أخلا بتوفيته حقه من الفضلاء واستدرك من أدركه بعصره في بقية المائة السادسة وذيل عليه وان كان ذيلا قصيرا أبو بحر صفوان بن ادريس المرسي بكتاب زاد المسافر ذكر فيه جماعة ممن أدرك المائة السابعة وكتاب أبي محمد عبد الله بن ابراهيم الجياري المسمى بالمذهب في فضائل المغرب صنفه بعد الذخيرة والقلائد من أول ما عمرت الاندلس الى عصره وخرج فيه عن مقصد الكتابين الى ذكر البلاد وخواصها مما يختص بعلم الجغرافيا وخلطه بالتاريخ وتفنن الادب على ما هو مذكور في غيره هذا المكان ولم يصنف في الاندلس مثل كتابه ولذلك فضله المصنف له عبد الملك بن سعيد وذيل عليه ثم ذيل على ذلك ابناه أحمد ومحمد ثم موسى بن محمد ثم علي بن موسى كاتب هذه النسخة ومكمل كتاب فلك الادب المحيط بحلى لسان العرب المحتوى على كتابي المشرق في حلى المشرق والمغرب في حلى المغرب فيكفي الاندلس في هذا الشان تصنيف هذا الكتاب بين ستة أشخاص في ١١٥ سنة آخرها سنة ٦٤٥ وقد احتوى على جميع ما يذاكر به ويحاضر بجملة من فنون الادب المختارة على جهد الطاقة في شرق وغرب على النوع الذي هو مذكور في غير هذا الموضع ومن أغفلت التنبيه على عصره وغير ذلك من المصنفين المتقدمي الذكر فيطلب الملتمس منهم في مكانه المنسوب اليه كابن بسام في شنترين والفتح في اشبيلية وابن الامام في استجه والجياري في وادي الحجارة ● وأما ما جاء منثورا من فنون الادب فكتاب سراج الادب لابي عبد الله بن أبي الخصال الشقوري رئيس كتاب الاندلس صنفه على منزع كتاب النوادر لابي علي وزهر الآداب للحصري وكتاب واجب الادب لوالدي موسى بن محمد بن سعيد واسمه يغني عن المراد به وكتاب اللآلي لابي عبيد البكري على كتاب الامالي لابي علي البغدادي مفيد في الادب وكذلك كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابي محمد بن السيد البطليوسي وأما شرح سقط الزند فهو الغاية ويكفي ذكره عند أرباب هذا الشان وثناؤهم عليه وشروح أبي العلاء المعري لشعر المتنبي والحماسة وغير ذلك مشهورة ● وأما كتب النحو فلاهل الاندلس من الشروح على الجمل ما يطول ذكره فمنها شرح ابن خروف ومنها شرح الرندي ومنها شرح شيخنا أبي الحسن بن عصفور الاشبيلي واليه انتهت علوم

قوله وأما ما جاء الخ في نسخة واما الكتب التي في فنون الادب فمنها كتاب سراج الادب الخ اه

النحو وعليه الاحالة الآن من المشرق والمغرب وقد أتيت له من افريقية بكتاب المقرب في النحو فتلقى باليمين من كل جهة وطار بجناح الاغتباط ولشيخنا أبي علي الشلوبين كتاب التوطئة على الجزولية وهو مشهور ولابن السيد وابن الطراوة والسهيلي من التقييدات في النحو ما هو مشهور عند أصحاب هذا الشان معتمد عليه ولابي الحسن بن خروف شرح مشهور على كتاب سيبويه * وأما كتب علم الجغرافيا فيكفي في ذلك كتاب المسالك والممالك لابي عبيد البكري الاوبي وكتاب معجم ما استعجم من البقاع والاماكن وفي كتاب المسهب للحجاري في هذا الشان وتذييلنا عليه في هذا الكتاب الجامع ما جمع زبد الاولين والآخرين * وأما كتب علم الموسيقى فكتاب أبي بكر بن باجة الغرناطي في ذلك فيه كفاية وهو في المغرب بمنزلة أبي نصر الفارابي بالمشرق واليه تنسب الالحان المطربة بالاندلس التي عليها الاعتماد وليحيى الخديج المرسي كتاب الاغاني الاندلسية على منزع الاغاني لابي الفرج وهو ممن أدرك المائة السابعة * وأما كتب الطب فالمشهور بأيدي الناس الآن في المغرب وقد سار أيضا في المشرق لنبله كتاب التيسير لعبد الملك بن أبي العلاء بن زهر وله كتاب الاغذية أيضا مشهور معتبط به في المغرب والمشرق ولابي العباس بن الرومية الاشبيلي من علماء عصرنا بهذا الشان كتاب في الادوية المفردة وقد جمع أبو محمد المالقي الساكن الآن بقاهرة مصر كتابا في هذا الشان حشر عليه ما سمع به فقدر عليه من تصانيف الادوية المفردة ككتاب الغافقي وكتاب الزهراوي وكتاب الشريف الادريسي الصقلي وغيرها وضبطه على حروف المعجم وهو النهاية في مقصده * وأما كتب الفلسفة فامامها في عصرنا أبو الوليد بن رشد القرطبي وله فيها تصانيف جدها لما رأى انحراف منصور بني عبد المؤمن عن هذا العلم وسجنه بسببها وكذلك ابن حبيب الذي قتله المأمون بن المنصور المذكور على هذا العلم باشبيلية وهو علم ممقوت بالاندلس لا يستطيع صاحبه اظهاره فلذلك تخفى تصانيفه * وأما كتب التنجيم فلابن زيد الاسقف القرطبي فيه تصانيف وكان مختصا بالمستنصر بن الناصر المرواني وله ألف كتاب تفضيل الازمان ومصالح الابدان وفيه من ذكر منازل القمر وما يتعلق بذلك ما يستحسن مقصده وتقريبه وكان مطرف الاشبيلي في عصرنا قد اشتغل بالتصنيف في هذا الشان الا أن أهل بلده كانوا ينسبونه الى الزندقة بسبب اعتكافه على هذا الشان فكان لا يظهر شيأ مما يصنف ثم قال ابن سعيد أخبرني والدي قال كنت يوما في مجلس صاحب سبتة أبي يحيى بن أبي زكريا صهر ناصر بني عبد المؤمن فجرى بين أبي الوليد الشقندي وبين أبي يحيى بن المعلم الطبخي نزاع في التفضيل بين البرين فقال الشقندي لولا الاندلس لم يذكر بر العدوة ولا سارت عنه فضيلة ولولا التوقير للمجلس لقلت ما تعلم فقال الامير أبو يحيى أتريد أن تقول كون أهل بر ناعربا وأهل بركم بربر فقال حاش لله فقال الامير والله ما أردت غير هذا فظهر في وجهه انه أراد ذلك فقال ابن المعلم أتقول هذا وما الملك والفضل الا من بر العدوة فقال الامير الرأي عندي أن يعمل كل واحد منكما رسالة في تفضيل برة فالكلام هنا يطول ويمرضنا عا وأرجو اذا خليتما له فكر كما يصدر

عنكما بحسن تخليده ففعلا ذلك فكانت رسالة الشقندى " الحمد لله الذى جعل لمن يفخر بالاندلس أن يتكلم ملء فيه ويطنب ماشاء فلا يجد من يعترض عليه ولا من ينهيه اذ لا يقال للنهار يا مظلم ولا لوجه النعيم يا قبيح

وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

أحمده على أن جعلنى ممن انشأته وحبانى بأن كنت ممن أظهرته فامتد فى الفخر باعى وأعانى على الفضائل كرم طباعى وأصلى على سيدنا محمد نبيه الكريم وعلى آله وصحبه الاكرمين وأسلم تسليما أما بعد فانه حرك منى ساكنا وملأ منى فارغا فخرجت عن سجيتى فى الاغضاء مكرها الى الحمية والاباء منازع فى فضل الاندلس أراد أن يخرق الاجماع ويأتى بما لم تقبله النواظر والاسماع اذ من رأى ومن سمع لا يجوز عنده ذلك ولا يضله من تاه فى تلك المسالك رام أن يفضل بر العدوة على بر الاندلس فرام أن يفضل على اليمين اليسار ويقول الليل أضوأ من النهار فيا عجبا كيف قابل العوالى بالزجاج وصادم الصفاة بالزجاج فيا من نفخ فى غير ضرم ورام صيد البزاة بالرخم كيف تنكر بما جعله الله قليلا وتتعزز بما حكم الله ان يكون ذليلا ماهذه المباهتة التى لا تجوز كيف تبدى أمام الفتاة العجوز سل العيون الى وجه من تميل واستخبر الاسماع الى حديث من تصغى

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى * يزيد سليم والاغر بن حاتم

اقن حياءك أيها المغرد بالنصيب المتزين بالخلق المتحبب الى الغوانى بالمشيب الخضيب اين عزب عقلك وكيف نكص على عقبه فهمك ولبك أبلغت العصبية من قلبك أن تطمس على نورى بصرك ولبك أما قولك الملوك منا فقد كان الملوك منا أيضا وما نحن الا كما قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

ان كان الآن كرسى جميع بلاد المغرب عندكم بخلافة بنى عبد المؤمن أدامها الله تعالى فقد كان عندنا بخلافة القرشيين الذين يقول فيهم مشرقيهم

وانى من قوم كرام أعزة * لاقدامهم صيغت رؤس المنابر

خلائف فى الاسلام فى الشرك قادة * بهم واليهم فخر كل مفاخر

ويقول مغربيهم

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت * بنا الحال أو دارت علينا الدوائر

اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

وقد نشأ فى مدتهم من الفضلاء والشعراء ما اشتهر فى الآفاق وصار أثبت فى صحائف الايام فى أعناق الحمام من الاطواق

وسار مسير الشمس فى كل بلدة * وهب هبوب الريح فى البر والبحر

ولم تزل ملوكهم فى الاتساق كما قيل

ان الخلافة فيكم لم تزل نسقا * كالعقد منظومة فيه فرائده

الى أن حكم الله بنثر سلكهم وذهاب ملكهم فذهبوا وذهبت أخبارهم ودرسوا

ودرست آثارهم

جمال ذى الارض كانوا فى الحياة وهم * بعد الممات جمال الكتب والسير
فكم مكرمة أنالوها وكم عثرة أقالوها

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

وكان من حسنات ملكهم المنصور بن أبى عامر وما أدراك الذى بلغ فى بلاد النصارى غازيا الى البحر الاخضر ولم يترك أسيرا فى بلادهم من المسلمين ولم يبرح فى جيش الهرقل وعزمة الاسكندر ولما قضى نحبه كتب على قبره

آثاره تنبيك عن أوصافه * حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتى الزمان بمثله * أبدا ولا يحمى الثغور سواه

وقد قيل فيه من الامداح وألف له من الكتب ما سمعت وعلمت حتى قصد من بغداد وعم خيره وبشره أقاصى البلاد ولما تار بعد انتشار هذا النظام ملوك الطوائف وتفرقوا فى البلاد كان فى تفرقهم اجتماع على النعم لفضلاء العباد اذ نفقوا سوق العلوم وتباروا فى المثوبة على المنثور والمنظوم فما كان أعظم مباهاتهم الاقول العالم الفلانى عند الملك الفلانى والشاعر الفلانى مختص بالملك الفلانى وليس منهم الا من بذل وسعه فى المكارم ونبهت الامداح من مآثره ما ليس طول الدهر بنائم وقد سمعت ما كان من الفتيان العامرية مجاهد ومنذر وخيران وسمعت عن الملوك العربية بنو عباد وبنو صمادح وبنو الافطس وبنو ذى النون وبنو هود كل منهم قد خلد فيه من الامداح ما لو مدح به الليل لصار أضوأ من الصباح ولم تزل الشعراء تتهادى بينهم تهادى النواسم بين الرياض وتفتك فى أموالهم فتكة البراض حتى ان أحد شعرائهم بلغ به ما رآه من منافستهم فى أمداحه أن حلف أن لا يمدح أحدا منهم بقصيدة الا بمائة دينار وان المعتضد بن عباد على ما اشتهر من سطوته وافراط هيبته كلفه أن يمدحه بقصيدة فأبى حتى يعطيه ما شرطه فى قسمه ومن أعظم ما يحكى من المكارم التى لم نسمع لها أختا ان أبا غالب اللغوى ألف كتابا فبذل له مجاهد العامرى ملك دانية ألف دينار ومركوبا وكسا على أن يجعل الكتاب باسمه فلم يقبل ذلك أبو غالب وقال كتاب ألفته لينتفع به الناس وأخلد فيه همتى أجعل فى صدره اسم غيرى وأصرف الفخر له لا أفعل ذلك فلما بلغ هذا مجاهدا استحسن انفته وهمته وأضعف له العطاء وقال هو فى حل من أن يذكرنى فيه لانصده عن غرضه وان كان كل ملوك الاندلس المعروفين بملوك الطوائف قد تنازعوا فى ملاءة الحضر فانى أخص منهم بنى عباد كما قال الله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان فان الايام لم تزل بهم كاعياد وكان لهم من الحنو على الادب ما لم يقم به بنو حمدان فى حلب وكانوا هم وبنوهم ووزراؤهم صدورا فى بلاغتى النظم والنثر مشاركين فى فنون العلم وآثارهم مذكوره وأخبارهم مشهوره وقد خلدوا من المكارم التامة ما هو متردد فى ألسن الخاصة والعامة وبالله الاعيت لى بمن تفخرون قبل هذه الدعوة المهدية أبو قمورت الحاجب أم بصالح البرغواطى أم بيوسف بن تاشفين الذى لولا توسط ابن

عباد لشعراء الاندلس فى مدحه ما أجروا له ذكرا ولا رفعوا الملكه قدرا وبعد ما ذكروه بوساطة المعتمد بن عباد فان المعتمد قال له وقد أنشدوه أيعلم أمير المسلمين ما قالوه قال لا أعلم ولكنهم يطلبون الخير ولما انصرف عن المعتمد الى حضرة ملكه كتب له المعتمد رسالة فيها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا

حالت لفقدكم أيامنا فغدت * سودا وكانت بكم بيضا ليالينا

فلما قرئ عليه هذان البيتان قال للقارئ يطلب منا جوارى سودا وبيضا قال لا يا مولانا ما أراد الا أن ليله كان بقرب أمير المسلمين نهارا لان ليالى السرور بيض فعاد نهاره بعده ليلا لان ليالى الحزن ليال سود فقال والله جيد اكتب له فى جوابه ان دموعنا تجرى عليه ورؤسنا توجعنا من بعده فليت العباس بن الاحنف قد عاش حتى يتعلم من هذا الفاضل رقة الشوق

ولا تنكرن مهما رأيت مقدما * على حربنا فلا فثم تناسب

فاسكتوا فلولا هذه الدوله لما كان لكم على الناس صوله

وان الورد يقطف من قتاد * وان النار تقبس من رماد

وانك ان تعرضت للمناضلة بالعلماء فأخبرنى هل لكم فى الفقه مثل عبد الملك بن حبيب الذى يعمل بأقواله الى الآن ومثل أبى الوليد الباجى ومثل أبى بكر بن العربى ومثل أبى الوليد بن رشد الاكبر ومثل أبى الوليد بن رشد الاصغر وهو ابن الاكبر نجوم الاعلام ومصابيح شريعة محمد عليه السلام وهل لكم فى الحفظ مثل أبى محمد بن حزم الذى زهد فى الوزارة والمال ومال الى رتبة العلم ورآها فوق كل رتبة وقال وقد احترقت كتبه

دعونى من احراق رق وكاغد * وقولوا بعلم كى يرى الناس من يدرى

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذى * تضمنه القرطاس اذ هو فى صدرى

ومثل أبى عمر بن عبد البر صاحب الاستيعاب والتمهيد ومثل ابى بكر بن المجد حافظ الاندلس فى هذه الدولة وهل لكم فى حفاظ اللغة كابن سيده صاحب كتاب المحكم وكتاب السمار العالم الذى ان أعمى الله بصره فما أعمى بصيرته وهل لكم فى النحو مثل أبى محمد بن السيد وتصانيفه ومثل ابن الطراوة ومثل أبى على الشلوبين الذى بين أظهرنا الآن وقد سار فى المغارب والمشارق ذكره وهل لكم فى علم اللحون والفلسفة كابن باجة وهل لكم فى علم النجوم والهندسة والفلسفة مثل كالمقتدر بن هود صاحب سرقسطة فانه كان فى ذلك آية وهل لكم فى الطب مثل ابن طفيل صاحب رسالة حى بن يقظان المقدم فى علم الفلسفة ومثل بنى زهر أبى العلاء ثم ابنه عبد الملك ثم ابنه أبى بكر ثلاثة على نسق وهل لكم فى علم التاريخ كابن حيان صاحب المتين والمقتبس وهل عندكم فى رؤساء علم الادب مثل أبى عمر بن عبد ربه صاحب العقد وهل لكم فى الاعتناء بتخليد مآثر فضلاء اقليمه والاجتهاد فى حشد محاسنهم مثل ابن بسام صاحب الذخيرة وهب انه كان يكون لكم مثل هذا فى تصنع الكيسة فى البيت الفارغ وهل لكم فى بلاغة النثر كالفتح ابن عبيد الله الذى ان مدح رفع وان ذم وضع وقد ظهر له من ذلك فى كتاب القلائد

ما هو أعدل شاهد ومثل ابن أبي الخصال في ترسله ومثل أبي الحسن سهل بن مالك الذي بين أظهرنا الآن في خطبه وهل لكم في الشعر ملك مثل المعتمد بن عباد في قوله

وليل بسد النهر أنساً قطعته * بذات سوار مثل منعطف النهر
نضت بردها عن غصن بان منعم * فيا حسن ما انشق الكمام عن الزهر

وقوله في أبيه

سميدع يهب الآلاف مبتدئا * وبعد ذلك يلقى وهو يعتذر
له يد كل جبار يقبلها * لولا نداها لقلنا انها الظفر

ومثل ابنه الراضي في قوله

مر وا بنا أصلا من غير ميعاد * فأوقدوا نار قلبي أي إيقاد
لا غرو ان زاد في وجدي مرورهم * فروية الماء تذكي غلة الصادي

وهل لكم ملك ألف في فنون الادب كتابا في نحو مائة مجلدة مثل المظفر بن الافطس ملك بطليوس ولم تشغله الحروب ولا المملكة عن همة الادب وهل لكم من الوزراء مثل ابن عمار في قصيدته التي سارت أشرد من مثل وأحب الى الاسماع من لقاء حبيب وصل التي منها

اثمرت رمحك من رؤس ملوكهم * لما رأيت الغصن يعشق مثمرا
وصبغت درعك من دماء كماتهم * لما رأيت الحسن يلبس أحمرا

ومثل ابن زيدون في قصيدته التي لم يقل مع طولها في التشبيب أرق منها وهي التي يقول فيها

كنا لنالم نبت والوصل ثالثنا * والسعد قد غض من أجفان واشينا
سران في خاطر الظلماء يكتمنا * حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

وهل لكم من الشعراء مثل ابن وهبون في بديهته بين يدي المعتمد بن عباد واصابته الغرض حين استحسن المعتمد قول المتنبي

اذا ظفرت منك العيون بنظرة * أثاب بها معي المطي ورازمه

فارتجل

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما * بجيد العطايا والليها تفضل
تنبأ عجبا بالقريض ولو درى * بأنك ترعى شعره لتأملها

وهل لكم مثل شاعر الاندلس ابن درّاج الذي قال فيه الثعالبي هو بالصقع الاندلسي كالمتنبي بصقع الشام الذي ان مدح الملوك قال مثل قوله

ألم تعلمي ان الثواء هو الثوا * وأن بيوت العاجزين قبور
وان خطيرات المهالك ضمن * لراكبها أن الجزاء خطير
تخوف في طول السفار وانه * بتقبيل كف العامري جدير
مجير الهدى والدين من كل ملحد * وليس عليه للضلال مجير
تلاقت عليه من تميم ويعرب * شموس تلاقت في العلا وبدور
هم يستقلون الحياة لراغب * ويستصغرون الخطب وهو كبير

ولما

ولما توافوا للسلام ورفعت ● عن الشمس فى أفق الشروق ستور
وقد قام من زرق الاسنة دونها ● صفوف ومن بيض السيوف سطور
رأوا طاعة الرحمن كيف اعتزازها ● وآيات صنع الله كيف تسير
وكيف استوى بالبر والبحر مجلس ● وقام بعبء الراسيات سرير
فجاؤا بحالا والقلوب خوافق ● وولوا بطاء والنواظر صور
يقولون والاجلال يخرس ألسنا ● وحازت عيون ملأها وصدور
لقد حاط أعلام الهدى بك حائط ● وقد رفيك المكرمات قدير

وأنا أقسم بما حازته هذه الابيات من غرائب الآيات لو سمع هذا المدح سيد بنى حمدان لسلا به عن مدح شاعره الذى ساد كل شاعر ورأى أن هذه الطريقة أولى بمدح الملوك من كل ما تفنن فيه كل ناظم وناثر وان ذكر الغربة عن الاوطان ومكابدة نوائب الزمان قال

قلت وقد مزج الفراق مدامعا ● بمدامع وترائبا بترائب
أنف سرق حتى بمنزل غربة ● كم نحن للايام نهبة ناهب
ولئن جنيت عليك ترحة راحل ● فانا الزعيم لها بفرحة آيب
هل أبصرت عينا لبدرا طالعا ● فى الافق الا من هلال غاربه

وان شبه قال

لمعاقل من سوسن قد شيدت ● أيدى الربيع بناءها فوق القضب
شرفاتها من فضة وحماتها ● حول الامير لهم سيوف من ذهب

وهل من شعرائكم من تعرض لذكر العفة فاستنبط ما يسحر به السحر ويطيب به الزهر وهو أبو عمرو بن فرج فى قوله

وطائعة الوصال عففت عنها ● وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت فى الليل سافرة فباتت ● دياجى الليل سافرة القناع
وما من لحظة الا وفيها ● الى فتن القلوب لها دواعى
فلكت النهى حجاب شوقى ● لاجرى فى العفاف على طباعى
وبت بها مبيت السقب يظما ● فيمنعه الحكام من الرضاع
كذلك الروض ما فيه لمثلى ● سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات ● فاتخذ الرياض من المراعى

وهل بلغ أحد من مشبهى شعرائكم أن يقول مثل قول أبى جعفر اللمائى

عارض أقبل فى جنح الدجا ● يتهادى كتهادى ذى الوجا
بددت ريح الصبا لؤلؤه ● فانبرى يوقد منها سرجا

ومثل قول أبى حفص بن برد

وكان الليل حين لوى ● ذاهبا والصبح قد لاحا
كلة سوداء أحرقها ● عامد أسرج مصباحا

وهل منكم من وصف ما تحدثه الخمرة من الحمرة على الوجنة بمثل قول الشريف الطليق

أصبحت شمسا وفوه مغربا * ويد الساقي المحيي مشرقا
واذا ما غربت في فمه * تركت في الخد منه شفقا

بمثل هذا الشعر فليطلق اللسان ويفخر على كل انسان وهل منكم من عمد الى قول امرئ القيس

سموت اليها بعد ما نام أهلها * سمو حباب الماء حالا على حال

فاختلسه اختلاس النسيم لنفحة الازهار وسلبه بلطف استلاب الشمس لرضاب طل الاسحار فلطفه تلطيفا يمتزج بالارواح ويغنى في الارتياح عن شرب الراح وهو ابن شهيد في قوله

ولما تلا من سكره * ونام ونامت عيون الحرس
دنوت اليه على قربه * دنو رفيق درى ما القبس
أدب اليه دبيب الكرى * وأسمو اليه سمو النفس
أقبل منه بياض الطلى * وأرشف منه سواد اللعس
فبت به ليلتي ناعما * الى أن تبسم ثغر الغلس

وقد تناول هذا المعنى ابن أبي ربيعة على عظم قدره وتقدمه فعارض الصهيل بالنهاق وقابل العذب بالزعاق فقال وليته سكت

ونقصت عني العين أقبلت مشية السحاب وركبي خيفة القوم أزور

وأنا أقسم لو زار رجل محبوبته لكان ألطف في الزيارة من هذا الازور الركن المنقص للعيون لكنه ان أساء هنا فقد أحسن في قوله

قالت لقد أعيتنا حجة * قلت اذا ما هجع السامر
واسقط علينا كسقوط الندى * ليلة لا ناء ولا زاجر

ولله در محمد بن سفر أحد شعرائنا المتأخرين عصرا المتقدمين قدرا حيث نقل السعي الى محبوبته فقال وليته لم يزل يقول مثل هذا فمثله ينبغي أن يتكلم ومثله يليق أن يدون

وواعدتها والشمس تمخض للنوى * بزورتها شمسا وبدر الدجى يسرى
فجاءت كما يمشي سنا الصبح في الدجى * وطورا كما مر النسيم على النهر
فعطرت الآفاق حولي فأشعرت * بمقدمها والعرف يشعر بالزهر
فتابعت بالتقبيل آثار سعيها * كما يتقصى قارئ أحرف السطر
فبت بها والليل قد نام والهوى * تنبه بين الغصن والحقف والبدر
أعانقها طورا وألثم تارة * الى أن دعتنا للنوى راية الفجر
ففضت عقودا للتعانق بيننا * فيا ليلة القدر اتركي ساعة النفر

وهل منكم من قيد بالاحسان فأطاق لسانه الشكر فقال وهو ابن اللبانة

بنفسي وأهلي جيرة ما استعنتهم * على الدهر الا واثنيت معانا
أراشوا جناحي ثم بلوه بالندى * فلم أستطع من أرضهم طيرانا

ومن يقول وقد قطع عنه ممدوحه ما كان يعتاده منه من الاحسان فقابل ذلك بقطع مدحه له فبلغه انه عتبه على ذلك وهو ابن وضاح

هل كنت الا طائرا بثنائكم * في دوح مجدكم أقوم وأقعد
ان تسلبوني ريشكم وتقلصوا * عني ظلالكم فكيف أغرد

وهل منكم شاعر رأى الناس قد نجموا من سماع تشبيه الثغر بالاقاح وتشبيه الزهر بالنجوم وتشبيه الخدود بالشقائق فتلطف لذلك في أن يأتي به في منزع يصير خلقه في الاسماع جديدا وكاله في الافكار حديدا فاغراب أحسن اغراب واعرب عن فهمه بحسن تخيله أنبل اعراب وهو ابن الزقاق

وأغيد طاف بالكؤس ضحى * وحثها والصباح قد وضحا
والروض أهدى لنا شقائقه * وآسه العنبري قد نفحا
قلنا وأين الاقاح قال لنا * أودعته ثغر من سقى القدحا
فظل ساقي المدام يجحدنا * قال فلما تبسم افتضحا

قوله وحثها هكذا في النسخ ولم أجده بمعنى الشرب لا في القاموس ولا في الصحاح فلعل الاولى أن يقول بدله حسوتها الخ وليحرر اه مصححه

وقال

أديرها على الروض المندى * وحكم الصبح في الظلماء ماضي
وكاس الراح تنظر عن حباب * ينوب لنا عن الحدق المراض
وما غربت نجوم الافق لكن * نقلن من السماء الى الرياض

وقال

ورياض من الشقائق أضحت * يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يجلد منها * زهرات تروق لون الراح
قلت ما ذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

فانظر كيف زاحم بهذا الاختيال المخترعين وكيف سابق بهذا اللفظ المبتدعين وهل منكم من برع في أوصاف الرياض والمياه وما يتعلق بذلك فانتهى الى غاية السباق وفضح كل من طمع بعده في اللحاق وهو ابو اسحق بن خفاجة القائل

وعشي أنس أنجعتني نشوة * فيها يهد مضجعي ويدثث
خلعت علي بها الاراكة ظلها * والغصن يصفي والحمام يحدث
والشمس تجنح للغروب مريضة * والرعد يرقى والغمامة تنفث

والقائل

لله نهر سال في بطحاء * أشهى ورودا من لمى الحسناء
متعطف مثل السوار كأنه * والزهر يكنفه مجر سماء
قد رق حتى ظن قرصا مفرغا * من فضة في بردة خضراء
وغدت تحف به الغصون كأنها * هدب تحف بمقلة زرقاء
ولطالما عاطيت فيه مدامة * صفراء تخضب أيدي الندماء
والريح تعبث بالغصون وقد جرى * ذهب الاصيل على لجين الماء

والقائل

حث المدامة والنسيم عليل • والظل خفاق الرواق ظليل
والروض مهتز المعاطف نعمة • نشوان تعطفه الصبا فيميل
ريان فضه الندى ثم انجلى • عنه فذهب صفحتيه أصيل

قوله حث المدامة فيه ما تقدم قريبا ولعل الاوفق وحسا المدامة الخ وليتنظر اه مصححه

والقائل

أذن الغمام بديمة ومقار • فامزج لجينا منهما بنضار
واربع على حكم الربيع باجرع • هزج الندامى مفصح الاطيار
متقسم الالحاظ بين محاسن • من ردف رابية وخصر قرار
نثرت بحجر الروض فيه يد الصبا • درر الندى ودراهم الانوار
وحفت بتغريد هنالك ايكة • خفاقة بهب ريح عرار
هزت له أعطافها ولربما • خلعت عليه ملاءة الاوار

والقائل

سقيا لها من بطاح خز • ودوح نهر بها مطل
اذ لا ترى غير وجه شمس • أظل فيه عذار طل

والقائل

نهر كما سال اللمى سلسال • وصبا بليل ذيلها مكسال
ومهب نفحة روضة مطلولة • فى جانبيها للنسيم مجال
غازلتها والاقحوانة مبسم • والآس صدغ والبنفسج خال

والقائل

وساق كحيل اللحظ فى شأو حسنه • جماح وبالصبر الجميل حران
ترى للصبا نارا بخديه لم يثر • لها من سوادى عارضيه دخان
سقاها وقد لاح الهلال عشية • كما اعوج فى درع الكمى سنان
عقارا نماها الكرم فهى كريمة • ولم تزن بابن المزن فهى حصان
وقد جال من جون الغمامة أدهم • له البرق سوط والسنان عنان
وضمخ درع الشمس نحر حديقة • عليه من الطل السقيط جمان
ونمت بأسرار الرياض خميلة • لها النور ثغر والنسيم لسان

والقائل فى وصف فرس ولم يخرج عن طريقته

وأشقر تضرم منه الوغى • بشعلة من شعل الباس
من جلنار ناضر لونه • وأذنه من ورق الآس
تطلع للغرة فى شقرة • حباية تضحك فى كاس

وهل منكم من يقول منادما لنديمه وقد باكر روضا بمحبوب وكاس فألفاه قد غطى محاسنه ضباب نخاف أن يكسل نديمه عن الوصول اذا رأى ذلك وهو أبو الحسن بن بسام

ألا بادر فثان سوى ما • عهدت الكاس والبدر التمام

ولا تكسل برؤيته ضبابا • تغص به الحديقة والمدام
فان الروض ملتثم الى أن • توافيه فينحط اللثام

وهل منكم من تغزل فى غلام حائك بمثل قول الرصافى

قالوا وقد أكثروا فى حبه عذلى • لو لم تهم بمذال القدر مبتذل
فقلت لو كان أمرى فى الصبابة لى • لاخترت ذا ولكن ليس ذلك لى
علقته حبى الثغر عاطره • حلو اللمى ساحر الاجفان والمقل
غزيل لم تزل فى الغزل جائلة • بنانه جولان الفكر فى الغزل
جذلان تلعب بالمحبوالذ أنامله • على السدى لعب الايام بالاجل
ضمابكفيه أو خصابا خصره • تخبط الظبى فى أشراك محتبل

ومثل قوله فى تغلب مسكة الظلام على خلوق الاصيل

وعشى رائق منظره • قد قطعناه على صرف الشمول
وكان الشمس فى أثنائه • ألصقت بالارض خدا للنزول
والصبا ترفع أذيال الربا • ومحيا الجو كالنهر الصقيل
حبذا منزلنا مغتبقا • حيث لا يطرقنا غير الهديل
طائر شاد وغصن منثن • والدجى تشرب صهباء الاصيل

وهل منكم من يقول فى موشح فيما يجزه هذا المعنى

ورداء الاصيل تطويه كف الظلام

وهو أبو القاسم بن الفرس وهل منكم من وصف غلاما جميل الصورة راقصا بمثل قول ابن خروف

ومنزع الحركات يلعب بالنهى • لبس المحاسن عند خلع لباسه
متأودا كالغصن وسط رياضه • متلاعبا كالظبى عند كناسه
بالعقل يلعب مدبرا أو مقبلا • كالدهر يلعب كيف شاء بناسه
ويضم للقدمين منه راسه • كالسيف ضم ذبابه لرياسه

وهل منكم من وصف خالا بأحسن من قول النشار

ألوامى على كلفى بحبى • متى من حبه أرجو سراحا
وبين الخد والشفتين خال • كزنجى أتى روضا صباحا
تحير فى جناه فليس يدرى • أيجنى الورد أم يجنى الاقاحا

وهل منكم الذى اهتدى الى معنى فى لثم وردة الخد ورشف رضاب الثغر لم يهتد اليه أحد غيره وهو أبو الحسن بن سلام المالقى فى قوله

لما ظفرت بليلة من وصله • والصب غير الوصل لا يشفيه
أنضجت وردة خده بتنفسى • وطفقت أرشف ماءها من فيه

وهل منكم من هجا من غير النطق باقذاع فبلغ ما لم يبلغه المقذع وهو المخزومى فى قوله

يود عيسى نزول عيسى • عساه من دائه يريح

وموضع الداء منه عضو * لا يرتضى مسه المسيح

ولما أقذع أتى أيضا بأبدع فقال

يا فارس الخيل ولا فارس * الا على متن جواد الحصى
زدت على موسى وآياته * تفجير الماء وتخفى العصا

وهل منكم من مدح بمعنى فبلغ به النهاية من المدح ثم نقله الى الهجاء فبلغ به النهاية من الذم وهو البكى فى قوله مادحا

قوم لهم شرف العلا فى حمير * واذا انتموا لمتونة فهم هم
لما حووا احراز كل فضيلة * غلب الحياء عليهم فتلثموا

وفى قوله هاجيا

ان المرابط باخل بنواله * لكنه بعياله يتكرم
الوجه منه مخالق لقبيح ما * يأتيه فهو من أجله يتلثم

وهل منكم من هجا أشتر العين بمثل قول أبى العباس بن جنون الاشبيلى

يا طلعة أبدت قبائح جمة * فالكل منها ان نظرت قبيح
أبعينك الشتراء عين ثرة * منها ترقرق دمعها المسفوح
شترت فقلنا زورق فى لجة * مالت باحدى دفتيه الريح
وكأنما انسانها ملاحها * قد خاف من غرق فظل يصيح

وهل منكم من حضر مع عدو له جاحد لما فعل معه من الخير وأمامهما زجاجة سوداء فيها خمر فقال له الجحود المذكور ان كنت شاعرا فقل فى هذه فقال ارتجالا وهو ابن بجير

سأشكو الى الندمان أمر زجاجة * تردت بثوب حالك اللون أسحم
نصبت بها شمس المدامة بيننا * فتغرب فى جنح من الليل مظلم
وتجحد أنوار الحيا بلونها * كقلب حسود جاحد يدمنهم

وهل منكم من قال لفاضل جمع بينه و بين فاضل وهو أبو جعفر الذهبى

أيها الفاضل الذى قد هدانى * نحو من قد حمدته باختيار
شكر الله ما أتيت وجازا * ك ولا زالت نجم هدى لسار
أى برق أفاد أى غمام * وصباح أدى لضوء نهار
واذا ما غدا النسيم دليلى * لم يحلنى الاعلى الازهار

وهل منكم أعمى قال فى ذهاب بصره وسواد شعره وهو الطليطلى

أما اشتفت منى الايام فى وطنى * حتى تضايق فيما عن من وطرى
ولا قضت من سواد العين حاجتها * حتى تكر على ما طل فى الشعر

وهل منكم الذى طار فى مشارق الارض ومغاربها وهو أبو القاسم محمد بن هانئ الاندلسى

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر * وأمدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر

وقد سمعت قافيته فى النجوم ولولا طولها لانشدتها هنا فانها أحسن ما قيل فى معناها

وهل منكم من قال فى الزهد مثل قول أبى وهب العباسى القرطبى

أنا فى حالتى التى قد ترانى * ان تأملت أحسن الناس حالا
منزلى حيث شئت من مستقر الارض أسقى من المياه زلالا
ليس لى كسوة أخاف عليها * من مغير ولن ترى لى مالا
أجعل الساعد اليمين وسادى * ثم أثنى اذا انقلبت الشمالا
ليس لى والد ولا مولود * لا ولا حزت مذ عقلت عيالا
قد تلذذت حقبة بامرد * فتأملتها فكانت خيالا

ومثل قول أبى محمد عبد الله بن العسال الطليطلى

انظر الدنيا فان أبصرتها شيأ يدوم
فاغد منها فى أمان * ان يساعدك النعيم
واذا أبصرتها منك على كره تهيم
فاسل عنها واطرحها * وارتحل حيث تقيم

وهل نشأ عندكم من النساء مثل ولادة المرونية التى تقول مداعبة للوزير ابن زيدون وكان له غلام اسمه على

مالابن زيدون على فضله * يغتابنى ظلما ولا ذنب لى
ينظرنى شزرا اذا جئته * كأنما جئت لأحصى على

ومثل زينب بنت زياد المؤدب الوادى آشية التى تقول

ولما أبى الواشون الا فراقنا * ومالهم عندى وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة * وقل حماتى عند ذاك وأنصارى
غزوتهم من مقلتيك وأدمعى * ومن نفسى بالسيف والماء والنار

وأنا أختم هذه القطع المتخيرة بقول أبى بكر بن بقى ليكون الختام مسكا

عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الفتيق لناشق
وضممته ضم الكمى لسيفه * وذوا بتاه حمائل فى عاتق
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته شيأ وكان معانقى
باعدته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على وساد خافق

وبقول القاضى أبى حفص بن عمر القرطبى

هم نظروا لواحظها فهاموا * وتشرب لب شاربها المدام
يخاف الناس مقلتها سواها * أيذعر قلب حامله الحسام
سما طرفى اليها وهو باك * وتحت الشمس ينسكب الغمام
وأذكرقدها فأنوح وجدا * على الاغصان تندب الحمام
وأعقب بينها فى الصدر غما * اذا غربت ذكاء أتى الظلام

وبقوله أيضا

لها ردف تعلق فى لطيف * وذاك الردف لى ولها ظلوم

يعذبني اذا فكرت فيه * ويتعبها اذا رامت تقوم

وقد أطلت عنان النظم على انى اكتفيت عن الاستدلال على النهار بالصباح فبالله الا ما أخبرتنى من شاعركم الذى تقابلون به شاعرا ممن ذكرت لا أعرف لكم أشهر ذكرا وأضخم شعرا من أبى العباس الجراوى وأولى لكم أن تجحدوا فخره وتنسوا ذكره فقد كفاكم ما جرى من الفضيحة عليكم فى قوله من قصيدة يمدح بها خليفة

اذا كان املاك الزمان أراقما * فانك فيهم دائم الدهر ثعبان

فما أقبح ما وقع ثعبان وما أضعف ما جاء دائم الدهر ولقد أنشدت أحد ظرفاء الاندلس هذا البيت فقال لا ينكر هذا على مثل الجراوى فسبحان من جعل روحه ونسبه وشعره تتناسب فى النقالة وان أردت الافتخار بالفرسان والتفاضل بالشجعان فمن كان قبلنا منهم فى مدة المنصور بن أبى عامر ومدة ملوك الطوائف أخبارهم مشهورة وآثارهم مذكورة وكفالك من أبطال عصرنا ما سمعت عن الامير أبى عبد الله بن مردنيش وانه كان يدفع فى مواكب النصارى ويشقها يمينا ويسارا منشدا

أكر على الكتيبة لا أبالى * أحتفى كان فيها أم سواها

حتى انه دفع يوما فى موكب من النصارى فصرع وقتل وظهر منه ما أعجبت به نفسه فقال لشيخ من خواصه عالم بامور الحرب مشهور بها كيف رأيت فقال له لو آلك السلطان زاد فيما لك فى بيت المال وأعلى مرتبتك أمن يكون رأس جيش يقدم هذا الاقدام ويتعرض بهلاك نفسه الى هلاكهم فقال له دعنى فانى لا أموت مرتين واذا مت أنا فلا عاش من بعدى والقائد أبو عبد الله بن قادوس الذى اشتهر من شجاعته ومواقعه فى النصارى وحسن بلائه ما صير النصارى من رعبه والاقرار بفضله فى هذا الشان أن يقول أحدهم لفرسه اذا سقاه فلم يقبل على الماء مالك أرأيت ابن قادوس فى الماء وهذه مرتبة عظيمة والفضل ما شهدت به الاعداء ولقد أخبرنى من أثق به انه خرج من عسكر فى كتيبة مجردة برسم الغارة على بلاد النصارى فوقع فى جمع كبير منهم فجهد جهده فى الخلاص منهم والرجوع الى العسكر فجعل يقاتل مع أصحابه فى حالة الفرار الى أن بكا بأحد جنده فرسه وفزعنه فناداه مستغيثا فقال اصبر ثم نظر الى فارس من النصارى قد طرف فقال اجر الى هذا النصرانى فخذ فرسه وركض نحوه فأسقطه وقال لصاحبه اركب فركب ونجا معه سالما وأمثال هذا كثير وانما جئت بحصاة من ثبير وأمثاكم النفس وشمائل الرياسة فأنا أحكى لك حكاية تتعجب منها وهى مما جرى فى عصرنا وذلك ان أبا بكر بن زهر نشأت بينه وبين الحافظ أبى بكر بن الجد عداوة مفرطة للاشتراك فى العلم والرياسة وكثرة المال والبلدية فأجرى ابن زهر يوما ذكره فى جماعة من أصحابه وقال لقد آذانا هذا الرجل أشد أذية ولم يقصر فى القول عند أمير المؤمنين وعند خواص الناس وعوامهم فقال له أحد عوامهم انى أذكر لك عليه عقدا فيه مخاصمة فى موضع مما يعز عليه من مواضعه ومتى خاصمته فى ذلك بلغت منه فى النكاية أشد مبلغ فخرج ابن زهر وأظهر الغضب الشديد والانكار لذلك وقال لوكيله أمثلى يجازى على العداوة بما يجازى به

السفل والاوباش وانى أجعل ابن الجد فى حل من موضع الخصام وأمر بان يحمل له العقد ثم قال وانى والله ما أروم بذلك أصالحه فان عداوته شديدة من حسد وأنا أسأل الله تعالى أن يديمها لانها مقترنة بدوام نعم الله على * وان تعرضت الى ذكر البلاد وتفسير محاسنها وما خصها الله تعالى به مما حرمه على غيرها فاسمع ما يميت الحسود كمدا * أما اشبيلية فمن محاسنها اعتدال الهواء وحسن المبانى وتزيين الخارج والداخل وتمكن التقصر حتى ان العامة تقول لوطلب ابن الطير فى اشبيلية وجد ونهرها الاعظم الذى يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلا ثم يحسر وفيه يقول ابن سفر

شق النسيم عليه جيب قميصه * فانساب من شطيه يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها * هزأ فضم من الحياء ازاره

وزيادته على الانهار كون ضفتيه مطرزة بالمنازه والبساتين والكروم والانسام متصل ذلك اتصالا لا يوجد على غيره وأخبرنى شخص من الاكياس دخل مصر وقد سالته عن بلدها انه لا تتصل بشطيه البساتين والمنازه اتصالها بنهر اشبيلية وكذلك أخبرنى شخص آخر دخل بغداد وقد سعد هذا الوادى بكونه لا يخلو من مسرة وان جميع أدوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر لانه عن ذلك ولا منتقد مالم يؤد السكر الى شر وعربدة وقد رام من وليها من الولاة المظهرين للدين قطع ذلك فلم يستطيعوا ازالته وأهله أخف الناس أرواحا وأطبعهم نوادر وأحلمهم لمزاح بأقبح ما يكون من السب قد مرنوا على ذلك فصار لهم ديدنا حتى صار عندهم من لا يتذل فيه ولا يتلاعن ممقوتا ثقيلا وقد سمعت عن شرف اشبيلية الذى ذكره أحد الوشاحين فى موشحة مدح بها المعتضد بن عباد اشبيلنا عروسا وبعلها عباد وتاجها الشرف ومسلكها الواد أى شرف قد حاز ما شاء من الشرف اذ عم أقطار الارض خيره وسفر ما يعصر من زيتونه من الزيت حتى بلغ الاسكندرية وتزيد قراه على غيرها من القرى بانتخاب مبانيها وتهم سكانها فيها داخلا وخارجا اذهى من تبييضهم لها نجوم فى سماء الزيتون وقيل لاحد من رأى مصر والشام أيهما رأيت أحسن هذا ام اشبيلية فقال بعد تفضيل اشبيلية وشرفها غابة بلا أسد ونهرها نيل بلا تمساح وقد سمعت عن جبال الرحمة بخارجها وكثرة ما فيها من التين القوطى والشعرى وهذان الصنفان أجمع المتجولون فى أقطار الارض أن ليس فى غير اشبيلية مثل لهما وقد سمعت ما فى هذا البلد من أصناف أدوات الطرب كالخيال والكربج والعود والوطة والرباب والقانون والمؤنس والكثيرة والقنار والزلامى والشقرة والنورة وهما من مارات الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه والبوق وان كان جميع هذا موجودا فى غيرها من بلاد الاندلس فانه فيها أكثر وأوجد وليس فى بر العدوة من هذا شئ الا ما جلب اليه من الاندلس وحسبهم الدف وأقوال والبرا وأبو قرون ودبدبة السودان وحماق البرابر وأما جواريها ومراكبها برا وبحرا ومطابخها وفواكهها الخضراء واليابسة فأصناف أخذت من التفضيل باوفر نصيب وأما مبانيها فقد سمعت عن اتقانها واهتمام اصحابها بها وكون أكثر ديارها لا تخلو من الماء الجارى والاشجار المتكاثفة كالنارنج والليم والليمون

والزبوع وغير ذلك وأما علماؤها في كل صنف رفيع أو وضيع جدا أو هزلا فأكثر من أن يعدوا وأشهر من أن يذكروا وأما ما فيها من الشعراء والوشاحين والزجالين فحالوقسموا على بر العدوة ضاق بهم والكل ينالون خير رؤساتها ورفدهم وما من جميع ما ذكرت في هذه البلدة الشريفة الا وقصدي به العبارة عن فضائل جميع الاندلس فما تخلو بلادها من ذلك ولكن جعلت اشبيلية بل الله جعلها أم قراها ومركز فخرها وعلاها اذ هي أكبر مدنها وأعظم أمصارها * وأما قرطبة فكرسي المملكة في القديم ومركز العلم ومنار التقى ومحل التعظيم والتقديم بها استقرت ملوك الفتح وعظماؤه ثم الملوك المروانية وبها كان يحيى بن يحيى راوية مالك وعبد الملك بن حبيب وقد سمعت من تعظيم أهلها للشريعة ومنافستهم في السؤدد بعلمها وملوكها كانوا يتواضعون لعلمائها ويرفعون أقدارهم ويصدرون عن آرائهم وانهم كانوا لا يقدمون وزيرا ولا مشاورا ما لم يكن عالما حتى ان الحكم المستنصر لما كزه له العلماء شرب الخمر هجم بقطع شجرة العنب من الاندلس فقيل له فانها تعصر في سواها فامسك عن ذلك وانهم كانوا لا يقدمون أحد للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره وتعقد له مجالس المذاكرة ويكون ذا مال في غالب الحال خوفا من أن يميل به الفقر الى الطمع فيما في أيدي الناس فيبيع به حقوق الدين ولقد أخبرت أن الحكم الربضي أراد تقديم شخص من الفقهاء يختص به للشهادة فأخذ في ذلك مع يحيى بن يحيى وعبد الملك وغيرهما من أعلام العلماء فقالوا له هو أهل ولكنه شديد الفقر ومن يكون في هذه الحالة لا نؤمنه على حقوق المسلمين لاسيما وأنت تريد انتفاعه وظهوره في الدخول في المواريث والوصايا وأشباه ذلك فسكت ولم يرد منازعتهم وبقي مهموما من كونهم لم يقبلوا قوله فنظر اليه ولده عبد الرحمن الذي ولي الملك بعده وعلى وجهه اثر ذلك فقال ما بالك يا مولاي فقال ألا ترى لهؤلاء الذين نقدمهم ونتوه عند الناس بمكانهم حتى اذا كلفناهم ما ليس عليهم فيه شطط بل لا يعبيهم ولا هو مما يرزؤهم صدونا عنه وغلقوا أبواب الشفاعة وذكر له ما كان منهم فقال يا مولاي أنت أولى الناس بالانصاف ان هؤلاء ما قدمتهم أنت ولا نوهت بهم وانما قدمهم ونوه بهم علمهم أو كنت تأخذ قوما جهالا فتضعهم في مواضعهم قال لا قال فأنصفهم فيما تعبوا فيه من العلم لينالوا به لذة الدنيا وراحة الآخرة قال صدقت ثم قال وأما كونهم لم يقبلوا هذا الرجل لشدة فقره فالعلة في ذلك تنحسم بما يبقى لك في الصالحات ذكرا قال وما هو قال تعطيه من مالك قدر ما يلحق به من الغنى ما يؤهله لتلك المنزلة ويزيل عنك بخل ردهم لك وتكون هذه مكرمة ما سبقك اليها أحد فتمال وجه الحكم وقال الى الله انها والله شنشنة عبشمية وان الذي قال فينا الصادق

وأبناء أملاك خضارم سادة * صغيرهم عند الانام كبير

ثم استدعى عبد الملك بن حبيب وساله عن قدر ما يؤهله لتلك المرتبة من الغنى فذكر له عددا فأمر له به في الحين ونبه قدره بأن أعطاه من اصطبله مركوبا وكانت هذه اكرومة لا خفاء بعظمها (يفنى الزمان وما بثته مخلد) ثم انه اذا كان له من الغنى ما يكفيه عن

أموال الناس ومن الدين مايصده عن محارم الله تعالى ومن العلم مالايجهل به التصرف في الشريعة أباحوا له الفتوى والشهادة وجعلوا علامة لذلك بين الناس القلانس والرداء وأهل قرطبة أشد الناس محافظة على العمل بأصح الاقوال المالكية حتى انهم كانوا لايولون حاكما الا بشرط أن لايعدل في الحكم عن مذهب ابن القاسم وقال ابن سارة لما دخل قرطبة الحمد لله قد وافيت قرطبة دار العلوم وكرسي السلاطين وهي كانت مجمع جيوش الاسلام ومنها نصر الله على عبدة الصليب يقال ان المنصور بن أبي عامر حين تم له ملك البرين وتوفرت الجيوش والاموال عرض بظاهر قرطبة خيله ورجله وقد جمع من أقطار البلاد ما يتهضر به الى قتال العدو وتدويخ بلاده فنيف الفرسان على مائتي ألف والرجالة على ستمائة ألف وبها حتى الآن من صناديد المسلمين وقوادهم ممن لايفتر عن محاربة ولايمل من مضاربة من أسماؤهم باقاصي بلاد النصارى مشهوره وآثارهم فيها مأثوره وقلوبهم على البعد بخوفهم معموره ويحكى أن العمارة في مباني قرطبة والزاهرة والزهراء اتصلت الى أن كان يمشي فيها بضوء السرج المتصلة عشرة أميال وأما جامعها الاعظم فقد سمعت أن ثريانه من نواقيس النصارى وأن الزيادة التي زادفي بنائه ابن أبي عامر من تراب نقله النصارى على رؤسهم مما هدم من كنائس بلادهم وقد سمعت أيضا عن قنطرتها العظمى وكثرة أرحى واديها يقال انها تنيف على خمسة آلاف حجر عن كنبانيتها وما فضل الله تعالى به تربها من بركة ما ينبت فيه من القمح وطيبه وفيها جبال الورد الذي بلغ الربع منه مرات الى ربع درهم وصار أصحابه يرون الفضل لمن قطف بيده ما يمضونه منه ونهرها ان صغر عندها عن عظمه عند اشبيلية فان لتقارب بريه هنالك وتقطع غدره وهر وجه معنى آخر وحلاوة أخرى وزيادة انس وكثرة أمان من الغرق وفي جوانبه من البساتين والمروج مازاده نضارة وبهجة * وأما جيان فانها البلاد الاندلس قلعة اذهى أكثرها زرعا وأصرمها أبطالا وأعظمها منعة وكم رامتها عساكر النصارى عند فترات الفتن فرأوها أبعد من العيوق وأعز منالا من بيض الانوق ولاخلت من علماء ولامن شعراء ويقال لها جيان الحرير لكثرة اعتنائها بادبتها وحاضرتها بدود الحرير ومما يعد في مفاخرها ما بياسة احدى بلاد أعمالها من الزعفران الذي يفر برا وبحرا وما في أبدة من الكروم التي كاد العنب لايباع فيها ولايشترى كثرة وما كان بأبدة من أصناف الملاهي والرواقص المشهورات بحسن الانطباع والصنعة فانهن أحذق خلق الله تعالى باللعب بالسيوف والدلك واخراج القرى والمرابط والمتوجه * وأما غرناطة فانها دمشق بلاد الاندلس ومسرح الابصار ومطمح الانفس لها القصبة المنيعة ذات الاسوار الشامخة والمباني الرفيعة وقد اختصت بكون النهر يتوزع على ديارها وأسواقها وحماماتها وأرجائها الداخلة والخارجة وبساتينها وزانها الله تعالى بان جعلها مرتبة على بسيطها الممتد الذي تفرغت فيه سبائك الانهار بين زبرجد الاشجار ونسيم نجدها وبهجة منظر حورها في القلوب والابصار استلطاف يروق الطباع ويحدث فيها ماشاء من الاحسان من الاختراع والابتداع ولم تخل من أشراف أماثل وعلماء أكابر وشعراء أفاضل ولولم

قوله القرى في نسخة القروى اه

قوله وارجائها في نسخة وأرحاها اه

قوله ولولم الخ جواب لو محذوف اي اذا نظهوره أي لكفاها اه

يكن لها الا ما خصها الله تعالى به من ذلك ونها قد نبغ فيها من الشواعر مثل تزعون القلاعية وزينب بنت زياد وقد تقدم شعرهما وحفصة بنت الحاج وناهيك في الظرف والادب وهل ترى أظرف منها في جوابها للمحسب الوزير الناظم الناثر أبي جعفر ابن القائد الاجل أبي مروان بن سعيد وذلك انهما باتا بحور مؤتمل على ما يبيت به الروض والنسيم من طيب النفحة ونضارة النعيم فلما حان الانفصال قال أبو جعفر

رعى الله ليلا لم يرح بمذمم * عشية واراتا بحور مؤتمل
وقد خفقت من نحو نجد أريحة * اذا نفحت هبت بريا القرنفل
وغرد قمري على الدوح وانثنى * قضيب من الريحان من فوق جدول
ترى الروض مسرورا بما قد بداله * عناق وضم وارتشاف مقبل

وكتبه اليها بعد الافتراق لتجاوبه على عادتها في ذلك فكتبت له ما لا يخفى فيه قيمتها

لعمرك ما مر الرياض بوصلنا * ولكنه أبدى لنا الغل والحسد
ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا * ولا صدح القمري الا بما وجد
فلا تحسن الظن الذي أنت أهله * فما هو في كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الافق أبدى نجومه * لامر سوى كيما تكون لنا رصد

وأما مالقة فانها قد جمعت بين منظر البحر والبر بالكروم المتصلة التي لا تكاد ترى فيها فرجة لموضع غامر والبروج التي شابهت نجوم السماء كثرة عدد وبهجة ضياء وتخلل الوادي الزائر لها في فصلي الشتاء والربيع في سمر ربطعاتها وتوشيحه نحور أرجائها ومما اختصت به من بين سائر البلاد التين الربي المنسوب اليها الان اسمها في القديم ربة ولقد أخبرت انه يباع في بغداد على جهة الاستظراف وأما ما يسفر منه المسلمون والنصارى في المراكب البحرية فاكثر من أن يعبر عنه بما يحصره ولقد اجتزت بها مرة وأخذت على طريق الساحل من سهيل الى أن بلغت الى بليش قدر ثلاثة أيام متعجبا فيما حوته هذه المسافة من شجر التين وان بعضها ليجتنى جميعها الطفل الصغير من لزوقها بالارض وقد حوت ما يتعب الجماعة كثرة وتين بليش هو الذي قيل فيه لبربري كيف رأيته قال لا تسألني عنه وصب في حلقي بالقفة وهو لعمر الله معذور لانه نعمة حرمت بلاده منها وقد خصت بطيب الشراب الحلال والحرام حتى سار المثل بالشراب المالقي وقيل لاحد الخلفاء وقد أشرف على الموت اسأل ربك المغفرة فرفع يديه وقال يارب أسألك من جميع ما في الجنة خمر مالقة وزبيب اشبيلية وفيها تنسج الحامل الموشية التي تجاوز أثمانها الالاف ذات الصور العجيبة المنتخبة برسم الخلفاء فمن دونهم وساحلها محط تجارة المراكب المسلمين والنصارى * وأما المرية فانها البلد المشهور الذكر العظيم القدر الذي خص أهله باعتدال المزاج ورونق الديباج ورقة البشرة وحسن الوجوه والاخلاق وكرم المعاشرة والصحبة وساحلها أنتف السواحل وأشرحها وأملحها منظرا وفيها الحصا الملون العجيب الذي يجعله رؤساء مراكش في البراريد والرخام الصقيل الملوكي ووادي بها المعروف بوادي بجانة من أفرج الاودية ضفتاه بالرياض كالعذارين حول الثغر فحق أن ينشد فيها

أرض وطئت الدر رضراضها * والترب مسكا والرياض جنانا

وفيها كان ابن ميمون القائد الذى قهر النصارى فى البحر وقطع سفرهم فيه وضرب على بلاد الرمانية فقتل وسبى وملأ صدور أهلها رعبا حتى كان منيه كما قال أبو عبيد

فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

وبها كان محط مراكب النصارى ومجتمع ديوانهم ومنها كانت تسفر لسائر البلاد بضائعهم ومنها كانوا يوسقون جميع البضائع التى تصلح لهم وقصد بضبط ذلك بها حصر ما يجتمع فى أعشارهم ولم يوجد لهذا الشان مثلها لكونها متوسطة ومتسعة قائمة بالوارد والصادر وهى أيضا مصنع للحلل الموشية النفيسة * وأما مرسية فانها حاضرة شرق الاندلس ولاهلها من الصرامة والاباء ما هو معروف مشهور ووادیها قسيم وادى اشبيلية كلاهما ينبع من شقورة وعليه من البساتين المتهدية الاغصان والنواعير المطربة الالحان والاطيار المغرده والازهار المتنضده ما قد سمعت وهى من أكثر البلاد فواكه وريحانا وأهلها أكثر الناس راحات وفرجا لكون خارجها معينا على ذلك بحسن منظره وهى بلدة تجهز منها العروس التى تنتخب شورتها لا تفتقر فى شئ من ذلك الى سواها وهى للمرية ومالقة فى صنعة الوشى ثالثة وقد اختصت بالبسط التنتلة التى تسفر لبلاد المشرق وبالحصر التى تغلف بها الحيطان المبهجة للبصر الى غير ذلك مما يطول ذكره ولم تخل من علماء وشعراء وأبطال * وأما بلنسية فانها الكثيرة بساتينها تعرف بحطيب الاندلس ورصافتها من أحسن متنزهات الارض وفيها البحيرة المشهورة الكثيرة الضوء والرونق ويقال انه لمواجهة الشمس لتلك البحيرة يكثر ضوء بلنسية اذ هى موصوفة بذلك ومما خصت به النسيج البلنسى الذى يسفر لاقطار المغرب ولم تخل من علماء ولا شعراء ولا فرسان يكابدون مضايقة الاعداء ويتجرعون فيها النعماء ممزوجة بالضراء وأهلها أصلح الناس مذهبا وأمتنهم دينا وأحسنهم صحبة وأرفقهم بالغريب * وأما جزيرة ميورقة فمن اخصب بلاد الله تعالى أرجاء وأكثرها زرعا ورزقا وماشية وهى على انقطاعها من البلاد مستغنية عنها يصل فاضل خيرها الى غيرها اذ فيها من الحضارة والتمكن والتمصر وعظم البادية ما يغنيها وفيها من الفوائد ما فيها ولها فضلاء وأبطال اقتصروا على حمايتها من الاعداء المحدقة بها

من كل من جعل الحسام خليله * لا يبتغى أبدا سواه معينا

هذا زان الله تعالى فضلك بالانصاف وشرف كرمك بالاعتراف ما حضرنى الآن فى فضل جزيرة الاندلس ولم أذكر من بلادها الا ما كل بلد منها مملكة مستقلة يليها ملوك بنى عبد المؤمن على انفرادها وغيرها فى حكم التبع * وأما علماؤها وشعراؤها فانى لم أعرض منهم الا لمن هو فى الشهرة كالصباح وفى مسير الذكر كسير الرياح وأنا أحكى لك حكاية جرت لى فى مجلس الرئيس الفقيه أبى بكر بن زهر وذلك انى كنت يوما بين يديه فدخل علينا رجل عجمى من فضلاء خراسان وكان ابن زهر يكرمه فقلت له ما تقول فى علماء الاندلس وكتابهم

وشعرائهم فقال كبرت فلم أفهم مقصده واستبردت ما أتى به وفهم مني أبو بكر بن زهر اني نظرته نظر المستبرد المنكر فقال لي أقرأت شعر المتنبي قلت نعم وحفظت جميعه قال فعلى نفسك اذن فلتنكر وخاطرك بقلة الفهم فلتتهم فذكرني بقول المتنبي

كبرت حول ديارهم لما بدت * منها الشموس وليس فيها المشرق

فاعتذرت للخراساني وقلت له قد والله كبرت في عيني بقدر ما صغرت نفسي عندي حين لم أفهم نبل مقصدك فالحمد لله الذي أطلع من المغرب هذه الشموس وجعلها بين جميع أهله بمنزلة الرؤس وصلى الله على سيدنا محمد نبيه المختار من صفوة العرب وعلى آله وصحبه صلاة متصلة الى غابر الحقب كملت رسالة الشقندي وهو أبو الوليد اسمعيل بن محمد وشقندة المنسوب اليها قرية مطلة على نهر قرطبة مجاورة لها من جهة الجنوب قال ابن سعيد وهو ممن كان بينه وبين والدي صحبة أكيده ومجالسات انس عديده ومزاورات تتصل ومحاورات لا تكاد تنفصل وانتفعت بمجالسته وله رسالة في تفضيل الاندلس يعارض بها أبا يحيى في تفضيل بر العدوة أورد فيها من المحاسن ما يشهد له بلطافة المنزع وعذوبة المشرع وكان جامعا للفنون من العلوم الحديثة والقديمة وعني بمجلس المنصور فكانت له فيه مشاهد غير ذميمة وولي قضاء بياسة وقضاء لورقة ولم يزل محفوظ الجانب محمود المذاهب سمعته ينشد والدي قصيدة في المنصور وقد نهض للقاء العدو منها

اذا نهضت فان السيف منتهض * ترمي السعود سماها والعدا غرض
لك البسيطة تطويها وتنشرها * فليس في كل ما تنويه معترض

قال وسمعته يقول له أنشدت الوزير أبا سعيد بن جامع قصيدة أولها

استوقف الركب قد لاحت لك الدار * واسال بربع تناءت عنه أقمار
لا خفف الله عني بعد بينهم * فاني سرت والاحباب ما ساروا

ومنها

الا رعى الله ظبيا في قبابهم * منه لهم في ظلام الليل أنوار

وله

علالني بذكر من هممت فيه * وعداني عنه بما أرتجيه
واذا ما طربت يما لارتياحي * فاجعلا خمرتي مدامة فيه
ليت شعري وكم أطيل الاماني * أي يوم في خلوة التقيه
واذا ما ظفرت يوما بشكوى * قال لي أين كل ما تدعيه
لا دموع ولا سقام فماذا * شاهد عنك بالذي تدعيه
قلت دعني أمت بدائي فاني * لو براني الغرام لا أبديه

وقال في عواده لما مرض

اني مرضت مرضة * اسقطت منها في يدي
فكان في الاخوان من * لم أره في العوّد
فقلت في كلهم * قول امرئ مقتصد

قوله بياسة في نسخة بلنسية اه

قوله تدعيه فيه مع ما قبله مما لا يخفى من عيوب القافية تأمل اه مصححه

أير الذى قد عادنى * فى است الذى لم يعد

مات باشبيلية سنة ٦٢٩ انتهى * وقال ابن سعيد أنشدنى والدى للحافظ أبى الطاهر السلفى قال وكفى به شاهدا وبقوله مفتخرا

بلاد اذربيجان فى الشرق عندنا * كاندلس بالغرب فى العلم والادب

فما ان تكاد الدهر تلفى مميزا * من اهليهما الا وقد جد فى الطلب

وحكى غير واحد كابن الابار ان عباس بن ناصح الشاعر لما توجه من قرطبة الى بغداد ولقى أبا نواس قال له أنشدنى لابى الاجرب قال فأنشدته ثم قال أنشدنى لبكر الكنانى فأنشدته وهذان شاعران من شعراء الاندلس واعلم انا ان تتبعنا كلام الاندلسيين وحكاياتهم الدالة على سبقهم طال بنا الكتاب ولم نستوف المراد فرأينا أن نذكر بعضا من ذلك بحسب ما اقتضاه الحال وأبداه ليكون عنوانا دالا على ما عداه (يكفى من الحلى ما قد حف بالعنق) ولنبدأ مما نسوقه من اخبار الاندلسيين وأشعارهم وحكاياتهم فى الجد والهزل والتولية والعزل بقول الفقيه الزاهد أبى عمران موسى بن عمران المارتلى وكان سكن اشبيلية

لا تبك ثوبك ان أبليت جدته * وابك الذى أبلت الايام من بدنك

ولا تكونن مختالا بجدته * فربما كان هذا الثوب من كفنك

ولا تعفه اذا أبصرته دنسا * فانما اكتسب الاوساخ من درنك

وقال أبو عمرو اليحصبى اللوشى

شرد النوم عن جفونك وانظر * حكمة توقظ النفوس النياما

فحرام على امرئ لم يشاهد * حكمة الله أن يذوق المناما

وقال أيضا

ليس للمرء اختيار فى الذى * يتمنى من حر الوسكون

انما الامر لرب واحد * ان يشأ قال له كن فيكون

قوله القرطبى فى نسخة الفرضى اه

وقال أبو وهب القرطبى

نام وقد أعدلك المهاد * وتوقن بالرحيل وليس زاد

وتصبح مثل ما تمشى مضيعا * كانك لست تدرى ما المراد

أتطمع أن تفوز غدا هنيأ * ولم يك منك فى الدنيا اجتهاد

اذا فرطت فى تقديم زرع * فكيف يكون من عدم حصاد

وقيل ان الابيات السابقة التى أولها أنانى حالتى الى آخره وجدت فى تركته بخطه فى شقف وبعضهم ينسبها لغيره واسم أبى وهب المذكور عبد الرحمن وذكره ابن بشكوال فى الصلة وأثنى عليه بالزهد والانقطاع وكان فى أول أمره قد حسب عامة الناس انه مختل العقل فجعلوا يؤذونه ويرمونه بالحجارة ويصيحون عليه يا مجنون يا أحمق فيقول

ياعاذلى أنت به جاهل * دعنى به لست بمغبون

أما ترانى أبدا والهما * فيه كمسحور ومفتون

أحسن ما أسمع فى حبه * وصفى بمقتل ومجنون

وقال الخطيب أبو محمد بن برطلة

يا ربعة أرجو نجاتى وانها * لاكرم مذخور لدى وأعظم
شهادة اخلاصى وحبى محمدا * وحسن ظنونى ثم انى مسلم

وقال ابن حبيش

قالوا اصبر عن الدنيا الدنية أو * كن عبدها واصطبر للذل واحتمل
لابد من أحد الصبرين قلت نعم * الصبر عنها بعون الله أوفق لى

وقال ابن الشيخ

اطلب لنفسك فوزها واصبر لها * نظر الشفيق وخف عليها واتق
من ليس يرحم نفسه ويصدها * عما سيهلكها فليس بمشفق

وقال أبو محمد القرطبى

لعمرك ما الدنيا وسرعة سيرها * لسكانها الا طريق مجاز
حقيقتها أن المقام بغيرها * ولكنهم قد اولعوا بمجاز

وقال الشميس

قوله الشميس فى نسخة السمير اه

فقه فى الدنيا وفى أهلها * معميات قد فككناها
من بشر نحن من طبعنا * نحب فيها المال والجاها
دعنى من الناس ومن قولهم * فانما الناس أخلاها
لم تقبل الدنيا على ناسك * الا وبا لرحب تلقاها
وانما يعرض عن وصلها * من صرفت عنه محياها

وقال أبو القاسم بن بقى

الا انما الدنيا كراح عتيقة * أراد مديروها بها جلب الانس
فلما أداروها أثارت حقودهم * فعاد الذى راموا من الانس بالعكس

وقال أبو محمد عبد الله بن العسال الطليطلى

انظر الدنيا فان أبصرتها * شيأ يدوم
فاغد منها فى أمان * ان يسا عدك النعيم
واذا أبصرتها منك * على كره تميم
فاسل عنها واطرحها * وارتحل حيث تقيم

وقال ابن هشام القرطبى

وأبى المدامة لا أريد بشربها * صلف الرقيع ولا انهماك اللاهى
لم يبق من عهد الشباب وطيبه * شئ كعهدى لم يحل الاهى
ان كنت أشربها لغير وفائها * فتركتها للناس لا لله

وقال أبو محمد بن السيد البطليوسى مما نسبه اليه فى المغرب

أخو العلم حى خالد بعد موته * وأوصاله تحت التراب رميم

وذو الجهل

وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى * يظن من الاحياء وهو عديم

وقال أبو الفضل بن شرف

لعمرك ما حصلت على خطير * من الدنيا ولا أدركت شيا
وها أنا خارج منها سليبا * أقلب نادما كفا بكفا
وأبكي ثم أعلم أن مبكا * ى لا يجدي فأمسح مقلتيا
ولم أجزع لهول الموت لكن * بكيت لقلة الباكي عليا
وان الدهر لم يعلم مكاني * ولا عرفت بنوه ما لديا
زمان سوف أنشر فيه نشرا * اذا أنا بالحمام طويت طيا
أسر بأنني سأعيش ميتا * به ويسوءني ان مت حيا

وقال الزاهد العارف بالله سيدي أبو العباس بن العريف نفعنا الله تعالى به

سلوا عن الشوق من أهوى فانهم * أدنى الى النفس من وهمي ومن نفسي
فمن رسولي الى قلبي ليسألهم * عن مشكل من سؤال الصب ملتبس
سلوا فؤادي فما يندى ولو وطئوا * صخر الجماد بماء منه منبجس
وفي الحشا نزلوا والوهم يخرجهم * فكيف قروا على أذكى من القبس
لانهم ضن الى حشري بجهم * لا بارك الله فيمن خانهم ونسي

قلت وقد زرت قبره المعظم بمراكش سنة عشر وألف وهو ممن يتبرك به في تلك الديار ويستسقى به الغيث وهو من أهل المرية وأحضره السلطان الى مراكش فمات بها وله كرامات شهيرة ومقامات كبيرة نفعنا الله تعالى به * واعلم ان أهل الاندلس كانوا في القديم على مذهب الاوزاعي وأهل الشام منذ اوائل الفتح في دولة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وهو ثالث الولاة بالاندلس من الامويين انتقلت الفتوى الى رأي مالك بن أنس وأهل المدينة فانتشر علم مالك ورأيه بقرطبة والاندلس جميعا بل والمغرب وذلك برأي الحكم واختياره واختلفوا في السبب المقتضي لذلك فذهب الجمهور الى أن سببه رحلة علماء الاندلس الى المدينة فلما رجعوا الى الاندلس وصفوا فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره فاعظموه كما قدمنا ذلك وقيل ان الامام مالكا سأل بعض الاندلسيين عن سيرة ملك الاندلس فوصف له سيرته فاعجبت مالكا لكون سيرة بني العباس في ذلك الوقت لم تكن بمرضية وكما لما صنع أبو جعفر المنصور بالعلوية بالمدينة من الحبس والاهانة وغيرهما ما هو مشهور في كتب التاريخ فقال الامام مالك رضي الله تعالى عنه لذلك المخبر نسأل الله تعالى أن يزين حرمنا بملككم أو كلاما هذا معناه فخيبت المسئلة الى ملك الاندلس مع ما علم من جلالة مالك ودينه فحمل الناس على مذهبه وترك مذهب الاوزاعي والله تعالى أعلم * وحكي أن القاضي الزاهد أبا اسحق ابراهيم بن عبد الله بن أبي يغمور لما ندبه أهل الامر لولاية القضاء بمدينة فاس استعفى فلم يقبل منه وخرج الى تلك الناحية وخرج الناس لوداعه فأنشد

عليكم سلام الله اني راحل * وعيناي من خوف التفرق تدمع

فان نحن عشنا فهو يجمع بيننا * وان نحن متنا فالقيامة تجمع

وأنشد أصحابه رحمه الله تعالى ولا أدرى هل هى له أو لغيره

كانعظم بالآمال قدركم * حتى انقضت فتساوى عندنا الناس

لم تفضلونا بشئ غير واحدة * هى الرجاء فسوى بيننا الياس

وأنشد أيضا

بلوتهم مذ كنت طفلا فلم أجد * كما اشتهى منهم صديقا وصاحبا

فصوبت رأيى فى فرارى منهم * وشمرت اذيالى وأمعنت هاربا

وأنشد لغيره فى الكتمان

أخفى الغرام فلا جوارحه * شعرت بذا ولا مفاصله

كالسيف يصحبه الحمام ولم * يعلم بما حملت حمائله

وأنشد

قد كنت أمرض فى الشبيبة دائما * والموت ليس يمر لى فى البال

والآن شبت وصحتى موجودة * وأرى كأن الموت فى أذيالى

ولما أنشده تاج الدين بن حموية السرخسى الوافد على المغرب من المشرق قول بعضهم

فلا تحقرن عدوا رماك * وان كان فى ساعديه قصر

فان السيوف تحز الرقاب * وتجتز عما تنال الابر

قال حسن جيد ولكن اسمع ما قال شاعرنا القسطلى وأنشد

أثرنى لكشف الخطب والخطب مشكل * وكانى لليث الغاب وهو هصور

فقد تخفض الاسماء وهى سواكن * ويعمل فى الفعل الصريح ضمير

وتنبو الرديئات والطول وافر * ويبعد وقع السهم وهو قصير

وكان الوزير الكريم أبو محمد عبد الرحمن بن مالك المعافرى أحد وزراء الاندلس كثير الصنائع جزل المواهب عظيم المكارم على سنن عظماء الملوك واخلاق السادة لم ير بعده مثله فى رجال الاندلس ذاكرا للفقه والحديث بارعا فى الآداب شاعرا مجيدا وكاتبا بليغا كثير الخدم والاهل ومن آثاره الحمام بجوفى الجامع الاعظم من غرناطة وزاد فى سقف الجامع من صحنه وعوض أرجل قسيه أعمدة الرخام وجلب الرؤس والموائد من قرطبة وفرش صحنه بكذان الصخر ووجهه أمير على بن يوسف بن تاشفين الى طرطوشة برسم بنائها فلما حلها سأل قاضيها فكتب له جملة من أهلها ممن ضعفت حاله وقل تصرفه من ذوى البيوتات فاستعملهم امناء ووسع أرزاقهم حتى كمل له ما أراد من عمله ومن عجز أن يستعمله وصله من ماله فصدر عنها وقد أنعش خلقا رضى الله تعالى عنه ورحمه ومن شعره فى مجلس أطرب به سماعه وبسطه احتشاد الانس فيه واجتماعه فقال

لا تلمنى بأن طربت لشجو * يبعث الانس فالكريم طروب

ليس شق الجيوب حقا علينا * انما الحق أن تشق القلوب

وخطف غلام من غلمانه نوارة ومد بها يده الى أبى نصر الفتح بن عبيد الله فقال أبو نصر

وبدر بدا والظرف مطلع حسنه * وفى كفه من رائق النور كوكب
يروح لتعذيب النفوس ويغتدى * ويطلع فى أفق الجمال ويغرب

فقال أبو محمد بن مالك

ويحسد منه الغصن أى تمهفهف * يجىء على مثل الكثيب ويذهب

وقد سبق هذا وكتب الى الفتح من غير ترو يا سيدى جرت الايام بفراقك وكان الله جارك فى انطلاقك فغيرك لا تروع بالظعن وأوقد للوداع جاحم الشجن فانك من أبناء هذا الزمن خليفة الخضر لا يستقر على وطن كأنك والله يختار لك ما تأتيه وما تدعه موكل بفضاء الارض تذرعه فحسب من نوى بعشرتك الاستمتاع أن يعد لك من العوارى السريعة الارتجاع فلا يأسف على قلة النوى وينشد وفارقت حتى لا أبالى من أهوى
وما ت رحمه الله تعالى بغرناطة سنة ٥١٨ وحضر جنازته الخاصة والعامة وهو من محاسن الاندلس رحمه الله تعالى * ومن نوادر الاتفاق أن جارية مشت بين يدى المعتمد وعليها قميص لا تكاد تفرق بينه وبين جسمها وذوائبها تخفى آثار مشيها فكب عليها ماء ورد كان بين يديه وقال

علقت جائلة الوشاح غريرة * تختال بين أسنة وبواتر

وقال لبعض الخدم سر الى أبى الوليد البطليوسى المشهور بالنحلى وخذه باجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ منه فأجاب النحلى لاول وقوع الرقعة بين يديه

راقت محاسنها ورق أديمها * فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
وتمايلت كالغصن فى دعص النقا * والتف فى ورق الشباب الناضر
يندى بماء الورد مسبل شعرها * كالطل يسقط من جناح الطائر
تزهى برونقها وعزجمالها * زهو المؤيد بالثناء العاطر
ملك تضاءلت الملوك لقدره * وعنا له صرف الزمان الجائر
واذا لحت جبينه ويمينه * أبصرت بدرا فوق بحر زاخر

فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له أحسنت أو معنا كنت فقال له يا قاتل المحل أما تلوت وأوحى ربك الى النحل * وأصبح المعتمد يوما متململا فدخل الحمام وأمر أن يدخل النحلى معه فجاء وقعد فى مسلخ الحمام حتى يستأذن عليه فجعل المعتمد يحبق فى الحمام وهو خال وقد بقيت فى رأسه بقية من السكر وجعل كلما سمع دوى ذلك الصوت يقول الجوز اللوز القسطل ومر على هذا ساعة الى أن تذكر النحلى فصادفه فلما دخل قال له من أى وقت أنت هنا قال من أول مارتب مولانا الفواكه فى النصبة فغشى عليه من الضحك وأمر له باحسان والنصبة مائدة يصبون فيها هذه الاصناف * ولما استحسن المعتمد قول المتنبى اذا ظفرت منك العيون بنظرة الى آخره قال ابن وهبون بديهة وقالوا أجاد ابن الحسين الخ وقد تقدم ذكرهما فأمر له بمائتى دينار * ولما قال ابن وهبون المذكور

غاض الوفاء فما تلقاه فى رجل * ولا يمر لمخلوق على بال

قوله سنة ٥١٨ فى نسخة سنة ٥٢٨ اه

قد صار عندهم عنقاء مغربة * أو مثل ما حدثوا عن ألف مثقال

فقال له المعتمد عنقاء مغربة وألف مثقال يا عبد الجليل عندك سواء فقال نعم قال قد أمرنا لك بألف دينار وبألف دينار أخرى تنفقها * وذكر القرطبي صاحب التذكرة في كتابه قمع الحرص بالزهد والقناعة ما صورته روينا أن الامام أبا عمر بن عبد البر رضي الله تعالى عنه بلغه وهو بشاطبة أن أقواما عابوه بأكل طعام السلطان وقبول جوائزه فقال

قل لمن ينكر أكلي * لطعام الامراء
أنت من جهلك هذا * في محل السفهاء

لان الاقتداء بالصالحين من الصحابة والتابعين وأئمة الفتوى من المسلمين من السلف الماضين * وملاك الدين فقد كان زيد بن ثابت وكان من الراسخين في العلم يقبل جوائز معاوية وابنه يزيد وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مع ورعه وفضله يقبل هدايا صهره المختار بن أبي عبيد ويأكل طعامه ويقبل جوائزه وقال عبد الله بن مسعود وكان قد ملئ علما لرجل سأله فقال ان لي جارا يعمل بالربا ولا يجتنب في مكسبه الحرام يدعوني الى طعامه أفاجيبه قال نعم لك المهنأ وعليه المأثم مالم تعلم الشئ بعينه حراما وقال عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه حين سئل عن جوائز السلاطين لحم ظبي ذكي وكان الشعبي وهو من كبار التابعين وعلمائهم يؤدب بني عبد الملك بن مروان ويقبل جوائزه ويأكل طعامه وكان ابراهيم النخعي وسائر علماء الكوفة والحسن البصري مع زهده وورعه وسائر علماء البصرة أبو سلمة بن عبد الرحمن وابان بن عثمان والفقهاء السبعة بالمدينة حاشى سعيد بن المسيب يقبلون جوائز السلطان وكان ابن شهاب يقبلها ويتقلب في جوائزهم وكانت أكثر كسبه وكذلك أبو الزناد وكان مالك وأبو يوسف والشافعي وغيرهم من فقهاء الحجاز والعراق يقبلون جوائز السلاطين والامراء وكان سفيان الثوري مع ورعه وفضله يقول جوائز السلطان أحب الي من صلة الاخوان لان الاخوان يمنون والسلطان لا يمن ومثل هذا عن العلماء والفضلاء كثير وقد جمع الناس فيه أبوابا ولاحمد بن خالد فقيه الاندلس وعالمها في ذلك كتاب حمله على وضعه وجمعه طعن أهل بلده عليه في قبوله جوائز عبد الرحمن الناصر اذ نقله الى المدينة بقرطبة وأسكنه دارا من دور الجامع قربه وأجرى عليه الرزق من الطعام والادام والناض وله ولمثله في بيت المال حظ والمسؤل عن التخليط فيه هو السلطان كما قال عبد الله بن مسعود لك المهنأ وعليه المأثم مالم تعلم الشئ بعينه حراما ومعنى قول ابن مسعود هذا قد أجمع العلماء عليه في علم الشئ بعينه حراما مأخوذا من غير حله كالجزية وغيرها وشبهها من الطعام أو الدابة وما كان مثل ذلك كله من الاشياء المتعينة غصبا أو سرقة أو مأخوذة بظلم بين لا شبهة فيه فهذا الذي لم يختلف أحد في تحريمه وسقوط عدالة آكله واخذه وتملكه وما أعلم من علماء التابعين أحدا تورع عن جوائز السلطان الا سعيد ابن المسيب بالمدينة ومحمد بن سيرين بالبصرة وهما قد ذهبا مذهبا مثلا في التورع وسلك سبيلهما في ذلك أحمد بن حنبل وأهل الزهد والورع والتقشف رحمة الله تعالى عليهم أجمعين والزهد في الدنيا من أفضل الفضائل ولا يحل لمن وفقه الله تعالى وزهد فيها أن يحرم ما أباح

الله

الله تعالى منها والعجب من أهل زماننا يعيبون الشبهات وهم يستحلون المحرمات ومثالهم عندى كالذين سألوا عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما عن المحرم يقتل القراد والحلمة فقال للسائلين له من أنتم نقالوا من أهل الكوفة فقال تسألونى عن هذا وأنتم قتلتم الحسين ابن على رضى الله تعالى عنهما وروى ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما أتاك من غير مسئلة فكله وتموله وروى هذا الحديث أيضا عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما ما أتاك من غير مسئلة فكله وتموله وروى أبو سعيد الخدرى وجابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم معناه وفى حديث أحدهما انما هو رزق رزقكه الله تعالى وفى لفظ بعض الرواة ولا ترد على الله رزقه وهذا كله مبنى على ما أجمعوا عليه وهو الحق فمن عرف الشئ المحرم بعينه فانه لا يحل له المسئلة من كلام ابن عبد البر انتهى * وحضر ابن مجبر مع عدو له جاحد لمعروفه وأمامهما زجاجة سوداء فيها خمر فقال له الحسود ان كنت شاعرا فقل فى هذه فقال ارتجالا سأشكو الى الندمان الى آخر الحكاية وقد تقدمت فى رسالة الشقندى رحمه الله تعالى وابن مجبر هو أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الفهرى كان فى وقته شاعر المغرب ويشهد له بقوة عارضته وسلامة طبعه قصائده التى صارت مثالا وبعدت على قربها مثالا وشعره كثير يشتمل على أكثر من تسعة آلاف وأربعمائة بيت واتصل بالامير أبى عبد الله بن سعد بن مردنيش وله فيه أمداح وأنشد يوسف بن عبد المؤمن بهنيه بفتح

ان خير الفتوح ما جاء عفوا * مثل ما يخطب الخطيب ارتجالا

وكان أبو العباس الجراوى حاضرا فقطع عليه لمسادة وجدها وقال ياسيدنا اهتدم بيت وضاح خير شراب ما كان عفوا كانه خطبة ارتجالا فبدر المنصور وهو حينئذ ٢ وزير أبيه وسنه قريب العشرين وقال ان كان اهتدمه فقد استحقه لنقله اياه من معنى خسيس الى معنى شريف فسر أبوه بجوابه وعجب الحاضرون * ومر المنصور أيام امرته بأوقية من أرض شلب فوقف على قبر الحافظ أبى محمد بن حزم وقال عجبا لهذا الموضع يخرج منه مثل هذا العالم ثم قال كل العلماء عيال على ابن حزم ثم رفع رأسه وقال كما أن الشعراء عيال عليك يا أبا بكر يخاطب ابن مجبر * ومن شعر ابن مجبر يصف خيل المنصور من قصيدة فى مدحه

له حلبة الخيل العتاق كانها * نشاوى تهادت تطلب العزف والقصفا
عرائس أغنتها الخجول عن الحلى * فلم تبغ خلخالا ولا التمست وقفا
فمن يقق كالطرس تحسب انه * وان جردوه فى ملاءته التفا
وأبلق أعطى الليل نصف اهابه * وغار عليه الصبح فاحتبس النصفا
وورد تغشى جلده شفق الدجى * فاذ حازه دلى له الذيل والعرفا
وأشقر مج الراح صرفا أديمه * وأصفر لم يمسح بها جلده صرفا
وأشهب فضى الاديم مدنر * عليه خطوط غير مفهمة حرفا
كما خطخط الراهى بمهرق كاتب * فجر عليه ذيله وهو ماجفا

يهب على الاعداء منها عواصف * ستنسف أرض المشركين بها نسفا
ترى كل طرف كالغزال فتمترى * أظبيا ترى تحت البجاجة أم طرفا
وقد كان فى البيداء يالف سربه * فريته مهرا وهى تحسبه خشفا
تناوله لفظ الجواد لانه * على ما أردت الجرى أعطاكه ضعفا

ولما اتخذ المنصور مقصورة الجامع بمراكش بدار ملكها وكانت مدبرة على انتصابها اذا استقر المنصور ووزراؤه بمصلاه واختفائها اذا انفصلوا عنها أنشد فى ذلك الشعراء فقال ابن مجبر من قصيدة أولها

أعلمتنى ألقى عصا التسيار * فى بلدة ليست بدار قرار

الى أن قال

طورا تكون بمن حوته محيطة * فكانها سور من الاسوار
وتكون حينا عنهم مخبوءة * فكانها سر من الاسرار
وكانها علمت مقادير الورى * فتصرفت لهم على مقدار
فاذا أحست بالامام يزورها * فى قومه قامت الى الزوار
يبدو وتبدو ثم تخفى بعده * كتكون الهالات للاقمار

وممن روى عنه أبو على الشلوبين وطبقته وتوفى بمراكش سنة ٥٨٨ وعمره ٥٣ سنة رحمه الله تعالى * وقد حكى الشريف الغرناطى شارح المقصورة هذه الحكاية بأتم مما ذكرناه فقال عن الكاتب ابن عياش كاتب المنصور والموحدى قال كانت لابى بكر بن مجبر وفادة على المنصور فى كل سنة فصادف فى احدى وفاداته فراغه من احداث المقصورة التى كان أحدثها بجامعه المتصل بقصره فى حضرة مراكش وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع بها الحر وجه وتخفض لدخوله وكان جميع من ببابه المنصور يومئذ من الشعراء والادباء قد نظموا أشعارا أنشدوه اياها فى ذلك فلم يزيدوا على شكره وتجزيته الخير فيما جدد من معالم الدين وآثاره ولم يكن فيهم من تصدى لوصف الحال حتى قام أبو بكر بن مجبر فأنشد قصيدته التى أولها أعلمتنى ألقى عصا التسيار واستمر فيها حتى ألم بذكر المقصورة فقال يصفها طورا تكون الخ فطرب المنصور لسماعها وارتاح لاختراعها انتهى وقد بطلت حركات هذه المقصورة الآن وبقيت آثارها حسبما شاهدته سنة عشر وألف والله تعالى وارث الارض ومن عليها * ومن نظم ابن مجبر أيضا ما كتب به الى السلطان ملك المغرب رحمه الله تعالى وقد ولد له ولد أعنى لابن مجبر

ولد العبد الذى انعامكم * طينة أنشئ منها جسده
وهو دون اسم لعلى أنه * لا يسمى العبد الا سيده

وقوله

ملك ترويك منه شيمة * أنست الظمآن رزق النطف
جمعت من كل مجد ضحكت * لفظة قد جمعت من أحرف
يعجب السامع من وصفى لها * ووراء العجز مالم أصف

لو أعار السهم ما فى رأيه * من سداد وهدى لم يصف
حلمه الراجح ميزان الهدى * يزن الاشياء وزن المنصف

وقال ابن خفاجة

صح الهوى منك ولكننى * أعجب من بين لنا يقدر
كانا فى فلك دائر * فأنت تخفى وأنا أظهر

وهما الغاية فى معناهما كما قاله ابن ظافر رحمه الله تعالى * وقال الاعمى التطيلى

اذا اشتفت منى الايام فى وطنى * حتى تضايق فيما عزمن وطرى
فلا قضت من سواد العين حاجتها * حتى تكرّ على ماظل فى الشعر

وقال القاضى أبو حفص بن عمر القرطبى

هم نظروا لواحظها فهاموا * وتشرب اب شاربها المدام
يخاف الناس مقلتها سواها * أيذعر قلب حامله الحسام
سما طرفى اليها وهو بالك * وتحت الشمس ينكب الغمام
واذكر قدها فأنوح وجدا * على الاغصان تنتدب الحمام
فأعقب بينها فى الصدر نجما * اذا غربت ذكاء أتى الظلام

وقال الحاجب عبد الكريم بن مغيث

طارت بنا الخيل ومن فوقها * شهب بزاة لحمام الحمام
كانما الايدى قسىّ لها * والطير أهداف وهن السهام

قوله أحمد فى نسخة محمد اه

وقال أخوه أحمد

اشرب على البستان من كف من * يسقيك من فيه وأحداقه
وانظر الى الايكة فى برده * ولاحظ البدر باطواقه
وقد بدا السرو على نهره * كخائض شمر عن ساقه

وقال أبو العباس أحمد بن أبى عبد الله بن أمية البلنسى

اذا كان ودى وهو أنفس قربة * يجازى ببغض فالقطيعة أحزم
ومن أضيع الاشياء ودّ صرفته * الى غير من تحظى لديه وتكرم

ومن حكايات أهل الاندلس فى خلع العذار والطرب والظرف وغير ذلك كسرعة الارتجال ماحكاه صاحب بدائع البدائه قال أخبرنى من أثق به بما هذا معناه قال خرج الوزير أبو بكر بن عمار والوزير أبو الوليد بن زيدون ومعهما الوزير ابن خلدون من اشبيلية الى منظرة لبنى عباد بموضع يقال له القنت تحف بها مروج مشرقة الانوار متنسمة الانجاد والاغوار متبسمة عن ثغور النوار فى زمان ربيع سقت الارض السحب فيه بوسميها وولها وجلتها فى زاهر ملبسها وباهر حلسها وأرداف الرابا قد تأزرت بالازر الخضر من نباتها وأجياد الجداول قد نظم النوار قلائده حول لباتها ومجامر الزهر تعطر أردية النسائم عند هباتها وهنالك من البهار مايزرى على مداهن النضار ومن النرجس الريان مايهزأ بنواعس الاجفان وقد نوو الانفراد للهو والطرب والتنزه فى روضى النبات

والادب و يعنوا صاحبالهم يسمى خليفة هو قوام لذتهم ونظام مسرتهم ليأتيهم بنبيذ يذهبون الهم بذهبه فى لجين زجاجه ويرمونه منه بما يقضى بتحريكه للهرب عن القلوب وازعاجه وجلسوا الانتظاره وترقب عوده على آثاره فلما بصروا به مقبلا من أول الفج بادروا الى لقائه وسارعوا الى نحوه وتلقائه واتفق أن فارسا من الجند ركض فرسه فصدمه ووطئ عليه فهشم أعظمه وأجرى دمه وكسر قعال النبيذ الذى كان معه وفرق من شملهم ما كان الدهر قد جمعه ومضى على غلوائه راكضا حتى خفى عن العين خائفا من متعلق به يحين بتعلته الحين وحين وصل الوزراء اليه تأسفوا عليه وأفاضوا فى ذكر الزمان وعدوائه والخطب والوائه ردخوله بطوام المضرات على تمام المسرات وتكديره الاوقات المنعمات بالآفات المؤلمات فقال ابن زيدون

أنلهو والحتوف بنا مطيفه • ونأمن والمنون لنا مخيفه

فقال ابن خلدون

وفى يوم وما أدراك يوم • مضى قعالنا ومضى خليفه

فقال ابن عمار

هما الخمار تا راح وروح • تكسرتا فاشقاف وجيفه

وذكر ابن بسام ما معناه أن أبا عامر بن شهيد حضر ليلة عند الحاجب أبى عامر بن المظفر بن المنصور بن أبى عامر بقرطبة فقامت تسقيهم وصيفة عجيبة صغيرة الخلق ولم تزل تسهر فى خدمتهم الى أن هم جند الليل بالانهزام وأخذ فى تقويض خيام الظلام وكانت تسمى أسيماء فعجب الحاضرون من مكابدتها السهر طول ليلتها على صغر سنها فسألته المظفر وصفها فصنع ارتجالا

أفدى أسيماء من نديم • ملازم للكؤس راتب
قد عجبوا فى السهاد منها • وهى لعمرى من العجائب
قالوا تجافى الرقاد عنها • فقلت لا ترقد الكواكب

وحكى ابن بسام ما معناه أن ابن شهيد المذكور كان يوما مع جماعة من الادباء عند القاضى ابن ذكوان فجئ بياكورة باقلا فقال ابن ذكوان لا ينفرد بها الا من وصفها فقال ابن شهيد أنا لها وارتجل

ان لا ليلك أحدثت صلفا • فاتخذت من زمرد صدفا
يسكن ضراتها النحور وذى • تسكن للحسن روضة أنفا
هامت بلحف الجبال فاتخذت • من سندس فى جنانها لحفا
شبهتها بالثغور من لطف • حسبك هذا من رمز من لطفا
جاز ابن ذكوان فى مكارمه • حدود كعب وما به وصفا
قدم درّ الرياض منتخبا • منه لافراس مدحه علفا
أكل ظريف وطم ذى أدب • والذول يهواه كل من ظرفا
رخص فيه شيخ له قدر • فكان حبى من المنى وكفا

قوله قعال الخ الذى فى القاموس ان القعال بالكسر سيد القوم ورئيس الرعاء فلا يناسب ماهنا وانما المناسب قعول أو فعل كقنفذ فانه فسره بالقدح الضخم اه مصححه

وقال ابن بسام ان جماعة من اصحاب ابن شهيد المذكور قالوا له يا أبا عامر انك لآت بالعجائب وجاذب بذوائب الغرائب ولكنك شديد الاعجاب بما يأتي منك هاز لعطفك عند النادر يتاح لك ونحن نريد منك أن تصف لنا مجلسنا هذا وكان الذي طلبوه منه زبدة التعنيت لان المعنى اذا كان جلفا ثقيلا على النفس قبيح الصورة عند الحس كانت الفكرة عنه وان كانت ماضية وأساءت القريحة في وصفه وان كانت محسنة وكان في المجلس باب مخلوع معترض على الارض وبيد أحدهم مبسوط قد صففت خفافهم عند حاشيته فقال مسرعا

وفتية كالنجوم حسنا • كلهم شاعر نبيل
متقد الجانبين ماض • كانه الصارم الصقيل
راموا النصرافي عن المعالي • والحد من دونها فليل
فالشد في امرها فسيح • كل كثير له قليل
في مجلس زانه التصابي • وطاردت وصفه العقول
كانما بابه أسير • قد عرضت دونه نصول
يراد منه المقال قسرا • وهو على ذاك لا يقول
ينظر من لبده لدينا • بجرد تحتنا يسيل
كان أخفافنا عليه • مراكب مالها دليل
ضلت فلم تدر أين تجري • فهل على شطه تقيل

فعجب القوم من أمره ثم خرج من عندهم فمر على بعض معارفه من الطرائفيين وبين يديه زنبيل ملآن خرشفا فجعل يده في بلحام بغلته وقال له لا أتركك أو تصف الخرشف فقد وصفه صاعد فلم يقل شيأ فقال له ابن شهيد ويحك أعلى مثل هذا الحال قال نعم فارتجل

هل أبصرت عيناك يا خليلي • قنافذ اتباع في زنبيل
من خرشف معتمد جليل • ذي أبر تنفذ جلد الفيل
كانها أنياب بنت الغول • لو نخست في است امرئ ثقيل
لقفزنه نحو أرض النيل • ليس يرى طي حشا منديل
نقل السخيف المائن الجهول • وأكل قوم نازحي العقول
أقسمت لا أطعمها أكيلي • ولا طعمتها على شمول انتهى

قوله لقفزنه في سيخة لقذفته اه

وقال في بدائع البدائه دخل الوزير أبو العلاء زهر ابن الوزير أبي مروان عبد الملك بن زهر على الامير عبد الملك بن رزين في مجلس أنس وبين يديه ساق يسقي خمرين من كاسه ولحظه ويسدي درتين من حبابه ولفظه وقد بدا خط عذاره في صحيفة خده وكمل حسنه باجتماع الضد منه مع ضده فكانه بسحر لحظه أبدى ليلا في شمس وجعل يومه في الحسن أحسن من أمس فسأله ابن رزين أن يصنع فيه فقال بديها

تضاعف وجدي أن تبدى عذاره • ونم فان القلب مني اصطباره
وقد كان ظني أن سيعقب ليله • بدائع حسن هام فيها نهاره

فأظهر رضة ضده فيه اذ وشت • بعنبره فى صفحة الخد ناره

واستزاده فقال

محيت آية النهار فأضحى • بدرتم وكان شمس نهار
كان يعشى العيون نورا الى أن • شغل الله خده بالعذار

وصنع أيضا

عذار الم فابدى لنا • بدائع كنا لها فى عما
ولولم يجن النهار الظلا • م لم يستبن كوكب فى السما

وصنع أيضا

تمت محاسن وجهه وتكاملت • لما استدار به عذار مونق
وكذلك البدر المنير جماله • فى أن يكنفه سماء أزرق انتهى

وحكى الحميدى وغيره أن عبد الله بن عاصم صاحب الشرطة بقرطبة كان أديبا شاعرا سريع البديهة كثير النوادر وهو من جلساء الامير محمد بن عبد الرحمن الاموى ملك الاندلس وحكوا انه دخل عليه فى يوم ذى غيم وبين يديه غلام حسن المحاسن جميل الزى كريم الاخلاق فقال الامير يا ابن عاصم ما يصلح فى يومنا هذا فقال عقار يتقد الدنان ويؤنس الغزلان وحديث كقطع الروض قد سقطت فيه مؤنة التحفظ وأرخى له عنان التبسط يديرها هذا الاغيد المليح فاستضحك الامير ثم أمر بمراتب الغناء وآلات الصهباء فلما دارت الكاس واستمطر الامير نوادره أشار الى الغلام أن يلح فى سقيه ويؤكد عليه فلما أكثر رفع رأسه اليه وقال على البديهة

ياحسن الوجه لا تكن صلفا • ما لحسان الوجوه والصلف
تحسن أن تحسن القبيح ولا • ترثى لصب متيم دنف

فاستبدع الامير بديهته وأمر له بصرة ويقال انه خيره بينها وبين الوصيف فاختارها نفيا للظنة عنه انتهى • قلت أذكرتنى هذه الحكاية ما حكاه على بن ظافر عن نفسه اذ قال كنت عند المولى الملك الاشرف بن العادل بن أيوب سنة ٦٠٣ بالرها وقد وردت اليه فى رسالة فجعلنى بين سمعه وبصره وأنزلنى فى بعض دوره بالقلعة بحيث يقرب عليه حضورى فى وقت طلبتى أو ارادة الحديث معى فلم أشعر فى بعض الليالى وأنا نائم فى فراشى الا به وهو قائم على رأسى والسكر قد غلب عليه والشمع تزهر حواليه وقد حف عماليكه به وكانهم الاقمار الزواهر فى ملابس كالرياض ذات الازاهر فقمت مروعا فأمسكنى وبادر بالجلوس الى جانبى بحيث منعنى عن القيام عن الوساد وأبدى من الجميل ما أبدلنى بالنفاق بعد الكساد ثم قال غلبنى الشوق اليك ولم أرد ازعاجك والتثقيل عليك ثم استدعى من كان فى مجلسه من خواص القوالين فحضروا وأخذوا من الغناء فيما يملأ المسامع التذاذا ويجعل القلوب من الوجد جذاذا وكان له فى ذلك الوقت مملوكان هما نيرا سماء ملكه وواسطتا درر سلكه وقطبا فلك طربه ووجده وركنا بيت سروره ولهوه وكانا يتناوبان فى خدمته فحضر أحدهما فى تلك الليلة وغاب الآخر وكان

كثيرا مايداعبني في أمرهما ويستجلب مني القول فيهما والكلام في التفضيل بينهما فقلت للوقت

يامالكا لم يحك سيرته * ماض ولا آت من البشر
اجمع لنا تفديك أنفسنا * في الليل بين الشمس والقمر

فطرب وأمر في الحال باحضار الغائب منهما فحضر والنوم قد زاد أجفانه تفتيرا ومعاطفه تكسيرا فقلت بين يديه بديهة في وصف المجلس

سقى الرحمن عصرا قد مضى لي * بأكناف الرها صوب الغمام
وليلا باتت الانوار فيه * تعاون في مدافعة الظلام
فنور من شموع أو ندامى * ونور من سقاة أو مدام
يطوف بأنجم الكاسات فيه * سقاة مثل أقمار التمام
تريك به الكؤس جود ماء * فتحسب راحها ذوب الضرام
يميل به غصونا من قدود * غناء مثل أصوات الحمام
فكم من موصلي فيه يشدو * فينسى النفس عادية الحمام
وكم من زلزل للضرب فيه * وكم للزمر فيه من زنام
لدى موسى بن أيوب المرجى * اذا ماضن غيث بانسجام
ومن كمظفر الدين المليك الاجل الاشرف الندب الهمام
فما شمس تقاس الى نجوم * تحاكي قدره بين الكرام
فدام مخلدا في الملك يبقى * اذا ماضن دهر بالدوام

فلما أنشدتها قام فوضع فرجية من خاص ملابسه كانت عليه على كتفي ووضع شربوشه بيده على رأس مملوك صغير كان لي انتهى * ولابن ظافر هذا بدائع منها ما حكاه عن نفسه اذ قال ومن أعجب مادهيت به ورميت الا أن الله بفضله نصر وأعطى الظفر وأعان خاطري الكليل حتى مضى مضاء السيف الصقيل أني كنت في خدمة مولانا السلطان الملك العادل بالاسكندرية سنة احدى وستمائة مع من ضمته حاشية العسكر المنصور من الكتاب والحواشي والخدام ودخلت سنة اثنتين وستمائة ونحن بالثغر مقيمون في الخدمة مرتضعون لافاويق النعمة فحضرت في جملة من حضر الهناء من الفقهاء بالثغر والعلماء والمشايخ والكبراء وجماعة الديوان والامراء واتفق أن كان اليوم من أيام الجلوس لامضاء الاحكام والعرض لطوائف الاجناد فلم يبق أحد من أهل البلد ولا من أهل المعسكر الا حضر مهنيا ومثل شاكرا وداعيا فحين غص المجلس بأهله وشرق بجمع السلطان وحفله وخرج مولانا السلطان الى مجلسه واستقر في دسته أخرج من بركة قبائه كتابا ناوله للصاحب الاجل صفي الدين أبي محمد عبد الله بن علي وزير دولته وكبير جلته وهو مفضوض الختام مفكوك الفدام ففتحه فاذا فيه قطعة وردت من المولى الملك المعظم كتبها اليه يتشوقه ويستعطفه لزيارته ويرققه ويستحثه على عود ركابه الى بلاد الشام للمشاغرة بها وقمع عدوها ويعرض بذكر مصر وشدة حرها ووقد جرها

وذلك بعد أن كان وصل الى خدمته بالثغر ثم رجع اليها والابيات

اروى رماحك من نحور عداكا * وانهب بخيلك من أطاع سواكا
واركب خيولا كالنعالى شزبا * واضرب بسيفك من يشق عصاكا
واجلب من الابطال كل سميدع * يفرى بعزمك كل من يشناكا
واسترعف السمر الطوال وروّها * واسق المنية سيفك السفاكا
وسر الغداة الى العداة مبادرا * بالضرب فى هام العدو دراكا
وانكح رماحك للثغور فانها * مشتاقة أن تبتنى بعلاكا
فالعز فى نصب الخيام على العدا * تردى الطغاة وتدفع الملاكا
والنصر مقرون بهمتك التى * قد أصبحت فوق السماك سماكا
فاذا عزمت وجدت من هو طائع * واذا نهضت وجدت من يخشاكا
والنصر فى الاعداء يوم كريهة * أحلى من الكاس الذى رواكا
والعجز أن تضحى بمصر راهنا * وتحل فى تلك العراص عراكا
فأرح حشاشتك الكريمة من لظى * مصر لكى تحظى الغداة بذاكا
فلقد غدا قلبى عليك بحرقة * شغفا ولاحر البلاد هناكا
وانهض الى راجى لقاك مسارعا * فمناه من كل الامور لقاكا
وابرد فؤاد المستهام بنظرة * وأعد عليه العيش من رؤياكا
واشف الغداة عليل صب هائم * أضحى مناه من الحياة مناكا
فسعادتى بالعادل الملك الذى * ملك المملوك وقارن الاقلاكا
فبقيت لى يا مالكى فى غبطة * وجعلت من كل الامور فداكا

فلما تلا الصاحب على الحاضرين محكم آياتها وجلى منها العروس التى حازت من المحاسن أبعد غاياتها أخذ الناس فى الاستحسان لغريب نظامها وتناسق التئامها والثناء على الخاطر الذى نظم بديع أبياتها وأطلع من مشرق فكره آياتها فقال السلطان نريد من يجيبه عنا بأبيات على قافيتها فالتفت مسرعا الىّ وأنا عن يمينه وقال يا مولانا ما ملوكك فلان هو فارس هذا الميدان والمعتاد للتخلص فى مضايق هذا الشان ثم قطع وصلا من درج كان بين يديه وألقاه الىّ وعمد الى دواته فادارها بين يدىّ فقال له السلطان أهكذا على مثل هذا الحال وفى مثل هذا الوقت فقال نعم أنا جربته فوجدته متقد الخاطر حاضر الذهن سريع اجابة الفكر فقال السلطان وعلى كل حال قم الى هنا لتنكف عنك أبصار الناظرين وتنقطع عنك ضوضاء الحاضرين وأشار الى مكان عن يمين البيت الخشب الذى هو بالجلوس فيه منفرد فقمت وقد فقدت رجلى اتخذا لا وذهنى اختلالا لهيبة المجلس فى صدرى وكثرة من حضره من المترقبين لى المنتظرين حلول فاترة الشمانة بى فما هو الا أن جلست حتى ثاب الىّ خاطرى وانثال الكلام على سرائرى فكنت أتوهم أن فكرى كالبازى الصيود لا يرى كلمة الا أنشب فيها منسره ولا معنى الا شك فيه ظفره فقلت فى أسرع وقت

وصلت من الملك المعظم تحفة * ملأت يفاخر درّها الاسلاكا
أبيات شعر كالنجوم جلالة * فلذا حكت أوراقها الافلاكا
عجبا وقد جاءت كمثل الروض اذ * لم تذوها بالحرّ نار ذكاكا
جلت الهموم عن الفؤاد كمثل ما * تحلو بغرّة وجهك الاحلاكا
كقميص يوسف اذ شفت يعقوب رد * اه شفتني مثله رياكا
قد أعجزت شعراء هذا العصر كلهم فلم لا تعجز الاملاكا
ما كان هذا الفضل يمكن مثله * أن يحتويه من الانام سواكا
لم لا أغيب عن الشآم وهل له * من حاجة عندي وأنت هناكا
أم كيف أخشى والبلاد جميعها * محمية في جاه طعن قناكا
يكفي الاعادي حرّ باسك فيهم * أضعاف ما يكفي الولي ندا كا
ما زرت مصر لغير ضبط ثغورها * فلذا صبرت فديت عن رؤياكا
أتم البلاد علا عليها قدرها * لاسيما مذ شرّفت بخطاكا
طابت وحق لها وأولى قد * حوت المعلى في القداح أخاكا
أنا كالسحاب أزور أرضا ساقيا * حينا وأمنح غيرها سقياكا
مكني جهاد للعدو لانني * أغزوه بالرأي السديد درا كا
لولا الرباط وغيره لقصدت بالـ * ـسير الحثيث اليك نيل رضاكا
ولئن أتيت الى الشآم فانما * يحتثني شوقي الى لقياكا
اني لامنح المحبة جاهدا * وهواي فيما تشتهيه هواكا
فافخر فقد أصبحت بي وبباسك السامي وكل ممالك يخشاكا
لازلت تقهر من يعادي ملكنا * أبدا ومن عاداك كان فداكا
وأعيش أبصر ابنك الباقي أبا * وتعيش تخدم في السعود أباكا

ثم عدت الى مكاني وقد بيضتها وحليت بزهرها ساحة القرطاس وروضتها فلما رآني السلطان قد عدت قال لي هل عملت شيأ ظننا منه أن العمل في تلك اللمحة القريبة معجز متعذر وبلوغ الغرض فيها غير متصور فقلت قد أجبت فقال أنشدنا فصمت الناس وحدقت الابصار وأصاخت الاسماع وظن الناس بي الظنون وترقبوا مني ما يكون فما هو الا أن توالى الانشاد لابياتها حتى صفقت الايدي اعجابا وتغامزت الاعين استغرابا وحين انتهيت الى ذكر مولانا الملك الكامل بأنه المعلى في البنين اذا ضربت قداحهم ومردت أمداحهم اغرورقت عيناه دمعا لذكره وابان صمته مخفي المحبة حتى أعلن بسره وحين انتهيت الى آخرها فاض دمعه ولم يكنه دفعه فقيده مستدعيا للورقة فناولتها الى يد الصاحب فناولها اياه وعند حصولها في يده قام من غير اشعار لاحد بما دار من ارادة القيام في خلده ستر الماظهر عليه من الرقة على الموالي الاولاد وكتما لما علیه من الوجد بهم والمحبة لهم وانفض المجلس وانما حمل الصاحب على هذا الفعل الذي غرّ بي وخاطر بي بالتعريض له أشياء كان يقترحها عليّ فانفذ فيها من بين يديه ويخف الامر منها على لدالتي

عليه منها أنى كنت فى خدمته سنة ٥٩٩ بدمشق فورد عليه كتاب من الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقى الدين صاحب حماه وقد بعث صحبته نسخة من ديوان شعره فتشاغل بتسويد جواب كتابه فلما كتب بعضه التفت الىّ وقال اصنع أبياتا أكتبها اليه فى صدر الجواب واذكر فيها شعره فقلت له على مثل هذه الحال فقال نعم فقلت بقدر ما انجز بقية النسخة

أيا ملكا قد أوسع الناس نائلا * وأغرقهم بذلا وعمهم عدلا
فدينالك هب للناس فضلا يزينهم * فقد حزت دون الناس كلهم الفضلا
ودونك فامنحهم من العلم والحجا * كما منحتهم كفك الجود والبذلا
اذا حزت أو فى الفضل عفوا فانما الذى * تركت لمن كان القريض له شغلا
وماذا عسى من ظل بالشعر قاصدا * لبابك أن يأتى به جل أو قلا
فلازلت فى عز يدوم ورفعة * تحوز ثناء يملأ الوعر والسهلا انتهى

ووقع لابن ظفر أيضا من هذا النمط انه دخل فى أصحاب له يعودون صاحبا لهم وبين يديه بركة قد راق ماؤها وصحت سماؤها وقد رص تحت دساتيرها نار نجم فتن قلوب الحضار وملأ بالمحاسن عيون النظار فكأنما رفعت صوالج فضة على كرات من النضار فأشار الحاضرون الى وصفها فقال بديها

أبدعت يا ابن هلال فى فسقية * جاءت محاسنها بما لم يعهد
عجبا لاواه الدساتير التى * فاضت على نار نجيها المتوقد
فكأنهن صوالج من فضة * رفعت لضرب كرات خالص عسجد انتهى

ومن بديع الارتجال ما حكاه المذكور عن ابن قلاقس الاسكندرى رحمه الله تعالى اذ قال دخل الاعز ابو الفتوح بن قلاقس على بلال بن مدافع بن بلال البزارى فعرض عليه سيفا قد نظم الفرند فى صفحته جوهره وأذكى الدهر ناره وجمد نهره وألبسه من سلخ الافاعى ردا وجسمه ردى لا يمنع من برقه بدر مجن ولا ثريا مغفر ولا يسلم من حده من ثبت ولا ينجو لطوله من فر فهو يبكى للنفاق ويضحك ويرعد للغيظ ويفتك وأمره بصفة شانه فقال على لسانه

أروق كما أروع فان تصفنى * فانى رائق الصفحات رائع
تدافع بى خطوب الدهر حتى * نقلت الى بلال عن مدافع

وقال أيضا فيه

رب يوم له من النقع سحب * مالها غير سائل الدم ودق
قد جلته يمنى بلال بحدى * فكانى فى راحة الشمس برق

وقال ايضا فيه

أنا فى الكريهة كالشهاب الساطع * من صفحة تبدو وحد قاطع
فكأنما استملت تلك وهذه * من وصف كف بلال بن مدافع

وقال ايضا فيه

انظر لمطر الماء بصفحتي * ولنار حدتي كم بها من صال
قد عادشدتي في المضايق شيمتي * كبلال بن مدافع بن بلال

وسأله صاحب له وصف مشط عاج قد أشبه الثريا شكلا ولونا وشق ليلا من الشعر جونا فقال

ومتيم بالآبنوس وجسمه * عاج ومن أدهانه شرفاته
كتمت دياجي الشعر منه بدرها * فوشت به للعين عيوقاته

وقال فيه

وأبيض ليل الآبنوس اذا سرى * تمزق عن صبح من العاج باهر
وان غاص في بحر الشعور رأيته * تبشرنا أطرافه بالجواهر

وقال فيه

ومشرق يشبه ضوء الضحى * حسنا ويسري في الدجى الفاحم
وكلما قلب في لمة * أضحكها عن ثغره الباسم

وجلس بمصر في دار الانماط يوما مع جماعة فمرت بهم امرأة تعرف بابنة أمين الملك وهي شمس تحت سحاب النقاب وغصن في أوراق الشباب فحدقوا اليها تحديق الرقيب الى الحبيب والمريض الى الطبيب فجعلت تتلفت تلفت الظبي المذعور أفرقه القانص فهرب وتتثنى تثني الغصن الممطور عانقه النسيم فاضطرب فسألوه العمل في وصفها فقال هذا يصلح أن يعكس فيه قول العطار الازدي القيرواني

أعرضن لما آن عرضن فان يكن * حذرا فأين تلفت الغزلان

قوله العطار في نسخة ابن القطان اه

ثم صنع

لها ناظر في ذرى ناضر * كما ركب السن فوق القناة
لوت حين ولت لناجيدها * فأي حياة بدت من وفاة
كما ذعر الظبي من قانص * فمر وكر في الالتفات

ثم صنع أيضا

ولطيفة الالفاظ لكن قلبها * لم أشك منه لوعة الاعتا
كملت محاسنها فوق البدر أن * يحظى ببعض صفاتها أو ينعتا
قد قلت لما أعرضت وتعرضت * يا مؤيسا يا مطمعا قل لي متى
قالت أنا الظبي الغرير وانما * لي وأوجس نبوة فتلفتا

قال علي بن ظافر وحضر يوما عند بني خليف بظاهر الاسكندرية في قصر رسا بناؤه وسما وكاد يمزق بمزاحمته أثواب السما قد ارتدى جلابيب السحائب ولاث عمائم الغمائم وابتسمت ثنايا شرفاته واتسمت بالحسن حنايا غرفاته وأشرف على سائر نواحي الدنيا وأقطارها وحبته الرياض بما اثمنتها عليه السحب من ودائع أمطارها والرمل بفنائه قد نثر تبره في زبرجد كرومه والجو قد بعث بذخائر الطيب لطيمة نسيمه والنخل قد أظهرت جواهرها ونشرت غدائرها والظل ينثر لؤلؤه في مسارب النسيم ومصاحبه والبحر

يرعد غيظا من عبث الرياح به فسأله بعض الحضور أن يصف ذلك الموضع الذى قت محاسنه وغبطه بسكنه فجاشت لذلك لجج بحره وألقت اليه جواهره لترصيع لبة ذلك القصر ونحره فقال

قصر بمدرجة النسيم تحدثت * فيه الرياض بسرها المستور
خفض الخورنق والسدير سموه * وثنى قصور الروم ذات قصور
لاث الغمام عمامة مسكية * وأقام فى ارض من الكافور
غنى الربيع به محاسن وصفه * فافتر عن نور يروق ونور
فالدوح يسحب حلة من سندس * تزهو بلؤلؤ طلها المنثور
والنخل كالغيد الحسان تقرطت * بسبائك المنظوم والمنذور
والرمل فى حبك النسيم كانما * أبدى غصون سوالف المذعور
والبحر يرعد متنه فكانه * درع تشن بمعطفى مقرور
وكأننا والقصر يجمع شملنا * فى الافق بين كواكب وبدور
وكذا الدهر بنى خليف لم يزل * يثنى المعاطف فى حبير حبور

ثم قال ابن ظافر وأخبرنى الفقيه أبو الحسن على بن الطوسى المعروف بابن السيورى الاسكندرى النحوى بما هذا معناه قال كنت مع الاعز بن قلاقس فى جماعة فزرنا أبا الفضائل بن فتوح المعروف بالمصرى وهو راجع من المكتب ومعه دواته وهو فى تلك الايام قرة العين ظرفا وجمالا وراحة القلب قربا ووصالا كل عين الى وجهه محدقة ولمشهد خديه بخلوق الخجل مخلقه فاقترحنا عليه أن يتغزل فيه فصنع بديها

علقته متعلقا * بالخط معتكفا عليه
حمل الدواة ولا دوا * لعاشق يرجى لديه
فدماء حبات القلو * ب تلوح صبغا فى يديه
لم أدر ما أشكو اليه أهجره أم مقلتيه
والحب يخرسنى على * أنى ألكع سيبويه
مالى اذا أبصرته * شغل سوى نظرى اليه

انتهى

وقد آن وقت الرجعة الى كلام الاندلسيين الذى حلا وأبعدنا عنه بمامر النجعة فنقول ذكر الفتح فى قلائد العقيان كما قال ابن ظافر ما معناه أخبرنى الوزير أبو عامر بن بشتغير انه حضر مجلس القائد أبى عيسى بن لبون فى يوم سفرت فيه أوجه المسرات ونامت عنه أعين المضرات وأظهرت سقاته غصونا تحمل بدورا وتطوف من المدام بنار مازجت من الماء نورا وشموس الكاسات تطلع فى أكفها كالورد فى السوسان وتغرب بين اقاحى نجوم الثغور فتذبل نرجس الاجفان وعنده الوزير أبو الحسن بن الحاج اللورقى وهو يومئذ قد بذل الجهد فى التحلى بالزهد فأمر القائد بعض السقاة أن يعرض عليه ذهب كاسه ويحييه بزبرجد آسه ويغازله بطرفه ويميل عليه بعطفه ففعل ذلك عجلا فانشد أبو الحسن مرتجلا

ومهفهف مزج الفتور بشدة * وأقام بين تبذل وتمنع
يثنيه من فعل المدامة والصبا * سكران سكر طبيعة وتطبع
أومى الى بكاسه فكففتها * ورنا فشفعها بلحظ مطمع
والله لولا أن يقال هوى الهوى * منه بفضل عزيمة وتورع
لاخذت فى تلك السبيل بمأخذى * فيما مضى ونزعت فيها منزعى انتهى

وحكى الحميدى أن عبد الملك بن ادريس الجزيرى كان ليلة بين يدى الحاجب بن أبى عامر والقمر يبدو تارة ويخفيه السحاب تارة فقال بديها

أرى بدر السماء يلوح حينا * فيبدو ثم يلتحف السحابا
وذاك لانه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيا فغابا
فقال لو نهى عنى اليه * لراجعنى بتصديق جوابا انتهى

وكان صاعد اللغوى صاحب كتاب الفصوص وقد تكرر ذكره فى هذا الكتاب كثيرا ما يمدح بلاد العراق بمجلس المنصور بن أبى عامر ويصفها ويقرظها فكتب الوزير أبو مروان عبد الملك بن شهيد والد الوزير أبى عامر أحمد بن شهيد صاحب الغرائب وقد تقدم بعض كلامه قريبا الى المنصور فى يوم برد وكان أخص وزرائه به بهذه الابيات

أما ترى برد يومنا هذا * صيرنا للكمون أفذاذا
قد فطرت صحة الكبود به * حتى لكادت تعود أفلاذا
فادع بنا للشمول مصطليا * نغذ سير الليل اغذاذا
وادع المسمى بها وصاحبه * تدع نبيلا وتدع أستاذا
ولا تبالى أبا العلاء زها * بخمر قطربل وكلواذا
ما دام من أرملاط مشربنا * دع دير عمى ودير نابا ذا

وكان المنصور قد عزم ذلك اليوم على الانفراد بالحرم فأمر باحضار من جرى رسمه من الوزراء والندماء وأحضر ابن شهيد فى محفة لنقرس كان يعتاده وأخذ وافى شأنهم فزلهم يوم لم يشهدوا امثله ووقت لم يعهدوا نظيره وطما الطرب وسماهم حتى تهايج القوم ورقصوا وجعلوا يرقصون بالنوبة حتى انتهى الدور الى ابن شهيد فقامه الوزير أبو عبد الله بن عباس يفعل يرقص وهو منوكى عليه ويرتجل ويومئ الى المنصور وقد غلب عليه السكر

هات الشيخ فاده عذرا لكا * قام فى رقصته مستهلكا
لم يطق يرقصها مستثبتا * فاتئنى يرقصها مستمسكا
عاقه عن هزها منفردا * نقرس أخنى عليه فاتكا
من وزير فيهم رقاصة * قام للسكر يناغى ملكا
أنا لو كنت كما تعرفنى * قمت اجلالا على رأسى لكا
قهقه الابريق منى ضاحكا * ورأى رعشة رجلى فبكى

قال ابن ظافر وهذه قطعة مطبوعة وطرفها الاخير واسطتها وكان حاضرهم ذلك اليوم رجل بغدادى يعرف بالفكيك حسن النادرة سريعها وكان ابن شهيد استحضره

الى المنصور فاستطبعه فلما رأى ابن شهيد يرقص قائما مع أنم المرض الذى كان يمنعه من الحركة قال لله در ك يا وزير ترقص بالقائمة وتصلى بالقاعدة فضحك المنصور وأمر لابن شهيد بمال جزيل ولسائر الجماعة وللبغدادى * وقال ابن بسام حدث أبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر بن عثمان المصحفى قال دخلت يوما على أبى عامر بن شهيد وقد ابتدأت به علته التى مات بها فانس بى وجرى الحديث الى أن شكوت له تجنى بعض أصحابى على ونفاره عنى فقال لى سأسعى فى اصلاح ذات البين فخرجت عنه واتفق لقائى لذلك المتجنى على مع بعض أصحابى وأعزهم على فلما رآنى ذلك الصديق مولياعنه أنكر عليه وسأله عن السبب الموجب فأخبره وزاد فى مشيهما حتى لحقانى وعزم على فى مكالمة صاحبى وتعاتبنا عتابا أرق من الهوى وأشهى من الماء على الظما حتى جئنا دار أبى عامر فلما رآنا جميعا ضحك وقال من كان الذى تولى اصلاح ما كنا سررنا بفساده قلنا قد كان ما كان فأطرق قليلا ثم أنشد

من لا اسمى ولا أبوح به * اصلح بينى وبين من أهوى
أرسلت من كابد الهوى فدرى * كيف يداوى مواقع البلوى
ولى حقوق فى الحب ثابتة * لكن التى بعدها دعوى

وقد ذكرنا فى هذا الكتاب من غرائب أبى عامر بن شهيد فى مواضع متفرقة الغرائب وقدمنا فى الباب الرابع حكايته مع المرأة الداخلة فى رمضان لجامع قرطبة وحكينا هنالك بلفظ المطمح فلتراجع وعبر ابن ظافر عن معناها بقوله ان أبا عامر كان مع جماعة من أصحابه بجامع قرطبة فى ليلة السابع والعشرين من رمضان فمرت امرأة به من بنات أجلاء قرطبة قد كملت حسنا وظرفا ومعها طفل يتبعها كالظبية تستتبع خشفا وقد حفت بها الجوارى كالبدر حف بالدارى فحين رأت تلك الجماعة المعروفة بالخلاعة وقد رمقوا ذلك الظبى بعيون اسود رأت فريسة ارتاعت وتخوفت أن تخطف منها تلك الدرة النفيسة فاستدنت اليها خشفها وألزمته عطفها فارتجل ابن شهيد قائلا

وناظرة تحت طى القناع الخ ومرت فى الباب الرابع هذه الابيات * وقال الرئيس أبو الحسن عبد الرحمن بن راشد الراشدى لما نعيت أبا عامر بن شهيد الى أبى عبد الله الخياط الشاعر وكان قد عرف ما بينهما من المنافسة فبكى وأنشد فى نفسه بديهة

لما نعى الناعى أبا عامر * أيقنت أنى لست بالصابر
أودى فتى الظرف وترب الندى * وسيد الاول والآخر

وقال ابن بسام اصطبح المعتصم بن صمادح يوما مع ندمائه فابرز لهم وصيفة مهدوية متصرفة فى أنواع اللعب المطرب من الدك وحضر أيضا هنالك لاعب مصرى ساحر فكان لعبه حسنا فارتجل أبو عبد الله بن الحداد

كذا فلتلح قرازاهرا * وتجنى الهوى ناظرا ناضرا
وسيبك سيب ندى مغدق * أقام لنا هاميا هامرا
وان ليومك ذا رونقا * منيرا كنور الضحى باهرا

صباح اصطباح باسفاره * لحظنا محيا العلا سافرا
وأطلعت فيه نجوم الكؤس * فما زال كوكبها زاهرا
وأسمعتنا لاحنا فاتنا * وأحضرتنا لاعبا ساحرا
يرفرف فوق رؤس القيان * فتنظر ما يذهل الناظرا
ويخطفها ذيل سربالة * فتنظر طالعها غائرا
فظاهرها يتثنى باطنا * وباطنها يتثنى ظاهرا
وثناه ثان لا لعابه * دقائق تثنى الحجا حائرا
وفي سورة الراح من سحره * خواطر دلهت الخاطرا
اذا ورد اللحظ أثناءها * فما الوهم عن وردها صادرا
ومن حسن دهرك ابداعه * فما انفك عارضها ماطرا
وسعدك يجتلب المغربات * فيجعل غائبها حاضرا

قال وحضر الاديب أحمد بن الشقاق عند القائد بن دريد بجيان هو وأبو زيد بن مقانا الاشبوني فاحضر لهما عنبا أسود مغطى بورق أخضر فارتجل ابن الشقاق

عنب تطلع من حشي ورق لنا * صبغت غلائل جلده بالاثمد
فكانه من بينهن كواكب * كسفت فلاحت في سماء زبرجد

قال وحضر ابن مرزقان ليلة عند ذي النون بن خلدون وبحضرته وصيفة تحمل شمعة فاستحسنها ابن مرزقان فقال بديها

ياشمعة تحملها أخرى * كانها شمس علت بدرا
امتحنت احدا كما مهجتي * بمثل ما تمتحن الاخرى

قال ودخل الاديب غانم يوما على باديس صاحب غرناطة فوسع له على ضيق كان في المجلس فقال بديها

صير فؤادك للحبوب منزلة * سم الخياط مجال للحبين
ولا تسامح بغيضا في معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وأخذه من قول الخليل ما تضايق سم الخياط بمحبين ولا اتسعت الدنيا لمتباغضين وكان الخليل على نمرقة صغيرة والمجلس متضايق فدخل عليه بعض أصحابه فرحب به وأجلسه معه على النمرقة فقال له الرجل انها لا تسعنا فقال ما ذكر * وقال ابن بسام أيضا أمر الحاجب المنذر بن يحيى التجيبي صاحب سرقسطة بعرض بعض الجند في بعض الايام ورئيسهم مملوك له رومي يقال له خيار في نهاية الجمال فجعل ينفخ في القرن ليجتمع أصحابه على عادة لهم في ذلك فقال ابن هند الداني فيه ارتجالا

أعن بابل أجفان عينيك تنفث * ومن قوم موسى أنت للعهد تنكث
أفي الحق أن تحكي سرافيل ناخا * وامكث في رمس الصدود وألبث
عسى نبي الحسن تأتي بآية * فتنفخ في ميت الصدود فيبعث

قال وكان بقرطبة غلام وسيم فر عليه ابن فرج الجياني ومعه صاحب له فقال صاحبه انه

قوله نبي الحسن في البدائع خيار الناس وهو الانسب باسمه والاول أنسب بقوله تأتي بآية اه مصححه

لصبيح لولا صفرة فيه فقال ابن فرج ارتجالا

قالوا به صفرة عابت محاسنه * فقلت ماذا لمن عيب به نزلا
عيناه تطلب فى أوتار من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

قال وكان يوما مع لمة من أهل الادب فى مجلس أنس فاحتاج رب المنزل الى دينار فوجه الى السوق فدخل به عليهم غلام من الصيارف فى نهاية الجمال فرمى بالدينار اليهم من فيه تماجنا فقال ابن فرج

أبصرت دينارا بكف مهفهف * يزهى به من كثرة الاعجاب
أومى به من فيه ثم رمى به * فكانه بدر رمى بشهاب

قال وخرج الاديب أبو الحسن بن حصن الاشبيلى الى وادى قرطبة فى نزهة فتذاكر اشبيلية فقال بديها

ذكرتك ياحص ذكرى هوى * أمات الحسود وتعنيته
كانك والشمس عند الغروب * عروس من الحسن مخبونه
غدا النهر عقدك والطود تا * جك الشمس أعلاه ياقوته انتهى

وعبر بعضهم وهو صاحب بدائع البدائه عن بعض حكايات صاحب القلائد بما يقاربها فى المعنى فقال ان المستعين بن هود ملك سرقسطة والثغور ركب نهر سرقسطة يوما لتفقد بعض معاقله المنتظمة بجيد ساحله وهو نهر رق ماؤه وراق وأزرى على نيل مصر ودجلة العراق قد اكتنفته البساتين من جانبيه وألقت ظلالها عليه فما تكاد عين الشمس أن تنظر اليه هذا على اتساع عرضه وبعد سطح مائه من أرضه وقد توسط زورقه زوارق حاشيته توسط البدر للهاله وأحاطت به احاطة الطفاوة بالغزاله وقد أعدوا من مكايد الصيد ما استخرج ذخائر الماء وأخاف حتى حوت السماء وأهلة الهالات طالعة من الموج فى سحاب وقانصة من بنات الماء كل طائرة كالشهاب فلا ترى الا صيودا كصيد الصوارم وقدودا للهاذم ومعاصم الابكار النواعم فقال الوزير أبو الفضل بن حسراى والطرب استهواه وبديع ذلك المرأى قد استرق هواه

حسراى فى نسخة من البدائع حداى اه

لله يوم أنيق واضح الغرر * مفضض مذهب الآصال والبكر
كأنما الدهر لما ساء أعتبنا * فيه بعتبى فابدى صفح معتذر
نسير فى زورق حف السرور به * من جانبيه بمنظوم ومنتثر
مد الشراع به قدا على ملك * بذالا وائل فى أيامه الاخر
هو الامام الهمام المستعين حوى * عليا مؤتمن فى هدى مقتدر
تحوى السفينة منه آية عجبا * بحر تجمع حتى صار فى نهر
تثار من قعره النينان مصعدة * صيدا كما ظفر الغواص بالدرر
وللندامى به عب ومرتشف * كالريق يعذب فى ورد وفى صدر
والشرب فى ودمولى خلقه زهر * يذكو وبهجته أبهى من القمر انتهى

قوله السرور فى البدائع السعيد اه

ثم قال

ثم قال ما معناه وقوله نينان غير معروف فان نونا لم يجئ جمعها على نينان وقد كان سيبويه لحن بشار بن برد فى قوله فى صفة السفينة

تلاعب نينان البحور ربما * رأيت نفوس القوم من جريها تجرى

فغيره بشار بتيار البحور وقد قال أبو الطيب يصف خيلا

فهن مع السيدان فى البر عسل * وهن مع النينان فى البحر عوم انتهى

والمستعين بن هود هو أحمد بن المؤتمن على أمر الله يوسف بن المقتدر بالله أحمد بن المستضئ بالله سليمان بن هود الجذامى رحم الله تعالى الجميع * وعبر المذكور عن قضية ابن وهبون فى هلال شوال بما نصه خرج ابن وهبون يوما لنظر هلال شوال وأبو بكر بن القبطرنة الوزير يساير وهو يومئذ غلام يخجل البدر ويذوى الغصن النضر وصفحته لم يسطرها العذار بأنفاسه ووردة خده لم يسترها الشعر بآسه فارتجل عبد الجليل

يا هلال استتر بوجهك عنى * ان مولاك قابض بشمالى

هيك تحكى سناه خدا بخد * قم فجئنى بخصره بمثال انتهى

قوله القبطرنة فى نسخة من البدائع القنطرية وقوله ويذوى فيها ويزرى اه

وقد ذكرنا هذه الحكاية فى غير هذا الموضع بلفظ الفتح فى القلائد ولكنا أعدناها هنا لتعبير صاحب البدائع عنها محاكيا لطريقته * وذكر ابن بسام أن الوزير أبا عبد الله بن أبى الخصال وقف ببابه بعض القضاة واستأذن عليه فحجب عنه فكتب اليه بديها

جئناك للحاجة المطول صاحبها * وأنت تنعم والاخوان فى بوس

وقد وقفنا طويلا عند بابكم * ثم انصرفنا على رأى ابن عبدوس

أشار به الى قول الوزير أبى عامر بن عبدوس

لنا قاض له خلق * أقل ذميمه النزق

اذا جئناه يحجبنا * فنلعنه ونفترق

وهو تمليح مليح سامح الله تعالى الجميع * وقال أبو جعفر الكاتب القرطبى الربضى

وأبى المدامة ما أريد بشربها * صلف الرقيع ولا انهماك اللاهى

لم يبق من عصر الشباب وطيبه * شئ كعهدى لم يحل الاهى

ان كنت أشربها لغير وفائها * فتركتها للناس لا لله

وبعضهم يذهبها لابى القاسم عامر بن هشام والصواب كما قال ابن الابار الاول * وقال ابو جعفر المذكور فى فوارة رخام كلفه وصفها والى قرطبة

ما شغل الطرف مثل فائرة * تمج صرف الحياة من فيها

اشرب بها والحباب فى جذل * يظهره حسنها ويخفيها

تكاد من رقة تضمنها * تخطبها العين اذ تواليها

كأنها درة منعمة * زهرا قد ذاب نصفها فيها

ومن شعره أيضا

يضحك المشيب برأسه * فبكى بأعين كأسه

رجل تخونه الزما * ن يبوسه ويباسه

فجرى على غلوائه * طلق الجموح بناسه
أخذا باوفر حظه * لرجائه من ياسه

وقال أحد بني القبطرنة الوزراء

ذكرت سليمى ونار الوغى * بقلبي كساعة فارقتها
وأبصرت قد التناشبها * وقد ملن نحوى فعانقتها

وهذا معنى بديع ما أراه سبق به * وقال أبو الحسن بن الغليظ المالقي قلت يوما للاديب أبي عبد الله بن السراج المالقي ونحن على خرير ماء أجز شربنا على ماء كان خريره فقال مبادرا بكاء محب بان عنه حبيب

فمن كان مشغوفا كئيبا بالفه * فاني مشغوف به وكئيب

وكتب أبو بكر البلنسي الى الاديب أبي بحر صفوان بن ادريس هذين البيتين يستجيزه القسيم الاخير منهما

خليلي أبا بحر وما قرقف اللمى * باعذب من قولي خليلي أبا بحر
أجز غير مأمور قسيما نظمته * تأمل على مجرى المياه حلى الزهر

فأجازه

تأمل على مجرى المياه حلى الزهر * كعهدك بالخضراء والانجم الزهر
وقد ضحكت للياسمين مباسم * سرورا بآداب الوزير أبي بكر
وأصغت من الآس النضير مسامع * لتسمع ما يتلوه من سور الشعر

وقال ابن خفاجة

وما الانس الافي مجاج زجاجة * ولا العيش الافي صرير سرير
واني وان جئت المشيب لوالع * بطرة ظل فوق وجه غدير

وقال ابن خفاجة أيضا

وأسود يسبح في لجة * لا تكتم الحصباء غدرانها
كأنها في شكلها مقلة * وذلك الاسود انسانها

وكتب الوزير الشهير أبو الوليد بن زيدون الى الوزير أبي عبد الله بن عبد العزيز اثر صدوره عن بلنسية

راحت فصح بها السقيم * ريح معطرة النسيم
مقبولة هبت قبو * لا فهي تعبق في الشميم
أفضيض مسك أم بلن * سية لرياها نسيم
بلد حبيب أفقه * لفتى يحل به كريم
ايه أبا عبد الاله * مذاء مغلوب الغريم
ان عيل صبري من فرا * قك فالعذاب به أليم
أو أتبعتك حنينها * نفسي فأنت لها قسيم
ذكرى لعهدك كالعرا * رسرى فبرح بالسليم

مهما ذممت فحازما * نى فى زمانك بالذميم
زمن كمالوف الرضا * ع يشوق ذكراه الفطيم
أيام أعقد ناظرى * فى ذلك المرأى الوسيم
وأرى الفتوة غضة * فى ثوب أتواه حليم
الله يعلم أن حبك من فؤادى فى الصميم
ولئن تحمل عنك لى * جسم فعن قلب مقيم
قل لى بأى خلال سر * ك فيك أقبل أو أهيم
أبجدك العمم الذى * نسق الحديث مع القديم
أم عارفك الغض الجنى * أم عرضك الصافى الاديم
أم برك العذب الجما * م وبشرك الغض الجميم
ان أشمت تلك الطلا * قة فالندى منها مغيم
أم بالبدائع كاللآ * لى من نثير أو نظيم
لبلاغة ان عداها * لوها فأنت بها زعيم
فقر توسع بها المدا * م اذا يكثرها النديم
ان الذى قسم الحظو * ظ حباك بالخلق العظيم
لا أستزيد الله نعمى فيك لابل أستديم
فلقد أقر العين أنك غرة الزمن البهيم
حبى الثناء بحسن برك مابدا برق وشيم
ثم الدعاء بأن تهنأ طول عيشك فى نعيم
ثم السلام تبلغه فغيب مهديه سليم

ولما ورد اشبيلية نزل بدار الوزير الكاتب ذى الوزارتين أبى عامر بن سلمة وهو يومئذ مجلسا فصنع أبياتا كتبت فيه

عمر من يعمر ذا المجلسا * أطول عمر يبهج الانفسا
وبعدا ذا عوض من داره * عدنا ومن ديباجه السندسا
ولقى النور بها والرضا * ووقى الاسواء والابؤسا
ودام عباد لعضد الهدى * يحرس حتى يغفى الاحرسا
معتضد بالله احسانه * جم اذا ما الدهر يوما أسا
الملك الغمر الندى المقتنى * من كل حمد علقه الانفسا
ان رام يوما وصف علیائه * مفوه مقتدر أخرسا
لازال بدرا طالعا نيرا * يكشف عن آمالنا الحندسا

وقال فيه أيضا

أدرها فقد حسن المجلس * وقد آن أن تترع الاكؤس
ولا تنس أن أوان الربيع * اذا لم تجد فقده الانفس

فان خـــلال أبي عامر • بها يحقر الورد والنرجس

وكتب الى الوزير أبي المعالى المهلب بن عامر يستدعيه

طابت لنا ليلتنا الخاليه • فلتتبعها هذه الثانيه
أبا المعالى نحن فى راحة • فانقل الينا القدم العاليه
لانها عاطلة ان تغب • عنا فزرنا كى ترى حاليه
أنت الذى لو نشترى ساعة • منه بدهر لم تكن غاليه

وكتب اليه ذو الوزارتين أبو عامر المذكور معاتبا

تباعدنا على قرب الجوار • كانا صدتا ناشط المزار
تطلع لى هلال الهجر بدرا • وصار هلال وصلك فى سرار
وشاع شنيع قطعك لى بوصلى • فهلا كان ذلك فى استتار
أيجمل أن ترى عنى صبورا • فاصبح مولعا دون اصطبار
وكنت أزيد سمعك من عتابى • ولكن عاقنى فرط الخمار
فراع مودتى واحفظ جوارى • فان الله أوصى بالجوار
وزرنى منعما من غير أمر • وآنس موحشا من عقر دارى

فكتب اليه ابن زيدون

هواى وان تناءت عنك دارى • كمثل هواى فى حال الجوار
مقيم لا تغيره عواد • تباعد بين أحيان المزار
رأيتك قلت ان الهجر بدر • متى خلت البدور من السرار
ورابك أننى جلد صبور • وكم صبر يكون عن اصطبار
ولم أهجر لعتب غير أنى • أضرت بى معاقرة العقار
وان الخمر ليس لها خمار • يبرح بى فكيف مع الخمار
وهل أنسى لديك نعيم عيش • كوشى الخد طرز بالعذار
وساعات يجول اللهو فيها • مجال الظل فى حدق النهار
وان يك فرّ عنك اليوم جسمى • فديت فما القلبى من قرار
وكنت على البعاد أجل شئ • لدى فكيف اذ اصبحت جارى

وكان أبو العطاف اذ ورد اشبيلية رسولا قد سأله أن يربه شيأ من شعره فطله به حتى كتب اليه شعرا يستبطئه فأجابه ابن زيدون فى العروض والقافية

أفدتنى من نفائس الدرر • ما أبرزته غوائص الفكر
من لفظة قارنت نظائرها • قران سقم الجفون للحور

وهى أكثر مما ذكر • وكتب رحمه الله تعالى أعنى ذا الوزارتين ابن زيدون الى ولادة

أضحى التنائى بديلا من تدانينا • ونابَ عن طيب دنيانا تجافينا
الا وقد قام صبح الهجر صبحنا • حينا فقام لنا للبين ناعينا
من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم • حزنا مع الدهر لا يبلى ويبلينا

ان الزمان الذى مازال يضحكنا • انسا بقربهم قد عاد يبكينا
غض العدا من تساقينا الهوى فدعوا • بأن نغص فقال الدهر آمينا
فانحل ما كان معقودا بأنفسنا • وانبت ما كان موصولا بأيدينا
بالامس كنا ومايخشى تفرقنا • واليوم نحن ومايرجى تلاقينا
ياليت شعرى ولم نعتب أعاديكم • هل نال حظا من العتبى أعادينا
لم نعتقد بعدكم الا الوفاء لكم • رأيا ولم نتقلد غيره دينا
كانرى الياس تسلينا عوارضه • وقد يئسنا فما لليأس يغرينا
يتم وبنا فما ابتلت جوانحنا • شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
تكاد حينا تناجيكم ضمائرنا • يقضى علينا الاسى لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت • سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
اذ جانب العيش طلق من تألفنا • ومورد اللهو صاف من تصافينا
واذ هصرنا فنون الوصل دانية • قطوفها فجنينا منه ماشينا
ليس عهدكم عهد السرور لنا • كنتم لارواحنا الا رياحينا
لاتحسبوا نأيكم عنا يغيرنا • ان طال ماغير النأى المحبينا
والله ماطلبت أهواؤنا بدلا • منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا
ياسارى البرق غاد القصر فاسق به • من كان صرف الهوى والود يسقينا
واسأل هنالك هل عيني تذكرني • الفا تذكره أمسى يعنينا
ويانسيم الصبا بلغ تحيتنا • من لو على البعد حى كان يحيينا
من لايرى الدهر يقضينا مساعفة • فيه وان لم يكن عنا يقاضينا
وبيت ملك كان الله أنشأه • مسكا وقد أنشأ الله الورى طينا
أوصاغه ورقا محضا وتوجه • من ناصع التبر ابداعا وتحسينا
اذا تأود أدنه رفاهية • تدمى العقول وادمته البرى لينا
كانت له الشمس ضوءا فى تكلله • بل ماتجلى بها الا أحايينا
كانما نبتت فى صحن جنته • زهر الكواكب تعويذا وتزيينا
ماضر ان لم نكن أكفاءه شرفا • وفى المودة كاف من تكافينا
ياروضة طالما أجنت لواحظنا • ورد اجتناه الصبا غضا ونسرينا
وياحياة تملأ نابزهرتها • منى ضروبا ولذات أفانينا
ويانعيما خطرنا من نضارته • فى وشى نعمى سحبنا ذيله حينا
لسنا نسميك اجلالا وتكرمة • وقد رأى المعتلى عن ذا فيغنينا
اذا انفردت وماشوركت فى صفة • خلنا الوصف ايضاحا وتبيينا
ياجنة الخلد أبدلنا بسلسلها • والكوثر العذب زقوما وغسلينا
كانما الثغب والوصل ثالثنا • والسعد قد غض من أجفان واشينا
سقيا ان فى خاطر الظلماء تكتمنا • حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

لاغروى أن ذكرنا الحزن حين نهت * عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا
اناقرأنا الاسى يوم النوى سورا * مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا
أماهوالثغر لم نعدل بمشربه * شرباوان كان يروينا فيظمينا
لم نخف أفق جمال أنت كوكبه * سالين عنه ولم نهجره قالينا
ولا اختيارا تجنبناك عن كثب * لكن عدتنا على كره عوادينا
نامى عليك اذا حنت مشعشعة * فينا الشمول وغنانا مغنينا
لا أكؤس الراح تبدى من شمائلنا * سيما ارتياح ولا الاوتار تلهينا
دومى على العهد مادمنا محافظة * فالحر من دان انصافا كمادينا
فما استعضنا خليلا عنك يحمدنا * ولا استفدنا حبيبا منك يغنينا
ولوصبا نحونا من أفق مطلعه * بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا
أبى وفاء وان لم تبذلى صلة * فالطيف يقنعنا والذكر يكفينا
وفى الجواب امتناع قد شغفت به * بيض الايادى التى مازات تولينا
عليك منى سلام الله مابقيت * صبابة بك تخفيها وتخفينا

وانما ذكرت هذه القصيدة مع طولها لبراعتها ولان كثيرا من الناس لايذكر جملتها ويظن أن ما فى القلائد وغيرها منها هو جميعها وليس كذلك فهى وان اشتهرت بالمشرق والمغرب لم يذكر جملتها الا القليل وقد كنت وقفت بالمغرب على تسديس لها لبعض علماء المغرب ولم يحضرنى منه الآن الا قوله فى المطلع

ماللعيون بسهم الغنج تصمينا * وعن قطاف جنى الاعطاف تحمينا
تألف كان يحمينا ويضنينا * تفرق عاث فى شمل المحبينا
أضحى التنائى بديلا من تدانينا * وناب عن طيب دنيانا تجافينا

وما أحسن قوله فى هذا التسديس

ماللاحبة دانو بالنوى ورأوا * تعويض عهد اللقا بالبعد حين نأوا
رعاهم الله كانوا للعهود رعوا * فغيرتهم وشاة بالفساد سعوا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا * بأن نغص فقال الدهر آمينا

وقد ذكرنا فى الباب الرابع موشحة ابن الوكيل التى وطأ فيها النونية ابن زيدون هذه فلتراجع (رجع) وقال ذو الوزارتين ابن زيدون يتغزل

وضح الصبح المبين * وجلا الشك اليقين
ورأى الاعداء ماغرتهم منك الظنون
أمّلوا ماليس يمنى * و رجوا مالايكون
وتمنوا أن يخون الـ * ـعبد مولى لايخون
فاذا الغيب سليم * واذا العهد مصون
قل لمن دان بهجرى * وهو انى اذ يدين
أرخص الحب فؤادى * لك والعلق ثمين

ياهلالا تراآ * منفوس لاعيون
عجبا للقلب يقسو * منك والعطف يلين
ما الذى ضرك لو سر * بمرآك الحزين
وتلطفت بصب * حينه فيك يحين
فوجوه اللطف شتى * والمعاذير فنون

وقال أيضا

اليك من الانام غدا ارتياحى * وأنت من الزمان مدى اقتراحى
وما اعترضت هموم النفس الا * ومن ذكراك ريحانى وراحى
فديتك ان صبرى عنك صبرى * لدى عطشى عن الماء القراح
ولى أمل لو الواشون كفوا * لاطلع غرسه ثمر النجاح
واعجب كيف يغلبنى عدو * رضاك عليه من أمضى سلاحى
ولما أن جلتك لى اختلاسا * أكف الدهر للحين المتاح
رأيت الشمس تطلع فى نقاب * وغصن البان يرفل فى وشاح
فلو اسطيع طرت اليك شوقا * وكيف يطير مقصوص الجناح
على حالى وصال واجتناب * وفى يومى دنو وانتزاح
وحسبى أن تطالعك الامانى * بافقك فى مساء أو صباح
فؤادى من أسى بك غير خال * وقلبى من هوى لك غير صاح
وأن تهدى السلام الىّ شوقا * ولوفى بعض أنفاس الرياح

وقال

كم ذا أريد ولا أراد * لله ما لقى الفؤاد
أصفى الوداد الى الذى * لم يصف لى منه الوداد
كيف السلو عن الذى * مثواه من قلبى السواد
يقضى علىّ دلاله * فى كل حين أو يكاد
ملك القلوب بحسنه * فلها اذا أمر انقياد
ياهاجرى كم أستفيد الصبر عنك فلا أفاد
أفلا رثيت لمن يبيت وحشو مقلته السهاد
ان أجن ذنبا فى الهوى * خطأ فقد يكبو الجواد
كان الرضا وأعيذه * أن يعقب الكون الفساد

وقال

متى أنبيك مابى * ياراحتى وعذابى
متى ينوب لسانى * فى شرحه عن كتابى
الله يعلم أنى * أصبحت فيك كما بى
فما يلذ منامى * ولا يسوغ شرابى

يافتنة المتعزى * وجنة المتصابى
الشمس انت توارت * عن ناظرى بالحجاب
ما النور شف سناه * على رقيق السحاب
الا كوجهك لما * أضاء تحت النقاب

وقال

هل لداعيك مجيب * أم لشاكيك طبيب
ياقريبا حين ينأى * حاضرا حين يغيب
كيف يسلوك محب * زانه منك حبيب
انما أنت نسيم * تتلقاه القلوب
قد علمنا علم ظن * هو لاشك مصيب
أن سر الحسن مما * أضمرت تلك القلوب

وقال

أنى تضيع عهدك * أم كيف تخلف وعدك
وقد رأتك الامانى * رضا فلم تتعدك
ياليت شعرى وعندى * ماليس فى الحب عندك
هل طال ليلك بعدى * بطول ليلى بعدك
سلبنى حيائى أهبها * فلست أملك ردك
الدهر عبدى لما * أصبحت فى الحب عبدك

وقال رحمه الله تعالى وقد أمره السلطان أن يعارض قطعا كان يغنى بها واستحسن الحانها

يقصر قربك ليلى الطويلا * ويشفى وصالك قلبى العليلا
وان عصفت منك ريح الصدود * تقد نسيم الحياة البليلا
كما أننى ان أطلت العثار * ولم يبد عذرى وجها جميلا
وجدت أبا القاسم الظافر الـ * ـمؤيد بالله مولى مقيلا
لاقلا مه فعل أسيافه * يظل الصرير يبارى الصليلا

وقال يهنيه بالقدوم من السفر

أيها الظافر أبشر بالظفر * واجتل التأييد فى أبهى الصور
وتفيأ ظل سعد يجتنى * فيه من غرس المنى أحلى الثمر
ورد انجح فكم مستوحش * شائق منك الى أنس الصدر
كان من قربك فى عيش ند * عاطر الآصال وضاح البكر
فثوى دونك مثوى قلق * يشتكى من ليله مطل السحر
قل لساقينا يجد أكؤسه * ولشادينا يطل قطع الوتر

ومنها

لى فيه المثل السائر فى ٭ جالب القمر الى ارض هجر
ثم قد وفق عبد عظمت ٭ نعمة المولى عليه فشكر
لاعداحظك اقبال يرى ٭ قاضيا أبناؤه كل وطر
واصطبح كاس الرضا من ملك ٭ سرت فى ارضائه أزكى السير
حين صمت الى أعدائه ٭ فانتحتهم منك صماء الغير
فاض نهر للندى من فوقهم ٭ كان يروى شربهم منه الغمر
سبق الناس فصلى سابق ٭ اذ رأى آثاره مثل الزهر

وهى طويلة وقال رحمه الله تعالى

لم يكن هجر حبيبى عن قلا ٭ لاولاذاك التجنى ملا
سره دعوى ادعانى ثم لم ٭ يدر ماغاية صبرى فابتلى
أنا راض بالذى يرضى به ٭ لى من لو قال مت ماقلت لا
مثل فى كل حسن مثل ما ٭ صار حالى فى هواه مثلا
يافتيت الملك ياشمس الضحى ٭ ياقضيب البان ياظبى الفلا
ان يكن لى أمل غير الرضا ٭ منك لا بلغت ذاك الاملا

وقال رحمه الله تعالى

أذكرتنى سالف العيش الذى طابا ٭ ياليت غائب ذاك الوقت قد آبا
اذ نحن فى روضة للوصل أنعمها ٭ من السرور غمام فوقها صابا
انى لاعجب من شوق يطالبنى ٭ فكلما قيل فيه قد قضى ثابا
كم نظرة لك عندى قد علمت بها ٭ يوم الزيارة أن القلب قد ذابا
قلب يطيل معاصاتى لطاعتكم ٭ فان أكلفه يوما سلوة يابى

وقال رحمه الله تعالى

عاودت ذكر الهوى من بعد نسيانى ٭ واستحدث القلب بعد العشق سلوانى
من حب جارية يبدو بها صنم ٭ من اللجين عليها تاج عقيان
غريرة لم تفارقها تمائمها ٭ تسبى القلوب بساجى الطرف وسنان
لاستجدن من عشقى لها بدلا ٭ يحيى سوالف أيامى وازمانى
حتى يكون لمن أحببت خاتمة ٭ نسخت فى حبها كفرا بايمان

وقال رحمه الله تعالى

أنت معنى الهوى وسر الدموع ٭ وسبيل الهوى وقصد الولوع
أنت والشمس ضرتان ولكن ٭ لك عند الغروب فضل الطلوع
ليس يامؤنسى نكلفك العتـ ٭ ـب دلا لامن الرضا الممنوع
انما أنت والحسود معنى ٭ كوكب يستقيم بعد الرجوع

وقال رحمه الله تعالى

ياليل طل لا أشتهى ٭ الا لعهدى قصرك

لو بات عندى قمرى * مابت أرعى قمرك
ياليل خبرانى * ألتذ عندى خبرك
بالله قل لى هل وفى * فقال لابل غدرك

وقال رحمه الله تعالى

ان فاتنى منك حظ النظر * لاكتفين بسماع الخبر
وان عرضت غفلة للرقيب * فحسبى تسليمة تختصر
أحاذر أن يتجنى الوشاة * وقد يستدام الهوى بالحذر
فأصبر مستيقنا انه * سيحظى بنيل المنى من صبر

وقال أيضا رحمه الله تعالى

أيها البدر الذى * ملأ عينى من تأمل
حمل القلب تباريح التجنى فتحمل
ثم لاتيأس فكم قد * نيل أمر لم يؤمل

وقال أيضا رحمه الله تعالى

أجد ومن أهواه فى الحب عابث * وأوفى له بالعهد اذهو ناكث
حبيب نأى عنى مع القرب والاسى * مقيم له فى مضمر القلب ماكث
جفانى بالطاف العدا وأزاله * عن الوصل رأى فى القطيعة حادث
تغيرت عن عهدى ومازلت واثقا * بعهدك لكن غيرتك الحوادث
وماكنت اذ ملكتك القلب عالما * بأنى عن حتفى بكفى باحث
ستبلى الليالى والوداد بحاله * مقيم وغض وهو للارض وارث
فلو أننى أقسمت انك قاتلى * وانى مقتول لما قيل حانث

وقال رحمه الله تعالى

يا غزالا أصارنى * موثقا فى يد المحن
انى مذ هجرتنى * لم أذق لذة الوسن
ليت حظى اشارة * منك أو لحظة بعن
شافعى يا معذبى * فى الهوى وجهك الحسن
كنت خلوا من الهوى * وأنا اليوم مرتهن
كان سرى مكتما * وهو الآن قد علن
ليس لى عنك مذهب * فكما شئت لى فكن

وقال رحمه الله تعالى

أيوحش لى الزمان وأنت أنسى * ويظلم لى النهار وأنت شمسى
وأغرس فى محبتك الامانى * وأجنى الموت من ثمرات غرسى
لقد جازيت غدرا عن وفائى * وبعت مودتى ظلما ببخس
ولو أن الزمان أطاع حكمى * فديتك من مكارهه بنفسى

ومحاسن ابن زيدون كثيرة وقد ذكرنا منها فى غير هذا المحل جملة وسألت جارية من جوارى الاندلس ذا الوزارتين أبا الوليد بن زيدون أن يزيد على بيت أنشدته اياه وهو

يا معطشى من وصال كنت وارده * هل منك لى غلة ان صحت واعطشى

قال وكانت الجارية المذكورة تتعشق فتى قرشيا والوزير يعلم ذلك وهى لا تعلم انه يعلم فقال

كسوتنى من ثياب السقم أسبغها * ظلما وصيرت من لحف الضنى فرشى
أنى بصرف الهوى عن مقلة نكلت * بالسحر منك وخدت بالجمال وشى
لما بدا الصدغ مسودا بأحمره * أرى النشا كل بين الروم والحبش
أوفى الى الخد ثم انصاع منعطفا * كالعقربان انثنى من خوف محترش
لو شئت زرت وسلك الليل منتظم * والافق يختال فى ثوب من الغبش
جفا اذا التذت الاجفان طيب كرى * جفنى المنام وصاح الليل ياقرشى
هذا وان تلفت نفسى فلا عجب * قد كان قتلى فى تلك الجفون حشى

وكان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس صورة رحمون وعزون وحسون فأولع بهم الحافظ الشهير أبو محمد بن السيد البطليوسى صاحب شرح أدب الكاتب وغيره وقال فيهم

أخفيت سقمى حتى كاد يخفينى * وهمت فى حب عزون فعزونى
ثم ارحمونى برحمون وان ظمئت * نفسى الى ريق حسون فحسونى

قال ثم خاف على نفسه فخرج عن قرطبة وهو القائل

نفسى الفداء لجؤذر حلو اللمى * مستحسن بصدوده أفنانى
فى فيه سمط جوهر يروى الظما * لو علنى ببروده أحيانى

وهذان البيتان تخرج منهما عدة مقطعات كما لا يخفى * وقال أبو بكر محمد بن أحمد الانصارى الاشبيلى المعروف بالابيض فى تهنئة بمولود قال ابن دحية وهذا أبدع ما قيل فى هذا المعنى

أصاخت الخيل آذانا لصرخته * واهتز كل هزبر عند ما عطسا
تعشق الدرع مذ شدت لفائفه * وأبغض المهد لما أبصر الفرسا
تعلم الركض أيام المخاض به * فما استطى الخيل الا وهو قد فرسا

وقال الوزير الكاتب أبو عامر السالمى فى غلام يرش الماء على خديه فتزداد حمرتهما

لقد نعمت بحمام تطلع فى * أرجائه قمر والحسن يكمله
أبصرته كلما راقت محاسنه * ونعمة الجسم والارداف تخجله
يرش بالماء خديه فقلت له * صف لى لما أحمر الياقوت تصقله
فقال طرفى سفاك بصارمه * دما قوم على خدى فأغسله

وقال أيضا

أوقد النار بقلبى * ثم هبت ريح صدة
فشرار النار طارت * فانطفت فى ماء خده

وهو تخييل عجيب * وقال ابن الخياط المكفوف الاندلسي في المعنى المشهور

لم يخل من نوب الزمان أديب * كلا فشأن النائبات عجيب
وغضارة الايام تأبى أن يرى * فيها لابناء الذكاء نصيب
وكذا من صحب الليالي طالبا * جدا وفهما فانه المطلوب

وكان ابن الرقاق الاندلسي الشاعر المشهور وقد تكرر ذكره في هذا الكتاب مرات كثيرة يسهر في الليل ويشتغل بالادب وكان أبوه فقيرا جدا فلامه وقال له نحن فقراء ولا طاقة لنا بالزيت الذي تسهر عليه فاتفق أن برع في الادب والعلم ونظم الشعر فقال في أبي بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة أولها

يا شمس خدر مالها مغرب * أرامة خدرك أم يثرب
ذهبت فاستعبر طرفي دما * مفضض الدمع به مذهب

ومنها

ناشدتك الله نسيم الصبا * أني استقرت بعدنا زينب
لم نسر الا بشذا عرفها * أولا فماذا النفس الطيب
ايه وان عذبني حبها * فمن عذاب النفس ما يعذب

فأطلق له ثلثمائة دينار فجاء بها الى أبيه وهو جالس في حانوته مكب على صنعته فوضعها في حجره وقال خذها فاشتر بها زيتا وقال رحمه الله تعالى في غلام رام يرمي حجرا فشدخ وجهه

واحوى رمى عن قسي الحور * سهاما يفوقهن النظر
يقولون وجنته قسمت * ورسم محاسنه قد درثر
وما شق وجنته عابثا * ولكنها آية للبشر
جلاها لنا الله كيما نرى * بها كيف كان انشقاق القمر

وقال أيضا

يا بي وغير أبي أغن مهفهف * مهضوم ما خلف الوشاح خميصه
ليس السواد ومرقته جفونه * فأتى كيوسف حين فتقميصه

وقال أيضا

سقتني بيناها وفيها فلم أزل * يجاذبني من ذا ومن هذه سكر
ترشفت فاها اذ ترشفت كأسها * فلا والهوى لم أدر أيهما الخمر

وقال

رق النسيم وراق الروض بالزهر * فنبه الكاس والابريق بالوتر
ما العيش الا اصطباح الراح أو شنب * يغني عن الراح من سلسال ذي أشر
قل للكواعب غضي للكرى مقلا * فأعين الزهر أولى منك بالسهر
وللصباح ألا فانشر رداء سنا * هذا الدجى قد طوته راحة السحر
وقام بالقهوة الصهباء ذو هيف * يكاد معطفه ينقد بالنظر

يطفـــو وعليها اذا ماشجها درر * تخالها اختلست من ثغره الخصر
والكاس من كفه بالراح محدقة * كهالة أحدقت فى الافق بالقمر

وقال

تفوّح عن أنفاسا وأشرقن أوجها * فهنّ منيرات الصباح بواسم
لئن كنّ زهرا فالجوانح أبرج * وان كنّ زهرا فالقلوب كمائم

وهو من بديع التقسيم * وقال السميسر

تحفظ من ثيابك ثم صنها * والاسوف تلبسها حدادا
وميز فى زمانك كل حبر * وناظر أهله تسد العبادا
وظن بسائر الاجناس خيرا * وأمّا جنس آدم فالبعادا
أرادونى بجمعهم فردّوا * على الاعقاب قد نكصوا فرادى
وعادوا بعد ذا اخوان صدق * كبعض عقارب رجعت جرادا

وقال ابن رزين وهو من رجال الذخيرة

لا سرّحن نواظرى * فى ذلك الروض النضير
ولا كلنك بالمنى * ولاشربنك بالضمير

وقال سلطان بلنسية عبد الملك بن مروان بن عبد الله بن عبد العزيز

ولا غرو بعدى أن يسود معشر * فيضحى لهم يوم وليس لهم أمس
كذا النجوم الجون تبدو وزواهرا * اذا ماتوارت فى مغاربها الشمس

وتحاكم الى أبى أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسى المعروف بالمتلمس غلامان جميلان لاحدهما وفرة شقراء وللآخر سوداء أيهما أحسن والمتلمس المذكور هو صاحب كتاب الاحكام فيما لا يستغنى عنه الحكام فقال

وشادنين ألمابى على مقة * تنازعا الحسن فى غايات مستبق
كان لمة ذا من نرجس خلقت * على بهار وذا مسك على ورق
وحكما الصبّ فى التفضيل بينهما * ولم يخافا عليه رشوة الحدق
فقام يبدى اليه الريم حجته * مبينا بلسان منه منطلق
فقال وجهى بدر يستضاء به * ولون شعرى مصبوغ من الغسق
وكحل عينىّ سحر للنهى وكذا * والسحر أحسن مايعزى الى الحدق
فقال صاحبه أحسنت وصفك لا * كن فاستمع لمقال فى متفق
أنا على أفق شمس النهار ولم * تغرب وشقرة شعرى حمرة الشفق
وفضل ماعيب فى عينىّ من زرق * أنّ الاسنة قد تعزى الى الزرق
قضيت للمة الشقراء حيث حكمت * لونى كذا جبها يقضى على رمق
فقام ذو اللمة السوداء يرشقنى * سهام أجفانه من شدة الحنق
وقال جرت فقلت الجور منك على * قلبى ولى شاهد من دمعى الغدق
فقلت عفوك اذ أصبحت متهما * فقال دونك هذا الحبل فاختنق

وقال أبو محمد عبد الله بن غالب

ومهفهف خنث الجفون كأنما * من أرجل النمل استفاد عذارا
فتخاله ليلا اذا استقبلته * وتخال مايجرى عليه نهارا

وقال أبو القاسم خلف بن فرج السميسر المتقدم

الناس مثل حباب * والدهر لجة ماء
فعالم فى طفو * وعالم فى انطفاء

وقال أحمد بن برد الاندلسى فى الترجس وهو البهار عند الاندلسيين ويسمى العنبر

تنبه فقد شق البهار مغلسا * كمائمه عن نوره الخضل الندى
مداهن تبر فى أنامل فضة * على أذرع مخروطة من زبرجد

وقال الوزير عبد المجيد بن عبدون فى دار أنزله بها المتوكل بن الافطس وسقفها قديم فهطل عليه المطر منه

أياساميا من جانبيه الى العلا * سموّ حباب الماء حالا الى حال
لعبدك دار حلّ فيها كأنها * ديار لسلمى عافيات بذى الخال
يقول لها لما رأى من دثورها * ألا عم صباحا أيها الطلل البالى
فقالت ولم تعبأ بردّ جوابه * وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
فمر صاحب الانزال فيها بفاصل * فان الفتى يهذى وليس بفعال

قلت وهو أبو عذرة تضمين لامية امرئ القيس وقد أولع الناس بعده بتضمينها * وقال أبو الفضل بن حسداى وكان يهوديا فأسلم ويقال انه من ولد موسى على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء الصلاة والسلام

تورد خدك للاحداق لذات * عليه من عنبر الاصداغ لامات
نيران هجرك للعشاق نار لظى * لكن وصالك ان واصلت جنات
كأنما الراح والراحات تحملها * بدور تم وأيدى الشرب هالات
حشاشة مائر كالماء يقتلها * الا لتحييها منا حشاشات
قد كان من قبلها فى كأسها ثقل * فخف اذ ملئت منها الزجاجات

وقد تبارى المشارقة والمغاربة من المتقدمين والمتأخرين فى هذا الوزن والقافية ولولا خوف السآمة لذكرت من ذلك الجملة الشافية الكافية * ومن سرعة جواب أهل الاندلس ان ابن عبد ربه كان صديقا لابى محمد يحيى القلفاط الشاعر ففسد ما بينهما بسبب ان ابن عبد ربه مرّ به يوما وكان فى مشيه اضطراب فقال أبا عمر ما علمت انك أبرّ الا اليوم لما رأيت مشيك فقال له ابن عبد ربه كذبتك عرسك أبا محمد فغز على القلفاط كلامه وقال له أتتعرض للحرم والله لأرينك كيف الهجاء ثم صنع فيه قصيدة أولها

يا عرس أحمد انى من مع سفرا * فودّعينى سرّا من أبى عمرا

ثم تهاجيا بعد ذلك وكان القلفاط يلقب بطلاس لانه كان أطلس اللحية ويسمى صاحب العقد حبل الثوم فاتفق اجتماعهما يوما عند بعض الوزراء فقال الوزير للقلفاط كيف

قوله وكان القلفاط الخ مقتضى البيتين الآتيين العكس فى اللقبين تامل اه مصححه

حالك اليوم مع أبي عمر فقال مرتجلا

حال طلاس لي عن رائه * وكنت في قعدد ابنائه

فبدر ابن عبدربه وقال

ان كنت في قعدد أبنائه * فقد سقى أمك من مائه

فانقطع القلفاط بخلا وعاش ابن عبدربه ٨٢ سنة رحمه الله تعالى *(ومن الحكايات في مروءة أهل الاندلس ماذكره صاحب الملتمس في ترجمة الكاتب الاديب الشهير أبي الحسين بن جبير صاحب الرحلة وقد قدمنا ترجمته في الباب الخامس من هذا الكتاب وذكرنا هنالك انه كان من أهل المروآت عاشقا في قضاء الحوائج والسعي في حقوق الاخوان وأنشدنا هنالك قوله يحسب الناس باني متعب الى آخره وقد ذكر ذلك كله صاحب الملتمس ثم قال أعني صاحب الملتمس ومن أغرب مايحكى أني كنت أحرص الناس على أن أصاهر قاضي غرناطة أبا محمد عبد المنعم بن الغرس فجعلته يعني ابن جبير الواسطة حتى تيسر ذلك فلم يوفق الله بيني وبين الزوجة فجئته وشكوت له ذلك فقال انا ما كان القصد لي في اجتماعكما ولكن سعيت جهدي في غرضك وها أنا أسعى أيضا في افتراقكما اذهو من غرضك وخرج في الحين ففصل القضية ولم أر في وجهه أولا ولا آخرا عنوانا لامتنان ولا تصعيب ثم انه طرق بابي ففتحت له ودخل وفي يده محفظة فيها مائة دينار مؤمنية ثم قال يا ابن أخي اعلم اني كنت السبب في هذه القضية ولم أشك انك خسرت فيها ما يقارب هذا القدر الذي وجدته الآن عند عملك فبالله الا ماسررتني بقبوله فقلت له أما ما أستحيي منك في هذا الامر والله ان أخذت هذا المال لا أتلفه فيما أتلفت فيه مال والدي من امور الشباب ولا يحل لك أن تمكنني منه بعد أن شرحت لك أمري فتبسم وقال لقد احتلت في الخروج عن المنة بحيلة وانصرف بماله انتهى * ثم قال صاحب الملتمس وتذاكرنا يوما معه حالة الزاهد أبي عمران المارتلي فقال صحبته مدة فما رأيت مثله وأنشدني شعرين ما نسيتهما ولا أنساهما ما استطعت فالاول قوله

الى كم أقول فلا أفعل * وكم ذا أحوم ولا أنزل

وأزجر عيني فلا ترعوي * وأنصح نفسي فلا تقبل

وكم ذا تعلل لي ويحها * بعل وسوف وكم تمطل

وكم ذا أؤمل طول البقا * وأغفل والموت لا يغفل

وفي كل يوم ينادي بنا * منادي الرحيل ألا فارحلوا

أمن بعد سبعين أرجو البقا * وسبع أتت بعدها تجعل

كأن بي وشيكا الى مصرعي * يساق بنعشي ولا أمهل

فيا ليت شعري بعد السؤال * وطول المقام لما أنقل

والثاني قوله

اسمع أخي نصيحتي * والنصح من محض الديانه

لا تقربن الى الشها * دة والوساطة والامانه

قوله في قضاء الخ الاولى حذف في أو هي بمعنى اللام تأمل اه مصححه

قوله أبي عمران في نسخة أبي عثمان اه

تسلم من أن تعزى لزو * ر أو فضول أو خيانه

قال فقلت له أرأيت لم تعمل بوصيته في الوساطة فقال ماساعدتني رقة وجهي على ذلك انتهى

(رجع) الى نظم الاندلسيين * وقال ابن أبي الصلت أمية بن عبد العزيز

أفضل ما استصحب النبيل فلا * تعدل به في المقام والسفر
جرم اذا ما التبست قيمته * جل عن التبر وهو من صفر
مختصر وهو اذ تفتشه * عن ملح العلم غير مختصر
ذو مقلة تستبين ما رمقت * عن صائب اللحظ صادق النظر
تحمله وهو حامل فلكا * لو لم يدر بالبنان لم يدر
مسكنه الارض وهو ينبئنا * عن كل ما في السماء من خبر
أبدعه ربه فكرة بعدت * في اللطف عن أن تقاس بالفكر
فاستوجب الشكر والثناء به * من كل ذي فطنة من البشر
فهو لذي اللب شاهد عجب * على اختلاف العقول والصور

قلت وهي من أحسن ما سمعت في الاصطرلاب وأمر رحمه الله تعالى أن يكتب على قبره

سكنتك يا دار الفناء مصدقا * بأني الى دار البقاء أصير
وأعظم ما في الامر أني صائر * الى عادل في الحكم ليس يجور
فيالبت شعري كيف ألقاه عندها * وزادي قليل والذنوب كثير
فان ألك المجزي بذنبي فانني * بشر عقاب المذنبين جدير
وان يك عفو من غنى ومفضل * فثم نعيم دائم وسرور

وقال ابن خفاجة وهو مما أورده له صاحب الذخيرة

لقد زارني من أهوى على غير موعد * فعاينت بدر التم ذاك التلاقيا
وعاينته والعتب يحلو حديثه * وقد بلغت روحي لديه التراقيا
فلما اجتمعنا قلت من فرحي به * من الشعر بيتا والدموع سواقيا
وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

ومن مجون الاندلسيين هذه القصيدة المنسوبة لسيدي أبي عبد الله بن الازرق وهي

عم باتصال الزمن * ولا تبالي بمن
وهو يوامي بالرضا * من سمج أو حسن
أو من عجوز تحتظي * والظهر منها منحني
أو من مليح مسعد * موافق في الزمن
مهما تبدى خده * يبدو لك الورد الجني
والغصن في أثوابه * اذا تمشى يثنني
لا أم لي لا أم لي * ان لم أبرد تجني
واخلعن في المجو * ن والتصابي رسني
وأجعل الصبر على * هجر الملاح ديدني

٢ قوله أبي عبد الله في نسخة عبد الله دون لفظ أبي اه

ياعاذلى فى مذهبى * أردالك شرب اللبن
أعطيت فى البطن سنا * نا ان تخالف سننى
أى فتى خالفنى * يوما ولما يلقنى
فانى لناصح * وانى وانى
فلا تكن لى لاحيا * وفى الامور استفتنى
فلم أزل أعرب عن * نصحى لمن لم يلحنى
وان تسفه نظرى * ومذهبى وتنهنى
فالصفع تستوجبه * نعم وتتف الذقن
والزبل فى وجهك يعلو باتصال الزمن
وبعد هذا أشتفى * منك ويبرا شجنى
وأضرب الكف أما * م ذلك الوجه الدنى
طقطق طق طقطق طق * أصخ بسمع الاذن
قهقه قح قهقح قح * الضحك يغلبنى
قد كان أولى بك عن * هذى الخازى تثنى
التى تستوجبه * لواسط أو عدن
عرضت بالنفس كذا * الى ارتكاب المحن
أفدى صديقا كان لى * بنفسه يسعدنى
فتارة أنصحه * وتارة ينصحنى
وتارة ألعنه * وتارة يلعننى
وربما أصفعه * وربما يصفعنى
أستغفر الله فهذا القول لايجبنى
ياليت هذا كله * فيما مضى لم يكن
أضحكت والله بذا الحديث من يسمعنى
دهرتو لى وانقضى * عنى كطيف الوسن
ياليتنى لم أره * وليته لم يرنى
دنست فيه جانبى * وملبسى بالدرن
وبعت فيه عيشتى * لكن بخس الثمن
كأننى ولست أد * رى الآن ما كأننى
والله ما التشبيه عند شاعر بهين
لكنه أنطقنى * بالقول ضيق العطن
واحسرتى واأسفى * زلت وضاعت فطنى
لو أنصف الدهر لما * أخرجنى من وطنى
وليس لى من جنة * وليس لى من مسكن

أسرح الطرف وما * لى دمنة فى الدمن
وليس لى من فرس * وليس لى من سكن
ياليت شعرى وعسى * ياليت أن تنفعنى
هل امتطى يوما الى * شرق ظهور السفن
واجتلى ماشئته * فى المنزل المؤتمن
حينئذ أخلع فى * هذى القوافى رسنى
وتحسن الفكرة بالـ * ـفدوش والسمنسنى
واللحم مع شحم كذا * طوابق الكبش الثنى
والبيض فى المقلاة بالـ * ـزيت اللذيذ الدهن
وجلدة الفروج مشـ * ـوى باكثير السمن
من منقذى افديه من * ذا الجوع والتمسكن
وعسلة قد استوى * فيها الفقير والغنى
هل للثريد عودة * الى قد شوقنى
تغوص فيه أنملى * غوص الاكول المحسن
ولى الى الاسفنج شو * ق دائم يطربنى
وللارز الفضل اذ * تطبخه باللبن
وللشواء والرقا * ق من هيام اثننى
واسكت عن الجبن فان * تذكره يذهلنى
ظاهرها كالورد أو * باطنها كالسوسن
أى امرئ أبصرها * يوما ولم يفتتن
تهيم فيها فكر الا * ستاذ والمؤذن
لو كان عندى معدن * لبعت فيها معدنى
لكننى عزمت أن * أبيع كم البدن
والكم قد أكسبه * بعد ولا يكسبنى
لا تنسبوا الى سفها * فالجوع قد أرشدنى
وهات ذكر الكسكو * فهو شريف وسنى
لاسيما ان كان مصـ * ـنوعا بفعل حسن
أرفع منه كورا * بهن تدرى أذنى
وان ذكرت غيرذا * أطعمة فى الوطن
فابدأ من المشوما * ت بالجبن الممكن
من فوقها الفروج قد * أنهى فى التسمن
وثن بالعصيدة التى * بها تطربنى
لاسيما ان صنعت * على يدى ممكن

كذلك البلسياط بالزيت الذى يقنعنى
تطبخه حتى يرى * يحمر فى التلون
والزبزبن فى الصحاف * فحسب أهل البطن
فاسمع قضايا ناصح * يأتى بنصح بين
من اقتنى التقى منى فهو نعم المقتنى
وان فى شاشية الفقير انسا للغنى
تبعدنى عن وصلها * عن وصلها تبعدنى
تؤنسنى عن اللقا * عن اللقا تؤنسنى
فأضلعى ان ذكرت * تهفو كمثل الغصن
كم رمت تقريبا لها * لكنه لم يمكن
وصدنى عن ذا القلة الوفا بالثمن
ايه خليلى هذه * مطاعم لكننى
أعجب من ريقك اذ * يسيل فوق الذقن
هل نلت منها شبعا * فذكرها أشبعنى
وان تكن جوعان يا * صاح فكل بالاذن
فليس عند شاعر * غير كلام الالسن
يصور الاشياء وهى أبدا لم تكن
فقوله يريك ما * ليس يرى بالممكن
فاسمح وسامح واقتنع * واطو حشاك واسكن
ولنتصرف فقصدنا * اطراف هذا الموطن

انتهى

وقال ابن خفاجة رحمه الله تعالى

درسوا العلوم ليمكروا بجدالهم * فيها صدور مراتب ومجالس
وتزهدوا حتى أصابوا فرصة * فى أخذ مال مساجد وكنائس

وهذا المعنى استعمله الشعراء كثيرا * وقال فيما أظن الفقيه الكاتب المحدث الاديب الشهير أبو عبد الله محمد بن الابار القضاعى وقد تكرر ذكره فى هذا الكتاب فى مواضع

لقد غضبت حتى على السمط نخوة * فلم تتقلد غير مبسمها سمطا
وأنكرت الشيب الملم بلمتى * ومن عرف الايام لم ينكر الوخطا

وقال ابن سعيد فى الفتح المعلى فى حقه كاتب مشهور وشاعر مذكور كتب عن ولاة بلنسية وورد رسولا حين أخذ النصارى بخنق تلك الجهات وأنشد قصيدته السينية

أدرك بخيلك خيل الله اندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا

وعارضه جمع من الشعراء ما بين مخطئ ومحروم وأغرى الناس بحفظها اعراء بنى تغلب بقصيدة عمرو بن كلثوم الا أن أخلاقه لم تعنه على الوفاء بأسباب الخدمة فقلصت عنه تلك النعمة وأخر عن تلك العنايه وارتحل الى بجايه وهو الآن بها عاطل من الرتب

خال من حلى الأدب مشتغل بالتصنيف فى فنونه متنقل بواجبه ومسنونه ولى معه مجالسات آنق من الشباب وأبهج من الروض عند نزول السحاب ومما أنشدنيه من شعره

يا حبذا بحديقة دولاب * سكنت الى حركاته الالباب
غنى ولم يطرب وسقى وهو لم * يشرب ومنه العود والاكواب
لو يدعى لطف الهواء أو الهوى * ما كنت فى تصديقه أرتاب
وكأنه مما شد امستهزئ * وكأنه مما بكى نداب
وكأنه بنثاره ومداره * فلك كواكبه لها أذناب انتهى

وقال أبو المعالى القيجاطى

فقلت يا ربعهم أين من * أحببته فيك وأين النديم
فقال عهد قد غدا شمله * كمثل ما ينثر در نظيم

وقال أبو عمرو بن الحكم القبطلى وقبطلة من أعمال وادى اشبيلية

كم أقطع الدهر بالمطال * ساءت وحق الاله حالى
رحلت أبغى بكم نجاحا * فلم تفيدوا سوى ارتحالى
وعدتم ألف ألف وعد * لكننى عددت بالمحال

وقال أبو عمران القلعى

طلعت على والاحوال سود * كما طلع الصباح على الظلام
فقل لى كيف لا أوليك شعرى * واخلاص التحية والسلام

وقال أبو اسحق ابراهيم بن أيوب المرسى

أنا سكران ولكن * من هوى ذاك الفلانى
كلما رمت سلوا * لم يزل بين عيانى

وقال

حبيبى ما الصبك من مراد * سوى أن لا تدوم على البعاد
وان كان ابتعادك بعد هذا * مقيما فالسلام على فؤادى

قال ابن سعيد وكان المذكور اذا غنى هذه الاشعار اللطيفة على الاوتار لم يبق لسامعه عند الهموم من ثار مع أخلاق كريمه وآداب كانسكاب الديمه انتهى * وقال ابن سعيد فى أبى بكر محمد بن عمار البرجى كاتب ابن هود القائل لمن يشهد حربا تحت رايات ابن هود الخ

يا ابن عمار لقد احسبت لى ذاك السميا
فى حلى نظم ونثر * علقا فى مسمعيا
ولقد حزت مكانا * من ذرى الملك عليا
مثل ما قد حاز لكن * عش بنعماك هنيا

وقال أبو بكر عبد الله بن عبد العزيز الاشبيلى المعروف بابن صاحب الرد

يا أبدع الخلق بلا مرية * وجهك فيه فتنة الناظرين

لاسيما اذ نلتقى خطرة * فيغاب الورد على الياسمين
طوبى لمن قد زرته خاليا * فتمتع النفس ولو بعد حين
من ذلك الثغر الذى ورده * مازال فيه لذة الشاربين
وماحوى ذاك الازار الذى * لم يعد عنه أمل الزائرين

وهذه الابيات يقولها فى غلام كان من أدباء اشبيلية قد فتن بوابه وكان مروره على داره وحكى عنه انه أعطاه فى زيارة خمسين دينارا ومرت أيام ثم صادفه عند داره فقال له أتريد أن أزورك ثانية فقال لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وهذا الجواب على مافيه من قلة الادب وهتك حجاب الشريعة من أشد الاجوبة اصابة للغرض والله تعالى يسمح له فقد قال ابن سعيد فى حقه ان بيته باشبيلية من أجل البيوت ولم يزل له مع تقلب الزمان ظهور وخفوت وكان أديبا شاعرا ذواقا لاطراف العلوم انتهى * ومن المشهورين بالمجون والخلاعة بالاندلس مع البلاغة والبراعة أبو جعفر احمد بن طلحة الوزير الكاتب وهو من بيت مشهور من جزيرة شقر من عمل بلنسية وكتب عن ولاة من بنى عبد المؤمن ثم استكتبه السلطان ابن هود حين تغلب على الاندلس وربما استوزره فى بعض الاحيان وقال ابن سعيد وهو ممن كان والدى يكثر مجالسته ولم أستفد منه الا ما كنت أحفظه فى مجالسته وكان شديد التهور كثير الطيش ذاهبا بنفسه كل مذهب سمعته مرة وهو فى محفل يقول تقيمون القيامة لحبيب والبحترى والمتنبى وفى عصركم من يهتدى الى مالم يهتدوا اليه فأهوى له شخص له لحية واقدام فقال يا أبا جعفر فارنا برهان ذلك ما أظنك تعنى الانفس فقال نعم ولم لا وأنا الذى أقول مالم يتنبه اليه متقدم ولا يهتدى لمثله متأخر

ياهل ترى أطرف من يومنا * قد جيد الافق طوق العقيق
وأنطق الورق بعيدانها * مرقصة كل قضيب وريق
والشمس لاتشرب خمر الندى * فى الارض الا بكؤس الشقيق

فلم ينصفوه فى الاستحسان وردوه فى الغيظ الى أضيق مكان فقلت له ياسيدى هذا هو السحر الحلال فبالله الا مازدتنى من هذا النمط فقال

أدرها فالسما بدت عروسا * مضمخة الملابس بالغوالى
وخد الروض أحمره أصيل * وجفن النهر كحل بالظلال
وجيد الغصن يشرق من لآل * تفيضه بهن أكف الليالى

فقلت زد وعد فعاد والارتياح قد ملك عطفه والتيه قد رفع أنفه فقال

لله نهر عند مازرته * عاين طرفى منه سحرا حلال
اذ أصبح الظل به ليلة * وجال فيه الغصن شبه الخيال

فقلت زد فأنشد

ولما ماج بحر الليل بينى * وبينكم وقد جدت ذكرا
أراد لقاكم انسان عينى * فمد له المنام عليه جسرا

فقلت ايه فقال

ولما أن رأى انسان عيني * بصحن الخد منه غريق ماء
أقام له العذار عليه جسرا * كما مد الظلام على الضياء

فقلت أعد فأعاد وقال حسبك لئلا تكثر عليك المعاني فلا تقوم بحق قيمتها وانشد

هات المدام اذا رأيت شبيهها * في الافق يا فردا بغير شبيه
فالصبح قد ذبح الظلام بنصله * فغدت تخاصمه الحمائم فيه انتهى

ثم قال وكان قد تهتك في غلام لابن هود ولكثرة انهزام ابن هود ربما انهزم مع العلج وفيه يقول

ألفت الحرب حتى علمتني * مقارعة الحوادث والخطوب
ولم أك عالما وأبيك حربا * بغير لواحظ الرشا الربيب
فها أنا بين تلك وبين هذى * مصاب من عدو أو حبيب

ولما هرب العلج الى سبتة أحسن اليه القائم بها أبو العباس البنتي فلم يقنع بذلك الاحسان وكان ياتي بما يوغر صدره فقال يوما في مجلسه رميت مرة بقوس فبلغ السهم الى كذا فقال ابن طلحة لشخص بجانبه لو كان قوس قزح ما بلغ الى كذا فشعر بقوله فاسرها في نفسه ثم بلغه انه هجاه بقوله

سمعنا بالموفق فارتحلنا * وشافهنا له حسب وعلم
ورمت يدا أقبلها وأخرى * أعيش بفضلها أبدا وأسمو
فأنشدنا لسان الحال فيه * يدشلا وأمر لا يتم

فزاد في حنقه وبقي يترصد له الغوائل فحفظت عنه أبيات وهو في حالة استهتار في شهر رمضان وهي

يقول أخو الفضول وقد رآنا * على الايمان يغلبنا المجون
أتنتهكون شهر الصوم هلا * حماه منكم عقل ودين
فقلت اصحب سوانا نحن قوم * زنادقة مذاهبنا فنون
ندين بكل دين غير دين الـ * ـرعاع فحابه أبدا ندين
نحق على الصبوح الزهر ندعو * وابليس يقول لنا أمين
فيا شهر الصيام اليك عنا * اليك فقيك أكفر ما تكون

فأرسل اليه من هجم عليه وهو على هذه الحال وأظهر انه يرضى العامة بقتله فقتله وذلك سنة ٦٣١ انتهى وحاكى الكفر ليس بكافر والله سبحانه وتعالى للزلات غير الكفر غافر

وقال محمد بن أحمد الاشبيلي ابن البناء

كأنك من جنس الكواكب كنت لم * يفتك طلوعا حالها وتواريا
تجليت من شرق تروق تلألؤا * فلما تجيت الغرب أصبحت هاويا

ولما أمر المستنصر الموحدي بضرب ابن غالب الدانى ألف سوط وصلبه وضرب باشبيلية خمسمائة نفسات وضرب بقية الالف حتى تناثر لحمه ثم صلب قال ابنه أبو الربيع يرثيه

جهـــلا لمثلك أن يبكى لما قدرا * وأن يقول أسى يا ليته قبرا
فاضت دموعك ان قاموا بأعظمه * وقد تطاير عنـه اللحم وانتثرا

ومنها

ضاقت به الارض مما كان حملها * من الايادى فملت شكره ضجرا
وعـز جسمك أن يحظى به كفن * فما تسمر بل الا الشمس والقمرا

وقال أبو العلاء عبد الحق المرسى رحمه الله تعالى

يا أبا عمران دعنى والذى * لم يمل بى خاطرى الا اليه
ما نديمى غير من يخدمنى * لا الذى يجلسنى بين يديه
يرفع الكلفة عنى ويرى * انها واجبة منى عليه

وقال ابن غالب الكاتب بمالقة

لا تخش قولا قد عقدت الالسنا * وابعث خيالك قد سحرت الاعينا
واعطف علىّ فان روحى زاهق * وانظر الىّ بنظرة ان أمكنا
لا يخدعنك أن ترانى لابسا * ثوبى فقد أصبحت فيه مكفنا
ما زال سحرك يستميل خواطرى * بأرق من ماء الصفاء وألينا
حتى غدوت بحر حبك زاخر * فرمت بى الامواج فى شط الضنى

وقال

ما للنسيم لدى الاصيل عليلا * أتراه يشكو زفرة وغليلا
جر الذيول على ديار أحبتى * فأتى يجر من السقام ذيولا

وقال أبو عبد الله بن عساكر الغسانى قاضى مالقة

أهوى الذى بدر وأهوى الذى * يعذلنى فيك وأهوى الرقيب
والجمار والدار ومن حلها * وكل من مر بها من قريب
ما ان تنصرت ولكننى * أقول بالتثليث قولا غريب
يطابق الالحان والكاس اذ * تبسم عجبا والغزال الربيب

وكان أبو أمية بن غفير قاضى اشبيلية مع براعته وتقدمه فى العلوم الشرعيه أقوى الناس بالعلوم الادبية المرعيه وقد اشتهر بسرعة الخاطر فى الارتجال وعدم المناظر له فى ذلك المجال قال ابن سعيد رأيته كثيرا ما يصنع القصائد والمقطعات وهو يتحدث أو يفصل بين الغرماء فى أكثر الاوقات ومن شعره

ديارهم صاح نصب عينى * وليس لى وصلة اليها
الا سلامى لدى ابتعاد * من بعد سكانها عليها

وقوله رحمه الله تعالى

ووجه تغرق الابصار فيه * ولكن يترك الارواح فيما
أتانى ثم حيانى حبيب * به وأباح لى الخد الرقيما
فمر لنا مجون فى فنون * سلكت به الصراط المستقيما

قلت أما مجرد الارتجال فأمر عن الكثير صادر وأما كونه مع التحدث أو فصل الخصومات فهو نادر وقد حكينا منها في هذا الكتاب في القسم الاول موارد ومصادر ويعجبني من الواقع لاهل المشرق من ذلك قضية علي بن ظافر اذ قال بت ليلة والشهاب يعقوب ابن أخت نجم الدين في منزل اعترفت له مشيدات القصور بالانخفاض والقصور وشهدت له ساميات البروج بالاعتلاء والعروج قد بيضت حيطانه وطاب استيطانه وابتهج به سكانه وقطانه والبدر قد محا خضاب الظلماء وحكى محياه في زرقة قناع السماء وكسا الجدران ثيابا من فضه ونثر كافوره على مسك الثرى بعد أن سحقه ورضه والروض قد ابتسم محياه ووشت بأسرار محاسنه رياه والنسيم قد عانق قامات الاغصان فميلها وغصبها مباسم نورها فقبلها وعندنا مغن قد وقع على تفضيله الاجماع وتغايرت على محاسنه الابصار والاسماع ان بدا فالشمس طالعه وان شدا فالورق ساجعه تغازله مقلة سراج قد قصر على وجهه تحديقه وقابله فقلنا البدر قابل عيوقه وهو يغار عليه من النسيم كلما خفق وهب ويستحيش عليه بتلويح بارقه الموشى بالذهب ويديم حرقته وسهده ويبذل في الطافه طاقته وجهده فتارة يضمخه بخلوقه وتارة يحليه بعقيقه وآونة يكسوه أثواب شقيقه فلم يزل كذلك حتى نعس طرف المصباح واستيقظ نائم الصباح فصنعت بديهتي في المجلس وكتبت بها الى الاعز بن المؤيد رحمه الله تعالى أصف تلك الليلة التي ارتفعت على أيام الاعياد كارتفاع الرؤس على الاجياد بل فضلت ليلات الدهر كفضل البدر على النجوم الزهر

غبت عني يا ابن المؤيد في وقت شهي يلهى المحب المشوقا
ليلة ظل بدرها يلبس الجد * ران ثوبا مفضضا مرموقا
وغدا الطل فيه يثر كافو * رافيعلو مسك التراب السحيقا
وتبدى النسيم يعتنق الأغ * صان لما سرى عناقا رفيقا
بت فيها منادما لصديق * ظل بين الانام خلا صدوقا
هو مثل الهلال وجها صبيحا * ومثال النسيم ذهنا رقيقا
وغزال كالبدر وجها وغصن الـ * ـبان قدا والخمرة الصرف ريقا
مظهر للعيون ردفا مهيلا * وحشانا حلا وقدا رشيقا
ان تغنى سمعت داود أولا * ح تأملت يوسف الصديقا
واذا قابل السراج رأينا * منه بدرا يقابل العيوقا
وأظن الصباح هام بمرآ * ه فأبدى قلبا حريقا خفوقا
هو نجم مالاح في الجدر كافو * ر رياض الاكساء خلوقا
مابدا نرجس الكواكب الا * قام في قومه يرينا الشقيقا
واذا مابدت جواهرها في السجو أبدى في الارض منهم عقيقا
فغدونا تحت الدجى نتعاطى * من رقيق الآداب خمرا رقيقا
وجعلنا يحاتشا طيب ذكرا * ك نخلناه عنبرا مفتوقا

ذاك وقت لولا مغيبك عنه * كان بالمدح والثناء خليقا

قال فأجاب عنها من الوزن دون الروى

قد أتتنى من الجمال قصيد * يالها من قصيدة غراء
جمعت رقة الهواء وطيب النسمة فى سبكها وصفو الماء
فارتنا طباعه وشذاه * والذى حاز ذهنه من ذكاء
سيدى هل جمعت فيها اللآلى * يا أخا المجد أم نجوم السماء
أفحمتنى حسنا وحق أياديك التى لا تعد با لاحصاء
فتركت الجواب والله عجزا * فابسط العذر فيه يا مولاى
هل يسامى الثرى الثريا وأنى * يدعى النجم فرط نور ذكاء انتهى

(رجع) الى أهل الاندلس * وقال ابن السمان

اياك أن تكثر الاخوان مغتنما * فى كل يوم الى أن يكثر العدد
فى واحد منهم تصفى الوداد له * من التكاليف ما يفنى به الجلد

وله

تحن ركابى نحو أرض ومالها * ومالى من ذاك الحنين سوى الهوى
وكم راغب فى موضع لا ينالها * وأمسيت منه مثل يونس فى اليم
بهذا قضى الرحمن فى كل ساخط * يموت على كره ويحيا على رغم

ولما قام الباجى باشبيلية وخلع طاعة ابن هود وأبدل شعاره الاسود العباسى فى البنود قال أبو محمد عبد الحق الزهرى القرطبى فى ذلك

كأنما الراية السوداء قد نصبت * لهم غرابا بين الاهل والولد
مات الهوا تحتها من فرط روعته * فأظهر الدهر منها البسة الكمد

وأنشدهما القائم الباجى فى جملة قصيدة * وقال الوزير أبو الوليد اسمعيل بن حجاج الاعلم الاشبيلى

أمسى الفراش يطوف حول كؤسنا * اذ خالها تحت الدجى قنديلا
مازال يخفق حولها بجناحه * حتى رمته على الفراش قتيلا

وله

لاموا على حب الصبا والكاس * لما بدا وضح المشيب برأسى
والغصن أحوج ما يكون لسقيه * أيام يبدو بالازاهر كاسى

وله وقد رأى على نهر قرطبة ثلاثين نفسا مصلوبين من قطاع الطريق

ثلاثون قد صفوا كلهم * وقد فتحوا أذرعا للوداع
وما ودعوا غير أرواحهم * فكان وداعا لغير اجتماع

وله فى فتى وسيم عض كاب وجنته

وأغيد وضاح المباسم باسم * اذا قام رد الارواح ناظر مقمر
تعمد كاب عض وجنته التى * هى الورد ينشا وأبقى بها الثر

فقلت لشهب الافق كيف صماتكم * وقد أثر العوّاء في صفحة القمر

وقال الفقيه أبو الحجاج يوسف بن محمد البياسي المؤرخ الاديب المصنف الشهير وكان حافظا لنكت الاندلسيين حديثا وقديما ذاكرا لفكاهاتهم التي صيرته للملوك خليلا ونديما في صبي من أعيان الجزيرة الخضراء تهافت في حبه جماعة من الادباء والشعراء وكان من القوم الذين هاموا بالمذكور وقاموا فيه المقام المشهور أديب يقال له الفار فتسلط على البياسي حتى سافر من الجزيرة وكان يلقب بالقط

عذرت أبا الحجاج من رب شيبة * غدا لابسا في الحب ثوبا من العار
وألجأه الفار المشارك للنوى * ولم أر قط قبله فر من فار

وله

قد سلونا عن الذي تدريه * وجفوناه اذ جفا بالتيه
وتركناه صاغرا لاناس * خدعوه بالزور والتمويه
ناصل يسوقه ناصل * وسفيه يقوده لسفيه

وله وقد كتب الى بعض أصحابه يذكره بالايام السوالف

أبا حسن لعمرك ان ذكرى * لايام النعيم من الصواب
أمثلي ليس يذكر عهد حمص * وقد جمعت بنا خيل التصابي
ونحن نجر أثواب الاماني * مطرزة هنالك بالشباب
وعهد بالجزيرة ليس ينسى * وان أغفلته عند الخطاب
هوالأ على لدى وان حمانى * عن العسل اجتماع للذباب

وسار الى المحبوب وكان كثير الاجتماع به في جنة لوالده على وادي العسل فقال

جنة وادي العسل * كم لي بها من أمل
لو لم يكن ذبابها * يمنع ذوق العسل

قال ابن سعيد ولما التقينا بتونس بعد ايابي من المشرق وقد وخ ظلام الشعر على وجهه المشرق قلت لابي الحجاج مشيرا الى محبوبه وقد غطى هواه عنده على عيوبه

خل أبا الحجاج هذا الذي * قد كنت فيه دائم الوجد
وانظر الى لامته واعتبر * مما جنى الشعر على الخد

والله سبحانه يسمح للجميع في هذا الهزل الشنيع ويصفح عنا في ذكره انه مجيب سميع * وقال صاحب البدائع ركب الاستاذ أبو محمد بن صارة مع أصحاب له في نهر اشبيلية في عشية سال أصيلها على لجين الماء عقيانا وطارت زواريقها في سماء النهر عقبانا وأبدى نسيمها من الامواج والدارات سررا وأعكانا في زورق يجول جولان الطرف ويسوّد اسوداد الطرف فقال بديها

تأمل حالنا والجو طلق * محياه وقد طفل المساء
وقد جالت بنا عذراء سبلى * تجاذب مرطها ريح رخاء
بنهر كالسجنجل كوثري * تعبس وجهها فيه السماء

واتفق أن وقف أبو اسحق بن خفاجة على القطعة واستظرفها واستلطفها فقال يعارضها على وزنها ورويها وطريقتها

ألا ياحبذا ضحك الحيا * بجناتها وقد عبس المساء
وأدهم من جياد الماء مهر * تنازع جله ريح رخاء
اذا بدت الكواكب فيه غرقى * رأيت الارض تحسدها السماء انتهى

وقال الاديب ابن خفاجة فى ديوانه صاحبت فى صدرى من المغرب سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة أبا محمد عبد الجليل بن وهبون شاعر المعتمد وكان أبو جعفر بن رشيق يومئذ قد تمنع ببعض حصون مرسية وشرع فى النفاق فقطع السبيل وأخاف الطريق ولما حاذينا قلعته وقد احتدمت جمرة الهجير ومل الركب رسيمه وذميله وأخذ كل منا يرتاد مقيله اتفقنا على أن لا نطعم طعاما ولا نذوق مناما حتى نقول فى صورة تلك الحال وذلك الترحال ما حضر وشاء الله أن أجبل ابن وهبون واعتذر وأخذت عفو خاطرى فقلت أتربص به وأعرض بعظم ليته

ألا قل للمريض القلب مهلا * فان السيف قد ضمن الشفاء
ولم أر كالنفاق شكاة غر * ولا كدم الوريد له دواء
وقد دحى النجيع هنالك أرضا * وقد شمل العجاج به سماء
وديس به انحطاط ابن واد * مذ أعشب شعر ليته ضراء

وقال ابن خفاجة أيضا حضرت يوما مع أصحاب لى ومعهم صبى منهم فى نفسه واتفق انهم تحاوروا فى تفضيل الرمان على العنب فانبرى ذلك الصبى فأفرط فى تفضيل العنب فقلت بديها أعبث به

صلى لك الخير برمانة * لم تنتقل عن كرم العهد
لا عنبا أمتص عنقوده * ثديا كأنى بعد فى المهد
وهل يرى بينهما نسبة * من عدل الخصية بالنهد

فخجل خجلا شديدا وانصرف قال وخرجت يوما بشاطبة الى باب السمارين ابتغاء الفرجة على خرير ذلك الماء بتلك الساقية وذلك سنة ٤٨٠ واذا بالفقيه أبى عمران بن ابى تليد رحمه الله تعالى قد سبقنى الى ذلك فألفيته جالسا على دكان كانت هنالك مبنية لهذا الشان فسلمت عليه وجلست اليه مستأنسا به فجرى أثناء ما تناشدناه ذكر قول ابن رشيق

يا من يمر ولا تمر به القلوب من الفرق
بعمامة من خده * أو خده منها استرق
فكأنه وكأنها * قمر تعمم بالشفق
فاذا بدا واذا انثنى * واذا شدا واذا نطق
شغل الخواطر والجوا * نح والمسامع والحدق

فقلت وقد أعجب بها جدا وأثنى عليها كثيرا أحسن ما فى القطعة سياقه الاعداد والا فأنت تراه قد استرسل فلم يتقابل بين ألفاظ البيت الاخير والبيت الذى قبله فينزل بازاء

كل واحدة منهما ما يلائمها وهل ينزل بازاء قوله واذا نطق قوله شغل الحدق وكانه نازعني القول في هذا غاية الجهد فقلت بديها

ومهفهف طاوي الحشا * خفت المعاطف والنظر
ملأ العيون بصورة * تليت محاسنها سور
فاذا رنا واذا مشى * واذا شدا واذا سفر
فضح الغزالة والغما * مة والحمامة والقمر

فجن بها استحسانا انتهى قال ابن ظافر والقطعة القافية ليست لابن رشيق بل هي لابي الحسين علي بن بشر الكاتب أحد شعراء اليتيمة * وكان بين السميسر الشاعر وبين بعض رؤساء المرية واقع لمدح مدحه فلم يجزه عليه فصنع ذلك الرجل دعوة للمعتصم بن صمادح صاحب المرية واحتفل فيها بما يحتفل مثله في دعوة سلطان مثل المعتصم فصبر السميسر الى أن ركب السلطان متوجها الى الدعوة فوقف له في الطريق فلما حاذاه رفع صوته بقوله

يا أيها الملك الميمون طائره * ومن لذى مأتم في وجهه عرس
لا تفرسن طعاما عند غيركم * ان الاسود على المأكول تفترس

فقال المعتصم صدق والله ورجع من الطريق وفسد على الرجل ما كان عمله * ونظير هذه الحكاية أن عباد بن الحريش كان قد مدح رجلا من كبار أصبهان أرباب الضيع والاملاك والتبع الكثير فعطله بالجائزة ثم أجازه بما لم يرضه فرده عليه وبعد ذلك بحين عمل الرجل دعوة غرم عليها الوف دنانير كثيرة لابي دلف القاسم بن عيسى العجلي على أن يجيء اليه من الكرج ووصل أبو دلف فلما وقعت عين عباد عليه وهو يسابر بعض خواصه أومأ الى ذلك السائر وأنشد بأعلى صوته قل له يا فديته * قول عباد ذا سمج

جئت في ألف فارس * لغداء من الكرج
ما على النفس بعد ذا * في الدنا آت من حرج

فقال أبو دلف وكان أخوف الناس من شاعر صدق والله أجيء من الكرج الى أصبهان حتى أتغدى بها والله ما بعد هذا في دناءة النفس من شيء ثم رجع من طريقه وفسد على الرجل كل ما غرمه وعرف من أين أتى وتخوف أن يعود عباد عليه بشر منها فسير اليه جائزة سنية مع جماعة من أصحابه فاجتمعوا به وسألوه فيه وفي قبول الجائزة فلم يقبل الجائزة ثم أنشد بديها

وهبت يا قوم لكم عرضه * كرامة للشعر لا للفتى

فقالوا جزاك الله تعالى خيرا فقال

لانه أبخل من ذرة * على الذي تجمعه في الشتا

انتهى

وذكر أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسي ما معناه انه عزم بمصر هو ورفقة له على الاصطباح فقصد وا بركة الحبش في وقت ولاية الغبش وحلوا منها روضا بسم زهره ونسم عطره فأداروا كؤسا تطلع من المدام شموسا وعاينوها نجوما تكون لشياطين الهموم رجوما فطرب حتى أظهر الطرب نشاطه وأبرز ابتهاجه وانبساطه فقال

لله يومى بركة الحبش * والجو بين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب * كصارم فى يمين مرتعش
ونحن فى روضة مفوفة * ديج بالنور عطفها ووشى
قد نسجتها يد الغمام لنا * فنحن من نورها على فرش
فناولنى الراح ان تاركها * من سورة الهم غير منتعش
وأسقنى بالكبار مترعة * فهن أروى لشدة العطش
فأثقل الناس كلهم رجل * دعاه داعى الصباح فلم يطش

وهذا أبو الصلت أمية من كبراء أدباء الاندلس العلماء الحكماء وقد ترجمناه فى الباب الخامس فى المرتحلين من الاندلس الى المشرق * وقال رحمه الله تعالى كنت مع الحسن بن على ابن تميم بن المعز بن باديس بالمهدية فى الميدان وقد وقف يرمى بالنشاب فصنعت فيه بديها

يا ملكا مذ خلقت كفه * لم تدر الا الجود والباسا
ان النجوم الزهر مع بعدها * قد حسدت فى قربك الناسا
وودت الاملاك لو أنها * تحولت تحتك أفراسا
كما تمنى البدر لو أنه * عاد لنشابك برجاسا انتهى

قوله همشك فى نسخة هميشك اه

وصنع الوزير أبو جعفر أحمد الوقشى وزير الرئيس أبى اسحق بن همشك صهر الامير أبى عبد الله محمد بن مردنيش فى غلام أسود فى يده قضيب نور بديها

وزنجى أتى بقضيب نور * وقد زفت لنا بنت الكروم
فقال فتى من الفتيان صفها * فقلت الليل أقبل بالنجوم

ولما أفرط أبو يحيى البكى فى هجاء أهل فاس تعسفوا عليه وساعدهم واليهم مظفر الخصى من قبل أمير المسلمين على بن يوسف والقائد عبد الله بن خيار الجيانى وكان يتولى امور اسطانية بها فقدموا رجلا ادعى عليه بدين وشهد عليه به رجل فقيه يعرف بالزناتى ورجل آخر يكنى بأبى الحسين من مشايخ البلد فأثبت الحق عليه وأمر به الى السجن فرفع اليه وسيق سوقا عنيفا فلما وصل الى بابه طلب ورقة من كاتبه وكتب فيها وأنفذها الى مظفر مع العون الذى أوصله الى السجن فكان ما كتب

ارشوا الزناتى الفقيه بيضة * يشهد بأن مظفرا ذو بيضتين
واهدوا اليه دجاجة يحلف لكم * ما نال عبد الله عرس أبى الحسين

قوله أبو الحسن فى نسخة أبو الحسين اه

وقال أبو الحسن على بن عتيق بن مؤمن القرطبى الانصارى عمل والدى محمد للكتب من قضبان تشبه سلما فدخل عليه أبو محمد عبد الله بن مفيد فرآه فقال ارتجالا

أيها السيد الذكى الجنان * لا تقسنى بسلم البنيان
فضل شكلى على السلالم أنى * محمل للعلوم والقرآن
حزت من جلسة المحبين ضعفى * واصفرارى ورقة الابدان
فادع للصانع المجيد بفوز * ثم والى الدعاء للاخوان

ثم عمل أيضا

أيها السيد الكريم المساعى * التفت صنعتى وحسن ابتداعى
أنا للنسخ محمل خف حملى * أنا فى الشكل سلم الاطلاع

وقال أحمد بن رضى المالقى

ليس المدامة مما أستريح له * ولا مجاوبة الاوتار والنغم
وانما الذى كتب أطالعها * وخادمى أبدا فى نصرتى قلمى

وقال أبو القاسم البلوى الاشبيلى

لمن أشكو مصابى فى البرايا * ولا ألقى سوى رجل مصابى
أمور لو تدبرها حكيم * لعاش مدى الزمان أخا كتئاب
أمانى الدهر من أفشى اليه * باسرارى فيؤنس بالجواب
يئست من الانام فما جليس * يعز على نهاى سوى كتابى

وقال أبو زكريا يحيى بن صفوان بن ادريس صاحب كتاب المجالة وزاد المسافر وغيرهما

ليت شعرى كيف أنتم * وأنا الصب المعنى
كل شئ لم تكونوا * فيه لفظ دون معنى

وله فى نصرانى وسيم لقيه يوم عيد

يوحد فى الحسن من لم يزل * يثلث والقلب فى صده
يشف لك الماء من كفه * ويقتدح النار من خده

وهذان البيتان نسبهما له بعض معاشريه وابو صفوان سابق الميدان * وقال ابن بسام سار ابن عمار فى بعض أسفاره غلامان من بنى جهور أحدهما أشقر العذار والآخر أخضره فجعل يميل بحديثه للمخضر العذار ثم قال ارتجالا

تعلقته جهورى النجار * حلى اللمى جوهرى الثنايا
من النفر البيض اسد الزمان * رقاق الحواشى كرام السجايا
ولا غرو أن تغرب الشارقات * وتبقى محاسنها بالعشايا
ولا وصل الاجمان الحديث * نساقطه من ظهور المطايا
شننت المثلث للزعفران * وملت الى خضرة فى التفايا انتهى

ومعناه أن ابن عمار ابغض المثلث لدخول الزعفران فيه لشبهه بعذار الاشقر منهما وأحب خضرة التفاياوهو لون طعام يعمل بالكزبرة لشبهها بعذار الاخضر منهما * وقال أبو العرب بن معيشة الكنانى السبتى أخبرنى شيخ من أهل اشبيلية كان قد أدرك دولة آل عباد وكان عليه من اثر كبر السن ودلائل التعمير ما يشهد له بالصدق وينطق بأن قوله الحق قال كنت فى صباى حسن الصورة بديع الخلقة لا تلمحنى عين أحد الا ملكت قلبه وخلبت خلبه وسلبت لبه واطلت كربه فبينا أنا واقف على باب دارنا اذا بالوزير أبى بكر ابن عمار قد أقبل فى موكب زجل على فرس كالصخرة الصماء قذفت من قنة الجبل فحين حاذانى ورآنى اشر أب الى ينظرنى وبهت يتأملنى ثم دفع بمخصرة كانت بيده فى صدرى

وأنشد

كف هذا النهد عنى * فبقلبى منه جرح
هو فى صدر لنهد * وهو فى صدرى رمح

وعبر فى البدائع على طريقة القلائد بما صورته ذكر الفتح بن خاقان ما هذا معناه أخبرنى ذو الوزارتين أبو المطرف بن عبد العزيز انه حضر عند المؤتمن بن هود فى يوم أجرى الجو فيه أشقر برقه ورمى بنبل ودقه وحملت الرياح فيه أوقار السحاب على أعناقها وتمايلت قامات الاغصان فى الحلل الخضر من أوراقها والازهار قد تفتحت عيونها والكمائم قد ظهر مكنونها والاشجار قد انصقلت بالقطر ونشرت ما يفوق ألوان البز وبثت ما يعلو العطر والراح قد أشرقت نجومها فى بروج الراح وحاكت شمسها شمس الافق فتلفعت بغيوم الاقداح ومديرها قد ذاب ظرفا فكاد يسيل من اهابه وأخجل خدها حسنا فتكاد بعرق حبابه اذا بفتى رومى من أصبح فتيان المؤتمن قد أقبل متدرعا كالبدر اجتاب سحابا والخمر اكتست حبابا والطاوس انقلب حبابا فهو ملك حسنا الا انه جسد وغزال لينا الا انه فى هيئة الاسد وقد جاء يريد استشارة المؤتمن فى الخروج الى موضع كان عول فيه عليه وأمره أن يتوجه اليه فحين وصل الى حضرته لمحه ابن عمار والسكر قد استحوذ على لبه وانبث سراياه فى ضواحى قلبه فاشار اليه وقربه واستبدع ذلك اللباس واستغربه وجد فى أن يستخرج تلك الدرة من ماء ذلك الدلاص وأن يجلى عنه كما يجلى الخبث عن الخلاص وأن يوفر على ذلك الوفر نعمة جسمه ويكون هو الساقى على عادته القديمة ورسمه فأمره المؤتمن بقبول أمره وامتثاله واحتذاء أمثاله فحين ظهرت تلك الشمس من حجبها ورمت شياطين النفوس من كمت المدام بشهبها ارتجل ابن عمار

وهويته يسقى المدام كانه * قمر يدور بكوكب فى مجلس
متناوح الحركات يندى عطفه * كالغصن هزته الصبا يتنفس
يسقى بكاس فى أنامل سوسن * ويدير أخرى من محاجر نرجس
يا حامل السيف الطويل نجاده * ومصرف الفرس القصير المحبس
اياك بادرة الوغى من فارس * خشن القناع على عذار أملس
جهم وان حسر القناع فانما * كشف الظلام عن النهار المشمس
يطغى ويلعب فى دلال عذاره * كالمهر يلعب فى اللجام المجرس
سلم فقد قصف القنا غصن النقا * وسطا بليث الغاب ظبى المكنس
عنا بكاسك قد كفتنا مقلة * حوراء قائمة بسكر المجلس

وصنع فيه أيضا

وأحور من ظباء الروم عاط * بالفتيه من دمعى فريد
قساقلبا وشن عليه درعا * فباطنه وظاهره حديد
بكيت وقد دنا ونأى رضاه * وقد يبكى من الطرب الجليد

قوله انقلب حبابا فى البدائع تحبابا اه

قوله ضواحى فى البدائع نواحى اه

قوله وان يجلى عنه كما الخ فى البدائع وان يجلى عنه سهكه كما الخ اه

قوله يندى فى البدائع يبدى بالباء اه

وان فتى ملكه برق * وأحرز حسنه لفتى سعيد انتهى

وقال فى البدائع مؤلفه مانصه خرج المعتصم بن صمادح صاحب المرية يوما الى بعض منتزهاته فحل بروضة قد سفرت عن وجهها البهيج وتنفست عن مسكها الاريج وماست معاطف أغصانها وتكللت بلؤلؤ الطل أجياد قضبانها فتشوف الى الوزير أبى طالب بن غانم أحد كبراء دولته وسيوف صولته فكتب اليه بديها بورقة كرنب بعود من شجرة

اقبل أباطالب الينا * واسقط سقوط الندى علينا

فى البدائع بيت آخر بعد هذا وهو

(فنحن عقد بغير وسطى * مالم تكن حاضر الدينا) اه

وجلس المعتصم بن صمادح المذكور يوما وبين يديه ساقية قد أخذت ببردها حر الاوار والتوى ماؤها فيها التواء فضة السوار فقال ارتجالا

انظر الى الماء كيف انحط فى صببه * كانه أرقم قد جد فى هرب

وقال السميسر

بعود شربن دمى قهوة * وغنينى بضروب الاغانى
كان عروقى أوتار هن * وجسمى الرباب وهن القنانى

وقيل

بعوض وبرغوث وبق لزمننى * حسبن دمى خمرا فلذلها الخمر
فيرقص برغوث لزمر بعوضة * وبقهم سكت ليستمع الزمر

ومنه

بق و برغوث أتوا * نحوى وقد شدوا عذابى
وأتى البعوض بزمره * ياقوم أخرج من ثيابى

وأحسن منه قول ابن شرف القيروانى

لك مجلس كملت بشارة لهونا * فيه ولكن تحت ذاك حديث
غنى الذباب فظل يزمر حوله * فيه البعوض ويرقص البرغوث

والسابق الى هذا المعنى أبو أحمد بن أيوب من شعراء اليتيمة اذ قال

لا أعذل الليل فى تطاوله * لو كان يدرى ما نحن فيه نقص
لى والبراغيث والبعوض اذا * اجننا حندس الظلام قصص
اذا تغنى بعوضه طربا * أطرب برغوثه الغنا فرقص

ونحو هذا قول الحصرى فيما نسبه اليه ابن دحية

ضاقت بلذيذ بى * وذاد عنى غموضى
رقص البراغيث فيها * على غناء البعوض

قوله ابن سعد فى البدائع أبو سعد اه

(رجع) الى أهل الاندلس فنقول كان ابن سعد الخير البلنسى الشاعر كثير الذهول مفرط النسيان ظاهر التغفل على جودة نظمه ورطوبة طبعه وكان كثيرا ما يسكن الاسكافيين الذين يعملون الخفاف على بغلة له فاتخذت البغلة النفور من أطراف الادم وفضلات الجلود الملقاة فى السكة عادة لها واتفق أن عبر فى السكة راجلا ومعه جماعة

من

من أصحابه فلما رأى الجلود الملقاة قفز ووثب راجعا على عقبيه فقال له أصحابه ما هذا أيها الاستاذ فقال البغلة تنفرت فعجبوا من تغفله كيف ظن مع ما يقاسيه من ألم المشى ونصب التعب انه راكب وأن حركته الاختيارية منه حركة الدابة الضرورية له فكان تغفله ربما أوقعه فى تهمة عند من لم يعرفه فاقترح عليه بعض الامراء أن يصنع بيتين أول أحدهما كلب وآخره ذئب وأول الآخر جوارح وآخره أنياب فصنع بديها

كلب نجيع لاح فى حومة الوغى * وقارنه نسر هنالك أوذيب
جوارح أهليه حروف وربما * تولته من نقط الطعان أنايب

قوله فى تهمة فى البدائع فى نخمة اه

وقال الحميدى ذكر لى أبو بكر المرواني انه شاهد محبوبا الشاعر النحوى قال بديهة فى صفة ناعورة

وذات حنين ما تغيض جفونها * من اللجج الخضر الصوافى على شط
وتبكى فتجنى من دموع جفونها * رياضا تبدت بالازاهر فى بسط
فمن أحمر فان وأصفر فاقع * وأزهر مبيض وداكن مشمط
كان ظروف الماء من فوق متنها * لآلى جمان قد نظمن على قرط

قوله تبكى والخ فى البدائع (وتبكى فتجنى من دموع عيونها لآلى رياض بالازاهر فى بسط) اه

وقال أبو الخطاب بن دحية دخلت على الوزير الفقيه الاجل أبى بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور السلمى فوقع الكلام فى علوم لم تكن من جنس فنونه فقال بديها

أيها العالم ادركنى سماحا * فلمثلى يحق منك السماح
ان تخلنى اذا نطقت عييا * فبنانى اذا كتبت وقاح
أحرز الشأو فى نظام ونثر * ثم أثنى وفى العنان جماح
فيهزل كما تأود غصن * ويجد كما تهز الصفاح

قوله تهز فى البدائع تسل اه

وقال دخلت عليه منزله بشاطبة فى اليوم الذى توفى فيه وهو يجود بنفسه فأنشد بديها

أيها الواقف اعتبارا بقبرى * استمع فيه قول عظمى الرميم
أودعونى بطن الضريح وخافوا * من ذنوب كلومها بادميى
ودعونى بما اكتسبت رهينا * غلق الرهن عند مولى كريم

وقال ابن طوفان دعا أبى أبا الوليد النحلى فلما قضوا وطرهم من الطعام سقيتهم وجعلت أترع الكاسات فلما مشت فى النحلى سورة الحميا ارتجل لابن طوفان اياد * قل فيها مشبهوه ملأ الكاسات حتى * قيل فى البيت أبوه

٢ قوله المتقبل فى البدائع المعقبل اه

٣ قوله ويتأملوا فى البدائع ٢ ويقرؤا اه

ونظيره قول المتقبل من شعراء الذخيرة فى الشاعر ابن الفراء

فاذا ما قال شعرا * نفقت سوق أبيه

٤ قوله باعنان فى البدائع باكناف ٣ وقوله أو النسر فيها على النسر وبالجملة فبينها وبين ما هنا بعض اختلاف أغلبه نقل بالمعنى اه ٤ مصححه

وذكر فى بدائع البدائه أن جماعة من الشعراء فى أيام الافضل خرجوا متنزهين الى الاهرام ليروا عجائب مبانيها ويتأملوا ما سطره الدهر من العبر فيها فاقترح بعض من كان معهم العمل فيها فصنع أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسى

بعيشك هل أبصرت أعجب منظرا * على ما رأت عينا لدهر من مصر
أنافا بأعنان السماء فاشرفا * على الجو اشراف السماك أو النسر

وقد وافيا نشزا من الارض عاليا * كأنهما نهدان قاما على صدر

وصنع أبو منصور ظافر الحداد

تأمل هيئة الهرمين وانظر * وبينهما أبو الهول العجيب
كعاريتين على رحيل * بحبوبين بينهما رقيب
وفيض البحر عندهما دموع * وصوت الريح بينهما نحيب
وظاهر سجن يوسف مثل صبّ * تخلف فهو محزون كئيب انتهى

وقال ابن بسام كان للمتوكل بن الافطس فرس أدهم أغر محجل على كفله ست نقط بيض فندب المتوكل الشعراء لصفته فصنع النحلي أبو الوليد فيه بديها

ركب البدر جواداً ساجيا * تقف الريح لادنى مهله
لبس الليل قميصاً سابغاً * والثريا نقطٌ في كفله
وغدير الصبح قد خيض به * فبدا التحجيل من بلله
كل مطلوب وان طالت به * رجله من أجله في أجله

ثم انتدب الشعراء بعد ذلك للعمل فيه فصنع ابن اللبانة

قوله خبت في البدائع فجئت اه

لله طرف جال يا ابن محمد * فخبت به حوباؤه التأميلا
لما رأى أن الظلام أديمه * أهدى لاربعه الهدى تحجيلا
وكأنما في الردف منه مباسم * تبغي هنالك لرجله تقبيلا

قوله أبو عبد الله في البدائع اسقاط لفظ أبو اه

وقال فيه أبو عبد الله بن عبد البر الشنتريني من قطعة

وكأنما عمر على صهواته * قمر تسيّره الرياح الاربع

ويعني بعمر المتوكل المذكور لان اسمه عمر * وقال أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الخزرجي قاضي اشبيلية

لله اخوان تناءت دارهم * حفظوا الوداد على النوى واخانوا
يهدى لنا طيب الثناء ودادهم * كالند يهدى الطيب وهو دخان

وحكي أن أيوب بن سليمان السهيلي المرواني حضر يوماً عند ابن باجة الشاعر وأبو الحسن ابن جودي هنالك فتكلم المرواني بكلام ظهر فيه نبل وأدب فتشوف أبو الحسن بن جودي لمعرفته وكان اذ ذاك الفتى السن فقال له من أنت أكرمك الله تعالى فقال هلا سألت غيري عني فيكون ذلك أحسن لك أدباً ولي توقيراً فقال ابن جودي قد سألت من المعرّف عنك فلم يعرفك فقال ياهذا طالما مرّ علينا زمان يعرفنا من يجهل ولا يحتاج من يرانا فيه الى أن يسأل وأطرق ساعة ثم رفع رأسه وأنشد

انا ابن الالى قد عوّض الدهر عزهم * بذل وقلوا واستحبوا التنكرا
ملوك على مرّ الزمان بمشرق * وغرب دهاهم دهرهم وتغيرا
فلا تذكرنهم بالسؤال مصابهم * فان حياة الرزء أن يتذكرا

ففطن ابن جودي انه من بني مروان فقام وقبل رأسه واعتذر اليه ثم انصرف المرواني فقال ابن باجة لابن جودي أساء أدبك بعد ما عهدت منك كيف تعمد الى رجل في مجلسي

تجدنى قد قربته واكرمته وخصصته بالاصغاء الى كلامه فتقدم عليه بالسؤال عن نفسه فاحذر أن تكون لك عادة فانها من أسوا الادب فقال ابن جودى لم نزل من الشيخ على ما قاله أبو تمام (تأخذ من ماله ومن أدبه) * وحكى أن بكارا الرواني لما ترك وطنه وخرج فى الجهاد وقفل قال صاحب السقط انه اجتمع به فى اشبونة فقال قصدت منزله بها وقرعت الباب فنادى من هذا فقلت رجل ممن يتوسل لرؤياك بقرابة فقال لا قرابة الا بالتقى فان كنت من أهله فادخل والا فتنح عنى فقلت أرجو فى الاجتماع بك والاقتباس منك أن أكون من أهل التقى فقال ادخل فدخلت عليه فاذا به فى مصلاه وسبحته أمامه وهو يعد حبوبها ويسبح فيها فقال لى ارفق على أتمم وظيفتى من هذا التسبيح وأفض حقك فقعدت الى أن فرغ فلما قضى شغله عطف على وقال ما القرابة التى بينى وبينك فانتسبت له فعرف أبى وترحم عليه وقال لى لقد كان نعم الرجل وكان لديه أدب ومعرفة فهل لديك أنت مما كان لديه شئ فقلت له انه كان يأخذنى بالقراءة وتعلم الادب وقد تعلقت من ذلك بما أتميز به فقال لى هل تنظم شيأ قلت نعم وقد ألجأنى الدهر الى أن أرتزق به فقال يا ولدى انه بئسما يرتزق به ونعم ما يتحلى به اذا كان على غير هذا الوجه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ولكن تحل الميتة عند الضرورة فأنشدنى أصلحك الله تعالى مما على ذكرك من شعرك قال فطلبت بخاطرى شيأ أقابله به مما يوافق حاله فما وقع لى الا فيما لا يوافقه من مجون ووصف خمر وما أشبه ذلك فأطرقت قليلا فقال لعلك تنظم فقلت لا ولكن أفكر فيما أقابلك به فقولى أكثره فيما حملنى عليه الصبا والسخف وهو غير لائق بمجلسك فقال يا بنى ولا هذا كله انا لا نبلغ من تقوى الله الى حد نخرج به عن السلف الصالح واذا صح عندنا أن عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومفسر كتاب الله تعالى ينشد مثل قول القائل (ان يصدق الطير تسل عيشنا) فمن نحن حتى نأبى أن نسمع مثل هذا والله لا تنشدنى عن السلف الصالح أنشدنى ما وقع لك غير متكلف فلم يعدنى خاطرى الى غير قولى من شعر أمجن فيه

ابطأت عنى وانى * لفى اشتياق شديد
وفى يدى لك شئ * قد قام مثل العمود
لو ذقته مرة لم * تعد لهذا الصدود

فتبسم الشيخ وقال أما كان فى نظمك أطهر من هذا فقلت له ما وفقت لغيره فقال لا بأس عليك فانشدنى غيره ففكرت الى أن أنشدته قولى

ولما وقفت على ربعهم * تجرعت وجدى بالاجرع
وأرسل دمعى شرار الدموع * لنار تأجج فى الاضلع
فقام عذولى لما رأى * بكائى وقفا على الادمع
فقلت له هذه سنة * لمن حفظ العهد فى الاربع

قال فرأيت الشيخ قد اختلط وجعل يجىء ويذهب ثم أفاق وقال أعد بحق آبائك الكرام فاعدت فاعاد ما كان فيه وجعل يردد فقلت له لو علمت أن هذا يحزك ما أنشدتك اياه فقال

وهل حرّك مني الاخير اوعظة يابنيّ ان هذه القلوب المخلاة لله كالورق التي جفت وهي مستعدة لهبوب الرياح فان هبّ عليها أقلّ ريح لعب بها كيف شاء وصادف منها طوعه فاجتنبي منزعه وتأنست به ولم أر عنده مايعتاد من هؤلاء المتدينين من الانجماع والانكماش بل مازال يبسطني ويحدثني باخبار فيها هزل ويذكرني من تاريخ بني أمية وملوكها ما أرتاح له ولا أعلم أكثره فلما كثر أنسي به أهويت الى يده كي أقبلها فضمها بسرعة وقال ماشأنك فقلت راغبا لك في أن تنشدني شيأ من نظمك فقال أما نظمي في زمان الصبا فكان له وقت ذهب ويجب للمتقاسم أن يذهب معه وأما نظمي في هذا الوقت فهو فيما انا بسبيله وهو يثقل عليك فقلت له ان انصف سيدي الشيخ نفعنا الله تعالى به أنشدني من نظم صباه ومن نظم شيخوخته فيأخذ كلانا بحظه فضحك وقال ما أعصيك وأنت ضيف ولك حرمة أدب ووسيلة قصد ثم أنشدني وقد بدا عليه الخشوع وخنقته العبرة

ثق بالذي سوّالك من * عدم فانك من عدم
وانظر لنفسك قبل قر * ع السنّ من فرط الندم
واحذر وقيت من الورى * واصحبهم أعمى أصم
قد كنت في تيه الى * أن لاح لي أهدى علم
فاقتدت نحو ضيائه * حتى خرجت من الظلم
لكن قناديل الهوى * في نور رشدي كالحمم

قال فوالله لقد أدركني فوق ما أدركه وغلب على خاطري بما سمعت من هذه الابيات وفعلت بي من الموعظة غاية لم أجد منها التخلص الا بعد حين فقال لي الشيخ ان هذه يقظة يرجى معها خيرك والله مرشدك ومنقذك ثم قال لي يابنيّ هذا ما نحن بسبيله الآن فاسمع فيما مضى والله وليّ المغفرة وانا لنرجو منه غفران الفعل فكيف القول وأنشد

أطلّ عذاري على خدّه * فظنوا سلوّي عن مذهبي
وقالوا غراب لوشك النوى * فقلت اكتسى البدر بالغيهب
وناديت قلبي أين المسير * وبدر الدجى حلّ بالعقرب
فقال ولو رمت عن حبه * رحيلا عصيت ولم أذهب

قال فسمعت منه ما يقصر عنه صدور الشعراء وشهدت له بالتقدم وقلت له لم أر أحسن من نظمك في جدّ ولا هزل ثم قلت له أأرويه عنك فقال نعم ما أرى به بأسا بعد اطلاع من يعلم السرائر على ما في الضمائر فما قدر هذه الفكاهة في اغضاء من يغفر الكبائر ويغضي عن العظائم قال فقلت له فان أسبغت عليّ النعمة بزيادة شيء من هذا الفنّ فعلت ما تملك به قلبي آخر الدهر فقال يابنيّ لا ملكت قلبك غير حب الله تعالى ثم قال ولا أجمع عليك ردّ قول ومنعا وأنشد

أيها الشادن الذي * حسنه في الورى غريب
لحظ ذاك الجمال يطـ * ـفئ ما بي من اللهيب
وعليه أحوم دهـ * ـري ولكنني أخيب

كلما رمت زورة * قيض الله لى رقيب

قال فمازج قلبى من الرقة واللطافة لهذا الشعر ما أعجز عن التعبير عنه فقلت له زدنى زادك الله تعالى خيرا فانشدنى

ما كان نابى يدرى قدر حبكم * حتى بعدتم فلم يقدر على الجلد
وكنت أحسب أنى لا أضيق به * ذرعا فما حان حتى فت فى عضدى
ثم استمرت على كره مريرته * فكاد يفرق بين الروح والجسد
عساكم أن تلافوا بالتقارب قى * فليس لى مهجة تقوى على الكمد

ثم قال حسبك وان كافتنى زيادة فالله حسبك فقلت له قد وكلتنى الى كريم غفور رحيم فبالله الا مازدتنى وأكببت لاقبل رجليه فضمهما وأنشد

لله من قال لما * شكوت فيه تحولى
أما السبيل لوصل * فماله من وصول
فقلت حسبى التماح * بحسن وجه جميل
وجه تلوح عليه * علامة للقبول
فقال دعنى فهذا * تعرض للفضول
فقلت عاتب وخاطب * بالامن أهل العقول

فلا أسمعنى عجائب وبسط أنسى وكتبت كل ما أنشدنى ثم قلت له لولا خوفى من التثقيل عليك لم أزل أستدعى منك الانشاد حتى لا تجد ما تنشد فقال ان عدت ان شاء الله تعالى الى هنا تذكرت وأنشدتك فما عندى مما أضيفك غير ما سمعته وما تراه ثم قام وجاء من بيت آخر فى داره بصحفة فيها حسا من دقيق وكسور باردة فجعل يفت فيها ثم أشار الى أن اشرب فشربت ثم شرب الى أن أتينا على آخرها ثم قال لى هذا غداء عمك نهاره وانه لنعمة من الله تعالى أستديم بشكرها اتصالها قال فقلت له يا عم ومن أين عيشك فقال يا بنى عيشتى بتلك الشبكة أصطاد بها فى سواحل البحر ما أقتات به ولى زوجة وبنت يعود من غزلهما مع ذلك ما نجد به معونة وهذا مع العافية والاستغناء عن الناس خير كثير جعلنا الله تعالى ممن يلقاه على حالة يرضاها وختم لنا بخاتمة لا يخاف معها فضيحة قال فتركته وقد فى نيتى أن أعود الى زيارته ونويت أن يكون ذلك بعد أيام خوف التثقيل فعدت اليه بعد ثلاثة أيام فتقيرت الباب فكلمتنى المرأة بلسان عليه أثر الحزن وقالت ان الشيخ خرج الى الغزو وذلك بعد انفصالك عنه بيوم نالله كالجنون فقلت له ما شأنك فقال انى أريد أن أموت شهيدا فى الغزو وهؤلاء جيران لى قد عزموا على الغزو وأنا ان شاء الله تعالى ماض معهم ثم احتال فى سيف ورمح وتوجه معهم وقال نفسى هى التى قتلتنى بهواها أفلا أقتص منها فاقتلها قال فقلت لها من خلف للناظر فى شأنكم فقالت ليس ذلك لك فالذى خلفناله لا نحتاج معه الى غيره فأدركنى من جوابها روعة وعلمت انها مثلة زهد او صلاح فقلت انى قريبه ويجب على أن أنظر فى حالكم بعده فقالت يا هذا انك لست بذى محرم ولنا من العجائز من ينظر منا ويبيع غزلنا ويتفقد أحوالنا فجزاك الله تعالى عنا خيرا انصرف عنا مشكورا

فقلت لها هذه دراهم خذوها لتستعينوا بها فقالت ما اعتدنا أن نأخذ شيأ من غير الله تعالى وما كان لنا أن نخل بالعادة فانصرفت نادما على ما فاتني من الاستكثار من شعر الشيخ والتبرك بزيادة دعائه ثم عدت بعد ذلك لداره سائلا عنه فقالت لي المرأة انه قد قبله الله تعالى فعلمت انه قد قتل فقلت لها أقتل فقرأت ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآية فانصرفت معتبرا من حاله رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به وكانت للمروانيين بالاندلس يد عليا في الدين والدنيا * وقال محمد بن أيوب المرواني لما كان قوما حاجة له سلطانية فمانهضوا بها فكافها رأس بني مروان القائد سعيد بن المنذر فنهض بها

نهضت بما سألتك غير وان * وقد صعبت لما الكها الطريق
وليس يبين فضل المرء الا * اذا كلفته ما لا يطيق

وعتبه يوما سعيد بن المنذر في كونه يتعرض لمدح خدام بني مروان فقال له أعز الله تعالى القائد الوزير انكم جعلتموني ذنبا وجعلوني رأسا والنفس تتوق الى من يكرمها وان كان دونها أكثر ممن يهينها وان كان فوقها وانى من هذا وهذا في أمر لا يعلمه الا الله الذي بلاني به ويا ويح الشجي من الخلي وأنا الذي أقول فيما يتخلل هذا المنزع

نسبت لقوم ليتني نجل غيرهم * فلي نسب يعلو وحظي يسفل
أقطع عمري بالتعلل والمنى * وكم يخدع المرء اللبيب التعلل
فما لي مكان أرتضيه لهمة * ولا مال منه أستعف وأفضل
ولكنني أقضي الحياة تجملا * وهل يملك الانسان الا التجمل

فقال له سعيد قصدنا لومك فعطفت اللائمة علينا ونحن أحق بها وسننظر ان شاء الله تعالى فيما يرفع اللوم عن الجانبين ثم تكلم مع الناصر في شأنه فاجرى له رزقا أغناه عن التكفف فكانت هذه من حسنات سعيد وأياديه * وقال المطرف بن عمر المرواني يمدح المظفر بن المنصور بن أبي عامر

ان المظفر لا يزال مظفرا * حكما من الرحمن غير مبدل
وهو الاحق بكل ما قد حازه * من رفعة ورياسة وتفضل
تلقاه صدرا كلما قلبته * مثل السنان بمحفل وبمحفل

وحضر يوما مع شاعر الاندلس في زمانه ابن دراج القسطلي فقال له القسطلي أنشدني أبياتك التي تقول فيها (على قدر ما يصفو الخليل يكدر) فأنشده

تحببت من بين الانام مهذبا * ولم أدر اني خائب حين أخبر
فازجني كالراح للماء واغتدى * على كل ما جشمته يتصبر
الى أن دهاني اذ أمنت غروره * سفاها وأدناني لما ليس يذكر
وكدر عيشي بعد صفو وانما * على قدر ما يصفو الخليل يكدر

فاهتز القسطلي وقال والله انك في هذه الابيات لشاعر وأنا أنشدك فيما يقابلها للبلال بن جرير

لو كنت أعلم ان آخر عهدهم * يوم الفراق فعلت ما لم أفعل

ولكن جعل نفسه فاعلا وعرضت نفسك لان يقال انك مفعول فقال ومن أين يلوح ذلك فقال القسطلي من قولك وأذاني لما ليس يذكر فما يظن في ذلك الا انه أذاك الى موضع فعل بك فيه فاغتاظ الاموي وقال يا أبا عمرو ومن أين جرت العادة بأن تمزح معي في هذا الشان فقال له حلم بني مروان يحملنا على أن نخرق العادة في الحمل على مكارمهم فسكن غيظه * وكتب المرواني المذكور الى صاحب له يستعير منه دابة يخرج عليها للفرجة والخلاعة أنهض الله تعالى سيدي باعباء المكارم ان هذا اليوم قد تبسم أفقه بعد ما بكى ودقه وصقلت أصداءه أوراقه وفتحت حدائق أحداقه وقام نوره خطيبا على ساقه وفضضت غدرانه وتوجت أغصانه وبرزت شمسه من حجابها بعد ما تلفعت بسحابها وتنبه في أرجاء الروض أرج النسيم وعرف في وجهه نضرة النعيم وقد دعاكل هذا ناظر أخيك الى أن يجيله في هذه المحاسن ويجدد نظره في المنظر الذي هو غير مبتذل والماء الذي هو غير آسن والقمص اليوم أحسن ما ملح وأبدع ما حزن فيه وجمح فجدلي باعارة ما أنهض عليه لمشاهدته ويرفع عني نجل الابتذال بمناكبة الانذال لازلت نهاضا بالآمال مسعفا بمراد كل خليل غير مقصر ولا آل * وكتب الامير هشام بن عبد الرحمن الى أخيه عبد الله المعروف بالبلنسي حين فر كتابا يقول في بعض فصوله والعجب من فرارك دون أن ترى شيأ نخاطبه بجواب يقول فيه ولا تتعجب من فراري دون أن أرى شيأ لاني خفت ان أرى ما لا أقدر على الفرار بعده ولكن تعجب مني ان حصلت في يدك بعد ما أفلت منك * وقال له وزيره أحمد بن شعيب البلنسي أليس من العار أن يبلغ بك الخور من هذا الصبي أن تجعل بينك وبينه البحر وتترك بلاد ملكك وملك أبيك فقال ما أعرف ما تقول وكل ما وقى به اتلاف النفس ليس بعار بل هو محض العقل وأول ما ينظر الاديب في حفظ رأسه فاذا نظر في ذلك نظر فيما بعده * وقال عبد الله بن عبد العزيز الاموي ويعرف بالحجر

اجعل لنا منك حظا أيها القمر * فانما حظنا من وجهك النظر
رآك ناس فقالوا ان ذا قمر * فقلت كفوا فعندي منهما الخبر
البدر ليس بغير النصف بهجته * حتى الصباح وهذا كله قمر

وقال أبو عبد الله محمد بن محمد بن الناصر يرثي أبا مروان بن سراج

وكم من حديث للنبي أبانه * وألبسه من حسن منطقه وشيا
وكم مصعب للنحو قد راض صعبه * فعاد ذلولا بعد ما كان قد أعيا

وحكي انه دخل بعض شعراء الاندلس على الفقيه سعيد بن أضحى وكان من أعيان غرناطة فمدحه بقصيدة ثم بموشحة ثم بزجل فلم يعطه شيأ بل شكا اليه فقرا حتى انه بكى فأخذ الدواة والقرطاس وكتب ووضع بين يديه

شكا مثل الذي أشكوه من عدم * وساءه مثل ما قد ساءني فبكى
ان المقل الذي أعطاك دمعته * نعم الجواد فتى أعطاك ما ملكا

وقال ابن خفاجة

نهر كما سال اللمى سلسال * وصبا بليل ذيلها مكسال

ومهب نفحة روضة مطلولة * فيها الافراس النسيم مجال
غازلته والاقحوانة مبسم * والآس صدغ والبنفسج خال

وقال

وساق كحيل الطرف في شأو حسنه * جماح وبالصبر الجميل حران
ترى للصبا نارا بخديه لم يثر * لها من سوادي عارضيه دخان
سقاها وقد لاح الهلال عشية * كما اعوج في درع الكمي سنان
عقارا نماها الكرم فهي كريمة * ولم تزن بابن المزن فهي حصان
وقد حان من جون الغمامة أدهم * له البرق سوط والعنان عنان
وضمخ درع الشمس نحر حديقة * عليه من الطل السقيط جمان
ونمت بأسرار الرياض خميلة * لها النور ثغر والنسيم لسان

وقال في وصف فرس أصفر ولم يخرج عن طريقته

وأشقر تضرم منه الوغى * بشعلة من شعل الباس
من جلنار ناضر لونه * وأذنه من ورق الآس
يطلع للغرة في شقرة * حبابة تضحك في الكاس

وقال أبو بكر محمد بن سهل البكي يهجو

أعد الوضوء اذا نطقت به * مستعجلا من قبل أن تنسى
واحفظ ثيابك ان مررت به * فالظل منه ينجس الشمسا

وقال ابن اللبانة

أبصرته قصر في المشيه * لما بدت في خده لحيه
قد كتب الشعر على خده * أو كالذي مر على قريه

وقال الوزير الكاتب أبو محمد عبد الغفور الاشبيلي في الامير الكبير أبي بكر سير من أمراء المرابطين وكتب بها اليه في غزاة غزاها

سر حيث سرت يحفه النوار * وأراك فيه مرادك المقدار
واذا ارتحلت فشيعتك سلامة * وغمامة لاديمة مدرار
تنفي الهجير بظلها وتنيم بالرش القتام وكيف شئت تدار
وقضى الاله بأن تعود مظفرا * وقضت بسيفك نحرها الكفار

هذا غير ما تمناه الجعفي حيث قال حيث ارتحلت وديمه ومآنكاد تنفذ معها عزيمه واذا سفحت على ذي سفر فما أحراها بأن تعوق عن الظفر ونعتها بمدرار فكان ذلك أبلغ في الاضرار وما أحسن قول القائل

فسر ذا راية خفقت بنصر * وعد في حفل بهج الجمال
الى حمص فانت بها علي * تغاير فيه رب الجلال

وقال الجاري في المسهب كتبت الى القاضي أبي عبد الله محمد اللوشي أستدعي منه شعره لاكتبه في كتابي فتوقف عن ذلك وانقبض عني فكتبت اليه

يا مانعا شعره عن سمع ذى أدب * نائى المحل بعيد الشخص مغترب
يسير عنك به فى كل متجه * كما يسير نسيم الريح بالعذب
انى وحقك أهل أن أفوز به * واسأل فديتك عن ذاتى وعن أدبى

فكان جوابه

يا طالبا شعر من لم يسم فى الادب * ماذا تريد بنظم غير منتخب
انى وحقك لم أبخل به صلفا * ومن يضن على جيد بمختلب
لكننى صنت هذرى عن روايته * فثله قل عن سام الى الرتب
خذه اليك كما أكرهت مضطربا * محللا ذم مولاه مدى الحقب

قال ثم كتب لى مما أتحفنى به من نظمه محاسن أبهى من الاقمار وأرق من نسيم الاسحار * وقال صالح بن شريف فى البحر وهو أحسن ما قيل فيه

البحر أعظم مما أنت تحسبه * من لم ير البحر يوما مار أى العجبا
طام له حبب طاف على زرق * مثل السماء اذا ما ملئت شهبا

وقال أيضا

ما أحسن العقل وآثاره * لو لازم الانسان ايثاره
يصون بالعقل الفتى نفسه * كما يصون الحر أسراره
لاسيما ان كان فى غربة * يحتاج أن يعرف مقداره

وقال ابن برطلة

خطوب زمانى ناسبتنى غرابة * لذلك يرمينى بهن مصيب
غريب أصابته خطوب غريبة * وكل غريب للغريب نسيب

وهذا من أحسن التضمين الذى يزرى بالدر الثمين * ودخل ابن بقى الحمام وفيه الاعمى التطيلى فقال له أجز

حمامنا كزمان القيظ محتدم * وفيه للبرد برد غير ذى ضرر

فقال الاعمى

ضدان ينعم جسم المرء بينهما * كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

ولا يخفى حسن ما قال الاعمى * وقد ذكر فى بدائع البدائه البيتين معا منسوبين الى ابن بقى واذكر كلامه برمته لما اشتمل عليه من الفوائد ونصه ذكر ابن بسام قال دخل الاديبان أبو جعفر بن هريرة التطيلى المعروف بالاعمى وأبو بكر بن بقى الحمام فتعاطيا العمل فيه فقال الاعمى

يا حسن حمامنا وبهجته * مرأى من السحر كله حسن
ماء ونار حماهما كنف * كالقلب فيه السرور والحزن

ثم أعجبه المعنى فقال

ليس على لهونا مزيد * ولا لحمامنا ضريب
ماء وفيه لهيب نار * كالشمس فى ديمة تصوب

قوله الاعمى فى البدائع الاعمى اه

وأبيض تحتسه رخام * كالثلج حين ابتدى يذوب

وقال ابن بقى حمامنا فيه فصل القيظ البيتين فقال الاعمى وقد نظر فيه الى فتى صبيح

هل استمالك جسم ابن الامير وقد * سالت عليه من الحمام أنداء

كالغصن باشر حر النار من كثب * فظل يقطر من أعطافه الماء

قوله حمامنا فيه فصل القيظ هو هكذا فى البدائع والذى سبق قريبا حمامنا كزمان القيظ والماء واحد وقوله فيما تقدم وفيه للبرد برد الذى فى البدائع وفيه للبرد صر وقوله ابن الامير فى البدائع ابن الامين اه

قلت تذكرت هنا عند ذكر الحمام ما حكاه بدر الدين الحسن بن زفير الاربلى المتطبب اذ قال رأيت ببغداد فى دار الملك شرف الدين هرون ابن الوزير الصاحب شمس الدين محمد الجوينى حماما متقن الصنعة حسن البناء كثير الاضواء قد احتفت به الازهار والاشجار فأدخلنى اليه سائسه وذلك بشفاعة الصاحب بهاء الدين بن الفخر عيسى المنشئ الاربلى وكان سائس هذا الحمام خادما حبشيا كبير السن والقدر فطاف بى عليه وأبصرت مياهه وشبابيكه وأنابيبه المتخذ بعضها من فضة مطلية بالذهب وغير مطلية وبعضها على هيئة طائر اذا خرج منها الماء صوت بأصوات طيبة ومنها أحواض رخام بديعة الصنعة والمياه تخرج من سائر الانابيب الى الاحواض ومن الاحواض الى بركة حسنة الاتقان ثم منها الى البستان ثم أرانى نحو عشر خلوات كل خلوة منها صنعتها أحسن من صنعة اختها ثم انتهى بى الى خلوة عليها باب مقفل بقفل حديد ففتحه ودخل بى الى دهليز طويل كله مرخم بالرخام الابيض الساذج وفى صدر الدهليز خلوة مربعة تسع بالتقريب أربعة أنفس اذا كانوا قعودا وتسع اثنين اذا كانوا نياما ورأيت من العجائب فى هذه الخلوة أن حيطانها الاربعة مصقولة صقالا لا فرق بينه وبين صقال المرآة يرى الانسان سائر بشرته فى أى حائط شاء منها ورأيت أرضها مصورة بفصوص حمر وصفر وخضر ومذهبة وكلها متخذة من بلور مصبوغ بعضه أصفر وبعضه أحمر فأما الاخضر فيقال انه حجارة تأتى من الروم وأما المذهب فزجاج ملبس بالذهب وتلك الصور فى غاية الحسن والجمال على هيئات مختلفة فى اللون وغيره وهى ما بين فاعل ومفعول به اذا نظر المرء اليها تحركت شهوته وقال لى الخادم السائس هذا صنع على هذه الصفة لخدومى حتى انه اذا نظر الى ما يفعل هؤلاء بعضهم مع بعض من المجامعة والتقبيل ووضع أيدى بعضهم على أعجاز بعض تحرك شهوته سريعا فيبادر الى مجامعة من يحبه قال الحاكى وهذه الخلوة دون سائر الخلوات التى دخلت اليها مخصوصة بهذا الفعل اذا أراد الملك شرف الدين هرون الاجتماع فى الحمام بمن يهواه من الجوارى الحسان والصور الجميلة والنساء الفائقات الحسن لم يجتمع به الا فى هذه الخلوة من أجل انه يرى كل محاسن الصور الجميلة مصورة فى الحائط ومجسمة بين يديه ويرى كل منهما صاحبه على هذه الصفة ورأيت فى صدر الخلوة حوض رخام مضلع وعليه انبوب مركب فى صدره وأنبوب آخر برسم الماء البارد والانبوب الاول برسم الماء الفاتر وعن يمنة الحوض ويساره عمدان صغار منحوتة من البلور يوضع عليها مياخر الند والعود وأبصرت منها خلوة شديدة الضياء مفرحة بديعة قد أنفق عليها أموال كثيرة وسألت الخادم عن تلك الحيطان المشرقة المضيئة من أى شئ صنعت فقال لى ما أعلم قال الحاكى فما رأيت فى عمرى ولا سمعت بمثل تلك الخلوة ولا بأحسن من ذلك الحمام مع أنى ما أحسن أن أصفهما

كما رأيتهما فانه لم تتكرر رؤيتي لهما ولا اتفق لي الظفر بصناعتهما ومباشرتهما وفي الذي ذكرت كفاية انتهى * ولما اتصل أبو القاسم علي بن أفلح البغدادي الكاتب بأمير المؤمنين المسترشد بالله العباسي ولقبه جمال الملك وأعطاه أربع ديار في درب الشاكرية اشترى دورا أخرى الى جانبها وهدم الكل وأنشأ داره الكبيرة وأعانه الخليفة في بنائها وأطلق له أموالا وآلات البناء وكان في جملة ما أطلق له مائتا ألف آجرة وأجريت الدار بالذهب وصنع فيها الحمام العجيب الذي فيه بيت مستراح فيه أنبوب ان فركه الانسان يمينا خرج ماء حار وان فركه شمالا خرج ماء بارد وكان على ايوان الدار مكتوبا

ان عجب الراؤن من ظاهري * فباطني لو علموا أعجب
شيدني من كفه مزنة * يهمل منها العارض الصيب
وديجت روضة أخلاقه * في رياضي نورها مذهب
صدر وكما صدري من نوره * شمسا على الايام لا تغرب

وكتب على الطرز

ومن المروءة للفتى * ما عاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخره
هاتيك وافية بما * وعدت وهذي ساخره

وكتب على النادي

ونادكان جنان الخلود * أعارته من حسنها رونقا
وأعطته من حادثات الزما * ن أن لا تسلم به موثقا
فاضحى يتيه على كل ما * بنى مغربا كان أو مشرقا
تظل الوفود به عكفا * وتمسي الضيوف به طرقا
بقيت له يا جمال الملو * ك والفضل مهما أردت البقا
وسالمه فيك ريب الزمان * ووقيت فيه الذي يتقي انتهى

وعلى ذكر الحمام فما أحكم قول ابن الوردي فيما أظن

وما أشبه الحمام بالموت لامرئ * تذكر لكن أين من يتذكر
يجرد عن أهل ومال وملبس * ويصحبه من كل ذلك مئزر

وقال الشهاب بن فضل الله

وحمامكم كعبة للوفود * تحج اليه حفاة عراه
يكرر صوت أنابيبه * كتاب الطهارة باب المياه

وقد تمثل بهذين البيتين البرهان القيراطي في جواب كتاب استدعاه فيه بعض أهل عصره الى الحمام وافتتح الجواب بقوله

قد أجبنا وأنت أيضا فصحت بصبحي سوالف وسلاف
وبساق يدي العقول بساق * وقوام وفق العناق خلافي

ووصله بشر تمثل فيه بالبيتين كما مر ولبعضهم

ان حمامنا الذى نحن فيه * أحى ماء به وأبة نار
قد نزلنا به على ابن معين * ورويناه عنه صحيح البخارى

وألغز بعضهم فى الحمام بقوله

ومنزل أقوام اذا ما تقابلوا * تشابه فيه وغده ورئيسه
يتنفس كربى اذ يتنفس كربه * ويعظم أنسى اذ يقل أنيسه
اذا ما أعرت الجو طرفا تكاثرت * على من به أقماره وشموسه

(رجع) الى ما كنا فيه من كلام أهل الاندلس فنقول وكان محمد بن خلف بن موسى البيرى متكلما متحققا برأى الاشعرية وذاكرا الكتب الاصول فى الاعتقاد مشاركا فى الادب مقدما فى الطب ومن نظمه يمدح امام الحرمين رحمه الله تعالى

حب حبر يكنى أبا المعالى * هو دينى ففيه لا تعذلونى
أنا والله مغرم بهواه * عللونى بذكره عللونى

وكتب أبو الوليد بن الجنان الشاطبى يستدعى بعض اخوانه الى مجلس أنس بما صورته نحن فى مجلس أغصانه الندامى وغمامه الصهبا فبالله الا ما كنت لروض مجلسنا نسيما ولزهر حديقتنا شميما وللجسم روحا وللطيب ريحا وبيننا عذراء زجاجتها خدرها وحبابها ثغرها بل شقيقة حوتها كمامه أو شمس حجبتها غمامه اذا طاف بها معصم الساقى فوردة على غصنها أو نثرها مقهقهة فى غمامة على فننها طافت علينا طوفان القمر على منازل الحلول فانت وحياتك اكليلنا وقد آن حلولها فى الاكليل انتهى * وقال أبو الوليد المذكور

فوق خد الورد دمع * من عيون السحب يذرف
برداء الشمس أضحى * بعد ما سال يجفف

وتذكرت هنا ما ذكره الشيخ أبو البركات هبة الله بن محمد النصيبى المعروف بالوكيل وكان شيخا ظريفا فيه آداب كثيرة اذ قال كنت فى زمن الربيع والورد فى دارى بنصيبين وقد أحضر من بستانى من الورد والياسمين شئ كثير وعملت على سبيل الولع دائرة من الورد تقابلها دائرة من الياسمين فاتفق أن دخل على شاعران كانا بنصيبين أحدهما يعرف بالمهذب والآخر يعرف بالحسن بن البرقعيدى فقلت لهما اعملا فى هاتين الدائرتين ففكرا ساعة ثم قال المهذب

يا حسنها دائرة * من ياسمين مشرق
والورد قد قابلها * فى حلة من شفق
كعاشق وحبه * تغامزا بالحدق
فاحمر ذا من خجل * واصفر ذا من فرق

قال فقلت للحسن هات فقال سبقنى المهذب الى ما لحنته فى هذا المعنى وهو قولى

يا حسنها دائرة * من ياسمين كالحلى
والورد قد قابلها * فى حلة من خجل

كعاشق وحبه * تغامزا بالمقل
فاحذر ذا من بخل * واصفر ذا من وجل

قال فعجبت من اتفاقهما فى سرعة الاتحاد والمبادرة الى حكاية الحال انتهى * وما ألطف قول بعضهم

أرى الورد عند الصبح قد مد للضحا * يشير الى التقبيل فى خالة اللمس
وبعد زوال الشمس القاه وجنة * وقد أثرت فى وسطها قبلة الشمس

قوله القبطرنة فى البدائع القبطرية اه
قوله فقال ابن القبطرنة الخ الذى فى البدائع عكس النسبة فليتطر اه مصححه

وقال ابن ظافر فى بدائع البدائه اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة والاديب أبو العباس ابن صارة الاندلسيان فى يوم جلا ذهب برقه واذاب ورق ودقه والارض قد ضحكت لتعبيس السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فقال ابن القبطرنة

هذى البسيطة كاعب ابرادها * حلل الربيع وحليها النوار

فقال ابن صارة

وكأن هذا الحوت فيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار

ثم قال ابن صارة أيضا

واذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار

فقال ابن القبطرنة

من أجل ذلة ذا وعزة هذه * يبكى الغمام وتضحك الازهار

وتذكرت هنا ما حكاه ابن ظافر فى الكتاب المذكور انه اجتمع مع القاضى الاعز يوما فقال له ابن ظافر أبرز * طار نسيم الروض من وكر الزهر
فقال الاعز * وجاء مبلول الجناح بالمطر انتهى * ويعجبنى قول ابن قرناص

أظن نسيم الروض والزهر قد روى * حديثا ففاحت من شذاه المسالك
وقال دنا فصل الربيع فكله * ثغور لما قال النسيم ضواحك

(رجع) الى الاندلسيين وما أرق قول ابن الزقاق

ورياض من الشقائق أضحت * يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يجلد منها * زهرات تفوق لون الراح
قلت ما ذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

وقال أبو اسحق بن خفاجة

تعلقته نشوان من خمر ريقه * له رشفها دونى ولى دونه السكر
ترقرق ماء مقلتاى ووجهه * ويذكى على قلبى ووجنته الجمر
أرق نسيبى فيه رقة حسنه * فلم أدر اى قبليها منهما السحر
وطبنا معا شعرا وثغرا كانما * له منطقى ثغرولى ثغره شعر

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز

وقائلة مابال مثلك خاملا * أأنت ضعيف الرأى أم أنت عاجز
فقلت لها ذنبى الى القوم انى * لما لم يحوزوه من المجد حائز

وما فاتنى شئ سوى الحظ وحده * وأما المعالى فهى عندى غرائز

وقال

جد بقلبى وعبث * ثم مضى وما اكترث
واجر بامن شاء دن * فى عقد الصبر نفث
يقتل من شاء بعيـ * ـنيه ومن شاء بعث

وقال الفاضل البليغ يحيى بن هذيل أحد أعيان شعراء الاندلس

نام طفل النبت فى حجر النعامى * لاهتزاز الظل فى مهد الخزامى
وسقى الوسمى أغصان النقا * فهوت تلثم أفواه الكمامى
كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا فى وجنة الصبح لثاما
تحسب البدر محيا ثم مل * قد سقته راحة الصبح مداما
حوله الزهر كؤس قد غدت * مسكة الليل عليهن ختاما

وتذكرت هنا قول الآخر وأظنه مشرقيا

بكر العارض تحدوه النعامى * فسقاك الرى يادارا أماما
وعشت فيك أرواح الصبا * يتأرجن بأنفاس الخزامى
قد قضى حفظ الهوى أن تصحبى * للمحبين مناخا ومقاما
وبجرعاء الحمى قلبى فعج * بالحمى واقرأ على قلبى السلاما
وترحل فتحدث عجبا * ان قلبا سار عن جسم اقاما
قل لجيران الغضى آها على * طيب عيش بالغضى لو كان داما
حملوا ريح الصبا من نشركم * قبل أن تحمل شيحا وثماما
وابعثوا الشبا حكم لى فى الكرى * ان أذنتم لجفونى أن تناما

هو مهيار الديلمى اه من هامش

وخرج بعض علماء الاندلس من قرطبة الى طليطلة فاجتاز بجرير بن عكاشة الشجاع المشهور الذى ذكرنا فى هذا الباب ما يدل على شجاعته وقوته وأيده بقلعة رباح فنزل بخارجها فى بعض جنباتها وكتب اليه

يافريدا دون ثان * وهلالا فى العيان
عدم الراح فصارت * مثل دهن البلسان

فبعث اليه بها وكتب معها

جاء من شعرك روض * جاده صوب اللسان
فبعثناها سلافا * كسجاياك الحسان

وقال الوزير أبو عامر بن شهيد يتغزل

أصباح شيم أم برق بدا * ام سنا المحبوب أورى ازندا
هب من مرقده منكسرا * مسبلا للكم مرخى الردا
يمسح النعسة من عينى رشا * صائد فى كل يوم أسدا
أوردته لطفا آياته * صفوة للعيش أرعته ددا

فهو من دل عـــراه زبدة * مـن مريج لم تخالط زبدا
قلت هب لى ياحبيبى قبـلة * تشف من عمك تبريح الصدى
فانثنى يهتز من منكبه * مائلا لطفا وأعطانى اليدا
كلما كلمنى قبلتـه * فهـو امافال قـولا ردّدا
كاد أن يرجع من لثمى له * وارتشاف الثغر منه أزردا
واذا استنجزت يوما وعـده * أمطل الوعد وقال اصبر غدا
شربت أعطافه ماء الصبا * وسقاه الحسن حتى عربدا
فاذابت به فى روضـة * أغيد يغزو بنانا أغيـدا
قام فى الليـل بجيـد أتلع * ينفض اللمة من دمع الندى
ومكان عازب عن جـيرة * أصـدقاء وهـم عين العدا
ذى نبات طيب أعـراقه * كعذار الشعر فى خـد بدا
تحسب الهضبة منه جبلا * وحـدور الماء منـه أبردا

وقال يرثى القاضى ابن ذكوان نجيب ذلك الأوان وقدافتن فى الآداب وسن فيها سنة ابن داب ومافارق ربيع الشباب شرخه ولا استجد فى الكهولة عفاره ولا مرخه وكان لابى عامر هذا قسيم نفسه ونسيم أنسه

ظننا الذى نادى محققا بموته * لعظم الذى أنحى من الرزء كاذبا
وخلنا الصباح الطلق ليلا واننا * هبطنا خدارياً من الحزن كاربا
ثكلنا الدنا لما استقل واغما * فقدناك ياخير البرية ناعبا
وماذهبت اذ حل فى القبر نفسه * ولكنما الاسلام أدبر ذاهبا
ولما أبى الا التحـمل رائما * منحناه أعناق الكرام ركائبا
يسير به النعش الاعز وحوله * أباعـد كانوا للمصاب أقاربا
عليه حفيف للملائك أقبلت * تصافح شيخا ذاكرالله تائبا
تخال لفيف الناس حول ضريحه * خليطا تخطى فى الشريعة هاربا
اذا ما امتروا سحب الدموع تفرّعت * فروع البكا عن بارق الحزن لاهبا
فمن ذا الفصل القول يسطع نوره * اذا نحن ناوينا الالد المناويا
ومن ذا يبيع المسلمين يقومهم * اذا الناس شاموها بروقا كواذبا
فيالهف قلبى آه ذابت حشاشتى * مضى شيخنا الدفاع عنا النوائبا
ومات الذى غاب السرور لموته * فليس وان طال السرى منه آيبا
وكان عظيما يطرق الجمع عنده * ويعنو له رب الكتيبة هائبا
وذا مقول عضب الغرارين صارم * يروح به عن حومة الدين ضاربا
أبا حاتم صبر الاديم فانثنى * رأيت جميل الصبر أحلى عواقبا
ومازلت فينا ترهب الدهر سطوة * وصعبا به نعيى الخطوب المصاعبا
سأستعتب الايام فيك لعلها * لصحة ذاك الجسم تطلب طالبا

لئن أفلت شمس المكارم عنكم * لقد أسأرت بدرا لها وكواكبا

قال في المطمح ودبت الى أبي عامر بن شهيد أيام العلويين عقارب برئت بها منه أباعد وأقارب واجهه بها صرف قطوب وانبرت اليه منها خطوب نبالها جفنه عن المضجع وبقي بها الياني يارق ولا يهجع الى أن أعلقت في الاعتقال آماله وعقلته في عقال أذهب ماله فأقام مرتهنا ولقي وهنا وقال

قريب بمقتل الهوان مجيد * يجود ويشكو حزنه فيجيد
صبره عند الامام فعاله * عدو لابناء الكرام حسود
وماضره الا مزاح ورقة * ثنته سفيه الذكر وهو رشيد
جنى ماجنى في قبة الملك غيره * وطوق منه بالعظيمة جيد
ومافي الا الشعر أثبته الهوى * فسار به في العالمين مزيد
أفوه بما لم آته متعرضا * لحسن المعاني تارة فأزيد
فان طال ذكري بالمجون فانها * عظائم لم يصبرلهن جليد
وهل كنت في العشاق أول عاقل * هوت بحجاه أعين وخدود
فراق وشجو واشتياق وذلة * وجبار حفاظ على عتيد
فمن يبلغ الفتيان أني بعدهم * مقيم بدار الظالمين وحيد
مقيم بدارسا كنوها من الاذى * قيام على جمر الحمام قعود
ويسمع للحيات في جنباتها * بسيط كترجيع الصبا ونشيد
ولست بذي قيد يرن وانما * على اللحظ من سخط الامام قيود
وقلت لصداح الحمام وقد بكى * على القصر ألفا والدموع تجود
ألا أيها الباكي على من تحبه * كلانا معنى بالخلاء فريد
وهل أنت دان من محب تأى به * عن الالف سلطان عليه شديد
فصفق من ريش الجناحين واقفا * على القرب حتى ماعليه مزيد
ومازال يبكيني وأبكيه جاهدا * وللشوق من دون الضلوع وقود
الى أن بكى الجذلان من طول شجونا * وأجهش باب جانباه حديد
أطاعت أمير المؤمنين كتائب * تصرف في الاموال كيف تريد
فللشمس عنها بالنهار تأخر * وللبدر شحنا بالظلام عدود
الا انها الايام تلعب بالفتى * نحوس تهادى تارة وسعود
وما كنت ذا أيد فأذعن ذا قوى * من الدهر مبد صرفه ومعيد
وراضت صعابي سطوة علوية * لها بارق نحو الندى ورعود
تقول التي من بينها كف مركبي * أقربك دان أم مدالك بعيد
فقلت لها امري الى من سمت به * الى المجد آباء له وجدود

ثم قال ولزمته آخر عمره علة دامت به سنين ولم تفارقه حتى تركته يدجنين وأحسب أن الله أراد بها تمحيصه واطلاقه من ذنب كان قنيصه فطهره تطهيرا وجعل ذلك على

قوله صبره الخ هكذا في الاصل ولا يخفى مافيه ولعله محرف والاصل هكذا (وصبره عند الامام مصادرا) او نحو ذلك مما يناسب اه مصححه

قوله فان طال الخ يوجد هنا في نسخة ماصورته

فان طال ذكري بالمجون فانني * شقي بحظ لوم الظلام سعيد
وهل كنت في العشاق الا بيت
ثم وان طال ذكري بالمجون فانها
الخ ولعل مافي الصاب أولى ؟ تأمل اه مصححه

العفو له ظهيرا فانما أقعدته حتى حل فى الحفه وعاودته حتى غدت لرونقه مشتفه وعلى ذلك فلم يعطل لسانه ولم يبطل احسانه ولم يزل يستريح الى القول ويزيح ما كان يجده من الغول وآخر شعر قاله قوله

ولما رأيت العيش لوى برأسه * وأيقنت أن الموت لاشك لاحق
تمنيت انى ساكن فى عباءة * بأعلى مهب الريح فى رأس شاهق
أرد سقيط الطل فى فضل عيشتى * وحيدا وأحسو الماء ثنى المعالق
خليلى من رام المنية مرة * فقد رمتها خمسين قولة صادق
كانى وقد حان ارتحالى لم أفز * قديما من الدنيا بلمحة بارق
فمن مبلغ عنى ابن حزم وكان لى * يدا فى ملمات وعند مضايق
عليك سلام الله انى مفارق * وحسبك زادا من حبيب مفارق
فلا تنس تأبينى اذا ما ذكرتنى * وتذكارا يامى وفضل خلائق
وحرك له بالله مهما ذكرتنى * اذا غيبونى كل بهم غرانق
عسى هامتى فى القبر تسمع بعضه * بترجيع شاد أو بتطريب طارق
فلى فى اذكارى بعد موتى راحة * فلا تمنعوها لى علالة زاهق
وانى لارجو الله فيما تقدمت * ذنوبى به مما درى من حقائق

وكان أبو مروان عبد الملك بن حصن مستوليا على وزارة ابن عبدة ولسانه ينشد

وشيدت مجدى بين أهلى ولم أقل * ألا ليت قومى يعلمون صنيعى

وهجا ابن ذى النون بقوله

تلقبت بالمأمون ظلما وانى * لآمن كلبا حيث است مؤمنه
حرام عليه أن يجود ببشره * وأما الندى فاندب هنالك مدفنه
سطور الخازى دون أبواب قصره * بحجابه للقاصدين معنونه

فلما تمكن منه المأمون سجنه فكتب الى ابن هود من أبيات

أيا راكب الوجناء بلغ تحية * أميرا جذام من أسير مقيد
ولما دهتنى الحادثات ولم أجد * لها وزرا أقلت نحوك أعتدى
ومثلك من يعدى على كل حادث * رمى بسهام للردى لم ترصد
فعلك أن تخلو بفكرك ساعة * لتنقذنى من طول هم مجدد
وها أنا فى بطن الثرى وهو حامل * فيسر على رقبى الشفاعة مولدى
حنانيك ألفا بعد ألف فانى * جعلتك بعد الله أعظم مقصدى
وأنت الذى يدرى اذا رام حاجة * تضل بها الآراء من حيث يهتدى

فرق له ابن هود وتحيل حتى خلصه بشفاعته فلما قدم عليه أنشده

حياتى موهوبة من علاكا * وكيف أرى عادلا عن ذراكا
ولولم يكن لك من نعمة * على وأصبحت أبغى سواكا
لناديت فى الارض هل مسعف * مجيب فلم يصغ الانداكا

فطرب ابن هود وخلع عليه ثوب وزارته وجعله من أعلام سلطنته وامارته * وقال المنصور ابن أبي عامر للشاعر المشهور أبي عمر يوسف الرمادي كيف ترى حالك معي فقال فوق قدري ودون قدرك فأطرق المنصور كالغضبان فانسل الرمادي وخرج وقد ندم على ما بدر منه وجعل يقول أخطأت لا والله ما يفلح مع الملوك من يعاملهم بالحق ما كان ضرني لو قلت له اني بلغت السماء وتمنطقت بالجوزاء وأنشد

متى يأت هذا الموت لا يلف حاجة * لنفسي الا قد قضيت قضاها

لا حول ولا قوة الا بالله ولما خرج كان في المجلس من يحسده على مكانه من المنصور فوجد فرصة فقال وصل الله مولانا الظفر والسعد ان هذا الصنف صنف زور وهذيان لا يشكرون نعمه ولا يرعون الا ولا ذمته كلاب من غلب وأصحاب من أخصب وأعداء من أجدب وحسبك منهم ان الله جل جلاله يقول فيهم والشعراء يتبعهم الغاوون الى ما لا يفعلون والابتعاد منهم أولى من الاقتراب وقد قيل فيهم ما ظنك بقوم الصدق يستحسن الا منهم فرفع المنصور رأسه وكان محامي أهل الادب والشعر وقد اسودّ وجهه وظهر فيه الغضب المفرط ثم قال ما بال أقوام يشيرون في شيء لم يستشاروا فيه ويسيئون الادب بالحكم فيما لا يدرون أيرضى أم يسخط وأنت أيها المتبعث للشر دون أن يبعث قد علمنا غرضك في أهل الادب والشعر عامة وحسدك لهم لان الناس كما قال القائل

من رأى الناس له فضلا * لا عليهم حسدوه

وعرفنا غرضك في هذا الرجل خاصة ولسنا ان شاء الله تعالى نبلغ أحدا غرضه في أحد ولو بلغنا كم بلغنا في جانبكم وانك ضربت في حديد بارد وأخطأت وجه الصواب فزدت بذلك احتقارا وصغارا واني ما أطرقت من كلام الرمادي انكارا عليه بل رأيت كلاما يجل عن الاقدار الجليلة وتعجبت من تمديه له بسرعة واستنباطه له على قلة من الاحسان الغامر ما لا يستنبطه غيره بالكثير والله لو حكمته في بيوت الاموال لرأيت انها لا ترجح ما تكلم به قلبه ذرة واياكم أن يعود أحد منكم الى الكلام في شخص قبل أن يؤخذ معه فيه ولا تحكموا علينا في أوليائنا ولو أبصرتم منا التغير عليهم فانا لا نتغير عليهم بغضا لهم وانحرافا عنهم بل تأديبا وانكارا فانا من نريد ابعاده لم تظهر له التغير بل ننبذه مرة واحدة فان التغير انما يكون لمن يراد استبقاؤه ولو كنت ماثل السمع لكل أحد منكم في صاحبه لتفرقتم أيدي سبا وجوبت انا مجانبة الاجرب واني قد أطلعتكم على ما في ضميري فلا تعدلوا عن مرضاتي فتجنبوا سخطي بما جنيتموه على أنفسكم ثم أمر أن يرد الرمادي وقال له أعد علي كلامك فارتاع فقال الامر على خلاف ما قدرت الثواب أولى بكلامك من العقاب فسكن لتأنيسه وأعاد ما تكلم به فقال المنصور بلغنا أن النعمان بن المنذر حشا فم النابغة بالدر لكلام استملحه منه وقد أمرنا لك بما لا يقصر عن ذلك ما هو أنوه وأحسن عائدة وكتب له بمال وخلع وموضع يتعيش منه ثم رد رأسه الى المتكلم في شأن الرمادي وقد كاد يغوص في الارض لو وجد لشدة ما حل به مما رأى وسمع وقال والعجب من قوم

يقولون الابتعاد من الشعراء أولى من الاقتراب نعم ذلك لمن ليس له مفاخر يريد تخليدها ولا أيادى يرغب فى نشرها فأين الذين قيل فيهم

على مكثريهم رزق من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل

وأين الذى قيل فيه

انما الدنيا أبو دلف * بين مبداه ومحتضره

فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

أما كان فى الجاهلية والاسلام أكرم ممن قيل فيه هذا القول بلى ولكن صحبة الشعراء والاحسان اليهم أحيت غابر ذكرهم وخصتهم بمفاخر عصرهم وغيرهم لم تخلد الامداح مآثرهم فدثر ذكرهم ودرس فخرهم انتهى *ومن حكاياتهم فى العدل انه لما بنى المعتصم بن صمادح ملك المرية قصوره المعروفة بالصمادحية غصبوا أحد الصالحين فى جنة وألحقوها بالصمادحية وزعم ذلك الصالح انهم الايتام من أقاربه فبينا المعتصم يوما يشرب على الساقية الداخلة الى الصمادحية اذ وقعت عينه على انبوب قصبة مشمع فأمر من يأتيه به فلما أزال عنه الشمع وجد فيه ورقة فيها اذا وقفت أيها الغاصب على هذه الورقة فاذكر قوله تعالى ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب لا اله الا الله أنت ملك قد وسع الله تعالى عليك ومكن لك فى الارض ويحملك الحرص على ما يفنى أن تضم الى جنتك الواسعة العظيمة قطعة أرض لايتام حرمت بها حلالها وخبثت طيبها واين تحجبت على بسلطانك واقتدرت على بعظم شانك فتجتمع غدا بين يدى من لا يحجب عن حق ولا تضيع عنده شكوى فلما استوعب قراءتها دمعت عيناه وأخذته خشية خيف عليه منها وكانت عادته رحمه الله تعالى وقال على بالمشتغلين ببناء الصمادحية فأحضروا فاستفسرهم عما زعم الرجل فلم يسعهم الا صدقه واعتذروا بان نقصها من الصمادحية يعيبها فى عين الناظر فاستشاط غضبا وقال والله ان عيبها فى عين الخالق أقبح من عيبها فى عين المخلوق ثم أمر بأن تصرف اليه واحتمل تعويرها الصمادحية ولقد مر بعض أعيان المرية وأخبارها مع جماعة على هذا المكان الذى أخرجت منه جنة الايتام فقال أحدهم والله لقد عورت هذه القطعة هذا المنظر العجيب فقال له اسكت فوالله ان هذه القطعة طراز هذا المنظر وفخره وكان المعتصم اذا نظر اليها قال أشعرتم أن هذا المكان المعوج فى عينى أحسن من سائرما استقام من الصمادحية ثم ان وزيره ابن أرقم لم يزل يلاطف الشيخ والايتام حتى باعوها عن رضا بما اشتهوا من الثمن وذلك بعد مدة طويلة فاستقام بها بناء الصمادحية وحصل للمعتصم حسن السمعة فى الناس والجزاء عند الله تعالى ولما مات المعتصم بن صمادح ركب البحر ابنه ولى عهده الواثق عز الدولة أبو محمد عبد الله وفارق الملك كما أوصاه المعتصم والده وفى ذلك يقول

لك الحمد بعد الملك أصبحت خاملا * بأرض اغتراب لا أمر ولا أحلى

وقد أصدأت فيها الجذاذة أنملى * كما نسيت ركض الجياد بها رجلى

فلا مسمعى يصغى لنغمة شاعر * ولا كفى لا تعتدى يوما الى بذل

قوله انملى فى نسخة منهل ٥١

قال ابن اللبانة الشاعر ما عملت حقيقة جور الدهر حتى اجتمعت بجباية مع عز الدولة بن المعتصم بن صمادح فانى رأيت منه خيرا من يجتمع به كأنه لم يخلقه الله تعالى الا للملك والرياسة واحياء الفضائل ونظرت الى همته تنم من تحت خموله كما ينم فرند السيف وكرمه من تحت الصدأ مع حفظه لفنون الادب والتواريخ وحسن استماعه واسماعه ورقة طباعه ولطافة ذهنه ولقد ذكرته لاحد من صحبته من الادباء فى ذلك المكان ووصفته بهذه الصفات فتشوق الى الاجتماع به ورغب الى فى أن استأذنه فى ذلك فلما أعلمت عز الدولة قال يا أبا بكر لتعلم أنا اليوم فى خمول وضيق لا يتسع لنا معهما ولا يحمل بنا الاجتماع مع أحد لا سيما مع ذى ادب ونباهة يلقانا بعين الرحمة ويزورنا بمنة التفضل فى زيارتنا ونكابد من ألفاظ توجعه وألحاظ تفجعه ما يجدد لنا هما قد بلى ويحيى كمدا قد فنى ومالنا قدرة على أن نجود عليه بما يرضى به عن همته فنفدعنا كأننا فى قبر نتدرع لسهام الدهر بدرع الصبر وأما أنت فقد اختلطت بنا اختلاط اللحم بالدم وامتزجت امتزاج الماء بالخمر فكانا لم نكشف حالنا لسوانا ولا أظهرنا مابنا لغيرنا فلا تحمل غيرك بحملك قال ابن اللبانة فلا والله معى بلاغة لا تصدر الا عن سداد ونفس أبية متمكنة من أعنة البيان وانصرفت متمثلا

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * ولم يبق الا صورة اللحم والدم
وكائن ترى من صامت لك معجب * زيادته أو نقصه فى التكلم

وكتب اليه ابن اللبانة

ياذا الذى هز أمداحى بحليته * وعزه أن يهز المجد والكرما
واديك لا زرع فيه اليوم تبذله * فخذ عليه لايام المنى سلما

فتحيل فى قليل بر ووجهه اليه وكتب اليه

المجد يخجل من يفديك من زمن * ثنائك عن واجب البر الذى علما
فدونك النزر من مصف مودته * حتى يوفيك أيام المنى السلما

ومن شعر عز الدولة المذكور

أفدى أبا عمرو وان كان عاتبا * فلا خير فى ود يكون بلا عتب
وما كان ذاك الود الا كبارق * أضاء لعينى ثم أظلم فى قلبى

وقال الشقندى فى الطرف ان عز الدولة أشعر من أبيه وأما أخوه رفيع الدولة الحاجب أبو زكريا يحيى بن المعتصم فله أيضا نظم رائق ومنه ما كتب به الى يحيى بن مطروح يستدعيه لانس

يا أخى بل سيدى بل سندى * فى مهمات الزمان الانكد
لم يأفق غاب عنه بدره * فى اختفاء من عيون الحسد
وتعجل لخبيبى حاضر * وفى يشتاق كاسى فى يدى

فأجابه ابن مطروح وهو من أهل باغة بقوله

أنا عبد من أقل الاعبد * قبلتى وجه بأفق الاسعد

كلما أظمانى وردتها * منهلى الابذال المورد
ها أنا بالباب أبغى اذنكم * والظما قد مد للكاس يدى

وكان قد سلط عليه انسان مختل اذا رآه يقول هذا ألف لا شئ عليه يعنى ان ملكه ذهب عنه وبقى فارغا منه فشكا رفيع الدولة ذلك الى بعض أصحابه فقال أنا أكفيك مؤنته واجتمع مع الاحمق واشترى له حلواء وقال له اذا رأيت رفيع الدولة بن المعتصم فسلم عليه وقبل يده ولا تقل هذا الف لا شئ عليه فقال نعم واشترط الوفاء بذلك الى أن لقيه فجرى نحوه وقبل يده وقال هذا هو باء بنقطة من أسفل فقامت قيامة رفيع الدولة وكان ذلك أشد عليه وكان به علة الحصافظن أن الاحمق علم ذلك وقصده وصار كلما أحس به فى موضع تجنبه واستأذن يوما على أحد وجوه دولة المرابطين فقال أحد جلسائه تلك أمة قد خلت استحقارا له واستنقالا للاذن له فبلغ ذلك رفيع الدولة فكتب اليه

خلت أمتى لكن ذاتى لم تخل * وفى الفرع ما يغنى اذا ذهب الاصل
وما ضركم لو قلتم قول ماجد * يكون له فيما يجىء به الفضل
وكل اناء بالذى فيه راشح * وهل يمنح الزنبور ما يجه النحل
سأصرف وجهى عن جناب تحله * ولو لم تكن الا الى وجهك السبل
فما موضع تحتله بمرفع * ولا يرتضى فيه مقال ولا فعل
وقد كنت ذا عذل لعلك ترعوى * ولكن بارباب العلا يجمل العذل

وأما أخوهما أبو جعفر بن المعتصم فله ترجمة فى المسهب والمطرب والمغرب ومن شعره

كتبت وقلبى ذو اشتياق ووحشة * ولو أنه يستطيع مزيد سلم
جعلت سواد العين فيه سواده * وأبيضه طرسا وأقبلت ألثم
فخيل لى أنى أقبل موضعا * يصافحه ذاك البنان المسلم

وأما أختهم أم الكرم فذكرناها مع النساء فلتراجع * وقال أبو العلا بن زهر

تمت محاسن وجهه وتكاملت * لما بدا وعليه صدغ مونق
وكذلك البدر المنير جماله * فى أن تكنفه سماء أزرق

وقال أبو الفضل بن شرف

يا من حكى البيدق فى شكله * أصح يحكيك وتحكيه
أسفله أوسع أجزائه * ورأسه أصغر ما فيه

وقال ابن خفاجة

يا أيها الصب المعنى به * هاهو لا خل ولا خمر
سود ما ورد من خده * فصار خمرا ذلك الجر

وقال أبو عبد الله البياسى

صغر الرأس وطول العنق * شاهدا عدل بفرط الحمق

ولما سمعه أبو الحسن بن حريق قال

صغر الرأس وطول العنق * خلقة منكرة فى الخلق

فاذا أبصرتها من رجل * فاقض فى المين له بالحق

وقال أبو الحسن بن الفضل يذكر مقاما قامه سهل بن مالك وابن عياش

لعمرى لقد سر الخلافة قائما * بخطبته الغراء سهل بن مالك

وأما ابن عياش وقد كان منله * فصلوا جميعا بين تلك المسالك

ومات وماتوا حسرة وحسادة * وغيظا فقلنا هالك فى الهوالك

وسهل بن مالك له ترجمة مطولة رحمه الله تعالى * ومن حكاياتهم فى الوفاء وحسن الاعتذار والقيام بحق الاخاء أن الوزير الوليد بن عبد الرحمن بن غانم كان صديقا للوزير هاشم بن عبد العزيز ثابتا على مودته ولما قضى الله تعالى على هاشم بالاسر أجرى السلطان محمد بن عبد الرحمن الاموى ذكره فى جماعة من خدامه والوليد حاضر فاستقصره ونسبه للطيش والعجلة والاستبداد برأيه فلم يكن فيهم من اعتذر عنه غير الوليد فقال أصلح الله تعالى الامير انه لم يكن على هاشم التخير فى الامور ولا الخروج عن المقدور بل قد استعمل جهده واستفرغ نصحه وقضى حق الاقدام ولم يكن ملاك النصر بيده فخذله من وثق به ونكل عنه من كان معه فلم يزحزح قدمه عن موطن حفاظه حتى ملك مقبلا غير مدبر مبايا غير فشل فجوزى خيرا عن نفسه وسلطانه فانه لا طريق للملام عليه وليس عليه ما جنته الحرب الغشوم وأيضا فانه ما قصد أن يجود بنفسه الا رضا للامير وابتغاء لسخطه فاذا كان ما اعتمد فيه الرضا جالب التقصير فذلك معدود فى سوء الحظ فأعجب الامير كلامه وشكر له وفاءه وأقصر فيما بعد عن تفنيد هاشم وسعى فى تخليصه واتصل الخبر بهاشم فكتب اليه الصديق من صدقك فى الشدة لا فى الرخاء والاخ من ذب عنك فى الغيب لا فى المشهد والوفى من وفى لك اذا خانك زمان وقد أتانى من كلامك بين يدى سيدنا جعل الله تعالى نعمته سرمدا ما زادنى بمودتك اغتباطا وبصداقتك ارتباطا ولذلك ما كنت أشد يدى على وصلك وأخصك باخائى وأنا الآن بموضع لا أقدر فيه على جزاء غير الثناء وأنت اقدر منى على أن تزيد مما بدأت به بأن تتم ما شرعت فيه حتى تتكمل لك المنة ويستوثق عقد الصداقة ان شاء الله تعالى وكتب اليه بشعر منه

أيا ذاكرى بالغيب فى محفل به * تصامت جمع عن جواب به نصرى

أتتنى والبيداء بينى وبينها * رقى كلمات خلصتنى من الاسر

لئن قرب الله اللقاء فانى * سأجزيك ما لا ينقضى غابر الدهر

فأجابه الوليد خلصك الله أيها البدر من سرارك وعجل بطلوعك فى أكمل تمامك وابدارك وصلنى شكرك على أن قلت ما علمت ولم أخرج عن النصح للسلطان بما ذكرته من ذلك والله تعالى شاهد على أن ذلك فى مجالس غير المجلس المنقول لسيدى ان خفيت عن المخلوق فما تخفى عن الخالق ما أردت بها الا أداء بعض ما اعتقده لك وكم سهرت وأنا نائم وقمت فى حقى وأنا قاعد والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ثم ذكر أبياتا لم تحضرنى الآن * ومن حكاياتهم فى علو الهمة فى العلم والدنيا انه دخل أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة جامع غرناطة وبه نحو حوله شباب يقرؤن فنظروا اليه وقالوا له مستهزئين به ما يحمل

الفقيه وما يحسن من العلوم وما يقول فقال لهم أحمل اثنى عشر الف دينار وهاهى تحت ابطى وأخرج لهم اثنى عشرة باقوتة كل واحدة منها بألف دينار وأما الذى أحسنه فاثنا عشر علما أدونها علم العربية الذى تبصمون فيه وأما الذى أقول فأنتم كذا وجعل يسبهم هكذا نقلت هذه الحكاية من خط الشيخ أبى حيان النحوى رحمه الله تعالى * ومن حكاياتهم فى الذكاء واستخراج العلوم واستنباطها أن أبا القاسم عباس بن فرناس حكيم الاندلس أول من استنبط بالاندلس صناعة الزجاج من الحجارة وأول من فك بها كتاب العروض للخليل وأول من فك الموسيقى وصنع الآلة المعروفة بالمثقال ليعرف الاوقات على غير رسم ومثال واحتال فى تطيير جثمانه وكسا نفسه الريش ومد له جناحين وطار فى الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتيال فى وقوعه فتأذى فى مؤخره ولم يدر أن الطائر انما يقع على زمكه ولم يعمل له ذنبا وفيه قال مؤمن بن سعيد الشاعر من أبيات

يطير على العنقاء فى طيرانها * اذا ما كسا جثمانه ريح قشعم

وصنع فى بيته هيئة السماء وخيل للناظر فيها النجوم والغيوم والبروق والرعود وفيه يقول مؤمن بن سعيد أيضا

سماء عباس الاديب أبى القاسم ناهيك حسن رائقها
أما ضراط استه فراعدها * فليت شعرى ما لمع بارقها
لقد تمنيت حين دوتها * فكر فى البصق فى است خالقها

وأنشد ابن فرناس الامير محمدا من أبيات

رأيت أمير المؤمنين محمدا * وفى وجهه بذر المحبة يثمر

فقال له مؤمن بن سعيد قبحا لما ارتكبته جعلت وجه الخليفة محرثا يثمر فيه البذر فخجل وسبه * وأول من اشتهر فى الاندلس بعلم الاوائل والحساب والنجوم أبو عبيدة مسلم ابن احمد المعروف بصاحب القبلة لانه كان يشرق فى صلاته وكان عالما بحركات الكواكب وأحكامها وكان صاحب فقه وحديث دخل المشرق وسمع بمكة من على بن عبد العزيز وبمصر من المزنى وغيره * ومنهم يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة من أهل قرطبة وكان بصيرا بالحساب والنجوم واللغة والعروض ومعانى الشعر والفقه والحديث والاخبار والجدل ودخل الى المشرق وقيل انه كان معتزلى المذهب * وأبو القاسم اصبغ بن السمح وكان بارعا فى علم النجوم والهندسة وله تأليف منها كتاب المدخل الى الهندسة فى تفسير اقليدس وكتاب كبير فى الهندسة وكتابان فى الاسطرلاب وزيج على مذاهب الهند المعروف بالسندهند * وأبو القاسم بن الصفار وكان عالما بالهندسة والعدد والنجوم وله زيج مختصر على مذاهب السندهند وله كتاب فى عمل الاسطرلاب * ومنهم أبو الحسن الزهراوى كان عالما بالعدد وبالطب والهندسة وله كتاب شريف فى المعاملات على طريق البرهان * ومنهم أبو الحكم عمر الكرمانى من أهل قرطبة من الراسخين فى علم العدد والهندسة ودخل المشرق واشتغل بحران وهو أول من دخل برسائل اخوان الصفا الى

قوله بالمثقال فى نسخة بالنقالة اه

الاندلس * ومنهم أبو مسلم بن خلدون من أشراف اشبيلية وكان متصرفا فى علوم الفلسفة والهندسة والنجوم والطب وتلميذه ابن برغوث وكان عالما بالعلوم الرياضية وتلميذه أبو الحسن مختار الرعينى وكان بصيرا بالهندسة والنجوم وعبد الله بن أحمد السرقسطى كان ناقدا فى علم الهندسة والعدد والنجوم ومحمد بن الليث كان بارعا فى العدد والهندسة وحركات الكواكب وأبو حى القرطبى بصير بالهندسة والنجوم وخرج عن الاندلس سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ولحق بمصر ودخل اليمن واتصل بأميرها الصليحى القائم بدعوة المستنصر العبيدى فحظى عنده وبعثه رسولا الى بغداد الى القائم بامر الله وتوفى باليمن بعد انصرافه من بغداد وأبو الوقشى الطليطلى عارف بالهندسة والمنطق والزيوج ممن يطول تعدادهم وكان الحافظ أبو الوليد هشام الوقشى من أعلم الناس بالهندسة وآراء الحكماء والنحو واللغة ومعانى الاشعار والعروض وصناعة الكتابة والفقه والشروط والفرائض وغيرها وهو كما قال الشاعر

وكان من العلوم بحيث يقضى * له فى كل فن بالجميع

ومن شعره قوله

قد بينت فيه الطبيعة انها * بدقيق أعمال المهندس ماهره
عنيت بمسمه نخطت فوقه * بالمسك خطا من محيط الدائره

وعزم على ركوب البحر الى الحجاز فهاله ذلك فقال

لا أركب البحر ولو انى * ضربت فيه بالعصا فانفلق
ما ان رأت عينى أمواجه * فى فرق الا تناهى الفرق

وكان الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن نهيد مصنف الادوية المفردة آية الله تعالى فى الطب وغيره حتى انه عانى جميع ما فى كتابه من الادوية المفردة وعرف ترتيب قواها ودرجاتها وكان لا يرى التداوى بالادوية ما أمكن بالاغذية أو ما يقرب منها واذا اضطر الى الادوية فلا يرى التداوى بالمركبة ما وجد سبيلا الى المفردة واذا اضطر الى المركب لم يكثر التركيب بل يقتصر على أقل ما يمكنه وله غرائب مشهورة فى الابراء من الامراض الصعبة والعلل المخوفة بأيسر علاج وأقربه * ومنهم ابن البيطار وهو عبد الله بن أحمد المالقى الملقب بضياء الدين وله عدة مصنفات فى الحشائش لم يسبق اليها وتوفى بدمشق سنة ست وأربعين وستمائة أكل عقارا فاتلافات من ساعته رحمه الله تعالى * ومن حكاياتهم فى الحفظ أن الاديب الاوحد حافظ اشبيلية بل الاندلس فى عصره ابا المتوكل الهيثم بن أحمد بن أبى غالب كان اعجوبة دهره فى الرواية للاشعار والاخبار قال ابن سعيد أخبرنى من أثق به انه حضر معه ليلة عند أحد رؤساء اشبيلية فجرى ذكر حفظه وكان ذلك فى أول الليل فقال لهم ان شئتم تختبرونى أجبتكم فقالوا له بسم الله انا نريد أن نتحدث عن تحقيق فقال اختاروا أى قافية شئتم لأخرج عنها حتى تعجبوا فاختاروا القاف فابتدأ من أول الليل الى أن طلع الفجر وهو ينشد وزن (أرق على أرق ومثلى يأرق) وشعاره قد نام بعض وضج بعض وهو ما فارق قافية القاف وقال أبو عمران بن سعيد دخلت عليه يوما بدار الاشراف

قوله وأبو حى فى نسخة وابن حى اه

باشبيلية وحوله أدباء ينظرون فى كتب منها ديوان ذى الرمة فمد الهيثم يده الى الديوان المذكور فمنعه منه أحد الادباء فقال يا اباعمران أواجب أن يمنعنى وما يحفظ منه بيتا وأنا أحفظه فأكذبته الجماعة فقال اسمعونى وأمسكوه فابتدأ من أوله حتى قارب نصفه فأقسمنا عليه أن يكف وشهدنا له بالحفظ وكان آية فى سرعة البديهة مشهورا بذلك قال أبو الحسن بن سعيد عهدى به فى اشبيلية يملى على أحد الطلبة شعرا وعلى ثان موشحة وعلى ثالث زجلا كل ذلك ارتجالا ولما أخذ الحصار بخناق اشبيلية فى مدة الباجى خرج خروج القارظين ولا يدرى حيث ولا اين ومن شعره وقد نزل بداره عبيد السلطان وكتب به الى صاحب الانزال

كم من يد لك لا أقوم بشكرها * وبها أشير اليك ان خرست فى
وقد استشرتك فى الحديث فهل ترى * أن يدخل الغربان وكر الهيثم

وله

يحفى الفقير ويغشى الناس قاطبة * باب الغنى كذا حكم المقادير
وانما الناس أمثال الفراش فهم * بحيث تبدو مصابيح الدنانير

وله

عندى لفقدك أوجال أبيت بها * كأننى واضع كفى على قبس
ولا ملامة ان لم أهد نيره * حتى تمد اليها كف مقتبس
قد كنت أودع سر الشوق فى طرس * لكننى خفت أن يعدو على الطرس

وأنشده أبو سهل شيخ دار الحديث بالقاهرة فى املائه

قف بالكثيب لغيرك التأنيب * ان الكثيب هوى له محبوب
يا راحلين لنا عليكم وقفة * ولكم علينا دمعنا المسكوب
تخلى الديار من المحبة والهوى * أبدا وتعمر أضلع وقلوب

وقال ارتجالا فى وصف فرس أصفر

أطرف فات طرفى أم شهاب * هفا كالبرق ضرمه التهاب
أعار الصبح صفحته نقابا * ففر به وصح لنا النقاب
فهما حث خال الصبح وافى * ليطلب ما استعار فما يصاب
اذا ما انقض كل النجم عنه * وضلت عن مسالكه السحاب
فيا عجبا له فضل الدرارى * فكيف أزال أربعه التراب
سل الارواح عن أدنى مداه * فعند الريح قد يلقى الجواب

وقال أبو عمر الطلمنكى دخلت مرسية فتشبث بى أهلها يسمعون على الغريب المصنف فقلت اقترحوا من يقرأ لكم وأمسكت أنا كتابى فأتونى برجل أعمى يعرف بابن سيدة فقرأه على من أوله الى آخره فعجبت من حفظه وكان أعمى وابن سيدة المذكور هو أبو الحسن على بن أحمد بن سيدة وهو صاحب كتاب المحكم ومن نظمه مما كتب به الى ابن الموفق

الا هل الى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فان الامن فى ذا والیمنا

فحييت فهل فى برد ظلك نومة * لذى كبد حرى وذى مقلة وسنا

وتوفى ابن سيدة المذكور سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وعمره نحو الستين رحمه الله تعالى * ومن حكاياتهم فى حب العلم أن المظفر بن الافطس صاحب بطليوس كان كما قال ابن الابار كثير الادب جم المعرفة محبا لاهل العلم جماعة للكتب ذا خزانة عظيمة لم يكن فى ملوك الاندلس من يفوقه فى أدب ومعرفة قاله ابن حيان وقال ابن بسام كان المظفر أديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكرة والمشتهر أيضا اسمه بالكتاب المظفرى فى خمسين مجلدا يشتمل على فنون وعلوم من مغاز وسير ومثل وخبر وجميع ما يختص به علم الادب أبقاه للناس خالدا وتوفى المظفر سنة ستين وأربعمائة وكان يحضر العلماء للمذاكرة فيفيد ويستفيد رحمه الله تعالى ومن التآليف الكبار لاهل الاندلس كتاب السماء والعالم الذى ألفه أحمد بن ابان صاحب شرطة قرطبة وهو مائة مجلد رأيت بعضه بفاس وتوفى ابن ابان سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى ولاهل الاندلس دعابة وحلاوة فى محاوراتهم وأجوبة بديهية مسكتة والظرف فيهم والادب كالغريزة حتى فى صبيانهم ويهودهم فضلا عن علمائهم وأكابرهم ولنذكر جملة من ذكر ابالة فنقول حكى عن عالم المرية القاضى أبى الحسن مختار الرعينى وكان فيه حلاوة ولوذعية ووقار وسكون انه استدعاه يوما زهير ملك المرية من مجلس حكمه فجاءه يمشى مشية قاض قليلا قليلا فاستعجله رسول زهير فلم يعجل فلما دخل عليه قال له يا فقيه ما هذا البطء فتأخر الى باب المجلس وطلب عصا وشمر ثيابه فقال له زهير ما هذا قال هذا يليق باستعجال الحاجب لى فوقع فى خاطرى انه عزلنى عن القضاء وولانى الشرطة فضحك زهير واستحلاه ولم يعد الى استعجاله وهذا القاضى هو القائل وقد دخل حماما فجلس بازائه عامى أساء الادب عليه

ألا لعن الحمام دارا فانه * سواء به ذو العلم والجهل فى القدر

تضيع به الآداب حتى كأنها * مصابيح لم تتفق على طلعة الفجر

وروى أن المقرئ أبا عبد الله محمد بن الفراء امام النحو واللغة فى زمانه وكانت فيه فطنة ولوذعية أبطأ خروجه يوما الى تلامذته فطال بهم الكلام فى المذاكرة فقال أحدهم نصف بيت وكان فيهم وسيم من أبناء الاعيان وكان ابن الفراء كثير الميل اليه فلما خرج قال له يا استاذ عملت نصف بيت وأريد أن تتمه فقال ما هو فقال الا بابى شادن أوطف فقال الاستاذ ابن الفراء بديها

اذا كان وردك لا يقطف * وثغرك شاك لا يرشف

فأى اضطرار بنا أن نقول * الا بأبى شادن أوطف

وهذا ابن الفراء هو القائل

قيل لى قد تبدلا * فاسل عنه كاسلا

لك سمع وناظر * وفؤاد فقلت لا

قيل غال وصاله * قلت لما غلا حلا

أيها العاذل الذى * بعذابى توكلا
عد صحيحا مسلما * لاتعير فتبتلى

وتذكرت بهذا ما أنشده لسان الدين فى كتابه روضة التعريف بالحسب الشريف

قلت للساخر الذى * رفع الانف فاعتلى
أنت لم تأمن الهوى * لاتعير فتبتلى

ومن بديع نظم ابن الفراء المذكور قوله

شكوت اليه بفرط الدنف * فأنكر من قصتى ماعرف
وقال الشهود على المدعى * وأما أنا فعلى الحلف
فجئنا الى الحاكم الالمعى * قاضى المجون وشيخ الطرف
وكان بصيرا بشرع الهوى * ويعلم من أين أكل الكتف
فقلت له اقض ماعيننا * فقال الشهود على ماتصف
فقلت له شهدت أدمعى * فقال اذا شهدت تنتصف
ففاضت دموعى من حينها * كفيض السحاب اذا مايكف
فخر لك رأسا الينا وقال * دعوا يا مهاتيك هذا الصلف
كذا تقتلون مشاهيرنا * اذا مات هذا فأين الخلف
وأوما الى الورد أن يجتنى * وأوما الى الريق أن يرتشف
فلما رآه حبيبى معى * ولم يختلف بيننا مختلف
أزال العناد فعانقته * كأنى لام وحبى ألف
فظلت أعاتبه فى الجفا * فقال عفا الله عما سلف

وحكى عن الزهرى خطيب اشبيلية وكان أعرج انه خرج مع ولده الى وادى اشبيلية فصادف جماعة فى مركب وكان ذلك بقرب الاضحى فقال بعضهم له بكم هذا الخروف وأشار الى ولده فقال له الزهرى ماهو للبيع فقال بكم هذا التيس وأشار الى الشيخ الزهرى فرفع رجله العرجاء وقال هو معيب لايجزئ فى الضحية فضحك كل من حضر وعجبوا من لطف خلقه * وركب مرة هذا النهر مع الباجى يوم خميس فلما أصبحا وصعد الزهرى يخطب يوم الجمعة والباجى حاضر قدامه فنظر اليه الباجى وأومأ الى محل الحدث وأخرج لسانه فجعل الزهرى يلمس عصا الخطبة يشير بالعصا الى جوابه على ماقصد رحمه الله تعالى * ومر العالم أبو القاسم بن ورد صاحب التآليف فى علم القرآن والحديث بجنة لاحد الاعيان فيها ورد فوقف بالباب وكتب اليه

شاعر قد أتاك يبغى أباه * عندما اشتاق حسنه وشذاه
وهو بالباب مصغيا لجواب * يرتضى بالندا فماذا تراه

فعندما وقف على البيتين علم انه ابن ورد فبادر من جنته اليه وأقسم فى النزول عليه ونثر من الورد ما استطاع بين يديه * وحكى أن أبا الحسن سليمان بن الطراوة نحوى المرية حضر مع ندماء والى جانبه من أخذ بمجامع قلبه فلما بلغت النوبة اليه استعفى من الشرب

وأبدى القطوب فأخذ ابن الطراوة الجام من يده وشربها عنه ويابردها على كبده ثم قال بديها

يشربها الشيخ وأمثاله * وكل من تحمد أفعاله
والبكران لم يستطع صولة * تلقى على البازل أثقاله

ودخل عليه وهو مع ندمائه غلام والكاس فى يده فقال

ألا بأبى وغير أبى غزال * اتى وبراحه للشرب راح
فقال منادمى فى الحسن صفه * فقلت الشمس جاءبها الصباح

وقال فيمن جاء بالراح

ولما رأيت الصبح لاح بخدته * دعوتهم رفقا تلح لكم الشمس
وأطلعها مثل الغزالة وهو كالـ * ـغزال فتم الطيب واكتمل الانس

وقال وقد شرب ليلة فى القمر

شربنا بصباح السماء مدامة * بشاطى غدير والازاهر تنفح
وظل جهول يرقب الصبح ضلة * ومن أكوس لم يبرح الليل يصبح

وكان عبد الله بن الحاج المعروف بمدغليس صاحب الموشحات يشرب مع ندمائه ظراف فى جنة بهجة فجاءتهم ورقة من ثقيل يرغب فى الاذن وكان له ابن مليح فكتب اليه مدغليس

سيدى هذا مكان * لايرى فيه بطيه
غير تيس مصفعانى * له بالصفع كديه
أوله ابن شافع فيـ * ـه فيلقى بالتحيه
أيها القابل أقبل * سائقا تلك المطيه

وكان مدغليس هذا مشهورا بالانطباع والصنعة فى الازجال خليفة ابن قزمان فى زمانه وكان أهل الاندلس يقولون ابن قزمان فى الزجالين بمنزلة المتنبى فى الشعراء ومدغليس بمنزلة أبى تمام بالنظر الى الانطباع والصناعة فابن قزمان ملتفت الى المعنى ومدغليس ملتفت للفظ وكان أديبا معربا الكلام مثل ابن قزمان ولكنه لما رأى نفسه فى الزجل أعجب اقتصر عليه ومن شعره قوله

ماضرّكم لو كتبتم * حرفا ولو بالبسار
اذ أنتم نور عينى * ومطلبى واختيارى

وقال الخطيب الاديب النحوى أبو عبد الله بن الفراء المذكور قبل هذا بقريب الضرير فى صبى كان يقرأ عليه النحو اسمه حسن وهو فى غاية الجمال بعد أن سأله كيف تقول اذا تعجبت من حسنك فقال أقول ما أحسنى

ياحسنا مالك لم تحسن * الى نفوس بالهوى متعبه
رقت بالورد وبالسوسن * صفحة خدبالسنا مذهبه
وقد أبى صدغك أن أجتنى * منه وقد ألدغنى عقربه
ياحسنه اذ قال ما أحسنى * وياذلك اللفظ ما أعذبه

فوق السهم ولم يخطني * واذ رآني ميتا أعجبه
وقال كم عاش وكم حبني * وحبه اياي قد عذبه
يرحمه الله على أنني * قتلي له لم أدر ما أوجبه

وقد كان ابن الفراء من فضلاء المائة السادسة ذكره ابن غالب في فرحة الانفس في فضلاء العصر من الاندلس وكان شاعرا مجيدا يعلم بالمرية القرآن والنحو واللغة وكانت فيه فطنة ولوذعية وذكاء والمعية خرق بها العوائد * وحكي ان قاضي المرية قبل شهادته في سطل ميزه في حمام باللمس واختبره في ذلك بحكاية طويلة وذكره صفوان في زاد المسافر ووصفه بالخطيب وجده القاضي أبو عبد الله بن الفراء مشهور بالصلاح والفضل والزهد ومن العجائب انه ليس له ترجمة في المغرب ولما كتب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الى أهل المرية يطلب منهم المعونة جاوبه بكتابه المشهور الذي يقول فيه ما صورته فاذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخرى عن ذلك وان الباجي وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والاندلس أفتوا بأن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اقتضاها وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعه في قبره ولا يشك في عدله فليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بضجيعه في قبره ولا ممن لا يشك في عدله فان كان الفقهاء والقضاة أنزلوه بمنزلته في العدل فالله تعالى سائلهم عن تقلدهم فيك وما اقتضاها عمر رضي الله تعالى عنه حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف أن ليس عنده درهم واحد في بيت مال المسلمين ينفقه عليهم فلتدخل المسجد الجامع هنالك بحضرة من اهل العلم وتحلف أن ليس عندك درهم واحد ولا في بيت مال المسلمين وحينئذ تستوجب ذلك والسلام انتهى

وأما ابن الفراء الاخفش بن ميمون الذي ذكره الحجاري في المسهب فليس هو من هؤلاء بل هو من حصن الغيداق من أعمال قلعة بني سعيد وتأدب في قرطبة ثم عاد الى حضرة غرناطة واعتكف بها على مدح وزيرها اليهودي وهو القائل

صابح محياه تلق النجح في الامل * وانظر بناديه حسن الشمس في الحمل
ما ان يلاقي خليل فيه من خلل * وكلما حال صرف الدهر لم يحل

وكان يهاجي المنفتل شاعر البيرة ومن هجاء المنفتل له قوله

لابن ميمون قريض * زمهرير البرد فيه
فاذا ما قال شعرا * نفقت سوق أبيه

ولما وفد على المرية مدح رفيع الدولة بن المعتصم بشعر فقال له بعض من أراد ضرره ياسيدي لا تقرب هذا اللعين فانه قال في اليهودي

ولكن عندي للوفاء شريعة * تركت بها الاسلام يبكي على الكفر

فقال رفيع الدولة هذا والله هو الحر الذي ينبغي أن يصطنع فلولا وفاؤه ما بكى كافرا بعد موته وقد وجدنا في أصحابنا من لا يرعى مسلما في حياته فقال فيه المنفتل

ان كنت أخفش عين * فان قلبك أعمى
فكيف تنثر نثرا * وكيف تنظم نظما

ومن شعر الاخفش المذكور قوله

اذا زرتكم غبا فلم ألق بالبر * وان غبت لم أطلب ولم أجر فى الذكر
فانى اذن أولى الورى بفراقكم * ولاسيما بعد التجلد والصبر

ولما وفد على المنصور بن أبى عامر الشاعر المشهور أبو عبد الله محمد بن مسعود الغسانى اليحصبى اتهم برهق فى دينه فسجنه فى المطبق مع الطليق القرشى والطليق غلام وسيم وكان ابن مسعود به كلفا يومئذ وفيه يقول

غدوت فى السجن خدنا لابن يعقوب * وكنت أحسب هذا فى التكاذيب
رامت عداتى تعذيبى وما شعرت * ان الذى فعلوه ضد تعذيبى
راموا بعادى عن الدنيا وزخرفها * فكان ذلك ادنائى وتقريبى
لم يعلموا أن سجنى لا أبالهم * قد كان غاية مأمولى ومرغوبى

وسجن ابن مسعود والطليق قبله ووقع بينه وبين الطليق وعاد المدح هجاء فقال فيه

ولى جليس قربه منى * بعد الامانى كذباعنى
قد قذيت من لحاظه مقلتى * وقرحت من لفظه أذنى
هون لى فى السجن من قربه * أشد فى السجن من السجن
لو أن خلقا كان ضد الله * زاد على يوسف فى الحسن
اذا ارتمى فكرى فى وجهه * سلط ابليسه على ذهنى
كانما يجلس من ذا وذا * بين كنيفين من النتن

وقال يخاطب المنصور من السجن

دعوت لما عيل صبرى فهل * يسمع دعواى المليك الحليم
مولاى مولاى الا عطفة * تذهب عنى بالعذاب الاليم
ان كنت أضمرت الذى زخرفوا * عنى فدعنى للقدير الرحيم
فعنده نزاعة للشوى * وعنده الفردوس ذات النعيم

وركب بعض أهل المرية فى وادى اشبيلية فمر على طاقة من طاقات شنتبوس وهو يغنى خلنى من وادو من قوارب ومن تراها فى شنتبوس غرس الحبق الذى فى دارى أحب عندى من الفردوس فأخرجت رأسها جارية وقالت له من أى بلد أنت يا من غنى فقال من المرية فقالت وما أعجبك فى بلدك حتى تفضله على وادى اشبيلية وهو بوجه مالح وقفا أحرش وهذا من أحسن تعيب وذلك انها أتته بالنقيض من اشبيلية فان وجهها النهر العذب وقفاها بجبال الرحمة أشجار التين والعنب لا تقع العين الا على خضرة فى أيام الفرج وأين اشبيلية من المرية وفى المرية يقول السميسر شاعرها

بئس دار المرية اليوم دارا * ليس فيها لساكن ما يحب
بلدة لا تمار الا بريح * وبما قد تهب أولا تهب

يشير الى ان مرافقها مجلوبة وأن الميرة تأتيها فى البحر من بر العدوة وفيها يقول أيضا

قالوا المرية فيها * نظافة قلت ايه

قوله خلنى الخ هكذا فى الاصل ولينظر وقوله من الفردوس فى نسخة من الغروس اه

كانها طست تبر * ويصق الدم فيه

وحكى مؤرخ الاندلس أبو العباس البياسى انه دخل عليه فى مجلس انس شيخ ضخم الجثة مستثقل فقال البياسى

اسقنى الكاس صاحبه * ودع الشيخ ناحيه

فقال الكاتب أبو جعفر أحمد بن رضى

ان تكن ساقياله * ليس تروبه ساقيه

وحكى ان العالى ادريس الحمودى لما عاد الى ملكه بمالقة وبخ قاضيها الفقيه أبا على ابن حسون وقال له كيف بايعت عدوى من بعدى وصحبته فقال وكيف تركت أنت ملكك لعدوك فقال ضرورة القدرة حملتنى على ذلك فقال وأنا أيضا حصلت فى يد من لا يسعنى الا طاعته ومن نظم القاضى المذكور

رفعت من دهرى الى جائر * ويتقى العدل باحكامى
أضحت به أملاكه مثل أشـ * ـكال خيال طوع أيامى
هذا لما أبرم ذا ناقض * كانهم فى حكم أحلام

وكان الفقيه العالم أبو محمد عبد الله الوحيدى قاضى مالقة جرى كما قال الجارى فى صباه طلق الجموح يعاقب بين غبوق وصبوح الى أن دعاه النذير فاهتدى منه بسراج منير وأحلته تلك الرجعه فيما شاء من الرفعه وقال بعض معاشريه كنت أماشيه زمن الشباب فكلما مررنا على امرأة يدعو حسنها وشكلها الى أن تحير فيه الالباب أمال اليها طرفه ولم يخ عنها صرفه ثم سايرته بعد لما رجع عن ذلك واقتصر فرأيته يغض البصر ويخلى الطريق معرضا الى ناحيه متى زاحمته امرأة ولو حكت الشمس صاحبه فقلت له فى ذلك فقال

ذاك وقت قضيت فيه غرامى * من شبابى فى سترة الاظلام
ثم لما بدا الصباح لعينى * من مشيبى ودعته بسلام

ومن شعره فى صباه

لا ترجعوا رجعتى باللوم عن غرض * ولتتركونى وصيدى فرصة الخلس
طلبتم رد قلبى عن صبابته * ومن يرد عنان الجامح الشرس

ولما أقصر باطله وعريت أفراس الصبا ورواحله قال

ولما بدا شيبى عففت عن الهوى * كما يهتدى حلف السرى بنجوم
وفارقت أشياع الصبابة والطلا * ومت الى أعلى علا وعلوم

ولما تاب بنو حسون على القاضى الوحيدى المذكور صادر عنه العالم الاصولى أبو عبد الله بن الفخار وطلع فى حقه الى حضرة الامامة مراكش وقام فى مجلس أمير المسلمين ابن تاشفين وهو قد غص بأربابه وقال انه لمقام كريم نبدأ فيه بحمد الله على الدنو منه ونصلى على خيرة أنبيائه محمد الهادى الى الصراط المستقيم وعلى آله وصحابته نجوم الليل البهيم أما بعد فانا نحمد الله الذى اصطفاك للمؤمنين أميرا وجعلك للدين الحنيفى

وله عففت فى نسخة عطفت اه

نصيرا وظهيرا ونفزع اليك عما دهمنا في حالك ونبث اليك ما لحقنا من الضيم ونحن تحت ظل علاك ويأبى الله أن يدهم من احتمى بأمير المسلمين ويصاب بضيم من ادرع بحصنه الحصين شكوى نقتبها بين يديك في حق أمرك الذي عضده مؤيده لتسمع منها ما تختبره برأيك وتنقده وان قاضيك ابن الوحيدي الذي قدمته في مالقة للاحكام ورضيت بعدله فيمن بها من الخاصة والعوام لم يزل يدل على حسن اختيارك بحسن سيرته ويرضي الله تعالى ويرضي الناس بظاهره وسريرته ما علمنا عليه من سوء ولا درينا له موقف خزي ولم يزل جاريا على ما يرضي الله تعالى ويرضيك ويرضينا الى أن تعرضت بنو حسون الى الطعن في أحكامه والهدم من أعلامه ولم يعلموا أن اهتضام المقدم راجع على المقدم بل جمعوا في لجاجهم فعموا وصموا وفعلوا وأمضوا ما به هموا والى السحب يرفع الكف من قد جف عنه مسيل عين ونهر فلا أمهله بلاغة أعقبت نصره ونصر صاحبه * ومن شعر ابن الفخار المذكور ويعرف بابن نصف الربض قوله

أمستنكر شيب المفارق في الصبا * وهل ينكر النور المفتح في الغصن
أظن طلاب المجد شيب مفرقي * وان كنت في احدى وعشرين من سني

وقوله

أقل عتابك ان الكريم * يجازى على حبه بالقلى
وخل اجتنابك ان الزمان * يمر بشكديره ما حلا
وواصل أخاك بعلاته * فقد يلبس الثوب بعد البلى
وقل كالذي قاله شاعر * نبيل وحقك أن تنبلا
اذا ما خليل أساء مرة * وقد كان فيما مضى محملا
ذكرت المقدم من فعله * فلم يفسد الآخر الاولا

ولما وفد أبو الفضل بن شرف بن برجة في زي تظهر عليه البداوة بالنسبة الى أهل حضرة المملكة العظمى أنشده قصيدته القافية

مطل الليل بوعد الفلق * وتشكى النجم طول الارق
ضربت ريح الصبا مسك الدجى * فاستفاد الروض طيب العبق
وألاح الفجر خدا خجلا * جال من رشح الندى في عرق
جاور الليل الى أنجمه * فتساقطن سقوط الورق
واستفاض الصبح فيه فيضة * أيقن النجم لها بالغرق
فانجلى ذاك السنا عن حلك * وانمحى ذاك الدجى عن شفق
بأبي بعد الكرى طيف سرى * طارقا عن سكن لم يطرق
زارني والليل ناع سدفه * وهو مطلوب بباقي الرمق
ودموع الطل تمريها الصبا * وجفون الروض غرقى الحدق
فتأنى في ازار ثابت * وتثنى في وشاح قلق
وتجلى وجهه عن شعره * فتجلى قلق عن غسق

نهب الصبح دجى ليلته * فحبا الخد ببعض الشفق
سلبت عيناه حدى سيفه * وتحلى خده بالرونق
وامتطى من طرفه ذا خبب * يلثم الغبراء ان لم يعنق
أشوس الطرف علته نخوة * يتهادى كالغزال الخرق
لو تملى بين أسراب المها * نازعته فى الحشا والعنق
حسرت دهمته عن غرة * كشفت ظلماؤها عن يقق
لبست أعطافه ثوب الدجى * وتحلى خده بالقلق
وانبرى تحسبه أجفل عن * لعسة أوجنة أو أولق
مدركا بالمهل مالا ينتهى * لاحقا بالرفق مالم يلحق
ذو رضا مستتر فى غضب * ذو وقار منطو فى خرق
وعلى خد كعضب أبيض * اذن مثل سنان أزرق
كلما نصبها مستقعا * بدت الشهب الى مستترق
حاذرت منه شبا خطية * لا يجد داخط مالم يمشق
كلما شامت عذارى خده * خفقت خفق فؤاد فرق
فى ذرى ظمآن فيه هيف * لم يدعه للقضيب المورق
يتلقانى بكف مصقع * يقتفى شأو عذار مفلق
ان يدر دورة مارف يلتمح * أو يجل جول لسان ينطق
عصفت ريح على اثوبه * وجرت أكعبه فى زئبق
كلما قلبه باعد عن * متن ملساء كمثل البرق
جمع السرد قوى أزرارها * فتأخذ بعهد موثق
أوجبت فى الحرب من وخز القنا * فتوارت حلقا فى حلق
كلما دارت بها أبصارها * صورت منها مثال الحدق
زل عنه متن مصقول القوى * يرتمى فى مائها بالحرق
لونضا وهو عليه ثوبه * لتعرى عن شواظ محرق
اكهب من هبوات أخضر * من فرند أحمر من علق
وارتوت صفحاه حتى خلته * بحيا من لكفيك سقى
يابنى معن لقد ظلت بكم * شجر لولاكم لم تورق
لوسقى حسان احسانكم * مابكى ندمانه فى جلق
أودنا الطائى من حيكم * ماحدا البرق لوبع الابرق
أبدعوا فى الفضل حتى كافوا * كاهل الايام مالم يطق

فلما سمعها المعتصم لعبت بارتياحه وحسده بعض من حضر وكان من جملة من حسده ابن أخت غانم فقال له من أى البوادى أنت قال أنا من الشرف فى الدرجة العالية وان كانت البادية على بابه ولا أنكر خالى ولا أعترف بخالى فمات ابن أخت غانم خجلا

وشمت به كل من حضر وابن شرف المذكور هو الحكيم الفيلسوف أبو الفضل جعفر ابن أديب افريقية أبي عبد الله محمد بن شرف الجذامي ولد ببرجة وقيل انه دخل الاندلس مع ابيه وهو ابن سبع سنين ومن نظمه قوله

رأى الحسن ما في خده من بدائع * فأعجبه ما ضم منه وحرفا
وقال لقد ألفيت فيه نوادرا * فقلت له لابل غريبا مصنفا

وقوله

قد وقف الشكر بي لديكم * فلست أقوى على الوفاده
ونلت أقصى المراد منكم * فصرت أخشى من الزياده

وقوله

اذا ما عدوك يوما سما * الى رتبة لم تطق نقضها
فقبل ولا تأنفن كفه * اذا أنت لم تستطع عضها

وقوله وقد تقدم به على كل شاعر

لم يبق للجور في أيامهم أثر * غير الذي في عيون الغيد من حور

وأول هذه القصيدة قوله

قامت تجر ذيول العصب والحبر * ضعيفة الخصر والميثاق والنظر

وكان قد قصر أمداحه على المعتصم وكان يفد عليه في الاعياد وأوقات الفرج والفتوحات فوفد عليه مرة يشكو عاملا ناقشه في قرية يحرث فيها وأنشده الرائية التي مر مطلعها الى أن بلغ قوله لم يبق للجور البيت فقال له كم في القرية التي تحرث فيها فقال فيها نحو خمسين بيتا فقال له أنا أسوغك جميعها لهذا البيت الواحد ثم وقع له بها وعزل عنها نظر كل وال وله ابن فيلسوف شاعر مثله وهو أبو عبد الله محمد بن الفضل المذكور وهو القائل

وكريم أجارني من زمان * لم يكن من خطوبه لي بد
منشد كلما أقول تناهى * ما لمن يبتغي المكارم حد

وابن أخت غانم هو العالم اللغوي أبو عبد الله محمد بن معمر من أعيان مالقة متفنن في علوم شتى الا أن الغالب عليه علم اللغة وكان قد رحل من مالقة الى المرية فحل عند ملكها المعتصم بن صمادح بالمكانة العلية وهو القائل في ابن شرف المذكور

قولوا لشاعر برجة هل جاء من * أرض العراق لخاطر طبع البحتري
واني بأشعار تضج بكفه * وتقول هل أعزى لمن لم يشعر
يا جعفرا رد القريض لاهله * واترك مباراة الملك الابحر
لا تزعمن ما لم تكن أهلا له * هذا الرضاب لغير فيك الابخر

وذكره ابن اليسع في مغربه وقال انه حدثه بداره في مالقة وهو ابن مائة سنة وأخذ عنه عام أربعة وعشرين وخمسمائة وله تآليف منها شرح كتاب النبات لابي حنيفة الدينوري في ستين مجلدا وغير ذلك * وغانم خاله الذي يعرف به هو الامام العالم غانم المخزومي نسب اليه لشهرة ذكره وعلو قدره ولما قرأ العالم الشهير أبو محمد بن عبدون في أول شبابه على أبي

قوله معمر في نسخة يعمر اه

الوليد بن ضابط النحوى المالقى جرى بين يديه ذكر الشعر وكان قد ضجر منه فقال

الشعر خطة خسف فقال ابن عبدون معترضا به حين كان مستجديا بالشعر وكان اذذاك شيخا لكل طالب عرف

للشيخ عيبة عيب * وللفتى ظرف ظرف

وابن ضابط هو القائل فى المظفرين الافطس

نظمنا لك الشعر البديع لاننا * علمنا بأن الشعر عندك ينفق

فان كنت منى بامتداح مظفرا * فانى فى قصدى اليك موفق

ودخل غانم المخزومى السابق ذكره وهو من رجال الذخيرة على الملك ابن حيوس صاحب غرناطة فوسع له على ضيق كان فى المجلس فقال

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين

ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما نسع الدنيا بغيضين

وهو القائل

وقد كنت أغدو نحو قبرك فارحا * فها أنا أغدو نحو قبرك ثاكلا

وقد كنت فى مدحيك سحبان وائل * فها أنا من فرط التأسف باقلا

وله أيضا

الصبر أولى بوقار الفتى * من ملك يهتك ستر الوقار

من لزم الصبر على حالة * كان على أيامه بالخيار

وكتب أبو على الحسن بن الغليظ الى صاحبه ابى عبد الله بن السراج وقد قدم من سفر

يا من أقلب طرفى فى محاسنه * فلا أرى مثله فى الناس انسانا

لو كنت تعلم ما لاقيت بعدك ما * شربت كاسا ولا استحسنت ريحانا

فورد عليه من حينه وقال أردت مجاوبتك فخفت أن أبطئ وصنعت الجواب فى الطريق

يا من اذا ما سقتنى الراح راحته * أهدت الى نجوم الروح والريحانا

من لم يكن فى صباح السبت يأخذها * فليس عندى بحكم الظرف انسانا

فكن على حسن هذا اليوم مصطبحا * مذاكرا حسنا فيه واحسانا

وفى البساتين ان ضاق المحل بنا * مندوحة لا عدمنا الدهر بستانا

ووفد أبو على الحسن بن كثير المالقى المشهور على ملك اشبيلية السيد أبى اسحق ابراهيم بن أمير المؤمنين يوسف بن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على فأنشده قصيدة طار مطلعها فى الاقطار كل مطار وهو

قسما بحمص انه لعظيم * فهى المقام وأنت ابراهيم

ووصف الشاعر عطاء المالقى غادة جعلت على رأسها تاجا فقال

وذات تاج رصع وادوره * فزاد فى لالائها باللآل

كانها شمس وقد توجت * بأنجم الجوزاء فوق الهلال

قد اشتكى الخلخال منها الى * سوارها فاشتبها فى المقال

قوله فها أنا الخ لا يخفى ما فى نصب باقلا فلعله محرف والاصل وقد صرت الخ اه مصححه

وأجر ياذكر الوشاح الذى * لما يزل من خصرها فى مجال
فقال لم أرض بما نلته * وليتنى مثلك ما لا أزال
أغص بالخصر وأعيابه * كغص ظمآن بماء زلال
وانما الدهر بغير الرضا * يقضى فكل غير راض بحال

وهو القائل

سل بحمامنا الذى * كل عن شكره فمى
كم أرانى بقربه * جنة فى جهنم

وكان يحضر حلقة الامام السهيلى وصى الوجه من تلامذته فانقطع لعارض فخرج السهيلى مارا فى الطريق الذى جرت عادته بالمشى فيه فوجد قناة تصلح فمنعته من المرور فرجع وسلك طريقا آخر فمر على دار تلميذه الوصى فقال له بعض أصحابه ممازحا بعبوره على منزله فقال نعم وأنشد ارتجالا

جعلت طريقى على بابه * ومالى على بابه من طريق
وعاديت من أجله جيرتى * وآخيت من لم يكن لى صديق
فان كان قتلى حلالا لكم * فسيروا بروحى سيرا رفيق

قوله فقال له الخ مقول القول محذوف لدلالة الحال ومتعلقه عليه تأمل اه مصححه

وأبو القاسم السهيلى مشهور عرف به ابن خلكان وغيره ويكنى أيضا بأبى زيد وهو صاحب كتاب الروض الانف وغيره واجتاز على سهيل وقد خرب به العدو لما أغار عليه وقتلوا أهله وأقاربه وكان غائبا عنهم فاستأجر من أركبه دابة وأتى به اليه فوقف بازائه وأنشد

يادار أين البيض والآرام * أم أين جيران على كرام
راب المحب من المنازل انه * حيا فلم يرجع اليه سلام
لما أجابنى الصدى عنهم ولم * يلج المسامع للحبيب كلام
طارحت ورق حمامها مترنما * بمقال صب والدموع سجام
يادار ما فعلت بك الايام * ضامتك والايام ليس تضام

وجرى بين السهيلى والرصافى الشاعر المشهور ما اقتضى قول الرصافى

عفا الله عنى فانى امرؤ * أتيت السلامة من بابها
على أن عندى لمن هاجنى * كمائن غصت بنشابها
ولو كنت أرمى بها مسلما * لكان السهيلى أولى بها

وتوفى السهيلى بمراكش سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وزرت قبره بها مرارا سنة عشر وألف وسكن رحمه الله تعالى اشبيلية مدة ولازم القاضى أبا بكر بن العربى وابن الطراوة وعنه أخذ لسان العرب وكان ضريرا ومن شعره أيضا لما قال كيف أمسيت مكان كيف أصبحت

لئن قلت صبحا كيف أمسيت مخطئا * فما أنا فى ذاك الخطاب ملوم
طلعت وأفقى مظلم لفراقكم * فخلتك بدرا والمساء همومى

* وحكى أن الوزير الكاتب أبا الفضل بن حسداى الاسلامى السرقسطى وهو من رجال

الذخيرة عشق جارية ذهبت بلبه وغلبت على قلبه فجن بها جنونه وخلع عليها دينه وعلم بذلك صاحبها فزفها اليه وجعل زمامها في يديه فتحامى عن موضعه من وصلها أنفة من أن يظن الناس أن اسلامه كان من أجلها فحسن ذكره وخفي على كثير من الناس أمره ومن شعره قوله

وأطر بنا غيم يمازج شمسه * يسترطورا بالسحاب ويكشف
ترى قزحا في الجو يفتح قوسه * مكبا على قطن من الثلج يندف

وكان في مجلس المقتدر بن هود ينظر في مجلد فدخل الوزير الكاتب أبو الفضل بن الدباغ وأراد أن يندر به فقال له وكان ذلك بعد اسلامه يا أبا الفضل ما الذي تنظر فيه من الكتب لعله التوراة فقال نعم وجلدها من جلد دبغه من تعلم فحات فخجلا وضحك المقتدر * وأراد الشاعر أبو الربيع سليمان السرقسطي حضور نديم له فكتب اليه

بالراح والريحان والياسمين * وبكرة الندمان قبل الاذين
وبهجة الروض بأندائه * مقلدا منه بعقد ثمين
الا أجب سبقا ندائي الى الكاس تبدت لذة الشاربين
هامت بها الاعين من قبل أن * يخبرها الذوق بحق اليقين
لاحت لدينا شفقا معلنا * فكن لها بالله صبحا مبين

وكتب علي بن خير التطيلي الى ابن عبد الصمد السرقسطي يستدعيه الى مجلس أنس أنا أطال الله تعالى بقاء الكاتب سراج العلم وشهاب الفهم في مجلس قد عبقت تفاحه وضحكت راحه وخفقت حولنا اللطرب ألويه وسالت بيننا اللهو اوديه وحضرتنا مقلة نسأل منك انسانها وصحيفة فكن عنوانها فان رأيت أن تجعل الينا القصد لنحصل بك في جنة الخلد صفقت نفوسا أصداها بعدك وأبرزت شمسا أدجاها فقدك فأجابه ابن عبد الصمد فضضت أيها الكاتب العليم والمصقع الحبر الصميم طابع كتابك فجنى منه جوهر منتخب لايشوبه مختلب هو السحر الا انه حلال دل على وقد حنيت ضلوعك عليه ووثق عهدا تتدب كريم سجيتك اليه فسألت فالق الحب وعامر القلب بالحب ان يصون لي حظي منك ويدر ألي النوائب عنك ولم يمنعني أن أصرف وجه الاجابة الى مرغوبك وامتطي جواد الانحدار الى محبوبك الا عارض ألم بي فقيد بقيده نشاطي وتركني أتحامل على فراشي كالسليم واستطر الاصباح من الليل البهيم وأنا منتظر لادباره * (ومن لطف أهل الاندلس ورقة طباعهم ما حكاه أبو عمرو بن سالم المالقي قال كنت جالسا بمنزلي بمالقة فهاجت نفسي أن أخرج الى الجبانة وكان يوما شديد الحر فراودتها على القعود فلم تمكني من القعود فمشيت حتى انتهيت الى مسجد يعرف برابطة الغبار وعنده الخطيب أبو محمد عبد الوهاب بن علي المالقي فقال لي انى كنت أدعو الله تعالى أن يأتيني بك وقد فعل فالحمد لله فأخبرته بما كان مني ثم جلست عنده فقال أنشدني فأنشدته لبعض الاندلسيين

غصبوا الصباح فقمصوه خدودا * واستوعبوا قضب الاراك قدودا

ورأوا حصا الياقوت دون نحورهم * فتقلدوا شهب النجوم عقودا
لم يكفهم حد الاسنة والظبا * حتى استعاروا أعينا وخدودا

فصاح الشيخ وأغمى عليه وتصيب عرقا ثم أفاق بعد ساعة وقال يا بني اعذرني فشيئان يقهراني ولا أملك نفسي عندهما النظر الى الوجه الحسن وسماع الشعر المطبوع انتهى وستأتي هذه الابيات في هذا الباب بأتم من هذا وعلى كل حال فهي لاهل الاندلس لا لابن دريد كما ذكره بعضهم وسيأتي تسمية صاحبها الاندلسي كما في كتاب المغرب لابن سعيد العنسي المشهور رحمه الله تعالى * وقال بعض الادباء ليحيى الجزار وهو يبيع لحم ضأن لحم اناث الكباش مهزول فقال يحيى يقول للمشترين مه زولوا * وقال التطيلي الاعمى في وصف أسد رخام يرمى بالماء على بحيرة

أسد ولو أني أنا * قشه الحساب لقلت صخره
وكأنه أسد السما * يمج من فيه المجره

وحضر جماعة من أعيان الادباء مثل الابيض وابن بقي وغيرهما من الوشاحين واتفقوا على أن يصنع كل واحد منهم موشحة فلما أنشد الاعمى موشحته التي مطلعها

ضاحك عن جمان * سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان * وحواه صدري

خرق كل منهم موشحته * وتحاكمت امرأة الى القاضي أبي محمد عبد الله الازدي الاصبحي وكانت ذات جمال ونادرة فحكم لزوجها عليها فقالت له من يضيع قلبه كل طرف فاترجدير أن يحكم بهذا تشير الى قوله

أين قلبي أضاعه كل طرف * فاتر يصرع الحليم لديه
كلما ازداد ضعفه ازداد فتكا * أي صبر تري يكون عليه

وحضر أبو اسحق بن خفاجة مجلسا بمرسية مع أبي محمد جعفر بن عنق الفضة الفقيه السالمي وتذاكرا فاستطال ابن عنق الفضة ولعب بأطراف الكلام ولم يكن ابن خفاجة يعرفه فقال له يا هذا لم تترك لاحد حظا في هذا المجلس فليت شعري من تكون فقال أنا القائل

الهوى علمني سهد الليال * ونظام الشعر في هذي اللآل
كلما هبت شمال منهم * لعبت بي عن يمين وشمال
وأرقت فكرتي أرواحها * فأتت مني بالسحر الحلال
كان كالملح اجاج خاطري * وعصاب الحب أبدته زلال

فاهتز ابن خفاجة وقال من يكون هذا قوله لا ينبغي أن يجهل ولك المعذرة في جهلك فانك لم تعرفنا بنفسك فبالله من تكون فقال أنا فلان فعرفه وقضى حقه * وحكى ابن غالب في فرحة الانفس ان الوزير أبا عثمان بن شنتغير وأبا عمر بن عبد شلب وفدا رسولين على المعتمد بن عباد عن اقبال الدولة بن مجاهد والمعتصم بن صمادح والمقتدر بن هود لاصلاح ما كان بين المعتمد وبين ابن ذي النون فسر المعتمد بهم وأكرمهم ودعاهم الى طعام صنعه

قوله فسر المعتمد بهم الخ لعل الجمع فيه لما فوق الواحد والا فحقه بهما الخ اه مصححه

لهم

لهم وكان لا يظهر شرب الراح منذ ولى الملك فلما رأوا انقباضه عن ذلك تحاموا الشراب فلما أمر بكتب اجوبتهم كتب له أبو عامر

بقيت حاجة لعبد رغيب * لم يدع غيرها له من نصيب
هى خيرية المساء حديثا * وأنا فى الصباح أخشى رقيبى
فاذا أمس كان عندى نهارا * لم تخفنى عليه بعد الغروب
واذا الليل جن حدثت جلا * سى بما كان من حديث غريب
قبل ان الدجا لديك نهار * وكذاك الدجا نهار الاريب
فقنيت ليلة ليس فيها * لذ كذلك السنا من مغيب
حيث أعطيك فى الخلاء وتعطينى مداما كمثل ريق الحبيب
ثم أغدو وكانى كنت فى النو * م وأخفى المنام خوف هزيب

والهزيب الرقيب العتيد فى كلام أهل الاندلس فسر المعتمد وانبسط بانبساطه وضحك من مجونه وكتب اليه

يا مجابا دعا الى مستجيب * فسمعنا دعاءه من قريب
ان فعلت الذى دعوت اليه * كنت فيما رغبت عين رغيب

واستحضره فنادمه خاليا وكساه ووصله وانقلب مسرورا وظن المعتمد أن ذلك يخفى من فعله عن ابن شنتفير فاعلمه بالامر القائد بن مرتين فكاد يتفطر حسدا وكتب الى المعتمد

أنا عبد وليته كل بر * لم تدع من فنون بر لنا
غير رفع الحجاب فى شرب الرا * ح فماذا جناه أن يتجنى
وتمنى شراب سوء لنا فى الكا * س فبالله أعطه ما تمنى

فسر بتهانيه وأجابه

يا كريم المحل فى كل معنى * والكريم المحل ليس يعنى
هذه الخمر بتغيك فخذها * أو فدعها أو كيفما ما شئت كنا

وكان يقرأ فى مجلس ملك السهلة ابى مروان بن رزين ذى الرياستين ديوان شعر محمد بن هانئ وكان القارئ فيه بله فلما وصل الى قوله حرام حرام زمان الفقير اتفق أن عرض للملك ما اشتغل به فقال للقارئ أين وقفت فقال فى حرام فقام الملك وقال هذا موضع لا أقف معك فيه ادخل أنت وحدك ثم دخل الى قصره وانقلب المجلس ضحكا وكان للملك المذكور وزير من أعاجيب الدهر وهو الكاتب أبو بكر بن سدراى وذكره الحجارى فى المسهب وقال ان له شعرا أرق من نسيم السحر وأندى من الطل على الزهر ومنه قوله

حاضركم لو بعثتم * ولو بأدنى تحيه
بعثوا لى من شذاها * اليكم الاريحيه
خذوا سلامى اليكم * مع الرياح الندية
فى كل سحرة يوم * تترى وكل عشية

يارب طال اصطباري * ما الوجد الا بليه
غيلان بالشرق أضحى * وحلت الغرب ميه

وقوله

سابغي المجد في شرق وغرب * فما ساد الفتى دون اغتراب
فان بلغت مأمولا فاني * جهدت ولم أقصر في الطلاب
وان أنالم أفز بمراد سعي * فكم من حسرة تحت التراب

وقال ملك بلنسية مروان بن عبد العزيز لما ولي مكانه من لا يساويه

ولا غرو بعدي أن يسود معشر * فيضحى لهم يوم وليس لهم أمس
كذا النجوم الجوتبدو زواهرا * اذا ما توارت في مغاربها الشمس

وقال ابن دحية دخلت عليه وهو يتوضأ فنظر الى لحيته وقد اشتعلت بالشيب اشتعالا فأنشد لنفسه ارتجالا

ولما رأيت الشيب أيقنت انه * نذير لجسمي بانهدام بنائه
اذا ابيض مخضر النبات فانه * دليل على استحصاده وفنائه

واعتل ابن ذي الوزارتين ابي عامر بن الفرج وزير المأمون بن ذي النون وهو من رجال الذخيرة والقلائد فوصف له أن يتداوى بالخمر العتيق وبلغه أن عند بعض الغلمان منها شيأ فكتب اليه يستهديه

ابعث بها مثل ودك * أرق من ماء خدك
شفيقة النفس فانضح * بها جوى ابني وعبدك

وهو القائل معتذرا عن تخلفه عمن جاءه منذرا

ما تخلفت عنك الا لعذر * ودليلي في ذاك خوفي عليكا
هبك أن الفرار من غير عذر * أتراه يكون الا اليكا

وله من رسالة هنأه

أهنئ بالعيد من وجهه * هو العيد لو لاح لي طالعا
وأدعو الى الله سبحانه * بشمل يكون لنا جامعا

وكتب الى الوزير الحصري يستدعيه أن يكون من ندمائه فكتب اليه الوزير الحصري يستعلمه اليوم فلما أراده كتب اليه

ها قد أهبت بكم وكلكم هوى * وأحقكم بالسبق مني السابق
كالشمس أنت وقد أطل طلوعها * فاطلع وبين يديك فجر صادق

وله في رئيس مرسية أبي عبد الرحمن بن طاهر وكان ممتع المجالسة كثير النادرة

قد رأينا منك الذي قد سمعنا * فغدا الخبر عاضد الاخبار
قد وردنا لديك بحرا نميرا * وارتقينا حيث النجوم الدراري
ولكم مجلس لديك انصرفنا * عنه مثل الصبا عن الازهار

وشرب الاديب الفاضل أبو الحسن علي بن حريق عشية مع من يهواه ورام الانفصال

عنه لداره فمنعه سيل حال بينه وبين داره فبات عنده على غير اختياره فقال ابن حريق

يا ليلة جادت الليالى * بها على رغم أنف دهرى
للسيل فيها على نعمى * يقصر عنها لسان شكرى
أبات فى منزلى حبيبى * وقام فى أهله بعذر
فبت لاحانة كعالى * نجيع بدر صريع سكر
يا ليلة القدر فى الليالى * لانت خير من ألف شهر

ومن حسنات ابن حريق المذكور قوله

يا ويح من بالمغرب الاقصى نوى * حلف النوى وحبيبه بالمشرق
لولا الحذار على الورى لملأت ما * بينى وبينك من زفير محرق
وسكبت دمعى ثم قلت لسكبه * من لم يذب من زفرة فليغرق
لكن خشيت عقاب ربى انما * أحرقت أو أغرقت من لم أخلق

وله

لم يبق عندى للصبا لذة * الا الاحاديث على الخمر

وله

فقبلت اثرك فوق الثرى * وعانقت ذكرك فى مضجعى

وله

ان ماء كان فى وجنتها * وردته السن حتى نشفا
وذوى العناب من أنملها * فاعادته الليالى حشفا

وأورد له أبو بحر فى زاد المسافر قوله

كلمته فاحمر من خجل * حتى اكتسى بالعسجد الورق
وسألته تقبيل راحته * فأبى وقال أخاف أحترق
حتى زفيرى عاق عن أملى * ان الشقاء بريقه شرق

وقوله فى السواقى

وكأنما سكن الاراقم جوفها * من عهد نوح مدة الطوفان
فاذا رأينا الماء يطفح نضنضت * من كل خرق حية بلسان

وقال الفيلسوف أبو جعفر بن الذهبى فيمن جمع بينه وبين أحد الفضلاء

أيها الفاضل الذى قد هدانى * نحو من قد حمدته باختيار
شكر الله ما أتيت وجازا * ك ولازلت نجم هدى لسار
أى برق أفاد أى غمام * وصباح أدى لضوء نهار
واذا ما النسيم كان دليلى * لم يحلنى الاعلى الازهار

وأنشد أبو عبد الله محمد بن عبادة الوشاح المعتصم بن صمادح شعرا يقول فيه

ولولم أكن عبد الآل صمادح * وفى أرضهم أصلى وعيشى ومولدى
لما كان لى الا اليهم ترحل * وفى ظلهم أمسى وأضحى وأغتدى

فارتاح وقال يا ابن عبادة ما أنصفناك بل أنت الحر لا العبد فاشرح لنا في أملك فقال أنا عبدكم كما قال ابن نباتة

لم يبق جودك لي شيأ أؤمله * تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

فالتفت الى ابنه الواثق يحيى ولي عهده وقال اذا اصطنعت الرجال فمثل هذا فاصطنع ضمه اليك وافعل معه ما تقتضيه وصيتي به وتبهني اليه كل وقت فأقام نديما لولي العهد المذكور وله فيهما الموشحات المشهورة كقوله

كم في قدود البان تحت اللمم من أقرع واطى
بأنمل وبنان مثل العنم لم تنبرى للعاطى

ولما بلغ المعتصم أن خلف بن فرج السميسر هجاه احتال في طلبه حتى حصل في قبضته ثم قال له انشدني ما قلت في فقال له وحق من حصاني في يدك ما قلت شرا فيك وانما قلت

رأيت آدم في نومي فقلت له * أبا البرية ان الناس قد حكموا
ان البرابر نسل منك قال اذن * حواء طالقة ان كان ما زعموا

فأباح ابن بلقين صاحب غرناطة دمي فخرجت الى بلاد له هاربا فوضع على من أشاع ما بلغك عني لتقتلني أنت فيدرك ثاره بك ويكون الاثم عليك فقال وما قلت فيه خاصة مضافا الى ما قلته في عامة قومه فقال لما رأيته مشغوفا بتشييد قلعته التي يتحصن فيها بغرناطة قلت

يبني على نفسه سفاها * كأنه دودة الحرير

فقال له المعتصم لقد أحسنت في الاساءة اليه فاختر هل أحسن اليك وأخلي سبيلك أم أجير لك منه فارتجل

خيرني المعتصم * وهو بقصدي أعلم
وهو أن يجمع لي * امنا ومنا أكرم

فقال خاطرك خاطر شيطان ولك الامن والامان فأقام في احسانه بأوطانه حتى خلع عن ملكه وسلطانه ولما أنشده عمر بن الشهيد قصيدته التي يقول فيها

سبط البنان كأن كل غمامة * قد ركبت في راحتيه أناملا
لا عيش الا حيث كنت وانما * تمضي ليالي العمر بعدك باطلا

التفت الى من حضر من الشعراء وقال هل فيكم من يحسن أن يجلب القلوب بمثل هذا فقال أبو جعفر الخزاز البطرني نعم ولكن للسعادة هبات وقد أنشدت مولانا قبل هذا أبياتا أقول فيها

ومازلت أجني منك والدهر ممحل * ولا ثمر يجنى ولا الزرع يحصد
ثمار أياد دانيات قطوفها * لاغصانها ظل على ممدد
يرى جاريا ماء المكارم تحتها * وأطيار شكري فوقهن تغرد

فارتاح المعتصم وقال أأنت أنشدتني هذا قال نعم قال والله كأنها ما مرت بسمعي الى الآن صدقت للسعد هبات ونحن نجيز لك عليها بجائزتين الاولى لها والثانية لمطلع راجيها ونمط احسانها انتهى * وقال بعض ذرية ملوك اشبيلية

نشر الورد بالخليج وقد درج أمواهه هبوب الرياح
مثل درع الكمى مزقها الطعن فسالت بها دماء الجراح

وقال ابن صارة فى النارنج

كرات عقيق فى غصون زبرجد * بكف نسيم الريح منها صوالج
تقبلها طورا وطورا تشمها * فهن خدود يبننا ونوافج

وقال أبو الحسن بن الزقاق ابن أخت ابن خفاجة

وماشق وجنته عابثا * ولكنها آية للبشر
جلاها لنا الله كيما نرى * بها كيف كان انشقاق القمر

وقال

ضربوا ببطن الواد بين قبابهم * بين الصوارم والقنا المياد
والورق تهتف حولهم طربا بهم * فبكل محنية ترنم شادى
يابانة الوادى كفى حزنا بنا * أن لا نطارح غيرك بانة وادى

وقال

نحن فى مجلس به كمل الانس ولوزر تنالزاد كمالا
طلعت فيه من كؤس المحيا * ومن الزهر أنجم تتلالا
غير أن النجوم دون هلال * فلتكن منعما لهن الهلالا

وقال

وهويتها سمراء غنت واثنت * فنظرت من ورقاء فى أملودها
تشدو ووسواس الحلى يجيبها * مهما انثنت فى وشيها وعقودها
أوليس من بدع الزمان حمامة * غنت فغنى طوقها فى جيدها

وقال

لئن بكيت دما والعزم من شيمى * على الخليط فقد يبكى الحسام دما

وقال أبو تمام غالب بن رباح الحجام فى دولاب طار منه لوح فوقف

وذات شدو ومالها حلم * كل فتى بالضمير حياها
وطار لوح بها فأرقفها * كلمحة العين حين أجراها

وكان المذكور ربى فى قلعة رباح غربى طليطلة ولا يعلم له اب وتعلم الحجامة فاتقنها ثم تعلق بالادب حتى صار آية وهو القائل فى ثريا الجامع

تحكى الثريا الثريا فى تألقها * وقد عراها نسيم فهى تتقد
كأنها الذوى الايمان أفئدة * من التخشع جوف الليل ترتعد

وقال

زرت الحبيب ولا شئ أحاذره * فى ليلة قد لوت بالغمض أشفارا
فى ليلة خلت من حسن كوا كبها * دراهما وحسبت البدر دينارا

وقال فى الثريا أيضا

انظر الى سرج فى الليل مشرقة * من الزجاج تراها وهى تلتهب
كانها ألسن الحيات قد برزت * عند الهجير فما تنفك تضطرب

وقال

ترى النسر والقمرى على عدد الحصا * وقد مزقت أحشاءها والترائبا
مضرجة مما أكلن كانها * عجائز بالحناء خضبن ذوائبا

وقال وقد أبدع غاية الابداع وأتى بما يحير الالباب وان كان أبو نواس فاتح هذا الباب

وكاس ترى كسرى بها فى قرارة * غريقا ولكن فى خليج من الخمر
وما صورته فارس عبثا به * ولكنهم جاءوا بأخفى من السحر
أشاروا بما كانوا له فى حياته * فتومى اليه بالسجود وما تدرى

وما أحلى قوله

الا فحوان رمى عليك ظلامة * لما عنفت عليه بالمسوالك
لا يحمل النور الانيق تمسه * كف يعود بشامة وانامل
وجلاؤه المخلوق فيه قد كفى * من أن يراع عراره بسوالك

وقوله

صغار الناس أكثرهم فسادا * وليس لهم لصالحة نهوض
ألم ترفى سباع الطير سرا * تسالمنا ويأكلنا البعوض

وقد بلغ غاية الاحسان فى قوله

فما للملك ليس يرى مكانى * وقد كملت لواحظه بنورى
كذا المسوالك مطرحا مهانا * وقد أبقى جلاء فى الثغور

ومن حسناته قوله

لى صاحب لا كان من صاحب * فانه فى كبدى جرحه
يحكى اذا أبصر لى زلة * ذبابة تضرب فى قرحه

واقيه أبو حاتم الحجارى على فرس فى غاية الضعف والرذالة قد أهلكها الوحى وكانا فى جماعتين فقال له يا أبا تمام أنشدنى قولك

وتحتى ريح تسبق الريح ان جرت * وما خلت أن الريح ذات قوائم
لها فى المدى سبق الى كل غاية * كان لها سبقا يفوق عزائمى
وهمة نفسى نزهتها عن الوحى * فيا عجبا حتى العلا فى البهائم

فلما أنشده اياها رد رأسه أبو حاتم الى الجماعتين وقال ناشدتكم الله أيجوز لحجام على فرس مثل هذه الركبة الهزيلة العرجاء أن يقول مثل هذا فضحك جميع من حضر وأقبل أبو تمام من غيظه يسبه ومن شعر الحجام المذكور قوله

لا يفخر السيف والاقلام فى يده * قد صار قطع سيوف الهند للقصب
فان يكن أصلها لم يقو قوتها * فان فى الخمر معنى ليس فى العنب

وقال

ثقلت على الاعداء الا انها * خفت على السباب والابهام
أخذت من الليل البهيم سواده * وبدت تمزق أوجه الايام

وقال

تظر الحسود فازدرى لى هيئة * والفضل منى لايزال مبينا
قبحت صفاتى من تغيروده * صدأ المراة يقبح التحسينا

وقال

تصبروان أبدى العدو مذمتة * فهمار مى ترجع اليه سهامه
كما يفعل النحل الملم بلسعه * يريد به ضرا وفيه حمامه

وقال

وبارد الشعر لم يؤلم به ولقد * أضر منه جميع الناس واعتزلا
كانه الصل لا تؤذيه ريقته * حتى اذا مجها فى غيره قتلا

وقال ابن الزقاق

دعانى خليل والاصيل كانه * عليل يقضى مدة الرمق الباقى
الى شط منساب كان ماؤه * صفاء ضمير أو عذوبة أخلاق
ومهوى جناح للصبا يمسح الربا * خفى الخوافى والقوادم خفاق
على حين راح البرق فى الجو مغمدا * ظباه ودمع المزن من جفنه راق
وقد حان منى للرياض التفاتة * حبست بها كاسى قليلا عن الساقى
على سطح خيرى ذكرتك فانثنى * يميل بأعناق ويرنو بأحداق
فصل زهرات منه هذا كانها * وقد خضلت قطرا محاجر عشاق

ولما مدح الحسيب أبو القاسم بن سعدة الاوسى أميرا المؤمنين عبد المؤمن بقوله

حنانيك مدعوا ولبيك داعيا * فكل بما ترضاه أصبح راضيا
طلعت على أرجائنا بعد فترة * وقد بلغت منا النفوس التراقيا
وقد كثرت مناسيوف لدى العلا * ومن سيفك المنصور نبغى التقاضيا
وغيرك نادى بنا زمانا فلم يجب * وعزمك لم يحتج علاه منادیا

كتب اسمه وزير عبد المؤمن فى جملة الشعراء فلما وقف على ذلك عبد المؤمن ضرب على اسمه وقال انما يكتب اسم هذا فى جملة الحساب لا تدنسوه بهذه النسبة فلسنا ممن يتغاضى على غمط حسبه ثم أجزل صلته وأمر له بضيعة يحرث له بها يعنى بذلك انه من ذرية ملوك لان جده كان ملك وادى الحجارة * وقال أبو بكر محمد بن أزرق

هل علم الطائر فى ايكه * بأن قلبى للعمى طائر
ذكرنى عهد الصبا شجوه * وكل صب للصبا ذاكر
سقى عهود الهم بالحمى * دمع له ذكرهم ناثر

وقال أبو جعفر بن أزرق

أراك ملكت الخافقين مهابة * بها ما تلح الشهب بالخفقان

وتغضى العيون عن سنائك كانها * تقابل منك الشمس فى اللمعان
وتصفر ألوان العداة كانما * رموا منك طول الدهر بالبرقان

وقال أبو القاسم بن أزرق

ذاك الزمان الذى تقضى * بالبته عاد منه حين
بكل عمرى الذى تبقى * وما أنا فى الشراغبين

وقال راشد بن عريف الكاتب

جمع فى مجلس ندامى * تحسدنى فيهم النجوم
فقال لى منهم نديم * مالك اذ قمت لا تقوم
فقلت ان قمت كل حين * فان حظى بكم عظيم
وليس عندى اذن ندامى * بل عندى المقعد المقيم

وقال الحسيب أبو جعفر بن عائش

ولى أخ أورده سلسلا * لكنه يوردنى مالحا
ألقاه كى أبسطه ضاحكا * ويلتقينى أبدا كالحا
وليس ينفك عنائى به * مارمت من فاسده صالحا

قال الجارى وكتب الى جدى ابراهيم فى يوم صحو بعد مطر

اذا رأيت الجو يصحو فلا * تصحو وقال الله من سكر
تعال فانظر لدموع الندى * مافعلت فى مبسم الزهر
ولا تقل انك فى شاغل * فليس هذا آخر الدهر
تخلف مافات سوى ساعة * تقتنص فيها لذة الخمر

فاجابه

لبيك لبيك ولو أننى * أسعى على الرأس الى مصر
فكيف والدار جوارى وما * عندى من شغل ولا عذر
ولو غدا الى ألف شغل بلا * عذر تركت الكل للعشر
وكلما أبصرنى ناظر * يا بكم عظم من قدرى
الا الذى يشربها دائما * ماحضرت فى الصحو والقطر
وليس تقلى أبدا بعدها * الا الذى بعهد من شكرى

قال وفيه يقول جدى يمدحه

ولو كان ثان فى الندى لابن عائش * لما كان فى شرق وغرب أخو فقر
يعيش الى الامداح كالغصن للصبا * وتشرق محياه يثوب عن الزهر
فيارب زد فى عمره ان عمره * حياة أناس قد كفوا كلفة الدهر

وقتله ابن مسعدة ملك وادى الحجارة الثائر بها ولما قدمه ليقتله قال ارفق على حتى أخاصم عن نفسى فقال على لسانك قتلناك فقال له لا رفق الله عليك يوم تحتاج الى رفقه فقال بجبروتيته مارهبنا السيوف الحداد ونرهب دعاء الحساد * وقال أبو الحسن

قوله الا الذى الخ لعله انا الذى الخ تأمل اه

علي بن شعيب

انزعي الوشي فهو يسترحسنا • لم تحزه برقهن الشباب
ودعيني عسى أقبل ثغرا • لذ فيه اللعى وطاب الرضاب
وعجيب أن تهجريني ظلما • وشفيعي الى صبالة الشباب

وقال أخوه أبو حامد الحسين حين كبا به فرسه فحصل في أسر العدو

وكنت أعد طرفي للرزايا • يخلصني اذا جعلت تحوم
فاصبح للعدا عونا علي • أطلت عناءه فانا الظلوم
وكم دامت مسرتي عليه • وهل شيء على الدنيا يدوم

وقال أبو الحسن علي بن رجاء صاحب دار الحكمة والاحباس بقرطبة

ياسائلي عن حالتي انني • لا أشتكي حالي لمن يضعف
مع انني أحذر من نقده • لاسيما ان كان لا ينصف

وأنشده الحميدي في الجذوة

قل لمن نال عرض من لم ينله • حسبنا ذو الجلال والاكرام
لم يزدني شيأ سوى حسنات • لا ولا نفسه سوى آثام
كان ذا منعة فنقل ميزا • ني بهذا فصار من خدامي

وقال أبو محمد القاسم بن الفتح

أيام عمرك تذهب • وجميع سعيك يكتب
ثم الشهيد عليك منـ • ـك فأين أين المهرب

قوله عامر في نسخة عبد الملك اه

وقال أبو مروان عامر بن غصن

فديتك لا تخف مني سلوا • اذا ما غير الشعر الصغارا
أهيم بدن خمر صار خلا • وأهوى لحية كانت عذارا

وقال

قد ألحف الغيم بانسكابه • والتحف الجو في حجابه
وقام داعي السرور يدعو • حي على الدن وانتهابه
وتاه فيه النديم مما • يزدحم الناس عند بابه

وكان أحد الاعلام في الآداب والتاريخ والتأليف ونقم عليه المأمون بن ذي النون بسبب صحبته لرئيس بلده أبي عبيدة وبلغه انه يقع فيه فنكبه أشر نكبة وحبسه فكتب اليه من السجن

فديتك هل لي منك رحمى اعانني • أفارق قبرا في الحياة فانشر
وليس عقاب المذنبين بمنكر • ولكن دوام السخط والعتب منكر
ومن عجب قول العداة مثقل • ومثنى في الحاجة الدهر يعذر

وألف المأمون رسالة السجن والمسجون والحزن والمحزون ورسالة أخرى سماها بالعشر كلمات. وقال

يافتية خيرة فدتهم * من حادثات الزمان نفسى
شربهم الخمر فى بكور * ونطقهم عندها بمس
أماترون الشتاء يلقى * فى الارض بسطا من الدمقس
مقطب عابس ينادى * يوم سرور ويوم انس

وأخبر عنه الحميدى فى الجذوة انه شاعر أديب دخل المشرق وتأدب وحج ورجع وشعره كثير وله أبيات كتبها فى طريق الحج الى احد القضاة

ياقاضيا عدلا كأن امامه * ملك يريه واضح المنهاج
طافت بعبدك فى بلاد علة * قعدت به عن مقصد الحجاج
واعتل فى البحر الاجاج فكن له * بحرا من المعروف غير أجاج

وقال الزاهد الورع المحدث أبو محمد اسمعيل بن الديوانى

ألا أيها العاتب المعتدى * ومن لم يزل مؤذيا أزدد
مساعيك يكتبها الكاتبون * فبيض كأبك أوسود

وقال ابنه أبو بكر

خاصم عدوك باللسا * ن وان قدرت فبالسنان
ان العداوة ليس يصلحها الخضوع مدى الزمان

وقال ابراهيم الحجارى جد صاحب المسهب

لئن كرهوا يوم الوداع فانى * أهيم به وجدا من أجل عناقه
أصافح من أهواه غير مساير * وسر التلاقى مودع فى فراقه

وقال

كن كما شئت انى لا أحول * غير مصغ لما يقول العذول
لك والله فى الفؤاد محل * ما اليه مدى الزمان وصول
ومرادى بأن تزور خفيا * ليت شعرى متى يكون السبيل

وقال

قد تولت فى حالتينا الظنون * فلنصدق ما كذبته العيون
ومرادى بأن تلوح بأفق * بدر تم وذاك مالا يكون
أناقد قلت مادعانى اليه * كثرة الياس والحديث شجون
واذا شئت أن تسفه رأيى * فحلى من الرقيب مصون
وبه ماتشاء من كل معنى * كل من لم يجبه مجنون
والى كم تضل ليل الامانى * ومن الياس لاح صبح مبين

وقال

سألته عن أبيه * فقال خالى فلان
فانظر عجائب ماقد * أتت به الازمان
دهر عجيب لديه * عن المعالى هوان

فاله

شاله غير ذمم * كما تدين تدان

وقال الكاتب العالم أبو محمد بن خيرة الاشبيلي صاحب كتاب الريحان والريعان يمدح السيد أبا حفص ملك اشبيلية ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن من قصيدة

كأنما الافق صرح والنجوم به * كواعب وظلام الليل حاجبه
وللهلال اعتراض فى مطالعه * كأنه أسود قد شاب حاجبه
وأقبل الصبح فاستحيت مشارقه * وأدبر الليل فاستخفت كواكبه
كالسيد الماجد الاعلى الهمام أبى * حفص لرحلته ضمت مضاربه

وأنشد له ابن الامام فى سمط الجمان

رعيا لمنزله الخصيب وظله * وسقى الثرى النجدى مع ربابه
واها على سادانه لا أدعى * كلفا بزينبه ولا بربابه

ويعرف رحمه الله تعالى بابن المواعينى * وقال ابنه أبو جعفر أحمد

يا أخى هاتها وجب سناها * عن مثيريها جنونا وسخفا
هذه الشمس ان بدت لضعيف العين زادت فى ذلك الضعف ضعفا
انما يشرب المدامة من ان * خشنت كفه جفاها وكفا

وكتب الوزير أبو الوليد اسمعيل بن حبيب الملقب بحبيب الى أبيه لما خلق الربيع من أخلاق الغر وسرق زهره من شيم الزهر حسن فى كل عين منظره وطاب فى كل سمع خبره وتاقت النفوس الى الراحة فيه ومالت الى الاشراف على بعض ما يحتويه من النور الذى بسط على الارض حللا لا ترى فى أثنائها خللا سلولة نثرت على الثرى وقد ملئت مسكا وعنبرا ان تنسمتها فأرجه أو توسمتها فبهجه

فالارض فى بزة من يانع الزهر * تزرى اذا قستها بالوشى والحبر
قد أحكمتها أكف المزن واكفة * وطرزتها بما تهمى من الدرر
تبرجت فسبت منا العيون هوى * وفتنة بعد طول الستر والخفر

فأوجد لى سبيلا الى اعمال بصرى فيها لاجلو بصيرتى بمعاس نواحيها والفصل على أن يكمل أوانه ويتصرم وقته وزمانه فلا تخلنى من بعض التشفى منه لاصدر نفسى متيقظة عنه فالنفوس تصدأ كما يصدأ الحديد ومن سعى فى جلائها فهو الرشيد السديد ومن شعره يصف وردا بعث به الى أبيه

يا من تأزر بالمكارم وارتدى * بالمجد والفضل الرفيع الفائق
انظر الى خد الربيع مركبا * فى وجه هذا المهرجان الرائق
ورد تقدم اذ تأخر واغتدى * فى الحسن والاحسان أول سابق
وافاك مشتملا بثوب حيائه * خجلا لان حياك آخر لاحق

وله

أرى الباقلاء الباقل اللون لابسا * جرود محاء من محاسبها غذى
ترى نوره يلتاح فى ورقاته * كبارق جياد فى جلال زمرذ

وقال

اذا ما أدرت كؤس الهوى • فني شربها الست بالمرقل
مدام تعتق للناظرين • وتلك تعتق بالارجل

وكان وهو ابن سبع عشرة سنة ينظم النظم الفائق وينثر النثر الرائق وأبو جعفر بن الابار هو الذى صقل مرآته وأقام قناته وأطلعه شهابا ثاقبا وسلك به الى فنون الآداب طريقا لاحبا وله كتاب سماه بالبديع فى فصل الربيع جمع فيه أشعار أهل الاندلس خاصة أعرب فيه عن أدب غزير وحظ من الادب موفور وتوفى وهو ابن اثنتين وعشرين سنة واستوزره داهية الفتنه ورحى المحنه قاضى اشبيلية عباد جد المعتمد ولم يزل يصغى الى مقاله ويرضى بفعاله وهو ما جاوز العشرين اذ ذاك وأكثر نظمه ونثره فى الازاهر وذلك يدل على رقة نفسه رحمه الله تعالى • وقال الوزير الكاتب أبو الحسن على بن حصن وزير المعتضد بن عباد

على أن أتذلل • له وأن يتدلل
خد كان الثريا • عليه قرط مسلسل

وقال

طل على خده العذار • فاقتضح الآس والبهار
وابيض ذا واسود هذا • فاجتمع الليل والنهار

وقال الوزير أبو الوليد بن طريف فى المعتمد بعد خلعه

يا آل عباد الاعطفة • فالدهر من بعدكم ظلم
من الذى يرجى لنيل العلا • ومن اليه يفد المعدم
ما أنكر الدهر سوى انه • بجودكم فى فعله يزعم

وله

من حلقت لحية جاره • فليكب الماء على لحيته

وقد أجريتا فى هذا الكتاب ذكر جملة من أخبار المعتمد بن عباد ونظمه فى أماكن متعددة فلتراجع ومن نظمه

ثلاثة منعتها عن زيارتنا • خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلى وما • تحوى معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره • والحلى تنزعه ما حيلة العرق

وقال

يوم يقول الرسول قد أذنت • فأت على غير رقبة وبلج
أقبلت أهوى الى رحالهم • أهدى اليها بريحها الارج

قال ويستدل على الملوكية بالطيب فى المواطن التى يكون الناس فيها غير معروفين كالحمام ومعارك الحرب ومواسم الحج (رجع) الى ما كنا فيه وقال أبو العباس أحمد الخزرجى القرطبى

وفى الوجنات

وفى الوجنات ما فى الروض لكن * لرونق زهرها معنى عجيب
وأعجب ما التعجب منه أنى * أرى البستان يحمله قضيب

وقال الوزير أبو سليمان بن أبى أمية يخاطب رئيسا قد بلغه عن بعض أصحابه كلام فيه غض منه

هون عليك كلامه * واسمح له فيمن سمح
ماذا يسوءك ان هجا * ماذا يسرك ان مدح
أو ما علمت بلى جهلت بأنه غسل طفح
وخفى حقد كامن * داء له حتى اتضح
هذا بمستن الوقا * ر فكيف لو دار القدح
فاشكر عوارف ذى الجلا * ل بما وقى وبما منح

وقال أبو على عمر بن أبى خالد يخاطب أبا الحسن على بن الفضل

أبا حسن وما قدمت عهود * لنا بين المنارة والجزيره
أتذكر أنسنا والليل داج * بخمر فى زجاجتها منيره
اذا الملاح ضل رنا اليها * فابصر فى مناحيه مسيره

وقال الكاتب عبد الله المهيريس وكان حلو النادرة لما شرب عند الوزير أبى العلاء بن جامع وقد نظر الى فاختة فأعجبه حسنها ولحنها

ألا خذها اليك أبا العلاء * على الامداح ترفل فى الثناء
وهيها قينة تجلى عروسا * خضيب الكف قانية الرداء
لاجعلها محل جليس انسى * وأغنى بالهديل عن الغناء

وحكى انه ناوله ليمونة وأمره بالقول فيها فقال

أهدى الى بروضة ليمونة * وأشار بالتشبيه فعل السيد
فصمت حينا ثم قلت لجهل * من فضة تعلوه صفرة عسجد

وقال الكاتب أبو بكر بن البناء يرثى أحد بنى عبد المؤمن وقد عزل من بلنسية وولى اشبيلية فمات بها

كانك من جنس الكواكب لم تكن * تفارق طلوعا حالها وتواريا
تجليت عن شرق تروق تلا لؤا * فلما انتحيت الغرب أصبحت هاويا

وكان محمد بن مروان بن زهر كافى المغرب والمسهب والمطرب وقد قدمنا بعض أخباره منشأ الدولة العبادية أول من تنفى عليه الخناصر وتستحسنه البواصر فضاقت الدولة العبادية عن مكانه وأخرج عن بلده فاستصفيت أمواله فلحق بشرق الاندلس وأقام فيه بقية عمره ونشأ ابنه الوزير أبو مروان عبد الملك بن محمد فبلغ أشده حتى ستد مسده ومال الى التفنن فى أنواع التعاليم من الطب وغيره ورحل الى المشرق لاداء الفرض فملأ البلاد جلالة ونشأ ابنه أبو العلاء زهر بن عبد الملك فاخترع فضلا لم يكن فى الحساب وشرع نبلا قصرت عنه نتائج أولى الالباب ونشأ بشرق الاندلس والآفاق تتهادى عجائبه والشام والعراق

تتدارس بدائعه وغرائبه ومال الى علم الابدان فلولا جلالة قدره لقلنا جاذب هاروت طرفا من سحره ولولا أن الغلو آفة المديح لما اكتفى فيه بالكناية عن التصريح ولم يزل مقيما بشرق الاندلس الى أن كان من غزاة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ومن انضم اليه من ملوك الطوائف ما علم وشخص أبو العلاء معهم فلقيه المعتمد بن عباد واستمالة واستهواه وكاد يغلب على هواه وتصرف عليه أملاكه فحن الى وطنه حنين الكئيب الى عطنه والكريم الى سكنه ونزع الى مقر سلفه نزوع الكوكب الى بيت شرفه الا انه لم يستقر باشبيلية الا بعد خلع المعتمد وحل عند يوسف بن تاشفين محلا لم يحله الماء من العطشان ولا الروح من جسد الجبان ولما كتب اليه حسام الدولة بن رزين ملك السهلة بقوله

عاد اللئيم فأنت من أعدائه * ودع الحسود بغله وبدائه
لا كان الا من غدت أعداؤه * مشغولة أفواههم بجفائه
أأبا العلاء لئن حسدت لطالما * حسد الكريم بجوده ووفائه
فخر العلاء فكنت من آبائه * وزها السناء فكنت من أبنائه
كن كيف شئت مشاهدا أو غائبا * لا كان قلب لست فى سوداته

أجابه

ياصارما حسم العدا بمضائه * وتعبد الاحرار حسن وفائه
ما أثر العضب الحسام بذاته * الا بأن سميت من أسمائه

وكلفه الحسام المذكور القول فى غلام قائم على رأسه وقد عذر فقال

محيت آية النهار فاضحى * بدر تم وكان شمس نهار
كان يعشى العيون نارا الى أن * أشعل الله خده بالعذار

وقال

عذار ألم فأبدى لنا * بدائع كنا لها فى عمى
ولو لم يجن النهار الظلا * م لم يستبن كوكب فى السما

وقال

ياراشقى بسهام مالها غرض * الا الفؤاد ومامنه له عوض
ومرضى بجفون لحظها غنج * صحت وفى طبعها التمريض والمرض
امنن ولو بخيال منك يؤنسنى * فقد يسد مسد الجوهر العرض

وهذا معنى فى غاية الحسن وكان بينه وبين الامام أبى بكر بن باجة بسبب المشاركة مايكون بين النار والماء والارض والسماء ولما قال فيه ابن باجة

ياملك الموت وابن زهر * جاوزتما الحد والنهايه
ترفقا بالورى قليلا * فى واحد منكما الكفايه

قال أبو العلاء

لابد للزنديق أن يصليا * شاء الذى يعضده أو أبى

قد مهد الجذع له نفسه * وشد الرمح اليه الشبا

والذى يعضده مالك بن وهيب جليس أمير المسلمين وعالمه * وأما حفيده أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر فهو وزير اشبيلية وعظيمها وطبيبها وكريمها ومن شعره

رمت كبدى أخت السماء فاقصدت * الا بابى رام يصيب ولا يخطى
قريبة ما بين الخلاخيل ان مشت * بعيدة ما بين القلادة والقرط
نعمت بها حتى أتيحت لنا النوى * كذا شيم الايام تأخذ ما تعطى

وتوفى سنة خمس وتسعين وخمسمائة وأمر أن يكتب على قبره

تأمل بفضلك يا واقفا * ولاحظ مكانا رفعنا اليه
تراب الضريح على صفحتى * كانى لم أمش يوما عليه
أداوى الانام حذار المنون * فها أنا قد صرت رهنا لديه

رحمه الله تعالى وعفا عنه وفى هذه الابيات اشارة الى طبه ومعالجته للناس رحمه الله تعالى وقد ذكرت بعض أخباره فى غير هذا الموضع * وقال أبو الوليد بن حزم

مر آلم مر آلم لا شمس ولا قمر * وورد خديك لا ورد ولا زهر
فى ذمة الله قلب أنت ساكنه * ان بنت بان فلا عين ولا أثر

وقال

لله أيام على وادى القرى * سلفت لنا والدهر ذو ألوان
اذ نجتنى فى ظله ثمر المنى * والطير ساجعة على الاغصان
والشمس تنظر من محاجر أرمد * والطل يركض فى النسيم الوانى
فلثمت فاه والتزمت عناقه * وبدا الوصال على قفا الهجران

وقال ابن عبد ربه

يا قابض الكف لا زالت مقبضة * فما أنا ملها للناس أرزاق
وغب اذا شئت حتى لا ترى أبدا * فما الفقد لك فى الاحشاء اقلاق

وقال فى المدح

وما خلقت كفاك الا لاربع * عقائل لم تخلق لهن يدان
لتقبيل أفواه واعطاء نائل * وتقليب هندى وحبس عنان

وقال الكاتب أبو عبد الله بن مصادق الرندى الاصل

صارمته اذ رأت عارضه * عاد من بعد الشباب أشيبا
قلت ما ضر لك شيب فلقد * بقيت فيه فكاهات الصبا
هو كالعنبر غال نفعه * وشذاه أخضرا أو أشهبا

وقال

ووردة وردت فى غير موقتها * والسحب قد هملت أجفانها هطلا
وانما الروض لما لم يفد ثغرا * يقريكه انفتحت فى خده خجلا

وله

لم أحتفل لقدوم العيد من زمن * قد كان يبهجني اذ كنت في وطني
لم ألق أهلي ولا الفي ولا ولدي * فليت شعري سروري واقع بمن

وقال

يقول لي العاذل تب عن هوى * من ليس يدنيك الى مطلب
وكيف لي والدين دين الهوى * فلا أرى أربح من مذهبي
أليس باب التوب قد سده * طلوعه شمسا من المغرب

وله

امنع كرائمك الخروج ولا * تظهر لذلك وجه منبسط
لا تعتبر منهن مسخطة * نيل الرضا في ذلك السخط
أولسن مثل الدر في شبه * والدر من صدف الى سقط

وقال المعتمد بن عباد

تم له الحسن بالعذار * واختلط الليل بالنهار
أخضر في أبيض تبدى * فذاك آسي وذا بهاري
فقد حوى مجلسي تماما * ان يك من ريقه عقاري

وقال ابن فرج الجياني رحمه الله تعالى

وطائعة الوصال صدرت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت في الليل سافرة فباتت * دياجي الليل سافرة القناع
ومامن لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعي
فلكت الهوى جمحات قلبي * لاجري في العفاف على طباعي
كذاك الروض ما فيه لمثلي * سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فأتخذ الرياض من المراعي

وقال

بأبي ما أتاني الحسن بادي * بشكر الضيف أم طيف الرقاد
سرى لي فازدرى أملي ولكن * عففت فلم أنل منه مرادي
وما في النوم من حرج ولكن * جريت مع العفاف على اعتيادي

وقال الرصافي

وعشي أنس للسرور وقد بدا * من دون قرص الشمس ما يتوقع
سقطت فلم يملك نديمك ردها * فوددت يا موسى لو أنك يوشع

وقال ابن عبد ربه

براعة غرني منها وميض سنا * حتى مددت اليها الكف مقتبسا
فصادفت حجرا لو كنت تضربه * من لؤمه بعصا موسى لما انبجسا
كأنما صيغ من لؤم ومن كذب * فكان ذاك له روحا وذا نفسا

وقال ابن صارة في فروة

أودت بذات يدى فريبة أرنب * كفؤاد عروة فى الضنى والرقة
يتجشم الفقراء من ترقيعها * بعد المشقة فى قريب الشقة
لو أن ما أنفقت فى ترقيعها * يحصى لزاد على رمال الرقة
ان قلت بسم الله عند لباسها * قرأت على اذا السماء انشقت

وقال الغزالى

والمرء يعجب من صغيرة غيره * أى امرئ الا وفيه مقال
لستنارى من ليس فيه غميزة * أى الرجال القائل الفعال

وقال أبو حيان

لا ترجون دوام الخير من أحد * فالشر طبع وفيه الخير بالعرض
ولا تظن امرأ أسدى اليك يدا * من أجل ذاتك بل أسداه للغرض

وقال ابن شهيد

ولما فشا بالدمع ما بين وجدنا * الى كاشحينا ما القلوب كواتم
أمرنا بامساك الدموع جفوننا * ليشجى بما نطوى عذول ولائم
أبى دمعنا يجرى مخافة شامت * فنظمه بين المحاجر ناظم
وراق الهوى منا عيون كريمة * تبسم عن حتى ما تروق المباسم

وقال فى الانتحال

وبلغت أقواما تجيش صدورهم * على وانى فيهم فارغ الصدر
أصاخوا الى قولى فأسمعت معجزا * وغاصوا على سرى فأعجزهم أمرى
فقال فريق ليس ذا الشعر شعره * وقال فريق أين الله ماندرى
نعم من شاء فليخبر فانى حاضر * ولا شئ أجلى للشكوك من الخبر

وينظر الى مثل هذا قصة أبى بكر بن بقى حين استهدى من بعض اخوانه أقلاما فبعث اليه بثلاث من القصب وكتب معها

خذها اليك أبا بكر العلا قصبا * أنماه صاغها الصواغ من ورقه
يزهى بها الطرس حسنا ما تثيرت بها * مسك المداد على الكافور من ورقه

فاجابه أبو بكر

أرسلت نحوى ثلاثا من قناشلب * مناآدة تطعن القرطاس فى ورقه
فاللحظ ينكرها والخط يعرفها * والرق يخدمها بالرق فى عنقه

فحسده عليه بعض من سمعه ونسبه الى الانتحال فقال أبو بكر يخاطب صاحبه الاول

وجاهل نسب الدعوى الى كلمى * لما رآه بمثل النبل فى حدقه
فقلت من حنق لما تعرض لى * من ذا الذى أخرج اليربوع من نفقه
ماذم شعرى وايم الله لى قسم * الا امرؤ ليست الاشعار من طرقه
الشعر يشهد أنى من كواكبه * بل الصباح الذى يستن من أفقه

وقال ابن شهيد أيضا فى ضيف

وما انفك معشوق الثنا يانمته * يبشر وترحيب وبسط بنان
الى أن تشهى البين من ذات نفسه * وحن الى الاهلين حنة حانى
فأتبعته ما ســـــتدخلة حاله * وأتبعني ذكرا بكل مكان

وقال

ويتنا نراعى الليل لم يطو برده * ولم يجل شيب الصبح في فوده وخطا
تراه كملك الزنج من فرط كبره * اذا رام مشـــيا في تبختره أبطا
مطلا على الآفاق والبدر تاجه * وقد جعل الجوزاء في أذنه قرطا

وقال بعضهم في لباس أهل الاندلس البياض في الحزن مع أن أهل المشرق يلبسون فيه السواد

ألا ياأهل أندلس فطنتم * بلطفكم الى أمر عجيب
لبستم في مآتمكم بياضا * فجئتم منه في زى غريب
صدقتم فالبياض لباس حزن * ولا حزن أشد من المشيب

وقال أبو جعفر بن خاتمة

هل جسوم من النوى ودعوها * باقيات لسوء ما أودعوها
ياحداة القلوب ما العدل هذا * أتبعوها أجسامها أودعوها

وقال القسطلي يصف هول البحر

اليك ركبنا الفلك تهوى كانها * وقد ذعرت عن مغرب الشمس غربان
على لجج خضر اذا هبت الصبا * تراقص بها فينا ثبير وثهـــلان
موائل ترعى في ذراها موائلا * كما عبدت في الجاهلية أوثان
مقاتل موج البحر والهم والدجا * يمـــوج بها فيها عيون وآذان
الا هل الى الدنيا معاد وهل لنا * سوى البحر قبر أو سوى الماء أكفان

وقال الرمادي يهنئ ابن العطار الفقيه بمولود

يهنيك ما زادت الايام في عددك * من فلذة برزت للسعد من كبدك
كأنما الدهر دهر كان مكتئبا * من انفرادك حتى زاد في عددك
لا خلفتك الليالي تحت ظل ردى * حتى ترى ولدا قد شب من ولدك

وقال ابن صارة في النار

هات التي للابك أصل ولادها * ولها جبين الشمس في الاشماس
يتقشـــع الياقوت في لباتها * بوساوس تشفي من الوســواس
أنس الوحيد وصبح عين المجتلي * ولباس من أمسى بغير لباس
حمراء ترفل في السواد كأنما * ضربت بعـــرق في بني العباس

وقال فيها أيضا

لابنة الزند في الكوانين جمر * كالدراري في الليلة الظلماء
خبروني عنها ولا تكذبوني * ألديها صناعة الكيمياء

سبكت فحمها سبائك تبر * رصعته بالفضة البيضاء
كلما ولول النسيم عليها * رقصت فى غلالة حمراء
سفرت عن جبينها فأرتنا * حاجب الليل طالعا بالعشاء
لو ترانا من حولها قلت قوم * يتعاطون أكؤس الصهباء

وقال فيها الفقيه الاديب ابن اللبان

فحم ذكا فى حشاه جمر * فقلت مسك وجلنار
أو خدّ من قد هويت لما * أطلّ من فوقه العذار

وكان أبو المطرّف الزهرىّ جالسا فى باب داره مع زائر له فخرجت عليهما من زقاق جارية سافرة الوجه كالشمس الطالعة فحين نظرتهما على حين غفلة منها نفرت بخجلة فرأى الزائر ما أبهته فكافه وصفها فقال مرتجلا

ياظبية نفرت والقلب مسكنها * خوفا فاختلى بل عمد التعذيبى
لا تخشى فابن عبد الحق أنحلنا * عدلا يؤلف بين الظبى والذيب

وقال ابن شهيد

أصباح لاح أم بدر بدا * أم سنا المحبوب أورى زندا
هبّ من نعسته منكسرا * مسبل للكمّ مرخ للردا
يمسح النعسة من عينى رشا * صائد فى كل يوم أسدا
قلت هب لى يا حبيبى قبلة * تشف من حبك تبريح الصدى
فانثنى يهتز من منكبه * قائلا لا ثم أعطانى اليدا
كلما كلمنى قبلته * فهو ما قال كلا ما ردّدا
قال لى يلعب صدلى طائرا * فترانى الدهر أجرى بالكدى
واذا استنجزت يوما وعده * قال لى يمطل ذكرنى غدا
شربت أعضاؤه خمر الصبا * وسقاه الحسن حتى عربدا
رشا بل غادة ممكورة * عممت صبحا بليل أسودا
أخجلت من عضة فى نهدها * ثم عضت حرّ وجهى عمدا
فأنا المجروح من عضتها * لا شفانى الله منها أبدا

وقال محمد بن هانئ فى الشيب

بنتم فلولا أن أغبر لمتى * ألقاكم يوما على عضايا
لحضبت شيبا فى مفارق لمتى * ومحوت محو النقس عنه شبابا
وخضبت مبيض الحداد عليكم * لو أننى أجد البياض خضابا
واذا أردت على المشيب وفادة * فاجعل مطيك دونه الاحقابا
فلتأخذنّ من الزمان حمامة * ولتدفعنّ الى الزمان غرابا

وكتب ابن عمار الى ابن رزين وقد عتب عليه أن اجتاز ببلده ولم يلقه

لم تثن عنك عنانى سلوة خطرت * ولا فؤادى ولا سمعى ولا بصرى

لكن عدتنى عنكم خجلة خطرت * كفانى العذر منها بيت معتذر
لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

وقال ابن الحداد

وانى لصب للتلاقى وانما * يصد ركابى عن معاهدك العصر
أذوب حياء من زيارة صاحب * اذا لم يساعدنى على برء الوفر

وقال ابن عبد ربه

يا من عليه حجاب من جلالته * وان بدا لك يوما غير محجوب
ما أنت وحدك مكسو اثياب ضنى * بل كل نابك من مضنى ومشجوب
ألقى عليك يد اللضر كاشفة * كشاف ضر نبى الله أيوب

وقال النحلى

ولا عبة الوشاح بغصن بان * لها أثر بتقطيع القلوب
اذا سوت طريق العود نقرا * وغنت فى محب أو حبيب
فيمناها تقد بها فؤادى * ويسراها تعد بها ذنوبى

وقال ابن شهيد

كلفت بالحب حتى لو دنا أجلى * لما وجدت لطعم الموت من ألم
وعاقنى كرمى عن ولهت به * ويلى من الحب أو ويلى من الكرم

وكان صوفى بشريش حافظا للشعر فلا يعرض فى مجلسه معنى الا وهو ينشد عليه فاتفق أن عطس رجل بمجلسه فشمته الحاضرون فدعا لهم فرأى الصوفى انه ان شمته قطع انشاده بما لا يشاكله من النظم وان لم يشمته كان تقصيرا فى البر فرغب حين أصبح من الطلبة نظم هذا المعنى فقال الوزير الحسيب أبو عمرو بن أبى محمد

يا عاطسا يرحمك الله اذ * أعلنت بالحمد على عطسته
ادع لنا ربك يغفر لنا * وأخلص النية فى دعوته
وقل له يا سيدى رغبتى * حضور هذا الجمع فى حضرتك
وأنت يا رب الندى والنوى * بارك رب الناس فى ليلتك
فان يكن منكم لنا عودة * فأنت محمود على عودتك

وهذا الوزير المذكور كان يصرف شعره فى أوصاف الغزلان ومخاطبات الاخوان وكتب الى الشريشى شارح المقامات يستدعى منه كتاب العقد

ايا من غدا سلكا لجيد معارفه * ومن لفظه زهر أنيق لقاطفه
محبك أضحى عاطل الجيد فلتجد * بعقد على لبانه وسوالفه

ووعك فى بعض الاعياد فعاده من أعيان الطلبة جملة فلما هموا بالانصراف أنشدهم ارتجالا

لله در أفاضل أمجاد * شرف الندى بقصدهم والنادى
لما أشاروا بالسلام وأزمعوا * أنشدتهم وصدقت فى الانشاد

فى العيد عد تم وهو يوم عروبة * يافر حتى بثلاثة الاعياد

قال الشريشى فى شرح المقامات ولقد زرته فى مرضه الذى توفى فيه رحمه الله تعالى أنا وثلاثة فتيان من الطلبة فسألنى عنهم وعن آبائهم فلما أرادوا الانصراف ناول أحدهم محبرة وقال له اكتب وأملى عليه ارتجالا

ثلاثة فتيان يؤلف بينهم * ندى كريم لا أرى الله بينهم
تشابه خلق منهم وخليقة * فان قلت أين الحسن فانظر أين هم
وزينهم استاذهم اذ غدا لهم * معلم آيات فتم دينهم
فان خفت من عين ففى الكل فلتقل * وقى الله رب الناس للكل عينهم

وقال الشريشى حدثنا شيخنا أبو الحسين بن زرقون عن أبيه أبى عبد الله قعد مع صهره أبى الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب على بحر الجاز وهو مضطرب الامواج فقال له ابو الحسن أجز

وملتطم الغوارب موجته * بوارح فى مناكبها غيوم

فقال أبو عبد الله

تمنع لا يعوم به سفين * ولو جذبت به الزهر النجوم

وكان لابن عبد ربه فتى يهواه فأعلمه انه يسافر غدا فلما أصبح عاقه المطر عن السفر فانجلى عن ابن عبد ربه همه وكتب اليه

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر * هيهات يابى عليك الله والقدر
مازلت أبكى حذار البين ملتهبا * حتى رثى لى فيك الريح والمطر
يابرده من حيا مزن على كبد * نيرانها بغليل الشوق تستعر
آليت أن لا أرى شمسا ولا قمرا * حتى أراك فأنت الشمس والقمر

وقال ابن عبد ربه

صل من هويت وان أبدى معاتبة * فأطيب العيش وصل بين الفين
واقطع حبائل خدن لا تلائمه * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وقال أبو محمد غانم بن الوليد المالقى

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وكان المتوكل صاحب بطليوس ينتظر وفود أخيه عليه من شنتبرين يوم الجمعة فأتاه يوم السبت فلما لقيه عانقه وأنشده

تخيرت اليهود السبت عيدا * وقلنا فى العروبة يوم عيد
فلما أن طلعت السبت فينا * أطلت لسان محتج اليهود

وقال أبو بكر بن بقى

أقمت فيكم على الاقتار والعدم * لو كنت حرا أبى النفس لم أقم
فلا حديقتكم يجنى لها ثمر * ولا سماؤكم تنهل بالديم

أنا امرؤ ان نبت بي أرض أندلس * جئت العراق فقامت بي على قدم
ما العيش بالعلم الاحيلة ضعفت * وحرفة وكلت بالعقد والبرم

وقال الابيض في الفقهاء المرائين

أهل الرياء لبستم ناموسكم * كالذئب يذبح في الظلام العاتم
فلكتم الدنيا بمذهب مالك * وقسمتم الاموال بابن القاسم
وركبتم شهب البغال بأنهب * وبأصبغ صبغت لكم في العالم

وقال

قل للامام سنا الائمة مالك * نور العيون ونزهة الاسماع
لله درك من همام ماجد * قد كنت راعينا فنعم الراعي
فمضيت محمود النقيبة طاهرا * وتركتنا فنصالشر سباع
أكلوا بك الدنيا وأنت بمعزل * طاوي الحشا متكفف الاضلاع
تشكولك دنيا لم تزل بك برة * ماذا رفعت بها من الاوضاع

وقال ابن صارة

يامن يعذبني لما تملكني * ماذا تريد بتعذيبي واضراري
تروق حسنا وفيك الموت أجمعه * كالصقل في السيف أو كالنور في النار

وقال عبدون البلنسي

يامن محياه جنات مفتحة * وهجره لي ذنب غير مغفور
لقد تناقضت في خلق وفي خلق * تناقض النار بالتدخين والنور

وقال الوزير ابن الحكيم

رسخت اصول علاكم تحت الثرى * ولكم على خط المجرة دار
ان المكارم صورة معلومة * أنتم لها الاسماع والابصار
تبدو شموس الدجن من أطواقكم * وتفيض من بين البنان بحار
ذلت لكم نسم الخلائق مثل ما * ذلت لشعري فيكم الاشعار
فمتى مدحت ولا مدحت سواكم * فمديحكم في مدحه اضمار

وقال القاضي أبو جعفر برطال

أستودع الرحمن من لوداعهم * قلبي وروحي آذنا بوداعي
بانوا وطرفي والفؤاد ومقولي * بالدمع والقلب الفؤاد وداعي
فتول يامولاي حفظهم ولا * تجعل تفرقنا فراق وداع

وقال ابن خفاجة

وما هاجني الا تألق بارق * لبست به برد الدجنة معلما

وهي طويلة وقال من أخرى

جمعت ذوائبه ونور جبينه * بين الدجنة والصباح المشرق

وقال ذو الوزارتين أبو الوليد بن الحضرمي البطليوسي في غلام للمتوكل بن الافطس يرثيه

غالته أيدى المنايا * وكن فى مقلتيه
وكان يسقى الندامى * بطرفه ويديه
غصن ذوى وهلال * جارا الكسوف عليه

وقال الفقيه العالم أبو أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسى عالمها فى المذهب المالكى وقد تحاكم اليه وسيمان أشقروأ كحل فيمن يفضل بينهما

وشادنين أتانى فى مقنعة * تنازعا الحسن فى غايات مستبق
كان لمته ذا من نرجس خلقت * على بهار وذا مسك على ورق
وحكما الصب فى التفضيل بينهما * ولم يخافا عليه رشوة الحدق
فقام يبدى هلال الدجن حجته * مبينا بلسان منه منطلق
فقال وجهى بدر يستضاء به * ولون شعرى مقطوع من الغسق
وكحل عينى سحر للنهى وكذا * لذا الحسن أحسن ما يعزى الى الحدق
وقال صاحبه أحسنت وصفك لكن فاستمع لمقال فى متفق
انا على أفق شمس النهار ولم * تغرب وشقرة شعرى شقرة الشفق
وفضل ما عيب فى العينين من زرق * أن الاسنة قد تعزى الى الزرق
قضيت للمة الشقراء حيث حكت * نورا كذا حبها يقضى على رمق
فقام ذو اللمة السوداء يرشقنى * سهام أجفانه من شدة الحمق
وقال جرت فقلت الجور منك على * قلبى ولى شاهد من دمعى الغدق
وقلت عفوك اذ أصبحت بينهما * فقال دونك هذا الحبل فاختنق

وكان فيه ظرف وأدب وعنوان طبقته هذه الابيات وقال

وغاب من الاكواس فيها ضراغم * من الراح ألباب الرجال فريسها
قرعت بها سن الهموم فأقطعت * وقد كاد يسطو بالفؤاد رئيسها

وله رحمه الله تعالى شرح البخارى وأكثر ابن حجر من النقل عنه فى فتح البارى وله كتاب الاحكام وغير ذلك وترجمته شهيرة * وقال الاديب النحوى المؤرخ أبو اسحق ابراهيم ابن الاعلم البطليوسى صاحب التآليف التى بلغت نحو خمسين

ياحص لازلت دارا * لكل بؤس وساحه
مافيك موضع راحه * الا ومافيه راحه

وهو شيخ أبى الحسن بن سعيد صاحب المغرب وأنشده هذين البيتين لما هجر من الاقامة باشبيلية أيام فتنة الباجى * وقال الاديب الطبيب أبو الاصبغ عبد العزيز البطليوسى الملقب بالقلندر

جرت منى الخمر مجرى دمى * فجل حياتى من سكرها
ومهما دجت ظلم الهموم * فتمزيقها بسنا بدرها

وخرج يوما وهو سكران فلقى قاضيا فى نهاية من قبح الصورة فقال سكران خذوه فلما أخذه الشرطة قال للقاضى بحق من ولاك على المسلمين بهذا الوجه القبيح عليك الا ما فضلت على

وتركتني فقال القاضي والله لقد ذكرتني بفضل عظيم ودرأعنه الحد * وقال ابن جاخ الصباغ البطليوسي وهو من أعاجيب الدنيا لا يقرأ ولا يكتب

ولما وقفنا غداة النوى * وقد اسقط البين مافي يدي
رأيت الهوادج فيها البدور * عليها البراقع من عسجد
وتحت البراقع مقلوبها * تدب على ورد خدتندي
تسالم من وطئت خده * وتلدغ قلب الشجي المكمد

وقال في المتوكل وقد سقط عن فرس

لاعتب للطرف ان زلت قوائمه * ولا يدنسه من عائب دنس
حملت جودا وباسا فوقه ونهى * وكيف يحمل هذا كله الفرس

وقال الشاعر المشهور بالكميت البطليوسي

لا تلوموني فاني عالم * بالذي تأتيه نفسي وتدع
بالحيا والحب صبوتي * وهوى حبهما عندي بدع
فضل الجمعة يوم وأنا * كل أيامي بأفراحي جمع

وقال أبو عبد الله محمد بن البين البطليوسي وهو ممن يميل الى طريقة ابن هانئ

غصبوا الصباح فقسموه خدودا * واستنهبوا قضب الاراك قدودا
ورأوا حصا الياقوت دون محلهم * فاستبدلوا منه النجوم عقودا
واستودعوا حدق المها أجفانهم * فسبوا بهن ضراغما واسودا
لم يكفهم حمل الأسنة والظبا * حتى استعانوا أعينا ونهودا
وتضافروا بضفائر أبدوا لنا * ضوء النهار بليلها معقودا
صاغوا الثغور من الاقاحي بينها * ماء الحياة لواغتدى مورودا

وكان عند المتوكل مضحك يقال له الخطارة فشرب ليلة مع المتوكل وكان في السقاة وسيم فوضع عينه عليه فلما كان وقت السحر دب اليه وكان بالقرب من المتوكل فأحس به فقال له ماهذا يا خطارة فقال له يا مولاي هذا وقت تفريغ الخطارة الماء في الرياض فقال له لا تعد لئلا يكون ماء أحر فرجع الى نومه ولم يعد في ذلك كلمة بقية عمره معه ولا أنكر منه شيأ ولم يحدث بها الخطارة حتى قتل المتوكل رحمه الله تعالى والخطارة صنف من الدوالب الخفاف يستقى به أهل الاندلس من الاودية وهو كثير على وادي اشبيلية وأكثر ما يا كرون العمل في السحر * وقال الوزير أبو زيد عبد الرحمن بن مولود

أرني يوما من الدهر على وفق الامانى
ثم دعني بعد هذا * كيفما ماشئت تراني

وقال أديب الاندلس وحافظها أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري البابري وهو من رجال الذخيرة والقلائد وشهرته مغنية عن الزيادة يخاطب المتوكل وقد أنزله في دار وكفت عليه

أياساميا من جانبيه كليهما * سمو وحباب الماء حالا على حال

لعبد لدار حل فيها كانها * ديار لسلمى عافيات بذى خال
يقول لها المار أى من دثورها * ألا عم صباحا أيها الطلل البالى
فقالت وما عيت جوابا بردها * وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
فمرصاحب الانزال فيها بعاجل * فان الفتى يغدى وليس بفعال

وقال فى جمع حروف الزيادة حسبما ذكره عنه فى المغرب

سألت الحروف الزائدات عن اسمها * فقالت ولم تكذب أمان وتسهيل

قلت وعلى ذكر حروف الزيادة فقد أكثر الناس فى انتقاء الكلمات الضابطة لها وقد كنت جمعت فيها نحو مائة ضابط ولنذكر الآن بعضها فنقول منها أهوى تلمسانا ونظمتها فقلت

قالت حروف زيادات لسائلها * هل هويت بلدة أهوى تلمسانا

وجمعها ابن مالك فى بيت واحد بأربعة أمثلة من غير حشو وهو

هناء وتسليم تلا يوم انسه * نهاية مسئول أمان وتسهيل

ومنها هويت السمان وحكى أن أبا عثمان سئل عنها فأنشد

هويت السمان فشبينني * وقد كنت قدما هويت السمانا

فقيل له أجبنا فقال أجبتكم مرتين ويروى انه قال سألتمونيها فأعميتكم ثلاثة أجوبة هكذا احكاه بعض المحققين وهو أرق مما حكاه غير واحد على غير هذا الوجه * ومنها اليوم تنساه الموت ينساه أسلمنى وتاه هم يتساءلون التناهى سمق تمنى وسائله أسلمنى تهاون تهاونى أسلم التمس هوانى ماسألت يهون مؤنس التياه لم يأتناسهو ياأويس هل نمت نويت سؤالهم نويت مسائله سألتم هوانى تأملها يونس أتانى وسهيل هونى مسألتها سألت مايهون وسليمان أتاه تسأل من يهوى استقلانى هو أسلت وهنای هواستمالنى سايل وأنتم هم ياهول استنم أتاه وسليمان قلت وليس هذا تكرارا مع السابق الذى هو وسليمان أتاه لان التقديم والتأخير يصيرهما شيئين * ومنها الوسمى هتان أوليتم سناه واليتم أنسه أمسيت وناله أنله توسما أملتنى سهوا أتوسل بمنها سألتمونى يوما سألت يومنها سألت مايوهن نهوى ماسألت يهون ماسألت وقد سبق سألت مايهون وعدهما شيئين من أجل التقديم والتأخير كما مر نظيره الاتنسى يومه ليتأسن ماؤه سلم موتى انا أنسته اليوم سألتم هوينا آوى من تساله وهن ماسألت وهنى ماسألت مسألتى نواه * ومنها مسألتى هاون سهوان يتسالم أيلتم سهوان أويلتم ناسه مسألتى اهون أوميت تنساه سموتن اليها أمليت سهوان وسألتم هينا يهون ماتسأل أنلومن سهيا اسلم وانتهى يتأمل سهوان يتأمل ناسوه يتأملن اسوه أيتأمل نسوه الهوى أتنسم وليت ماه آسن تولين أسهما اتلوا سهمين أول ساهمتنى أسماؤه تنيل يتأملنه سوا أولم يتساه آمن ويتساهل أمسيتن لهوا توسمه لناء هوماتسألين لأيهاتوسم أيهاتوسل أتانى لسموه سميتهن أولا أولاهن سميت سلتنى أهوا أسلتنى هوا اونستميلها أيستمهلونا هنأت للوسى

سليم انتهوا وأنت سائلهم ساءلته يمو تهنألايسمو اسألى مؤنته سأتى موهنا
القمى هونا استملى أهون ألتناه موسى لهواء يتسنم نهوى ماتسأل ماؤه
ليتأسن تنسمى لهواء تلومى ان سها ألمتنى سهوا ستولينا أمه يتهلون أسا أمهلتنى
سوا التناسى وهم أهويت سلمان هويت المأنس المانس تهوى هويت أم ناسل
أوليس تم هنا استوهن أملى استهون المى استمان وهيأ أتسلونها أيتسلونها
ألا يتسمونه أليس توهمنا الايتسموه فهذه مائة وأربعة وثلاثون تركيبا منها ماهو
متين ومنها ماهو غير متين وقد جمع ابن خروف فيها اثنين وعشرين تركيبا محكيا وغير محكى
وأحسنها بيت ابن عبدون السابق ويليه بيت ابن مالك وقال الطغنى جامعها أربع
مرات

آلمتنى سهوا تلومى ان سها * أوليس تم هنا الهوا يتسنم

هكذا بخطه يتسنم ولو قال يتنسم لكان أنسب وقال أيضا

وليت ماسناه والقمى هنا * ماتسألين هو الهنا يتوسم انتهى

قلت وقد جمعت فى المغرب زيادة على ما تقدم وكنت قدرت رسالة فيها أسميها اتحاف أهل
السياده بضوابط حروف الزياده * وقال أبو محمد عبد الله بن الليث يستدعى الوزير أبا
الحسن اليابرى فى يوم غيم

رقم الربيع بروضنا أزهاره * فجرى على صفحاته أنهاره
فعسى تشرفنا ببهجة سيد * ألقى على ليل الخطوب نهاره
تتمتع الآداب من نفحاته * فيشم منها ورده وبهاره
ياسيد ابهر البرية سودد * أبدى لنا سره وجهاره
يوم أظل الغيم وجه ضيائه * فعليك ياشمس العلا اظهاره

وقال أبو القاسم بن الابرش

أدر كاس المدام فقد تغنى * بفرع الايك طائره الصدوح
وهب على الرياض نسيم صبح * يمر كما دنا سار طليح
ومال النهر يشكو من حصاه * جراحات كما أن الجريح

وقال

حلفت ويشهد دمعى بما * أقاسيه من هجرك الزائد
فان كنت تجحد ما أدعى * وحاشاك تعرف بالجاحد
فان النبى عليه السلام * قضى باليمين مع الشاهد

وقال أبو الحسن على بن بسام الشنترينى صاحب الذخيرة وشهرته تغنى عن ذكره ونظمه
دون نثره يخاطب أبا بكر بن عبد العزيز

أبا بكر المجتبى للادب * رفيع العماد فريع الحسب
أيلحن فيك الزمان الخؤون * ويعرب عنك لسان العرب
وان لم يكن أفقنا واحدا * فينظمنا شمل هذا الادب

قوله فهذه مائة الخ ينافى قوله سابقا وقد كنت جمعت فيها نحو مائة ضابط ولنذكر الآن بعضها الخ الا أن يجعل الضمير فى بعضها عائدا على الكلمات الضابطة على انها لا تبلغ ما ذكر فتنبه اه مصححه

وقد ذكرناه فى غير هذا المحل قوله

ألا يا درفلا ان سوى ما * عهدت الكاس والبدر التمام

الابيات وتاخرت وفاته الى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة وهو منسوب الى شنتبرين من الكور الغربية البحرية من أعمال بطليوس * وقال أبو عمر يوسف بن كوثر

مررت به يوما يغازل مثله * وهذا على ذا بالملاحة يمتن

فقلت اجمعا فى الوصل رأيكما نعا * لمثلكما كان التغزل والمجن

عسى الصب يقضى الله بينكما له * بخير فقالا الى اشتهى العسل السمن

وقال أبو محمد بن سارة

أعندك أن البدر بات ضجيعى * فقضيت أوطارى بغير شفيع

جعلت ابنة العنقود بينى وبينه * فكانت لنا أما وكان رضيعى

وقال

أيام من حارت الافكار فيه * فلم تعلم له الاقدار كنها

بجيد النيل منا عقد أنس * أقام بغير واسطة فكنها

وقال أبو الحسن منذر الاشبونى

فديتك انى عن جنابك راحل * فهل لى يوما من لقائك زاد

وحسبك والايام خون غوادر * فراق كما شاء العدا وبعاد

وقال خلف بن هرون القطينى

من أنبت الورد فى خديك ياقمر * ومن حمى قطفه اذ ليس مصطبر

الزهر فى الروض مقرون بأزمنة * وروض خدك موصول به الزهر

وكان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس حسون وعزون ورحون فأولع بهم الامام أبو محمد بن السيد النحوى وقال فيهم

أخفيت سقمى حتى كاد يخفينى * وهمت فى حب عزون فعزونى

ثم ارحونى برحون فان ظمئت * نفسى الى ريق حسون فحسونى

ثم خاف على نفسه فخرج من قرطبة هكذا رأيته بخط بعض المؤرخين انتهى والله أعلم

* وقال ابن خفاجة يداعب من يقل عذاره

أيها التائه مهلا * ساءنى أن تهت جهلا

هل ترى فيما ترى الاشـ * ـباه ما قد تولى

وغراما قد تسرى * وفؤادا قد تسلى

أين دمع فيك يجرى * أين جنب يتقلى

أين نفس بك تهذى * وضلوع فيك تصلى

أى بال كان لولا * عارض وافى لولى

ويخلى عنك الا * أسفا لا يتخلى

وانطوى الحسن فهلا * أجمل الحسن وهلا

أما بعد أيها النبيل النبيه فانه لا يجتمع العذار والتيه قد كان ذلك وغصن تلك الشبيبة رطب ومنهل ذلك المقبل عذب وأما والعذار قد بقل والزمان قد اتقل والصب قد صحا فعقل فقد ركدت رياح الاشواق ورقدت عيون العشاق فدع عنك من نظرة التجني ومشية التثني وغض من عنانك وخذ في تراضي اخوانك وحش عند اللقاء هشة أريحيه واقنع بالايماء رجع تحيه فكاني بفنائك مهجورا وبزائرك مأجورا والسلام * وقال الرصافي لما بعث اليه من يهواه سكينا

تفاءلت بالسكين لما بعثته * لقد صدقت مني القيافة والزجر
فكان من السكين سكانا في الحشا * وكان من القطع القطيعة والهجر

وحضر الفقيه أبو بكر بن حبيش ليلة مع بعض الجلة وطفئ السراج فقال ارتجالا

أذلك السراج يرينا غرة سفرت * فبانت الشمس تستحيي وتستتر
أو خله فكفانا وجه سيدنا * لا يطلب النجم من في بيته قمر

وقصد أحد الادباء بمرسية أحد السادة من بني عبد المؤمن فأمر له بصلة خرجت على يد ابن له صغير فقال المذكور ارتجالا

تبرك بنجل جاء باليمن والسعد * يبشر بالتأييد طائفة المهدى
تكلم روح الله في المهد قبله * وهذا براء بدل اللام في المهد

قوله وهذا براء الخ أي بدل لام تكلم براء فصار تكرم اه

وخرج الاستاذ أبو الحسن بن جابر الدباج يوما مع طلبته للنزهة بخارج اشبيلية وأحضرت بجنات ماخبا نارها ولا هدا أوارها فما حاد عنها ولا كف ولا صرف حرها عن اقتضابها البنان ولا الكف فقال

بجنات في مواقعها اذا قربتها * وبخارها فوق الموائد سام
ان أحرقت لمسا فان أوارها * في داخل الاحشاء برد سلام

قوله بجنات في نسخة محنية ويظهر انه اسم لمطعوم اه

وقال أبو بكر أحمد بن محمد الابيض الاشبيلي يتهكم برجل زعم انه ينال الخلافة

أمير المؤمنين نداء شيخ * أفاد لمن نصائحه اللطيفه
تحفظ أن يكون الجذع يوما * سريرا من أسرتك المنيفه
أذكرفيك مصلوبا فأبكي * وتضحكني امانيك السخيفه

وقال صفوان

ونهار أنس لو سألنا دهرنا * في أن يعود بمثله لم يقدر
خرق الزمان لنا به عاداته * فلوا قترحنا النجم لم يتعذر
في فتية علمت ذكاء بحسنهم * فتلفعت من غيمها في مئزر
والسرحة الغناء قد قبضت بها * كف النسيم على لواء اخضر
وكان شكل الغيم مخمل فضة * يلقى على الآفاق رطب الجوهر

واجتاز بعض الغلمان على ابي بكر بن يوسف فسلم عليه باصبعه فقال أبو بكر في ذلك وأشار في البيت الثالث الى أن والد الغلام كان خطيب البلد

مر الغزال بنا مرو عانا فرا * كشبيهه في القفر ريع بصائده

ثم السلامى فى السلام تسترا * ثم انثنى حذر الرقيب لواصده
هـ لا تكلف وقفة لمحبه * ولو انها قصرا لجلسة والده

وقال أبو الحسن بن الحاج

فى حزنا أن المشارع جمة * وعندى اليها غلة وأوام
ومن نكد الايام أن يعدم الغنى * كريم وأن المكثرين لئام

وقال أبو القاسم القبتورى

واحسرتا لامور ليس يبلغها * مالى وهن منى نفسى وآمالى
أصبحت كالآل لا جدوى لدىّ وما * آليت جدا ولكن جدى الآلى

وقال أحمد بن أمية البلنسى

قال رئيسى حين فاوضته * ومادرى أن مقامى عسير
أقم فقلت الحال لا تقتضى * فقال سرقلت جناحى كسير

وقال ابن برطلة

لله ما ألقاه من همة * لا ترتضى الا السها منزلا
ومن خمول كل مارمت أن * اسموبه بين الورى قال لا

وكتب ابن خروف لبعض الرؤساء

يا من حوى كل مجد * بجده وبجده
أنا لا نجل خروف * فامنن عليه بجده

وكتب أيضا لبعضهم يستدعى فروة

بهاء الدين والدنيا * ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الانوا * من جد والد جلد أبى
وفضلك عالم أنى * خروف بارع الادب
حلبت الدهر أشطره * وفى حلب صفا حلبى

وبعد كتبى لما ذكر خشيت أن يكون لابن خروف المشرقى لا الاندلسى والله تعالى أعلم
وركب محبوب أبى بكر بن مالك كاتب ابن سعد بغلة رديف رجل يعرف بالدب فقال أبو بكر فى ذلك

وبغلة مالها مثال * يركبها الدب والغزال
كان هذا وذا عليها * سحابة خلفها هلال

وخرج محبوب لابى الحسن بن حريق يوما للنزهة وعرض سيل عاقه عن دخول البلد فبات ليلة عند أبى الحسن فقال فى ذلك

يا ليلة جادت الامانى * بها على رغم أنف دهرى
تسيل فيها على نعمى * يقصر عنها لسان شكرى
أبات فى منزلى حبيبى * وقام فى أهله بعذرى
وبت لا حالة كحالى * صريع سكر ضجيع بدر
يا ليلة القدر فى الليالى * لانت خير من ألف شهر

وقال أبو الحسن بن الزقاق

عذيرى من هضيم الكشح أحوى * رخيم الدل قد لبس الشبابا
أعد الهجر هاجرة لقلبى * وصير وعده فيها سرابا

وقال أبو بكر بن الجزار السرقسطى

ثناء الفتى يبقى ويفنى ثراؤه * فلا تكتسب بالمال شيأ سوى الذكر
فقد أبلت الايام كعبا وحاتما * وذكرهما غض جديد الى الحشر

وقال الاديب أبو عبد الله الجذامى كان لشخص من أصحابنا قينة فبينما هو ذات يوم قد رام تقبيلها على أثر سوالف أبصره بعض من ذمر فقال ينادى على قول يبيعه قال فكلفنى أن أقول فى ذلك شيأ فقلت

ولم أنس يوم الانس حين سمحت لى * وأهديت لى من فيك قول سوالف
ومر بنا القوال للقول مادحا * وما قصده فى المدح قول سوالف

وشرب يوما أبو عبد الله المذكور عند بعض الاجلة وذرعه القىء فارتجل فى العذر

لا تؤاخذ من أخل به * قهوة فى الكاس كالقبس
كيف يلهى فى المدام فتى * أخذته أخذ مفترس
دخلت فى الحلق مكرهة * ضاق عنها موضع النفس
خرجت من موضع دخلت * أنفت من مخرج النجس

وجلس سلمة بن أحمد الى جنب وسيم يكتب من محبرة فانصب الحبر منها على ثوب سلمة فجعل الغلام فقال سلمة

صب المداد وما تعمد صبه * فتورد الخد المليح الازهر
يا من يؤثر حبره فى ثوبنا * تأثير لحظك فى فؤادى أكبر

وكان لابى الحسن بن حزمون بمرسية محبوب يدعى أبا عامر وسافر أبو الحسن فبينما هو بخارج المرية اذ لقى فتى يشبه محبوبه وسأله عن اسمه فأخبره بأنه يدعى أبا عامر فقال أبو الحسن فى ذلك

الى كم أفر أمام الهوى * وليس لذا الحب من آخر
وكيف أفر أمام الهوى * وفى كل واد أبو عامر

وحضر أبو بكر بن مالك كاتب ابن سعد مع محبوبه لارتقاب هلال شوال فأغمى على الناس ورآه محبوبه فقال أبو بكر فى ذلك

توارى هلال الافق عن أعين الورى * ولاح لمن أهواه منه وحياه
فقلت لهم لم تفهموا كنه سره * ولكن خذوا عنى حقيقة معناه
بدا الافق كالمرآة راق صفاؤه * فأبصر دون الناس فيه محياه

وكتب أبو بكر بن حبيش لمن يهواه بقوله

متى ما ترم شرح الحالى وتبيينا * فصحف على قلبى علومك تحبينا
أرادانى بحبك مولع * وكتب القاضى بن السليم الى الحكم المستنصر بالله

لو أن أعضاء جسمى ألسن نطقت * بشكر نعمائك عندى قل شكرى لك

أوكان ملكنى الزمن من أجلى * شيأ وصلت به ياسيدى أجلك
ومن تكن فى الورى آماله كبرت * فانما أملى فى أن ترى أملك

وقال الوزير ابن أبى الخصال

وكيف أؤدى شكر من ان شكرته * على بر يوم زادنى مثله غدا
فان رمت أقضى اليوم بعض الذى مضى * رأيت له فضلا على مجددا

وقال الرصافى

قلدت جيد الفكر من تلك الحلى * ماشاء المنثور والمنظوم
وأشرت قدامى كأنى لاثم * وكان كفى ذلك الملثوم

وقال

وبالك نعمة رمنا مداها * فما وصل اللسان ولا الضمير
عجزنا أن نقوم لها بشكر * على أن الشكور لها كثير

وقال ابن باجة

قوم اذا انتقبوا رأيت أهلة * واذا هم سفروا رأيت بدورا
لايسألون عن النوال عفاتهم * شكرا ولا يحمون منه نقيرا
لو أنهم مسحوا على جدب الربا * باكفهم نبت الاقاح نضيرا

وقال ابن الابار يمدح أبا زكريا سلطان افريقية

تحملت بعليائك الليالى العواطل * ودانت لسقيائك السحاب الهواطل
ومازينة الايام الامناقب * يفرعها أصلان باس ونائل
اذا الطول والصول استقلا براحة * ترقت لها نحو النجوم أنامل

وقال أيضا فى سعيد بن حكم رئيس مرقة

سعيد أيد رئيس بئيس * فى أساريره صفات الصباح
قمر فى أفق المعالى تجلى * وتحلى بالسؤدد الوضاح
سلم البحر فى السماحة منه * لجواد سموه بحر السماح

وقال أبو العباس أحمد الاشبيلى

يا أفضل الناس اجماعا ومعرفتى * تغنى وما الحسن فى ريب ولا ريب
ورثت عن سلف ماشئت من شرف * فقد بهرت بموروث ومكتسب

وقال ابن زهر الحفيد

يامن يذكرنى بعهد أحبتى * طاب الحديث بذكرهم وبطيبه
أعد الحديث على من جنباته * ان الحديث عن الحبيب حبيبه
ملأ الضلوع وفاض عن أحنائها * قلب اذا ذكر الحبيب يذوبه
مازال يخفق ضاربا بجناحه * ياليت شعرى هل تطير قلوبه

وقال فى زهر الكتان

أهلا بزهر اللازورد ومرحبا * فى روضة الكتان تعطفه الصبا

لو كنت ذا جهل لخلتك لجة * وكشفت عن ساق كما فعلت سبا

ولما قال الموشحة المشهورة التي أولها (صادني ولم يدر ما صادا) قال أبو بكر بن الجد لو سئل عما صاد لقال تيس بلحية حمراء ولما قال الموشحة التي أولها هات بنت العنب واشرب الى قوله وفده بأبي ثم بي سمعها أبوه فقال يفديه بالعجوز الدوامة وأما انا فلا * وهنالك أبو بكر بن زهر الاصغر وهو ابن عم هذا الاكبر ومن نظم الاصغر

والله ما أدري بما أتوسل * اذ ليس لي ذات بها أتوصل

لكن جعلت مودتي مع خدمتي * لعلالة أحظى شافع يتقبل

ان كنت من أدوات زهر عاطلا * فالزهر منهن السمالة الاعزل

وهذه الابيات خاطب بها المأمون بن المنصور صاحب المغرب * وقال الاديب أبو جعفر عمر ابن صاحب الصلاة

وما زالت الدنيا طريقا لها الملك * تباين في أحوالها وتخالف

ففي جانب منها تقوم مآتم * وفي جانب منها تقوم معازف

فمن كان فيها قاطنا فهو ظاعن * ومن كان فيها آمنا فهو خائف

وقال أبو بكر محمد ابن صاحب الصلاة يخاطب أخيل لما انتقل الى العدوة

لا تنكرن زمانا * رماك منه بسهم

وأنت غاية مجد * في كل علم وفهم

هذي دعوى حتى * يراك طرفي تمحى

بأليت ما كنت أخشى * عليك عدوان هم

وانما الدهر يبدي * ما لا يجوز بوهم

ما زال شيهم مس * لكل يقظان شهم

ولما وفد أهل الاندلس على عبد المؤمن قام خطيبا ناثرا وناظما فاتى بالعجب وباهى به أهل الاندلس في ذلك الوقت وله في عبد المؤمن

هم الالى وهبوا للعرب أنفسهم * وأنهبوا ما حوت أيديهم الصفدا

ما ان يغيبون كل الشمس من رهج * كأنما عينها تشكو لهم رمدا

وقال ابن السيد البطليوسي في أبي الحكم عمرو بن مذيج بن حزم وقد غلب على لبه وأخذ بمجامع قلبه

رأى صاحبي عمرا فكاف وصفه * وحملني من ذاك ما ليس في الطوق

فقلت له عمرو كعمر وفقال لي * صدقت ولكن ذاك شتان عن الطوق

وفيه يقول ابن عبدون

يا عمرو ردّ على الصدور قلوبها * من غير تقطيع ولا تحريق

وأدر علينا من خلالك أكؤسا * لم تأل تسكرنا بغير رحيق

وفيه يقول أحدهما

قل لعمرو بن مذيج * جاء ما كنت أرتجي

شارب من زبرجد * ولسى من بنفسج

وكتب اليه ابن عبدون

سلام كما هبت من المزن نفحة * تنفس عند الفجر من وجهها الزهر

ومنها

أبا حسن أبلغ سلام فمى يدى * أبى حسن وارفق فكلتاهما بحر

ولا تنس عهدنا التى هى والندى * رضيعا لبان لا اللجين ولا التبر

فأجابه من أبيات

تحير ذهنى فى مجارى صفاته * فلم أدر شعرا ما به فهت أم سحر

أرى الدهر أعطاك التقدم فى * وان كان قد وافى أخيرا بك الدهر

انى حازت الدنيا لك الفضل آخرا * فنى أخريات الليل ينبلج الفجر

ولعمرو فى أبى العلاء بن زهر

قدمت علينا والزمان جديد * ومازلت تبدى فى الندى وتعيد

وحق العلا لولا مراتب العلا * لما اخضرّ فى أفق المكارم عود

فلو حوا بنى زهر فان وجوهكم * نجوم بأفلاك العلا سعود

وقوله لابى الوليد ابن عمه

انى لاعجب أن يدنو بنا وطن * ولا يقضى من العليا لنا وطر

لا غرو ان بعدت دار مصاقبة * بنا وجدّنا للحضرة السفر

فحجر العين لا يلقاه ناظرها * وقد توسع فى الدنيا به النظر

وقال ابن عمه أبو بكر محمد بن مذج يخاطب ابن عمه أبا الوليد

ولما رأى حص استخفت بقدره * على انها كانت به ليلة القدر

تحمل عنها والبلاد عريضة * كما سلّ من غمد الدجى صارم الفجر

وقال أبو الوليد المذكور

أتجزع من دمعى وأنت أسلته * ومن نار أحشائى وأنت لهبتها

وتزعم أن النفس غيرك علقت * وأنت ولا من عليك حبيبها

اذا طلعت شمس على بسلوة * أثار الهوى بين الضلوع غروبها

وله أيضا

لما استمالك معشر لم أرضهم * والقول فيك كما علمت كثير

داريت دونك مهجتى فتماسكت * من بعدما كادت اليك تطير

فاذهب فغيرجوانحى لك منزل * واسمع فغير وفائك المشكور

وقال

يقول وقد لمته فى هوى * فلان وعرّضت شيأ قليلا

أتحسدنى قلت لا والذى * أحلك فى الحب مرعى وبيلا

وكيف وقد حلّ ذاك الجناب * وقد سلك الناس ذاك السبيلا

قوله أرى الدهر أعطاك التقدم فى * وان الخ هكذا فى الاصل ولا يخفى نقصانه فلعل أصله هكذا فى الورى * وان الخ اه مصححه

وله مما يكتب على قوس

انى اذا رفعت سماء عجاجتى * والحرب تقعد بالردى وتقوم
وتمرّ والابطال فى جنباتها * والموت من فوق النفوس يحوم
عرفت لهم منا الحتوف كانما * نحن الاهلة والسهام نجوم

وقال أبو الحسين بن قندلة فى كلب صيد

جمعت بمن لو رمت تعبير وصفه * لقلّ ولو أنى غرفت من البحر
باخطل وثاب طموح مؤدّب * ثبوت يصيد النسر لو حلّ فى النسر
كلون الشباب الغض فى وجهه سنا * كان ظلاما ليس فيه سوى البدر
اذا سار والبازى أقول تعجبا * ألا ليت شعرى يسبق الطير من يجرى

ولا يلتفت الى قول أبى العباس بن سيد فيه

الموت لا يبقى على مهجة * لا أسد ابيق ولا نعثله
ولا شريفا لبنى هاشم * ولا وضيعا لبنى قندله

وكان ابن سيد مسلطا على هذا البيت قال ابن سعيد وانما ينبح الكلب القمر قال أبو العباس النبار كان أبو الحسين يلقب بالوزغة فوصلت الى بابه يوما فتحجب عنى فكتبت على الباب

يحجب القندلى عنى * فساء من فعله ضميرى
ينفر من رؤيتى كانى * مضمخ الجيب بالعبير

قال ومن عادة الوزغة أن تكره رائحة الزعفران وتهرب منه * وقال أبو القاسم بن حسان

الا ليتنى ما كنت يوما معظما * ولا عرفوا شخصى ولا علموا قصرى
أكاف فى حال المشيب بمثل ما * تحملته والغصن فى ورق نضر
فما عاش فى الايام فى حرّ عيشة * سوى رجل ناء عن النهى والامر

وقال أبو بكر بن مرتين

صحبت منك العلا والفضل والكرما * وشيمة فى الندى لا ترتضى السأما
مودّة فى ثرى الانصاف راسخة * وسمكها فوق أعناق السما سما

وقال

أنصفتنى فحضتك الودّ الذى * يجزى بصفوته الخليل المنصف
لا تشكرنّ سوى خلالك انها * جلبت اليك من الثنا ما يعرف

وقال

يا هلالا يتجلى * وقضيبا يتثنى
كل أنس لم تكنه * فهو لفظ دون معنى

وقال القاضى أبو عبد الله محمد بن زرقون

ذكر العهد والديار غريب * فجرى دمعه وبلّ النصيب
ذكر العهد والنوى من حبيب * حبذا العهد والنوى والحبيب
اذ صفاء الوداد غير مشوب * بتجنّ وودّنا مشبوب

واذا الدهـــر دهرنا واذا الدا * ر قـــريب واذ يقول الرقيب

ومنها

أسأل الله عفـــوه فلئن سا * ءت مقالى لقد تعف القلوب
قد ينال الفتى الصغائر طرفا * لاسواها وللذنوب ذنوب
وأخو الشعر لاجناح عليه * وسواء صدوقه والكذوب

وقال

يامعدن الفضل وطود الحجا * لازلت من بحر العلا تغترف
عبدك بالباب فقل منعما * يدخل أو يصبر أو ينصرف

وقال الخطيب أبو عبد الله محمد بن عمر الاشبيلى

وكل الى طبعـــه عائد * وان صده المنع عن قصده
كذا الماء من بعد اسخانه * يعـود سريعا الى برده

وقال امام اللغة أبو بكر محمد بن الحسين الزبيدى الاشبيلى

ماطلبت العلوم الا لانى * لم أزل من فنونها فى رياض
ماسواها له بقلبى حظ * غير ما كان للعيون المراض

وقال

أشعرن قلبك ياسا * ليس هذا الناس ناسا
ذهب الابريز منهم * فبقوا بعد نحاسا
سامريين يقـولو * ن جميعا لامساسا

وكان كتاب العين للخليل مختل القواعد فامتعض له هـذا الامام وصقل صدأه كما يصقل الحسام وأبرزه فى أجمل منزع حتى قيل هذا مما أبدع واخترع وله كتاب فى النحو يسمى الواضح وصيره الحكم المستنصر مؤدبا لولده هشام المؤيد وبالجملة فهو فى المغرب بمنزلة ابن دريد فى المشرق * وقال النحوى أبو بكر محمد بن طلحة الاشبيلى وشعره رقيق خارج عن شعر النحاة ومنه

الى أى يوم بعده يرفع الخمـــر * وللورق تغـــريد وقد خفق النهر
وقد صقلت كف الغزالة أفقها * وفوق متون الروض أردية خضر
وكم قد بكت عين السماء بدمعها * عليها ولولا ذاك ما بسم الزهـــر

وقال

بدا الهلال فلما * بدا نقصت وتما
كأن جسمى فعل * وسحر عينيه لما

وكان لايملك نفسه فى النظر الى الصور الحسان وأتاه يوما أحد أصحابه بولد له فتان الصورة فعند ما دخل مجلسه قصر عليه طرفه ولم يلتفت الى والده وجعل والده يوصيه عليه وهو لايعلم مايقوله ولم يلتفت الى والده وقد افتضح فى طاعة هواه فقال له الرجل يا أبا بكر حقق النظر فيه لعله مملوك ضاع لك وقد جبره الله تعالى عليك ولكن على من يتركه عندك لعنة الله

هذا ما عملت بمحضري والله ان غاب معك عن بصري لمحة لتفعلن به ما اشتهر عنك وأخذ ولده وانصرف به فانقلب المجلس ضحكا * وقال أبو جعفر أحمد بن الابار الاشبيلي وهو من رجال الذخيرة

زارني خيفة الرقيب مريبا * يتشكى منه القضيب الكثيبا
رشا راش لي سهام المنايا * من جفون يسبي بهن القلوبا
قال لي ماترى الرقيب مطلا * قلت دعه اني الجناب الرحيبا
عاطه أكؤس المدام دراكا * وأدرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها من خمر عينيك صرفا * واجعل الكاس منك ثغرا شنيبا
قال لابد أن تدب عليه * قلت أبغي رشا وآخذ ذيبا
قال فابد أبنا وثن عليه * قلت عمري لقد اتيت قريبا
فوثبنا على الغزال ركوبا * وسعينا على الرقيب دبيبا
فهل ابصرت أو سمعت بصب * نال محبوبه ونال الرقيبا

وأنشد له ابن حزم

أو مارأيت الدهر أقبل معتبا * متنصلا بالعذر مما أذنبا
بالامس اذبل في رياض ابكة * واليوم أطلع في سمائك كوكبا

وقيل انه خاطب بهما ابن عباد ملك اشبيلية وقد ماتت له بنت وولد له ابن وبعضهم ينسبهما لغيره * ودخل الاديب أبو القاسم العطار الاشبيلي حماما باشبيلية فجلس الى جانبه وسيم خمري العينين فافتتن بالنظر اليه والمحادثة الى أن قام وقعد في مكانه اسود فقال

مضت جنة المأوى وجاءت جهنم * فهاأنا أشقى بعدما كنت أنعم
وما كان الا الشمس حان غروبها * فأعقبها جنح من الليل مظلم

وقال الاديب المصنف أبو عمرو عثمان بن علي بن عثمان بن الامام الاشبيلي صاحب سمط الجمان

عذيري من الايام لادر درها * لقد حملتني فوق ما كنت أرهب
وقد كنت جلدا ما ينهنهني النوى * ولا يستبيني الحادث المتغلب
يقاسي صروف الدهر مني مع الصبا * جذيل حكاك أو عذيق مرجب
وكنت اذا ما الخطب مد جناحه * على ترانى تحته أتقلب
فقد صرت خفاق الجناح يروعني * غراب اذا أبصرته وهو ينعب
وأحسب من ألقى حبيبا مودعا * وأن بلاد الله طرا محصب

وقد امتعض للآداب في صدر دولة بني عبد المؤمن بجمع شمل الفضلاء الذين اشتملت عليهم المائة السابعة الى مبلغ سنه منها في ذلك الاوان واستولى بذلك على خصل الرهان وانفرد بهذه الفضيلة التي لم ينفرد بها الافلان وفلان * وكان الاديب العالم الصالح أبو الحسن علي بن جابر الدباج الاشبيلي اماما في فنون العربية ولكن شهر باقراء كتب الآداب كالكامل للمبرد ونوادر القالي وما أشبه ذلك وكان مع زهده فيه لوذعية

ومن ظرفه أن أحد تلامذته قال لغلام جميل الصورة بالله أعطني قبلة تملك رمقي فشكاه الى الشيخ وقال له ياسيدي قال لي هذا كذا فقال له الشيخ وأعطيته ما طاب فقال لا فقال له ما هذه الثقالة ما كفاك أن حرمته حتى تشتكي به أيضا وحسبك من جلالة قدره أن أهل اشبيلية رضوا به اماما في جامع العديس وله

لما بدت وشمس الافق بادية * أبصرت شمسين من قرب ومن بعد
من عادة الشمس تعشى عين ناظرها * وهذه نورها يشفي من الرمد

وقال مالك بن وهب

أرامي بالسحر من لحظاتها * نعيذك كيف الرمي من دون أسهم
ألا فاعلمي أن قد أصبت فوادي * بسهام لحظ أو كفى فلست بسلم
فانسان عين الدهر أصميت فاحذري * مطالبة بالقلب واليد والفم
أما هو في غيل غدا غابه القنا * تحف به آساد كل ملثم
ولو أن لي ركنا شديدا بنجدة * أويت له من باس لحظك فارحمي

وهو اشبيلي كان من أهل الفلسفة كما في المسهب قال وهو فيلسوف المغرب ظاهر الزهد والورع استدعاه من اشبيلية أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الى حضرة مراكش وصيره جليسه وأنيسه وفيه يقول بعض أعدائه

دولة لابن تاشفين علي * طهرت بالكمال من كل عيب
غير أن الشيطان دس اليها * من خباياه مالك بن وهيب

وأمر على مناظرة محمد بن تومرت الملقب بالمهدي الذي أنشأ دولة بني عبد المؤمن * وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز المذكور في غير هذا الموضع من هذا الكتاب يستدعي بعض اخوانه

بعالي جدك * جد بلقياك لعبدك
حضر الكل ولكن * لم يطب شئ لفقدك

وقال

وراغب في العلوم مجتهد * لكنه في القبول جلمود
فهو كذي عنة به شبق * ومشتهى الاكل وهو معدود

وقال

لئن عرضت نوى وعدت عواد * أدالت من دنوك بالبعاد
فما بعدت عن اللقيا جسوم * تدانت بالمحبة والوداد
ولكن قرب دارك كان أندى * على كبدي وأحلى في فؤادي

وله في مجمرة

ومحرورة الاحشاء لم تدر ما الهوى * ولم تدر ما يلقى المحب من الوجد
اذا ما بدا برق المدام رأيتها * تشير غراما في الندى من الند
ولم أر نارا كالمشب جمرها * رأيت الندامى منه في جنة الخلد

وقوله من قصيدة

وان هم نكصوا يوما فلا عجب * قد يكهم السيف وهو الصارم الذكر
العود أحمد والايام ضامنة * عقبى النجاح ووعد الله منتظر

وقال

تقريب ذى الامر لاهل النهى * أفضل ما ساس به أمره
هذا به أولى وما ضره * تقريب أهل اللهو فى الندره
عطارد فى جل أوقاته * أدنى الى الشمس من الزهره

وقوله

تفكر فى نقصان مالك دائما * وتغفل عن نقصان جسمك والعمر
ويثنيك خوف الفقر عن كل بغية * وخيفة حال الفقر شر من الفقر

قوله وخيفة الخ فى نسخة وخوفك الخ اه

وقوله

باليلة لم تبن من القصر * كانها قبلة على حذر
لم تك الا كلا ولا وضعت * تدفع فى صدرها يد السحر

وقال فيمن نظر اليه فأعرض عنه

قالوا ثنى عنك بعد البشر صفحته * فهل أصاخ الى الواشى فغيره
فقلت لا بل درى وجدى بعارضه * فرد صفحته عمد الا يصره

وقال

حنكت الزمان تلونا * لحبها العانى الاسير
فوصالها برد الاصيل وهجرها حر الهجير

وقال يستدعى

هو يوم كما تراه مطير * جلب القر فيه والزمهرير
وأرانا الغمام والبرد نوبين علينا كلاهما مجرور
ولدينا شمسان شمس من الرا * ح وشمس تسعى بها وتدور
فمن الرأى أن تشب الكوانين باجزالها وترخى الستور
فاترك الاعتذار فيه فترك الشرب فى مثل يومنا تغرير

وقال

هو البحر غص فيه اذا كان ساكنا * على الدر واحذره اذا كان مزبدا

وقال

غبت عنا فغاب كل جمال * ونأى اذ نأيت كل سرور
ثم لما قدمت عاودنا الا * نس وقرت قلوبنا فى الصدور
فلو أنا نجزى البشير بنعمى * لوهبنا حياتنا للبشير

وقال

كم ضيعت منك المنى حاصلا * كان من الاحزم أن يحفظا

فالفظ بها عنك فمن حق ما * يخفى صواب الرأى أن يلفظا
فان تعللت باطماعها * فانما تخلب مستيقظا

وقال

يقولون لى صبرا وانى لصابر * على نائبات الدهر وهى فواجع
سأصبر حتى يقضى الله ماقضى * وان أنالم أصبر فأنا صانع

وقال

بابى خود شموع * أقبلت تحمل شمعه
فالتقى نوراهما واختلطا قدرا ورفعه
ومسير الشمس تستهدى بضوء النجم بدعه

وقال فى فرس أشهب

وأشهب كالشهاب أضحى * يلوح فى مذهب الجلال
قال حسودى وقد رآه * يخب تحتى الى القتال
من أجل الصبح بالثريا * وأسرج البرق بالهلال

وقال

ومتنى صروف الدهر بين معاشر * أصحهم وداعد وقاتل
وما غربة الانسان فى غير داره * ولكنها فى قرب من لايشاكل

وقال

أصبحت صبا دنفا مغرما * أشكو جوى الحب وأبكى دما
هذا وقد سلم اذ مر بى * فكيف لو مر وما سلما

وقال

وقفنا للنوى فهفت قلوب * أضر بها الجوى وهمت شؤن
يناجى بعضنا باللحظ بعضا * فتعرب عن ضمائرنا العيون
فلا والله ماحفظت عهود * كما ضمنوا ولاقضيت ديون
ولو حكم الهوى يوما بعدل * لانصف من يفى ممن يخون
أمر يدا ركم وأغض طرفى * مخافة أن تظن بى الظنون

ولما رأى عبد الرحمن بن سليق الحضرمى الاشبيلى فى النوم انه مر على قبر وقوم يشربون حوله وسط أزاهر فأمروه أن يرثى صاحب القبر وهو أبو نواس الحسن بن هانئ قال

جادلك يا قبر انسكاب الغمام * وعاد بالروح عليك السلام
فيك أضحى الظرف مستودعا * واستترت عنا عيون الظلام

وقال أبو بكر محمد بن نصر الاشبيلى

وكأنما تلك الرياض عرائس * ملبوسهن معصفر ومزعفر
أو كالقيان لبسن مونق الحلى * فلهن فى وشى اللباس تبختر

وقال أحمد بن محمد الاشبيلى

أما ترى النرجس الغض الذكى بدا * كأنه عاشق شابت ذوائبه
أو المحب بكى لما أضر به * فرط السقام فعادته حبائبه

وقال

رب ليل فرغدا محجل الرا * قى اليه نفاسة وغرابه
كمليك للزنج فى قبة بيـ * ـضاء يدنو الدجا فيغلق بابه

وقال أبو الاصبغ بن سيد

كأنما النرجس فى منظر الحسن الذى أمثاله تبتغى
أنامل من فضة فوقه * كاس من التبر به أفرغا

وقال أبو اسحق ابراهيم بن خيرة الصباغ مما أنشده له أبو عامر بن سلمة فى كتاب حديقة الارتياح

قوله سلمة فى نسخة مسلمة اه

يوم كان سحابه * لبست عمامى المصامت
حجبت به شمس الضحى * بمثال أجنحة الفواخت
فالغيث يبكى فقدها * والبرق يضحك مثل شامت
والرعد يخطب مفصحا * والجو كالمحزون ساكت
والروض يسقيه الحيا * والنور ينظر مثل باهت
فاشرب ولذ بجنة * واطرب فان العمر فائت

وله

رب ليل طال لاصبح له * ذى نجوم أقسمت أن لا تغور
قد عتكت جنحه من فلق * من ثغور ووجوه كالبدور
ان بدت تشبهها فى كلها * نار ابراهيم فى برد ونور
صرعتنا ان علونا ظهرها * فى ميادين التصابى والسرور
وكأنا حين قمنا معشر * نشروا بعد ممات من قبور

وقال أبو بكر بن حجاج

لما كتمت الحب لا عن قلى * ولم أجد الا البكا والعويل
ناديت والقلب به مغرم * يا حسبى الله ونعم الوكيل

وقال

يقولون ان السحر فى أرض بابل * وما السحر الا ما أرتك محاجره
وما الغصن الا اثنى تحت برده * وما الدعص الا ماطوته مآزره
وما الدر الا ثغره وكلامه * وما الليل الا صدغه وغدائره

وهذه الابيات من قصيدة فى محمد بن القاسم بن حمود ملك الجزيرة الخضراء أعادها الله تعالى * وقال الرصافى أبو عبد الله الشاعر المشهور وهو ابن رومى الاندلس فى جريرى

وبنفسى من لا أسميه الا * بعض المامة وبعض اشاره
هو والظبى فى المجال سواء * ما استعار الغزال منه استعاره

أغيد يمسك الحرير بفيه * مثل مايمسك الغزال العراره

وهو القائل يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي

لوجئت نار الهدى من جانب الطور * قبست ماشئت من علم ومن نور

ولابي جعفر أحمد بن الجزار

ومازلت أجني منك والدهر محل * ولاثمر يجنى ولازرع يحصد
ثمار أياد دانيات قطوفها * لاوراقها ظل على ممتد
يرى جاريا ماء المكارم تحتها * وأطيار شكرى فوقهن تغرد

ولما نفي أبو جعفر بن البني من ميورقة وأقلع في البحر ثلاثة أميال ونشأت ريح ردته لم يتجاسر أحد من اخوانه على اتيانه فكتب اليهم

أحبتنا الالى عنتوا علينا * وأقصونا وقد أزف الوداع
لقد كنتم لنا جدا وأنسا * فيا بالعيش بعدكم انتفاع
أقول وقد صدرنا بعد يوم * أشوق بالسفينة أم نزاع
اذا طارت بنا حامت عليكم * كان قلوبنا فيها شراع

وله

غصبت الثريا في البعاد مكانها * وأودعت في عيني صادق نومها
وفي كل حال لم تزالي بخيلة * فكيف أعرت الشمس حلة ضوئها

وله في غلام يرمي الطيور

قالوا تصيب طيور الجو أسهمه * اذ رماها فقلنا عنده الخبر
تعلمت قوسها من قوس حاجبه * وأيد السهم من أجفانه الحور
يلوح في بردة كالنقس حالكة * كما أضاء بجنح الليلة القمر
وربما راق في خضراء مونقة * كما تفتح في أوراقه الزهر

وقال الاديب الكاتب القاضي أبو المطرف بن عميرة المخزومي لما قص شعر ملك الاندلس ريان بن مردنيش مزين في يوم رفع فيه أبو المطرف شعرا فخرجت صلة المزين ولم تخرج صلة أبي المطرف

أرى من جاء بالموسى مواسي * وراحة من أذاع المدح صفرا
فأنجح سعي ذا اذ قص شعرا * وأخفق سعي ذا اذ قص شعرا

واسم أبي المطرف أحمد وهو من جزيرة شقر من كورة بلنسية * وكان الكاتب الحسيب أبو جعفر أحمد بن طلحة يعشق عجبا من علوج ابن هود ويعاشيه في غزواته وفيه يقول

ما أحضر الغزو من صلاح * كلا ولا رغبة الجهاد
لكن لكيما يكون داع * لقربنا خيرة الجياد

وقد تقدمت حكايته فلتراجع * وكان صنوبري الاندلس أبو اسحق بن خفاجة وهو من رجال الذخيرة والقلائد والمسهب والمطرب والمغرب وشهرته تغني عن الاطناب فيه مغرى بوصف الانهار والازهار وما يتعلق بهما وأهل الاندلس يسمونه الجنان ومن أكثر من شئ

عرف به وتوفى سنة ثلاث أو خمس وثلاثين وخمسمائة وولد سنة خمسين وأربعمائة ومن نظمه قوله

ربما استضحك الحباب حبيب * نفضت لونها عليه المدام
كلما مر قاصرا من خطاه * يتهادى كما تهادى الغمام
سلم الغصن والكثيب علينا * فعلى الغصن والكثيب السلام

وبات مع بعض الرؤساء فكاد ينطفئ السراج ثم تراجع نوره فقال

واغر ضاحك وجهه مصباحه * فأنار ذا اقتراوذاك فرقدا
ما ان خبا تلقاء نور جبينه * حتى ذكا بذكائه فتوقدا

وله

كتبت وقلبي في يديك أسير * يقيم كما شاء الهوى ويسير
وفي كل حين من هواك وأدمعي * بكل مكان روضة وغدير

وله

كتابنا ولدينا البدر ندمان * وعندنا أكؤس للراح نهبان
والقضب مائسة والطير ساجعة * والارض كاسية والجو عريان

ولما سئل أبو بكر محمد بن أحمد الانصاري المعروف بالابيض عن لغة فعجز عنها بمحضر من جعل منه أقسم أن يقيد رجليه بقيد حديد ولا ينزعه حتى يحفظ الغريب المصنف فاتفق أن دخلت عليه أمه في تلك الحال فارتاعت فقال

ريعت عجوزي أن رأتني لابسا * حلق الحديد ومثل ذا الدروع
قالت جننت فقلت بل هي همة * هي عنصر العلياء والينبوع
سن الفرزدق سنة فتبعتها * اني لماسن الكرام تبوع

وكان شاعرا وشاحا وطاح دمه على يد الزبير أمير قرطبة لما هجاه بمثل قوله

عكف الزبير على الضلالة جاهدا * ووزيره المشهور كاب النار
مازال يأخذ سجدة في سجدة * بين الكؤس ونغمة الاوتار
فاذا اعتراه السهو سبح خلفه * صوت القيان ورنة المزمار

ولما بلغ الزبير عنه ذلك وغيره أمر باحضاره فقرعه وقال ما دعاك الى هذا فقال اني لم أر أحق بالهجو منك ولو علمت ما أنت عليه من المخازي لهجوت نفسك انصافا ولم تكلها الى أحد فلما سمع الزبير ذلك قامت قيامته وأمر بقتله وأنشد له ابن غالب في فرحة الانفس قوله في حلقة حائط

وحلقة كشعاع الشمس صافية * لو قابلت كوكبا في الجو لاانتهبا
تانق القين في احكام صنعتها * حتى أفاض على أطرافها الذهبا
كانها بيضة قد قد قونسها * وكل جنب لها بالطعن قد نقبا

قال فيمن يحدث نفسه بالخلافة

أمير المؤمنين نداء شيخ * أفادك من أمانيه اللطيفه

نحفظ أن يكون الجذع يوما * سريرا من أسرة المنيفه
وأذكر منك مصلوبا فأبكى * وتضحكنى أمانيك السخيفه

وهاجى ابن سارة فقال فيه ابن سارة

ومن العجائب أن يكون الابيض * بحماره بين السوابق يركض

وقال امام النحاة بالاندلس أبو على عمر الشلوبين فيمن اسمه قاسم

وعما شجا قلبى وفيض مدمعى * هوى قد قلبى اذ كلفت بقاسم
وكنت أظن الميم أصلا فلم تكن * وكانت كميم ألحقت بالزراقم

والزراقم الحيات مشتقة من الزرقة والميم زائدة يريد أن ميم قاسم كميمها فهو قاس وهو منسوب الى حصن شلوبينية على ساحل غرناطة وله من الشهرة والتأليف ما يغنى عن الاطناب فى وصفه وله التوطئة وشرح الجزولية وغيرهما وكان مغفلا ومع ذلك فهو آية الله تعالى فى العربية وكان فى لسانه لكنة ولما أراد مأمون بنى عبد المؤمن التوجه الى مرسية وقد ثار بها ابن هود وأنشده الشعراء وتكلم فى مجلسه الخطباء قام الشلوبين وقال دعاء منه ثلك الله ونثرك يريد سلك الله ونصرك لانه بلكنته يبدل السين والصاد ثاء فكان كما قال عاد المأمون وقد ثلم عسكره ونثر * ولما مرض الفقيه الزاهد أبو اسحق ابراهيم الالبيرى دخل عليه الوزير أبو خالد هاشم بن رجاء فرأى ضيق مسكنه فقال لو اتخذت غير هذا المسكن لكان أولى بك فقال وهو آخر شعر قاله

قالوا ألا تستجيد بيتا * تعجب من حسنه البيوت
فقلت ماذا لكم صوابا * عيش كثير لمن يموت
لولا شتاء ولفح قيظ * وخوف لص وحفظ قوت
ونسوة يتغين سترا * بنيت بنيان عنكبوت

وقال أبو بكر بن عبادة القزاز الموشح فى ابن بسام صاحب الذخيرة

يا منيفا على السماكين سام * حزت خصل السباق عن بسام
ان تحل مدحة فأنت زهير * أو تشب فعروة بن حزام
أو تبا كر صيد المها فابن حجر * أو تبكى الديار فابن جذام
أو تذم الزمان وهو حقيق * فأبو الطيب البعيد المرامى

ولما انتثر سلك نظام ملك لمتونة تفرق ملك الاندلس رؤساء البلاد وكان من جملتهم الامير أبو الحسن بن نزار لما له من الاصالة فى وادى آش فحسده أهل بلده وقصدوا تأخيره عن تلك المرتبة فخطبوا فى بلدهم الملك شرق الاندلس محمد بن مردنيش ووجه لهم عماله وأوصاهم أن يخرج هذا الاسد من غيله ويفرق بينه وبين تأميله ورفعوا له أشعارا كان يستريح بها على كاسه وينشدها بمحضر من يركن اليه من جلاسه ومنها قوله وقد استشعر من نفسه انها أهل للتقديم مستحقة لطلب سلفه القديم

الآن أعرف قدر النفع والضرر * فكيف أصدر ما للملك من صدر
وكيف أطلع فى أفق العلا قمرا * ويستهل بكفى واكف الدرر

وكيف أملأ صدر الدهر من رعب * وأستقل بحمل الحادث النكر
وأستعد لما ترمى الخطوب به * وأستطيل على الايام بالفكر
لكننى ربما بادرت منتهزا * لفرصة مرقت كاللمح بالبصر
فى أتم رأسى مايعيا الزمان به * شر حافل بعدها الايام عن خبرى

فعند ما وقف ابن مردنيش على هذا القول وجه الى وادى آش من حمله اليه وقيده وقدم به الى مرسية أسيرا بعد ما كان مرتقبا أن يقدم أميرا فلما وقعت عين ابن مردنيش عليه قال له أمكن الله منك يافاجر فقال أنت أعزك الله أولى بقول الخير من قول الشر ومن أمكنه الله من القدرة على الفعل فما يليق به أن يستقدر بالقول فاستحيا منه وامر به للسجن فمكث فيه مدة وصدرت عنه أشعار فى تشوقه الى بلاده منها قوله

لقد بلغ الشوق فوق الذى * حسبت فهل للتلاقى سبيل
فلو أننى مت من شوقكم * غراما لما كان الا قليل
تعللنى بالتدانى المنى * ويثنى فى الدهر صبر جميل
فقل كبثينة اذ أصبحت * بعيدا فلم يسل عنها جميل
أغض جفونى عن غيرها * وسمعى عن اللوم فيها يميل

ولم يزل على حاله من السجن الى أن تحيل فى جارية محسنة للغناء حسنة الصوت وصنع موشحته التى أولها

نازع البدر اللياح * بنت الدنان
فلم يدع لك اقتراح * على الزمان

وفيها يقول

ياهل أقول للحسود * والعيس تحدى
بالاءمى على السراح * كانت أمانى
اخرجها ذات السماح * الى العيان

وجعل يلقيها على الجارية حتى حفظتها وأحكمت الغناء بها وأهداها الى ابن مردنيش بعد ما أوصاها انه متى دعاها الى الغناء وظفرت به فى أطرب ساعة وأسر ها غنته بهذه الموشحة وتلطفت فى شأن رغبتها فى سراح قائلها فلعل الله تعالى يجعل فى ذلك سببا واتفق أن ظفرت بما اوصاها به وأحسنت غناء الموشحة فطرب ابن مردنيش لسماع مدحه وأعجبه مقاصد قائلها فسألها ممن هى فقالت لمولاى عبدك ابن نزار فقال أعيدى على قوله بالاءمى على السراح فأعادته فداخلته عليه الرقة والاريحية بما أصابه فأمر فى الحين بحل قيده واستدعى به الى موضعه فى ذلك الوقت فلما دخل خلع عليه وأدناه وقال له ياأبا الحسن قد أمرنا لك بالسراح على رغم الحسود فارجع الى بلدك مباحا لك أن تطلب الملك بها وبغيرها ان قدرت فأنت أهل لان تملك جميع الاندلس لا وادى آش فقال له والله ياسيدى بل ألتزم طاعتك والاقرار بأنك بعثتنى من قبر رمانى فيه الحساد والوشاة ثم شربا حتى تمكنت بينهما المطايبة فقال له يا ابن نزار الآن أريد أن أسألك عن شئ قال وماهو

ياسيدى قال عمانى أتم رأسك حين قلت

فى أتم رأسى مايعيا الزمان به * شرحا فسل بعدها الايام عن خبرى

فقال له ياسيدى لاتسمع الى غرور نفس الفتنة على لسان نشوان لعبت بأفكاره الاماني وغطت على عقله الآمال والله لقد بقيت فى دارى أروم الاجتماع بجارية مهينة قدر سنة فما قدرت على ذلك ومنعتنى منها زوجتى فكيف أطلب مادونه قطع الرؤس وتهب النفوس فضحك ابن مردنيش وجدد له الاحسان وجهزه الى بلده وأمر عماله أن يشاركوه فى التدبير ويستأذنوه فى الصغير والكبير فتأثل به مجده وعظم سعده ومن شعره قوله

انظر الى الروض مصورا وقد * بث به الطل علينا العيون

يرقب منا يقظة للمنى * فقل لها أهلا بداعى الجفون

وحثها شمسا الى أن ترى * شمس الضحى تطرق تلك الجفون

وقوله

تنبه لمعشوق وكاس وقينة * وروض ونهر ليس يبرح خفاقا

فقد نبهت هذى الحدائق ورقها * وفتح فيها الصبح بالطل احداقا

ومهما تكن فى ضيقة فأدرلها * كؤس الطلى فالكر يوسع ماضاقا

وقوله

عطف القضيب مع النسيم تميلا * والنهر موشى الخمائل والحلى

تركته أعطاف الغصون مظللا * ولثاعن النهج القويم مضللا

أمسى يغازلنا بمقلة أشهل * والطرف أسحر ماتراه أشهلا

وقال بعضهم استدعانى أبو الحسن بن نزار بمجلس أنس بوادى آش فلما احتفل مجلسنا وطابت لذتنا قال والله ماتمام هذه المسرة الا حضور أبى جعفر بن سعيد وهو الآن بوادى آش فوافقناه على ذلك لما نعلم من طيب حالتنا معهما وانهما لا يأتيان الا بما يأتى به اجتماع النسيم والروض نخلا فى موضع وكتب له

ياخير من يدعى لكاس دائر * ووجوه أقمار وروض ناضر

انا حضرنا فى الندى عصابة * معشوقة من ناظم أوناثر

كل مخلى للذى يختاره * فى الامن من ناهله أوزاجر

ماان لهم شغل بفن واحد * بل كل مايجرى بوفق الخاطر

شد وورقص واقتطاف فكاهة * وتعانق وتغامز بنواظر

وهم كما تدرى بأفق أنجم * لكن لناشوق لبدر زاهر

سيدى لازلت متقدما لكل مكرمة هل يجمل التخلف عن نادقام فيه السرور على ساق وضحك فيه الانس بل فيه واندل به ستر الصون وفاء عليه ظل النعيم وسفرت فيه وجوه الطرب وركضت خيل اللهو وثار قتام اللذ وهطلت سحاب ماء الورد وجليت الكؤس كالعرائس على كراسى العروس المثقلة بالعاج والابنوس وكان قطع النهار ممتزجة بقطع الظلام أوبنى حام قد خالطت بنى سام وعلى رؤس الاقداح تيجان نظمها

امتزاج الماء بالراح فطورا تسخي فيبدو بخلها وطورا تمتزج فيظهر وجلها والعود ترجمان المسرة قد جعلته أمه في حجرها كولد ترضعه بدرها وساقي الشرب كالغصن الرطيب أوراقه أردية الشرب وأزهاره الكؤس التي لا تزال تطلع وتغرب كالشموس ساق يفهم بالاشاره حلو الشمائل عذب العباره ذو طرف سقيم وخد كأنه من خفره لطيم ولدينا من أصناف الفواكه والازاهر ما يحار فيه الناظر وهل تكمل لذة دون احضار خدود الورد وعيون النرجس وأصداغ الآس ونهود السفرجل وقدود قصب السكر ومباسم ثغور الجوز وسرر التفاح ورضاب ابنة العنب فقد اكتمل بهذه الاوصاف المختلسة من أوصاف الحبائب الطرب

فطر بجناح الشوق عند وصولها * اليك ولا تجعل سوالك جوابها
فلا عين الا وهي ترنو بطرفها * اليك فيسر في المطال حسابها
فقد أصبحت تعلو عليها غشاوة * لبعدك فاكشف عن سناها ضبابها

قال أبو جعفر فجعلت وصولي جواب ما نظم ونثر وألفيت الحالة يقصر عن خبرها الخبر فانغمسنا في النعيم انغماس عرف الزهر في النسيم ومزلنا يوم غض الدهر عنه جفنه حتى حسبناه عنوانا لما وعد الله تعالى به في الجنه * وشرب يوما مع أبي جعفر بن سعيد والكتندي الشاعر في جنة بزاوية غرناطة وفيها صهريج ماء قد أحدق به شجر نارنج وليمون وغير ذلك من الاشجار وعليه انبوب ماء تتحرك به صورة جارية راقصة بسيوف وطيفور رخام يصنع في أنبوبة الماء صورة خباء فقالوا نقتسم هذه الاوصاف الثلاثة فقال أبو جعفر يصف الراقصة

وراقصة ليست تحرك دون أن * يحركها سيف من الماء مصلت
يدورها كرها فتمضي صوارما * عليه فلا تعيا ولا هو يهت
اذا هي دارت سرعة خلت انها * الى كل وجه في الرياض تلفت

وقال ابن نزار في خباء الماء

رأيت خباء الماء ترسل مائها * فتنازعها هب الرياح رداءها
تطاوعه طورا وتعصيه تارة * كراقصة حلت وضمت قباءها
وقد قابلت خير الانام فلم تزل * لديه من العلياء تبدي حياءها
اذا أرسلت جودا أمام يمينه * أبى العدل الا أن يرد اباءها

وقد قيل ان هذه الابيات صنعها بحضرة الامير أبي عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس وانه لما ألجأته الضرورة أن يرتجل في مثل ذلك شيأ وكانت هذه عنده معدة فزعم انه ارتجلها قال أبو عمر بن سعيد وهذا هو الصحيح فانه ما كانت عادته ان يخاطب عمي أبا جعفر بخير الانام فان كل واحد منهما كفؤ الآخر وقال الكتندي

وصهريج تخال به بلينا * يذاب وقد يذهبه الاصيل
كأن الروض يعشقه فمنه * على أرجائه ظل ظليل
وتمضه أكف الشمر عشقا * دنانيرا فمنه لها قبول

اذا رفع النسيم القضب عنها * فيا تذكيكون لها سبيل
وللنارنج تحت الماء لما * تبدى عكسها جمر بليل
وللبهون فيه دون سبك * جلاجل زخرفت نصبا تجول
فيا روضا به صقلت جفونى * وأرهف متنه الزهر الكليل
تناثر فيك أسلاك الغوادى * وقبل صفح جدوالك القبول
ولا برحت تجمع فيك شملا * من الاكياس والكاس الشمول
بدور تستنير بها نجوم * مع الاصباح ليس لها افول
يهيم بهم نسيم الروض الفا * فمن وجد له جسم عليل

وروى أن الوزير أبا الاصبغ عبد العزيز بن الارقم وزير المعتصم بن صمادح رأى راية خضراء فيها ضيقة بيضاء فى يد علج من علوج المعتصم نشرها على رأسه فقال

نشرت عليك من النعيم جناحا * خضراء صيرت الصباح وشاحا
تحكى بخفق قلب من عاديته * مهما يصافح صفحها الارواحا
ضمنت لك النعمى برأى ظافر * فترقب النأل المشير نجاحا

وله ضيقة فى نسخة ضيفة وليصر راه

وكان هذا الوزير آية الله تعالى فى الوفاء وأرسله المعتصم الى المعتمد بن عباد فاعجبت المعتمد محاولته ووقع فى قلبه فأراد افساده على صاحبه وأخذ معه فى أن يقيم عنده فقال له ما رأيت من صاحبى ما أكره فأوثر عند غيره ما أحب ولو رأيت ما أكره لما كان من الوفاء تركى له فى حين فوض الى أمره ووثق بى وحملنى أعباء دولته فاستحسن ذلك ابن عباد وقال له فاكتم على فلما عاد الى صاحبه سأله عن جميع ما جرى له فقال له فى أثناء ذلك وجرى لى معه ما ان أعلمتك به خفت أن تحسب فيه كلا متنان والاستظهار وتظن أن خاطرى فسد به وان كتمتك لم أوف النصيحة حقها وخفت أن تطلع عليه من غيرى فيحطنى ذلك من عينك وتحسب فيه كيدا فحمل عليه فى أن يعلمه فأعلمه بعد أن تلطف هذا التلطف وهو من رجال الذخيرة والمسهب وابنه الوزير أبو عامر من رجال القلائد ومن نظم أبى عامر

فتى الخيل يقتادها ذابلا * خفافا تبارى القنا الذابلا
ترى كل أجرد سامى التليل * وتحسبه غصنا ماثلا

وللوزير الكاتب أبى محمد بن فرسان واسمه عبد البر وهو حسنة وادى آش يخاطب يحيى الميورقى

أنم بتسريح على فعله * سبب الزيارة للحطيم ويثرب
ولئن تقول كناجح ان الهوى * أرست معالمه وانك مذهبى
فمقالتى ما ان ملكت وانما * عمرى أبى حمل النجاد بمنكبى
وعجزت عن أن أستثير كمينها * واشق بالصمصام صدر الموكب

وهذه الابيات كتب بها اليه وقد أسن وملّ من الجهد معه يرغب فى سراحه الى الحجاز رحمه الله تعالى وتقبل نيته بمنه وبمنه * وقال حاتم بن حاتم بن سعيد العنسى وكان صاحب سيف وقلم وعلم وعلم

يادانيا مني وما أنا زائر * لا أنت معذور ولا أنا عاذر
ماذا يضرك اذ ظللت بظلمة * أن لا يطالع منك بدر زاهر

وتوفي المذكور بغرناطة سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة * وقال التطيلي الاعمى في أسد نحاس يقذف الماء

أسد ولو أني أنا * قسته الحساب لقلت صخره
فكأنه أسد السما * يمج من فيه المجره

قال ابن ظافر صرنا في بعض العشايا على البساتين المجاورة للنيل فرأينا فيها بترا عليها دولابان متحاذيان قد كادت أفلاكهما تجوم القواديس ولعبت بقلوب ناظريهما لعب الامانى بالمقاليس وهما يثنان أنين الاشواق ويفيضان ماء أغزر من دموع العشاق والروض قد جلا للاعين زبرجده والاصيل قد راقه حسنه فنثر عليه عسجده والزهر قد نظم جواهره في أجياد الغصون والسواقي قد أذالت من سلاسل فضتها كل مصون والنبت قد اخضر شاربه وعارضه وطرف النسيم قد ركضه في ميادين الزهر راكضه ورضاب الغيث قد استقر من الطين في لمى وحيات المجارى حائرة تخاف من زمرد النبات أن يدركها العمى والبحر قد صقل النسيم درعه وزعفران العشى قد ألقى في ذيل الجو ردعه فأوسعنا ذلك المكان حسنا وقلوبنا استحواذا وملأ أبصارنا وأسماعنا مسرة والتذاذا وملنا الى الدولابين شاكين أزمر احين شجت قيان المطر بالحانها وشدت على عيدانها أم ذكر انغما وطابا وكانا أغصانا رطابا فنفياعنهما الذبول الهجوع ورجعا النوح وأفاضا الدموع طلبا للرجوع وجلسنا نتذاكر ما في تراكيب الدواليب من الاعاجيب ونتناشد ما وصفت به من الاشعار الغالية الاسعار فأفضى بنا الحديث الذى هو شجون الى ذكر قول الاعمى التطيلي في أسد نحاس يقذف الماء أسد ولو اني الخ فقال القاضي أبو الحسن علي بن المؤيد رحمه الله تعالى يتولد من هذا في الدولاب معنى يأخذ بمجامع المسامع ويطرب الرائى والسامع فتأملت ما قاله بعين بصيرتي البصيره واستمددت مادة غريزتي الغزيره فظهر لي معنى ملأني اطرابا وأوسعني اعجابا وأطرق كل منا ينظم ما جاش به مدبجره وأنبأه به شيطان فكره فلم يكن الا كنقرة العصفور الخائف من الناطور حتى كمل ما أردناه من غير أن يقف واحد منا على ما صنعه الآخر فكان الذى قال

حبذا ساعة العشية والدو * لاب يهدى الى النفوس المسره
أدهم لا يزال يعدو ولكن * ليس يعدو ومكانه قد ذره
ذو عيون من القواديس يبكى * كل عين من فائض الدمع ثره
فلك دائر يرينا نجوما * كل نجم يبدى لدينا المجره

وكان الذى قلت

ودولاب يثن أنين ثكلى * ولا فقد اشتكاه ولا مضره
ترى الازهار في ضحك اذا ما * بكى بدموع عين منه ثره

حكى فلكا تدور به نجوم * تؤثر فى سرائرنا المسرة
يظل النجم يشرق بعد نجم * ويغرب بعد ما تجرى المجرة

فعجبنا من اتفاقنا وقضى العجب منه سائر رفاقنا انتهى (رجع) وكان لابى محمد عبد الله بن شعبة الوادى آشى ابن شاعر فعرض عليه شعرا نظمه فأعجبه فقال

شعرك كالبستان فى شكله * يجمع بين الآس والورد
فاصنع به ان كنت لى طائعا * ما يصنع الفارس بالبند

ولشاعر الاندلس أبى عبد الله بن الحداد الوادى آشى وهو من رجال الذخيرة

لزمت قناعتى وقعدت عنهم * فلست أرى الوزير ولا الاميرا
وكنت سميرا شماريخ سفاها * فعدت بها لفلسفتى سميرا

وله فى العروض تأليف مزج فيه بين الانحاء الموسيقيه والآراء الخليليه وردّ فيه على السرقسطى المنبوز بالحمار وله فى المعتصم بن صمادح

لعلك بالوادى المقدس شاطئ * فلا منبر الهندى ما أنا واطئ
وانى فى ريالك واجد ريحهم * فجمر الاسى بين الجوانح ناشئ
ولى فى السرى من نارهم ومنارهم * هداة حداة والنجوم طوالع
لذلك ما حنت ركابى وحمحمت * عرابى وأوحى سيرها المتباطئ
فهل هاجنى ماهاجها ولعلها * الى الوجد من نيران قلبى لواجئ
رويدا فذا وادى لبينى وانه * لورد لبانات وانى لظامئ
موارد تهيامى ومسرح ناظرى * فللشوق غايات بها ومبادئ

واعترض عليه بعضهم بأنه همز فى هذه القصيدة ما لا يهمز فقال

عجبت لغماز ين علمى بجهلهم * وان قناتى لا تلين من الغمز
تجلت لهم آيات فهمى ومنطقى * مبينة الاعجاز ملزمة العجز
ولاحت لهم همزية أوحدية * وويل بها ويل لذى الهمز واللمز
رموها بنقص بينت فيه نقصهم * ومن لمس الافعى شكا ألم النكز
فان أنكرت أفهامهم بعض همزها * فقد عرفت أكبادهم صحة الهمز

وله وهو مما يتغنى به بالاندلس

فذر العقيق مجانبا العقوقه * ودع العذيب عذيب ذات الخال
أفق محلى بالقواضب والقنا * للاغيد المعطار لا المعطال
جيوش الامن توهم خاطرى * وحمول الامن تصور بالى
والفارظان جميل صبرى والكرى * فمتى أرجى منك طيف خيال

ومن بدائعه قوله

ساع أخاك اذا أتاك برزلة * فخلوص شئ قلما يتمكن
فى كل شئ آفة موجودة * ان السراج على سناه يدخن

وأنشد أحد الادباء هذين البيتين متمثلا فأعجبا المعتصم وسأل عن قائلهما فأخبر فتبسم

وقال أتعرف الى من أشار بهذا المعنى قال ما أعرف الا انه مليح فقال المعتصم كنت في الصبا وهو معي ألقب بسراج الدولة فقاتله الله ما اشعره فسلوه فلما باحثوه في ذلك أقر بحسن حدس المعتصم واكتنفته سعايات وكان ممن يغلب لسانه على عقله ففر من المرية وحبس أخوه بها فقال

الدهر لا ينفك من حدثانه * والمرء منقاد لحكم زمانه
وعلمت ان السعد ليس بمنجح * ما لا يكون السعد من اعوانه
والجد دون الجد ليس بنافع * والرمح لا يمضي بغير سنانه

وبلغت الابيات المعتصم فقال شعره أعقل منه صدق فانه لا يتهيأ له صلاح عيش الا بأخيه وهو منه بمنزلة السنان من الرمح ثم أمر باطلاقه والحاقه به ولما قال في المعتصم

يا طالب المعروف دونك فاتركن * دار المرية وارفض ابن صمادح
رجل اذا أعطاك أعطاك خودل * ألقاك في قيد الاسير الطامح
لو قد مضى لك عمر نوح عنده * لا فرق بينك والبعيد النازح

قوله لو قد مضى فيه اقتران فعل الشرط بقد وهو غير سائغ فتنبه اه مصححه

اغتاظ عليه وأبعده ففر من بلده ومن المنسوب اليه في النساء

خن عهدها مثل ما خانتك منتصفا * وامنح هواها بنسيان وسلوان
فالغيد كالروض في خلق وفي خلق * ان مرجان أتى من بعده جان

وله

حيثما كنت ظاعنا أو مقيما * دم رفيعا وعش منيعا سليما

وقال ابن دحية في المطرب ان من المجيدين في الجد والهزل ورقيق النظم والجزل صاحبنا الوزير أبا بلال وقال لي انه كان وبرد شبابه قشيب وغصن اعتداله رطيب بقميص النسك متقمص وبعلم الحديث متخصص فاجتاز يوما وبيده مجلد من صحيح مسلم بقصر بعض الملوك الاكابر ومن بعض مناظره ناظر ومجلسه بخواص ندمائه حال وصوت المثاني والمثالث عال فقال أطلعوا الناهذا الفقيه فلعلنا نضحك منه فلما مثل بين يديه وحيا أمر الساقي بمناولته كاس المحيا فتقبض متأففا وأبدى تمعرا وتقشفا والسلطان يستغرب ضحكا بما هجم عليه ويد الساقي ممدودة اليه واتفق أن انشقت من ذابتها الزجاجة فظهر من السلطان التطير من ذلك فأنشد الفقيه مرتجلا

ومجلس بالسرور مشتمل * لم يخل فيه الزجاج من أدب
سرى باعطافه برنحه * فشق أثوابه من الطرب

فسر السلطان وسرى عنه واستحسن من الفقيه ما بدا منه وأمر له بجائزة سنية وخلعة رائقة وما أحسن قول ابن البراق

يا سرحة الحي يا ممطول * شرح الذي بيننا يطول
ولي ديون عليك حلت * لو انه ينفع الحلول

وقوله

انظر الى الوادي اذا ما غردت * أطياره شق النسيم ثيابه

قوله أبا بلال في نسخة أبا هلال اه

أتراه أطربه الهديل وزاده * طربا وحقك أن حللت جنابه

وله فى غلام على فمه أثر المداد

يا عجبا للمداد أضحى * على فم ضمن الزلالا
كالقار أضحى على الحميا * والليل قد لامس الهلالا

وكتب أبو محمد عبد الله فى معذرة الى بعض أصحابه من الاسر فى طليطلة

لو كنت حيث تجيبنى * لاذاب قلبك ما أقول
يكفيك منى أننى * لا أستقل من الكبول
واذا أردت رسالة * لكم فما ألفى رسول
هذا وكم بتنا وفى * أيماننا كأس الشمول
والعود يخفق والدنا * ن العنبرى به يجول
حال الزمان ولم أزل * مذ كنت أعهده يحول

ولابى الحسن على بن مهلهل الجليانى فى أبى بكر بن سعيد صاحب أعمال غرناطة فى دولة الملثمين

لولا النهود لما عرا الثغر الهدد * وعلى الخدود القلب منك يخدد
يا ناقذا قلبى بسهم جفونه * مالى على سهم رميت به يد

وقال أبو زكريا يحيى بن مطروح فى غلام كاتب أطل عذاره

يا حسنه كاتبا قد خط عارضه * فى خده حاكيا ما خط بالقلم
لام العذول عليه حين أبصره * فقلت دعنى فزين البرد بالعلم
وانظر الى عجب مما تلوم به * بدر له هالة قدت من الظلم
قولوا عن البحر ما شئتم ولا عجب * من عنبر الشعر أو من در مبتسم

وله وقد عزل عن مالقة وال غير مرضى ونزل المطر على أثره وكان الناس فى جدب

ورب وال سرنا عزله * فبعضنا هنأه البعض
قد واصلتنا السحب من بعده * ولذ فى أجفاننا الغمض
لو لم يكن من نجس شخصه * ما طهرت من بعده الارض

وكان الكاتب أبو بكر محمد بن نصر الاوسى مختصا بوزير عبد المؤمن أبى جعفر بن عطية فقال فيه

أبا جعفر نلت الذى نال جعفر * ولا زلت بالعلياء سرا وتجبر
عليك لنا فضل وبر وأنعم * ونحن علينا كل مدح يحبر

وحدث من حضر مجلس الوزير ابن عطية وقد أحس من عبد المؤمن التغير الذى أفضى الى قتله وقد افتتح ابن نصر مطلع هذه القصيدة فتغير وجه أبى جعفر لان جعفر بن يحيى كان آخر أمره الصلب فكان هذا عم الدعاء والعجب انه قتل مثل جعفر بعد ذلك وهذا الشاعر هو القائل

وما أنا عن ذاك الهوى متبدل * وذا الغدر بالاخوان غير كريم

بغيرك أجرى ذكر فضلك فى الندى * كما قد جرى بالروض هبّ نسيم
وان كان عندى للجديد لذاذة * فلست بناس حرمة القديم

ولابى عبد الله محمد بن على اللوشى يخاطب صاحب المسهب

بى اليكم شوق شديد ولكن * ليس يبقى مع الجفاء اشتياق
ان يغيركم الفراق فودّى * لو خبرتم يزيد فيه الفراق

وله

لو انّ لى قلباكقلبك كنت أهجره هجركا
يكفيك انك قد نسيت ولست أنسى ذكركا
ومن العجائب اننى * أفنى وأكتم سرّكا
كن كيفما تختاره * فالحبّ يسطو عذركا

وله

هل عندكم علم بما فعلت بنا * تلك الجفون الفاتكات بضعفها
نصحا لكم أن تأمنوها انها * سحر النهى ما تبصرون بطرفها

ولابنه أبى محمد عبد المولى وكان ماجنا لما نعى اليه وهو على الشراب أحد أصحابه مرتجلا

انما دنيانا أكل * وشراب وتحاب * ثم من بعد صراخ * ووداع وتراب

وله

يا نديم اشرب على * أنق صقيل وحديقه
واسقنى ثم اسقنى * ثم اسقنى خمرا وريقه
من غزال تطلع الشمس بخديه انيقه
لا تفوت ساعة * من كاس خمر وعشيقه
واجتنب ما سطرت * جهلاله هذى الخليقه
رغبوا فى باطل * زور بزهد فى الحقيقه
ليس الا ما تراه * أنا أدرى بالطريقه

قال أبو عمران موسى بن سعيد قلنا له ما هذا الاعتقاد الفاسد الذى لا ينبغى لاحد أن يعتقده فقال هذا قول لا فعل وقد قال الله تعالى ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون ثم قال ابن سعيد ولولا أنّ حاكى الكفر ليس بكافر ما ذكرتهما وهذا منزع من قال من المجوس

خذ من الدنيا بحظ * قبل أن ترحل عنها
فهى دار لا ترى من * بعدها أحسن منها

وهذا كفر صراح وقائله قد تقمص كفرا اللهم غفرا وطلب منه بعض الارذال أن يكتب له شفاعة عند أحد العمال فكتب له رسالة فيها هذه الابيات

كتبته مولاى فى طالع * ما طار فيه طائر اليمن
وفكرة جائلة والحشا * يشهب بالهمّ و بالحزن

كلفنيه ساقط أخرق * مشتهر بالطعن والقرن
أكذب خلق الله أرداهم * أخوفهم فى الخوف والامن
يكفر مايسدى اليه ولا * يعذر خلقاسيئ الظن
فان صنعت الخير ألفيته * شرا وأضحى الجد ذا غبن
واتقد الناس علمك الذى * تسدى له فى أى مافتن
فافعل به ماهو أهل له * واسمعه تفسيرا ولا أكنى
أهنه واصفعه ولاتترك الجواب يكرمه لدى الاذن
واقطع بفيه القول واحرمه من * ردجواب أنسه يدنى
وكلما استنبط رأيا فسفهه ودعه مسخن الجفن
فهو اذا أكرمته فاسد * وصالح بالهون واللعن
شفاعتى فى مثله هذه * فلاسقاه ماطل المزن

ودفع اليه الكتاب مختوما فسر به وحمله الى العامل وسافر اليه أياما فلما دفعه اليه قرأه وضحك ودفعه الى من يشاركه فى ذلك من أصحابه فوعده بخير وأخرجه الى شغل لم يرضه فلما عاد منه قال له أخرجتنى لارذل شغل وأخسه فما فائدة الشفاعة اذن فقال له أو تريد أن أفعل معك ماتقتضيه شناعة صاحبك قال لا أقل من ذلك فأمر من يأتيه بالابيات فقرئت عليه فانصرف فى أسوا حال فلما دخل عليه غرناطة وكان عبد المولى تزوج فيها امرأة اغتبط بها فقال يا هذا الرجل بزى أهل البادية وزور كتابا على لسان زوجة لعبد المولى فى بلدة أخرى وقال فى الكتاب وقد بلغنى انك تزوجت غيرى وأردت أن أكتب اليك فى أن تطلقنى فوصانى كتابك تعرفنى فيه أن الزوجة الجديدة لم توافق اختيارك وأنك ناظر فى طلاقها فردنى ذلك عما عزمت عليه فانظرى تعجيل ماوعدت به من طلاقها فانك ان لم تفعلى لم أبق معك أبدا فلما مر بدار عبد المولى رأى جارية زوجته فقال لها أنا رجل بدوى أتيت من عند فلانة زوجة أبى محمد عبد المولى فعند ما سمعت ذلك أعملت سنها وأخذت الكتاب فوقفت على مافيه غير شاكة فى صحته فلما دخل عبد المولى وجدها على خلاف ما فارقها عليه فسألها عن حالها فقالت أريد الطلاق فقال ماسبب هذا وأنا أرغب الناس فيك فألقت اليه الكتاب فلما وقف عليه حلف لها أن هذا الدس بصحيح وأن عدوا له اختلقه عليه فلم يفد ذلك عندها شيأ ولم يطب له بعد ذلك معها عيش فطلقها وعلم أن ذلك الرجل هو الذى فعل ذلك فقال له لاجزاك الله خيرا ولا أصلح لك حالا فقال وأنت كذلك فهذه بتلك والبادى أظلم فما كان ذنبى عندك حين كتبت فى حق ما كتبت فقال له مثلك لا يقول ماذنبى أنت كان ذنوب

ألست بألأم الثقلين طرا * وأثقلهم وأخشنهم لسانا
فهما تبغ برا عند شخص * تزدمنه بما تبغى هوانا

فانصرف عنه عالى اللسان بلغته وكان أحد بنى عبد المؤمن قد ألزمه أن ينسخ له كتابا بموضع منفرد فحضره يوما جلد عميرة واتفق أن مر السيد يوما بذلك الموضع فنظر اليه فى تلك الحال فقال له السيد ماتصنع فقال الدواة جفت ولم أجد ما أسقيها به الا ماظهر فى فضحك

السيد وأمر له بجارية فقال

قل للعصيرة طلقت بعد طول زواج
قد كان مائى ضياعا * يمر فى غير حاج
حتى حبانى بحسنا * قابل للنتاج
فكان ناقل خمر * من حسنتم لزجاج
كانت تمر ضياعا * فاصبحت كالسراج

وقال حاتم بن سعيد

جنبونى عن المدامة الا * عند وقت الصباح أو فى الاصيل
واشفعوها بكل وجه مليح * ودعونى من كل قال وقيل
واذا ما أردتم طيب عيشى * فاجنبونى عن كل وجه ثقيل

وقال مالك بن محمد بن سعيد

أتانى زائرا فبسطت خدى * له ويقل بسط الخد عندى
فقلت له أيا ولاى ألفا * فقال وأنت ألفا عبد عبدى
وعانقنى وقبلنى ونادى * بلطف منه كيف رأيت وعدى

وقال فى استهداء مقص

الا قل نم فى مطلب قد حكا لا * يفصل اذ ينبغى الوصال مفصلا
نشق به صدر النهار وقد بدا * ظلاما يا مثال النجوم مكللا

وقال

سارت كبدر وليل الخدر يسترها * ولو بدا وجهها جاءتك بالفلق
ودونها من صليل اللامعات حمى * فالبرق والرعد دون الشمس فى الافق

واجتمع بغرناطة محمد بن غالب الرصافى الشاعر المشهور ومحمد بن عبد الرحمن الكتندى الشاعر وغيرهما من الفضلاء والرؤساء فأخذوا يوما فى أن يخرجوا النجد أو الحوز مؤتزهين وهما منتزهان من أشرف وأظرف منتزهات غرناطة ليستفزجوا ويصقلوا الخواطر بالتطلع فى ظاهر البلد وكان الرصافى قد أظهر الزهد وترك الخلاعة فقالوا ما الناغى عن أبى جعفر ابن سعيد اكتبوا له فصنعوا هذا الشعر وكتبوه له وجعلوا تحته أسماءهم

بعثنا الى رب السماحة والمجد * ومن ماله فى سلة الظرف من ند
ليسعدنا عند الصبيحة فى غد * لنسعى الى الحوز المؤمل أو نجد
نسرح منا أنفسا من شجونها * نوت فى شجون من شر من اللحد
ونظفر من بخل الزمان بساعة * ألذ من العليا وأشهى من الخلد
على جدول ما بين ألفاف دوحة * تهز الصبا فيها لواء من الرند
ومن كان ذا شرب يخلى بشأنه * ومن كان ذا زهد تركناه للزهد
وما ظرفه يابى الحديث على الطلى * ولا أن يديل الهزل حينا من الجد
تهز معانى الشعر أغصان ظرفه * ويمرح فى ثوب الصبابة والوجد

وما

وما نغص العيش المهنأ غير أن • يمازجه تكليف مالبس بالوتد
تظلمنا من الخلان عقد فرائد • ولما نجد الا لساعة العقد
فماذا تراه لا عدمنا لساعة • فنحن بها نبديه في جنة الخلد
ورشد لنا مطلوب وأمر لنا هوا • تقاب وكل منك يهدى الى الرشد

فكان جوابه لهم

هو القول منظوما أو الدر في العقد • هو الزهر نفاح الصبا أم شذا الوتد
أتاني وفكري في عقال من الاسى • فحل بنفث السحر ما حل من عقد
ومن قبل علمي أين مبعث وجهه • علمت جناب الورد من نفس الورد
وأيقنت أن الدهر ليس براجع • لتقديم عصر أو وقوف على حد
فكل أوان فيه أعلام فضله • ترادف موج البحر ردا الى رد
فكم طيها من فائت مستروم • يزيح بما قد ضمرت معطف الصلد
فيا من بهم تزهى المعالي ومن لهم • قياد المعالي ما سوى قصدكم قصدي
فسمعا وطوعا للذي قد أشرتم • به لا أرى عنه مدى الدهر من بد
فقوموا على اسم الله نحو حديقة • مقلدة الاجياد موشية البرد
بها قبة تدعى الكمامة قد طلعوا • بها زهرا أزكى نسيما من الند
وعندي ما يحتاج كل مؤمل • من الراح والمعشوق والكتب والنرد
فكل الى ما شاءه لست ثانيا • عنانا له ان المساعد ذو الوتد
ولست خليا من تأنس قينة • اذا ما شدت ضل الخلي عن الرشد
لها ولد في حجرها لا تزيله • أوان غناء ثم ترميه بالبعد
فما التي قد كنت منها مكانه • تقلبني ما بين خصر الى نهد
ضمنت لمن قد قال اني زاهد • اذا حل عندي أن يحول عن الزهد
فان كان يرجو جنة الخلد آجلا • فعندي له في عاجل جنة الخلد

فركبوا الى جنته فنزلوا أحسن يوم على ما اشتهوا ومازالوا بالصافي الى أن شرب لما غلب عليه الطرب فقال الكندي

غلبنا لك عما رمته يا ابن غالب • براح وريحان وشدو وكاعب

فقال أبو جعفر

بداز عدده مثل الخضاب فلم يزل • به ناصلا حتى بدا زور كاذب

فلما غربت الشمس قالوا ما رأينا أقصر من هذا اليوم وما ينبغي أن يترك بغير وصف فقال أبو جعفر أنا له ثم قال بعد فكرة وهو من عجائبه التي تقدم بها المتقدمين وأعجز المتأخرين

لله يوم مسرة • أضوا وأقصر من ذبالة
لما نصبنا للمنى • فيه بأوتار حبالة
طار النهار به كمر • تاع فأجفلت الغزالة

قوله الوتد في نسخة الورد اه

قوله يحتاج في نسخة يختار وهي أنسب بقوله فكل الى ما شاءه اه مصححه

فكأننا من بعده * بعنا الهداية بالضلاله

والنهار ذكر الحبارى واليه أشار بقوله طار النهار والغزالة الشمس ولا يخفى حسن التوريتين فسلم له الجميع تسليم السامع المطيع * وعلى ذكر الغزالة فى هذا الموضع فلابى جعفر أيضا فيها وهو من بدائعه قوله

بدا ذنب السرحان ينبئ أنه * تقدم سبت والغزالة خلفه

ولم ترعيني مثله من متابع * لمن لا يزال الدهر يطلب حتفه

وقوله

اسقنى مثل ما أنار لعينى * شفق ألبس الصباح جماله

قبل أن تبصر الغزالة تستد * ريح منه على السماء غلاله

وتأمل لعسجد سال نهرا * كرعت فيه أو تقضى عزاله

ومن نظم أبى جعفر قوله

لو لم يكن شدوا لحمائم فاضلا * شدو القيان لما استخف الاغصنا

طرب ثنى حتى الجماد ترنحا * وأفاض من دمع السحائب أعينا

وقوله

فى الروض منك مشابه من أجلها * يهفو له طرفى وقلبى المغرم

الغصن قد والازاهر حلية * والورد خد والاقاحى مبسم

وقوله

ألا حبذا نهر اذا ما لحظته * أبى أن يرد اللحظ عن حسنه الانس

ترى القمرين الدهر قد عنيا به * يفضضه بدر وتذهبه شمس

وقوله وقد مر بقصر من قصور أمير المؤمنين عبد المؤمن وقد رحل عنه

قصر الخليفة لا أخليت من كرم * وان خلوت من الاعداد والعدد

جزنا عليه فلم تنقص مهابته * والفيل يخلو وتبقى هيبة الاسد

وقوله من أبيات

سرح لحاظك حيث شئت فانه * فى كل موقع لحظة متأمل

وقوله أيضا

ولقد قلت للذى قال حلوا * هيهنا سرقاتنا ما سئمنا

لا تعيجوا لنا مكانا ولكن * حيثما مالت اللواحظ ملنا

وقال

ألا هاتها ان المسرة قربها * وما الحزن الا فى توالى جفائها

مدام بكى الابريق عند فراقها * فأضحك ثغر الكاس عند لقائها

وقال

عرج على الحوز وخيم به * حيث الامانى ضافيات الجناح

واسبق له قبل ارتحال الندى * ولا تزره دون شاد وراح

وكن مقيما منه حيث الصبا * تمتار مسكا من أريج البطاح
والقضب مال البعض منها على * بعض كما ينثنى القدود ارتياح
وشق جيب الصبر قصفا اذا * شقت جيوب الطل منه الرياح
لم أحص كم غاديته ثابتا * واسترقصتنى الراح عند الرواح

وقوله

ألا حبذا روض بكرنا له ضحى * وفى جنبات الروض للطل أدمع
وقد جعلت بين الغصون نسيمة * تمزق ثوب الطل منها وترقع
ونحن اذا ماظلت القضب ركعا * تظل لها من هزة السكر نركع

وكان ابن الصابونى فى مجلس أحد الفضلاء باشبيلية فقدم فيما قدم خيار فجعل أحد الادباء يقشرها بسكين فخطف ابن الصابونى السكين من يده فألح عليه فى استرجاعها فقال له ابن الصابونى كف عنى والا جرحتك بها فقال له صاحب المنزل اكفف عنه لئلا يجرحك ويكون جرحك جبارا تعريضا بقول النبى صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار فاغتاظ ابن الصابونى وخرج من الاعتدال وأخطأ بلسانه وما كف الا بعد الرغبة والتضرع ومن نظم ابن الصابونى

بعثت بمرآة اليك بديعة * فأطلع بسامى أفقها قمر السعد
لتنظر فيها حسن وجهك منصفا * وتعذرنى فيما أكن من الوجد
فأرسل بذاك الخد لحظك برهة * لتجنى منه ماجناه من الورد
مثالك فيها منك أقرب ملمسا * وأكثر احسانا وأبقى على العهد

وقوله فى لابس أحمر

أقبل فى حلة مورّدة * كالبدر فى حلة من الشفق
تحسبه كلما أراق دمى * يمسح فى ثوبه ظبا الحدق

ورحل الى القاهرة والاسكندرية فلم يلتفت اليه ولا عوّل عليه وكان شديد الانحراف فانقلب على عقبه يعض يديه على ماجرى عليه فمات عند ايابه الى الاسكندرية كذا ولم يعرف له بالديار المصرية مقدار وحضر يوما بين يدى المعتضد الباجى ملك اشبيلية وقد نثرت أمامه جملة من دنانير سكت باسمه فأنشد

قد فخر الدينار والدرهم * لما علا ذين لكم فيسم
كلاهما يفصح عن مجدكم * وكل جزء منه فردفم

ومزّ فيها الى أن قال فى وصف الدنانير

كانها الانجم والبعد قد * حقق عندى انها الارجم

فأشار السلطان الى وزيره فأعطاه منها جملة وقال له بدل هذا البيت لئلا يبقى ذما وكان يلقب بالحمار ولذا قال فيه ابن عتبة الطبيب

ياعير حص عيرتك الحمير * يا كلك البر مكان الشعير

وهو أبو بكر محمد ابن الفقيه أبى العباس أحمد بن الصابونى شاعر اشبيلية الشهير

الذكر والذى أظهره مأمون بنى عبد المؤمن وله فيه قصائد عدة منها قوله فى مطلع

استول سبقا على غاياتها * نجح الامور بين فى بدآتها

وله الموشحات المشهورة رحمه الله تعالى * ومن حكايات الصبيان أن ابن أبى الخصال وهو من شقورة اجتاز ببادية وهو صبى صغير بطلب الادب فأضافه بها القاضى ابن مالك ثم خرج معه الى حديقة معروشة فقطف لهما منها عنقود أسود فقال القاضى انظر اليه فى العصا فقال ابن أبى الخصال كرأس زنجى عصى فعلم انه سيكون له شان فى البيان * وحدث أبو عبد الله بن زرقون أن أبا بكر بن المخل وأبا بكر الملاح الشلبيين كانا متواخيين متصافيين وكان لهما ابنان صغيران قد برعا فى الطلب وحاز اقصب السبق فى حلبة الادب فتهاجى الابنان بأقذع الهجاء فركب ابن المخل فى سحر من الاسحار مع ابنه عبد الله فجعل يعتبه على هجاء بنى الملاح ويقول له قد قطعت ما بينى وبين صديقى وصفيى أبى بكر فى اقذاعك بابنه فقال له ابنه انه بدأنى والبادى أظلم وانما يجب أن يلحى من بالشر تقدم فعذره أبوه فبينما هما على ذلك اذ أقبلا على وادتنق فيه الضفادع فقال أبو بكر لابنه أجز تنق ضفادع الوادى فقال ابنه بصوت غير معتاد فقال الشيخ كأن نقيق مقولها فقال ابنه بنو الملاح فى النادى فلما أحست الضفادع بهما صمتت فقال أبو بكر وتصمت مثل صمتهم فقال ابنه اذا اجتمعوا على زاد فقال الشيخ فلاغوث للهوف فقال الابن ولاغيث لمرتاد ولاخفاء أن هذه الاجازة لو كانت من الكبار لحصلت منها الغرابة فكيف ممن هو فى سن الصبا * ومن حكايات النصارى واليهود من أهل الاندلس أعادها الله تعالى الى الاسلام عن قريب انه سميع مجيب ماحكى ان ابن المرغوى النصرانى الاشبيلى أهدى كلبة صيد للمعتمد بن عباد وفيها يقول

لم أر ملهى لذى اقتناص * ومكسبا مقنع الحريص
كمثل خطار ذات جيد * أتلع فى صفرة القميص
كالقوس فى شكلها ولكن * تنفذ كالسهم للقنيص
ان تخذت أنفها دليلا * دل على الكامن العويص
لو أنها تستثير برقا * لم يجد البرق من محيص

ومنها فى المديح

يشفع تنويله بود * شفع القياسات بالنصوص

وقال

الله أكبر أنت بدر طالع * والنقع دجن والكماة نجوم
والجود أفلاك وأنت مديرها * وعداتك الغاوى وهن رجوم

وقال

نزلت فى آل مكحول وضيفهم * كازل بين سمع الارض والبصر
لاتستضىء بضوء فى بيوتهم * مالم يكن لك تطفيل على القمر

وسببهما انه نزل عندهم فلم يوقدوا له سراجا * وقال نسيم الاسرائيلى

ياليتنى كنت طيرا * أطير حتى أراكا
بمن تبدلت غيرا * ولم نحل عن هواكا

وهو شاعر وشاح من أهل اشبيلية وذكره الحجارى فى المسهب * وقال ابراهيم بن سهل الاسرائيلى فى أصفر ارتجالا

كان محيالله بهجة * حتى اذا جاء لماحى الجمال
أصبحت كالشمعة لما جنى * منها الضياء اسود فيها الذبال

وهو شاعر اشبيلية ووشاحها وقرأ على أبى على الشلوبين وابن الدباج وغيرهما وقال العزفى حقه وكان أظهر الاسلام ماصورته كان يتظاهر بالاسلام ولا يخلو مع ذلك من قدح واتهام انتهى وسئل بعض المغاربة عن السبب فى رقة نظم ابن سهل فقال لانه اجتمع فيه ذلان ذل العشق وذل اليهودية ولما غرق قال فيه بعض الاكابر عاد الدر الى وطنه ومن نظم ابن سهل المذكور قوله

وألمى بقلبى منه جمر مؤجج * تراه على خديه يندى ويبرد
يسائلنى من أى دين مداعبا * وشمل اعتقادى فى هواه مبدد
فؤادى حنيفى ولكن مقلتى * مجوسية من خده النار تعبد

ومنه قوله

هذا أبو بكر يقود بوجهه * جيش الفتور مطرز الرايات
أهدى ربيع عذاره لقلوبنا * حر المصيف فشبها لفحات
خد جرى ماء النعيم بجمره * فاسود مجرى الماء فى الجمرات

قوله بوجهه جيش الفتور هكذا فى الاصل ولعله يحذفه جيش الفتور أو بوجهه جيش الفتون تامل اه مصححه

وذكر الحافظ أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهرى فى رحلته الكبيرة القدر والجرم المسماة بملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة خلافا فى اسلام ابن سهل باطنا وكتب على هامش هذا الكلام الخطيب العلامة سيدى أبو عبد الله بن مرزوق مانصه صحيح لنا من أدركناه من أشياخنا انه مات على دين الاسلام انتهى ورأيت فى بعض كتب الادب بالمغرب انه اجتمع جماعة مع ابن سهل فى مجلس انس فسألوه لما أخذت منه الراح عن اسلامه هل هو فى الظاهر والباطن أم لا فاجابهم بقوله للناس ماظهر ولله ما استتر انتهى واستدل بعضهم على صحة اسلامه بقوله

تسليت عن موسى بحب محمد * هديت ولولا الله ما كنت أهتدى
وما عن قلى قد كان ذا الوانما * شريعة موسى عطلت بمحمد

وله ديوان كبير مشهور بالمغرب حازبه قصب السبق فى النظم والتوشيح ومما أحسن قوله من قصيدة

تأمل لظى شوقى وموسى يشبها * تجد خير نار عندها خير موقد

وأنشد بعضهم له قوله

لقد كنت أرجو أن تكون مواصلى * فاسقيتنى بالبعد فاتحة الرعد
فبالله برد ما بقلبى من الجوى * بفاتحة الاعراف من ريقك الشهد

وقال الراعى رحمه الله تعالى سمعت شيخنا أبا الحسن على بن سمعة الاندلسى رحمه الله تعالى يقول شيآن لا يصحان اسلام ابراهيم بن سهل وتوبة الزمخشرى من الاعتزال ثم قال الراعى قلت وهما من مروياتى أما اسلام ابراهيم بن سهل فيغلب على ظنى صحته لعلمى بروايته وأما الثانى وهو توبة الزمخشرى فقد ذكر بعضهم انه رأى رسمها بالبلاد المشرقية محكوما فيه بتضمن توبة الزمخشرى من الاعتزال فقوى جانب الرواية انتهى باختصار وقال الراعى أيضا مانصه وقد نكت الاديب البارع ابراهيم بن سهل الاسرائيلى الاندلسى على الشيخ أبى القاسم فى تغزله حيث قال

أموسى أيا بعضى وكلى حقيقة * وليس مجازا قولى الكل والبعضا
خفضت مكانى اذ جزمت وسائلى * فكيف جمعت الجزم عندى والخفضا

وفى هذا دليل على أن يهود الاندلس كانوا يشتغلون بعلم العربية فان ابراهيم قال هذين البيتين قبل اسلامه والله تعالى أعلم وقد روينا انه مات مسلما غريقا فى البحر فان كان حقا فالله تعالى رزقه الاسلام فى آخر عمره والشهادة انتهى ومن نظم ابن سهل فى التوجيه باصطلاح النحاة قوله

رقت عوامله وأحسب رتبتى * بنيت على خفض فلن تتغيرا

ومنه

تنأى وتدنو والتفاتك واحد * كالفعل يعمل ظاهرا ومقدرا

وقوله

اذا كان نصر الله وقفا عليكم * فان العدا التنوين يحذفه الوقف

وقوله

وقرأنا باب المضاف عناقا * وحذفنا الرقيب كالتنوين

وقوله

نبات بناء الحرف خامر طبعه * فصرت لتأثير العوامل جازما

وقوله

لك الثناء فان يذكر سواك به * يوما فكالرابع المعهود فى البدل

يعنى الغلط وقوله

اذا اليأس ناجى النفس منك بلن ولا * أجابت ظنونى ربما وعساى

وقوله

وقلت عساه ان أفت برق لى * وقد نسخت لا عنده ما اقتضت عسى

وقوله

ينفى لى الحال ولكنه * يدخل لا فى كل مستقبل

وقوله

خفضت مقامى اذ جزمت وسائلى * فكيف جمعت الجزم عندى والخفضا

قوله مقامى الذى سبق مكانى والمآل واحد اه

وقوله فى غلام شاعر

كيف

كيف خلاص القلب من شاعر * رقت معانيه عن النقد
يصغر نثر الدر عن نثره * ونظمه جل عن العقد
وشعره الطائل فى حسنه * طال على النابغة الجعدى

وحدث أبو حيان عن قاضى القضاة أبى بكر محمد بن أبى النصر الفتح بن على الانصارى الاشبيلى بغرناطة أن ابراهيم بن سهل الشاعر الاشبيلى كان يهوديا ثم أسلم ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصيدة طويلة بارعة قال أبو حيان وقفت عليها وهى من أبدع ما نظم فى معناها وكان سن ابن سهل حين غرق نحو الاربعين سنة وذلك سنة تسع وأربعين وستمائة وقيل انه جاوز الاربعين وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم وما أحسن قوله

مضى الوصل الامنية تبعث الاسى * أدارى بها همى اذا الليل عسعسا
أتانى حديث الوصل زورا على النوى * أعد ذلك الزور اللذيذ المؤنسا
ويا أيها الشوق الذى جاء زائرا * أصبت الامانى خذ فلوبا وأنفسا
كسانى ومى من سقام جفونه * رداء وسقانى من الحب أكؤسا

ومن أشهر موشحاته قوله

ليل الهوى يقظان * والحب ترب السهر
والصبر لى خوان * والنوم عن عينى برى

وقد عارضه غير واحد فعاشقوا له غبارا * وأما ابراهيم بن الفخار اليهودى فكان قد تمكن عند الادفونش ملك طليطلة النصرانى وصيره سفيرا بينه وبين ملوك المغرب وكان عارفا بالمنطق والشعر قال ابن سعيد أنشدنى لنفسه يخاطب أديبا مسلما كان يعرفه قبل أن تعلو رتبته ويسفر بين الملوك ولم يزده على ما كان يعامله به من الاذلال فضاق ذرع ابن الفخار وكتب اليه

أيا جاعلا أمرين شبهين ماله * من العقل احساس به يتفقد
جعلت الغنى والفقر والذل والعلا * سواء فما تنفك تشقى وتجهد
وهل يستوى فى الارض نجد وتلعة * فتطلب تسهيلا وسيرك مصعد
وما كنت ذا ميز لمن كنت طالبا * بما كنت فى حال الفراغ تعود
وقد حال ما بينى وبينك شاغل * فلا تطلبنى بالذى كنت تعهد
فان كنت تأبى غير اقدام جاهل * فانك لا تنفك تلمى وتطرد
الا فأت فى أبوابه كل مسلك * ولا تك فى حيثما قمت تقعد

قال ابن سعيد وأنشدنى لنفسه

ولما دجا ليل العذار بخده * تيقنت أن الليل أخفى وأستر
وأصبح عذالى يقولون صاحب * فاخلوبه جهرا ولا تستتر

وقال يمدح الادفونش لعنهما الله تعالى

حضرة الادفنش لا برحت * غادة أيامها عرس

فاخلع النعلين تكرمة * فى ثراها انها قدس

قال وأدخلونى الى بستان الخليفة المستنصر فوجدته فى غاية الحسن كانه الجنة ورأيت على بابه بوابا فى غاية القبح فلما سألنى الوزير عن حال فرجتى قلت رأيت الجنة الا انى سمعت أن الجنة يكون على بابها رضوان وهذه على بابها مالك فضحك وأخبر الخليفة بما جرى فقال له قل له انما قصدنا ذلك فلو كان رضوان عليها بوابا لخشينا أن يردّه عنها ويقول له ليس هذا موضعك ولما كان هنالك مالك أدخله فيها وهو لا يدرى ما وراءه ويخيل أنها جهنم قال فلما أعلمنى الوزير بذلك قلت له الله أعلم حيث يجعل رسالاته * وكان فى زمان الياس بن المدور اليهودى الطبيب الرندى طبيب آخر كان يجرى بينهما من المحاسدة ما يجرى بين مشتركين فى صنعة فأصلح الناس بينهما مرارا وظهر لالياس من ذلك الرجل الطبيب ما ينفر الناس منه فكتب اليه

لا تخدعن فما تكون مودّة * ما بين مشتركين أمرا واحدا

انظر الى القمرين حين تشاركا * بسناهما كان التلاقى واحدا

يعنى انهما معا لما اشتركا فى الضياء وجب التحاسد بينهما والتفرقة هذا يطلع ليلا وهذه تطلع نهارا واعتراضهما يوجب الكسوف * وكتب أيوب بن سليمان المروانى الى بسام بن شمعون اليهودى الوشقى فى يوم مطير لما كنت وصل الله تعالى اخاك وحفظك مطمح نفسى ومنتزع اختيارى من أبناء جنسى على جوانبك أميل وأرتع فى رياض خلقك الجميل هزتنى خواطر الطرب والارتياح فى هذا اليوم المطير الداعى بكأوه الى ابتسام الاقداح واستنطاق اليم والزير فلم أر معينا على ذلك ومبلغا ما هنالك الا حسن نظرك وتجشمك من المكارم ما جرت به عادتك وهذا يوم حرم الطرف فيه الحركة وجعل فى تركها الخير والبركة فهل تو صل مكرمتك أخاك الى التخلى معك فى زاويه متكئا على دن مستندا الى خابيه ونحن خلال ذلك نتجاذب أهداب الحديث التى لم يبق من اللذات الاهى ونجيل الالحاظ فيما تعودت عندك من المحاسن والاسماع فى أصناف الملاهى وأنت على ذلك قدير وكرمك بتكلفه جدير ولا يعين المرء يوما على راحته الا كريم الطباع وها أنا والسمع منى الى الباب وذو الشوق حليف استماع

فان أتى داع بنيل المنى * ودع أشجانى ونم الوداع

وهذا المروانى من ذرية عبد العزيز أخى عبد الملك بن مروان وهو من أهل المائة السادسة * وكانت بالاندلس شاعرة من اليهود يقال لها قسمونة بنت اسمعيل اليهودى وكان أبوها شاعرا واعتنى بتأديبها وربما صنع من الموشحة قسما فأتمتها هى بقسم آخر وقال لها أبوها يوما أجيزى

لى صاحب ذو بهجة قد قابلت * منها بظهر واستحقت جرمها

ففكرت غير كثير وقالت

كالشمس منها البدر يقبس نوره * أبدا ويكسف بعد ذلك جرمها

فقام كالمختبل وضمها اليه وجعل يقبل رأسها ويقول أنت والعشر كلمات أشعرمني ونظرت في المرآة فرأت جمالها وقد بلغت أوان التزوج ولم تتزوج فقالت

أرى روضة قد حان منها قطافها * ولست أرى جانيا يمتد لها يدا
فوا أسفا يمضي الشباب مضيعا * ويبقى الذي ما ان اسميه مفردا

فسمعها أبوها فنظر في تزويجها وقالت في ظبية عندها

ياظبيـــة ترعى بروض دائما * انى حكيتك في التوحش والحور
أمسى كلانا مفردا عن صاحب * فلنصطبر أبدا على حكم القدر

واستدعى أبو عبد الله محمد بن رشيق القلعي ثم الغرناطي بعض أصحابه الى أنس بقوله

سيدى عندى اترج ونـــارنج وراح
وجنى آس وزهـر * وحمانا لا يباح
ليس الا مطرب يسـ * ـلى الندامى والملاح
ومكان لانتهاك * قد نأى عنه الفلاح
لايرى يطلع فيه * دون أكواس صباح
فيه فتيان لهـم في * لذة العيش جماح
طرحوا الدنيا يسارا * فاستراحت واستراحوا
لاكقوم أوجعتهم * لهـــم فيها نباح

وله

قال العذول الى كم * تدعو لمن لايجيبه
فقلت ليس عجيبا * أن لايجيب حبيبه
هـون عليك فاني * من حبه لاأتوب

قال أبو عمران بن سعيد دخلت عليه وهو محبوس بدار الاشراف باشبيلية وقد بقي عليه من مال السلطان اثنا عشر ألف دينار قد أفسدها في لذات نفسه فلما لمحني أقبل يضحك ويشتغل بالنادر والحكايات الظريفة فقلت له قالوا انك أفسدت للسلطان اثني عشر ألف دينار وما أحسبك الا زدت على هذا العدد لما أرى فيه من المسرة والاستبشار فزاد ضحكا وقال يا أبا عمران أترانى اذا زمت الهم والفكر يرجع على ذلك العدد الذي أفسدت ثم فكر ساعة وأنشدني

ليس عندى من الهموم حديث * كلما ساءني الزمان سررت
أترانى أكون للدهر عونا * فاذا مسني بضر ضجرت
غمرة ثم تنجلي فكأني * عند اقلاع همها ما ضررت

وقال النحوي اللغوي أبو عيسى لب بن عبد الوارث القلعي

بدا ألف التعريف في طرس خده * فيا هل تراه بعد ذا يتنكر
وقد كان كافورا فهل أنا تارك * له عند ما حياه مسك وعنبر
وما خير روض لايرف نباته * وهل أنتن لاثوب الا شهر

قوله والعشر كلمات في نسخة اسقاط لفظ كلمات اه

قوله فلنصطبر في نسخة بدله فعانينا اه

وقال

أبى لى أن أقول الشعر أنى * أحاول أن يفوق السحر شعرى
وأن يصغى اليه كل سمع * ويعلو ذكره فى كل ذكر

قال الحجارى أخبرنى انه أحب أحد أولاد الاعيان ممن كان يقرأ عليه فلما خلا به شكا اليه ما يجده فقال له الصبيان يفطنون بنا فاذا أردت أن تقول شيأ فاكتبه لى فى ورقة فلما سمعت ذلك منه تمكن الطمع منى فيه وكتبت له

يا من له حسن يفوق به الورى * صل هائما قد ظل فيك محيرا
وامنن على بقبلة أو غيرها * ان كنت تطمع فى الهوى أن تؤجرا

وكتب بعدها من الكلام ما رأيته فلما حصلت الورقة عنده كتب الى فى غيرها أنا من بيت عادة أهله أن يكونوا اسم فاعل لا اسم مفعول وانما أردت أن يحصل عندى خطك شاهدا على ما قابلتنى به لئلا أشكوك الى أبى فيقول لى حاش لله أن يقع الفقيه فى هذا وانما أنت خبيث رأيته يطالبك بالتزام الحفظ فاختلقت عليه لاخرجك من عنده فأبقى معذبا معك ومعه وان أنا أوقفته على خطك صدقنى واسترحت ولكن لا أفعل هذا ان كففت عنى وان انتهيت فلا أخبر به أحدا قال ابن عبد الوارث فلما وقفت على خطه علمت قدر ما وقعت فيه وجعلت أرغب اليه فى أن يرد الرقعة الى فأبى وقال هى عندى رهن على وفائك بأن لا ترجع تتكلم فى ذلك الشان قال فكان والله يبطل القراءة فلا أجسر أكلمه لانى رأيت صبانتى وناموسى قد حصل فى يده وتبت من ذلك الحين عن هذا وأمثاله * وقال جابر بن خلف الفحصى وكان فى خدمة عبد الملك بن سعيد وقرأ مع أبى جعفر بن سعيد وتهذب معه يخاطبه حين عاثت الذئاب فى غنمه

أيا قائدا قدما فى العلا * وسادا علينا بذات وجد
غدا الذئب فى غنمى عائثا * وقد جئت مستعديا بالاسد

وكثر عليه الدين فكتب اليه أيضا

أنى أيامك الغر * أموت كذا من الضر
وأخبط فى دجاهمى * ووجهك طلعة الفجر

فضحك وأدى دينه * ولما خلع أهل المرية طاعة عبد المؤمن وقتلوا نائبه ابن مخلوف قدموا عليهم أبا يحيى بن الرميمى ثم كان عليه من النصارى ما علم ففر الى مدينة فاس وبقى بها ضائعا خاملا يسكن فى غرفة ويعيش من النسخ فقال

أمسيت بعد الملك فى غرفة * ضيقة الساحل والمدخل
تستوحش الارزاق من وجهها * فما تزال الدهر فى معزل
النسخ بالقوت لديها ولا * تقرعها كف أخ مفضل

وأنشدها البعض الادباء فبينما هو ليلة ينسخ بضوء السراج واذا بالباب يقرع ففتحه فاذا شخص متنكر لا يعرفه وقد مد يده اليه بصرة فيها جملة دنانير وقال خذها من كف أخ لا يعرفك ولا تعرفه وأنت المفضل بقبولها فأخذها وحسن بها حاله وقال له بعض

هذا شعر له أيام خلعك فهل قلت أيام أمرك قال نعم لما قتل أهل المرية ابن مخلوف عامل عبد المؤمن وأكرهوني أن أتولى أمرهم قلت

أرى فتنا تكشف عن لظاها * رمادا بالنفاق له انصداع
وآل بها النظام الى انتثار * وسادبها الاسافل والرعاع
سأحمل كل ماجشمت منها * بصدر فيه للهول اتساع

وأصل بني الرميمي من بني أمية ملوك الاندلس ونسبوا الى رميمة قرية من أعمال قرطبة وقال أبو بحر يوسف بن عبد الصمد

فوصلت أقطار الغبر أحبة * ومدحت أقواما بغير صلات
أموال أشعاري غنمت فتكاثرت * بجمعات مدحي للبخيل زكاتي

وهذا من غريب المعاني وفي بني عبد الصمد يقول بعض أهل عصرهم لما رأى من كثرة عددهم والتئامهم بالسلطان

ملأت قلبي هموما مثل ما * ملأ الدنيا بنو عبد الصمد
كاثر الشيخ أبوهم آدما * فغدا أكثر نسلا وولد
كلهم ذئب اذا امتنته * والرعايا بينهم مثل النقد

وكان الوزير الكاتب أبو جعفر أحمد بن عباس وزير زهير الصقلي ملك المرية بذ الناس في وقته باربعة أشياء المال والبخل والعجب والكتابة قال ابو حيان وكان قبل محنته صير جبراء أوقات لعب الشطرنج أو مايسخ له هذا البيت

عيون الحوادث عني نيام * وهضمي على الدهر شيء حرام

وذاع هذا البيت في الناس حتى قلب له مصراعه الاخير بعض الادباء فقال

سيوقظها قدر لا ينام وكان حسن الكتابة جميل الخط مليح الخطاب غزير الادب قوي المعرفة مشاركا في الفقه حاضر الجواب جماعا للدفاتر حتى بلغت أربعمائة ألف مجلد وأما الدفاتر المخرومة فلم يوقف على عددها لكثرتها وبلغ ماله خمسمائة ألف مثقال جعفرية سوى غير ذلك وكان مقتله بيد بادبس بن حبون ملك غرناطة وكفى دليلا على اعجابه قوله

قوله حبون في نسخة حبون اه

لي نفس لا ترتضي الدهر عمرا * وجميع الانام طرا عبيدا
لو رقت فوق السماك محلا * لم تزل تبتغي هناك صعودا
أنا من تعلمون شيدت مجدي * في مكان ما بين قومي وليدا

وكان ينتهم بداء أبي جهل فيما ينقل حتى كتب بعض الادباء على برجه بالمرية

خلوت بالبرج فماذا الذي * تصنع فيه يا خفيف الزمان

فلما نظر اليه أمر أن يكتب

أصنع فيه كل ما أشتهي * وحاسدي خارجه في هوان

وكان الاعمى التطيلي شاعرا مشهورا وكان الصبيان يقولون له تحتاج كلا يا أستاذ فكان ذلك سبب انتقاله من مرسية وقيل له يا أبا بكر لم تقع في الناس فقال أنا أعمى وهم

لا يبرحون حفرا فما عذرى فى وقوعى فيهم فقال له السائل والله لا كنت قط حفرة لك وجعل يوالبه بره ورفده ومن شعره

وجوه تعز على معشر * ولكن تهون على الشاعر
قرونهم مثل ليل المحب * وليل المحب بلا آخر

وله

زنجبيكم بالفسوق دارى * يدلى من الحرص كالحمار
يخلو بنجل الوزير سرا * فيولج الليل فى النهار

ومن شعر أبى جعفر أحمد بن الخيال الاستجى كاتب ابن الاحمر فيمن اسمه فضل الله

من الناس من يؤتى بنقد ومنهم * بكره ومنهم من ينال اذا اقتضى
ومنهم فتى يؤتى على كل حالة * وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

ولعبد الملك بن سعيد الخازن

ما حمد نالك اذ وقفنا ببابك * للذى كان من طويل حجابك
قد ذممنا الزمان فيك فقلنا * أبعد الله كل دهر أتى بك

وقال فى المسهب كنت بمجلس القاضى ابن حمدين وقد أنشده شعراء قرطبة وغيرها وفى الجملة هلال شاعر غرناطة ومحمد بن الاستجى شاعر استجة الملقب بزحكون فقام الاستجى وانشده قصيدة منها

اليك ابن حمدين انتخلت قصائدا * بهار قصت فى القضب ورق الحمائم
أنا العبد لكن بالمودة أشترى * اذا كان غيرى يشترى بالدراهم

فشكره ابن حمدين ونبه على مكان الاحسان فحسده هلال البيانى على ذلك فلما فرغ من القصيدة قال له هلال أعد على البيت الذى فيه رقص الحمائم فأعاده فقال له لو أزلت النقطة عن الخاء كنت تصدق فقال له فى الحين ولو أزلت أنت النقطة عن العين كنت تحسن وكان على عين هلال نقطة فكان ذلك من الاتفاق العجيب والجواب الغريب وعمل فيه * ولما قال المقدم بن المعافى فى رثاء سعيد بن جودى

من ذا الذى يطعم أو يكسو * وقد غدا حلف الندى الرمس
لا اخضرت الارض ولا أورق العود ولا أشرقت الشمس
بعد ابن جودى الذى لن ترى * أكرم منه الجن والانس

فقيل له أترثيه وقد ضربك فقال والله انه نفعنى حتى بذنوبه ولقد نهانى ذلك الادب عن مضارجة كنت أقع فيها على رأسى أفلا أرعى له ذلك والله ما ضربنى الا وأنا ظالم له أفأبقى على ظلمى له بعد موته وقيل له لم لا تهجو مؤمن بن سعيد فقال لا أهجو من لو هجما النجوم ما اهتدى أحدهما * وقال عبد الملك بن مروان بن نطيف

لا أشرب الراح الا * مع كل خرق كريم
ولست أعشق الا * ساجى الجفون رخيم

ومدح هلال البيانى ابن حمدين بقصيدة أولها

قوله فما عذرى فى وقوعى فى نسخة فما عذرى فى الوقوع ولعله فما هو عذرى الخ او نحو ذلك تأمل اه مصححه

عرّج على ذاك الجناب العالى * واحكم على الاموال بالآمال
فيه ابن حمدين الذى لنواله * من كل أرض شدّ كل رحال

فقال له القاضى ماهذا الوتوب على المدح من أوّل وهلة ألا تدرى انهم عابوا ذلك كما عابوا الطول أيضا وان الاولى التوسط فقال له ياسيدى اعذرنى بمالك فى قلبى من الاجلال والمحبة فانى كلما ابتدأت فى مدحك لم يتركنى غرامى فى اسمك الا أن أتركه عند أوّل بيت فاستحسن ذلك منه وأحسن اليه ومن هذه القصيدة

قاض موال برّه ونواله * فله جميع العالمين موالى

وكان يهوى وسيما من متأدبى قرطبة فصنع فيه شعرا أنشده منه

وكأن عينى برعى النجم فى الظلم * وعبرتى قد غدت ممزوجة بدم

فقال له الغلام أنت لا تبرح بكوكب من عينك ليلا ولا نهارا وعاشقا وغيرعاشق فخجل هلال وكان على عينه نقطة * وحكى ابن حيان أن الامير عبد الرحمن عثرت به دابته وهو سائر فى بعض أسفاره وتطأطأت فكاد يكبو لفيه ولحقه جزع وتمثل اثره بقول الشاعر

ومالانرى مما يقى الله أكثر وطلب صدر البيت فعزب عنه وأمر بالسؤال عنه فلم يوجد من يحفظه الا الكاتب محمد بن سعيد الزجالى وكان يلقب بالاصمعى لذكائه وحفظه فأنشد الامير نرى الشمس مما يتقى فنهابه فأعجب الامير واستحسن شكله فقال له الزم السرادق وأعقب ابنا يسمى حامدا وحضر مع الوزير عبد الواحد بن يزيد الاسكندرانى فى مجلس فيه رؤساء فعرض عليهم فرس مطهم فتمثل فيه عبد الواحد بقول امرئ القيس يريد السرى بالليل من خيل برّا ففهم الزجالى انه عرّض بأنه من البربر فلم يحتمل ذلك وأراد الجواب فقال مد بجا لما أراده ومعرّضا أحسن عندى من ليل يسرى بى فيه على مثل هذا يوم على الحال التى قال فيها القائل

ويوم كظل الرمح قصر طوله * دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وانما عرّض للاسكندرانى بأنه كان يشهد مجالس الراحات فى أوّل أمره ومعرفة الغناء فقلق الوزير وشكاه الى الحاجب عيسى بن شهيد فاجتمع مع الزجالى وأخذ معه فى ذلك فحكى له الزجالى ماجرى من الاوّل الى الآخر وأنشد

وما الحرّ الا من يدين بمثل ما * يدان ومن يخفى القبيح وينصف
هم شرعوا التعريض قذفا فعندما * تبعناهم لاموا علينا وعنفوا

ومن نوادر ابنه حامد انه غلط امامه فى قوله تعالى الزانية والزانى بأن قال فانكحوهما فأنشده حامد

أبدع القارئ معنى * لم يكن فى الثقلين
أمر الناس جميعا * بنكاح الزانيين

وقال لبعض أصحابه حينئذ أما سمعت ما أتى به امامنا من تبديل الحدود وتضاحكا * وكتب الوزير أبو عبد الله بن عبد العزيز الى المنصور صاحب بلنسية ويعرف بالمنصور الصغير قطعة أوّلها

يا أحسن الناس آدابا وأخلاقا * وأكرم الناس أغصانا واوراقا
ويا حيا الارض لم تنكبت عن سنق * وسقت نحوى ارعادا وابراقا
ويا سنا الشمس لم أظلمت فى بصرى * وقد وسعت بلاد الله اشراقا
من أى باب سعت غير الزمان الى * رحيب صدرك حتى قيل قد ضاقا
قد كنت أحسبنى من حسن رأيك لى * أنى أخذت على الايام ميثاقا
فالآن لم يبق لى بعد انحرافك لى * أسى عليه وأبدى منه اشفاقا

فأجابه بهذه القطعة

مازلت أولك اخلاصا واشفاقا * وأننى عنك مهما غبت مشتاقا
وكان من أملى أن أقتنيك أخا * فأخفق الامل المأمول اخفاقا
فقلت عرش من الاخوان أكلؤه * حتى أرى منه أثمارا وأوراقا
فكان لما زها أزهاره ودنا * اثمارها حنظلا مرا لمن ذاقا
فلست أول اخوان سقيتهم * صفوى وأعلقتهم بالقلب اعلاقا
فجازونى باحسانى ولاعرفوا * قدرى ولاحفظوا عهدا وميثاقا

والوزير المذكور قال فى حقه فى المطمح انه وزير المنصور بن عبد العزيز ورب السبق فى ودّه والتبريز ومنقض الامور ومبرمها ومحمد الفتن ومضرمها اعتقل بالرهى واستقل بالامر والنهى على انتهاض بين الاكفاء واعتراض المحول سومه والاعفاء فاستمر غير مراقب وأمر ماشاء غير ممتثل للعواقب ينتضى عزائم تنتضى فان ألمت من الايام مظلمة أضا الى أن أودى وغار منه الكوكب الاهدى فانتقل الامر الى ابنه أبى بكر فناهيك من أى عرف ونكر فقدر بى على الدهماء وماصبا الى الظبية والمهاء واستقل بالهول يقتحمه والامر يسديه ويلحمه فأى ندى أفاض وأى أجنحة بمدى هاض فانقادت اليه الآمال بغير خطام ووردت من نداه بحر طام ولم يزل بالدولة قائما وموقطا من بهجتها ما كان نائما الى أن صار الامر الى المأمون بن ذى النون أسد الحروب ومسدد الثغور والدروب فاعتمد عليه واتكل ووكل الامر الى غير وكل فما تعدى الوزارة الى الرياسة ولا تردى بغير التدبير والسياسة فتركه مستبدا ولم يجد من ذلك بدا وكان أبو بكر هذا ذا رفعة غير متضائلة وآراء لم تكن آفلة أدرك بها ما أحب وقطع غارب كل منافس وجب الى أن طلحه العمر وأنضاه وأغمده الذى انتضاه فخلا الامر الى ابنيه فتبلدا فى التدبير ولم يفرقا بين القبيل والدبير فغلب عليهما القادر بن ذى النون وجلب اليهما كل جلب ما خلا المنون فانجلوا بعد ما ألقوا ما عندهم وتخلوا وكان لابى عبد الله نظم مستبدع يوضع بين الجواهر ويودع انتهى المقصود من الترجمة * وكان للوزير أبى الفرج ابن مكبود قد أعياه علاجه وتهيأ للفساد مزاجه فدل على خمر قديمة فلم يعلم بها الا عند حكيم وكان وسيما للحسن قسيما فكتب اليه

أرسل بها مثل ودك * أرق من ماء خدك
شقيقة النفس فانضح * بها جوى ابنى وعبدك

وكتب رحمه الله تعالى معتذرا عما جناه منذرا

ما تغيبت عنك الا لعذر * ودليلي في ذاك حرصي عليكا
هبك ان الفرار من غير ذنب * أتراه يكون الا اليكا

قوله في ذاك حرصي في نسخة بدله اني حريص وقوله من غير ذنب في نسخة من عظيم ذنبي اه

وقال في المطمح في حق أبي الفرج من ثنية رياسه وعترة نفاسه ما منهم الا من تحلى بالامارة وترقى بالوزارة وأضاء في آفاق الدول ونهض بين الخيل والخول وهو أحد أمجادهم ومتقلد نجادهم فاقهم أدبا ونبلا وباراهم كرما تخاله وبلا الا انه بقي وذهبوا ولقي من الايام ما رهبوا فعاين تنكرها وشرب عكرها وجال في الآفاق واستدر أخلاف الارزاق وأجال الرجاء قداحا متواليات الاخفاق فأخمل قدره وتوالى عليه جور الزمان وغدره فاندفنت آثاره وعفت أخباره وقد أثبت له بعض ما قاله وحاله قد أدبرت والخطوب اليه قد انبرت أخبرني الوزير الحكيم أبو محمد المصري وهو الذي آواه وعنده استقرت نواه وعليه كان قادما وله كان منادما انه رغب اليه في أحد الايام أن يكون من جملة ندمائه وأن لا يحجب عنه وتكون منة من أعظم نعمائه فأجابه بالاسعاف واستساغ منه ما كان يعاف لعلمه بقلته وافراط خلته فلما كان ذلك اليوم كتب اليه

أنا قد أبهت بكم وكلكم هدى * وأحقكم بالشكر مني السابق
فالشمس أنت وقد أطل طلوعها * فاطلع وبين يديك فجر صادق انتهى

وقال الوزير أبو عامر بن مسلمة

حج الحجيج مني فقازوا بالمنى * وتفرقت عن خيفه الاشهاد
ولنا بوجهك حجة مبرورة * في كل يوم تنقضي وتعاد

وقال الفتح في حقه ما صورته بيت شرف باذخ ومفخر على ذوائب الجوزاء شامخ وزروا للغلفاء فاتجعتهم الادباء واتبعتهم العظماء وانتسبت لهم النعماء وتنفست عن نور بهجتهم الظلماء وأبو عامر هذا هو جوهرهم المنتخل وجوادهم الذي لا يبخل وزعيمهم المعظم وسلك مفخرهم المنظم وكان فتى المدام ومستفتى الندام وأكثر من النعت للراح والوصف وآثر الافراح والقصف وأرى قينات السرور مجلوه وآيات الحسن متلوه وله كتاب سماه حديقة الارتياح في وصف حقيقة الراح واختص بالمعتضد اختصاص جرعه رداه وصرعه في مداه فقد كان في المعتضد من عدم تحفظه للارواح وتهاونه باللوام في ذلك واللواح فاطمأن اليه أبو عامر واغتر وأنس الى ما بسم من مؤانسته وافتر حتى أمكنته في اغتياله فرصه لم يعلق بها حصه ولم يضيق عليه الا انه زلت به قدمه فسقط في البحيرة وانكفا ولم يعلم به الا بعد ما طفا فأخرج وقد قضى وأدرج منه في الكفن حسام المجد منتضى فمن محاسنه قوله يصف السوسن وهو مما أبدع فيه وأحسن

وسوسن راق مرآه ومخبره * وجل في أعين النظار منظره
كأنه أكؤس البلور قد صنعت * مستدسات تعالى الله مظهره

قوله فقد كان الخ هكذا في الاصل ولعل المناسب لما كان الخ تأمل اه مصححه

وبينها ألسن قد طوقت ذهبا * من بينها قائم بالملك يؤثره

الى أن قال واجتمع بجنة بخارج اشبيليه مع أخدان له عليه فبينما هم يديرون الراح ويشربون من كاسها الافراح والجو صاح اذ بالافق قد غيم وأرسل الديم بعدما كسا الجو بطارف الرذاذ وأشعر الغصون دهر قباذ والشمس منتقبة بالسحاب والرعد يبكيها بالانتحاب فقال

يوم كان سحابه * لبست عمامات الصوامت
حجبت به شمس الضحى * بمثال أجنحة الفواخت
والغيث يبكي فقدها * والبرق يضحك مثل شامت
والرعد يخطب مفصحا * والجو كالمحزون ساكت

قوله مثل شامت في نسخة ضحك شامت وقد تقدمت هذه الابيات فلتنظر اه

وخرج الى تلك الخميلة والربيع قد نشر رداءه ونثر على معاطف الغصون نداءه فأقام بها وقال

وخميلة رقم الزمان أديمها * بمفضض ومقسم ومشوب
رشفت قبيل الصبح ريق غمامة * رشف المحب مراشف المحبوب
وطردت في اكنافها ملك الصبا * وقعدت واستوزرت كل أديب
وأدرت فيها الدهر كاس مدامة * مع كل وضاح الجبين مهوب

وقال الوزير الكاتب أبو حفص أحمد بن برد

قلبي وقلبك لا محالة واحد * شهدت بذلك بيننا الالحاظ
فتعال فلنغظ الحسود بوصلنا * ان الحسود بمثل ذا يتغاظ

وقال

يا من حرمت لذاذتي بمسيره * هذي النوى قد صعرت لي خدها
زودجفوني من جمالك نظرة * والله يعلم ان رأيتك بعدها

وقال في المطمح في ابن برد المذكور انه غذي بالادب وعلا الى أسمى الرتب ونما من أهل بيته الاشاعر كاتب ملازم لباب السلطان مراقب ولم يزل في الدولة العامرية بسبق يذكر وحق لا ينكر وهو بديع الاحسان بليغ القلم واللسان مليح الكتابه فصيح الخطابه وله رسالة السيف والقلم وهو أول من قال بالفرق بينهما وشعره مثقف المباني مرهف كالحسام اليماني وقد أثبت منه ما يلهيك سماعا ويريك الاحسان لماعا فمن ذلك قوله يصف البهار

تأمل فقد شق البهار كأنما * وأبرز عن نواره الخضل الندى
مداهن تبرفي أنامل فضة * على أذرع مخروطة من زبرجد

وله يصف معشوقا أهيف القد ممشوقا أبدى صفحة ورد وبدا في ثوب لازورد

لما بدا في لازور * دي الحرير وقد بهر
كبرت من فرط الجما * ل وقلت ما هذا بشر
فأجابني لا تنكرن * ثوب السماء على القمر

وقال

وقال الوزير الكاتب أبو جعفر بن اللمائى

أ لما فديتكما نستلم * منازل سلمى على ذى سلم
منازل كنت بها نازلا * زمان الصبا بين جيد وفم
أما تجدن الثرى عاطرا * اذا ما الرياح تنفسن ثم

قوله جيد فى نسخة خد اه

وقال فى المطمح فيه امام من أئمة الكتابة ومفجر ينبوعها والظاهر على مصنوعها بطبوعها اذا كتب نثر الدرّ فى المهارق ونمت فيه أنفاسه كالمسك فى المهارق وانطوى ذكره على انتشار احسانه مع امتداد لسانه فلم تطل لدوحته فروع ولا اتصل لها من نهر الاحسان كروع فاندفنت محاسنه من الاهمال فى قبر وانكسرت الآمال بعدم بدائعه كسرا بعد جبر وكان كاتب على بن حمود العلوى وذكر انه كان يرتجل بين يديه ولا يروّى فيأتى على البديه بما يفعله المروّى وبديه فمن ذلك ما كتب به متفننا من ضمن رسالة روض القلم فى فنائك مونق وغصن الادب بمائك مورق وقد قذف بحر الهند درره وبعث روض نجد زهره فأهدى ذلك على يدى فلان الجارى فى جهده على مبانى قصده * وقال الوزير حسان بن مالك بن أبى عبدة فى المهرجان

أرى المهرجان قد استبشرا * غداة بكى المزن واستعبرا
وسربلت الارض أمواهها * وجللت السندس الاخضرا
وهز الرياح صنابيرها * فضوّعت المسك والعنبرا
تهادى به الناس الطافه * وسامى المقل به المكثرا

وقال فى حقه فى المطمح من بيت جلالة وفخر أصالة كانوا مع عبد الرحمن الداخل وتوغلوا معه فى متشعبات تلك المداخل وسعوا فى الخلافة حتى حضر مبايعها وكثر مشايعها وجدّوا فى الهدنة وانعقادها وأخمدوا نار الفتنة عند اتقادها فانبرمت عراها وارتبطت أولاها وأخراها فظهرت البيعة واتضحت وأعلنت الطاعة وأفصحت وصاروا تاج مفرقها ومنهاج طرقها وهو ممن بلغ الوزارة بعد ذلك وأدركها وحلّ مطلعها وفلكها مع اشتهار فى اللغة والآداب وانخراط فى سلك الشعراء والكتاب وابداع لما ألف وانتهاض بما تكلف ودخل على المنصور وبين يديه كتاب ابن السرى وهو به كلف وعليه معتكف فخرج وعمل على مثاله كتابا سماه ربيعة وعقيل جرّده من ذهنه أى سيف صقيل وأتى به منتضى مصورا فى ذلك اليوم من الجمعة الاخرى وأبرزه والحسن يتبسم عنه ويتفرّى فسرّ به المنصور وأعجب ولا غاب عن بصره ساعة ولا عجب وكان له بعد هذه المدة حين أدبت الفتنة ليلها وأزجت ابلها وخيلها اغتراب كاغتراب الحرث بن مضاض واضطراب بين القوافى والمواضى كالمية النضناض ثم اشتهر بعد وافترّ له السعد وفى تلك المدة يقول يتشوّق الى أهله

سقى بلدا أهلى به واقاربى * غواد بأثقال الحيا وروائح
وهبت عليهم بالعشىّ وبالضحى * نواسم برد والظلال فوائح
تذكرتهم والنأى قد حال دونهم * ولم أنس لكن أوقد القلب لافح

وعما شجانى هاتف فوق أيكة * ينوح ولم يعلم بما هو نائح
فقلت اتئد يكفيك أنى نازح * وأن الذى أهواه عنى نازح
ولى صبية مثل الفراخ بقفرة * متى خاضتا فيها طحتها الطوائح
اذا عصفت ريح أقامت رؤسها * فلم يلقها الا طيور بوارح
فمن لصغار بعد فقد أبيهم * سوى سانح فى الدهر لو عن سانح

قوله متى خاضتا فيها فى نسخة متى خاضتا تيها الخ ولا يخفى ما فيه فلعله محرف والاصل متى سبحت فيها أو نحو ذلك مما يلائم تأمل اه مصححه

واستوزره المستظهر عبد الرحمن بن هشام ايام الفتنة فلم يرض بالحال ولم يمض فى ذلك الانتحال وتثاقل عن الحضور فى كل وقت وتغافل فى ترك الغرور بذلك المقت وكان المستظهر يستبد بأكثر تلك الامور دونه وينفرد مغيبا عنه شؤنه فكتب اليه

اذا غبت لم أحضر وان جئت لم أسل * فسيان منى مشهد ومغيب
فأصبحت تيما وما كنت قبلها * لتيم ولكن الشبيه نسيب

وله

رأت طالعا للشيب بين ذوائبى * فباحت بأسرار الدموع السواكب
وقالت أشيب قلت صبح تجاربى * انا رعلى أعقاب ليل نوائبى

ولما مات رثاه الوزير أبو عامر بن شهيد بقوله

أفى كل عام مصرع لعظيم * أصاب المنايا حادثى وقديمى
وكيف اهتدائى فى الخطوب اذا دجت * وقد فقدت عيناى ضوء نجوم
مضى السلف الوضاح الا بقية * كغرة مسود القميص بهيم
فان ركبت منى الليالى هضيمة * فقبلى ما كان اهتضام تميم
اباعبدة انا غدرنا لك عندما * رجعنا وغادرنا لك غير ذميم
أنخذل من كنا نروض بأرضه * ونكرع منه فى اناء معلوم
ويجلوا العمى عنا بأنوار رأيه * اذا أظلمت ظلماء ذات غيوم
كأنك لم تلقح بريح من الجا * عقائم أفكار بغير عقيم
ولم نعتمد مغنالك غدوا ولم نزر * رواح الفصل الحيكم دار حكيم انتهى

وقال الوزير الفقيه أبو أيوب بن أمية

أمسك دارين حيالك النسيم به * أم عنبر الشحر أم هذى البساتين
بشاطئ الروض حيث الروض مؤتلق * والراح تعبق أم تلك الرياحين

وحلاه فى المطمح بقوله واحد الاندلس الذى طوقها فخارا وطبقها بأوانه افتخارا ماشئت من وقار لا تحيل الحركة سكونه ومقدار يمنى مخبر أن يكونه اذا لاح رأيت المجد مجتمعا واذا فاه أضحى كل شئ مستمعا تكتحل منه مقل المجد وتتحلى المعالى أفعاله اتحال ذى كأن بها ووجد لو تعرفت فى الخلق سجاياه لحدث الشيم واستقيت بمحياه لما استمسكت الديم ودعى للقضاء فارضى وأغنى عنه فكانه ما استقضى لديه تثبت الحقائق وتبينت العلائق وبين يديه يسلك عين الجدد ويدع اللدد اللدد وله أدب اذا حاضر به فلا البحر اذا عصف ولا أبو عثمان اذا وصف مع حلاوة فيما شاه تستهوى

تحبيره

تجبيره وانشاءه وقد أثبت له بدعا ينتمى اليها الاحسان جيدا واخذعا فمن ذلك قوله فى منزل حله متنزها

يا منزل الحسن أهواه وآلفه * حقا لقد جمعت فى صحنك البدع
لله ما اصطنعت نعماك عندى فى * يوم نعمت به والشمل مجتمع

وحل منية صهره الوزير أبى مروان بن الدب بعدوة اشبيلية المطلة على النهر المشتملة على بدائع الزهر وهو معرس ببنته فأقام بها أياما متأنسا بجذوة السرور مقتبسا وأولاه من التحف وأهدى اليه من الطرف ما غمر كثره وبهر نفاسة واثره فلما ارتحل وقد اكتحل من حسن ذلك الموضع بما اكتحل كتب اليه

قل للوزير وأين الشكر من منن * جاءت على سنن تترى وتتصل
غشيت مغناك والروض الانيق به * يندى وصوب الحيا يهمى ويهمل
وجال طرفى فى أرجائه مرحا * وقت اجتيازى يستعلى ويستفل
يرنو بلفتته حيث ارتمى زهر * عليه من منثنى أفنانه كلل
محل أنس نعمنا فيه آونة * من الزمان ووانانا به الأمل

وحل بعد ذلك متنزها بها على عادته فاحتفل فى موالاة ذلك البر واعادته فلما رحل كتب اليه

يا دار أمتعك الزما * ن صروفه ونوائبه
ودنت سعودك بالذى * يهوى نزيلك آيبه
فلنعم ماوى الضيف أنـ * ـت اذا تحاموا جانبه
خطر شأوت به الديا * ر وأذعنت لك قاطبه

وصنع له ابن عبد الغفور رسالة سماها بالساجعة حذا بها حذو أبى العلاء المعرى فى الصاهل والساجع وبعث بها اليه فعرضها عليه فأقامت عنده أياما ثم استدعاها منه فصرفها اليه وكتب معها بكر زففتها أعزك الله تعالى نحوك وهززت بعقدمها سنانك وسروك فلم ألفظها عن شبع ولا جهلت ارتفاعها عما يجتلى من نوعها ويستمع ولكن لما أنست من أنسك بانتجاعها وحرصك على ارتجاعها دفعت فى صدر الولوع وتركت بينها وبين مجاثمها تلك الربوع حيث الادب غض وماء البلاغة مرفض فاسعد أعزك الله بكرتها وسلها عن افائين معرتها بما تقطفه من ثمارك وتغرفه من بحارك وترتاح له ولاخوانه من نتائج أفكارك وانها الشنشنة أعرفها فيكم من أخزم وموهبة حزتموها وأحرزتم السبق فيها منذ كم انتهى * وابن عبد الغفور هو الوزير أبو القاسم الذى قال فيه الفتح فتى زكا فرعا وأصلا وأحكم البلاغة معنى وفصلا وجرد من ذهنه على الاغراض نصلا قد ذهابه وفراها وقدح زند المعالى حتى أوراها مع صون يرتديه ولا يكاد يبديه وشيبة ألحقته بالكهول فاقفرت منه ربعها الماهول وشرف ارتداه وسلف اقتدى أثره الكريم واقتداه وله شعر بديع السرد مفوف البرد وقد أثبت له منه ما ألفيت وبالدلالة عليه اكتفيت فمن ذلك قوله

قوله ولاخوانه هكذا فى الاصل ولعلها محرفة والاصل ولامثاله او نحو ذلك فاذا لى اسقاطها تأمل اه مصححه

تركت التصابي للصواب وأهله * وبيض الطلا للبيض والسمر للسمر
مدامي مدادي والكؤس محابري * وندماي أقلامي ومنقلبي سفري

وله

لا تنكروا أنني في رحلة أبدا * نحث في نقف طورا وفي هدف
قد هرنا سدفة ونحن أنجمها * وليس ينكر مجرى النجم في السدف
لو أسفر الدهر لي أقصرت عن سفري * وملت عن كفي بهذه الكلف

وله من قصيدة

رويدك يا بدر التمام فانني * أرى العيس حسري والكواكب طلعا
كأن أديم الصبح قد قد أنجما * وغود ردع الليل فيها مرقعا
فاني وان كان الشباب محببا * الي وفي قلبي أجل وأوقعا
لآنف من حسن بشعري مفتري * وآنف من حسن بشعري قنعا انتهى

وقال الوزير أبو الوليد بن حزم

اليك أبا حفص وما عن ملالة * ثنيت عناني والحبيب حبيب
مقالا يطير الجمر عن جنباته * ومن تحته قلب عليك يذوب
مضت لك في أفياء ظلي صولة * لها بين أحناء الضلوع دبيب
ولكن أبى الا اليك التفاتة * فزاد عليه من هواك رقيب
وكم بيننا لو كنت تحمد ما مضى * اذا العيش غض والزمان قشيب
وتحت جناح الغيم أحشاء روضة * بها الخفوق العاصفات وجيب
وللزهر في ظل الرياض تبسم * وللطير منها في الغصون نحيب

وقال في الزهد

ثلاث وستون قد جزتها * فماذا تؤمل أو تنتظر
وحل عليك نذير المشيب * فما ترعوي أو فما تزدجر
تمتع لياليك مرّ احثينا * وأنت على ما ترى مستمر
فلو كنت تعقل ما ينقضي * من العمر لاعتضت خيرا بشر
فمالك لا تستعد اذن * لدار المقام ودار المقر
أترغب عن فجأة للمنون * وتعلم أن ليس منها مفر
فاما الى جنة أزلفت * واما الى سقر تستعر

وقال ابن أبي زمنين

الموت في كل حين ينشر الكفنا * ونحن في غفلة عما يراد بنا
لا تطمئن الى الدنيا وبهجتها * وان توشحت من أثوابها الحسنا
أين الاحبة والجيران ما فعلوا * أين الذين هم كانوا الناسكنا
سقاهم الموت كاسا غير صافية * فصيرتهم لاطباق الثرى رهنا
تبكي المنازل منهم كل منسجم * بالمكرمات وترثي البر والمننا

حسب الحمام لو أبقاهم وأمهلهم * أن لا يظن على معلومه حسنا

وقال فى المطمح الفقيه أبو عبد الله محمد بن ابى زمنين فقيه متبتل وزاهد لا منحرف الى الدنيا ولا منفتل هجرها هجر المنصرف وحل أوطانه فيها محل المعترف لعلم بارتحاله عنها وتقويضه وايداله منها وتعويضه ينظر بقلبه لا بعينه وانتظر يوم فراقه وبينه ولم يكن له بعد ذلك بها اشتغال ولا فى شعاب تلك المسالك ايغال وله تآليف فى الوعظ والزهد وأخبار الصالحين تدل على تخليته عن الدنيا واتراكه والتفلت من حبائل الاغترار وأشراكه والتنقل من حال الى حال والتأهب للارتحال ويستدل به على ذلك الانتحال فمنها قوله الموت فى كل حين ينشر الكفنا فذكر الابيات انتهى * وقال خلف بن هرون يمدح الحافظ أبا محمد بن حزم

يخوض الى المجد والمكرمات * بحار الخطوب وأهوالها
وان ذكرت للعلا غاية * ترقى اليها وأهوى لها

وقال فى المطمح فيه فقيه مستنبط ونبيه بقياسه مرتبط ما تكلم تقليدا ولا عدا اختراعا وتوليدا ما تمنت به الاندلس أن تكون كالعراق ولا حنت الانفس معه الى تلك الآفاق أقام بوطنه ومابرح عن عطنه فلم يشرب ماء الفرات ولم يقف عيشة الثمرات ولكنه أربى على من من ذلك غذى وأزرى على من هنالك نعل وحذى تفرد بالقياس واقتبس نار المعارف أى اقتباس فناظر بها أهل فاس وصنف وحبر حتى أفنى الانفاس ونابذ الدنيا وقد تصدت له بأفتن محيا وأهدت اليه أعبق عرف وريا وخلع الوزارة وقد كسته ملاها وألبسته حلاها وتجرد للعلم وطلبه وجد فى اقتناء نخبه وله تآليف كثيرة وتصانيف أثيرة منها الايصال الى فهم كتاب الخصال وكتاب الاحكام لاصول الاحكام وكتاب المقصد فى الاهواء والملل والنحل وكتاب مراتب العلوم وغير ذلك مما لم يطر مثله من هنالك مع سرعة الحفظ وعفاف اللسان واللحظ وفيه يقول خلف بن هرون يخوض الى المجد والمكرمات ولابن حزم فى الادب سبق لا ينكر وبديهة لا يعلم انه روى فيها ولا فكر وقد أثبت من شعره ما يعلم انه أوحد وما مثله فيه أحد ثم ذكر جملة من نظمه ذكرناها فى غير هذا الموضع * وكتب أبو عبد الله بن مسرة الى أبى بكر اللؤلؤى يستدعيه فى يوم طين ومطر لقضاء أرب من الانس ووطر

أقبل فان اليوم يوم دجن * الى مكان كالضمير مكنى
لنا بحكم فيه أشهى فتن * فأنت فى ذا اليوم أمشى منى

وقال فى المطمح ان ابن مسرة كان على طريق من الزهد والعبادة سبق فيها واتسق فى سلك مقتفيها وكانت له اشارات غامضه وعبارة عن منازل الملحدين غير دامضه ووجدت له مقالات رديه واستنباطات مرديه نسب بها اليه رهق وظهر له فيها مزحل عن الرشد ومزهق فتتبعت مصنفاته بالحرق واتسع فى استباحتها الخرق وغدت مهجوره على التالين محجوره وكان له تعمق فى البلاغة وتدقيق لمعانيها وتزويق لاغراضها

قوله ولم يقف فى نسخة ولم ينقف اه

وتشييد لمبانيها انتهى وهو من نمط الصوفية الذين تكلم فيهم والتسليم أسلم والله تعالى بأمرهم أعلم *(ومن حكايات أهل الاندلس) في الانقباض عن السلطان والفرار من المناصب مع العذر اللطيف ما حكاه في المطمح في ترجمة الفقيه أبي عبد الله الحسني اذ قال كان فصيح اللسان جزيل البيان وكان أنوفا منقبضا عن السلطان لم يتشبث بدنيا ولم يتكثر له مبرم عليا دعاه الامير محمد الى القضاء فلم يجب ولم يظهر رجاءه المحتجب وقال أبيت عن أمانة هذه الديانة كما أبت السموات والارض عن حمل الامانة اباية اشفاق لا اباية عصيان ونفاق وكان الامير قد أمر الوزراء باجباره أو حمل السيف ان تمادى على تأبيه واصراره فلما بلغه قوله هذا اعفاه قال وكان الغالب عليه علم النسب واللغة والادب ورواية الحديث وكان مأمونا ثقه وكانت القلوب على حبه متفقه وله رحلة دخل فيها العراق ثم عاد الى هذه الآفاق وعندما اطمأنت داره وبلغ أقصى مناه مداره قال كان لم يكن بين ولم تك فرقة الابيات انتهى وهذه الابيات قدمناها في الباب الخامس في ترجمة القاضي ابن أبي عيسى فانت ترى كلام الفتح قد اضطرب في نسبتها فمرة نسبها الى هذا ومرة نسبها الى ذاك وهي قطعة عرفها ذاك *(ومن دعابات أهل الاندلس وملحهم) ما يحكى عن أبي الحلي وهو علي أبو الحلي الكناني أبو الحسن قال لسان الدين كان شيخا مليح الحديث حافظا للمسائل الفقهية قائما على الدولة مضطلعا بمشكلاتها كثير الحكايات يحكى انه شاهد غرائب وملحا فيفقهها عليه بعض الطلبة ويتعدون ذلك الى الافتعال والمداعبة حتى جمعوا من ذلك جزءا سموه السالك والحلي في أخبار ابن أبي الحلي فمن ذلك انه كانت له هرة فدخل البيت يوما فوجدها قد بلت احدى يديها وجعلتها في الدقيق حتى علق بها ونصبتها بازاء كوة فارورفعت اليد الاخرى لصيده فناداها باسمها فنزوت رأسها وجعلت اصبعها على فمها على هيئة المشير بالصمت وأشباه ذلك وتوفي المذكور سنة ٤٠٦ قاله في الاحاطة *(ومن أجوبة ملوك الاندلس) أن نزارا العبيدي صاحب مصر كتب الى المرواني صاحب الاندلس كتابا يسبه فيه ويهجوه فكتب اليه المرواني أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لاجبناك والسلام فاشتد ذلك على نزار وأفحمه عن الجواب * وحكى انه كتب الى العبيدي ملك مصر مفتخرا

ألسنا بني مروان كيف تبدلت * بنا الحال أو دارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

*(ومن غريب ما يحكى من قوة أهل الاندلس وشجاعتهم) أن الامير حريز بن عكاشة من ذرية عكاشة بن محصن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم المازل بساحته أذفونس ملك ملوك الروم فبدأهم بخراب ضياعها وقطع الشجر فكتب اليه حريز ليس من أخلاق القدير الفساد والتدمير فان قدرت على البلاد أفسدت ملكك ولو كان الملك في عشرة أمثال عددي لم ينزل لي بساحه ولا تمكن منها براحه فلما وصلته الرسالة عف وأمر بالكف وبعث الملك يرغبه في الاجتماع به فاسترهنه في نفسه عدة من ملوك الروم فأجاب

الى ما ارتهن ولما صاروا الى المدينة البيضاء وهى قلعة رباح غربى طليطلة خرج حرير لابسا لامة حربه يرمق الروم منه شخصا أوتى بسطة فى الجسم والبسالة يتحدثون بما لات حربه ويتعجبون من شجاعة قلبه ولما وصل فسطاط الملك تلقته الملوك بالرحب والسعة ولما أراد النزول عن فرسه ركز رمحه فأبصر الملك منه هيئة تشهد له بما عنه حدث وهيبة يجزع للقائها الشجاع ويكترث فدعاه الى البراز عظيم أبطالهم فقال له الملك يا حرير أريد أن أنظر الى مبارزتك هذا البطل فقال له حرير المبارز لا يبارز الا كفاءه وان لى بينة على صدق قولى ان ليس لى فيهم كفؤ هذا رمحى قد ركزته فمن ركب واقتلعه بارزته كان واحدا او عشرة فركب عظيمهم فلم يهز الرمح من مكانه حين رامه ثم فعل ذلك مرارا فقال له الملك أرنى يا حرير كيف تقلعه فركب وأشار بيده واقتلعه فعجب القوم ووصله الملك وأكرمه انتهى وكان حرير هذا شاعرا ولما اجتاز به كاتب ابن ذى النون الوزير أبو المطرف بن المثنى كتب اليه

يا فريدا دون ثانى • وهلالا فى العيان
عدم الراح فصارت • مثل دهن البلسان

فجاوبه حرير وهو يومئذ أمير قلعته

يا فريدا لا يجارى • بين أبناء الزمان
جاء من شعر لك روض • جاد صوب البيان
فبعثنا ها سلافا • كسجايا لك الحسان

وكان لحرير كاتب يقال له عبد الحميد بن لاطون فيه تغفل شديد فأمره أن يكتب الى المأمون بن ذى النون فى شأن حصن دخله النصارى فكتب وقد بلغنى أن الحصن الفلانى دخله النصارى ان شاء الله تعالى فهذه الواقعة التى ذكرها الله تعالى فى القرآن بل هى الحادثة الشاهدة باشراط الزمان فانا لله على هذه المصيبة التى هدت قواعد المسلمين وأبقت فى قلوبهم حسرة الى يوم الدين فلما وصل الكتاب للمأمون ضحك حتى وقع للارض وكتب لابن عكاشة جوابه وفيه وقد عهدناك منتقيا الامور نقاد الصغير لك والكبير فكيف جاز عليك أمر هذا الكاتب الابله الجلف وأسندت اليه الكتب عنك دون أن تطلع عليه وقد علمت أن عنوان الرجل كتابه ورائد عقله خطابه وما أدرى من أى شئ يتعجب منه هل من تعليقه ان شاء الله تعالى بالماضى أم من حسن تفسيره للقرآن ووضعه مواضعه أم من تورعه عن تأويله الا بتوقيف من سماع عن امام أم من تهويله لما طر أعلى من يخاطبه أم من علمه بشأن هذا الحصن الذى لو أنه القسطنطينية العظمى ما زاد على عظمه وهو نه شيأ ولو أن حقيرا يخفى عن علم الله تعالى لخفى عنه هذا الحصن ناهيك من صخرة حيث لا ماء ولا مرعى منقطع عن بلاد الاسلام خارج عن سلك النظام لا يعبره الا لص فاجر أو قاطع طريق غير متظاهر حراسه لا يتجاوزون الخمسين ولا يرون خبز البر عندهم الا فى بعض السنين باعه أحدهم بعشرين دينارا واعمرى انه لم يغبن فى بيعه ولا ربح أرباب ابتياعه وأراح من الشين بنسبته والنظر فى خداعه فليت

شعرى ما الذى عظمه فى عين هذا الجاهل حتى خطب فى أمره بما لم يخطب به فى حرب واثل فلما وقف حريز على الكتاب كتب لابن ذى النون جوابا منه وان المذكور ممن له حرمة قديمة تغنيه عن أن يبت بسواها وخدمة محمود أولاها وأخراها ولسنا ممن اتسعت مملكته وعظمت حضرته فنحتاج الى انتقاء الكتاب والتحفظ فى الخطاب وانما نحن أحلاس ثغور وكتاب كتائب لا سطور وان يكن الكاتب المذكور لا يحسن فيما يلقيه على القلم فانه يحسن كيف يصنع فى مواطن الكرم وله الوفاء الذى تحدث به فلان وفلان بل سارت بشأنه فى أقصى البلاد الركبان وليس ذلك يقدح عندنا فيه بل زاده لكونه دالا على صحة الباطن والسذاجة فى الاكرام والتنويه انتهى • ولهذا الكاتب شعر يسقط فيه سقوط الاغبياء وقد يتنبه فيه تنبه الاذكياء فمنه قوله من قصيدة يمدح حريزا المذكور مطلعها

يذكرنى بهم العنبر • وظلم ثناياهم سكر

الى أن قال

ولولا معاليك ياذا الندى • لما كان فى الارض من يشعر
فلا تنكرن زحاما على • ذرا الروى كفلك الكوثر

ومشى فى موكبه وهم فى سفر وكان فصل المطر والطين فجعل فرسه فى ذنب فرس ابن عكاشة فلما أثارت يد افرسه طينا جاء فى عنق أميره فغطى ذلك الامير فقال له يا أبا محمد تقدم فقال معاذ الله أن أسىء الادب بالتقدم على أميرى فقال فان كان كذلك فتأخر مع الخيل فقال مثلى لا يزال على ركابك فى مثل هذه المواضع فقال له فقد والله أهلكتنى بما ترمى بيدا فرسك على من الطين فقال أعزك الله الامير فوالله ما علمت أن يد فرسى تصل الى عنقك فضحك ابن عكاشة حتى كاد يسقط عن مركوبه • وكان بسرقسطة غلام اسمه يحيى بن يطفت من بنى يفرن قد نشأ عند ملكها المقتدر بن هود وتخلق بالمركوب والادب وكان فى غاية الجمال والحلاوة والظرف فعلق بقلب ابن هود وكتم حبه زمانا فلم يتكتم فكتب له

قوله يفرن فى نسخة يفون اه

ياظبيا بالله قل لى • متى ترى فى حبالى
يمر عمرى وحالى • من خيبتى منك خالى

فكتب له الغلام فى ظهر الرقعة

ان كنت ظبيا فأنت الشهر بر تبغى اغتيالى
وليس يخطر يوما • حلول غيل ببالى

ثم كتب بعدهما هذا ما اقتضاه حكم الجراب فى النظم وأنا بعد قد جعلت رسنى بيد سيدى فعسى أن يقودنى الى ما أحب لا ما أكره والذى أحبه أن يكون بيننا من المحبة ما يقضى بدوام الاخلاص ونأمن فى مغبته من العار والقصاص فتركه مدة ثم كتب له يوما على الصورة التى ذكرها

ماذا ترى فى يوم أمن طرزت • حلل السحاب به البروق المذهبه
وأنا وكاسى لا جليس غيره • ملآن لا يخلوا الى أن تشربه

والانس ان يسرته متيسر • ومتى تصعبه فيا ما أصعبه

فأجابه

يا مالكا بذ الملوك بعلمه • وخلاله وعلوه فى المرتبه
وافى نداك فخرت عند جوابه • اذ ما تضمن ريبة مستغربه
انا اذا نخلو وتقول حاسد • وغدا بهذا الامر ينصر مذهبه
هبنى الى يوم تطيش به النهى • والبيض تنضى والقنا متناشبه
وهنالك فانظرنى بعين بصيرة • فالشبل يعرف أصله من جربه

ثم أعلاه الى درجة الوزارة والقيادة الى أن قتل فى جيش كان قدمه عليه فقال فيه من قصيدة

يا صارما أغمدته • عن ناظرى الصوارم
وزهرة غيبتها • من الطيور كمائم
يا كوكبا خر من انسجمى وأننى راغم
بكت على وشقت • جيوبهن الغمائم
قل للغمائم انى • أصبحت أحكى الحمائم
وأنثر الدمع مهما • رأيت للزهر باسم
تالله لا ذ عيش • لمسترف لك عادم

ولما رحل الوزير عبد البر بن فرسان من وادى آش الى على الميورقى صاحب قسنطينة افريقية أقبل عليه ثم ولى أخوه يحيى الامارة بعده فأسند جميع أموره اليه فقال يخاطبه

أجبنا ورجى ناصرى وحسامى • وعجزا وعزمى قائدى وامامى
ولى منك بطاش اليدين غضنفر • يحارب عن أشباله ويحامى
ألا غنيانى بالصهيل فانه • سماعى ورقراق الدماء مدامى
وحطا على الرمضاء رحلى فانها • مهادى وخفاق البنود خيامى

وكان الامير أبو عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس من أبطال عصره وكان يدفع فى المواكب ويشقها يمينا وشمالا منشدا

أكر على الكتيبة لا أبالى • أحتفى كان فيها أم سواها

حتى انه دفع مرة فى موكب من النصارى فصرع منهم وقتل وظهر منه ما أعجبت به نفسه فقال لشخص من خواصه عالم بأمور الحرب كيف رأيت قال لو آلك السلطان لزاد فيما لك فى بيت المال وأعلى مرتبتك أمن يكون رأس جيش يقدم هذا الاقدام ويتعرض بجهلك نفسه الى هلاك من معه فقال له دعنى فانى لا أموت مرتين واذا مت أنا فلا عاش من بعدى

•(ومن حكاياتهم فى الظرف) أن القاضى أبا عبد الله محمد بن عيسى من بنى يحيى بن يحيى خرج الى حضور جنازة وكان لرجل من اخوانه منزل بقرب مقبرة قريش فعزم عليه فى المبيت اليه فنزل وأحضر له طعاما وغنت جارية

طابت بطيب لثاتك الاقداح • وزها بحمرة وجهك التفاح

واذا الربيع تنسمت أرواحه * نمت بعرف نسيمك الارواح
واذا الحنادس ألبست ظلماءها * فضياء وجهك فى الدجى مصباح

فكتبها القاضى طرباعلى ظهريده قال الراوى فلقد رأيته يكبر على الجنازة والابيات على ظهريده *(ومن حكاياتهم فى البلاغة) ماذكره فى المطمح أن الوليد بن عقال لما انصرف من الحج اجتمع مع أبى الطيب فى مسجد عمرو بن العاص بمصر فقاوضه قليلا ثم قال له أنشدنى لملح الاندلس يعنى ابن عبدربه فأنشده

يالؤلؤا يسبى العقول أنيقا * ورشا بتعذيب القلوب رفيقا
ماان رأيت ولاسمعت بمثله * درّا يعود من الحياء عقيقا
واذا نظرت الى محاسن وجهه * أبصرت وجهك فى سناه غريقا
يامن تقطع خصره من رقة * مابال قلبك لايكون رقيقا

فلما كمل انشادها استعادها ثم صفق بيديه وقال يا ابن عبدربه لقد تأتيك العراق حبوا انتهى * وقال مؤلف كتاب واجب الادب مما يجب حفظه من مخترعات الاندلسيين قول ابن عبدربه

ياذا الذى خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا
ماكنت أقطع أن لحظك صارم * حتى حملت من العذار حمائلا انتهى

وحكى أن الوزير أبا الوليد بن زيدون توفيت ابنته وبعد الفراغ من دفنها وقف للناس عند منصرفهم من الجنازة ليتشكر لهم فقيل انه ماأعاد فى ذلك الوقت عبارة قالها لاحد قال الصفدى وهذا من التوسع فى العبارة والقدرة على التفنن فى أساليب الكلام وهو أمر صعب الى الغاية وأرى انه أشق مما يحكى عن واصل بن عطاء انه ماسمعت منه كلمة فيها راء لانه كان يلثغ بحرف الراء لثغة قبيحة والسبب فى تهوين هذا الامر وعدم تهويله أن واصل ابن عطاء كان يعدل الى مايرادف تلك الكلمة مما ليس فيه راء وهذا كثير فى كلام العرب فاذا أراد العدول عن لفظ فرس قال جواد أوساع أوصافن أوالعدول عن رمح قال قناة أوصعدة أو يزنى أوغير ذلك أوالعدول عن لفظ صارم قال حسام أولهذم أوغير ذلك وأما ابن زيدون فأقول فى حقه أقل ما كان فى تلك الجنازة وهو وزير ألف رئيس ممن يتعين عليه أن يتشكر له ويضطر الى ذلك فيحتاج فى هذا المقام الى ألف عبارة مضمونها الشكر وهذا كثير الى الغاية لاسيما من محزون فقد قطعة من كبده

ولكنه صوب العقول اذا انبرت * سحائب منه أعقبت بسحاب

وقد استعمل الحريرى هذا فى مقاماته عند ما يذكر طلوع الفجر وهو من القدرة على الكلام وأرى الخطيب بن نباتة ممن لايلحق فى هذا الباب فانه أملى مجلدة معناها من أولها الى آخرها يا أيها الناس اتقوا الله واحذروه فانكم اليه راجعون وهذا أمر بارع معجز والناس يذهلون عن هذه النكتة انتهى كلام الصفدى ملخصا وقال فى الوافى بعد ذكره جملة من أحوال ابن زيدون مانصه وقال بعض الادباء من لبس البياض وتختم بالعقيق وقرأ لابى عمرو وتفقه للشافعى وروى شعر ابن زيدون فقد

استكمل الظرف وكان يسمى بحترى المغرب لحسن ديباجة نظمه وسهولة معانيه انتهى (رجع) الى كلام أهل الاندلس * وكان الاديب المحدث أبو الربيع سليمان ابن على الشلبى الشهير بكنير يهوى من يتجنى عليه ويقول انه أبرد من الثلج فخاطبه كنير بقوله

يا حبيبا له كلام خلوب * قلبت فى لظى هواه القلوب
كيف تعزو الى محبك بردا * ومن الحب فى حشاه لهيب
أنت شمس وقلت انى ثلج * فلهذا اذا طلعت أذوب

وقال ابن مهران مما يشتمل على أربعة أمثال

المال زين والحياة شهية * والجود يفقر والشجاعة تقتل
والبخل عيب والجبان مذمم * والقصد أحكم والتوسط أجمل

وقال ابن السيد البطليوسى متغزلا

نفسى الفداء لجؤذر حلو اللمى * مستحسن بصدوده أضنانى
فى فيه سمط جوهر يروى الظما * لو علنى ببروده أحيانى

ويخرج من هذه القطعة عدة قطع * وقال ابن صارة مضمنا

الى كم ينفد الدينار منى * ويطلب كف من عنه يحيد
ألم أنشده فى وادى هيامى * به لو كان يعطفه النشيد
حبيبى أنت تعلم ما أريد * ولكن لا ترق ولا تجود
وكم غنيت حين تنكبتنى * منى شيطانها أبدا مريد
يريد المرء أن يؤتى مناه * ويأبى الله الا ما يريد

وقال ذو الرياستين أبو مروان عبد الملك بن رزين

بالله ان لم تزدجر * يا مشبه البدر المنير
لا سرحن نواظرى * فى ذلك الورد النضير
ولا كلفنك بالمنى * ولا شربنك بالضمير

وقال ابن عبد ربه

اشرب على المنظر الانيق * وامزج بريق الحبيب ريق
واحلل وشاح الكعاب رفقا * خوفا على خصرها الرقيق
وقل لمن لام فى التصابى * خذوا قليلا عن الطريق

وسيأتى ان شاء الله تعالى قريبا من بلاغة أهل الاندلس فى الجد والهزل ما فيه مقنع لمن اقتصر عليه * (ومن حكاياتهم فى عدم احتمال الضيم والذل والوصف بالانفة) أنه لما ثار أيوب بن مطروح فى المائة الخامسة فى الفتنة على ملك غرناطة عبد الله بن بلقين بن حبوس وخاض بحار الفتنة حتى رماه موجها فيمن رمى على الساحل وحصل فيما بث عليهم يوسف ابن تاشفين من الحبائل وكانت له همة وأنفة عظيمة وخلع عن امارته وحصل فى حبالته أدخل رأسه تحته فانتظر من حضر معه أن يتكلم أو يخرج رأسه فلم يكن الا قليل حتى وقع

ميتا رحمه الله تعالى * ولما ثار الميورقي بافريقية على بني عبد المؤمن الثورة المشهورة وخدمه جملة من أعيان أهل الاندلس وكان من جملتهم مالك بن محمد بن سعيد العنسي كتب عنه من رسالة وبعد فانا لا نحتاج لك الى برهان على أمير لسانه الحسام ويده التأييد الرباني الذي لا يرام قد نصب خيامه بالبراح ولم يتخذ سورا غير سمر القنا وبيض الصفاح له من العزم رد ومن الحزم كمين اذا صدق الحسام ومنتضيه * فكل قرارة حصن حصين وهو من القوم الذين لا يجورون على جار ولا يرحلون بخزية ولا يتركون من عار دينهم دين التقوى وان كنت من ذلك في شك فاقدم علينا حتى يصح لك اختبار الذهب بالسبك وأنت بالخيار في الظعن والاقامه فان حللت نزلت خير منزل وان رحلت ودعت أفضل وداع وسرت في كنف السلامه اذ قد شهرنا بانا لا نقيد الا بالاحسان وأن ندع لاختياره كل انسان * (ومن حكايات أهل الاندلس في الجود والفضل ومكارم الاخلاق) أن أبا العرب الصقلي حضر مجلس المعتمد بن عباد فأدخلت عليه جملة من دنانير السكة فأمر له بخريطتين منها وبين يديه تصاوير عنبر من جملتها صورة جمل مرصع بنفيس الدر فقال أبو العرب ما يحمل هذه الدنانير الا جمل فتبسم المعتمد وأمر له به فقال

أعطيتني جملا جونا شفعت به * حملا من الفضة البيضاء لو حملا
نتاج جودك في أعطان مكرمة * لا قد تصرف من منع ولا عقلا
فاعجب لشاني فشاني كله عجب * رفهتني فحملت الحمل والجملا

ومن نظم أبي العرب المذكور

الام اتباعي للاماني الكواذب * وهذا طريق المجد بادي المذاهب
أهم ولي عزمان عزم مشرق * وآخر يثني همتي للمغارب
ولا بد لي أن أسأل العيس حاجة * تشق على أخفافها والغوارب
اذا كان أصلي من تراب فكلها * بلادي وكل العالمين أقاربي

وذكر الحافظ الجياري في المسهب انه سأل عمه أبا محمد عبد الله بن ابراهيم عن أفضل من لقي من أجواد تلك الحلبة فقال يا ابن أخي لم يقدر أن يقضي لي الاصطحاب بهم في شباب أمرهم وعنفوان رغبتهم في المكارم ولكن اجتمعت بهم وأمرهم قد هرم وساءت بتغير الاحوال ظنونهم وملوا الشكر وضجروا من المروءة وشغلتهم المحن والفتن فلم يبق فيهم فضل للافضال وكانوا كما قال أبو الطيب

أتى الزمان بنوه في شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم

فان يكن أتاه على الهرم فانا أتيناه وهو في سياق الموت ثم قال ومع هذا فان الوزير أبا بكر ابن عبد العزيز رحمه الله تعالى كان يحمل نفسه ما لا يحمله الزمان ويبسم في موضع القطوب ويظهر الرضا في حال الغضب ويجهد أن لا ينصرف عنه أحد غير راض فان لم يستطع الفعل عوض عنه القول قلت له فالمعتمد بن عباد كيف رأيته فقال قصدته وهو مع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في غزوته للنصارى المشهورة فرفعت له قصيدة منها

لا روع الله سربا في رحابهم * وان رموني بترويع وابعاد

ولاسقاهم على ما كان من عطش * الا يعض ندى كف ابن عباد

ذى المكرمات التى مازلت تسمعها * أنس المقيم وفى الاسفار كالزاد

ياليت شعرى ماذا ترتضيه لمن * ناداه ياموئلى فى محفل النادى

فلما انتهيت الى هذا البيت قال أما ما أرتضيه لك فلست أقدر فى هذا الوقت عليه ولكن خذ ما ارتضى لك الزمان وأمر خاد ماله فأعطانى ما أعيش فى فائدته الى الآن فانى انصرفت به الى المرية وكان يعجبنى سكناها والتجارة بها لكونها عينا لمراكب التجار من مسلم وكافر فتجرت فيها فكان ابقاء ماء وجهى على يديه رحمة الله تعالى عليه ثم أخذ البطاقة وجعل يجيل النظر والفكر فى القصيدة وأنا مترقب لنقده لكونه فى هذا الشان من أئمته وكثيرا ما كان الشعراء يتحامونه لذلك الا من عرف من نفسه التبريز ووثق بها الى أن انتهى الى قولى

ولاسقاهم على ما كان من عطش * الا يعض ندى كف ابن عباد

فقال لاى شئ بخلت عليهم أن يسقوا بكفه فقلت اذن كان يلحقنى من النقد ما لحق ذا الرمة فى قوله ولازال منهلا بجرعائك القطر وكان طوفان نوح أهون عليهم من ذلك فتألقت غرته وبدت مسرته وقال انا لله على أن لم يعنا الزمان على مكافأة مثلك قال وكنت ممن زاره بسجنه باغمات وحملتنى شدة الحمية له والامتعاض لما حل به أن كتبت على حائط سجنه مقتلا

فان تسجنوا القيسرى لاتسجنوا اسمه * ولاتسجنوا معروفه فى القبائل

ثم تفقدت الكتابة بعد أيام فوجدت تحت البيت لذلك سجناه

ومن يجعل الضرغام فى الصيد بازه * تصيده الضرغام فيما تصيدا

فما أدرى من جاوب بذلك ثم عدت له ووجدته قد محى وأعلمت بذلك ابن عباد فقال صدق المجاوب وأنا الجانى على نفسه والحافر بيده لرمسه ولما أردت وداعه أمر لى باحسان على قدر ما استطاع فارتجلت

آليت لاأقبل احسانكم * والدهر فيما قد عراكم مسى

فنى الذى أسلفتم غنية * وان يكن عندكم قد نسى

قال وفيه أقول من قصيدة

ياطالب الانصاف من دهره * طلبت أمرا غير معتاد

فلو يكون العدل فى طبعه * لما عدا ملك ابن عباد

وللبجارى المذكور كتاب فى البديع سماه الحديقة وأنشد لنفسه فيه

وشادن ينصف من نفسه * امنى من سطوة الدهر

ينام للشرب على جنبه * ويصرف الذنب الى الخمر

وله فى فرس

ومستبق يحار الطرف فيه * ويسلم فى الكفاح من الجماح

كأن أديمه ليل بهيم * تحجل باليسير من الصباح

اذا احتدم التسابق صار جرما • تقلب بين أجنحة الرياح

قوله ادريس فى نسخة يونس اه

وكتب أبو العلاء ادريس بن أزرق الى ابن رشيق ملك مرسية وقد طالت اقامته عند ابن عبد العزيز

ألا ليت شعرى هل أعود الى الذى • عهدت من النعمى لديكم بلا جهد
فو الله مذ فارقتكم ما تخلصت • من الدهر عندى ساعة دون ما كد
فمنوا باذن كى أطير اليكم • فلا عار فى شوق الى المال والمجد

ووقف بعض اعدائه على هذه الابيات فوشى بها الى ابن عبد العزيز قاصدا ضرره وكان ذلك فى محفل ليكون أبلغ فقال والله لقد ذكرتنى أمره ولقد أحسن الدلالة على حاله فان الرجل كريم وعلينا موضع اللوم لا عليه ووالله لاوسعنه مالا ووجدا بقدر وسعى ثم أخذ فى الاحسان اليه حتى برّ يمينه رحمه الله تعالى

هكذا هكذا تكون المعالى • طرق الجد غير طرق المزاح

ولنذكر جملة من بنى مروان بالاندلس فنقول قال محمد بن هشام المروانى صاحب كتاب أخبار الشعراء

وروضة من رياض الحزن حالفها • طل أطلت به فى افقها الحلل
كأنما الورد فيما بينها ملك • موف ونوارها من حوله خول

وكان فى مدة الناصر وأدخل عليه يوما ليذاكره فاستحسنه وأمره بالتزام بنيه ليؤدبهم بحسن أدبه ويخلقوا بخلقه فاستغنى من ذلك وقال ان الفتيان لا يتعلمون الا بشدة الضبط والقيد والاغلاظ وأنا أكره أن أعامل بذلك أولاد الخليفة فيكرهونى وقد يحقد لى بعضهم ذلك الى أن يقدر على النفع والضرر قالوا وكان يتعشق المستنصر بالله ولى عهد الناصر وهو غلام وله فيه

متع بوجهك جفنى • يا كوكبا فوق غصن
يا من تحجب حتى • عن كل فكر وأذن
وخامر الخوف فيه • فما يزيد هن
فليس للطرف والقلـ • ـب غير دمع وحزن
فانى ذو ذنوب • وانت جنة عدن

وقال أخوه أحمد بن هشام

قطعت الليالى بارتجاء وصالكم • ومائلت منكم غير متصل الهجر
وما كنت أدرى ما التصبر قبلكم • فعلمتمونى كيف أقوى على الصبر
وما كنت ممن يعلق الصبر فكره • ولكن خشيت الصبر يذهب بالعمر

• (ومن حكاياتهم فى علو الهمة) أنه كان سبب قراءته واجتهاده انه حضر مجلسا فيه القائد أحمد بن أبى عبدة وهو غلام فاستخبره القائد فرآه بعيدا من الادب والظرف ورأى له ذهنا قابلا للصلاح فقال أى سيف لو كانت عليه حلية فقامت من هذه الكلمة قيامته وثابت له همة ملوكية عطف بها على الادب والتعلم الى أن صار ابن أبى عبدة عنده كما كان هو عند

ابن أبي عبدة أولا فحضر بعد ذلك معه وجالا في مضمار الادب فرأى ابن أبي عبدة جوادا لا يشق غباره فقال ما هذا أين هذا مما كان فقال ان كلمتك عمات في فكري ما أوجب هذا فقال والله ان هذه حلية تليق بهذا السيف فجزاك الله عن همتك خيرا ثم قال له سران لي عليك حقا اذ بعثتك على التأدب والتميز فاذا حضرنا في جماعة فلا تتطاول على تقصيري وحافظ على أن لا أسقط من العيون بارباء غيري علي" فقال لك ذلك وزيادة * وكان المنذر ابن الامير عبد الرحمن الاوسط سيئ الخلق في أول أمره كثير الاصغاء الى أقوال الوشاة مفرط القلق مما يقال في جانبه معاقبا على ذلك من يقدر على معاقبته مكثرا التشكي ممن لا يقدر عليه لوالده الامير عبد الرحمن فطال ذلك على الامير فقال لوكيل خاص به عارف بالقيام بما يكلفه به الموضع الفلاني" الذي بالجبل الفلاني" المنقطع عن العمران تبنى فيه الآن بناء أسكن فيه ابني المنذر وأوصاه بالاجتهاد فيه ففرغ منه وعاد اليه فقال له تعلم المنذر أني أمرته بالانفراد فيه ولا تترك أحدا من أصحابه ولا أصحاب غيره يزوره ولا يتكلم معه البتة فاذا ضجر من ذلك وسألك عنه فقل له هكذا أمر أبوك فتولى النقة ذلك على ما أمر به ولما حصل المنذر في ذلك المكان وبقي وحده وفقد خوله ومن كان يستريح معه ونظر الى ما حوله من الملك ضجر فقال للثقة عسى أن يصلني غلماني وأصحابي أتانس بهم فقال له الثقة ان الامير أمر أن لا يصل اليك أحد وأن تبقى وحدك لتستريح مما يرفع لك أصحابك من الوشاية فعلم أن الامير قصد محنته بذلك وتاديبه فاستدعى دواة وكتب الى أبيه اني قد توحشت في هذا الموضع توحشا ما عليه من مزيد وعدمت فيه من كنت آنس اليه وأصحبت مسلوب العز فقيد الامر والنهي فان كان ذلك عقابا الذنب كبير ارتكبته وعلمه مولاي ولم أعلمه فاني صابر على تأديبه ضارع اليه في عفوه وصفحه

وان أمير المؤمنين وفعله * لكالدهر لا عار مما فعل الدهر

فلما وقف الامير على رقعته وعلم أن الادب بلغ به حقه استدعاه فقال له وصلت رقعتك تشكو ما أصابك من توحش الانفراد في ذلك الموضع وترغب أن تأنس بخولك وعبيدك وأصحابك ان كان لك ذنب يترتب عليه أن تطول مكثك في ذلك المكان وما فعلت ذلك عقابا لك وانما رأيناك تكثر الضجر والتشكي من القال والقيل فأردنا راحتك بأن نحجب عنك سماع كلام من يرفع لك وينم حتى تستريح منهم فقال له سماع ما كنت أضجر منه أخف علي" من التوحد والتوحش والتخلي مما أنا فيه من الرفاهية والامر والنهي فقال له فاذ قد عرفت وتأدبت فارجع الى ما اعتدته وعول على أن تسمع كأنك لم تسمع وترى كأنك لم تر وقد قال النبي" صلى الله عليه وسلم لو تكاشفتم ما تدافنتم واعلم انك أقرب الناس الي" وأحبهم في" وبعد هذا فما يخلو صدرك في وقت من الاوقات عن انكار علي" وسخطا ما أفعله في جانبك أو جانب غيرك مما لو أطلعني الله تعالى عليه لساءني لكن الحمد لله الذي حفظ ما بين القلوب بستر بعضها عن بعض فيما يجول فيها وانك لذو همة ومطمح ومن يكن كذا يصبر ويغض ويحمل ويبدل العقاب بالثواب ويصير الاعداء من قبيل الاصحاب ويصبر من الشخص على ما يسوء فقد يرى منه بعد ذلك ما يسر" ولقد يخف علي" اليوم من قاسيت من فعله

وقوله مالو قطعتهم عضوا عضوا لما ارتكبوه مني ما شفيت منهم غيظي ولكن رأيت الاعضاء والاحتمال لاسيما عند الاقتدار أولى ونظرت الى جميع من حولي ممن يحسن ويسيء فوجدت القلوب متقاربة بعضها من بعض ونظرت الى المسيء يعود محسنا والمحسن يعود مسيئا وصرت أندم على من سبق له مني عقاب ولا أندم على من سبق له مني ثواب فالزم يا بني معالي الامور وان جماعها في التغاضي ومن لا يتغاضى لا يسلم له صاحب ولا يقرب منه جانب ولا ينال ما تترقى اليه همته ولا يظفر بأمله ولا يجد معينا حين يحتاج اليه فاقبل المنذر يده وانصرف ولم يزل يأخذ نفسه بما أوصاه والده حتى تخلق بالخلق الجميل وبلغ ما أوصاه به أبوه ورفع قدره ومن شعره في ابن عم له

ومولى أبي الاذى وانني * لاحلم عنه وهو بالجهل يقصد
يوده فازداد بعدا وبغضة * وهل نافع عند الحسود التودد

وقوله

خالف عدوك فيما * أتاك فيه لينصح
فانما يتقي أن * تنام عنه فيربح

ومن كرم نفسه أن أحد التجار أهدى له جارية بارعة الحسن واسمها طرب ولها صنعة في الغناء حسنة فعند ما وقع بصره على حسنها ثم أذنه على غنائها أخذت بمجامع قلبه فقال لاحد خدامه ما ترى أن ندفع لهذا التاجر عوضا عن هذه الجارية التي وقعت منا أحسن موقع فقال تقدر ما تساوي من الثمن وتدفع له بقدرها فقومت بخمسمائة دينار فقال المنذر للخديم ما عندك فيما ندفع له فقال الخمسمائة فقال ان هذا للؤم رجل أهدى لنا جارية فوقعت منا موقع استحسان نقابله بثمنها ولو أنه باعها من يهودي لوجد عنده هذا فقال له ان هؤلاء التجار لؤماء بخلاء وأقل القليل يقنعهم فقال وانا كرماء سمحاء فلا يقنعنا القليل لمن نجود عليه فادفع له ألف دينار واشكره على كونه خصنا بها وأعلمه بأنها وقعت منا موقع رضا وفيها يقول

ليس يفيد السرور والطرب * ان لم تقابل لواحظي طرب
أجهت في الكاس لست أشربها * والفكر بين الضلوع يلتهب
يعجب مني معاشر جهلوا * ولو رأوا حسنهم لما عجبوا

وقال له أبوه يوما ان فيك لتيها مفرطا فقال له حق لفرع أنت أصله أن يعلو فقال له يا بني ان العيون تمج الماء والقلوب تنفر عنه فقال يا أبي لي من العز والنسب وعلو المكان والسلطان ما يجعل عن ذلك وانى لم أر العيون الا مقبلة علي ولا الاسماع الا مصغية الي وان لهذا السلطان رونقا يرى يقسه التبذل وعلوا يخفضه الانبساط ولا يصونه ويشرفه الا التيه والانقباض وان هؤلاء الاذال لهم ميزان يسبرون به الرجل منا فان رأوه راجحا عرفوا له قدر رجاحته وان رأوه ناقصا عاملوه بنقصه وصغروا تواضعه صغرا وتخفضه خسة فقال له أبوه لله أنت فابق وما رأيت * وكان له أخ أديب أيضا اسمه المطرف بن عبد الرحمن الاوسط ومن شعره

أفنيت عمرى فى الشر * ب والوجوه الملاح
ولم أضيع أصيلا * ولا اطلاع صباح
أحيى الليالى سهدا * فى نشوة ومراح
ولست أسمع ماذا * يقول داعى الفلاح

والعياذ بالله من هذا الكلام وحاكى الكفر ليس بكافر وعتبه أحدا خوانه على هذا القول فقال انى قلته وأنا لا أعقل ولم أعلم انه يحفظ عنى وأنا أستغفر الله تعالى منه والذى يغفر الفعل أكرم من أن يعاقب على القول ومن جيد شعره قوله

يا أخى فرقت صروف الليالى * بيننا غير زورة الاحلام
فغدونا بعد ائتلاف وقرب * تتناجى بألسن الاقلام

وقال أخوهما الثالث هشام بن عبد الرحمن فمن اسمه ريحان

أحبك يا ريحان ما عشت دائما * ولولاك لم أهو الظلام وسهده
ولولاك لم أحبب لى فى ذرى الدار غربان * وما أعشق الريحان الا لانه
شريكك فى اسم فيه قلبى هيمان * على انه لم يكمل الظرف مجلس
اذا لم يكن فيه مع الراح ريحان

وله فيه

اذا أنا مازحت الحبيب فانما * قصدت شفاء الهم فى ذلك المزح
فما العيش الا أن أراه مضاحكا * كما نحن لليل البهيم عن الصبح

وقال أخوهم الرابع يعقوب بن عبد الرحمن

اذا أنا لم أجد يوما وقومى * لهم فى الجود آثار عظام
فمن يرجى لتشييد المعالى * اذا قعدت عن الخير الكرام

ومدحه بعض الشعراء فأمر له بمال جزيل فلما كان مثل ذلك الوقت جاء بمدح آخر فقال أحد خدام يعقوب هذا اللئيم له دين عندنا يقتضيه فقال الامير يا هذا ان كان الله تعالى خلقك مجبولا على كره رب الصنائع فاجر على ما جبلت عليه فى نفسك ولا تكن كالاجرب يعدى غيره وان هذا رجل قصدنا قبل فكان منا ما أشر به وحمله على العودة وقد ظن فينا خيرا فلا نخيب ظنه والحديث أبدا يحفظ القديم وقد جاءنا على جهة التهنئة بالعمر ونحن نسأل الله تعالى أن يطيل عمرنا حتى يكثر ترداده ويديم نعمنا حتى نجد ما نتم به عليه ويحفظ علينا مروءتنا حتى يعيننا على التجمل معه ولا يلينا بجليس مثلك يقبض أيدينا عن اسداء الايادى وأمر للشاعر بما كان أمر له به قبل وأوصاه بالعود عند حلول ذلك الاوان مادام العمر * وقال أخوهم الخامس الامير محمد ابن الامير عبد الرحمن لاخيهم السادس أبان وقد خلا معه على راحة هل لك أمل نبلغك اياه فقال لم يبق لى أمل الا أن يديم الله تعالى عمرك ويخلد ملكك فأعجب ذلك الامير وقال ما مالت اليك نفسى من باطل وكان كل واحد منهما يهيم بالآخر وفى ذلك يقول أبان

يا من يلوم ولا يدرى بمن أنا مفـ * ـتون لو أبصرته ما كنت تلحانى

من مازجت روحه روحي وشاطرني * باحسنه حين أهواه ويهواني

وكان للامير محمد ابن الامير عبد الرحمن ثلاثة أولاد نجباء القاسم والمطرف ومسلمة ولهم أخ رابع اسمه عثمان فمن نظم القاسم في عثمان أخيه وقد زاره فاستسقاه ماء فأبطأ عليه غلامه لعله لم يقبلها القاسم

الماء في دار عثمان له ثمن * وانا بشيء له شان من الشان

فاسلح على كل عثمان مررت به * غير الخليفة عثمان بن عفان

وله

شغلت بالكيمياء دهري * فلم أفد غير كل خسر

اتعاب فكر خداع عقل * فساد مال ضياع عمر

وقال شقيقه المطرف ويعرف بابن غزلان وهي أمه وكانت مغنية بديعة محسنة عوادة أديبة

هل اتكى مشرفا على نهر * أرمي بطرفي اليه من قصري

عند أخ لو دهته حادثة * أعطيته ما أحب من عمري

وقال أخوهما مسلمة

ان شيبا وصبوة لمحال * أو لم يأن أن يكون زوال

فدع النفس عن مزاح ولهو * تلك حال مضت وجاءت حال

وكان يقول اني لا أفارق الا من اختاره فارقني ومن خادعني انخدعت له وأريته أني غير فطن بخداعه ليحبه أمره وأدخل عليه مسرة بنفسه ورأيه * وقال محمد ابن الامير المنذر ابن الامير محمد في جاريته الاراكة

قل للاراكة قدرا * وبالدنو اشتياق

وهاج ما بي اليها * تمثلي للعناق

وانني وبقائي * جري في المآقي

طويت ما بي ليوم * يكون فيه التلاقي

فان أعد لاجتماع * حرمت يوم افتراق

لا يعرف الشوق الا * من ذاق طعم الفراق

وقال عبد الله بن الناصر وقد أهدى له سعيد بن فرج ياسمينا أبيض واصفر وكتب معه

مولاي قد أرسلت نحوك تحفة * بمراد ما أبغيه منك تذكر

من ياسمين كاللجين تبرجت * بيضا وصفرا والسماح يعبر

فاجابه بمانصه

أتاك تفسيري وما يحل * مني على أضغاث أحلام

فاجعله رسما دائما زائرا * مني ومنك غرة العام

وبعث اليه بهذين البيتين مع مل الطبق دنانير ودراهم فقال ابن فرج

قد سمعنا بجود كعب وحاتم * ما سمعنا جودا مدى العمر لازم

فدعائي بأن تدوم دعاه * لي لازال طول ما عشت دائم

ماسمعنا كمثل هذا اختراعا * هكذا هكذا تكون المكارم

وتشبه هذه الحكاية حكاية اتفقت لبعض ملوك افريقية وذلك أن رجلا أهدى له فى قادوس وردا أحمر وأبيض فأمر أن يملأ له دراهم فقالت له جارية من جواريه ان رأى الامير أن يلون ما أعطاه حتى يوافق ما أهداه فاستحسن ذلك الامير وأمر أن يملأ دنانير ودراهم * وكان المروانى المذكور يسابر أحد الفقهاء الظرفاء فغر ابجميل فمال عبد الله بطرفه الى وجهه وظهر ذلك لمسايره فتبسم ففهم عبد الله تبسمه فقال ان هذه الوجوه الحسان خلابة ولكنا لا نتغلغل فى نظرها ولا ندعى العفة عنها بالجملة وفيها اعتبار وتذكار بالحور العين التى وعد الله تعالى فقال له الفقيه احتج لروحك بما شئت فقال أو ماهى حجة تقبل فقال الفقيه يقبلها من رق طبعه وكاد يضيق عن الصبر وسعه فقال وأر الشريكالى فقال ولولا ذلك للمتك فأطرق عبد الله ساعة ثم أنشد

أفدى الذى مر بى فقال له * لحظى ولكن ثنيته غضبا
ماذاك الا لخوف منتقد * فالله يعفو ويغفر الذنبا

فقال له الفقيه ان كنت ثنيت لحظك خوف انتقادى فانى أدعوه اليك حتى تملأه منه ولا تنسب الى ما نسبت فتبسم عبد الله وقال ولا هذا كله وقال له ان مثلك فى الفقهاء لمعدوم فقال له ما كنت الا أديبا ولكنى لما رأيت سوق الفقه بقرطبة نافقة اشتغلت به فقال له ومن عقل المرء أن لا يفنى عمره فيما لا ينفقه عصره وكان عبد الله المذكور يسمى الزاهد فبايع قوما على قتل والده الناصر وأخيه الحكم المستنصر ولى العهد فأخذ يوم عيد الاضحى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة فذبح بين يديه رحمه الله تعالى * وقال أخوه أبو الاصبغ عبد العزيز بن الناصر وقد دخل ابن له الكتاب فكتب أول لوح فبعثه الى أخيه الحكم المستنصر ملك الاندلس ومعه

هالك يا مولاى خطا * مطه فى اللوح مطا
ابن سبع فى سنيه * لم يطق للوح ضبطا
دمت يا مولاى حتى * يلد ابن ابنك سبطا

وله

زارنى من همت فيه سحرا * يتهادى كنسيم السحر
أقبس الصبح ضياء ساطعا * فأضا والفجر لم ينفجر
واستعار الروض منه نفحة * يثها بين الصبا والزهر
أيها الطالع بدرا نيرا * لاحلت الدهر الا بصرى

وكان مغرى مغرما بالخمر والغناء فقطع الخمر فبلغه أن المستنصر لما بلغه تركه للخمر قال الحمد لله الذى أغنانا عن مفاتحته ودله على ما نريد منه ثم قال لو ترك الغناء لكمل خيره فقال والله لاتركنه حتى تترك الطيور تغريدها ثم قال

أنا فى صحة وجاه ونعمى * هى تدعو لهذه الالحان
وكذا الطير فى الحدائق تشدو * للذى سر نفسه بالقيان

وقال أخوه محمد بن الناصر لما قدم أخوهما المستنصر من غزوة

قدمت بحمد الله أسعد مقدم * وضحك أضحى لليدين وللفم
لقد حزت فيها السبق اذ كنت أهله * كما حاز بسم الله فضل التقدم

وأما أخوهما محمد بن عبد الملك بن الناصر فقال الحجاري فيه انه لم يكن في ولد الناصر ممن لم يل الملك أشعر منه ومن ابن أخيه وكتب الى العزيز صاحب مصر

ألسنا بني مروان كيف تبدلت * بنا الحال أو دارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

وكان جواب العزيز له أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لهجوناك وله في الصنوبر

ان الصنوبر حصن * لديه حرز ورياس
حفت مزاجل ارها * ب من عداه تراس
كأنما هو ضد * لما حواه الرياس

وبعض سيوف الانداس محفور صدر الرياس على صورة قشور الصنوبر الا أن تلك نائمة وهذه محفورة وقال

أتاني وقد خط العذار بخده * كما خط في ظهر الصحيفة عنوان
تزاحمت الالحاظ في وجناته * فشقت عليه للشقائق أردان
وزدت غراما حين لاح كأنما * تفتح بين الورد والآس سوسان

وقال

لئن كنت خلاع العذار بشادن * وكاس فاني غير نزر المواهب
واني لطعان اذا الشجر القنا * ومقتحم طرفي صدور الكتائب
واني اذا لم ترض نفسي بمنزل * وجاش بصدري الفكر جم المذاهب
جلد يود الصخر لو أن صبره * كصبري على ما نابني للنوائب
وأسري الى أن يحسب الليل أنني * لطول مسيري فيه بعض الكواكب

واما ابن أخيه مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن الناصر فكان في بني أمية شبيه عبد الله بن المعتز في بني العباس بملاحة شعره وحسن تشبيهه ومن شعره القصيدة المشهورة

غصن يهتز في غصن نقا * يجتني منه فؤادي حرقا
سال لام الصدغ في صفحته * سيلان التبر واني الورقا
فتناهى الحسن فيه انما * يحسن الغصن اذا ما أورقا

ومنها

أصبحت شمسا وفوه مغربا * ويد الساقي المحيي مشرقا
فاذا ما غربت في فمه * تركت في الخد منه شفقا

ومنها

وكأن الورد يعلوه الندى * وجنة المحبوب تندى عرقا

قالوا وهذا النمط قد فاق به أهل عصره ويظن انه لا يوجد لاحد منهم أحلى وأكثر أخذا

قوله وكان جواب العزيز له الخ مخالف لما سبق قريبا من أن هذا جواب منه للعزيز لا من العزيز له فلعل ما هنا محرف والاصل وكتب في جواب العزيز أما الخ وقوله لهجوناك الذي تقدم لا جبناك والمراد بالعزيز نزار العبيدي فتنبه اه مصححه

قوله على ما نابني الخ في نسخة على ما نالني من مصائب اه

بجامع القلوب من قوله

وذعت من أهوى أصيلا ليتني * ذقت الحمام ولا أذوق نواه
فوجدت حتى الشمس تشكو وجده * والورق تندب شجوها بهواه
وعلى الاصائل رقة من بعده * فكأنها تلقى الذى ألقاه
وغدا النسيم مبلغا ما بيننا * فلذا الذرق هوى وطاب شذاه
ما الروض قد مزجت به أنداؤه * سحرا بأطيب من شذا ذكراه
والزهر مبسمه ونكهته الصبا * والورد أخضله الندى خداه
فلذاك أولع بالرياض لانها * أبدا تذكرنى بمن أهواه

ولله قوله

وعشى كأنه صبح عيد * جامع بين بهجة وشحوب
هب فيه النسيم مثل محب * مستعيرا شمائل المحبوب
ظلت فيه ما بين شمسين هذى * فى طلوع وهذه فى غروب
وتدلت شمس الاصيل ولكن * شمسنا لم تزل بأعلى الجنوب
رب هذا خلقته من بديع * من رأى الشمس أطلعت فى قضيب
أى وقت قد أسعف الدهر فيه * وأجابت به المنى عن قريب
قد قطعناه نشوة ووصالا * وملأناه من كبار الذنوب
حين وجه السعود بالبشر طلق * ليس فيه أمارة للقطوب
ضيع الله من يضيع وقتا * قد خلا من مكدر ورقيب

وبات عند أحد رؤساء بنى مروان فقدم اليه ذلك الرئيس قدحا من فضة فيه راح أصفر وقال اشرب وصف فداك ابن عمك فقام اجلالا وشرب صائحا بسروره ثم قال الدواة والقرطاس فأحضرا وكتب

اشرب هنيئا لاعدا الطرب * شرب كريم فى العلا منتخب
وافاك بالراح وقد ألبست * برد أصيل معلما بالحبب
فى قدح لم يك يسقى به * غير أولى المجد وأهل الحسب
ما جاراذ أسقاك من كفه * فى جامد الفضة ذوب الذهب
فقم على راسك برآيه * واشرب على ذكراه طول الحقب

ويحكى انه لما قتل أباه وقد وجده مع جارية له كان يهواها سجنه المنصور بن أبى عامر مدة الى أن رأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم يأمره باطلاقه فأطلقه فمن أجل ذلك عرف بالطليق * قال أحمد بن سليمان بن أحمد بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر فى ابن حزم لما عاداه علماء عصره

لما تحلى بخلق * كالمسك أو نشر عود
نجل الكرام ابن حزم * وقام فى العلم عودى
فتواه جدد دينى * جدواه أورق عودى

قوله فكانها فى نسخة فكانما اه

وله فى أبى عامر بن المظفر بن أبى عامر من قصيدة يمدحه بها

بأبى عامر وصلت حبالى * فزمانى به زمان سعيد
فمتى زدت فيه وداوشكرا * فنداه وقد تناهى يزيد
كيف لى وصفه وفى كل يوم * منه فى المكرمات معنى جديد

وقال أبو عبد الله محمد بن محمد بن الناصر يرثى أبا مروان بن سراج

وكم من حديث للنبى أبانه * وألبسه من حسن منطقه وشيا
وكم مصعب للنحو قد راض صعبه * فعاد ذلولا بعد ما كان قد أعيا

وقال عبيد الله بن محمد المهدى وهو من حسنات بنى مروان ويعرف بالاقرع

أقول لآمالى ستبلغ ان بدا * محيا ابن عطاف ونعم المؤمل
فقالت دعانى كل يوم تعلل * فقلت لها ان لاح يفنى التعلل
لئن كان منى كل حين ترحل * فانى أن أحلل به لست أرحل
فتى ترد الآمال فى بحر جوده * وليس على نعمى سواه المعول

وقال هذه فى الوزير ابن عطاف فضن عليه حتى يرجع الجواب فكتب اليه بقصيدة منها

أيها الممكن من قدرته * لا يرى الله الا محسنا
انما المرء بما قدمه * فتخير بين ذم وثنا
لا تكن بالدهر غرا واذا * كنت فاطرفعله فى ملكا
كل ما خولت منه ذاهب * انما تصحب منه الكفنا
مد كفا نحو كف طالما * أمطرت منه السحاب الهتنا
أو أرحنى بجواب مؤيس * فعطال البر من شر العنا

فلم يعطه شيأ وكان له كاتب فتحيل فى خمسين درهما فأعطاها له فلما سمع الوزير بذلك طرده وقال له من أنت حتى تحمل نفسك هذا وتعطيه قال فوالله ما لبث الا قليلا حتى مات الوزير وتزوج الكاتب بزوجته وسكن فى داره وتخول فى نعمته فحملنى ذلك على أن كتبت بالفحم فى حائط داره

أيا دار قولى أين ساكنك الذى * أبى لؤمه أن يترك الشكر خالدا
تسمى وزيرا والوزارة سبة * لمن قد أبى أن يستفيد المحامدا
وولى ولكن ليس يبرح ذمه * فها هو قد أرضى عدوا وناقدا
واضحى وكيل كان يأنف فعله * نزيلك فى الحوض الممنع واردا
جزاء باحسان لذا واساءة * لذاك وساع ورث الحمد قاعدا

والمثل السائر فى هذا رب ساع لقاعد * وقال سليمان بن المرتضى بن محمد بن عبد الملك بن الناصر وكان فى غاية الجمال ويلقب بالغزال

قدم الربيع عليك بعد مغيب * فتلقه بسلافة وحبيب
فصل جديد فلتجدد حالة * يأتى الزمان بها على المرغوب
الجو طلق فالقه بطلاقة * واذا تقطب فالقه بقطوب

لله أيام ظفرت بها ومن * أهواه منقاد بغير رقيب

وله

لى فى كفالات الرماح لوانها * وفت ضمان يبلغ الآمالا

وكات دهرى فى اقتضاء ضمانها * ضنابه أن لا يحول فحالا

وكان مولعا بالفكاهة والنادر محبا للظرفاء وكان يلتزم خدمته المنجم المشهور بالزرافة ويحضر معه ولعبوا فى مجلس سليمان لعبة أفضوا فيها الى أن تقسموا اثنين اثنين كل شخص ورفيقه فقال سليمان ومن يكون رفيقى فقال له المنجم يامولاى وهل يكون رفيق الغزال الا الزرافة فضحك منه على عادته ودخل عليه وهو قاعد فى رحبة قصره وقد أطل عذاره فقال له ما تطلب الزرافة فقال ترعى الحشيش وأشار الى عذاره فقال له اعزب لعنك الله ومر سليمان به يوما وهو سكران وقد أوقف ذكره وجعل يقول له ماذا رأيت فى القيام فى هذا الزمان أما رأيت كل ملك قام كيف خلع وقتل والله انك سيئ الرأى فقال له سليمان ومم لقبت هذا الثائر فقال يامولاى بصفته القائم فقال ويحتاج الى خاتم فقال نعم ويكون خاتم سليمان فقال له أخزاك الله ان الكلام معك لفضيحة * وقال سعيد بن محمد المروانى وقد هجره المنصور بن أبى عامر مدة لكلام بلغه عنه فدخل والمجلس غاص وأنشد

مولاى مولاى أما آن أن * تريحنى بالله من هجركا

وكيف بالهجر وأنى به * ولم أزل أسبح فى بحركا

فضحك ابن أبى عامر على ما كان يظهره من الوقار وقام وعانقه وعفا عنه وخلع عليه وله

والبدر فى جو السماء قد انطوى * طرفاه حتى عاد مثل الزورق

فتراه من تحت المحاق كانما * غرق الكثير وبعضه لم يغرق

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز

وانظر اليه كزورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

وقال قاسم بن محمد المروانى يستعطف المنصور بن أبى عامر وقد سجنه لقول صدر عنه

ناشدتك الله العظيم وحقه * فى عبدك المتوسل المتحرم

يوسائل المدح المعاد نشيدها * فى كل مجمع كوكب أو موسم

لا تستبح منى حمى أرعى له * يامن يرى فى الله أحمى محتمى

وقال الاصم المروانى يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على بجبل الفتح معارضا بائية أبى تمام (السيف أصدق انباء من الكتب) بقصيدة طويلة منها

ما للعدا جنة أوقى من الهرب * أين المفر وخيل الله فى الطلب

وأين يذهب من فى رأس شاهقة * اذا رمته سماء الله بالشهب

ومنها

وطود طارق قد حل الامام به * كالطور كان لموسى أيمن الرتب

لو يعرف الطود ما غشاه من كرم * لم يبسط النور فيه الكف للسحب

ولو تيقن بأس حل ذروته * لصار كالعين من خوف ومن رهب

منه بعاود هذا الفتح ثانية * أضعاف ما حدثوا فى سالف الحقب
ويلبس الدين غضا ثوب عزته * كان أيام بدر عنه لم تغب

وقال فى نارنجة

وبنت أيك دنا من لثمها قزح * فصار منه على أرجائها أثر
يبدو لعينيك منها منظر عجب * زبرجد ونضار صاغه المطر
بكان موسى نبى الله أقبسه * نارا وجر عليها كفه الخضر

وقال

وشادن قلت له صف لنا * بستانك اهذا ونارنجنا
فقال لى بستانكم جنة * ومن جنى النارنج نار اجتنى

وقال فى زلبانى

لله سفاح بدا لى مسحرا * فأفاد علم الكيميا بيمينه
ذهبت فضة خده بلواحظى * وكذا تفعل ناره بجبينه

وقال وقد نزل فى فندق لا يليق بمثله

ياهذه لا تفندينى * ان صرت فى منزل هجين
فليس قبح المحل مما * يقدح فى منصبى ودينى
فالشمس علوية ولكن * تغرب فى حمأة وطين

وقال أحمد المروانى

حلفت بمن رمى فأصاب قلبى * وقلبه على جمر الصدود
لقد أودى تذكره بقلبى * ولست أشك أن النفس تودى
فقيدوه وموجود بقلبى * فواعجبا لموجود فقيد

وقال الاصبغ القرشى يرثى ابن شهيد وهو من أصحابه

أيا من به كان السرور مواصلا * وأسلم قلبى للصبابة والفكر

ومنها

لعمرك ما يجدى النعيم اذا نأت * وجوههم عنى ولا فسحة العمر

وقال سليمان بن عبد الملك الاموى

وذى جدل أطال القول منه * بلا معنى وقد خفى الصواب
فقلت أجبه فازداد ردا * فقلت له قد ازدحم الجواب
ولم أر غير صمتى من مريح * اذا ما لم يفد فيه الخطاب

وقال أبو يزيد بن العاصى

عابه الحاسد الذى لام فيه * أن رأى فوق خده جدريا
انما وجهه هلال تمام * جعلوا برقعا عليه الثريا

وله

اذا شئت أن يصفو صديقك فاطرح * نزاع الذى بيديه فى الهزل والجد

وان كنت من أخلاقه فى جهنم * فأنزله من مثواله فى جنة الخلد
الى أن يتيح الله من لطف صنعه * فراقا جميلا فاجعل العذر فى البعد

وليكن هذا آخر ما نورده من كلام بنى مروان رحمهم الله تعالى * ولنرجع الى أهل الاندلس جملة فنقول أمر أبو الحجاج المنصفى أن يكتب على قبره

قالت لى النفس أتالى الردى * وأنت فى بحر الخطايا مقيم
هلا ادخرت الزاد قلت اقصرى * لا يحمل الزاد لدار الكريم

وقد ذكرنا هذين البيتين فى غير هذا الموضع * وقال ابن مرج الكحل اجتمعنا فى حانوت بعض الاطباء باشبيلية فانجر ذكره بكثرة جلوسنا عنده وتعذرت المنفعة عليه من أجلنا فأنشدنا

خففوا عنا قليلا * رب ضيق فى براح
هل شكوتم من سقام * أو جلسنا للصحاح

فأضفت اليهما ثالثا وأنشدته اياها على سبيل المداعبة

ان أتيتم ففرادى * ذا لحكم المستراح

قوله محمد بن غانم الخ فى نسخة ابو محمد غانم بن الوليد اه

ودخل محمد بن غانم بن وليد مجلس باديس بن حبوس فوسع له على ضيق كان فيه فقال

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

ودخل على أبى جعفر اللمائى بعض أصحابه عائدا فى علته التى مات فيها وجعل يروح عليه بمروحة فقال أبو جعفر على البديهة

روحى عائدى فقلت له * لا لا تزدنى على الذى أجد
أما ترى النار وهى خامدة * عند هبوب الرياح تتقد

وقال الاعلم ليكن محفوظك من النظم مثل قول ابن القبطرنة

دعا لك خليلك واليوم طل * وعارض وجه الثرى قد بقل
لقد رين فاحا وشمامة * وابريق راح ونعم المحل
ولو شاء زاد ولكنه * يلام الصديق اذا ما احتفل

وقال أبو عامر بن نبق الشاطبى

ما أحسن العيش لو أن الفتى أبدا * كالبدر يرجو تماما بعد نقصان
اذ لا سبيل الى تخليد مأثرة * اذ لا سبيل الى تخليد جثمان

وقال أبو الحسن اللورقى

عجبا لمن طلب المحا * مد وهو يمنع ماليه
ولباسط اماله * للخير لم يبسط يديه
لم لا أحب الضيف أو * أرتاح من طرب اليه
والضيف يأكل رزقه * عندى ويحمدنى عليه

وقال أبو عيسى بن لبون وهو من قواد المأمون بن ذى النون

نفضت كفى من الدنيا وقلت لها * اليك عنى فما فى الحق أغتبن

من كسر بيتى لى روض ومن كتبى • جليس صدق على الاسرار مؤتمن
أدرى به ماجرى فى الدهر من خبر • فعنده الحق مسطور ومختزن
وما مصابى سوى موتى ويدفننى • قوم ومالهم علم بمن دفنوا

وقال أبو عامر بن الحمار

ولى صاحب أحنو عليه وانه • ليوجعنى حينا فلا أتوجع
أقيم بمكانى ما جفانى وربما • يسائلنى الرجعى فلا اتمنع
كانى فى كفيه غصن اراكة • تميل على حكم النسيم وترجع

وقال أبو العباس بن السعود

تبا لقلب عن الاحباب منصرف • يهوى أحبته ما خالس النظرا
مثل السمجل فيه الشخص تبصره • حتى اذا غاب لم يترك به أثرا

ومرض أبو الحكم بن علندة فعاده جماعة من أصحابه فيهم فتى صغير السن فوفاه من برّه ما أوجب تغيرهم ففطن لذلك وأنشدهم ارتجالا

تكثر من الاخوان للدهر عدة • فكثرة در العقد من شرف العقد
وعظم صغير القوم وابده بحقه • فمن خنصرى كفيك تبدأ بالعقد

وقال القاضى أبو موسى بن عمران

ما للتجارب من مذى • والمرء منها فى ازدياد
قد كنت أحسب ذا العلا • من حاز علما واستفاد
فاذا الفقيه بغير ما • لك كالحمام بلا عماد
شرف الفتى بنضاره • ان الفقير أخو الجماد
ما العلم الا جوهر • قد يبتاع فى سوق الكساد

قوله كالحمام فى نسخة كالخباء اه

وقال أبو بكر بن الجزار السرقسطى

ايا من زال اللسان فانما • عقل الفتى فى لفظه المسموع
والمرء يختبر الانام بنقره • ليرى الصحيح به من المصدوع

وقال أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد تناول بعض أصحابنا نرجسة فركبها فى وردة ثم دفعها الىّ والى صاعد وقال قولا فأبهمت دوننا أبواب القول فدخل الزبير وكان أتيا لا يذكر من الكلام الا ما علق بنفسه فى المجالس وينفذ مع هذا فى المطولات من الاشعار فأشعر بأمرنا فجعل يقول دون روية

ما للديين قد أعيتهما • مليحة من ملح الجنه
نرجسة فى وردة ركبت • كقلة تطرف فى وجنه

وقال أبو محمد بن حزم فى طوق الحمامة

خلوت بها والراح ثالثة لنا • وجنح ظلام الليل قد مد واعتلج
فتاة عدمت العيش الا بقربها • فهل فى ابتغاء العيش ويحك من حرج
كانى وهى والكاس والخمر والدجا • حيا وثرى والدر والتبر والسبج

قال وهذه خمس تشبيهات لا يقدر أحد على أكثر منها اذ تضيق الاعاريض عنه قال أبو عامر ابن مسلمة ولا أذكر مثلها الا قول بعض

فأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

الا انه لم يعطف خمسة على خمسة كما صنع ابن حزم بل اكتفى بالعلم فى التشبيهات قال ومن أغرب ما وقع لى من التشبيهات فى بيت قول ابن برون الاكشونى الاندلسى يصف فرسا وردا أغر محجلا

فكان غرته وتحجيلاته * خمس من السوسان وسط شقائق

قال وهذا على التحقيق ستة على ستة ولم أسمع بمثله لاحد قال ابن الجلاب وكلام أبى عامر هذا لا يخلو من النقد * وقال ابن صارة

انظر الى البدر واشراقه * على غدير موجه يزهر
كمثل خد من جر أخضر * خط عليه ذهب أحمر

وقال أبو القاسم بن العطار الاشبيلى

ركبنا سماء النهر والجو مشرق * وليس لنا الا الحباب نجوم
وقد ألبسته الايك برد ظلالها * وللشمس فى تلك البرود رقوم

وقال ابن صارة

والنهر قد رقت غلالة صبغه * وعليه من ذهب الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كأنها * عكن الخصور تضمها الاعجاز

وقال سهل بن مالك

ورب يوم ورد نا فيه كل منى * وقل فى مثل ذاك اليوم أن نردا
فى روضتين بشطى سلسل شبم * كما اجتليت من المحبوب مفتقدا
يبدد القطر فى أثنائه حلقا * فتنظم الريح منها فوقه زردا

وقال ابن صارة

انظر النهر فى رداء عروس * صبغته بزعفران العشى
ثم لما هب النسيم عليه * هز عطفيه فى دلاص الكمى

ولبعضهم فى شكل يرمى الماء مجوفا مثل الحباب وتمزقه الريح أحيانا

ومطنب للماء ما أوتاده * الا نسائج فكره طب حاذق
لعبت به أيدى الصبا فكأنها * أيدى الصبابة بالفؤاد العاشق

وقال صفوان بن ادريس يصف تفاحة فى ماء

ولم أر فيما تشتهى العين منظرا * كتفاحة فى بركة بقرار
يفيض عليها ماؤها فكأنها * بقية خد فى اخضرار عذار

وقال أبو جعفر بن وضاح فى دولاب

وباكية والروض يضحك كلما * ألحت عليه بالدموع السواجم
يروقك منها ان تأملت نحرها * زئير اسود والتفاف أراقم

تخلص من ماء الغدير سبائكا * فتنبتها في الروض مثل الدراهم

وقال الوزير ابن عمار

يوم تكاثف غيمه فكأنه * دون السماء دخان عود أخضر
والطل مثل برادة من فضة * منثورة في تربة من عنبر
والشمس احيانا تلوح كأنها * أمة تعرض نفسها للمشتري

وقال أبو الحسن بن سعد الخير

قد دولاب يفيض بسلسل * في روضة قد أينعت أفنانا
قد طارحته بها الحمائم شجوها * فيجيبها ويرجع الالحانا
فكأنه دنف يدور بعهده * يبكي ويسأل فيه عمن بانا
ضاقت مجاري طرفه عن دمعه * فتفتحت أضلاعه أجفانا

وقال ابن أبي الخصال

وورد جنى طالعتنا خدوده * بيشر ونشر يعثان على السكر
وحف ترنجان به فكأنه * خدود العذارى في مقانعها الخضر

وقال ابن صارة

يارب نارنجة يلهو والنديم بها * كأنها كرة من أحمر الذهب
أو جذوة حملتها كف قابسها * لكنها جذوة معدومة اللهب

وقال الخفاجي

ومباسة تزهو وقد خلع الحيا * عليها حلى حمرا وأردية خضرا
يذوب بها ريق الغمامة فضة * ويجمد في أعطافها ذهبا نضرا

وقال ابن صارة أيضا

ونارنجة لم يدع حسنها * لعيني في غيرها مذهبا
فطورا أرى ذهبا مضرما * وطورا أرى سفنا مذهبا

وقال ابن وضاح في السرو

أيا سرو لا يعطش منابتك الحيا * ولا يدع عن أعطافك الخضر النضر
فقد كسيت منك الجذوع بمثل ما * تلف على الخطي رايانه الخضر

وقال أبو اسحق الخولاني

نيلوفر شكله كشكلي * يعوم في أبحر الدموع
قد ألبست عطفه دروعا * خود لريح الصبا شموع
يلوح اذ لونه كلوني * من فوق فضفاضة همو ع
مثل مسامير مذهبات * في حلقات من الدروع

وقال ابن الابار

وسوسنات أرت من حسنها بدعا * ولم يزل عصر مولانا يرى بدعه
شبيهة بالثريا في تألقها * وفي تألقها تلتاح ملتمعه

هامت بيمناه تبغي أن تقبلها • واستشرفت تجتلي مرآه مطلعه
ثم انثنى بعضها من بعضها غلبا • على البدار فوافت وهي مجتمعه

ورفع هذه الابيات الى الامير أبي يحيى زكريا • وقال حازم

لانور يعدل نور اللوز في أنق • وبهجة عند ذي عدل وانصاف
تظام زهر يطل الدر منتثرا • عليه من كل هامي القطر وكاف
يناثري وهي أصداف الدر حيا • بيض غدت درر افي خضر أصداف

وقال ابن سعد الخير في رمانة

وساكنة في ظلال الغصون • بروض يروق أفنانه
تضاحك أترابها فيه اذ • غدا الجو تدمع أجفانه
كما فتح الليث فاه وقد • تضرج بالدم أسنانه

وقال ابن نزار الوادي آشي

ورمانة قد فض عنها ختامها • حبيب أعار البدر بعض صفاته
فكسر منها نهد عذراء كاعب • وناولني منها شبيه لداته

وقال بعضهم في القراسيا ويقال له بالمغرب حب الملوك

ودوح تهدل أشطانه • رعى الدهر من حسنه ما اشتهى
فما احمر منه فصوص العقيق • وما اسود منه عيون الهما

وقال بعضهم

وأين معاهد للحسن فيها • وللانس التقاء البهجتين
وللاوتار والاطيار فيها • لدى الاسحار أطرب ساجعين
فكم بدر تجلى من رباها • ومن بطحائها في مطلعين
وأغيد يرتعي من تلعتيها • ومن غرر القلوب بمرتعين
اذا أهوى لسوسنة يمينا • عجبت من التقاء السوسنين
وكم يوم توشح من سناه • ومن زهراتها في حلتين
وراح أصيله ما بين نهر • وذولاب يدور بسمعين
بنهر كالسماء يجول فيه • سحائب من ظلال الدوحتين
تدرع للنواسم حين هزت • عليه كل غصن كاردني
ملاعب في غرامي عند ذكرى • صباه وغضه المتلاعبين

وقال الوزير محمد بن عبد الرحمن بن هانئ

ياحرقة البين كويت الحشا • حتى أذبت القلب في أضلعه
اذ كيت فيه النار حتى غدا • ينساب ذاك الذوب من مدمعه
ياسؤل هذا القلب حتى متى • تؤتى برشف الريق من منبعه
فان في الشهد شفاء الورى • لاسيما ان مص من مكرعه
والله يدني منكم عاجلا • ويبلغ القلب الى مطمعه

ولو لم يكن للاندلسيين غير كتاب شذور الذهب لكفاهم دليلا على البلاغة ومؤلفه هو علي بن موسى بن علي بن محمد بن خلف أبو الحسن الانصاري الجياني نزيل فاس وولي خطابتها ولم ينظم أحد في الكيمياء مثل نظمه بلاغة معان وفصاحة ألفاظ وعذوبة تراكيب حتى قيل فيه ان لم يعلمك صناعة الذهب علمك الادب وفي عبارة بعضهم ان فاتك ذهبه لم يفتك أدبه وقيل فيه انه شاعر الحكماء وحكيم الشعراء وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة * ولنذكر هنا نبذة من سرعة بديهة أهل الاندلس وان مرت من ذلك جملة وستأتي أيضا زيادة على الجميع فنقول قال في بدائع البدائه ماصورته روى عبد الجبار بن حمديس الصقلي قال صنع عبد الجليل بن وهبون المرسي الشاعر لنا نزهة بوادي اشبيلية فأقمنا فيه يومنا فلما دنت الشمس للغروب هب نسيم ضعيف غضن وجه الماء فقلت للجماعة أجيزوا حاكت الريح من الماء زرد فأجازه كل منهم بما تيسر له فقال لي أبو تمام غالب بن رباح الحجاج كيف قلت يا أبا محمد فأعدت القسيم له فقال أي درع لقتال لو جد انتهى وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما يخالف هذا فليراجع في محله ثم قال صاحب بدائع البدائه بعد ما سبق ماصورته وقد نقله ابن حمديس الى غير هذا الوصف فقال

نثر الجو على الترب برد * أي در انحور لو جمد

فتناقض المعنى بذكر البرد وقوله لو جمد اذ ليس البرد الا ما جمده البرد اللهم الا أن يريد بقوله لو جمد دام جموده فيصح وينعقد عن التحقيق * ومثل هذا قول المعتمد بن عباد يصف فوارة

ولربما سئلت لنا من مائها * سيفا وكان عن النواظر مغمدا
طبعته لجينا فزانت صفحة * منه ولو جمدت لكان مهندا

وقد أخذت أنا هذا المعنى فقلت أصف روضا

فلو دام ذاك النبت كان زبرجدا * ولو جمدت أنهاره كن بلورا

وهذا المعنى مأخوذ من قول علي التونسي الايادي من قصيدته الطائية المشهورة

ألؤلؤ قطر هذا الجو أم نقط * ما كان أحسنه لو كان يلتقط

وهذا المعنى كثير للقدماء قال ابن الرومي من قطعة في العنب الرازقي

لو انه يبقى على الدهور * قرط آذان الحسان الحور

قال علي بن ظافر وأخبرني من أثق به قال ركب المعتمد على الله أبو القاسم بن عباد للنزهة بظاهر اشبيلية في جماعة من ندمائه وخواص شعرائه فلما أبعد أخذ في المسابقة بالخيول فجاء فرسه بين البساتين سابقا فرأى شجرة تين قد أينعت وزهت وبرزت منها ثمرة قد بلغت وانتهت فسدد اليها عصا كانت في يده فأصابها وثبتت على أعلاها فأطرب بما رأى من حسنها وثباتها والتفت ليخبره من لحقه من أصحابه فرأى ابن جامع الصباغ أول من لحق به فقال أجز كأنها فرق العصا فقال هامة زنجي عصى فزاد طربه وسروره بحسن ارتجاله وأمر له بجائزة سنية * قال علي بن ظافر وأخبرني أيضا أن سبب اشتهار ابن جامع هذا أن الوزير أبا بكر بن عمار كان كثير الوفادة على ملوك الاندلس لا يستقر ببلدة ولا يستفزه عن وطره وطن وكان كثير التطلب لما يصدر عن أرباب المهن من الادب الحسن فبلغه خبر ابن

قوله المعتمد على الله أبو القاسم في نسخة البدائع المعتمد علي أبو القاسم اه

قوله ابن جامع في نسخة البدائع ابن حاج اه

جامع هذا قبل اشتهاره فخر على حانوته وهو آخذ فى صناعة صباغته والنيل قد جرّ على يديه ذيلا وأعاد نهارهما ليلا فأراد أن يعلم سرعة خاطره فأخرج زنده وبيده بيضاء من غير سوء وأشار الى يده وقال كم بين رند وزند فقال ما بين وصل وصد فعجب من حسن ارتجاله ومبادرة العمل واستجماله وجذب بضبعه وبلغ من الاحسان اليه غاية وسعه * وبلغنى أيضا انه دخل سرقسطة فبلغه خبر يحيى القصاب السرقسطى فخر عليه ولحم خرفانه بين يديه فأشار ابن عمار الى اللحم وقال لحم سباط الخرفان مهزول فقال

يقول للمفلسين مه زول انتهى * ولما صنع المتوكل على الله بن الافطس صاحب بطليوس هذا القسيم الشعر خطة خسف أرتج عليه فاستدعى أبا محمد عبد المجيد بن عبدون صاحب الرائية التى أولها الدهر يفجع بعد العين بالاثر وقد تكرر ذكره فى هذا الكتاب وهو أحد وزراء دولته وخواص حضرته فاستجازه اياه فقال لكل طالب عرف للشيخ عيبة عيب * وللفتى ظرف ظرف * وذكر ابن بسام فى الذخيرة أن قائل القسيم الاول الاستاذ أبو الوليد بن ضابط وأن عبد المجيد أجازه ارتجالا وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقد ذكرنا ما يقرب من ذلك فى هذا الكتاب * وقال ابن الغليظ المالقى قلت يوما للاديب أبى عبد الله بن السراج المالقى ونحن على جرية ماء أجز

شربنا على ماء كان خريره ... فقال بديها بكاء محب بان عنه حبيب

فمن كان مشغوفا كثيبا بالفه * فانى مشغوف به وكثيب

وذكر ابن بسام فى الذخيرة انه اجتمع ابن عبادة وابن القابلة السبتى بالمرية فنظرا الى وسيم يسبح فى البحر وقد تعلق بسكان بعض المراكب فقال ابن عبادة أجز

انظر الى البدر الذى لاح لنا ... فقال ابن القابلة فى وسط اللجة تحت الحلك

قد جعل الماء سماء له * واتخذ الفلك مكان الفلك

وقال ابو عامر بن شهيد لما قدم زهير الصقلى الى حضرة قرطبة من المرية وجه وزيره أبو جعفر بن عباس الى لمة من أصحابنا منهم ابن برد وأبو بكر المروانى وابن الخياط والطبنى فحضروا اليه فسألهم عنى وقال وجهوا اليه فوافانى رسوله مع دابة بسرج حلى ثقيل فسرت اليه ودخلت المجلس وأبو جعفر غائب فتحرك المجلس لدخولى وقاموا جميعا الى حتى طلع أبو جعفر علينا ساحبا ذيلا لم أر أحدا سحبه قبله وهو يترنم فسلمت عليه سلام من يعرف قدر الرجال فرد ردا لطيفا فعلمت أن فى أنفه نعرة لا تخرج الا بسعوط الكلام ولا تراض الا بمستحصد النظام ورأيت أصحابى يصيخون الى ترنمه فقال لى ابن الخياط وكان كثير الانحاء على جالبا فى المحافل ما يسوءنى ان الوزير حضره قسيم وهو يسألنا اجازته فعلمت انى المراد فاستنشدته فأنشد

مرض الجفون ولثغة فى المنطق ... فقلت لمن حضر لا تجهدوا أنفسكم فما المراد غيرى ثم أخذت الدواة فكتبت سببان جرا عشقى من لم يعشق

من لى بألثغ لا يزال حديثه * يذكى على الاحشاء جمرة محرق

يبى فينبو فى الكلام لسانه * فكأنه من خمر عينيه سقى

قوله ومبادرة العمل الخ فى البدائع مع مضيه فى عمله الخ

قوله عبدون فى نسخة وهبون اه

قوله والطبنى فى نسخة والطبى اه

لا ينعش الالفاظ من عثراتها * ولو أنها كتبت له فى مهرق

ثم فقت عنهم فلم ألبث أن ورد واعلى وأخبرونى أن أبا جعفر لم يرض بما جئت به من البديهة وسألونى أن أحمل مكاوى الهجاء على حتاره فقلت

أبو جعفر كاتب محسن * مليح سنا الخط حلو الخطابه
تملأ شحما ولحما وما * يليق تملؤه بالكتابه
له عرق ليس ماء الحياة * ولكنه رشح ماء الجنابه
جرى الماء فى سفله جرى لين * فأحدث فى العلو منه صلابه

وذكر الوزير أبو بكر بن اللبانة الدانى فى كتابه سقيط الدرر واقيط الزهر أن المعتمد بن عباد صنع قسما فى القبة المعروفة بسعد السعود فوق المجلس المعروف بالزاهى وهو سعد السعود بيته فوق الزاهى ثم استجاز الحاضرين فعجزوا فصنع ولده عبد الله الرشيد وكلاهما فى حسنه متناهى

ومن اغتدى سكا لمثل محمد * قد جل فى العليا عن الاشباه
لازال يبلغ فيهما ماشاءه * ودهت عداه من الخطوب دواهى

وخرج القاضى الفقيه أبو الحسن على بن القاسم بن محمد بن عشرة أحد رؤساء المغرب الاوسط فى جماعة من أصحابه منهم محمد بن عيسى بن سوار الاشبونى ورجل يسمى بأبى موسى خفيف الروح ثقيل الجسم فجعل يعبث بالحاضرين بأبيات من الشعر يصنعها فيهم فصنع القاضى أبو الحسن معاتبا له وشاعر أثقل من جسمه ثم استجاز ابن سوار فقال تأتى معاتبه على حكمه

يهجو فلا يهجى نهل عندكم * ظلامة تعدى على ظلمه
لسانه فى هجوه حية * منية الحية فى سمه
يصيب سر المرء فى رميه * كأنما العالم فى علمه
أما أبو موسى ففى كفه * عصا ابنه والسحر فى نظمه

وفى المقتبس فى تاريخ الاندلس أن الامير عبد الرحمن خرج فى بعض أسفاره فطرقه خيال جاريته طروب أم ولده عبد الله وكانت أعظم حظاياه عنده وأرفعهن لديه لا يزال كلفا بها هائما بحبها فكتبه وهو يقول

شاقك من قرطبة السارى * فى الليل لم يدر به الدارى

ثم أتاه عبد الله بن الشمر نديمه فاستجازه كمال البيت فقال

زار خفيا فى ظلام الدجا * أحبب به من زائر سارى

وصنع الامير عبد الرحمن المذكور فى بعض غزواته قسما وهو نرى الشى مما يتقى فنهابه ثم أرتج عليه وكان عبد الله بن الشمر نديمه وشاعره غائبا عن حضرته فأراد من يجيزه فأحضر بعض قواده محمد بن سعيد الزجالى وكان يكتب له فأنشده القسيم فقال

وما لانرى مما يقى الله أكثر * فاستحسنه وأجازه وحمله استحسانه على أن استوزره *

وذكر ابن بسام أن المعتمد بن عباد أمر بصياغة غزال وهلال من ذهب فصيغا فجاء وزنهما

سبعمائة مثقال فأهدى الغزال الى السيدة ابنة مجاهد والهلال الى ابنه الرشيد فوقع له الى أن قال

بعثنا بالغزال الى الغزال * وللشمس المنيرة بالهلال

ثم أصبح مصطبحا وجاء الرشيد فدخل عليه وجاء الندماء والجلساء وفيهم أبو القاسم ابن المرزبان فحكى لهم المعتمد البيت وأمرهم باجازته فبدر ابن المرزبان فقال

فذا سكنى أبوته فؤادى * وذا نجلى أقلده المعالى
شغلت بذا الطلا خلدى ونفسى * ولكنى بذا الملك رخى بال
دفعت الى يديه زمام ملكى * محلى بالصوارم والعوالى
فقام يقرعينى فى مضاء * ويسلك مسلكى فى كل حال
فدمنا للعلاء ودام فينا * فانا للسماح وللنزال

ولما أنشد أبو القاسم بن الصيرفى قول عبد الله بن السمط

حار طرف تأملك * ملك أنت أم ملك

قال بديها

بل تعاليت رتبة * فلك الارض والفلك

وذكر ابن بسام فى الذخيرة انه غنى يوما بين يدى العالى بالله الادريسى بمالقة بيت لعبد الله ابن المعتز

هل ترين البين يحتال * أن غدت للعين أجمال

فأمر الفقيه أبا محمد غانم بن الوليد المالقى باجازته فقال بديها

انما العالى امام هدى * حليت فى عصره الحال
ملك اقبال دولته * لذوى الافهام اقبال
قل لمن أكدت مطالبه * راحتاه الجاه والمال

وغنى أبو الحسن زرياب يوما بين يدى الامير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بهذين البيتين وهما لابى العتاهية

قالت ظلوم سمية الظلم * مالى رأيتك ناحل الجسم
يا من رمى قلبى فأقصده * أنت الخبير بموقع السهم

فقال عبد الرحمن هذان البيتان منقطعان فلو كان بينهما ما يوصلهما لكان أبدع فصنع عبيد الله بن قرناس بديها

فأجبتها والدمع منحدر * مثل الجمان وهى من النظم

فاستحسنه وأمر له بجائزة * وذكر ابن بسام أيضا أن المعتمد بن عباد غنى بين يديه بقول ابن المعتز

وخمارة من بنات المجوس * ترى الزق فى بيتها شائلا
وزنا لها ذهبا جامدا * فكانت لنا ذهبا سائلا

فقال بديها يجيزه

وقلت خذى جوهرا ثابتا * فقالت خذوا عرضا زائلا

وركب المعتمد فى بعض الايام قاصدا الجامع والوزير أبو بكر بن عمار يسايره فسمع أذان مؤذن فقال المعتمد

هذا المؤذن قد بدا باذانه * فقال ابن عمار يرجو بذاك العفو من رحمانه

فقال المعتمد

طوبى له من شاهد بحقيقة * فقال ابن عمار ان كان عقد ضميره كلسانه

وقال عبد الجبار بن حديس الصقلى أقمت باشبيلية لما قدمتها على المعتمد بن عباد مدة لا يلتفت الى ولا يعبأ بى حتى قنطت لحيتى مع فرط تعبى وهممت بالنكوص على عقبى فانى لكذلك ليلة من الليالى فى منزلى اذ ابغلام معه شمعة ومركوب فقال لى أجب السلطان فركبت من فورى ودخلت عليه فأجلسنى على مرتبة فنك وقال لى افتح الطاق التى تليك ففتحتها فاذا بكوز زجاج على بعد والنار تلوح من بابيه وواقدة تفتحهما تارة وتسدهما أخرى ثم دام سد أحدهما وفتح الآخر حين تأملتهما قال لى أجز

انظرهما فى الظلام قد نجما * فقلت كمارنا فى الدجنة الاسد

فقال

يفتح عينيه ثم يطبقها * فقلت فعل امرئ فى جفونه رمد

فقال

فابتزه الدهر نورواحدة * فقلت وهل نجا من صروفه أحد

فاستحسن ذلك وأمر لى بجائزة سنية وألزمنى خدمته وقد ذكرنا هذه الحكاية فى هذا الكتاب ولكن ما هنا أتم مساقا فلذلك نبهت عليه * وذكر صاحب فرحة الانفس فى أخبار أهل الاندلس أن أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر جلس فى جماعة من خواصه ومعهم أبو القاسم لب وكان يعده للمجون والتطايب فقال له اهج عبد الملك بن جهور يعنى أحد وزرائه فقال أخافه فقال لعبد الملك فاهجه أنت فقال أخاف على عرضى منه فقال أهجوه أنا وأنت ثم صنع لب أبو القاسم ذو لحية * كبيرة فى طولها ميل

فقال عبد الملك

وعرضها ميلان ان كسرت * والعقل مأبون ومخبول

فقال الناصر للب اهجه فقد هجاك فقال بديها

قال أمين الله فى عصرنا * لى لحية أزرى بها الطول

وابن جهور قال قول الذى * مأكله القرظ يل والقول

لولا حيائى من امام الهدى * نخست بالمنخس شو

ثم سكت فقال له الناصر هات تمام البيت فامتنع فقال له قولو يعنى تمام البيت كلمة قالها الناصر مسترسلا غير متحفظ من زيادة الواو وابدال الهاء واوا اذ صوابها قلة على حكم المشى مع الطبع والراحة من التكلف فقال لب يا مولانا أنت هجوته ففطن الناصر والحاضرون وضحكوا وأمر له بجائزة والقرضيل شوك له ورق عريض تأكله البقر

وقوله

وقوله شو اسم الرجل بالرومية وقولوا سم للاست بها فكانه قال لولا حيائى من امام الهدى تخست بالمخس الذى هو الذكر استه * وقال ابن ظافر أخبرنى من أثق به قال اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة والاستاذ أبو العباس بن صارة فى يوم جلا ذهب برقه واذاب ورق ودقه والارض قد ضحكت لتعبيس السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فتراقدا فى صفتها فقال ابن صارة

هذى البسيطة كاعب أبرادها * حال الربيع وحليها النوار

فقال ابن القبطرنة

وكان هذا الجو فيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار

فقال ابن صارة

فاذا اشكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى قد موعه الامطار

فقال ابن القبطرنة

فمن أجل عزة ذا وذلة هذه * تبكى الغمام وتضحك الازهار

وقال أبو بكر محمد بن الزبيدى النحوى صاحب الشرطة يخاطب الوزير أبا الحسن جعفر ابن عثمان المصحفى لما كتب كتابا له فيه فاضت نفسه بالضاد مبينا له الخطأ دون تصريح

قل للوزير السنى محتده * لى ذمة منك أنت حافظها
عناية بالعلوم معجزة * قد بهظ الاولين باهظها
يقرأ فى عمرها ومعمرها * فيها ونظامها وجاحظها
قد كان حقا قبول حرمتها * لكن صرف الزمان لافظها
وفى خطوب الزمان لى عظة * لو كان يثنى النفوس واعظها
ان لم تحافظ عصابة نسبت * اليك قدما فمن يحافظها
لا تدعن حاجتى بمطرحة * فان نفسى قد فاظ فائظها

فأجابه المصحفى

حفض فواقا فأنت أوحدها * علما ونقابها وحافظها
كيف تضيع العلوم فى بلد * أبناؤها كلهم يحافظها
ألفاظهم كلها معطلة * مالم يعول عليك لافظها
من ذا يساويك ان نطقت وقد * أقر بالعجز عنك جاحظها
علم ثنى العالمين عنك كما * ثنى عن الشمس من يلاحظها
وقد أتتنى فديت شاغلة * للنفس أن قلت فاظ فائظها
فأوضحتها تفز بنادرة * قد بهظ الاولين باهظها

فاجابه الزبيدى وضمن شعره الشاهد على ذلك

أتانى كتاب من كريم مكرم * فنفس عن نفس تكاد تفيظ
فسر جميع الاولياء وروده * وساء رجال آخرون وغيظوا
لقد حفظ العهد الذى قد أضاعه * لدى سواه والكريم حفيظ

وباحثت عن فاظت وقبلى قالها * رجال لديهم فى العلوم حظوظ
روى ذا الخ عن كيسان سهل وأنشدوا * مقال أبى الغياظ وهو مغيظ
وسميت غياظا ولست بغائظ * عدوا ولكن الصديق يغيظ
فلا رحم الرحمن روحك حية * ولا عى فى الارواح حين تفيظ

قلت وفى خطاب الوزير بهذا البيت وان حكى عن قائله مالا يخفى أن اجتنابه المطلوب على أنه قد يقال فاضت نفسه بالضاد كما ذكره ابن السكيت فى خلل الالفاظ والله أعلم * وكتب الزبيدى المذكور الى أبى مسلم بن فهد

أبا مسلم ان الفتى بجنانه * ومقوله لا بالمراكب واللبس
وليست ثياب المرء تغنى قلامة * اذا كان مقصورا على قصر النفس
وليس يفيد العلم والحلم والحجا * أبا مسلم طول القعود على الكرسى

وقال وقد استأذن الحكم المستنصر فى الرجوع الى أهله باشبيلية ولم يأذن له فكتب الى جاريته سلمى

ويحك ياسلم لا تراعى * لابد للبين من زماع
لا تحسبينى صبرت الا * كصبر ميت على النزاع
ما خلق الله من عذاب * أشد من وقفة الوداع
ما بينها والحمام فرق * لولا المنيات والنواعى
ان يفترق شملنا وشيكا * من بعد ما كان ذا اجتماع
فكل شمل الى افتراق * وكل شعب الى انصداع
وكل قرب الى بعاد * وكل وصل الى انقطاع

واجتمع جماعة من الادباء فيهم أبو الحسن سهل بن مالك والمهر بن الفرس وغيرهما بمدينة سبتة سنة ٥٨١ فتذاكروا محبوبا لهم يسكن الجزيرة الخضراء أمامهم فقالوا ليقل كل واحد منكم شيأ فيه فقال سهل بن مالك

لما حططت بسبتة قلب النوى * والقلب يرجو أن يحول حاله
والجو مصقول الاديم كانما * يبدى الخفى من الامور صقاله
عاينت من بلد الجزيرة مكنسا * والبحر يمنع أن يصاد غزاله
كالشكل فى المرآت تبصره وقد * قربت مسافته وعز مناله

فقال الجماعة والله لا يقول أحد منا بعد هذا شيأ * ولما قرأ أبو محمد عبد الله بن مطروح البلنسى صداق املاه وغير فيه حال القراءة لفظة غير برفع ما كان منصوبا أو بالعكس أنشد بديها بعد الفراغ معتذرا عن لحنه

غيرت غيرا فصرت عيرا * وهكذا من يجتسيرا

فأجابه الحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعى وكان الى جانبه بديهة

ما أنت ممن يظن فيه * بذاك جهل فظن خيرا

ووقف أبو أمية بن حمدون بباب الاستاذ الشلوبين فكتب فى ورقة أبو أمية بالباب ودفع

الورقة لخادم الاستاذ فلما نظر اليها الاستاذ نون تاء أمية ولم يزد على ذلك وأمر الخادم بدفع الورقة اليه فلما نظر فيها أبو أمية انصرف علما منه أن الاستاذ صرفه فانظر الى فطنة الشيخ والتلميذ مع أن الشيخ منسوب الى التغفل فى غير العلم *(ومن حكايات أهل الاندلس فى العفو) أن المعتصم بن صمادح كان قد أحسن للنحلى البطليوسى ثم ان النحلى سار الى اشبيلية فمدح المعتضد بن عباد بشعر قال فيه

أباد ابن عباد البربرا * وأفنى ابن معن دجاج القرى

ونسى ما قاله حتى حل بالمرية فأحضره ابن صمادح لمنادمته وأحضر للعشاء موائد ليس فيها غير دجاج فقال النحلى يا مولاى ما عندكم فى المرية غير الدجاج فقال انما أردنا أن نكذبك فى قولك وأفنى ابن معن دجاج القرى فطار سكر النحلى وجعل يعتذر فقال له اخفض عليك انما ينفق مثلك بمثل هذا وانما العتب على من سمعه فاحتمل منك فى حق من هو فى نصابه ثم أحسن اليه وخاف النحلى ففر من المرية ثم ندم فكتب الى المعتصم

رضا ابن صمادح فارقته * فلم يرضنى بعده العالم
وكانت مريته جنة * فجئت بما جاءه آدم

فما زال يتفقده بالاحسان على بعد داره وخروجه عن اختياره انتهى * وقال فى بلنسية أبو عبد الله الرصافى وقد خرج منها صغيرا

بلادى التى ربيت قويد متى بها * فريخا وآوتنى هزارتها وكرا
مهادى ولين العيش فى ريق الصبا * أبى الله أن أنسى اعتيادى بها خيرا

وقال أبو بكر محمد بن يحيى السلطيشى

وفاة المرء سر لم يكاشف * ولم تثبت حقيقته درايه
سيفنى كل ذى شبح ونفس * وتلتحق النهاية بالبدايه
وينصدع الجميع الى صدوع * تعود به البرية كالبرايه
كأن مصائب الدنيا سهام * لها الايام أغراض الرمايه
فنل ما شئت ان الفقر بدء * وعش ما شئت ان الموت غايه

وقال أبو بكر محمد بن العطار البابسى وهو من رجال الذخيرة

أمطيت عزمك منه متن سابحة * خلت الحباب على لباتها البيا
تبدو على الموج أحيانا ويضمرها * كالعيس تعتسف الاهضاب والكثبا

وقال محمد بن الجيلى النحوى

وما الانس بالناس الذين عهدتهم * بأنس ولكن فقد رؤيتهم أنس
اذا سلمت نفسى ودينى منهم * فحسبى أن العرض منى لهم ترس

وقال محمد بن حرب

طوبى لروضة جنة * لك قد نويت ورودها
نظمت على لباتها * أيدى الغمام عقودها
وسقت بماء الورد والـ * ـمسك الفتيت صعيدها

والطير تشدو فى الغصو * ن المائدات قصيدها
وتعير سمع المستعير نظيمها ونشيدها

وكان فى دار محمد بن اليسع شاعر الدولة العامرية وردة وكان يهدى وردها كل عام الى عارض الجيش أحمد بن سعيد فغاب العارض سنة فقال

قال لى الورد وقد لا * حظته فى روضتيه
وهو قد أينع طيبا * جمع الحسن لديه
أين مولاى الذى قد * كنت تهدينى اليه
قلت غاب العام فايأس * أن ترى بين يديه
فبدا يذبل حتى * ظهر الحزن عليه

وقال محمد بن أفلح

ما أستريح الى حال فأحمدها * بالبين قلبى وقبل البين قد ذهبا
ان كان لى أرب فى العيش بعدكم * فلا قضيت اذن من حبكم أربا

وقال أحمد بن تليد الكاتب

لم أرض بالذل وان قلا * والحر لا يحتمل الذلا
يارب خل كان لى خامل * صار الى العزة ما خلا
حرمت المامى على بابه * ووصله لم أره حلا
تأبى على النفس من أن أرى * يوما على مستثقل كلا

وقال اسحق بن المنادم وقد أهدى له من يهواه تفاحة

مجال العين فى ورد الخدود * يذكر طيب جنات الخلود
وآرجة من التفاح تزهو * بطيب النشر والحسن الفريد
أقول لها افضحت المسك طيبا * فقالت لى بطيب أبى الوليد

وقال غالب بن عبد الله الثغرى

يا راحلا عن سواد المقلتين الى * سواد قلب عن الاضلاع قد رحلا
غدا الجسم وأنت الروح فيه فما * ينفك مرتحلا ما دمت مرتحلا
وللفراق جوى لو مر أبرده * من بعد فرقتكم بالماء لاشتعلا

وقال الوزير أبو الحسن بن الامام الغرناطى يهجو مزاكش المحروسة

يا حضرة الملك ما أشهالك لى وطنا * لولا ضروب بلاء فيك مصبوب
ماء زعاق وجو كله كدر * وأكلة من بذنجان ابن معيوب

وابن معيوب هذا كان من خدام أبى العلاء بن زهر يزعم الناس انه سم ابن باجة لعداوته لابن زهر فى باذنجان * ولما بنى الفقيه أبو العباس بن القاسم قصره بسلا وشيده وصفته الشعراء وهنئته به ودعت له وكان بالحضرة حينئذ الوزير أبو عامر بن الحمارة ولم يكن أعد شيأ فافكر قليلا ثم قال

يا أوحد الناس قد شيدت واحدة * تخيل فيها حلول الشمس فى الحمل

فما كدارك في الدنيا لذي أمل * ولا كدارك في الاخرى لذي عمل

وفيهم يقول ابن بقي في موشحته الشهيرة التي آخرها

ان جئت أرض سلا * تلقاك بالمكارم فيدان
هم سطور العلا * ويوسف بن القاسم عنوان

وكان محمد بن عبادة بالمرية ومعه ابن القابلة السبتي فنظر الى غلام وسيم يسبح وقد تعلق بسفينة فقال ابن عبادة

انظر الى البدر الذي لاح لك * فقال ابن القابلة في وسط اللجة تحت الحلك
قد جعل الماء مكان السما * واتخذ الفلك مكان الفلك

وقال ابن خروف ويروى لغيره

أيتها النفس اليه اذهبي * فحبه المشهور من مذهبي
مفضض الثغر له شامة * مسكية في خده المذهب
أيأسني التوبة من حبه * طلوعه شمسا من المغرب

واجتمع في بستان ثلاثة من شعراء الاندلس وهم ابن خفاجة وابن عائشة وابن الزقاق فقال ابن خفاجة يصف الحال هنالك

لله نورية المحيا * تحمل نارية الحيا
درنا بها تحت ظل دوح * قد راق مرأى وطاب زيا
تجسم النور فيه نورا * فكل غصن به ثريا

وقال ابن عائشة

ودوحة قد علت سماه * تطلع أزهارها نجوما
هفا نسيم الصبا علينا * فخلتها أرسلت رجوما
كأنما الافق غار لما * بدت فأغرى بها النسيما

وقال ابن الزقاق

ورياض من الشقائق أضحت * يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يجلب منها * زهرات تريك لون الراح
قلت ماذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

وقال الاديب أبو الحسن بن زنون وقع بيدي وأنا أسير بقيجاطة أعادها الله تعالى دار اسلام كتاب ترجمته كتاب التحف والطرف لابن عفيون فوجدت فيه قال الحسين بن الضحاك

ما كان أحوجني يوما الى رجل * في وسطه ألف دينار على فرس
في كفه حربة يفري الدروع بها * وصارم مرهف الحدين كالقبس
فلو رجعت ولم أظفر بمهجته * وقد خضبت ذباب الصارم الشكس
فلا اغتبطت بعيش وابتليت بما * يحول بيني وبين الشادن الانس

ووقف على هذه القطعة أبو نواس فقال

قوله أبو الحسن بن زنون في نسخة محمد بن ذنون اه

ما كان أحوجني يوما الى خنث * حلو الشمائل وباق من الغلس
في كفه قهوة تسبي النفوس بها * محكم الطرف للالباب مختلس
فلو رجعت ولم أظفر بنكهته * وقد وريت من الصهباء كالقبس
فلا هنيت بعيش وابتليت بما * يكون منه صدود الشادن الانس
هذا ألذ واشهى من مني رجل * في وسطه ألف دينار على فرس

ووقف على ذلك الوزير أبو عامر بن نبيق فقال

ما كان أحوجني يوما الى رجل * يرد الذكر في باق من الغلس
في حلقه غنة يشفي النفوس بها * وفي الحشا زفرة مشبوبة القبس
فلو رجعت ولم أوثر تلاوته * على سماع غناء الشادن الانس
فلا حدث اذن نفسي ولا اعتمدت * بي النجائب قصد البيت ذي القدس
ولا أسلت لغير المصطفى مقلا * تبكي عليه بهامي الدمع منبجس

قال ابن زنون فقلت وكل ينفق مما عنده ومن عجائب صنع الله تعالى انه عند فراغي من كتب هذه القطعة وصل الفكاك الي وحل قيودي وأخرجني الى بلاد المسلمين وهي

ما كان أحوجني يوما الى رجل * يأتي فينبهني في فحمة الغلس
يفك قيدي وغلي غير مرتقب * ولا مبال من الحجاب والحرس
وقوله لي تأنيسا وتسلية * هذا سلاحي فالبسه وذا فرسي
فلو جبنت ولم أقبل مقالته * وأمتطي الطرف وثبا فعل مفترس
اذن خلعت لباس المجد من عنق * وصار حظي منه حظ مختلس
وأخلفتني أماني التي طمحت * نفسي اليها واحسانا لكل مسي

وقال أبو بكر بن جيش وقد زاره بعض أوداثه في يوم عيد فطر

أكل ذا الاجمال في ذا الجمال * لله أشفق ذا الكمال
يا مالكا بالبرق أما * يكفيك أن تملكني بالوصال
سرت الى ربي زورا كما * سرى الى المهجور طيف الخيال
العيد لي وحدي بين الورى * حقا لاني قد رأيت الهلال
صومي مقبول وبرهانه * أني أدخلت جنان الوصال

وقال أبو بكر بن يوسف اللخمي وقد عاده في شكاية فتى وسيم من الاعيان كان والده خطيب البلد

يا عائدي وهو أصل مابي * أفديك من ممرض طبيب
اصميت لما رميت قلبي * بسهم ألحاظك المصيب
وجئتني منكر السقمي * وتلك من عادة الحبيب
يا ساعة قد غفرت فيها * ما كان للدهر من ذنوب
ما كان في فضلها مثال * لولم تكن جلسة الخطيب

وخاطب أبو زيد بن أبي العافية أبا عبد الله بن العطار القرطبي بقصيدة منها هذا البيت

وكيف

وكيف يفيق ذو صبر قصير * حليف وساوس حول طوال

يعترض له بطوله وحوله واصاحبه محمد بن بلال بقصره فراجعه أبو عبد الله المذكور بهذه الابيات يعترض له فيها بجربه وكان أبو زيد أصابه جرب كثير

أجل يا نافث السحر الحلال * أتاني منك نظم كاللآلى
يروقك أولا لفظا ومعنى * ويلدغ آخرا لدغ الصلال
تعرض فيه أنك ذو مطال * حليف وساوس حول طوال
كأنك لم تجرب قط خلقا * ولم تعرف بتجربة الليالى
أأنسيت التجارب اذ تجارى * بهن الجرب يا مع الشمال
فلا تغفل عن التجريب يوما * ولو أعطيت فيه جراب مال
وجرب جاريتك واختبره * وجرب جله ان كان قالى
وجار بنيك لا تستحى منه * ومن تجار بابك لا تبالى
وأجر بيالك الجرباء تبصر * نجوم الافق تجرى بانتقال
وجرب أهل جربة تلف قوما * أبو البرس الجوارب والنعال
تجارا باعة تجروا بزيت * تسموا بالتجار بغير مال
اذا سمعوا بقرفى جريب * جروا ببطالة التمر البوالى
اذا جربت هذا الخلق ابدى * لك التجريب أجربة خوالى
ترى بالنجح دهرا جر بؤسا * عليك وجار بالنوب الثقال

وخرج ثلاثة أدباء للنزهة خارج مرسية وصلوا خلف امام بمسجد قرية فاخطأ فى قراءته وسها فى صلاته فلما خرج أحدهم كتب على حائط المسجد

يا مخلى لصلاة * صليتها خلف جلف

فلما خرج الثانى كتب تحته

أغض عنها احياء * من المهيمن طرفى

فلما خرج الثالث كتب تحته

فليس تقبل منا * لو انها ألف ألف

وقال أبو اسحق بن حنيف فى أحدب أخذ مع صبى فى خلوة فضربا وطيف بهما والاحدب على عنق الصبى

رأيت اليوم محمولا * وأعجب منه من حمله
بحمل الناس تحملهم * وهذا حامل جمله

وقال أبو الصلت الاندلسى

وقائلة مابال مثلك خاملا * أأنت ضعيف الرأى م أنت عاجز
فقلت لها ذنبى الى القوم أننى * لما لم يحوزوه من المجد حائز

وكتب بعض المغاربة لابى العباس بن نصال يذكره بحاله

يا غارسا لى ثمار مجد * سقيتها العذب من زلالك

أخاف من زهرها سقوطا * ان لم يكن سقيها بيالك

وكتب الكاتب أبو عبد الله القرطبي مستنجزا وعدا

أبا عبد الاله وعدت وعدا * فأنجز تربح الشكر الجزيلا
ولا تمطل فان المطل يمحو * من الاحسان رونقه الصقيلا
اذا كان الجميل يحب طبعا * فانى أكره الصبر الجميلا

وكتب ابن هذيل الفزارى اللغوى بالله سلطان لسان الدين بن الخطيب

ليس يا مولاى لى من جابر * اذ غدا قلبى من البلوى جذاذا
غير صك أحمر تكتب لى * فيه عنك اعتناء صح هذا

وقال أبو الحسن بن الزقاق فى غلام يهودى كان يجلس معه ويناديه يوم سبت

وحبيب يوم السبت عندى أنتى * ينادمنى فيه الذى أنا أحبيت
ومن أعجب الاشياء أنى مسلم * حنيف ولكن خير أيامى السبت

وقال أبو حيان

ويعجبنى رشف تلك الشفاه * وعض الخدود وهصر القوام
محاسن فاقت قضيب الارا * ك ووردالرياض وكاس المدام

وكتب أحد الادباء برسمية الى فتى وسيم من أعيانها كان يلازم حانوت بعض القضاة بها للتفقه عليه بابيات فى غرض فراجعه عنه أبو العباس بن سعيد بقوله

ما للحجب لدى غير صبابة * تقضى عليه ولوعة وغرام
فدع الطماعة واستراح باليأس من * وصل عليك الى الممات حرام

وقال السميسر

قرابة السوء شر داء * فاحمل اذا هم تعش حميدا
ومن تكن قرحة بفيه * يصبر على مصه الصديدا

وقال ابن خفاجة

ان للجنة بالاندلس * مجتلى عين وريا نفس
فسنا صحتها من شنب * ودجا ليلتها من لعس
فاذا ما هبت الريح صبا * صحت واشوقى الى الاندلس

وقال بعض الاندلسيين ممن لم يحضرنى اسمه الآن

اذا صال ذو ود بود صديقه * فيا أيها الخل المصاحب لى صل بى
فانى مثل الماء لينا لصاحبى * وناهيك للاعداء من رجل صلب

وقال أبو يحيى بن هشام القرطبي

وخائط رائع جمالا * وصاله غاية اقتراحى
تنم منه الخيوط فتلا * بين اقاح وبين راح
تراه فى السلم ذا طعان * بنافذات بلا جراح
حلته أشبهت فؤادى * لكثرة الوخز فى النواحى

تقطع الثوب راحتاه * كصنع ألحاظه الملاح
فقبله ما رأيت بدرا * عمز قابلة الصباح

وقال أبو جعفر أحمد بن عبد الولي البلنسي

غصبت الثريا في البعاد مكانها * وأودعت في عيني صادق نومها
وفي كل حال لم تزالي بخيلة * فكيف أعرت الشمس حلة ضوئها

قال ابن الابار أنشد مؤلف قلائد العقيان هذين البيتين لابي جعفر البني اليعمري وأحدهما غالط من قبل اشتباه نسبهما والتفرقة بينهما مات متوفاة من تأليفي المسمى بهداية المعتسف في المؤتلف والمختلف انتهى وأبو جعفر بن عبد الولي المذكور أحرقه القنبيطور لعنه الله تعالى حين تغلبه بالروم على بلنسية قال ابن الابار وذلك في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وقيل ان احراقه كان سنة تسعين وأربعمائة انتهى * وقال أبو العباس القيجاطي فيما أنشده له ابن الطيلسان

ليس الخمول بعار * على امرئ ذي جلال
فليلة القدر تخفى * وتلك خير الليالي

وقال أبو محمد بن الجحاف المعافري البلنسي

أقول وقد خوفوني القران * وما هو من شره كائن
ذنوبي أخاف وأما القران * فاني من شره آمن

وأبوه أبو أحمد هو المحرق ببلنسية كما ذكرناه في غير هذا الموضع * وقال أبو العباس

وبين ضلوعي للصبابة لوعة * بحكم الهوى تقضي علي ولا أقضي
جفني ناظري منها على القلب ماجني * فيا من رأى بعضا يعين على بعض

ودخل أبو القاسم بن عبد المنعم وكان أزرق وسيما ومعه أبو عبد الله الشاطبي وأبو عثمان سعيد بن قوشترة على صاحب كتاب مشاحذ الافكار في مآخذ النظار فقال ابن قوشترة

عابوه بالزرق الذي يجفونه * والماء أزرق والسنان كذلكا

قوله قوشترة في نسخة قوشرة اه

فقال الشاطبي

والماء يهدي للنفوس حياتها * والرمح يشرع للمنون مسالكا

فقال أبو بكر بن طاهر صاحب كتاب المشاحذ

وكذا الذي أجفانه سبب الردى * لكن أرى طيب الحياة هنالكا

وهذا من بارع الاجازة وكم لاهل الاندلس من مثل هذا الديباج الخسرواني رحمهم الله تعالى وسامحهم * وكتب الشيخ الامام العالم العلامة أبو عبد الله محمد بن الصائغ الاندلسي النحوي عند قول الحريري امنا أن يعززا بثالث ما نصه قد جيء لهما بثالث ورابع في قافيتهما وهو قول بعض الفضلاء

ما الامة اللكعاء بين الورى * كمسلم حر أتى ملأمه
فهو اذا استجديت من قول لا * فالحر لا يملأ منها فمه

ثم قال وبخامس وسادس

انقد مهوى أزره فانثنى * مه ياعذولى فى الذى انتقده
مندمة قتل المعنى فلا * ترسل سهام اللحظ تامن دمه انتهى

قوله سبعين فى نسخة ستين اه

قلت رأيت فى المغرب فى هذا المعنى ما ينيف على سبعين بيتا كلها مساجلة لبيتى الحريرى رحمه الله تعالى * وقال أبو بكر بن عبادة الشاعر فى أبى بكر والد الوزير أبى الوليد بن زيدون

أى ركن من الرياسة هيضا * وجموم من المكارم غيضا
حملوه من بلدة نحو أخرى * كى يوافوا به ثراه الاريضا
مثل حمل السحاب ماطيبا * لتداوى به مكانا مريضا

وكان المذكور توفى فى ضيعة له ونقل تابوته الى قرطبة فدفن فى الربض سنة ٤٠٥ وولد سنة ٣٠٤ * وقال أبو بكر بن قزمان صاحب الموشحات

وعهدى بالشباب وحسن قدى * حكى الف ابن مقلة فى الكتاب
فصرت اليوم منحنيا كأنى * أفتش فى التراب على شبابى

وقال

يارب يوم زارنى فيه من * أطلع من غرته كوكبا
ذو شفة لماء معسولة * ينشع من خديه ماء الصبا
قلت له هب لى بها قبلة * فقال لى مبتسما مرحبا
فذقت شيأ لم أذق مثله * لله ما أحلى وما أعذبا
أسعدنى الله باسعاده * ياشقوتى ياشقوتى لو أبى

قال لسان الدين كان ابن قزمان نسيج وحده أدبا وظرفا ولوذعية وشهرة قال ابن عبد الملك كان أديبا بارعا حلو الكلام مليح النثر مبرزا فى نظم الزجل قال لسان الدين وهذه الطريقة الزجلية بديعة تتحكم فيها ألقاب البديع وتتفسح لكثير مما يضيق على الشاعر سلوكه وبلغ فيها أبو بكر رحمه الله تعالى مبلغا جره الله عن سواه فهو آيتها المعجزة وحجتها البالغة وفارسها المعلم والمبتدئ فيها والمتمم وقال الفتح فى حقه مبرز فى البيان ومحرز للسبق عند تسابق الاعيان اشتمل عليه المتوكل على الله فرقاه الى مجالس وكساه ملابس فامتطى اسمى الرتب وتبوأها ونال أسنى الخطط وملأها وقد أثبت له مايعلم به رفيع قدره ويعرف كيف أساءله الزمان بغدره كقوله

ركبوا السيول من الخيول وركبوا * فوق العوالى السمر زرق نطاف
وتجللوا الغدران من ماذيهم * مرتجة الاعلى الاكناف

والماذى العسل والنطاف جمع النطفة وهى الماء الصافى قل أو كثر * وقال الفقيه ابو بكر ابن القوطية صاحب الافعال فى اللغة والغريب فى زمن الربيع

ضحك الثرى وبدا لك استبشاره * فاخضر شاربه وطر عذاره
ودنت حدائقه وزر زنبقه * وتعطرت أنواره وثماره
واهتز ذابل كل ماء قرارة * لما أتى متطلعا آذاره
وتعممت صلع الربا بنباته * وترنمت من عجبها أطياره

وقال

وقال فى المطمح فى حق ابن القوطية المذكور انه ممن له سلف وثنية كلها شرف وهو أحد المجتهدين فى الطلب والمشتهرين بالعلم والادب والمنتدبين للعلم والتصنيف والمرتبين له بحسن الترتيب والتأليف وكان له شعر نبيه وأكثره أوصاف وتشبيه انتهى *وقال القاضى الاجل يونس بن عبد الله بن مغيث

أتوا حسه اذ قيل جد نحوله * فلم يبق من لحم عليه ولا عظم
فعادوا قميصا فى فراش فلم يجد * ولا لمسوا شيأ يدل على جسم
طواه الهوى فى ثوب سقم من الضنى * وليس بمحسوس بعين ولا وهم

وقال فى المطمح فيه انه قاضى الجماعة بقرطبة فاضل ورع مبرز فى النسك والزهد دائم الارق فى التخشع والسهاد مع التحقق بالعلم والتميز بحمله والتحيز الى فئة الورع وأهله وله تآليف فى التصوف والزهد منها كتاب المنقطعين الى الله وكتاب المجتهدين واشعار فى هذا المعنى منها قوله

فررت اليك من ظلمى لنفسى * وأوحشنى العباد وأنت أنسى
قصدت اليك منقطعا غريبا * لتؤنسنى وحدتى فى قعر رمسى
وللعظمى من الحاجات عندى * قصدت وأنت تعلم سر نفسى

ولما أراد المستنصر بالله غزو الروم تقدم الى أبى محمد والده بالكون فى صحبته ومسايرته فى غزوته فاعتذر بعذر يجده وألم لا يجده فقال له الحكم ان ضمن لى أن يؤلف فى أشعار خلفائنا بالمشرق والاندلس مثل كتاب الصولى فى أشعار خلفاء بنى العباس أعفيته من الغزاه وجازيته أفضل الجزاء فأجابه اليه على أن يؤلفه بالقصر فزعم انه رجل مزور وأن ذلك الموضع ممتنع على من يلم به ويزور فألفه بدار الملك المطلة على النهر وأكمله فيما دون شهر وتوفى المستنصر اذ ذاك انتهى *وقال ابن سيده صاحب المحكم يخاطب اقبال الدولة

الاهل الى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فان الامن فى ذاك واليمنا

قال فى المطمح الفقيه أبو الحسن على بن أحمد المعروف بابن سيده امام فى اللغة والعربية وهمام فى الفئة الادبية وله فى ذلك أوضاع لافهام أخلافها استدرار واسترضاع حررها تحريرا وأعاد طرف الذكا بها قريرا وكان منقطعا الى الموفق صاحب دانيه وبها أدرك أمانيه ووجد تجرده للعلم وفراغه وتفرد بتلك الاراغه ولاسيما كتابه المسمى بالمحكم فانه أبدع كتاب وأحكم ولما مات الموفق رائش جناحه ومثبت غرره وأوضاحه خاف من ابنه اقبال الدولة وأطاف به مكروها بعض من كان حوله اذ أهل الطلب لحيات مساوره تفزع الى بعض الاعمال المجاوره وكتب اليه منها مستعطفا

الاهل الى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فان الامن فى ذاك واليمنا
تقضى هموم طلحته خطوبها * ولا غاربا يبقين منه ولا متنا
غريب نأى أهلوه عنه وشفه * هواهم فأمسى لا يقر ولا يهنا
فيا ملك الاملاك انى مخلأ * عن الورد لا عنه اذادا ولا أدنى

تحققت مكروها فأقبلت شاكيا * لعمري أما أذون لعبدك أن يعفى
وان تتأكد في دمي لك نية * فأني بسيف لا أحب له جفنا
اذا ما غدا من حر سيفك باردا * فقد ما غدا من برد نعماكم سخنا
وهل هي الا ساعة ثم بعدها * مستقر ما عمرت من ندم سنا
ومالي من دهري حياة الذها * فتجعلها نعمى علي وتمتنا
اذا ميتة ارضتك عنا فهاتها * حبيب الينا ما رضيت به عنا

وقال الفقيه أبو محمد غانم بن الوليد الاندلسي المخزومي المالقي

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا في معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وله

الصبر أولى بوقار الفتى * من قلق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حالة * كان على أيامه بالخيار

وقال في المطمح فيه انه عالم متفرس وفقيه مدرس وأستاذ متجرد وامام لاهل الاندلس مجود وأما الادب فكان جل شرعته وهو رأس بغيته مع فضل وحسن طريقه وجد في جميع الامور وحقيقه انتهى * وقال المحدث الحافظ أبو عمر بن عبد البر يوصي ابنه بمقصورة

يجاف عن الدنيا وهون لقدرها * ووف سبيل الدين بالعروة الوثقى
وسارع بتقوى الله سرا وجهرة * فلاذ بتة أقوى هديت من التقوى
ولا تنس شكر الله في كل نعمة * يمن بها فالشكر مستجلب النعمى
فدع عنك ما لا حظ فيه لعاقل * فان طريق الحق أبلج لا يخفى
وشح بأيام بقين قلائل * وعمر قصير لا يدوم ولا يبقى
ألم تر أن العمر يمضي موليا * فجدته تبلى ومدته تفنى
تخوض ونلهو غفلة وجهالة * وتنشر أعمالا وأعمارنا تطوى
تواصلنا فيه الحوادث بالردى * وتتابنا فيه النوائب بالبلوى
عجبت لنفس تبصر الحق بينا * لديها وتأبى أن تفارق ما تهوى
وتسعى لما فيه عليها مضرة * وقد علمت أن سوف تجزى بما تسعى
ذنوبي أخشاها ولست بآيس * وربي أهل أن يخاف وأن يرجى
وان كان ربي غافر الذنب من يشا * فاني لا أدري أأكرم أم أخزى

وقال في المطمح الفقيه الامام العالم الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر امام الاندلس وعالمها الذي التاحت به معالمها صحح المتن والسند وميز المرسل من المسند وفرق بين الموصل والقاطع وكسا الملة منه نور ساطع حصر الرواة وأحصى الضعفاء منهم والثقات وجد في تصحيح السقيم وجد دمنه ما كان كالكهف والرقيم مع معلنات العلل وارهاف ذلك العلل والتنبيه والتوقيف والاتقان والتشقيف وشرح المقفل

واستدرك المغفل وله فنون هى للشريعة رتاج وفى مفرق الملة تاج أشهرت للحديث ظبا وفرعت لمعرفته ربا وهبت لتفهمه شمال وصبا وشفت منه وصبا وكان ثقه والانفس على تفضيله متفقه وأما أدبه فلا تعبر لجته ولا تدحض حجته وله شعر لم نجد منه الا مانفث به أنفه وأفصى فيه عن معرفه فمن ذلك قوله وقد دخل الشبيلية فلم يلق فيها مبرة ولم ير من أهلها تهلل أسرة فأقام بها حتى أخلقه مقامه واطبقه اغتمامه فارتحل وقال

تنكر من كنا نسر بقربه * وعاد زعافا بعد ما كان سلسلا
وحق لجار لم يوافقه جاره * ولا لامته الدار أن يتحولا
بليت بحمص والمقام ببلدة * طويلا لعمرى مخلق يورث البلى
اذا هان حر عند قوم أتاهم * ولم يتأعنهم كان أعمى وأجهلا
ولم تضرب الامثال الا لعالم * وما عوتب الانسان الا ليعقلا انتهى

وقال الفقيه أبو بكر بن أبى الدودس

قوله ابن أبى الدودس فى نسخة اسقاط لفظ أبى اه

اليك أبا يحيى مددت يد المنى * وقد ماغدت عن جود غيرك تقبض
وكانت كنور العين يلمع بالدجا * فلما دعاه الصبح لباه ينهض

وقال فى المطمح انه من أبدع الناس خطا وأصحهم نقلا وضبطا اشتهر بالاقراء واقتصر بذلك على الامراء ولم يخط لسواهم ومطل الناس بذلك ولواهم وكان كثير التحول عظيم التجول لا يستقر فى بلد ولا يستظهر على حرمانه بجلد فقد فته النوى وطردته عن كل ثوى ثم استقر آخر عمره بأغمات وبهامات وكان له شعر بديع يصونه ابدا ولا يمتهنه بدا أخبرنى من دخل عليه بالمرية فرآه فى غاية الاملاق وهو فى ثياب أخلاق وقد توارى فى منزله توارى المذنب وقعد عن الناس قعود مجتنب فلما علم ما هو فيه وترفعه عن يجتديه عاتبه فى ذلك الاعتزال وآخذه حتى استنزله بغيض الانزال وقال له هلا كتبت الى المعتصم فما فى ذلك ما يصم فكتب اليه اليك أبا يحيى مددت يد المنى البيتين انتهى * وقال الفقيه القاضى الفاضل أبو الفضل بن الاعلم حين أقلع وأناب وودع ذلك الجناب وتزهد وتنسك وتمسك من طاعة الله بما تمسك وتذكر يوما يتجرد من أمله وينفرد فيه بعمله

الموت يشغل ذكره * عن كل معلوم سواه
فاعمل له ربع ادكا * رك فى العشية والغداه
واكحل به طرف اعتبا * رك طول أيام الحياه
قبل ارتكاض النفس ما * بين التراقى واللهاه
فيقال هذا جعفر * رهن بما كسبت يداه
عصفت به ريح المنو * ن فصيرته كما تراه
فضعوه فى أكفانه * ودعوه يجنى ما جناه
وتمتعوا بمتاعه * الحزون واحودا ما حواه

يا منظرا مستبشعا * بلغ الكتاب به مداه
لقيت فيه بشارة * تشفى فؤادى من جواه
ولقيت بعدك خير من * نباه ربى واجتباه
فى دار خفض ما اشتهت * نفس المقيم بها أتاه

وقال فى المطمح انه كهل الطريقة وفتى الحقيقة تدرع الصيانة وبرع فى الورع والديانة وتماسك عن الدنيا عفافا وماتماسك التماسا بأهلها والتفافا فاعتقل النهى وتنقل فى مراتبها حتى استقر فيها فى السها وعطل أيام الشباب ومطل فيها سعاد وزينب والرباب الاساعات وقفها على المدام وعطفها الى الندام حتى تخلى عن ذلك واترك وأدرك من المعلومات ما ادرك وتعرى من الشبهات وسرى الى الرشد مستيقظا من تلك السنات وله تصرف فى شتى من الفنون وتقدم فى معرفة المفروض والمسنون وأما الادب فلم يجاره فى ميدانه أحد ولا استولى على احسانه فيه حصر ولا حد وجده أبو الحجاج الاعلم هو خلد منه ما خلد ومنه تقلد ما تقلد وقد أثبت لابى الفضل هذا ما يسقيك ماء الفضل زلالا ويريك سحر البيان حلالا فمن ذلك ما كتب به الى وقد مررت على شنت مرية بعد ما رحل عنها وانتقل واعتقل من نوانا وبيننا ما اعتقل وشنت مرية هذه داره وبها كمل هلاله وابداره وفيها استقضى وشيم مضاؤه وانتضى فالتقينا بها على ظهر وتعاطينا ذكر ذلك الدهر فجددت من شوقه ما كان قد شب عن طوقه فرامنى على الاقامه وسامنى على ذلك بكل كرامه فأبيت الا النوى وانثنيت عن النوى فودعنى ودفع الى تلك القطعة حين شيعنى

بشراى أطلعت السعود على * آفاق أنسى بدرها كملا
وكسا أديم الارض منه سنا * فكست بسائطها به حللا
ايه أبا نصر وكم زمن * قصرا دكارك عندى الأملا
هل تذكرن والعهد يخجلنى * هل تذكرن أيامنا الاولا
أيام نعثر فى أعنتنا * ونجر من أبرادنا خيلا
ونحل روض الانس مؤتنقا * ونحل شمس مرادنا الحملا
ونرى ليالينا مساعفة * تدعو رفاقتنا الجفلى
زمن نقول على تذكره * ماتم حتى قيل قد رحلا
عرضت لزورتكم وما عرضت * الا لتمحق كل ما فعلا

ووافيته عشية من العشايا أيام ائتلافنا وعودنا الى مجلس الطلب واختلافنا فرأيته مستشرفا متطلعا يرتاد موضعا يقيم به لثغور الانس مرتشفا ولثديه مرتضعا فحين مقانى تقلدنى اليه واعتقلنى وملنا الى روضة قد سندس الربيع فى بساطها ودبج الزهر دوانك أوساطها وأشعرت النفوس فيها بسرورها وانبساطها فأقمنا بها نتعاطى كؤس أخبار ونتهادى أحاديث جهابذة وأحبار الى أن تنرز عفران العشى وأذهب الانس خوف العالم الوحشى فقمت وقام وعوج الرعب من ألسنتنا ما كان

استقام

استقام وقال

وعشية كالسيف الاحدّه * بسط الربيع بها لنعلى خدّه
عاطيت كاس الانس فيها واحدا * ماضرّه ان كان جمعا وحده

وتنزه يوما بحديقة من حدائق الحضرة قد اطرد نهرها وتوقد زهرها والريح يسقطه فينتظم بلبة الماء ويتبسم به فتخاله كصفحة خضرة السماء فقال

انظر الى الازهار كيف تطلعت * بسماوة الروض المجود نجوما
وتساقطت فكان مسترقادنا * للسمع فانقضت عليه رجوما
والى مسيل الماء قد رقت به * صنع الرياح من الحباب رقوما
ترمى الرياح لها نثير أزاهر * فتمدّه في شاطئيه رقيما

وله يصف قلم براعه وبرع في صفته أعظم براعه

ومهفهف ذلق صليب المكسر * سبب لنيل المطلب المتعذر
متألق تنبيك صفرة لونه * بقديم صحبته لآل الاصفر
ماضرّه ان كان كعب براعة * وبحكمه اطردت كعوب السمهرى

وله عند ما شارف الكهولة واستأنف قطع صرة كانت موصولة

أما أنا فقد ارعويت عن الصبا * وعضضت من ندم عليه بنانى
فأطعت نصاحى ورب نصيحة * جاؤا بها فلججت فى العصيان
أيام أسحب من ذيول شبيبتى * مرحا وأعثر فى فضول عنانى
وأجل كلمى أن ترى موضوعة * فعلى يدى أو فى يدى ندمانى
أيام أحيا بالغوانى والغنا * وأموت بين الراح والريحان
فى فتية فرضوا اتصال هواهم * غناهم دنّ من الادنان
هزت علاهم أريحيات الصبا * فهى النسيم وهم غصون البان
من كل مخلوع الاعنة لم يسل * فى غيه بمصارف الازمان

الى أن قال ومن نثره يصف فرسا انظر اليه سليم الاديم كريم القديم كانما نشأ بين الغبراء والنجوم نجم اذا بدا ووهم اذا عدا يستقبل بغزال ويستدبر بوال ويتحلى بشيات تقسيمات الجمال * وله يصف سرجا برزة جياد ومركب أجواد جميل الظاهر رحيب ما بين القادمة والآخر كانما قدّ من الخلود أديمه واختص باتقان الحبك تقويمه * وله فى وصف لجام متناسب الاشلاء صريح الانتماء الى ثريا السماء فكله نكال وسائره جمال * وله فى وصف رمح مطرد الكعوب صحيح اتصال الغالب والمغلوب أخو ينوب كلما استنيب ويصيب * وله فى وصف قميص كافورى الاديم بابلى الرسوم تباشر منه الجسوم ما يباشر الروض من النسيم * وله فى وصف بغل مترف النسب مستخبر الشرف آمن الكبب ان ركب امتنع اعقاله أو ركب استقل به أخوالة * وله فى وصف حمار وثيق المفاصل عتيق النهضة اذا ونت المراسل انتهى بعض اختصار

* وقال الاديب الشاعر أبو عمرو يوسف بن هرون الكندى المعروف بالرمادى

أومى لتقبيل البساط خنوعا * فوضعت خدى فى التراب خضوعا
ما كان مذهبه الخنوع لعبده * الازيادة قلبه تتطبعا
قولوا لمن أخذ الفؤاد مسلما * يمنن على برده مصدوعا
العبد قد يعصى وأحلف انني * ماكنت الاسامعا ومطيعا
مولاى يحيى فى حياة كاتمه * وأنا أموت صبابة وولوعا
لاتنكروا غيث الدموع فكل ما * ينحل من جسمى يكون دموعا

والرمادى المذكور عرف به غير واحد منهم الحافظ أبو عبد الله الحميدى فى كتابه جذوة المقتبس وقال أظن أن أحد آبائه كان من أهل الرمادة وهى موضع بالمغرب وهو قرطبى كثير الشعر سريع القول مشهور عند الخاصة والعامة هنالك لسلوكه فى فنون من المنظوم والمنثور مسالك حتى كان كثير من شيوخ الادب فى وقته يقولون فتح الشعر بكندة وختم بكندة يعنون امرأ القيس والمتنبى ويوسف بن هرون على أن فى كون المتنبى من كندة القبيلة كلاما مشهورا وأخذ أبو عمر بن عبد البر عن الرمادى هذا قطعة من شعره وضمنها بعض تاليفه قال ابن حيان توفى الرمادى سنة ٤٠٣ وذكر ابن سعيد فى المغرب أن الرمادى اكتسب صناعة الادب من شيخه أبى بكر بن هذيل الكفيف عالم أدباء الاندلس وهو القائل رحمه الله تعالى

لاتلمنى على الوقوف بداو * أهلها صيروا السقام ضجيعى
جعلوا لى الى هواهم سبيلا * ثم سدوا على باب الرجوع

وروى الرمادى عن أبى على كتاب النوادر ومدح أبا على بقصيدة كما أشرنا اليه فى غير هذا الموضع وقال فى المطمح انه شاعر مفلق انفرج له من الصناعة المغلق ووهض له برقها المؤتلق وسال بها طبعه كالماء المندفق فأجمع على تفضيله المختلف والمتفق فتارة يحزن وأخرى يسهل وفى كلتاهما بالبديع يعل وينهل فاشتهر عند الخاصة والعامة بانطباعه فى الفريقين وابداعه فى الطريقين وكان هو وأبو الطيب متعاصرين وعلى الصناعة متغايرين وكلاهما من كنده ومامنهما الا من اقتدح فى الاحسان زنده وتمادى بأبى عمرو طلق العمر حتى أفرده صاحبه وندمه وهريق شبابه واستشن أديمه ففارق تلك الايام وبهجتها وأدرك الفتنة فخاض لجتها وأقام فرقا من هيجانها شرقا باشجانها ولحقته فيها افاقة نهكته وبعدت عنه الافاقة حتى أهلكته وقد أثبت من محاسنه مايعجبك سرده ولايمكنك نقده فمن ذلك قوله

شطت نواهم بشمس فى هوادجهم * لولا تلألؤها فى ليلهن عشوا
شكت محاسنها عينى وقد غدرت * لانها بضمير القلب تفحمش
شعر ووجه تبارى فى اختلافهما * بحسن هذا وذاك الروم والحبش
شككت فى سقمى منها أفى فرشى * منها تنكست الاطياف والفرش

الى أن قال وكان كافا بفتى نصرانى استسهل لباس زناره والخلود معه فى ناره وخلع برده لمسوحه وتشرع من صبيحه وراح فى بيعته وغدا من شيعته ولم يشرب

نصيبه حتى حط عليه صليبه فقال

أدرها مثل ريقك ثم صلب • كعادتهم على وهمى وكامى
فيقضى ما أمرت به اجتلابا • لمسرورى وزاد خضوع رامى

وله فى مثله

ورأيت فوق النحر در • عا فاقعا من زعفران
فمزجته لونا سقا • مى بالنوى والزجر شانى
يا من نأى عنى كما • تنأى العيون الفرقدان
فأرى بعينى الفرقدين • ن ولا أراه ولا يرانى
لا قدرت لك أوبة • حتى يؤب القارظان
هل نم الا الموت فر • دا لا تكون منيتان

وله أيضا

اشرب الكاس يا نصير وهات • ان هذا النهار من حسناتى
بأبى غرة ترى الشخص فيها • فى صفاء أصفى من المرآت
تنزح الناس نحوها بازدحام • كازدحام الحجيج فى عرفات
ها تها يا نصير انا اجتمعنا • بقلوب فى الدين مختلفات
انما نحن فى مجالس لهو • نشرب الراح ثم أنت موالى
فاذا ما انقضت ديانة ذا اللهـ • ـو اعتمدنا مواضع الصلوات
لو مضى الدهر دون راح وقصف • لعددناه هذا من السيئات

وشاعت عنه أشعار فى دولة الخلافة وأهلها سقد اليهم صائبات نبلها وسقاهم كؤس نهلها أوغرت عليه الصدور ونعرت عليه المنايا ولكن لم يساعدها المقدور فسجنه الخليفة دهرا وأمكنه من النكبة وعرا فاستعطفه أثناء ذلك واستلطفه وأجناه كل زهر من الاحسان وأقطفه فما أصغى اليه ولا ألفى موجدته عليه وله فى السجن أشعار صرح فيها بنيته وافصح فيها عن جل الخطب لفقد صبره ونكنه فمن ذلك قوله لك الأمن من شجو يزيد تشوقى ومنها

فوافوا بنا الزهراء فى حال خالع الأئمة لاستيفائهم فى التوثق
وحولى من أهل التأدب مأتم • ولا جؤذر الا بثوب مشقق
فلو أن فى عينى الحمام كروضها • وان كان فى ألوانه غير مشفق
ونادى حمامى مهجتى لتقلقلت • فهلا أجابت وهو عندى بمخنق
أعينى ان كانت لدمعى فضلة • تثبت صبرى ساعة فتدفق
فلو ساعدت قالت أمن عدة الامى • تنفق دمعى أم من البحر تستقى

ومنها

وقالت تظن الدهر يجمع بيننا • فقلت لها من لى بظن محقق
ولكننى فيما زجرت بمقلتى • زجرت اجتماع الشمل بعد التفرق

فقد كانت الاشعار فى مثل بعدنا * فلما التقت بالطيف قالت سألتقى
أباكية يوما ولم يأت وقته * سينفد قبل اليوم دمعك فارفقى

الى أن قال وله أيضا

على كبرى تهمى السحاب وتذرف * ومن جزع تبكى الحمام وتهتف
كأن السحاب الواكفات غواسلى * وتلك على فقدى نوائح هتف
الا ظعنت ليلى وبان قطينها * ولكننى باق فلوموا وعنفوا
وآنست فى وجه الصباح لبينها * نحولا كأن الصبح مثلى مدنف
واقرب عهد رشفة بلت الحشا * فعاد شتاء باردا وهو صيف
وكانت على خوف فولت كأنها * من الردف فى قيد الخلاخل ترسف

وله

قبلته قدام قسيسه * شربت كاسات بتقديسه
يفزع قلبى عند ذكرى له * من فرط شوقى فرع ناقوسه

وسجن معه غلام من أولاد العبيدى فيه مجال وفى نفس منأمله من لوعته أوجال فكتب يخاطب الموكل بالسجن يقطعه منها

جليسك ممن أتلف الحب قلبه * ويلذع قلبى حرقة دونها الجمر
هلال وفى غير السماء طلوعه * وريم ولكن ليس مسكنه القفر
تأملت عينيه فخامرنى السكر * ولا شك فى أن العيون هى الخمر
أناطقه كيما يقول وانما * أناطقه عمدا لينثر الدرّ
أنا عبده وهو المليك كما اسمه * فلى منه شطر كامل وله شطر

انتهى باختصار * وقال محمد بن هانئ

قد مررنا على مغانيك تلك * فرأينا بها مشابه منك
عارضتها المها الجوادل سربا * عند أجراعها فلم نسل عنك
لا يرع للمها بذكرك سرب * أشبهتك فى الوصف ان لم تكنك
كن عذيرى لقد رأيت معاجى * يوم تبكى بالجزع وابكى وأبكى
بجنين مرجع وتشك * وأنين موجع كتشكى

وقال صاحب المطمح فى حقه الاديب أبو القاسم محمد بن هانئ ذخر خطير وروض أدب مطير غاص فى طلب الغريب حتى أخرج درّه المكنون وبهرج بافتنانه فيه كل الفنون وله نظم تمنى الثريا أن تتوج به وتتقلد ويود البدر أن يكتب ما اخترع فيه وولد زهت به الاندلس وتاهت وحاسنت بيد ائعه الاشمس وباهت فحد المغرب فيه المشرق وغص به من بالعراق وشرق غير أنه نبت به أكنافها وشعفت عليه آنافها وبرئت منه وزويت الخيرات فيها عنه لانه سلك مسلك المعرى وتجرد من التدين وعرى وأبدى الغلو وتعدى الحق المجاوز فجته الانفس وأرجته الاندلس فخرج على غير اختيار وما عرج على هذه الديار الى أن وصل الزاب واتصل بجعفر ابن الاندلسيه

مأوى تلك الجنسيه فناهيك من سعد ورد عليه فكرع ومن باب ولج فيه وماقرع فاسترجع عنده شبابه واتجع وبله وربابه وتلقاه بتأهيل ورحب وسقاه صوب تلك السحب فأفرط فى مدحه فيه فى الغلو وزاد وقرع عنده تلك المزاد ولم يتورع ولاثناه ذوورع وله بدائع يتحير فيها ويحار ويحال لرقتها أنها أسحار فانه اعتمد التهذيب والتحرير واتبع فى أغراضه الفرزدق مع جرير وأما تشبيهاته فخرق فيها المعتاد وماشاء منها اقتاد وقد أثبت له ماتحن له الاسماع ولاتمكن منه الاطماع فمن ذلك قوله

أيلتنا اذ أرسلت واردا وحفا ٭ ويتنارى الجوزاء فى أذنها شنفا
وبات لناساق يقوم على الدجا ٭ بشمعة صبح لاتقط ولاتطفا
أغن غضيض خفف اللين قده ٭ وثقلت الصهباء أجفانه الوطفا
ولم يبق ارعاش المدام له يدا ٭ ولم يبق اعنات التثنى له عطفا
نزيف نضاه السكر الا ارتجاجة ٭ اذا كل عنها الخصر حملها الردفا
يقولون حقف فوقه خيزرانة ٭ أما يعرفون الخيزرانة والحقفا
جعلنا حشايانا شباب مدامنا ٭ وقدت لنا الازهار من جلدها لحفا
فمن كبد توحى الى كبد هوى ٭ ومن شفة تؤوى الى شفة رشفا

ومنها

كان السماكين اللذين تراهما ٭ على لبدتيه ضامنان له حتفا
فذا رامح يهوى اليه سنانه ٭ وذا أعزل قد عض أنمله لهفا
كان سهيلا فى مطالع أفقه ٭ مفارق الف لم يجد بعده الفا
كان بنى نعش ونعشا مطافل ٭ بوجرة قد أضللن فى مهمه خشفا
كان سناها عاشق بين عوّد ٭ فآونة يبدو وآونة يخفى
كان قدامى النسر والنسر واقع ٭ قصصن فلم تسم الخوافى له ضعفا
كان أخاه حين حوم طائر ٭ الى دون نصف البدر فاختطف النصفا
كان ظلام الليل اذ مال ميلة ٭ صريع مدام بات يشربها صرفا
كان عمود الصبح خافان معشر ٭ من الترك نادى بالنجاشى فاستخفى
كان لواء الشمس غرة جعفر ٭ رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

وله أيضا

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر ٭ وأمدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقائع يانعا ٭ بالنصر من علو الحديد الاحمر
أبنى العوالى السمهرية والسيو ٭ ف المشرفية والعديد الاكثر
من منكم الملك المطاع كأنه ٭ تحت السوابغ تبع فى حمير
جيش تعدله الليوث وقودها ٭ كالفيل من قصب الوشيج الاخضر
وكأنما سلب القشاعم ريشها ٭ مما يشق من العجاج الاكدر
لحق القبول مع الدبور وسار فى ٭ جمع الهرقل وعزمة الاسكندر

في فتية صدأ الحديد لباسهم * في عبقري البيض جنة عبقر
وكفاه من حب السماحة أنه * منها بموضع مقله من محجر

ومنها

نعماؤه من رحمة ولباسه * من جنة وعطاؤه من كوثر

وله أيضا من قصيدة في جعفر بن علي

ألا أيها الوادي المقدس بالندى * وأهل الندى قلبي اليك مشوق
وياأيها القصر المنيف قبابه * على الزاب لا يبدو اليك طريق
ويا ملك الزاب الرفيع عماده * بقيت لجمع المجد وهو فريق
فلم أنس لا أنس الامير اذا غدا * يروع لغوى ملكه ويروق
فللجود مجرى من صفيحة وجهه * اذا كان من ذاك الجبين شروق
وهزته للمجد حتى كأنما * جرت في سجاياه العذاب رحيق
أما وأبي تلك الشمائل انها * دليل على أن النجار عتيق
فكيف بصبر النفس عنه ودونه * من الارض مغبر الفجاج عميق
فكن كيف شاء الناس أو شئت دائما * فليس لهذا الملك غير لنا فوق
ولا تنكر الدنيا على نيل رتبة * فما نالتها الا وأنت حقيق

وله من أخرى

خليلي أين الزاب مني وجعفر * وجنات عدن بثت عنها وكوثر
فقبلي نأى عن جنة الخلد آدم * فما راقه من جانب الارض منظر
لقد سرني أني أمر بباله * فيخبره عني بذلك مخبر
وقد ساءني أني أراه بليدة * بها منك منه عظيم ومشعر
وقد كان لي منه شفيع مشفع * به يعصم الله الذنوب ويغفر
أتى الناس أفواجا اليك كأنما * من الزاب بيت أو من الزاب محشر
فانت لمن قد مزق الله شمله * ومعشره والاهل أهل ومعشر

وله أيضا

ألا طرقتنا والنجوم ركود * وفي الحي أيقاظ وهن هجود
وقد أعجل الفجر المليح خطوها * وفي أخريات الليل منه عمود
سرت عاطلا غضبى على الدهر وحده * ولم يدر نحر مادهاه وجيد
فما برحت الا ومن سلك أدمعي * قلائد في لباتها وعقود
وياحسنها في يوم نضت سوالفا * تريع الى أترابها وتحيد
ألم يأتها أنا كبرنا عن الصبا * وأنا بلينا والزمان جديد
ولا كالليالي مالهن موائق * ولا كالغواني مالهن عهود
ولا كالمعز ابن النبي خليفة * له الله بالفخر المبين شهيد

وله من قصيدة يمدح بها يحيى بن علي بن رمان

فيخبره عني الخ في نسخة ليخبرني عنه الخ اه

قفا بي فلا مسرى معرسنا ولا نسرى * والا نرى مشى القطا الوارد الكدر
قفا نتبين أين ذا البرق منهم * ومن حيث تأتى الريح طيبة النشر
لعل نرى الوادى الذى كنت مرة * أزورهم فيه تضوع للسفر
والا فاواد يسيل بعنبر * والا فما تدرى الركاب ولا ندرى
أهكل كنيس بالصريم تظنه * كناس الظباء الدعج والشدن العفر
وهل عجبوا أنى أسائل عنهم * وهم بين أحناء الجوانح والصدر
وهل علموا أنى أيمم أرضهم * ومالى بها غير التعسف من خبر
ولى سكن تأتى الحوادث دونه * فيبعد عن عينى ويقرب من فكرى
اذا ذكرته النفس جاشت بذكره * كما عثر الساقى بجام من الخمر
فلا تسألانى عن زمانى الذى خلا * فوالعصر انى بعد يحيى لفى خسر
وآليت لا أعطى الزمان مقادتى * على مثل يحيى ثم أغضى على الوتر
حنينى اليه ظاعنا ومخيما * وليس حنين الطير الا الى الوكر

وله من قصيدة

فتكات طرفك أم سيوف أبيك * وكؤوس خمرك أم مراشف فيك
أجلاد مرهفة وفيك محاجر * لا أنت راحمة ولا أهلوك
يابنت ذى السيف الطويل نجاده * أكذا يجوز الحكم فى ناديك
عيناى أم مغناك موعدنا على * وادى الكرى ألقاك أم واديك

وله أيضا

أحبب بها تيك القباب قبابا * لا بالحداة ولا الركاب ركابا
فيها قلوب العاشقين تخالها * عنما بأيدى البيض أم عنابا
والله لولا أن يعنفنى الهوى * ويقول بعض العاذلين تصابى
لكسرت دملجها بضيق عناقها * ورشفت من فيها الجبرود رضابا
يتم فلولا أن أغير لمتى * عبثا وألقاكم على عضابا
لخططت شيبا فى مفارق لمتى * ومحوت محو النفس عنه شبابا
وخضبت مبيض الحداد عليكم * لو أننى أجد البياض خضابا
واذا أردت على المشيب وفادة * فاحنث مطيك دونه الاحقابا
فلتأخذن من الزمان حمامة * ولتبعثن الى الزمان غرابا

ومنها

قد طيب الاقطار طيب ثنائه * من أجل ذا تجد الثغور عذابا
لم تدنى أرض اليك وانما * جئت السماء ففتحت أبوابا
ورأيت حولى وفد كل قبيلة * حتى توهمت العراق الزابا
أرض وطئت الدر من رضراضها * والمسك ترباً والرياض جنابا
ورأيت أجبل أرضها منقادة * فحسبتها مدت اليك رقابا

سد الامام بها الثغور وقبلها * هزم النبي بقومك الاحزابا انتهى

وقال ابن هانئ يصف الاسطول

معطفة الاعناق نحو متونها * كما تبهت أيدي الحواة الافاعيا
اذا ماوردن الماء شوقا لبرده * صدرن ولم يشربن غرقى صواديا
اذا أعملوا فيها المجاذيف سرعة * ترى عقربا منها على الماء ماشيا

وقال الاديب أبو عمر أحمد بن فرج الجياني رحمه الله تعالى

وطائعة الوصال غدوت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت في الليل سائرة ظلام الـ * ـدياجو منه سافرة القناع
وما من لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعي
فلكت النهى حجاج شوقي * لاجري بالعفاف على طباعي
وبت بها مبيت الطفل يظما * فيمنعه الفطام عن الرضاع
كذاك الروض ليس به لمثلي * سوى تطريشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فاتخذ الرياض من المراعي

وقال

للروض حسن فقف عليه * واصرف عنان الهوى اليه
أما ترى نرجسا نضيرا * يرنو اليه بمقلتيه
نثر حبيبي على رباه * وصفرتي فوق وجنتيه

وقال

بهلكة يستهلك الحمد عفوها * ويترك شغل العزم وهو مبدد
ترى عاصف الارواح فيها كأنها * من الاين تمشي ظالع أو مقيد

وقال في المطمح محرز الخصل مبرز في كل معنى وفصل متميز بالاحسان منتم الى فئة البيان ذكي الخلد مع قوة العارضة والمنة الناهضة حضر مجلس بعض القضاة وكان مشتهر الضبط مشهر المن انبسط فيه بعض البسط حتى ان أهله لا يتكلمون فيه الا رمزا ولا يخاطبون الا ايماء فلا تسمع لهم ركزا فتكلم فيه خصمه كلاما استطال به عليه لفضل بيانه وطلاقة لسانه ففارق عادة المجلس في رفض الانفة وخفض الحجة المؤتنفة وهز عطفه وحسر عن ساعده وأشار بيده ماذا بها الوجه خصمه خارجا عن حد المجلس ورسمه فهم الاعوان بتقويمه وتثقيفه ووزعهم رهبة منه وخشية حتى تناوله القاضي بنفسه وقال له مهلا عافاك الله اخفض صوتك واقبض يدك ولا تفارق مركزك ولا تعد حقك واقصر عن ادلالك فقال له مهلا يا قاضي أمن المخدرات أتاك فاخفض صوتي وأستريدي واغطي معاصمي لديك أم من الانبياء أنت فلا يجهر بالقول عندك وذلك لم يجعل الله تعالى الا لرسوله عليه الصلاة والسلام لقول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الى قوله لا تشعرون ولست به ولا كرامة وقد ذكر الله تعالى أن النفوس تجادل في القيامة في موقف الهول الذي لا يعدله مقام ولا يشبهه

انتقامه انتقام فقال تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها الى قوله تعالى وهم لا يظلمون لقد تعديت طورك وعلوت فى منزلك وانما البيان بعبارة اللسان وبالنطق يتبين الحق من الباطل ولا بد فى الخصام من افصاح الكلام وقام وانصرف فبهت القاضى ولم يحر جوابا وكان فى الدولة صدرا من أعيانها وناسق درر تبيانها نفق فى سوقها وصنف وقرط محاسنها وشنف وله الكتاب الرائق المسمى بالحدائق وأدرك فى الدولة سعى وفضل له فيها رعى واعتقله الخليفة وأوثقه فى مكان أخيه فلم يومض له عفو ولم يشب كدر حاله صفو حتى قضى معتقلا ونعى للنائبات نعيا مشكلا وله فى السجن أشعار كثيره وأقوال مبدعات منيره فمن ذلك ما أنشده ابن حزم يصف خيالا طرقه بعدما أسهره الوجد وأرقه

بأيهما أتانى الشكر بادى • بشكر الطيف أم شكر الرقاد
سرى وازداد فى أملى ولكن • عففت فلم أجد منه مرادى
وما فى النوم من حرج ولكن • جريت من العفاف على اعتيادى انتهى

وقال الشاعر المشهور أبو عبد الله محمد بن الحداد

يا غائبا خطرات القلب محضره • الصبر بعدك شئ لست أقدره
تركت قلبى وأشواقى تفطره • ودمع عينى وأحداقى تحدره
لو كنت تبصر فى تدبير حالتنا • اذن لاشفقت مما كنت تبصره
فالعين دونك لا تحلو بلذتها • والدهر بعدك لا يصفو تكدره
أخفى اشتياقى وما أطويه من أسف • عن البرية والانفاس تظهره

قال فى المطمح هو شاعر مادح وعلى أيك الندى صادح لم ينطقه الا معن أو صمادح فلم يرم مثواهما ولم يبتغ سواهما واقتصر على المربه واختصر قطع المهامه وخوض البريه فعكف فيها يثمر درره فى ذلك المنتدى ويرشف أبدا ثغور ذلك الندى مع تميزه بالعلم وتحيزه الى فئة الوقار والحلم وانتمائه الى آية سلف ومذاهبه مذاهب أهل الشرف وكان له لسن ورواء يشهدان له بالنباهه ويقلدان كاهله ما شاء من الوجاهه وقد أثبت له بعض ما قذفه من درره وفاه به من محاسن غرره فمن ذلك قوله

الى الموت رجعى بعد حين فان أمت • فقد خلدت خلد الزمان مناقبى
وذكراى فى الآفاق ما بيا كانها • بكل لسان طيب عذراء كاعب
فنى أى عصر لم تبرز سوابق • وفى أى أفق لم تبرز كتائبى

وحضر مجلس المعتصم بحضور ابن اللبانة فانشد فيه قصيدا أبرزه من عرى الاحسان ما لم ينفصم واستوفيها يكمل بدائعها وقوافيها فاذا هو قد أغار على قصيد ابن الحداد الذى أوله عج بالحمى حيث الظباء العين فقال ابن الحداد مرتجلا

حاشا لعدلك يا ابن معن أن يرى • فى سلك غيرى درى المكنون
والبكها تشكو استلاب مطيها • عج بالحمى حيث الظباء العين
فاحكم لها واقطع لسانا لايدا • فلسان من سرق القريض يمين

وله

ان المدامع والزفير * قد أعلنا ما فى الضمير
فعلام أخفى ظاهرا * سقمى على به ظهير
هب لى الرضا من ساخط * قلبى بساحته الاسير

وله أيضا

أيها الواصل هجرى * أنا فى هجران صبرى
ليت شعرى أى نفع * لك فى ادمان ضرى

وله أيضا

يا مشبه الملك الجعدى تسمية * ومخجل القمر البدرى أنوارا

وله

تطالبنى نفسى بما فيه صونها * فاعصى ويطوشوقها فأطيعها
ووالله ما يخفى على ضلالها * ولكنها تهوى فلا أستطيعها

وقال

يخافقة القرطين قلبك خافق * وعن خرس القلبين دمعك ناطق
وفى مشرق الصدغين للبدر مغرب * وللفكر حالات وللعين سارق
وبين حصا الياقوت ماء وسامة * مخلأة عنه الظباء السوابق
وحشو قباب الرقم أحوى مقرطق * كما آس روض عطفه والقراطق

انتهى باختصار * وقال الاسعد بن بليطة

برامة ريم زارنى بعد ما شطا * تقنصته بالحلم فى الشط فاشتطا
رعى من أفانين الهوى ثمر الحشا * جنيا ولم يرع العهود ولا الشرطا
خيال لمرقوم غرير برامة * تأوبنى بالرقتين لدى الارطى
فأكسبنى من خده روضة الجنى * وألدغنى من صدغها حية رقطا
وباتت ذراعاها نجادا لعاتق * اذا التقتا بالحلى غنى لها الغطا
وسل اهتصارى غصنها من مخصر * طواه الضنى طى الطوامير فامتطا
وقد غاب كحل الليل فى دمع فجره * الى أن تبدى الصبح فى الليلة الشمطا

ومنها فى وصف الديك

وقام لها ينعى الدجا ذو شقيقة * يدير لنا من عين أجفانه نقطا
اذا صاح أصغى سمعه لاذانه * وبادر ضربا من قوادمه الابطا
كان أنوشروان أعلاه تاجه * وناطت عليه كف مارية القرطا
سبى حلة الطاوس حسن لباسها * ولم يكفه حتى سبى المشية البطا

ومن غزلها

غلامية جاءت وقد جعل الدجا * لخاتم فيها فص غالية خطا
فقلت أحاجيها بما فى جفونها * وما فى الشفاه اللعس من حسنها المعطى

مخمرة العينين من غير سكرة * متى شربت الحاظ عينيك اسفنطا
أرى نكهة المسواك في خمرة اللمى * وشاربك المخضر بالمسك قد خطا
عسى فرح قبلته فاخاله * على الشفة اللمياء قد جاء مختطا

وقال في المطمح في تحلية الاسعد انه سرد البدائع أحسن السرد واقترس المعاني كالاسد الورد وأبرز درر المحاسن من صدفها وحاز من نخر الاجادة وشرفها ومدح ملوكا طوقهم من مدائحه قلائد ووزف اليهم منها خرائد وجلاها عليهم كواعب بالالباب لواعب فأسالت العوارف وماتقاص له من الحظوة ظل وارف وقد أثبت له مايعرف بحقه ويعرف به مقدار سبقه فمن ذلك قوله

لو كنت شاهدنا عشية أمسنا * والمزن يسكبنا بعيني مذنب
والشمس قد مدت أديم شعاعها * في الارض نجخ غير أن لم تغرب

وقوله

وتلذ تعذيبي كأنك خلتني * عودا فليس يطيب مالم يحرق

وهو مأخوذ من قول ابن زيدون

تظنونني كالعود حقا وانما * تطيب لكم أنفاسه حين يحرق

انتهى ببعض اختصار * وقال الاديب أبو بكر عبادة بن ماء السماء وهو كما في المطمح من فحول الشعراء وأئمتهم الكبراء وكان منتجعا بشعره مسترجعا من صرف دهره وكانت له همة أطالت همه وأكثرت كده وغمه

يؤرقني الليل الذي أنا نائمه * فتجهل ما ألقى وطرفك عالمه
وفي الهودج المرقوم وجه طوى الغشا * عن الحسن فيه الحسن قد حار راقمه
اذا شاء وقفا أرسل الحسن فرعه * يضلهم عن منهج القصد فاحمه
أظلما رأوا تقليده الدر أم زروا * بتلك اللآلي انهن تمائمه

وقال الاديب أبو عبد الله ابن عائشة في فتى طرزت غلالة خده وركب من عارضه سنانا على صعدة قده

اذا كنت تهوى خده وهو روضة * به الورد غض والاقاح مفلج
فزد كلفا فيه وفرط صبابة * فقد زيد فيه من عذار بنفسج

وحلاه في المطمح بأن قال اشتهر صونا وعفافا ولم بعقيلة حضره زفافا فاثر انقباضا وسكونا واعتمد اليها ركونا الى أن أنهضه أمير المسلمين الى بساطه فهب من مرقد خموله وشب لبلوغ مأموله فبدا منه في الحال انزواء في تسنم تلك الرسوم والتواء وقعود عن مراتب الاعلام وجمود لايحمد فيه ولا يلام الا أن أمير المسلمين ألقى عليه منه محبه جلبت اليه مسرى الظهور ومهبه وكان له أدب واسع المدى يانع كالزهر بلله الندى وتظم مشرق الصفحه عبق النفحه الا أنه قليلا ما كان يحل ربعه ويذيل له طبعه وقد أثبت له منه مايدع الالباب حائره والقلوب اليه طائره فمن ذلك قوله في ليلة سمعت له بفتى كان يهواه ونفحت له هبة وصل أبدت جواه

لله ليـــل بات عندى به * طوع يدى من مهجتى فى يديه
وبت أسقيه كؤس الطلى * ولم أزل أمهر شوقا اليه
عاطيته حمراء ممزوجة * كانها تعصر من وجنتيه

وخرج من بلنسية يوما الى منية الوزير الاجل أبى بكر بن عبد العزيز وهى من أبدع منازل الدنيا وقد مدت عليها أدواحها الافيا وأهدت اليها ازهارها العرف والريا والنهر قد غص بمائه والروض قد خص بمثل أنجم سمائه وكانت لبنى عبد العزيز فيها أطراب تهيأ لهم فيها من الايام آراب فلبسوا فيها الانس حتى أبلوه ونشروا فيها الحظ وطووه أيام كانوا بذلك الافق طلوعا لم تضم عليهم الثوب ضلوعا فقعد أبو عبد الله مع لمة من الادباء تحت دوحة من أدواحها فهبت ريح أنس من أرواحها سطت باعصارها وأسقطت لولوها على باسم أزهارها فقال

ودوحة قد علت سماء * تطلع أزهارها نجوما
هفا نسيم الصبا عليها * فأرسلت فوقنا رجوما
كأنما الجو غار لما * بدت فأغرى بها النسيما

وكان فى زمان عطلته ووقت اصفراره وعلته ومقاساته من العيش أنكده ومن التخوف أجهده كثيرا ما ينشرح بجزيرة شقر ويستريح ويستطيب تلك الريح ويجول فى أجارع واديها وينتقل من نواديها الى بواديها فانها صحيحة الهواء قليلة الادواء خضلة العشب والازاهر قد أحاط بها نهرها كما تحيط بالمعاصم الاساور والايك قد نشرت ذوائبها على صفيحه والروض قد عطر جوانبه بريحه وأبو اسحق بن خفاجة هو كان منزع نفسه ومصرع انسه نفح له بالمنى عبق وشذا ومسح عن عيون مسرآته القذى وغدا على ما كان وراح وجرى متهافتا فى ميدان ذلك المراح قريب عهد بالفطام ودهره ينقاد فى خطام فلما اشتعل رأسه شيبا وزرت عليه الكهول جيبا أقصر عن تلك الهنات واستيقظ من تلك السنات وشب عن ذلك الطوق واقصر عن الهوى والشوق وقنع بادنى تحيه ومايستشعره فى وصف تلك العهاد من أريحيه فقال

الا خليانى والاسى والقوافيا * أردد ها شجوى واجهش باكيا
أآمن شخصا للمسرة باديا * وأندب رسما للشبيبة باليا
تولى الصبا الا توالى فكرة * قدحت بها زندا ومازات واريا
وقد بان حلوا العيش الا تعلة * تحدثنى عنها الامانى خاليا
ويابرد هذا الماء هل منك قطرة * تهل فأستسقى غمامك صاديا
وهيهات حالت دون حزوى وأهلها * ليال وأيام تحاكى الليباليا
فقل فى كبير عاده صائد الظبا * اليهن متاجا وقد كان سالبا
فيارا كبا يستعمل الخطو قاصدا * ألا عج بشقر رائحا أو مغاديا
وقف حيث سال النهر فى ناب أرقما * وهب نسيم الايك ينفث راقيا
وقل لاثيلات هنالك وأجرع * سقيت أثيلات وحييت واديا

انتهى ببعض اختصار وابن عائشة أشهر من أن يطال فى أمره وليس الخبر كالعيان • وقال ابو عمر ويزيد بن عبد الله بن أبي خالد اللخمي الاشبيلي الكاتب فى فتح المهدية سنة ٦٠٢

كم غادر الشعراء من متردم • ذخرت عظائمه لخير معظم
تبعا لمذخور الفتوح فانه • جاءت له بخوارق لم تعلم
من كل سامية المنال اذا انتمت • رفعت الى البرموك صوت المنقم
وتوسطت فى النهروان بنسبة • كرمت ففازت بالمحل الاكرم

قال ابن الابار فى تحفة القادم هو صدر فى نبهائها وأدبائها يعنى اشبيلية وممن له قدر فى منجبيها ونجبائها والى سلفه ينسب العقل المعروف بحجر أبي خالد وتوفى بها سنة ٦١٢ وأورد له قوله

وباللجوارى المنشآت وحسنها • طوائر بين الماء والجو عوما
اذا نشرت فى الجو أجنحة لها • رأيت به روضا ونورا مكمما
وان لم تهجه الريح جاء مصافحا • غدت له كفا خضيبا ومعصما
مجاذف كالحيات مدت رؤسها • على وجل فى الماء كى تروى الظما
كما أسرعت عدا أنامل حاسب • بقبض وبسط يسبق العين والفما
هى الهدب فى أجفان أكحل اوطف • فهل صنعت من عندم أو بكت دما

قال ابن الابار أجاد ما أراد فى هذا الوصف وان تطرا الى قول أبي عبد الله بن الحداد يصف اسطول المعتصم بن صمادح

هام صرف الردى بهام الاعادى • ان سمت نحوهم لها أجياد
وترامت بشرعها كعيون • دأبها مثل خافقيها سهاد
ذات هدب من المجاذيف حالك • هدب بالله معه اسعاد
حسم فوقها من البيض نار • كل من أرسلت عليه رماد
ومن الخط فى يدى كل درّ • ألف خطها على البحر صاد

قال وما أحسن قول شيخنا أبي الحسن بن حريق فى هذا المعنى من قصيد أنشدنيه

وكأنما سكن الاراقم جوفها • من عهد نوح خشية الطوفان
فاذا رأين الماء يطفح نضنضت • من كل خرق حية بلسان

قال ولم يسبقهم الى الاحسان وانما سبقهم بالزمان على بن محمد الايادى التونسى فى قوله

شرعوا جوانبها مجاذف اتعبت • شادى الرياح لها ولما تتعب
تنصاع من كثب كانفر القطا • طورا وتجتمع اجتماع الربرب
والبحر يجمع بينها فكانه • ليل يقرب عقربا من عقرب
وعلى جوانبها أسود خلافة • تختال فى عدد الملاح المذهب
وكأنما البحر استعار بزيهم • ثوب الجمال من الربيع المعجب

ومن هذه القصيدة الفريدة فى ذكر الشراع

ولها جناح يستعار يطيرها • طوع الرياح وراحة المتطرب
يعلوبها حدب العباب مطاره • في كل لج زاخر مغلولب
يسمو بأخرى الهواء منصب • عريان منسرح الذؤابة شوذب
يتنزل الملاح منه ذؤابة • لو رام يركبها القطا لم يركب
وكأنما رام استراقة مقعد • للسمع الا انه لم يشهب
وكأنما جن ابن داود هم • ركبوا جوانبها بأعنف مركب
سجروا جواهم بينهم فتقاذفوا • منها بألسن مارج متلهب
من كل مسجون الحريق اذا انبرى • من سجنه انصلت انصلات الكوكب
عريان يقدمه الدخان كأنه • صبح يكر على ظلام غيهب

ومن اولها

اعجب بأسطول الامام محمد • وبحسنه وزمانه المستغرب
لبست به الامواج أحسن منظر • يبدو لعين الناظر المتعجب
من كل مشرفة على ما قابلت • اشراف صدر الاجدل المتنصب

ومنها

جوفاء تحمل موكبا في جوفها • يوم الرهان وتستقل بموكب

وهي طويلة من غرر القصائد وقد سرد جملة منها صاحب المناهج وغيره • وقال أبو عمر القسطلي

وحال الموج بين بني سبيل • يطيرهم الى الصوب ابن ماء
أغر له جناح من صباح • يرفرف فوق جنح من سماء

واخذه أبو اسحق بن خفاجة فقال

وجارية ركبت بها ظلاما • يطير من الصباح بها جناح
اذا الماء اطمأن ورق خصرا • علا من موجه ردف رداح
وقد فغر الحمام هناك فاه • وأتلع جيده الاجل المتاح

ولا يخفاك حسن هذه العبارة الصقيلة المرآة فالله تعالى يرحم قائلها • وقال ابن الابار وقد قلت أنا في ذلك

يا حبذا من بنات الماء سابحة • تطفو لما شب أهل النار تطفئه
تطيرها الريح غربانا بأجنحة • الحمائم البيض للاشراك ترزؤه
من كل ادهم لا يلفى به جرب • فما راكبه بالقار يهنؤه
يدعى غرابا وللفتخاء سرعته • وهو ابن ماء وللشاهين جؤجؤه

واجتمع ابن أبي خالد وأبو الحسن بن الفضل الاديب عند أبي الحجاج بن مرطير الطبيب بحضرة مراكش وجرى ذكر قاضيها حينئذ أبي عمران موسى بن عمران بينهم وما كان عليه من القصور والبعد عما اتيح له وأوثر به فقال أبو الحجاج ليس فيه من أبي موسى شبه فقال أبو الحسن فأبوه فضة وهو شبه فقال ابن أبي خالد

كم دعاه اذ رآه عزة * وأباه اذ دعاه يا أبه انتهى

وقال أبو العباس الاعمى

بهيمة لو جرى في الخيل أكبرها * لغابت الريح في الاجمال والغرر
تجري فلما مساقاها عائم درب * وللرياح جناحا طائر حذر
قد قسمتها يد التقدير بينهما * على السواء فلم تسبح ولم تطر

وقال عبد الجليل بن وهبون يصف الاسطول

يا حسنها يوما شهدت زفافها * بنت الفضاء الى الخليج الازرق
ورقاء كانت ايكة فتصورت * لك كيف شئت من الحمام الاورق
حيث الغراب يجر شملة عجبه * وكأنه من غرة لم ينعق
من كل لابسة الشباب ملاءة * حسب اقتدار الصانع المتأنق
شهدت لها الاعيان أن شواهنا * أسماؤها فتصحفت في المنطق
من كل ناشرة قوادم أجنح * وعلى معاطفها وهادة سودق
زأرت زئير الاسد وهي صوامت * وزحفن زحف مواكب في مأزق
ومجاذف تحكي أراقم ربوة * نزلت لتكرع من غدير متاق

وقال ابن خفاجة

سقيا لها من بطاح خز * ودوح نهر بها مطل
فما ترى غير وجه شمس * أظل فيه عذار ظل

وهو من بديع الشعر وكم لابن خفاجة من مثله * وقال عبيد الله بن جعفر الاشبيلي وقد زار صاحبه مرات ولم يزره هو فكتب على بابه

يا من يزار على بعد المحل ولا * يزورنا مرة من بين مرات
زر من يزورك واحذر قول عاذلة * تقول عنك فتى بوتى ولا ياتي

ومن مجونياته سامحه الله تعالى

وأغيد ليس تعدوه الامانى * ولو حكمت عليه باشتطاط
سقيت الراح حتى مال سكرا * ونام على النمارق والبساط
وأسلمني على طول التجني * وأمكنني على فرط التعاطي
فأولجت المقادر جيد بكر * ولا كفران في سم الخياط
وغنانى بصوت من حشاه * فأطربني وبالغ في نشاطي
فما نقر المثالث والمثاني * بأطرب من تلاحين الضراط
ولولا الريق لم أظفر بشيء * على عدم اهتبالي واحتياطي
فلا تسخر بريق بعد هذا * فان الريق مفتاح اللواط

وقال أبو الحسن علي بن جحدر الزجال

كيف أصبحت أيها الحبيب * نحن مرضى الهوى وأنت الطبيب
كل قلب اليك يهفو غراما * وتجاني على منك القلوب

ان تلح حومت عليك هياما • أو تغب حنها عليك الوجيب
غير انى من بينهم مستريب • حين تبدو وليس لى مايريب
كل ماقد ألقاه منك ومنى • دون هذا له تشوق الجيوب

وقال أحمد المعروف بالكساد فى موسى الذى كان يتغزل فيه شعراء اشبيلية

مالموسى قد خر لله لما • فاض نورا غشاه ضوء سناه
وأنا قد صعقت من نور موسى • لاأطيق الوقوف حين أراه

ولله درّه فى رثاء موسى المذكور اذ قال

فرّ الى الجنة حوريها • وارتفع الحسن من الارض
وأصبح العشاق فى مأتم • بعضهم يبكى الى بعض

وقوله فيه

هتف الناعى بشجو الابد • اذ نعى موسى بن عبد الصمد
ماعليهم ويحهم لو دفنوا • فى فؤادى قطعة من كبدى

ولقب بالكساد لقوله ويبع الشعر فى سوق الكساد • وقال أبو القاسم بن أبى طالب الحضرمى المنبشى

صاغت يمين الرياح محكمة • فى نهر واضح الاسارير
فكلما ضاعفت به حلقا • قام لها القطر بالمسامير

وقال أبو زيد عبد الرحمن العثمانى وهو من بيت امارة

لاتسلنى عن حالتى فهى هذى • مثل حالى لاكنت يامن يرانى
ملنى الاهل والاخلاء لما • أن جفانى بعد الوصال زمانى
فاعتبر بى ولاتغتر لدهر • ليس منه ذو غبطة فى أمان

وقال أبو زكريا يحيى بن محمد الاوكشى

لاحبذا المال والافضال يتلفه • والبخل يحميه والاقدار تعطيه

وقال

لاتبكين لاخوان تفارقهم • فانى قبلك استخبرت اخوانى
فما حمدتهم فى حال قربهم • فكيف فى حال ابعاد وهجران

وقال أبو عمران موسى الطريانى لما دخل يوم نيروز الى بعض الاكابر وعادتهم أن يصنعوا فى مثل هذا اليوم مدائن من العجين لها صور مستحسنة فنظر الى صورة مدينة فأعجبته فقال له صاحب المجلس صفها وخذها

مدينة مسوره • تحار فيها البصره
لم تبنها الايدا • عذراء أو مخدره
بدت عروسا تجتلى • من درمك مزعفره
وما لها مفاتح • الا البنان العشره

وقال أبو عمرو بن حكم

حاشا لمن أملكم أن يخيب * وينتفى نحو العدا مستريب
هذا وكم أقر أنى بشركم * نصر من الله وفتح قريب

وقال أبو الحسن على بن الجعدى القرمونى

اياك من زلل اللسان فانه * قدر الفتى من لفظه المسموع
فالمرء يختبر الانام بنقده * ليرى الصحيح به من المصدوع

وقال الفقيه أبو الحسن على بن ليال فى محبرة عناب محلاة بفضة

منعلة بالهلال ملجمة * بالنسر مجدولة من الشفق
كانما حبرها يتسع فى * فرضتها ساعة من الغسق
فأنت مهما ترد تشبهها * فى كل حال فانظر الى الافق

وقال فى محبرة أبنوس

وخديمة للعلم فى أحشائها * كلف يجمع حرامه وحلاله
لبست رداء الليل ثم توشحت * بنجومه وتتوجت بهلاله

وقال أبو العباس أحمد بن شكيل الشريشى

تفاحة بت بها ليلتى * أبثها سرى والشكوى
أضمها معتنقا لاثما * اذا ذكرت خد من أهوى

وقال

تفاحة حامضة عضها * فى ثغل من قطب الوجها
ولم أخل من قبلها محسنا * يجرى عليه العض والتجها

وقال ابو جعفر أحمد الشريشى

على حسن نور الباقلاء أدرهما * على الصب كاسى خمرة وجفون
يذكرنى بلق الحمام وتارة * يؤكد للاشجان شهل عيون

وقال عمرو بن غياث

وقالوا مشيب قلت واعجبا لكم * أينكر صبح قد تخلل غيهبا
وليس مشيبا ما ترون وانما * كميت الصبا لما جرى عاد أشهبا

وقال الوزير أبو بكر محمد بن ذى الوزارتين أبى مروان عبد الملك بن عبد العزيز يخاطب ابن عبدون

فى ذمة الفضل والعلياء مرتحل * فارقت صبرى اذ فارقت موضعه
ضاءت به برهة أرجاء قرطبة * ثم استقل فسد البين مطلعه
عذرا الى المجد عنى حين فارقنى * ذاك الجلال فأعيا أن أشيعه
قد كنت أصحبته قلبى وأتعدنى * ما كان أودعنى عن أن أودعه

وفيهم يقول ابن عبدون

بحور بلاغة ونجوم عز * وأطواد رواس من جلال

وقال الوزير الكاتب أبو القاسم بن أبى بكر بن عبد العزيز

ندمي لاعدمتك من نديم * أدرها في دجى الليل البهيم
فخير الانس أنس تحت ستر * يصان عن السفيه أو الحليم

وقال الثائر أبو عبد الله الجزيري

في أم رأسي سرّ * يبدو لكم بعد حين
لابلغن مرادي * ان كان سعدي معيني
أولا فاكتب ممن * سعى لاظهار دين

وسبب قوله هذا أن بني عبد المؤمن لما غيروا رسم مهديهم وصيروا الخلافة ملكا وتوسعوا في الرفاهية وأهملوا حق الرعية جعل يتستر وقال هذه الابيات وشاع سره في مدة ناصر بني عبد المؤمن فطلبه فقر ولم يزل يتنقل مستخفيا مع أصحابه الى أن حصل في حصن قولية من عمل مدينة بسطة فبينما هو ذات يوم في جامعها مع أصحابه وهم يأكلون بطيخا ويرمون قشره في صحن الجامع اذ أنكر ذلك رجل من العامة وقال لهم ما تتقون الله تعالى تتهاونون ببيت من بيوته فضحكوا منه واستهزؤا به وأهل تلك الجهة لا تحتمل شيأ من ذلك فصاح بفتية من العامة فاجتمع جمع وحملوا الى الوالي فكان عند الوالي من عرفه فقتلوا جميعا وأمر الناصر أن يرفع عن جميع أرض قولية جميع تكاليف السلطان • ولما عتب المنصور بن أبي عامر على الكاتب عبد الملك الجزيري وسجنه في الزاهرة ثم صفح عنه قال وكتب به اليه

عجبت من عفو أبي عامر * لابد أن تتبعه منه
كذلك الله اذا ماعفا * عن عبده أدخله الجنه

فاستحسن ذلك وأعاده الى حاله • وقال على لسان بهار العامرية وهو الترجمة

حدق الحسان تقرلي وتغار * وتضل في وصفي النهى وتحار
طلعت على قضبي عيون تماثمي * مثل العيون تحفها الاشفار
واخص شيء بي اذا شبهته * درّ تنطق سلكه دينار
انا نرجس حقا جهرت عقولهم * بديع تركيبي فقيل بهار

وقال في بنفسجها

شهدت لنوار البنفسج ألسن * من لونه الاحوى ومن ايناعه
بمشابه الشعر الاحم أعاره * القمر المنير الطلق نور شعاعه
ولربما جد النجيع من الطلى * في صارم المنصور يوم قراعه
فكأنه غير مخالف في لونه * لافي روائحه وطيب طباعه

وقال في القمرين جعل يختفي بالسحاب ويبدو أمام المنصور

أرى بدر السماء يلوح حينا * فيظهر ثم يلتحف السحابا
وذلك انه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيا وغابا

وقال الجاري في المسهب سألت أبا الحسن علي بن حفص الجزيري أن ينشدني شيأ من شعره فقال يا أبا محمد اذا لم ينظم الانسان مثل قول شرف

لم يبق للجور فى أيامكم أثر * الا الذى فى عيون الغيد من حور

فالاولى له أن يترك نظم الشعر الى أن خرجت معه يوما الى سيف الجزيرة الخضراء فاتفق غلاما قد كدر رونق حسنه السفر وأثر فى وجهه كما آثار الكلف فى القمر فصافحه ثم قال

بأبى الذى صافحته فتوردت * وجناته وأنا نحوى قده

فتربدا كاف السرى فى خده * لما توالى فى الترحل جهده

لكن معالم حسنه تمت كما * قد تم فى صدا الحسام فرنده

فحفظتها من سمعه ثم قلت له قد أخذت عنك من نظمك بغير شكرك فضحك وقال فاحفظ هذا وأنشد

لا تقولن فلان * صاحب قبل اختبار

وانتظر ويحك نقدا * للبيل فيه والنهار

أنا جربت فلم ألـ * ـف صديقا باختيارى

وأنشد

كم قد بكرت الى الرياض وقضبها * قد ذكرتنى موقف العشاق

يا حسنها والريح يلطف بعضها * بعضا كاعناق الى أعناق

والورد خد والاقاحى مبسم * وغدا البهار ينوب عن أحداق

لم أنفصل عنها بكاس مدامة * حتى حملت محاسن الاخلاق

ولما كتب أبو الحسن بن سعيد الى الاديب القائد أبى العباس أحمد بن بلال يستدعيه ليوم أنس بقوله

أبا العباس لو أبصرت حولى * ندامى بادروا العيش الهنيا

يبيحون المدام ولا انتقاد * ويقارهم ويزدادون غيا

وهم مع مابدالك من عفاف * يحبون الصبية والصبيا

ويهوون المثالث والمثانى * ويشرب الراح صحا أو عشيا

على الروض الذى يهدى لطرف * وأنف منظرا بهجا وريا

فلا تلم السرى على ارتياح * حكى طربا بجانبه سريا

وبادر نحو نادمى خلا من * ندالك فقد عهدتك لوذعيا

أجابه بقوله

أبيت سوى المعالى يا عليا * فما تنفك دهرك أريحيا

تميل اذا النسيم سرى كغصن * وتسرى للمكارم مشرفيا

وترتاح ارتياحا بالمثانى * وتنفض الصبية والصبيا

وتهوى الروض قد ده نداه * وألبسه مع الحلل الحليا

وان غنى الحمام فلا اصطبار * وان خفق الخليج فثبت حيا

تذكرنى الشباب فلست أدرى * أصبحا حين تذكر أم عشيا

فلو أدركتنى والغصن غض * لادركت الذى تهوى لديا

ولم أترك وحقك قدر لحظ * وقد نا دينى ذا الدنيا

وقال بعض أهل الاندلس

وفرع كان يوعدنى بأسر * وكان القلب ليس له قرار

فنادى وجهه لا خوف فاسكن * كلام الليل يمحوه النهار

ولست على يقين أن قائلهما أندلسى غير أنى رأيت فى كلام بعض الافاضل نسبتهما لاهل الاندلس والله تعالى أعلم * وقال أبو الوليد القسطلى

وفوق الدوحة الغناء غدير * تلألأ صفحة وسجا قرارا

اذا ما انصب أزرق مستقيما * تدور فى الجبرة فاستدارا

يجرده فم الابوب صلتا * حساما ثم يفلته سوارا

ولابى كثير الطريفى يمدح الناصر بن المنصور

فتوح لها يهتز شرق ومغرب * كما اطردت فى السمهرية أكعب

تجلت على الدنيا شموس منيرة * فلم يبق فى ليل الكآبة غيهب

أقام بها الاسلام شد ومغرد * وظلت بأرض الشرك بالخطب تخطب

فلا سمع الا وهو قد مال نحوها * ولا قلب الا فى مناها يقلب

وقال ابو عامر بن الجد

لله ليلة مشتاق ظفرت بها * قطعتها بوصال اللثم والقبل

نعمت فيها بأوتار تعللنى * أحلى من المن أو امنية الغزل

أحبب الى بها اذ كلها سحر * أراحت الصب من عذر ومن عذل

وقال الكاتب أبو عبد الله محمد الشبلى كاتب ملك افريقية عبد الواحد بن أبى حفص

مد الى الكاس من لحظه * لا يحوج الشرب الى الكاس

ومنذ حيانى بآس فلم * أيأس ولكن كان لى آسى

وقال لولا الناس قبلته * ما أشأم الناس على الناس

وقال أبو بكر محمد بن المليح وهو من رجال الذخيرة على لسان حال سوار مذهب

أنا من الفضة البيضاء خالصة * لكن دهتنى خطوب غيرت جسدى

علقت غصنا على أحوى فأجسدنى * جرى الوشاح وهذى صفرة الجسد

وما أحسن قوله من قصيدة فى المعتضد والد المعتمد

تحرمه الشمس والحيا يده * بينهما للنجيع قوس قزح

واما ابنه أبو القاسم فهو من رجال المسهب وكان اشتغل اول أمره بالزهد وكتب التصوف فقال له أبوه يا بنى هذا الامر ينبغى أن يكون آخر العمر وأما الآن فينبغى أن تعاشر الادباء والظرفاء وتأخذ نفسك بقول الشعر ومطالعة كتب الادب فلما عاشرهم زينوا له الراح فهتك فى الخلاعة وفر الى اشبيلية وتزوج بامراة لا تليق بحاله وصار يضرب معها بالدف فكتب اليه أبوه

يا سخنة العين يا بنيا * ليتك ما كنت لى بنيا

ابكيت عيني أطلت حزني * أمت ذكرى وكان حيا
حطمت قدري وكان أعلى * في كل حال من الثريا
أما كفاك الزنى ارتكابا * وشرب مشمولة الحميا
حتى ضربت الدفوف جهرا * وقلت للشر جئ اليا
فاليوم أبكيك مل عيني * ان كان يغني البكاء شيا

فأجاب أباه بقوله

يالائم الصب في التصابي * ماعنك يغني البكاء شيا
أوجفت خيل العتاب نحوي * وقبل وثبتها اليا
وقلت هذا قصير عمر * فاربح من الدهر ماتهيا
قد كنت أرجو المتاب مما * فتنت جهلا به وغيا
لولا ثلاث شيوخ سوء * أنت وابليس والحميا

وقال أبو بكر محمد بن عبد القادر الشبلي يستدعي

فديتك باكر نحو قبة روضة * تسيح بها الامواه والطير تهتف
وقد طلعت شمس الدنان بأفقها * ونحن لديها في انتظارك وقف
فلا تتخلف ساعة عن محلة * صدود لمن حل فيها تخلف

وقال أخو امام نحاة الاندلس أبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي وهو أبو الحسن علي بن السيد

يارب ليل قد هتكت حجابه * بزجاجة وقادة كالكوكب
يسعى بها ساق أغن كأنها * من خده ورضاب فيه الاشنب
بدران بدر قد أمنت غروبه * يسعى ببدر جانح للمغرب
فاذا نعمت برشف بدر طالع * فانم ببدر آخر لم يغرب
حتى ترى زهر النجوم كأنها * حول المجرة ربرب في مسرب
والليل منحفز يطير غرابه * والصبح يطرده بباز أشهب

ولما مدح أبو بكر محمد بن الروح الشلبي الامير ابراهيم الذي خطب به الفتح في القلائد وهو ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وكان يدل عليه ويشادمه بقصيدته التي أولها

أنا شاعر الدنيا وأنت أميرها * فعلى لا يسرى الى سرورها

اشار الامير الى مضحكه كان حاضرا أن يخبق له القول أنا شاعر الدنيا فقال له ابن الروح على من خبقت يعني انه يحتمل أن يكون ذلك الفعل لقوله أنا شاعر الدنيا أو لقوله وأنت أميرها ففطن الامير لما قصده وضحك وتغافل * وقال أبو بكر بن المخلل الشلبي

كم ليلة دارت علي كواكب * للخمر تطلع ثم تغرب في فمي
قبلتها في كف من يسعى بها * وخلطت قبلتها بقبلة معصم
وكأن حسن بنانه مع كاسه * غيم يشير لنا بعض الانجم

وقال ذو الوزارتين أبو بكر بن عمار

قرأت كتابك مستشفعا * بوجه أبي الحسن من ردّه
ومن قبل فض ختام الكتاب * قرأت الشفاعة في خدّه

وقال

غزا القلوب غزال * جت اليه العيون
قد خط في الخد نونا * وآخر الحسن نون

قال الحجاري واكثار ابن عمار في المعذرين واحسانه فيهم يدلك على انه كما قيل عنه كان مشغوفا بالكاس والاستلقاء من غير نعاس * وكان أبو الفضل بن الاعلم من أجل الناس وأذكاهم في علم الادب والنحو وأقرأ علم النحو قبل أن يلتحي فقال ابن صارة فيه

أكرم بجعفر اللبيب فانه * مازال يوضح مشكل الايضاح
ماء الجمال بخده مترقرق * فالعين منه تجول في ضحضاح
ماخده جرحته عيني انما * صبغت غلالته دماء جراحي
لله زاي زبرجد في عسجد * في جوهر في كوثر في راح
ذي طرة سجية ذي غرة * عاجية كالليل والاصباح
ورشأه خد البرى ولحظه * أبدا شريك الموت في الارواح

وقال الرمادي

ونور غيث مسبل * وقهوة تسلسل
تدور بين فتية * بخلقهم تمثل
والافق من سحابه * طل ضعيف ينزل
كأنه من فضة * براده تغربل

وقال

بدر بدا يحمل شمسا بدت * وخدها في الحسن من خده
تغرب في فيه ولكنها * من بعد ذا تطلع في خده

ومن نظم أبي الفضل بن الاعلم السابق الذكر

وعشية كالسيف الاحمه * بسط الربيع بها النعلى خده
عاطيت كاس الانس فيها واحدا * ماضرّه ان كان جمعا وحده

وهو جعفر ابن الوزير أبي بكر محمد ابن الاستاذ الاعلم من رجال القلائد والمسهب وسمط الجمان وكان قاضي شنتمرية والاستاذ الاعلم هو امام نحاة زمانه ابو الحجاج يوسف بن عيسى من رجال الصلة والمسهب والسمط وهو شارح الاشعار الست ومن نظمه يخاطب المعتمد ابن عباد

يا من تملكني بالقول والعمل * ومبلغي في الذي أمّلته أملي
كيف الثناء وقد أعجزتني نعما * عالي بشكري عليها الدهر من قبل
رفعت للجود أعلاما مشهرة * فبابك الدهر منها عامر السبل

وقال أبو علي ادريس بن اليمان العبدري

قبله

قوله وهو شارح في نسخة شاعر اه

قبلة كانت على دهش * اذهبت مابى من العطش
ولها فى القلب منزلة * لو عدتها النفس لم تعش
طرقتنى والدجا لبست * خلعا من جلدة الحنش
وكان النجم حين بدا * درهم فى كف مرتعش

وساله المعتضد أن يمدحه بقصيدة يعارض بها قصيدته السينية التى مدح بها ابن حمود فقال له أشعارى مشهورة وبنات صدرى كريمة فمن أراد أن يشكح بكرها فقد عرف مهرها وكانت جائزته مائة دينار ومن مشهور شعره بالمغرب والمشرق قوله

ثقلت زجاجات أتتنا فـــــرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بما حوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

وكانت بين الاديب الحسيب أبى عمرو بن طيفور والحافظ ابى الهيثم مهاجاة فقال فيه الحافظ

لابن طيفور قريض * فيه شوك وغموض
عدمت فيه القوافى * والمعانى والعروض

وقال فيه ابن طيفور

انما الهيثم سفر * من كلام الناس ضخم
لا تطالبه بفهم * ليس للديوان فهـــم

وقال أبو عمران بن سعيد أخبرنى والدى انه زار ابن حمدين بقرطبة فى مدة يحيى بن غانية فوجدته فى حالة من العلماء والادباء فقام وتلقانى ثم قال يا أبا عبد الله ما هذا الجفاء فاعتذرت بأنى أخشى التثقيل وأعلم أن سيدى مشغول بما هو مكب عليه فأطرق قليلا ثم قال

لو كنت تهوانا طلبت لقاءنا * ليس المحب عن الحبيب بصابر
فدع المعاذر انما هى جنة * لمخادع فيها ولست بعاذر

فقلت تصديق سيدى عندى أحب الى وان ترتبت على فيه الملامة من منازعته منتصرا لحق فاستحسن جوابى وقال لى كرره فانه واقفه ماح لكل ذنب ثم سألته كتب البيتين عنه فقال لى وما تكتب فيهما فقلت لاجدما أخبر به والدى اذا أبت اليه فأملاهما على فقلت من قائلهما قال قائلهما فعلمت انهما له وقنعت بذلك * وقال الحجارى صاحب المسهب فى أخبار المغرب

كم بت من أسر السهاد بليلة * ناديت فيها هل لجنحك آخر
اذ قام هذا الصبح يظهر ملة * حكمت بان ذبح الظلام الكافر

وعلى ذكر المسهب فقد كنت كثيرا ما أستشكل هذه التسمية لما قال غير واحد ان المسهب انما هو بفتح الهاء كقولهم سيل مفعم بفتح العين والفقرة الثانية وهى المغرب تقتضى أن يكون بكسر الهاء ولم يزل ذلك يتردد فى خاطرى الى أن وقفت على سؤال فى ذلك رفعه المعتمد بن عباد سلطان الاندلس الى الفقيه الاستاذ أبى الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوى الشنترى المشهور بالاعلم ونص السؤال سألك ابقاك الله الوزير الكاتب أبو عمرو

ابن غطمش سلمه الله عن المسهب وزعم انك تقول بالفتح والكسر والذى ذكر ابن قتيبة فى أدب الكاتب والزبيدى فى مختصر العين أسهب الرجل فهو مسهب اذا أكثر الكلام بالفتح خاصة فبين لى أبقاك الله تعالى ما تعتقد فيه والى أى كتاب تسند القولين لاقف على صحة من ذلك فأجابه وصل الى أدام الله تعالى توفيقك هذا السؤال العزيز ووقفت على ما تضمنه والذى ذكرته من قول ابن قتيبة والزبيدى فى الكتابين موضوع كما ذكرته والذى أحفظه وأعتقده أن المسهب بالفتح المكثر فى غير صواب وأن المسهب بالكسر البليغ المكثر فى الصواب الا أنى لا أسند ذلك الى كتاب بعينه ولكنى أذكره عن أبى على البغدادى عن كتاب البارع أو غيره معلقا فى عدة نسخ من كتاب البيان والتبيين على بيت فى صدره لمكى بن سوادة وهو

حصر مسهب جرى عجبان * خير عى الرجال عى السكوت

والمعلقة تقول العرب أسهب الرجل فهو مسهب وأحصن فهو محصن وألفج فهو ملفج اذا افتقر قال الخليل يقال رجل مسهب ومسهب قال أبو على أسهب الرجل فهو مسهب بالفتح اذا أكثر فى غير صواب وأسهب فهو مسهب بالكسر اذا أكثر وأصاب قال ابو عبيدة أسهب الرجل فهو مسهب اذا أكثر من خرف وتاف ذهن وقال أبو عبيد عن الاصمعى أسهب الرجل فهو مسهب بالفتح اذا خرف وأهترفان أكثر من الخطا قيل أفند فهو مفند انتهت المعلقة فرأى مملوكك أيدك الله تعالى واعتقاده أن المسهب بالفتح لا يوصف به البليغ المحسن ولا المكثر المصيب ألا ترى الى قول الشاعر حصر مسهب انه قرن فيه المسهب بالحصر وذمه بالصفتين وجعل المسهب أحق بالعى من الساكت والحصر فقال خير عى الرجال عى السكوت والدليل على أن المسهب بالكسر يقال للبليغ المكثر فى الصواب أنهم يقولون للجواد من الخيل مسهب بالكسر خاصة لانها بمعنى الاجادة والاحسان وليس قول ابن قتيبة والزبيدى فى المسهب بالفتح هو المكثر من الكلام بموجب أن المكثر هو البليغ المصيب لان الاكثار من الكلام داخل فى معنى الذم لانه من الثرثرة والهذر الا ترا هم قالوا رجل مكثار كما قالوا ثرثار ومهذار وقال الشاعر

فلا تمارون ان مارواما كثار فهذا ما عندى والله تعالى الموفق للصواب قال الاعلم ثم نظمت السؤال العزيز والجواب المذكور فقلت

سلام الاله وريحانه * على الملك المجتبى المتخل
سلام امرئ ظل من سيبه * خصيب الجناب رحيب المحل
أتانى سؤالك أعزز به * سؤال مبر على من سال
يسائل عن حالتى مسهب * ومسهب المبتلى بالعلل
لما اختلفا فى بناء يهما * وحكمهما واحد فى فعل
أتى ذا على مفعل لم يعل * وذا الذ على مفعل قد أعل
فقلت مقالا على صدقه * شهيد من العقل لا يستزل
بناء البليغ أتى سالما * سلامته من فضول الخطل

وأسهب ذالمسيئ فزل * ذليلا ثنى متنه فانخذل
وأحسن ذالجرى وصفه * على سنن المحسن المستقل
فهذا مقالى مستبصرا * ولست كمن قال حدما فضل
تقلدت فى رأيه مذهبا * يخصك بين الطبا والاسل
سموك فى الروع مستشرفا * الى مهجة المستميت البطل
كانك فيها هلال السما * يزيد بهاء اذاما أهل
بل أنت معلى كبدر السما * يمضى الظلام اذاما أطل انتهى

قلت رأيت فى بعض الحواشى الاندلسية أن ابن السكيت ذكر فى بعض كتبه فى بعض ما جعله بعض العرب فاعلا وبعضهم مفعولا رجل مسهب ومسهب لكثير الكلام وهذا يدل على انهما بمعنى واحد انتهى * وسأل بعض الادباء الاستاذ الاعلم المذكور عن المسئلة الزنبورية المقترنة بالشهادة الزورية الجارية بين سيبويه والكسائى أو الفراء والقضاء بينهم فيها وهى ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هى أو اياها وعن نسب سيبويه هل هو صريح أو مولى وعن سبب لزومه الخليل بعد أن كان يطلب الحديث والتفسير وعن علة تعرضه لمناظرة الكسائى والفراء وعن كتابه الجارى بين الناس هل هو أول كتاب أو أنشأ بعد كتاب أول ضاع كما زعم بعض الناس فأجاب أما المسئلة الزنبورية المأثورة بين سيبويه والكسائى أو بينه وبين الفراء على حسب الاختلاف فى ذلك بحضرة الرشيد أو بحضرة يحيى بن خالد البرمكى فيما روى فقد اختلفت الرواة فيها فمنهم من زعم أن الكسائى أو الفراء قال لسيبويه كيف تقول ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هى أو اياها فأجاب سيبويه بعد أن أطرق شيأ فاذا هو اياها فى بعض الاقاويل وزعم آخرون انه قال فاذا هو هى ففيها من الاختلاف عنهم ما ترى فان كان أجاب باذا هو هى فقد أصاب لفظا ومعنى ولم تدخل عليه فى جوابه شبهة ولا علقة لمعترض لان اذا فى المسئلة من حروف الابتداء المتضمنة للتعليق بالخبر فاذا اعتبرت المضمرين بعدها بالاسمين المظهرين لزمك أن تقول فاذا الزنبور العقرب أو اللسعة اللسعة أى مثلها سواء فلو قلت فاذا هو اياها بنصب الضمير الاخير لزمك أن تقول فاذا الزنبور العقرب بالنصب وهذا الوجه له فاذا لم يجز نصب الخبر المظهر فكيف يجوز نصب الخبر المضمر الواقع موقعه ويروى فى المسئلة أن الكسائى أو الفراء قال لسيبويه بعد أن أجاب برفع الضميرين على ما يوجبه القياس كيف تقول يا بصرى خرجت فاذا زيد قائم أو قائما فقال سيبويه أقول قائم ولا يجوز النصب فقال الكسائى أقول قائم وقائما والقائم والقائم بالرفع والنصب فى الخبر مع النكرة والمعرفة فتأول الكسائى والفراء فى اختيارهما فاذا هو اياها حمل الخبر المضمر فى النصب على الخبر المظهر مع الاعراب بوجه النصب فكانه قال فاذا الزنبور العقرب كما تقول فاذا زيد قائما فيجرى المعرفة فى النصب مجرى النكرة وقولهما فى هذا خطأ من جهتين احداهما أن نصب الخبر بعد اذا لا يكون الا بعد تمام الكلام الاول فى الاسم مع حرف المفاجأة ومع كون الخبر نكرة كقولك خرجت فاذا زيد قائم لانك لو قلت خرجت فاذا زيد تم الكلام لتعلق

المفاجأة يزيد على معنى حضوره ثم تبين حاله فى المفاجأة المتعلقة به فتقول قائما أى خرجت ففاجأنى زيد فى هذا الحال وقوله فى المسئلة اياها لايتم الكلام فى الاسم الاول دونها ألا ترى انك لو قلت ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو وسكت لم يتم الكلام أولا ولا أفدت بذكر المفاجأة وتعليقها بالزنبور فائدة وانما المفاجاة للضمير الآخر فلابد من ذكره والاعتماد عليه وهذا يوجب الرفع فى الخبر لان الظرف له لا للمخبر عنه فهذا بين واضح والجهة الاخرى فى غلطهما أن اياها معرفة والحال لاتكون الا نكرة فقد اجتمع فى قولهما أن أتيا بحال لم يتم الكلام دونها معرفة والحال لاتكون الا بعد تمام الكلام ومع التنكير فقد تبين خطؤهما واصابة سيبويه فى لزوم الرفع فى الخبر فقط وأما من زعم عن سيبويه انه قال خرجت فاذا زيد قائم بالرفع لاغير فباطل وكيف ينسب اليه وهو عالما أن الظرف اذا كان مستقرا للاسم المخبر عنه نصب الخبر واذا كان مستقرا للخبر رفع الخبر ونحن نقول خرجت فاذا زيد فيتم الكلام ونظرت فاذا الهلال طالع فيتبعه الخبر رفعا كما تقول فى الدار زيد قائم وقائما واليوم سير لك سريع وسريعا ولكن الخبر اذا كان الظرف له ولم يتعلق الا به لم يكن الا رفعا كقولك اليوم زيد منطلق وغدا عمرو خارج لان الظرف لايكون مستقرا للاسم المخبر عنه اذا كان زمانا والمخبر عنه جثة وكذلك المفاجأة اذا كانت للخبر لم يكن الامر فوعا معرفة كان أو نكرة فاذا كانت للمخبر عنه والخبر نكرة انتصب على الحال فجرى قولك ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هى وظننت زيدا عالما فاذا هو جاهل فى لزوم الرفع فى الخبر مجرى اليوم زيد منطلق وغدا عمرو خارج كما جرى خرجت فاذا زيد قائم وقائما فى جواز الرفع والنصب مجرى فى الدار زيد جالس وجالسا فتأمل الفرق بينهما وحصله فان النحويين المتقدمين والمتأخرين قد أغفلوا الفرق بين المفاجأتين وأما نصب الخبر المعرفة بعد اذا تم الكلام أو لم يتم فباطل لاتقوله العرب ولا يجيزه الا الكوفيون وان كان سيبويه رحمه الله تعالى أجاب بقوله فاذا هو اياها كما روى بعضهم فظاهر جوابه مدخول لما قدمت جوابه والخطأ فيه بين من جهة القياس كما ذكرنا فان كان قاله والتزمه دون الرفع فقد أخطأ خطأ لامخرج له منه وان كان قد قاله وهو يرى ان الرفع أولى وأحق الا انه آثر النصب للاعراب حملا على المعنى الخفى دون مايوجبه القياس واللفظ الجلى فجوابه عندى وجهان حسنان أحدهما أن يكون الضمير المنصوب وهو اياها كناية عن اللسعة لاعن العقرب والضمير المرفوع كناية عن الزنبور فكأنه قال ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا الزنبور لسعة العقرب أى فاذا الزنبور يلسع لسعة العقرب فاختزل الفعل لما تقدم من الدليل عليه بعد أن أضمر اللسعة متصلة بالفعل فكأنه قال فاذا الزنبور يليها فاتصل الضمير بالفعل لوجوده فلما اختزل الفعل انفصل الضمير لعدم الفعل ونظير هذا من كلام العرب قولهم انما أنت شرب الابل أى انما أنت تشرب شرب الابل فاختزل الفعل وبقى عمله فى المصدر ولم يرفع لانه غير الاسم الاول فلو أضمرت شرب الابل لاتصل الضمير بالفعل فلو حذفته لانفصل الضمير فقلت انما أنت اياه فتدبره تجده منقادا صحيحا والوجه الآخر أن يكون قوله فاذا هو اياها محمولا على

قوله نصب الخبر الخ هكذا فى الاصل ولا تخلو هذه العبارة عن تأمل لما يظهر فيها من القصر فى اولها اوشبه التضارب فى الاول والآخر وليتأمل وفوق كل ذى علم عليم اه مصححه

المعنى الذى اشتمل عليه أصل الكلام من ذكر الظن أولا وآخرا لان الاصل فى تأليف المسئلة ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فلما لسعنى الزنبور ظننته هو اياها فاختصر الكلام لعلم المخاطب وحذف الظن آخرا لما جرى من ذكره أولا ودلت عليه اذا لما فيها من المفاجاة على الفعل الواقع بعد لما الدالة على وقوع الشئ لوقوع غيره فاذا جاز حذف الكلام ايثارا للاختصار مع وجود الدليل على المحذوف كان قولنا فاذا هو اياها بمنزلة قولنا فلما لسعنى الزنبور ظننته هو اياها فحذف الظن مع مفعوله الاول وبقى الضمير الذى هو العماد والفصل مؤكدا للضمير المحذوف مع الفعل ودالا على ما يأتى بعده من الخبر المحتاج فيكون فى حذف المخبر عنه لما تقدم من الدليل عليه مع الاتيان بالعماد والفصل المؤكد له المثبت لما بعده من الخبر المحتاج اليه مثل قوله ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم فحذف البخل الذى هو المفعول الاول لقوله يحسبن وبقى الضمير مؤكدا له مثبتا لما بعده من الخبر وجاز حذفه لدلالة يبخلون عليه والمعنى لا يحسبن الذين يبخلون البخل هو خيرا لهم فهو فى المسئلة عماد مؤكد لضمير الزنبور المحمول على الظن المضمر ومثبت لما يجئ بعده من الخبر الذى هو اياها فافهمه فانه متمكن من جهة المعنى وجار من الاختصار لعلم المخاطب على قياس وأصل وشاهده القرآن فى الحذف واستعمال العرب النظائر وهى أكثر من أن تحصى فمنها قولهم ما أغفله عنك شيأ أى تنبت شيأ ودع الشك وقولهم لمن ٢
أنكر عليه ذكر انسان ذكره من أنت زيدا أى من أنت تذكر زيدا وربما قالوا من أنت زيد بالرفع على تقدير من أنت ذكرك زيد فحذفوا الفعل مرة وأبقوا عمله وحذفوا المبتدأ أخرى وأبقوا خبره وكل ذلك اختصار لعلم المخاطب بالمعنى وكذلك قولهم هذا ولا زعماتك أى هذا القول والزعم الحق ولا أتوهم زعماتك فحذف هذا العلم السامع مع تحصل المعنى وقيامه عند المخاطب والحمل فى كلامهم على المعنى أكثر من أن يحصى فان كان الضمير الاول فى المسئلة للزنبور والضمير الآخر للعقرب لم يجز البتة الا رفع الضميرين بالابتداء والخبر على حد قولك ظننت زيدا عاقلا فاذا هو أحمق وحسبت عبد الله قاعدا فاذا هو قائم ولو تقدم ذكر الخبر والمخبر عنه لقلت فاذا هو هو ولم يجز فاذا هو اياه البتة ويجوز فى المسئلة أن تقول فاذا هى هو على التقديم والتأخير على حد قولك فاذا العقرب الزنبور أى سواء فى شدة اللسعة كما تقول خرجت فاذا قائم زيد على تقدير فاذا زيد قائم ويجوز أن يكون هو كناية عن اللسع بدلالة اللسعة عليه وتكون هى كناية عن اللسعة على تقدير فاذا لسع الزنبور لسعة العقرب ويجوز فاذا هى هو على اضمار اللسعة واللسع والتقدير فاذا لسعة الزنبور لسع العقرب وهذا كله لا يجوز فيه الا الرفع عند البصريين لان الآخر هو الاول والخبر معرفة متعلق بالمفاجأة فلا يجوز فيه الحال والكوفيون يجيزون النصب كما تقدم وهو غلط بين وخطأ فاحش لا تقوله العرب ولا تعلق له بقياس فاعلمه ويجوز فى المسئلة فاذا هو هو على تقدير فاذا اللسع اللسع ويجوز فاذا هى هى على تقدير فاذا اللسعة اللسعة وفى هذا كفاية ان شاء الله تعالى * وأما نسب سيبويه ففارسى مولى لبنى الحرث بن كعب بن علة بن خلدة بن مالك وهو مذحج واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر وكنيته أبو بشر ولقبه الذى شهر به سيبويه ومعناه بالفارسية

رائحة التفاح وكان من أطيب الناس رائحة وأجلهم وجها وقيل معنى سى ثلاثون ومعنى بويه رائحة فكان معناه الذى ضوعف طيب رائحته ثلاثين مرة • وأما سبب تعويله على الخليل فى طلب النحو مع ما كان عليه من الميل الى التفسير والحديث فانه سأل يوما حماد بن سلمة فقال له أحدثك هشام بن عروة عن أبيه فى رجل رعف فى الصلاة بضم العين فقال له حماد اخطأ انما هو رعف بفتح العين فانصرف الى الخليل فشكا اليه ما لقيه من حماد فقال له الخليل صدق حماد ومثل حماد يقول هذا ورعف بضم العين لغة ضعيفة وقيل انه قدم البصرة من البيضاء من قرى شيراز من عمل فارس وكان مولده ومنشؤه بها يكتب الحديث ويرويه فلزم حلقة حماد بن سلمة فبينما هو يستملى على حماد قول النبى صلى الله عليه وسلم ليس من أصحابى الا من لو شئت لاخذت عليه ليس أبا الدرداء فقال سيبويه ليس أبو الدرداء بالرفع وظنه اسم ليس فقال حماد لحنت يا سيبويه فقال سيبويه سأطلب علما لا تلحننى فيه فلزم الخليل وبرع فى العلم • وأما سبب وفوده على الرشيد ببغداد وتعرضه لمناظرة الكسائى والفراء فلما كانا عليه من تمكن الحال والقرب من السلطان وعلو همته وطلبه للظهور مع ثقته بعلمه لانه كان أعلم أهل زمانه وكان بينه وبين البرامكة أقوى سبب فوفد على يحيى بن خالد بن برمك وابنيه جعفر والفضل فعرض عليهم ما ذهب اليه من مناظرة الكسائى فسعوا له فى ذلك وأوصلوه الى الرشيد فجرى بينه وبين الكسائى والفراء ما ذكروا واشتهر وكان آخر أمره أن الكسائى وأصحابه لما ظهروا عليه بشهادة الاعراب على حسب ما اقتضوا أن قال يحيى بن خالد أو الكسائى للرشيد يا أمير المؤمنين ان رأيت أن لا يرجع خائبا فعلت فأمر له بعشرة آلاف درهم وانصرف الى الاهواز ولم يعرج على البصرة وأقام هنالك مدة الى أن مات كمدا ويروى انه ذربت معدته فخات فيرون انه مات غما ويروى أن الكسائى لما بلغه موته قال للرشيد رده يا أمير المؤمنين فانى أخاف أن أكون شاركت فى دمه ولما احتضر وضع رأسه فى حجر أخيه فقطرت دمعة من دموعه على خده فرفع عينيه وقال

أخيين كانا فرق الدهر بيننا • الى الامد الاقصى ومن يأمن الدهرا

ومات على السنة والجماعة رحمه الله تعالى • وأما كتابه الجارى بين الناس فلم يصح انه أنشأه بعد كتاب آخر قبله على أن ذلك قد ذكر فهذا ما حضر فيما سألت عنه فمن قرأه وأشرف فيه على تقصير فليبسط العذر فانه لساعتين من نهار املاه يوم الثلاثاء عشى النهار لثمان خلون لصفر سنة ٤٧٦ انتهى • وقال الالبيرى رحمه الله تعالى

لا شئ أخسر صفقة من عالم • لعبت به الدنيا مع الجهال

فغدا يفرق دينه أيدى سبا • ويذيله حرصا بجمع المال

لا خير فى كسب الحرام وقلما • يرجى الخلاص لكاسب الحلال

فخذ الكفاف ولا تكن ذا فضلة • فالفضل تسأل عنه أى سؤال

وكان أبو الفضل بن الاعلم من أحسن الناس وجها وأذكاهم فى علم النحو والادب وأقرأ النحو فى صباه وفيه يقول ابن صارة الاندلسى رحمه الله تعالى

أكرم بجعفر اللبيب فانه • مازال يوضح مشكل الايضاح

قوله على أن الخ هكذا فى الاصل وانظر ما موقع ذلك هنا ولعل فيه تحريفا • والاصل على ان ذلك قلما ذكر وليحرر اه مصححه

• قوله سنة ٤٧٦ فى نسخة سنة ٦٤٦ وليحرر اه

قوله وكان ابو الفضل الخ تقدم له ذلك قريبا مع الابيات فهو محض تكرار اه مصححه

ماء الجمال بوجهه متدفق • فالعين منه تجول فى ضحضاح
ماخذه بجرحته عينى انما • صبغت غلالته دماء جراحى
لله زاى زبرجد فى عسجد • فى جوهر فى كوثر فى راح
ذى طرة سجية ذى غرة • عاجية كالليل والاصباح
رشأ له خد البرى ولحظه • أبدا شريك الموت فى الارواح

وقال محمد بن هانئ الاندلسى من قصيدة

السافرات كلهن كواكب • والناعمات كانهن غصون
ماذا على حلل الشقيق لو انها • عن لابسيها فى الخدود تبين
لاعطشن الروض بعدهم ولا • يرويه لى دمع عليه هتون
أأعير لحظ العين بهجة منظر • وأخونهم انى اذن لخؤون
لا الجو جو مشرق وان اكتسى • زهرا ولا الماء المعين معين
لا يعدن اذا العبير له ثرى • والبان روح والشموس قطين
الظل لا متنقل والحوض لا • متكدر والامن لا ممنون

وقال القسطلى فى أسطول أنشأه المنصور بن أبى عامر من قصيدة

تحمل منه البحر بحرا من القنا • يروع بها أمواجه ويهول
بكل عمالات الشراع كانها • وقد حملت أسد الحقائق غيل
اذا سابقت شأو الرياح تخيلت • خيولا مدى فرسانهن خيول
سحائب تزجيها الرياح فان وقت • أطافت بأجياد النعام فيول
ظباء تمام مالهن مفاحص • وورق حمام مالهن هديل
سواكن فى أوطانهن كأنما • بها الموج حيث الراسيات نزول
كما رفع الآل الهوادج بالضحى • غداة استقلت بالخليط حمول
أراقم تحوى ناقع السم مالها • بما حملت دون العداة مقيل

وقد أطنب الناس فى وصف السفن وأطابوا وقرطسوا القريض وأصابوا وقد ذكرنا نبذة من ذلك فى هذا الكتاب • وقال أبو بحر صفوان بن ادريس التجيبى حدثنى بعض الطلبة بمراكش أن أبا العباس الجراوى كان فى حانوت ورّاق بتونس وهنالك فتى يميل اليه فتناول الفتى سوسنة صفراء وأومأ بها الى خديه مشيرا وقال أين الشعراء تحريكا للجراوى فقال ارتجالا

وعلوى الجمال اذا تبدى • أرانا جبينه بدرا أنارا
أشار بسوسن يحكيه عرفا • ويحكى لون عاشقه اصفرارا

قال أبو بحر ثم سألنى أن أقول فى هذا المعنى فقلت بديها

أومى الى خده بسوسنة • صفراء صيغت من وجنتى عبده
لم ترعينى من قبله غصنا • سوسنه نابت ازاورده
أعملت زجرى فقلت ربما • قرب خد المشوق من خده

فحدثني المذكور انه اجتمع مع أبي بكر بن مجبر رحمه الله تعالى قبل اجتماعه بي في ذلك الموضع الذي اجتمع فيه بعينه فحدثه بالحكاية كما حدثني وسأله أن يقول في تلك الحال فقال بديها

في رشأ وسنان مهما انثنى * حار قضيب البان في قده
مذ ولي الحسن وسلطانه * صارت قلوب الناس من جنده
أودع في وجنته زهرة * كأنها تجزع من صده
وقد تفاءلت على فعله * أني أرى خدي على خده

فتعجبت من توارد خاطرينا على معنى هذا البيت الاخير قال أبو بحر ثم قلت في تلك الحال

أبرز من وجنته وردة * أودعها سوسنة صفرا
وانما صورته آية * ضمنها من سوسن عشرا

وقال بعضهم في الباذنجان

ومستحسن عند الطعام مدحرج * غذاه غير الماء في كل بستان
تطلع في أقماعه فكأنه * قلوب نعاج في مخالب عقبان

وقال ابن خروف ويقال انها في وصف دمشق

اذا رحلت عروبة عن حماها * تأوه كل أواه حليم
الى سبت حكى فرعون موسى * يجمع كل سحار عليم
فتبصر كل أملود قويم * يميس بكل ثعبان عظيم
اذا انسابت أراقمها عليها * تذكرنا بها ليل السليم
وشاهدنا بها في كل حين * حبالا ألقيت نحو الكليم

وقال أبو القاسم بن هشام ارتجالا في وسيم عض وردة ثم رمى بها وسئل ذلك منه امتحانا

ومعجز الاوصاف والوصاف في * بردي جمال طرزا بالتيه
سوسان أنمله تناول وردة * فغدا يمزقها أقاحي فيه
فكأنني شبهت وجنته بها * فرمى بها غضبا على التشبيه

وقال أيضا فيمن عض كلب وجنته

وأغيد وضاح المحاسن باسم * اذا قام رد الاسياف ناظره قمر
تعمد كلب عض وجنته التي * هي الورد اينا عا وأبقى بها أثر
فقلت لشهب الافق كيف صماتكم * وقد أثر العواء في صفحة القمر

قوله واغيد الخ تقدمت له هذه الابيات وكذلك غيرها في غير ما موضع كما يظهر ذلك بالتصفح اه

وقال آخر يصف شجة في خد وسيم

عذيري من ذي صفحة يوسفية * بها شجة جلت عن اللثم واللمس
يقولون من عجب أتحسن وصفها * فقلت هلال لاح في شفق الشمس

وقال القاضي أبو الوليد الوقشي فيمن طر شاربه

قد بينت فيه الطبيعة أنها * لبديع أفعال المهندس باهره
عنيت بمسمه فخطت فوقه * بالمسك خطا من محيط الدائره

وقال أبو الحسن بن عيسى

عابوه أسمرنا حلا ذا زرقة * رمدا وظنوا ان ذا يشينه
جهلوا بأن السمهرى تشيبه * وخضابه بدم القلوب يزينه

وقال الاستاذ أبو ذر الخشنى

أنكر صحبى اذ رأوا طرفه * ذا حمرة يشقى بها المغرم
لا تنكروا ما احمر من طرفه * فالسيف لا ينكر فيه الدم

وقال أبو عبد الله محمد بن أبى خالص الرندى

ياشادنا برز العذار بخده * وازداد حسنا ليته لم يبرز
الآن أعلم حين جد بى الهوى * كم بين مختصر وبين مطرز

قوله مفوز فى نسخة معون اه

وقال أبو الحسين عبد الملك بن مفوز المعافرى

ومعذر من خده ورقيبه * شغلان حلا عقد كل عزيمة
خد وخب عيل صبرى منهما * هذا بغنمة وذا بغيمة

وقال أبو الوليد بن زيدون فيمن أصابه جدرى

قال لى اعتل من هويت حسود * قلت أنت العليل ويحك لاهو
ما الذى قد أنكرت من بثرات * ضاعفت حسنه وزانت حلاه
جسمه فى الصفاء والرقة الما * ء فلا غرو ان حباب علاه

وقال الهيثم

قالوا به جرب فقلت لهم قفوا * تلك الندوب مواقع الابصار
هو روضة والقد غصن ناعم * أرأيتم غصنا بلا نوار

وقال أبو بكر محمد بن عياض القرطبى فى مخضوبة الانامل

وعلقتها فتانة اعطافها * تزرى بغصن البانة الميادا
من للغزالة والغزال بحسنها * فى الخد أو فى العين أو فى الهاد
خضبت أنامله السواد وقلما * أبصرت أقلاما بغير مداد

قوله النقرى فى نسخة النفزى اه

وقال أبو الحسين النقرى

بدا يوسفا وشدا معبدا * فللعين ما تشتهى والاذن
كان بأعلاه قرية * تغرد من قده فى غصن

وقال ابن صارة

مقام حر بأرض هون * عجز لعمرى من المقيم
سافر فان لم تجد كريما * فمن لئيم الى لئيم

وقال المعتمد بن عباد رحمه الله تعالى

مولاى أشكو اليك داء * أصبح قلبى به قريحا
سخطك قد زادنى سقاما * فابعث الى الرضا مسيحا

قال بعضهم وقوله مسيحا من القوافى التى يتحدى بها وكتب الى أبيه جوابا عن تحفة

يا مالكا قد أصبحت كفه * ساخرة بالعارض الهاطل

قد أخجلتني منه مثلها * يضيق القول على القائل
وان أكن قصرت في وصفها * فحسنها عن وصفها شاغلي

وكتب الى وزيره ابن عمار

لما رأت ناى الكرى عن ناظري * وردته لما انصرفت عليه
طاب البشير بشارة يجزى بها * فوهبت قلبي واعتذرت اليه

وقال في جارية له كان يحبها وبينما هي تسقيه اذ لمع البرق فارتاعت

يروعها البرق وفي كفها * برق من القهوة لماع
ياليت شعري وهي شمس الضحى * كيف من الانوار ترتاع

ومن تواردالخواطر أن ابن عباد أنشد عبد الجليل بن وهبون البيت الاول وأمره أن يذيله فقال

ولن ترى أعجب من أنس من * من مثل ما يمسك يرتاع

وقال المعتمد رحمه الله تعالى

داوى ثلاثته بلطف ثلاثة * فشفى بذا الرقيب لم يشعر
اسراره بتستر واوازه * بتصبر وخياله بتوقر

وكانت له جارية اسمها جوهرة وكان يحبها الجرى بينهما عتاب ورأى أن كتب اليها يسترضيها فأجابته برقعة لم تعنونها باسمها فقال

لم تصف لي بعدوالاقلم * لم أر في عنوانها جوهره
درت بأني عاشق لاسمها * فلم ترد للغيظ أن تذكره
قالت اذا أبصره ثابتا * قبله والله لا أبصره

وقال في هذه الجارية

سرورنا بعدكم ناقص * والعيش لاصاف ولاخالص
والسعد ان طالعنا نجمه * وغبت فهو الآفل الناكص
سمولك بالجوهر مظلومة * مثلك لايدركه غائص

وقال فيها أيضا

جوهرة عذبني * منك تمادى الغضب
فزفرتي في صعد * وعبرتي في صبب
ياكوكب الحسن الذى * زرى بزهر الشهب
سكنك القلب فلا * ترضى له بالوصب

وقال في جارية اسمها وداد

اشرب الكاس من وداد ودادك * وتانس بذكرها في انفرادك
تعرغاب عن جفونك مرآ * وسكاه في سواد فؤادك

وقال

لك الله كم أودعت قلبي من أسى * وكم لك ما بين الجوانح من كلم

لحاظك طول الدهر حرب لمهجتى * ألا رحمة تثنيك يوما الى سلمى

وقال

قلت مستى ترحمنى * قال ولا طول الابد
قلت فقد أيأستنى * من الحياة قال قد

وأهدى أبو الوليد بن زيدون باكورة تفاح الى المعتضد والد المعتمد وكتب له معها

يامن تزينت الربا * سة حين ألبس ثوبها
جاءتك جامدة المدا * م نخذ عليها ذوبها

وقال المعتمد وقد أمره أبوه المعتضد أن يصف مجنا فيه كواكب فضة

مجن حكى صانعوه السما * لتقصر عنه طوال الرماح
وقد صوروا فيه شبه الثريا * كواكب تقضى له بالنجاح

وقال ابن اللبانة كنت بين يدى الرشيد بن المعتمد فى مجلس انسه فورد الخبر بأخذ يوسف بن تاشفين غرناطة سنة ٤٩٣ فتفجع وتلهف واسترجع وتأسف وذكر قصر غرناطة فدعونا لقصره بالدوام وللملكه بتراخى الايام وأمر عند ذلك أبا بكر الاشبيلى بالغناء فغنى

يادارمية بالعلياء فالسند * أقوت وطال عليها سالف الامد

فاستحالت مسرته وتجهمت اسرته وأمر بالغناء من ستارته فغنى

ان شئت أن لا ترى صبرا لمصطبر * فانظر على أى حال أصبح الطلل

فتأكد تطيره واشتد اربداد وجهه وتغيره وأمر مغنية أخرى بالغناء فغنت

يالهف نفسى على مال أفرقه * على المقلين من أهل المروآت
ان اعتذارى الى من جاء يسألنى * مالست أملك من احدى المصيبات

قال فتلافيت الحال بأن قلت

محل مكرمة لاهدم بناه * وشمل مأثرة لاشتت الله
البيت كالبيت لكن زاد اشرفا * ان الرشيد مع المعتمد ركاه
ثاو على أنجم الجوزاء مقعده * وراحل فى سبيل السعد مسراه
حتم على الملك أن يقوى وقد وصلت * بالشرق والغرب يمناه ويسراه
باس توقد فاحمرت لواحظه * ونائل شب فاخضرت عذاراه

فلعمرى لقد بسطت من نفسه وأعادت عليه بعض أنسه على أنى وقعت فيما وقع فيه الكل لقولى البيت كالبيت وأمر اثر ذلك أبا بكر بالغناء فغنى

ولما قضينا من منى كل حاجة * ولم يبق الا أن تزم الركائب

فأيقنا ان هذا التطير يعقبه التغير * وقد كان المعتضد بن عباد حين تصرمت أيامه وتدانى حمامه استحضر مغنيا يغنيه ليجعل ما يسمعه أبه فالا وكان المغنى السوسى فأول شعر قاله

نطوى المنازل عما أن ستطوينا * فشعشعيها بماء المزن واسقينا

قوله سنة ٤٩٣ فى نسخة سنة ٤٨٣ اه

نمات بعد خمسة أيام وكان الغناء من هذا الشعر في خمسة أبيات * وقال المعتمد بعد ما خلع وسجن

فجع الدهر فماذا اصنعا * كلما أعطى نفيسا نزعا
قد هوى ظلما بمن عاداته * أن ينادي كل من يهوى لعا
من اذا قيل الخناصم وان * نطق العافون همسا سمعا
قل لمن يطمع في نائله * قد أزال اليأس ذاك الطمعا
راح لا يملك الا دعوة * جبر الله العفاة الضيعا

وقال ابن اللبانة كنت مع المعتمد بأغمات فلما قاربت الصدر وأزمعت السفر صرف حبله واستنفد ما قبله وبعث الي مع شرف الدولة ولده وهذا من بنيه أحسن الناس سمتا وأكثرهم صمتا تخجله اللفظة وتجرحه اللحظة حريص على طلب الادب مسارع في اقتناء الكتب مثابر على نسخ الدواوين مفتخ فيها من خطه زهر الرياحين بعشرين مثقالا مرابطية ونوبين غير مخيطين وكتب معها أبياتا منها

اليك التزر من كف الاسير * وان تقنع تكن عين الشكور
تقبل ما يذوب له حياء * وان عذرته حالات الفقير

فامتنعت من ذلك عليه وأجبته بأبيات منها

تركت هواك وهو شقيق دين * لئن شقت برودي عن عذوري
ولا كنت الطليق من الرزايا * اذا أصبحت أنجف بالاسير
جذيمة أنت والزباء خانت * وما أنا من يقصر عن قصير
تصرف في الندى حبل المعالي * فتسمح من قليلي بالكثير
وأعجب منك أنك في ظلام * وترفع للعفاة منار نور
رويدك سوف توسعني سرورا * اذا عاد ارتفاؤك للسرير
وسوف تحلني رتب المعالي * غدا ان تحلني في تلك القصور
تزيد على ابن مروان عطاء * بها وأزيد ثم على جرير
تأهب أن تعود الى طلوع * فليس الخسف ملتزم البدور

وأتبعها أبياتا منها

حاش لله أن أجيع كريما * يتشكى فقرا وقد سد فقرا
وكفاني كلامك الرطب نيلا * كيف ألفى درا وأطلب تبرا
لم تمت انما المكارم ماتت * لاسقى الله بعدك الارض قطرا

ورأى ابن اللبانة أحد أبناء المعتمد وهو غلام وسيم وقد اتخذ الصياغة صناعة وكان يلقب أيام سلطانهم من الالقاب السلطانية بفخر الدولة فنظر اليه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ وقد جلس في السوق يتعلم الصياغة فقال

شكا تك يا فخر العلا عظمت * والرزء يعظم ممن قدره عظما
طوقت من نائبات الدهر مختنقة * ضاقت عليك وكم طوقتنا نعما

وعاد طوقك فى دكان تارعة • من بعد ما كنت فى قصر حكى ارما
صرفت فى آلة الصواغ أنملة • لم تدر الا الندى والسيف والقلما
يد عهدتك للتقبيل تبسطها • فتستقل الثريا أن تكون لها
يا صائغا كانت العليا تصاغ له • حليا وكان عليه الحلى منتظما
للنفخ فى الصور هول ما حكاه سوى • هول رأيتك فيه تنفخ الفحما
وددت اذ نظرت عينى اليك به • لو أن عينى تشكو قبل ذا العمى
ما حط الدهر لما حط عن شرف • ولا تحيف من أخلاقك الكرما
لج فى العلا وكما ان لم تلج قمرا • وقسم بها ربوة ان لم تقسم علما
واصبر فربما أحمدت عاقبة • من يلزم الصبر يحمد غبه مالزما
والله لو انصفتك الشهب لانكسفت • ولو وفى لك دمع العين لانسجما
ابكى حديثك حتى الدر حين غدا • يحكيك رهطا وألحاظا ومبتسما

وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى وقفت على قبر المعتمد بن عباد بمدينة أغمات فى حركة راحلة أعملتها الى الجهات المتراكمة باعثها لقاء الصالحين ومشاهدة الآثار سنة ٧٦١ وهو بمقبرة أغمات فى نشز من الارض وقد حفت به سدرة والى جانبه قبر اعتماد حظيته مولاة رميك وعليهما هيئة التغرب ومعاناة الخمول من بعد الملك فلا تملك العين دمعها عند رؤيتهما فأنشدت فى الحال

قد زرت قبرك عن طوع باغمات • رأيت ذلك من أولى المهمات
لم لا أزورك يا أندى الملوك يدا • ويا سراج الليالى المدلهمات
وأنت من لو تخطى الدهر مصرعه • الى حياتى لجادت فيه أبياتى
اناف قبرك فى هضب يميزه • فتنتحيه حفيات التحيات
كرمت حيا وميتا واشتهرت علا • فأنت سلطان أحياء وأموات
مازى مثلك فى ماض ومعتقدى • أن لا يرى الدهر فى حان وفى آت انتهى

وقد زرت أنا قبر المعتمد بن عباد بمدينة اغمات سنة ١٠١٠ ورأيت فيه مثل ما ذكره لسان الدين رحمه الله تعالى فسبحان من لا يبيد ملكه لا اله الا هو وأخبار المعتمد كثيرة وقال وزيره أبو الوليد بن زيدون

متى أخف الغرام بصفحة جسمى • بألسنة الضنى الخرس الفصاح
فلو أن الشباب نزعن عنى • خفيت خفاء خصرك فى الوشاح

وقال يخاطب المعتمد

وطاعة أمرك فرض ارا • ه من كل مفترض أوكدا
هى الشرع أصبح دين الضمير • فلو قد عصاك لقد ألحدا

وقال فيه

يا ندى يمنى أبى القاسم غم • يا سنا بشر المحيا أشمس
وارتشاف معسول ثغر أشنب • لحبيب من عجاج العنبر

وقال

مهما امتدحت سوالذ قبل فانما • مدحى الى مدحى لك استطراد
تغشى الميادين الفوارس حقبة • كيما يعلمها النزال طراد

وقال

يحيينى بريحان التجنى • ويصحبنى معتقة السماح
فهاأنا قد ثملت من الايادى • اذا اتصل اغتباقى باصطباحى

وكتب الى أبى عامر يستدعيه

أبا المعالى نحن فى روضة • فانقل الينا القدم العاليه
أنت الذى لو تشترى ساعة • منه بدهر لم تكن غاليه

وتذكرت هنا قول بعض المشارقة فيما أظن

لله أيام مضت مأنوسة • ما كان أحسنها وأنضرها معا
لو ساعة منها تباع شريتها • ولو انها بيعت بعمرى أجمعا

(رجع) وقال أبو القاسم أسعد من قصيدة فى المعتصم بن صمادح

وقد ذاب كل الليل فى دمع فجره • الى أن تبدى الليل كاللمة الشمطا
كأن الدجاجيش من الزنج نافذ • وقد أرسل الاصباح فى اثره القبطا

ومنها

اذا سار سار الجود تحت لوائه • فليس يحط المجد الا اذا حطا

وقال ابن خلعة المكفوف النحوى من قصيدة

ملك تملك حر المجد لا يده • نالت بظلم ولا مالت الى البخل
مهذب الجد ماضى الحد مضطلع • لما تحمله العلياء من ثقل
أغر لا وعده يخشى له أبدا • خلف ولا رأيه يؤتى من الزلل
قد جاوزت نطق الجوزا همته • به ومازحلت عن مرتقى زحل
يأبى له أن يحل الذم ساحته • ماصد من جلل أو سد من خلل

ومنها

ان لم تكن بكم حالى مبدلة • فما التفاعى بعلم الحال والبدل

وقال ابن الحداد يمدح المعتصم بن صمادح

عج بالحمى حيث الغياض العين • فعسى تمن لنا المهاة العين
واستقبلن أرج النسيم فدارهم • نسدية الارجاء لا دارين
أفق اذا مارمت لحظ شموسه • صدتك للنقع المثار دجون
أنى أراع لهم وبين جوانحى • شوق يهون خطبهم فيهون
انى يصاب ضراجهم وطعانهم • صب بألحاظ العيون طعين
فكأنما بيض الصفاح جداول • وكأنما سمر الرماح غصون
ذر فى أسير بين الاسرة والظبا • فالقلب فى تلك القباب رهين

يا ربة القرط المعير خفوقه • قلبي أما لحراكه تسكين
تورید خدك للصبابة مورد • وفتور طرفك للنفوس فتون
فاذا رمقت فوحي حبك منزل • واذا نطقت فانه تلقين

ومنها في وصف قصر

راس بظهر النون الا انه • سام فقبته بحيث النون
هو جنة الدنيا تبوأ نزلها • ملك تملكه التقى والدين
فكانما الرحمن عجلها له • ليرى بما قد كان ما سيكون
وكان بانيه سنمارها • بعدوه تحسين ولا تحصين
وجزاؤه فيه نقيض جزائه • شتان ما الاحياء والتحنين

ومنها في المديح

لا تلقح الاحكام حيفا عنده • فكانما الافعال والتنوين

ومنها

وبدا هلال الافق أحنى ناحنا • عهد الصيام كانه العرجون
فكان بين الصوم خط نحوه • خطا خفيا بان منه النون

وقال عبد الجليل بن وهبون

زعموا الغزال حكاه قلت لهم نعم • في صده عن عاشقيه وهجره
وكذا يقولون المدام كريقه • يارب ما علموا مذاقة ثغره

وقال أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي وهب الاندلسي

قالوا تدانيت من وداعهم • ولم نر الصبر عنك مغلوبا
فقلت للعلم أنني بغد • أسمع لفظ الوداع مقلوبا

وهذا كقول بعض شعراء اليتيمة

اذا دهاك الوداع فاصبر • ولا يروعنك البعاد
وانتظر العود عن قريب • فان قاب الوداع عادوا

وقال ابن اللبانة

ان تكن تبتغي الوداع فدعني • عنك في حومة القتال أحامي
خذ جناني عن جنة ولساني • عن سنان وخاطري عن حسام

وقال القزاز يمدح ابن صمادح وخلط النسيب بالمديح

نفى الحب عن مقلتي الكرا • كما قد نفى عن يدي العدم
فقد قر حبك في خاطري • كما قر في راحتيك الكرم
وقر سلوك عن فكرتي • كما قر عن عرضه كل ذم
فحبي ومفخره باقيا • ن لا يذهبان بطول القدم
فابقى لي الحب خال وجد • وأبقى له الفخر خال وعم

وقال أبو الحسن بن الحاج

أذوب اشتياقا يوم يحجب شخصه • وانى على ريب الزمان لقاسى
وأذعر منه هيبة وهو المنى • كما يذعر المخمور أول كاس

وقال

من لى بطرف كان فى أبدا • منه بغير المدام مخمور
ما أصدق القائلين حين بدا • عاشق هذا الجمال معذور

وقال

أيا جعفرا مات فيك الجمال • فأظهر خدك لبس الحداد
وقد كان ينبت نور الربيع • فقد صار ينبت شوك القتاد
فهل كنت من عبد شمس فأخشى • عليك ظهور شعار السواد

وقال وما أحكمه

ما عجبى من بائع دينه • بلذة يبلغ فيها هواه
وانما أعجب من خاسر • يبيع أخراه بدنياسواه

وقال من مخمسة يرثى فيها ابن صمادح ويندب الاندلس زمن الفتنة

من لى بمجبول على ظلم البشر • مصحف فى أحكامه حاء الحور
مر بنا يسحب أذيال الخفر • ما أحسد الظبى له اذا نفر
وأشبه الغصن به اذا خطر

كافورة قد طرزت بمسك • جوهرة لم تمتهن بسلك
نبذت فيها ورعى ونسكى • بعد لجاجى فى التقى ومحكى
فاليوم قد صح رجوعى واشتهر

نهيت قدماى فطرى عن نظر • علما بما يجنى ركوب الغرر
وقلت عرج عن سبيل الخطر • فاليوم قد عاين صدق الخبر
اذ بات وقفا بين دمع وسهر

سقى الحيا عهدا لنا بالطاق • معترك الالباب والاحداق
وملتقى الانفس والاشواق • أيأس فيه الدهر عن تلاق
وربما ساء الدهر ثم سر

أحسن به مطلعا ما أغربا • قابل من دجلة مرأى مجيبا
ان طلعت شمس وقد هبت صبا • حسبته ينشر بردا مذهبا
يمنظر فيه جلاء للبصر

يارب أرض قد خلت قصورها • وأصبحت آهلة قبورها
يشغل عن زائرها من زورها • لا يأمل العودة من يزورها
هيهات ذاك الورد ممنوع الصدر

تنتحب الدنيا على ابن معن • كأنها ثكلى أصيبت بابن
أكرم مأمول ولا أستثنى • أثنى بنعماه ولا أثنى

والروض لا ينكر معروف المطر

عهدى به والملك فى ذماره * والنصر فيما شاء من أنصاره
يطلع بدر التم من أزراره * وتكمن العفة فى ازوراره
ويحضر السؤدد أبان حضر

قل للنوى جدبنا انطلاق * ما بعدت مصر ولا العراق
اذا حدا نحوهما اشتياق * ومن دواء الملل الفراق
ومن نأى عن وطن نال وطر

سار بذى بردمن الاصباح * راكب نشوى ذات قصد صاح
مسودة مبيضة الجناح * تسبح بين الماء والرياح
يزورها عن طافح المرج زور

يقتحم الهول بها اغترارا * فى فتية تحسبها سكارى
قد افترشن المسد المغارا * حتى اذا شارفت المنارا
هب كابل العليل المحتضر

يؤم عدل الملك الرضى * الهاشمى الطاهر النقى
والمجتبى من صفوة النبى * من ولد السفاح والمهدى
فخر معد ونزار ومضر

حيث ترى العباس يستسقى به * والشرف الاعظم فى نصابه
والامر موقوفا على أربابه * والدين لا تختلط الدنيا به
وسيرة الصديق تمضى وعمر

وقال ابن خفاجة فى صفة قوس

عر جاء تعطف ثم ترسل تارة * فكأنما هى حية تنساب
واذا انتحت والسهم منها خارج * فهى الهلال انقض منه شهاب

وقال

وعسى الليالى أن تمن بنظمنا * عقدا كما كنا عليه وأكملا
فلربما نثر الجمان تعمدا * ليعاد أحسن فى النظام وأجملا

وهو من قول مهيار

عسى الله يجعلها فرقة * تعود بأكمل مستجمع

وقول المتنبى

سألت الله يجعله رحيلا * يعين على الاقامة فى ذراكا

وقال

اقض على خلك أو ساعد * عشت بجد فى العلا صاعد
فقد بكى جفنى دما سائلا * حتى لقد ساعده ساعدى

وقال

وأسود يسبح فى بركة * لاتكتم الحصباء غدرانها
كانها فى صفوها مقلة * زرقاء والاسود انسانها

وقال

حبابها ونسيمها كنسيمه * فشربته من كفه فى ودّه
منساغة فكانها من ريقه * محمرة فكانها من خدّه

قوله فشربته هكذا فى الاصل ولعل الاوفق فشربتها تأمل اه مصححه

وقال

لعمرى لو أوضعت فى منهج التقى * لكان لنا فى كل صالحة نهج
فما يستقيم الامر والملك جائر * وهل يستقيم الظل والعود معوج

وقال يرثى صديقا من أبيات

تيقن أنّ الله أكرم جيرة * فأزمع عن دار الحياة رحيلا
فان أقفرت منه العيون فانه * تعوّض منها بالقلوب بديلا
ولم أر أنسا قبله عاد وحشة * وبردا على الاكباد عاد غليلا
ومن تلك أيام السرور قصيرة * به كان ليل الحزن فيه طويلا

وقال

تفاوت نجلا أبى جعفر * فمن متعال ومن منسفل
فهذا يمين بها أكله * وهذا شمال بها يغتسل

وقال ابن الرفاء

ولما رأيت الغرب قد غص بالدجا * وفى الشرق من ضوء الصباح دلائل
توهمت أنّ الغرب بحر أخوضه * وأنّ الذى يبدو من الشرق ساحل

وقال ابو محمد بن عبد البرّ الكاتب

لاتكثرنّ تأمّلا * وأمسك عليك عنان طرفك
فلربما أرسلته * فرماك فى ميدان حتفك

وقال أبو القاسم السميسر

يا آكلا كلّ ما اشتهاه * وشاتم الطب والطبيب
ثمارما قد غرست تجنى * فانتظر السقم عن قريب
يجتمع الداء كل يوم * أغذية السوء كالذنوب

وكان كثير الهجاء وله كتاب سماه بشفاء الامراض فى أخذ الاعراض والعياذ بالله تعالى ومن قوله

خشم فهنتم وكم أهنتم * زمان كنتم بلا عيون
فأنتم تحت كل تحت * وأنتم دون كل دون
بكنتم يا رياح عاد * وكل ريح الى سكون

وقال

يا مشنقا من خول قوم * ليس لهم عندنا خلاق

ذلوا

ذلوا وياطـــالما أذلوا • دعهـــم يذوقوا الذى أذاقوا

وقال

وليتم فما أحسنتم مذوليتم • ولاصنتم عن بصونكم عرضا
وكنتم سماء لا ينال منالها • فصرتم لدى من لا يسائلكم أرضا
ستسترجع الايام ما أقرضتكم • ألا انها تسترجع الدين والقرضا

وقال ابن شاطر السرقسطى

قد كنت لا أدرى لاية علة • صار البياض لباس كل مصاب
حتى كسانى الدهر سحق ملاءة • بيضاء من شيبى لفقد شبابى
فبذا تبين لى اصابة من رأى • لبس البياض على نوى الاحباب

وهذه عادة أهل الاندلس ولهذا قال الحصرى

اذا كان البياض لباس حزن • بأندلس فذاك من الصواب
ألم ترنى لبست بياض شيبى • لانى قد حزنت على الشباب

وما أحسن قوله رحمه الله تعالى

لو كنت زائرتى لراعك منظرى • ورأيت بى ما يصنع التفريق
ولحال من دمعى وحر تنفسى • بينى وبينك جنة وحريق

وقال ابن عبد الصمد يصف فرسا

على سابح فرد يفوت بارىع • له أربعا منها الصبا والشمائل
من الفتح خوان العنان كانه • مع البرق سار أو مع السيل سائل

وقال ابن عبد الحميد البرجى

أرح متن المهند والجواد • فقد تعبا بجدك فى الجهاد
قضيت بعزمة حق العوالى • فقض براحة حق الهوادى

وقال عبادة

انما الفتح هلال طالع • لاح من أزراره فى فلك
خده شمس وليل شعره • من رأى الشمس بدت فى حلك

وقال ابن المطرف المنجم

يرى العواقب فى أثناء فكرته • كان أفكاره بالغيب كهان
لاطرفة منه الا تحتها عمل • كالدهر لا دورة الا لها شان

وقال أبو الحسن بن اليسع

راموا ملامى وكان اغرا • وذم حبى وكان اطرا
لو علم العاذلون مابى • لانقلبت فيه لامهم را

وقال

لما قدمت وعندى • شطر من الشوق وافى
قدمت قلبى قبلى • فصنه حتى أوافى

ولما خاطب المستنصر ملك افريقية ابن سيد الناس بقوله

ما حال عينيك ياعين الزمان فقد * أورثتنى حزنا من أجل عينيكا

وليس لى حيلة غير الدعاء فيا * رب ترا وى الصحيحين حنانيكا

أجابه الحافظ ابو المطرف بن عميرة المخزومى خدمة عن الحافظ أبى بكر بن سيد الناس

مولاى حالهما والله صالحة * لما سألت فأعلى الله حاليكا

ما كان من سفر أو كان من حضر * حتى تكون الزيادون نعليكا

قوله ابى حيان فى نسخة ابى جنارة اه

وقال الاديب أبو العباس الرصافى وهو من أصحاب أبى حيان

هذا هلال الحسن أطلع بيننا * وجميعنا بجلى محاسنه شغف

لما رأى طل العذار بخده * ماء النعيم أتى اليه ليرتشف

فكان ذا اللحظ أنكر أمره * فاحمر من حنق عليه وقال قف

وقال

وعشية نعمت بها أرواحنا * والخمر قد أخذت هنالك حقها

وكأنما ابريقنا لما جثا * ألقى حديثا للكؤس وقهقها

وقال الامام الحافظ أبو الربيع بن سالم

كأنما ابريقنا عاشق * كل عن الخطو فما أعمله

غازل من كاسى حبيباله * فكلما قبله أخجله

قوله أبو القاسم فى نسخة باسقاط لفظ أبو اه

وقال أبو القاسم بن الابرش

رأيت ثلاثة تحكى ثلاثا * اذا ما كنت فى التشبيه تنصف

فتنجو النيل منفعة وحسنا * وشنترين مصر وأنت يوسف

وقال فى غريق وقيل انه مما تمثل به

الحمد لله على كل حال * قد أطفأ الماء سراج الجمال

أطفأه ما كان محياله * قد يطفئ الزيت ضياء الذبال

وهو القائل

لو لم يكن لى آباء أسود بهم * ولم يؤسس رجال الغرب لى شرفا

ولم أنل عند ملك العصر منزلة * لكان فى سيبويه الفخر لى وكفى

فكيف لو مجد قد جمعتهما * وكل مختلق فى مثل ذا وقفا

وقال أبو الحسن بن حريق

أصبحت تدمير مصرا كاسمها * وأبو يوسف فيها يوسفا

وقال أبو القاسم بن العطار الاشبيلى فى بعض الهوزنيين وقد غرق فى نهر طلبيرة عند قصها

ولما رأوا أن لا مقر لسيفه * سوى هامهم لاذوا بأجرأ منهم

فكان من النهر المعين معينهم * ومن ثم السد الحسام المثلم

فيا عجبا للبحر غالته نطفة * وللاسد الضرغام أرداه أرقم

وقال أبو العباس اللص

وقائله

وقائلة والضنا شاملي • علام شهرت ولم ترقد
وقد ذاب جسمك فوق الفرا • ش حتى خفيت على العوّد
فقلت وكيف أرى نائما • وراعي المنية بالمرصد

ولما قرئ عليه ديوان أبي تمام ومرّ فيه وصف سيف قال أنا أشعر منه حيث أقول

تراه في غداة الغيم شمسا • وفي الظلماء نجما أو ذبالا
يروعهم معاينة ووهما • ولو ناموا لروّعهم خيالا

وقال أبو اسحق الالبيري

تمزّلداني واحدا بعد واحد • وأعلم اني بعدهم غير خالد
وأحمل موتاهم وأشهد دفنهم • كاني بعيد عنهم غير شاهد
فها أنا في علمي لهم وجهالتي • كمستيقظ يرنو بعقلة راقد

قيل ولو قال في البيت الثاني كأني عنهم غائب غير شاهد لكان أحسن وأبدع وأبرع في الصناعة الشعرية قاله ابن الابار رحمه الله تعالى • وقال الوزير أبو الوليد بن مسلمة

اذا خانك الرزق في بلدة • ووافاك من همها ما كثر
فمفتاح رزقك في بلدة • سواها فردها تنل ما يسر
كذا المبهمات بوسط الكتا • ب مفتاحها أبدا في الطرر

وقال أبو الطاهر اسمعيل الخشني الجياني المعروف بابن أبي راكب وقيل ان أخاه الاستاذ أبا بكر هو المعروف بذلك

يقول الناس في مثل • تذكر غائبا تره • فحالي لا أراي سكني • ولا انسى تذكره

وأنشد أبو المعالي الاشبيلي الواعظ بمسجد رحبة القاضي من بلنسية أبياتا منها

أنا في الغربة أبكي • ما بكت عين غريب
لم أكن يوم خروجي • من بلادي بمصيب
عجبا لي ولتركي • وطني فيه حبيبي

وقال أبو القاسم بن الافقر السرقسطي

احفظ لسانك والجوارح كلها • فلكل جارحة عليك لسان
واخزن لسانك ما استطعت فانه • ليث هصور والكلام سنان

وقال أبو القاسم خلف بن يحيى بن خطاب الزاهد مما نسبه لابي وهب الزاهد

قد تخيرت أن أكون مخفا • ليس لي من مطيهم غير رجلي
فاذا كنت بين ركب فقالوا • قدموا للرحيل قدمت نعلي
حيثما كنت لا أخلف رحلا • من رآني فقد رآني ورحلي

وقال أبو عبد الله بن محمد بن فتح الانصاري الثغري

كم من قوي قوي في تقلبه • مهذب الرأي عنه الرزق ينصرف
ومن ضعيف ضعيف الرأي مختبل • كأنه من خليج البحر يغترف

وقال أبو القاسم محمد بن نصير الكاتب

مضت أعمارنا ومضت سنونا • فلم تظفر بذى ثقة يدان
وجربنا الزمان فلم يفدنا • سوى التخويف من أهل الزمان

وحكى عن الفقيه الاديب النحوى ابى عبد الله محمد بن ميمون الحبيبى قال كانت لى فى صبوتى جارية وكنت مغرى بها وكان أبى رحمه الله تعالى يعذلنى فيها ويعرض لى ببيعها لانها كانت تشغلنى عن الطلب والبحث عليه فكان عذله يزيدنى اغراما بها فرأيت ليلة فى المنام كان رجلا يأتينى فى زى أهل المشرق كل ثيابه بيض وكان يلقى فى نفسى انه الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما وكان ينشدنى

تصبو الى مى وهى لاتفى • تزهو بيبرا لوالك التى لاتنقضى
ونخارك القوم الالى مامنهم • الا امام أو وصى أو نبى
فاتن عنانك للهدى عن ذى الهوى • وخف الاله عليك ويحك وارعوى

قال فانتبهت فزعا مفكرا فيما رأيته فسألت الجارية هل كان لها اسم قبل أن تسمى بالاسم الذى أعرفه فقالت لا ثم عاودتها حتى ذكرت انها كانت تسمى مية فبعتها حينئذ وعلمت انه وعظ وعظنى الله به عز وجل وبشرى • وقال ابن الحداد أول قصيدته حديقة الحقيقة

ذهب الناس فانفرادى أنيسى • وكتابى محدثى وجليسى
صاحب قد أمنت منه ملالا • واختلالا وكل خلق بئيس
ليس فى نوعه مجى • ولكن • يلتقى الحى منه بالمرموس

وقال بعض أهل الجزيرة الخضراء

ألحاظكم تجرحنا فى الحشا • وخطنا يجرحكم فى الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا • فالذى أوجب جرح الصدود

وقال ابن النعمة انهما لابن شرف وقد ذكرناهما مع جوابهما فى غير هذا الموضع • وقال المعتمد بن عباد

اقنع بحظك فى دنياك ما كانا • وعز نفسك ان فارقت أوطانا
فى الله من كل مفقود مضى عوض • فأشعر القلب سلوانا وايمانا
أكلما سخت ذكرى طربت لها • بحت دموعك فى خديك طوفانا
أما سمعت بسلطان شبيهك قد • بزته سود خطوب الدهر سلطانا
وطن على الكره وارقب اثره فرجا • واستغنم الله تغنم منه غفرانا

وقال أبو عامر البرياني فى الصنم الذى بشاطبة

بقية من بقايا الروم معجبة • أبدى الثبات بها من علمهم حكما
لم أدر ما أضمروا فيه سوى أمم • تتابعت بعد سموه لنا صنما
كالمبرد الفرد ما أخطا مشبهه • حقا لقد برد الايام والامما
كأنه واعظ طال الوقوف به • مما يحدث عن عاد وعن ارما
فانظر الى حجر صلد يكلمنا • أصمى وأوعظ من قس لمن فهما

قيل لو قال مكان حكما علما لاحسن • وقال السميسر

اذا شئت ابقاء أحوالكا • فلا تجر جاها على بالكا
وكن كالطريق لجتازها • يمر وأنت على حالكا

وقال

هن اذا مانلت حظا • فاخو العقل يهون
فتى حظك دهر • فكما كنت تكون

وقال أبو الربيع بن سالم الكلاعي أنشدني أبو محمد الشلبي أنشدني أبو بكر بن مخلل لنفسه

مضت لي ست بعد سبعين حجة • ولي حركات بعدها وسكون
فيالبت شعري أين أو كيف أو متى • يكون الذي لابد أن سيكون

وقال أبو محمد عبد الحق الاشبيلي

لايخدعنك عن دين الهدى نفر • لم يرزقوا في التماس الحق تأييدا
عمى القلوب عروا عن كل فائدة • لانهم كفروا بالله تقليدا

وقال أبو محمد بن صارة

بنو الدنيا يجهل عظموها • فعزت عندهم وهي الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها • مهارشة الكلاب على العقيره

وقال

اسعد بمالك في الحياة ولا تكن • تبقي عليه حذار فقر حادث
فالبخل بين الحادثين وانما • مال البخيل لحادث أو وارث

ودخل أبو محمد الطائي القرطبي على القاضي أبي الوليد بن رشد فأنشده ارتجالا

قد قام لي السيد الهمام • قاضي قضاة الورى الامام
فقلت قم بي ولا تقم لي • فقلما يؤكل القيام

وقال الحافظ أبو محمد بن حزم

لاتلمني لان سبقت لحظ • فات ادراكه ذوي الالباب
يسبق الكلب وثبة الليث في العد • ويعلو النخال فوق اللباب

وقال أبو عبد الله الجبلي الطبيب القرطبي

اشدد يديك على كلب ظفرت به • ولا تدعه فان الناس قد ماتوا

قلت تذكرت بهذا قول الآخر

اشدد يديك بكلب ان ظفرت به • فأكثر الناس قد صاروا خنازيرا

وقال محمد بن عبد الله الحضرمي مولى بني أمية

عاشر الناس بالجميل وسدد وقارب
واحترس من أذى الكرا • م وجد بالمواهب
لا يسود الجميع من • لم يقم بالنوائب
ويحوط الاذى ويرعى ذمام الاقارب
لا تواصل الا الشريف الكريم المناصب

قوله محمد الخ في نسخة أبو محمد عبد الله اه

من له خبر شاهد • وله خبر غائب
واجتنب وصل كل وغد دنى المكاسب

وقال الكاتب الحافظ أبو عبد الله بن الابار

لله نهر كالحباب • ترقيشه سامى الحباب
يصف السماء صفاوة • فحصاه ليس بذى احتجاب
وكأنما هو رقة • من خالص الذهب المذاب
غارت على شطيه أبـ • ـكار المنى عصر الشباب
والظل بين يديه وفوقه • كالخال فى خد الكعاب
لا بل أدار عليه خو • ف الشمس منه كالنقاب
مثل المجرة جر فيـ • ـها ذيله جون السحاب

وقال

شق محاسنه فمن زهر على • نهر تسلسل كالحباب تسلسلا
غربت به شمس الظهيرة لاتقى • احراق صفحته لهيبا مشعلا
حتى كساه الدوح من أفنانه • بردا بمزن فى الاصيل مسلسلا
وكأنما لمع الظلال بمتنه • قطع الدما جمدن حين تحللا

وقال يمدح المستنصر صاحب افريقية

ان البشائر كلها جمعت • للدين والدنيا وللأمم
فى نعمتين جسيمتين هما • برء الامام وبيعة الحرم

قال ابن الابار وأخبرنى بعض أصحابنا يعنى أبا عمرو بن عبد الغنى انه أنشدهما الخليفة فسبقه الى عجز البيت الثانى فقلت له على البديهة

فخر لشعرى على الاشعار يحفظه • خليفة الله كان الله حافظه

وأشار بقوله بيعة الحرم الى ماذكره ابن خلدون وغيره واحد من المؤرخين أن أهل مكة خطبوا للمستنصر صاحب تونس بعرفة وكتبوا له بيعة من انشاء ابن سبعين المتصوف وقد ذكر ابن خلدون نص البيعة فى ترجمة المستنصر فليراجعها من أرادها • وقال ابن الابار

ألا اسمع فى الامير مقال صدق • وخذه عن امرئ خدم الاميرا
متى يكتب تردوشلا اجاجا • وان يركب تردعذبا نميرا

وقال محيى التجانى

أيها الصاحب الصفى مباح • لك عنى فيما نصت الروايه
ان عنانى اسعاف قصدك فيها • فلكم لم تزل بها ذا عنايه
ولها شرطها فحافظ عليه • ثم كافى وصيتى بالكفايه
وتحام الاخلال جهدك لاقيـ • ـت من الله عصمة وحمايه

ونص استدعاء التجانى

ان رأى سيدى الذى حاز فى العلم مع الحلم والعلا كل غايه
وحوى المجد عن جدود كرام • كلهم فى السماح والفضل آيه
أن أرى عنه بالاجازة أروى • كل مافيه لى تصح الروايه
من حديث وكل نظم ونثر • وفنون له بهن درايه
فله فى ذاك الثواب من الله ومنا الثناء دون نهايه
دام فى رفعة وعز وسعد • وأمان ومكنة وحمايه
ماتولى جيش الظلام هزيما • وعلت للصباح فى الافق رايه

ولابن الابار ترجمة واسعة ذكرتها فى أزهار الرياض فى أخبار عياض وماناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض فلتراجع فيه • وأما التجانى أبو عبد الله هذا المذكور فقد وصفه قريبه أبو الفضل محمد حفيد عمه فى كتابه الحلى التيجانيه قال ابن رشيد وجعه باسمنا حفظه الله تعالى وشكره وقال فى موضع آخر انه باسمه واسم صاحبه الوزير ابن الحكيم رحمهما الله تعالى انتهى • وقال ابن مفوز أبو الحسين

اذا عرتك علة • يعجز عنها ما تجد
فلتقتصد فانه • ماعال قط مقتصد

وقال

حاز دنياه كلها • محرزا أكبر المنن
من حوى قوت يومه • آمنا سالم البدن

وقال

أعن أخاك فى الذى • يأمله ويرتجيه
فانه فى عون الفتى • ما كان فى عون أخيه

وقال

أنفس ما أودعته • قلبك ذكرى موقظه
وخير ما أتلفته • مال أفاد موعظه

وقال أبو البركات القميجى أنشدنا أبو العباس بن مكنون وقد رأى اهتزاز الثمار وتمايلها مرتجلا

حارت عقول الناس فى ابداعها • ألسكرها أم شكرها تتأود
فيقول ارباب البطالة تثنى • ويقول ارباب الحقيقة تسجد

قال الشيخ أبو البركات القميجى قلت لابن مكنون ما الذى يدل على انها فى وصف الثمار فقال ولى أنت لهما فقلت

يامن أتى مقتزها فى روضة • أزهارها من حسنها تتوقد
انظر الى الاشجار فى دوحاتها • والريح تنسف والطيور تغرد
فترى الغصون تمايلت أطرافها • وترى الطيور على الغصون تعربد

قال ابن رشيد غلط المذكور فى نسبته البيتين لابن مكنون وانما هما لابى زيد الفازازى

من قصيدة أولها

نعم الاله بشكره تتقيد • فالله يشكر فى النوال ويحمد
مدت اليه أكفنا محتاجة • فاناله من جوده ماتعهد

والبيتان فى أثنائها غير أن أولهما فى ديوانه هكذا تاهت عقول الناس فى حركاتها انتهى ورأيت فى روضة التعريف للسان الدين بعدهما بيتا ثالثا وهو

واذا أردت الجمع بينهما فقل • فى شكر خالقها تقوم وتقعد انتهى

وحكى أن حافظ الاندلس امام الادباء ورئيس المؤلفين حسنة الزمان نادرة الاحسان أبا محمد عبد الله بن ابراهيم الصنهاجى الجارى صاحب كتاب المسهب كان سبب اتصاله بعبد الملك بن سعيد جد على بن موسى صاحب المغرب أنه وفد عليه فى قلعته فلما وقف ببابه وهو بزى بداوة ازدراه البوابون فقال لهم استأذنوا الى على القائد فضحكوا به وقالوا له ما كان وجد القائد من يدخل عليه فى هذه الساعة الا أنت فقيده الى دواة فى حزامه وصاة وكتب بها بباب القائد الاعلى لازال آهلا بأهل الفضيلة رجل وفد عليه من شلب بقصيدة مطلعها عليك أحالنى الذكر الجميل فان رأى سيدى أن يحجب من بلده شلب ومن قصيده هذا فهو أعلم بما يأتى ويذر ولا عتب على القدر ورغب الى أحد غلمانه فأوصل الورقة فلما وقف عليها القائد قال من شلب بلده وهذا مطلع قصيدته مالهذا الاشأن ولعله الوزير ابن عمار وقد نشر الى الدنيا عجلوا بالاذن له فأذن له فدخل وبقى واقفا لم يسلم ولا كلم أحدا فاستثقله الحاضرون واستبردوا مقصده ونسبوه للجهل وسوء الادب فقال له أحدهم مالك لا تسلم على القائد وتدخل مداخل الادباء والشعراء فقال حتى أتجمل جميعكم قدر ما أخجلتمونى على الباب مع أقوام أنذال وأعلم أيضا من هو الكثير الفضول من أصحاب القائد أعزه الله تعالى فأكون أتقيه ان قدر لى خدمته فقال له عبد الملك أتأخذنا بما فعل السفهاء منا قال لا والله بل أغفر لك ذنوب الدهر أجمع وانما هى أسباب نقصدها لنحاورها مثلك أعزك الله تعالى ويتمكن التأنيس ويحل قيد الهيبة ثم أنشد من رأسه ولا ورقة فى يده

عليك أحالنى الذكر الجميل • فصح العزم واقتصر الرحيل
وودعت الحبيب بغير صبر • ولم أسمع لما قال العذول
وأسبلت الظلام على سترا • ونجم الافق ناظره كليل
ولم أشك الهجير وقد دعانى • الى أرجائك الظل الظليل

وهى طويلة فأكرمه وقربه رحم الله تعالى الجميع • وأهديت للمعتمد بن عباد شمعة فقال فى وصفها أبو القاسم بن مرزقان الاشبيلى وهو ممن قتل فى فتنة المعتمد

مدينة فى شمعة صورت • قامت حماة فوق أسوارها
وما رأينا قبلها روضة • تقعد النار بنوارها
تصير الليل نهارا اذا • ما أقبلت ترفل فى نارها
كأنها بعض الايادى التى • تحت الدجى تسرى بأنوارها

من ملك معتمد ماجد • بلاده أوطان زوارها

وقال أبو الاصبغ بن رشيد الاشبيلي لما هطلت باشبيلية سحابة بقطر أحد يوم السبت الثالث عشر من صفر عام أربعة وستين وخمسمائة

لقد آن للناس أن يقلعوا • ويمشوا على السنن الاقوم
متى عهد الغيث باغافلا • كاون العقيق أو العندم
أظن الغمائم في جوها • بكت رحمة للورى بالدم

وفيها أيضا

لاتكن دائم الكآبة مما • قد غدا في الثرى نميرا نجيعا
لطم البرق صفحة المزن حتى • سال منه على الرياض نجيعا

وله في دولاب

ومنحنون اذا دارت سمعت لها • صوتا أجش وطال الماء ينهمل
كان أقدامها ركب اذا سمعوا • منها حداء بكوا للبين وارتحلوا

وله فيمن اسمه مالك

غزالي الجفون شقيق بدر • تبسم عن عقيق فوق درّ
له نفحات مسك أي مسك • له نفثات سحر أي سحر
شكوت له الهوى والهجر منه • فقال عليك يا سمي سوف تدري
تعلمت القساوة من سعادي • وأحرقت القلوب بنار هجري

وقال أبو بكر بن حجاج الغافقي في موسى وسيم اشبيلية الذي كان شعراؤها يتغزلون فيه

من مبلغ موسى المليح رسالة • بعثت له من كافري عشاقه
ما كان خلق راغبا عن دينه • لولم تكن توراته من ساقه

وقال

ان الزويلي فتى شاعر • قد أعجب العالم من نظمه
وأنت يا موسى قد اخترته • واختار موسى قبل من قومه

وقال

على معاذ قرون لو يعاينها • فرعون ما قال اوقدلي على الطين
قالت له عرسه اذ جاء ينكحها • ماذا دهيت به من كل عنين
هلا استعنت بيمون فقال لها • اني استعنت على نفسي بيمون

وقال أبو وهب عبد الرؤف النحوي وكان له حظ في قرض الشعر وكان سقاطا

ليس لمن ليست له لحية • بأس اذا حصلته ليسا
وصاحب اللحية مستقبح • يشبه في طلعته التيسا
ان هبت الريح تلاعبت به • وماست الريح به ميسا

وقال أبو عبد الله محمد بن يحيى القلفاط

يا غزالا عن لي فابعث قلبي ثم ولي

قوله نميرا نجيعا هكذا في الاصل ولعله محرف عن نجوع بالواو لانه بمعنى النمير وأما نجيع بالياء فهو الدم الضارب الى السواد أو دم الجوف وحبط يضرب بالدقيق وبالماء كما في القاموس اه مصححه

أنت منى بفؤادى * يامنى نفسى أولى

وقال أحمد بن المبارك الحبيبى فى الناصر قبل أن يلى عهد جده

ياعابد الرحمن فقت الورى * بهذه العليا وهذا الكرم
ماجعل الله الندى فى امرئ * الا وقد جنبه كل ذم

واستدعى الوزير عبيد الله بن ادريس أبابكر أحمد بن عثمان المروانى ونادمه ليلة فلما قرب الصباح قال له أين ماتحدث عنك من حسن الشعر فهذا موضعه فقال الدواة والقرطاس فأمر له باحضارهما فجعل يفكر ويكتب الى أن أنشده هذه الابيات

بتنا نداجى صفاء يستحث لنا * فى جامد الفضة التبر الذى سبكا
كل مصيخ الى ماقال صاحبه * ولا يبالى أصدقا قال أم أفكا
موقرون خفاف عند شربهم * ولا يخافون فيما أحدثوا درکا
لا تعدمن اذا أبصرتهم فرحا * أمارى الصبح من بشر بهم ضحكا

وقال أبو محمد عبد الله المروانى فى الخيرى

عجبت من الخيرى يكتم عرفه * نهارا ويسرى بالظلام فيعرب
فتحيى عروس الطيب منه بيد الدجا * ويبدو له وجه الصباح فيعجب

وقال ابراهيم بن ادريس العلوى

للبين فى تعذيب نفسى مذهب * ولنا ثبات الدهر عندى مطلب
أما ديون الحادثات فانها * تأتى لوقت صادق لا يكذب

وخرج الاديب النحوى هذيل الاشبيلى يوما من مجلسه فنظر الى سائل عارى الجسم وهو يرعد ويصيح الجوع والبرد فأخذ بيده ونقله الى موضع بلفحه الشمس وقال له صح الجوع فقد كفاك الله مؤنة البرد * ومر المعتمد بن عباد ليلة مع وزيره ابن عمار بباب شيخ كثير التندير والتهكم يمزج ذلك بالمحراف ويضحك الثكلى فقال لابن عمار تعال نضرب على هذا الشيخ الساقط بابه حتى نضحك معه فضربا عليه الباب فقال من هذا فقال ابن عباد انسان يرغب أن تقدله هذه الفتيلة فقال والله لو ضرب ابن عباد بابى فى هذا الوقت مافتحته له فقال فانى ابن عباد فقال مصفوع ألف صفعة فضحك ابن عباد حتى سقط الى الارض وقال لوزيره امض بنا قبل أن يتعدى الصفع من القول الى الفعل فهذا شيخ ركيك ولما كان من غد تلك الليلة وجه له ألف درهم وقال لموصلها قل له هذه حق الالف صفعة التى كانت البارحة * وكان فى زمان المعتمد السارق المشهور بالبازى الاشهب وكان له فى السرقة كل غريبة وكان مسلطا على أهل البادية وبلغ من سرقته أنه سرق وهو مصلوب لان ابن عباد أمر بصلبه على ممر أهل البادية لينظروا اليه فبينما هو على خشبته على تلك الحال اذ جاءت اليه زوجته وبناته وجعلن يبكين حوله ويقلن لمن تتركنا نضيع بعدك واذا بيدوى على بغل وتحته حمل ثياب وأسباب فصاح عليه ياسيدى انظر فى أى حالة أنا ولى عندك حاجة فيها فائدة لى ولك قال وما هى قال انظر الى تلك البئر لما أرهقنى الشرط رميت فيها مائة دينار فعسى تحتال فى اخراجها وهذه زوجتى وبناتى يمكن بغلك

خلال ما تخرجها فعمد البدوى الى حبل ودلى نفسه فى البئر بعد ما اتفق معه على أن يأخذ النصف منها فلما حصل أسفل البئر قطعت زوجة السارق الحبل وبقى حائرا يصيح وأخذت ما كان على البغل مع بناتها وفرت به وكان ذلك فى شدة حر وما سبب الله شخصا يغيثه الا وقد غيب عن العين وخلص فتحيل ذلك الشخص مع غيره على اخراجه وسألوه عن حاله فقال هذا الفاعل الصانع احتال على حتى مضت زوجته وبناته بثيابى وأسبابى ورفعت هذه القصة الى ابن عباد فتعجب منها وأمر باحضار البازى الاشهب وقال له كيف فعلت هذا مع انك فى قبضة الهلكة فقال له ياسيدى لو علمت قدر لذتى فى السرقة خليت ملكك واشتغلت بها فلعنه وضحك منه ثم قال له ان سرحتك وأحسنت اليك وأجريت عليك رزقا يقلك أتتوب من هذه الصنعة الذميمة فقال يامولاى كيف لا أقبل التوبة وهى التى تخلصنى من القتل فعاهده وقدمه على رجال أنجاد وصار من جملة حراس أحواز المدينة • ويحكى أن منصور بنى عبد المؤمن لما أراد بناء صومعة اشبيلية العظيمة القدر أحضر لها العرفاء والصناع من مظانهم فعرف بشيخ مغفل صحيح المذهب عارف بالبناء الذى يجهله كثير من الصناع فأحضر فقال له المنصور كم تقدر أن ينفق على هذه الصومعة فضحك وقال ياسيدى البنيان انما هو مثل ذكر ليس يقدر حتى يقوم فكاد المنصور يفتضح من الضحك وصرف وجهه عنه وبقيت حكايته يضحك عليها زمانا • وكان أحمد المقرى المعروف بالكساد شاعرا وشاحا زجالا اشبيليا وقال فى موسى الذى تغزل فيه ابن سهل

ما لموسى قد خر لله لما • فاض نور أغشاه ضوء سناه
وأنا قد صعقت من نور موسى • لا أطيق الوقوف حين أراه

وقال فى رثائه

فر الى الجنة حوريها • وارتفع الحسن من الارض
وأصبح العشاق فى مأتم • بعضهم يبكى على بعض

وقال فيه

هتف الناعى بشجو الابد • اذ نعى موسى بن عبد الصمد
ما عليهم وحدهم لو دفنوا • فى فؤادى قطعة من كبدى

ولابن سهل الاسرائيلى فى موسى هذا ما هو مثبت فى ديوانه • وكان محمد بن أحمد بن أبى بكر القرموطى المرسى من أعرف أهل الاندلس بالعلوم القديمة المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب فيلسوفا طبيبا ماهرا آية الله فى المعرفة بالاندلس يقرى الامم بألسنتهم فنونهم التى يرغبون فيها وفى تعلمها ولما تغلب طاغية الروم على مرسية عرف له حقه فبنى له مدرسة يقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود وقال له يوما وقد أدنى منزلته لو تنصرت وحصلت الكمال كان لك عندى كذا وكذا فاجابه بما أقنعه ولما خرج من عنده قال لاصحابه أنا عمرى كله أعبد الها واحدا وقد عجزت عما يجب له فكيف حالى لو كنت أعبد ثلاثة كما طلب الملك منى انتهى • وقال أبو عبد الله محمد بن سالم القيسى الغرناطى يخاطب السلطان على ألسنة أصحابه الاطباء الذين يباريه مورتا باسمائهم

قوله ما لموسى الخ هما وما بعدهما قد سبق ذكرها ولعل ذلك لمناسبة فى الموضعين وكذا يقال فى كل ما كرر فى هذا الكتاب فتدبر اه مصححه

قد جمعنا بيابكم سطر علم • لبلوغ المنى ونيل الاراده
ومن اسمائنا لكم حسن فال • سالم ثم غالب وسعاده

وقال أبو عبد الله بن عمر الاشبيلي الخطيب

وكل الى طبعه عائد • وان صده المنع عن قصده
كذا الماء من بعد اضغانه • يعود سريعا الى برده

قوله العثماني في نفحة الضمان اه

وقال الكاتب أبو زيد عبد الرحمن العثماني لما تغير حاله باشبيلية

لا تسلني عن حالتي فهي هذى • مثل حالي لا كنت يا من يراني
ملني الاهل والاخلاء لما • أن جفاني بعد الوصال زماني
فاعتبر بي ولا يغرك دهر • ليس منه ذو غبطة في أمان

قوله ودخل الخ هكذا في الاصل وهو مكرر قد سبق ذكره ولعله لمناسبة كما سلف فتدبر اه مصححه

ودخل الاديب النحوي أبو عمران موسى الطبراني الى بعض الاكابر يوم نيروز وعادتهم أن يصنعوا في مثل هذا اليوم مدائن من العجين لها صور مستحسنة فنظر الى مدينة أعجبته فقال له صاحب المجلس صفها وخذها فقال

مدينة مسوره • تحار فيها السحره
لم تبنها الايدا • عذراء أو مخدره
بدت عروسا تجتلى • من درمك مزعفره
وما لها مفاتح • الا البنان العشره

ورفع الى القائد أبي السرور صاحب ديوان سبتة قصيدة يعرض له فيها بزاد وقد عزم على سفر فأنعم عليه بذلك ثم أتبعه بتحف مما يكون في الديوان مما يجلبه الافرنج الى سبتة ولم يكن التمس منه ذلك ولا خطر بخاطره فكتب اليه

أيا سابقا بالذى لم يجل • بفكري ولم يبد لي في خطاب
ويا غائصا في بحار الندى • ويا فاتحا للعلا كل باب
كذا فلتكن نعم الاكرمين • تفاجي بنيل المنى والطلاب
ولم أر أعظم من نعمة • أتتني ولم تك لي في حساب
سأشكرها شكر عهد الرضى • وأذكرها ذكر غض الشباب

وكتب مجاهد صاحب دانية الى المنصور بن أبي عامر الاصغر ملك بلنسية رقعة ولم يضمنها غير بيت الحطيئة

دع المكارم لا ترحل لبغيتها • واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

فأخرجت المنصور واقامته وأقعدته فأحضر وزيره أبا عامر بن التاكرني فكتب عنه

شتمت مواليها عبيد نزار • شيم العبيد شتيمة الاحرار

فسلا المنصور عما كان فيه • ومن شعر المذكور في المنصور

انهض على اسمك انه منصور • وارم العدو فانه مقهور
ولو اغتنيت عن النهوض كفيتهم • فبذكر باسك كلهم مذعور
ولتبلغن مدى مرادك فيهم • ويكون يوم في العدا مشهور

وقال

وقال له المنصور يوما والله لقد سئمت من هؤلاء الجند ووددت الراحة منهم فقال له يصبر مولاى فلا بد من الساعة فهى على حالتين اما ممن يكون أمرك اليه أو يكون أمره اليك والحمد لله الذى رفعه عن الحالة الاولى * وقال بعض المجانين فى رندة

قصر الرندة مثل ما * قبحت مطالعة الذنوب
بلد عليه وحشة * ما ان يفارقها القطوب
ما حلها أحد فينـ * ـوى بعد بين أن يؤوب
لم آتها عند الضحى * الا وخيل الى الغروب
أفق أغم وساحة * تملا القلوب من الكروب

وقال حبلاص الشاعر الرندى

لا تفرحن بولاية سوغتها * فالثور يعلف أشهرا كى يذبحا

وله فى بعض رؤساء الملثمين من قصيدة

ولو لم تكن كالبدر نورا ورفعة * لما كنت غرا بالسحاب ملثما
وما ذاك الا للنوال علامة * كذا القطر مهما لثم الافق انهمى

فاهتز الملثم وأعجبه وأمر له بكسوة وذهب * ولما ذكر أبو بكر بن عمر الرندى فى مجلس بعض الرؤساء بحضرة أبى الحسن على بن سعيد وأطنب فى الثناء عليه وعمر المجلس بشكره وأخبر بذلك أطرق ساعة ثم قال

لا تذكرن ما غاب عنى من ثنا * أطنبت فيه فليس ذلك يجهل
فمتى حضرت بمجلس وجرى به * خبرى فان الذكر فيه يجمل

ولما نفى بنو ذى النون أرقم من نسبهم لانه كان ابن أمة مهينة واقعها أبو الظافر فى حال سكره ولم يكن فيهم من ينتظم ويتولع بالادب غيره وولى ابنه يحيى وكان أحسد من طلعت عليه الشمس فمال على أرقم بالاذاية حتى فر عن مملكته وقال مرتجلا

لئن طبتم نفسا بترك دياركم * فنفسى عنكم بالتفرق أطيب
اذا لم يكن لى جانب فى دياركم * فما العذر لى أن لا يكون تجنب
زعمتم بأنى لست فرعا لاصلكم * فهلا علمتم أننى عنه أرغب
وحسبى اذا ما البيض لم ترع نسبة * بأنى الى سيفى ورمحى أنسب
وان مدت الايام عمرى للعلا * يشرق ذكرى فى الورى ويغرب

وكتب الوزير الكاتب أبو محمد بن سفيان الى أبى أمية بن عصام قاضى القضاة بشرق الاندلس عين زمانه فوقعت نقطة على العين فتوهمها وظن أنه أبهمها واعتقدها وعندها وانتقدها فقال

لا تلزمنى ما جنته يراعة * طمست بريقتها عيون ثناء
حقدت على لزامها فتصولت * أفعى تمج سمامها بسماء
غدر الزمان وأهله عرف ولم * أسمع بغدر يراعة وابراء

وشرب المامون بن ذى النون مع أبى بكر محمد بن ارفع رأسه الطليطلى وحفل من رؤساء

ندمائه كابن لبون وابن سفيان وابن الفرج وابن المثنى فجرت مذاكرة فى ملوك الطوائف فى ذلك العصر فقال كل واحد ما عنده بحسب غرضه فقال ابن ارفع رأسه ارتجالا

دعوا الملوك وأبناء الملوك لنا ... أضحى على البحر لم يشتق الى نهر
ما فى البسيطة كالمأمون ذوكرم ... فانظر لتصديق ما أسمعت من خبر
ياواحداً ما على علياء مختلف ... مذ جاد كفك لم نحتج الى المطر
وقد طلعت لنا شمسا فما نظرت ... عين الى كوكب يهدى ولا قمر
وقد بدوت لنا وسطى ملوكهم ... فلم نعرج على شذر ولا درر

فدخل ابن ذى النون من الارتياح ما ليس عليه مزيد وأمر له باحسان جزيل عتيد وقال أبو أحمد عبد المؤمن الطليطلى

رأيت حياتى قاد حاتى معيشتى ... ويصعب تركى للحياء ويقبح
وقد فسد الناس الذين عهدتهم ... وقد طال تأيبى لمن ليس يصلح

وله

ولما غدوا بالغيد فوق جمالهم ... طفقت أنادى لا أطيق بهم همسا
عسى عيس من أهوى تجود بوقفة ... ولو كوقوف العين لاحظت الشمسا

وقال الزاهد أبو محمد عبد الله بن الغسال

أعندكم علم بأنى متيم ... والا فما بال المدامع تسجم
وما بال عينى لا تغمض ساعة ... كأنى فى رعى الدرارى منجم

وكان الوزير أبو جعفر الوقشى تياها معجبا بنفسه ومن شعره فى غرضه الفاسد

اذا لم أعظم قدر نفسى وانى ... عليم بما حازته من عظم القدر
ففيرى معذور اذا لم يبرنى ... ولا يكبر الانسان شئ سوى الكبر

وله

يرومون بى غير المكان الذى له ... خلقت وبعضى منكر ذا من بعضى
فقولوا لبدر الافق يترك سماءه ... ويحتل من أجل التواضع فى الارض

وقال

تكبروان كنت الصغير تظاهرا ... وباعد أخا صدق متى ما اشتهى قربا
وكن تائها لله فى حفظ أمره ... ألست تراه عند ما يصر الكابا

وقال له بعض ندمائه ملكه يوما ما صاحب جيان بن همشك يا أبا جعفر أنت جملة محاسن وفيك الادوات العلية التى هى أهل لكل فضيلة غير انك قد قدحت فى ذلك كله بكثرة عجبك واذا مشيت على الارض تشمئز منها فقال له كيف لا أشمئز من شئ أشترك معك فى الوطء عليه فضحك جميع من حضر من جوابه وله جوابا لمن اعتذر عن غيبته عنه

لك الفضل فى أن لا تلوح لناظرى ... وتبعد عنى ما بقيت مدى الدهر
فوجهك فى خطى كما صور الردى ... ولفظك فى سمعى حديث عن الفقر
ومن حاز ما قد حزته من ركاكة ... وغاب فلا يحتج الى كلفة العذر

وله

لك يوما ان لم تلح لعيانى ه ولك الفضل فى زيارة شهر
ولك الفضل فى زيارة عام ه ولك الفضل فى زيارة دهر
ولك الفضل أن تغيب عنى ه ذلك الوجه ما تطاول عمرى

وله وقد شرب على صهريج فاختنق الاسد الذى يرمى بالماء فنفخ فيه رجل أبخر فجرى

ليث بديع الشكل لا مثل له ه صيغ من الماء له سلسله
يقذف بالماء على حينه ه كأنه عاف الذى قبله

وقال أبو الوليد هشام الوقشى

برح بى أن علوم الورى ه اثنان ما ان فيهما من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها ه وباطل تحصيله لا يفيد

وقال

وفاره يركبه فاره ه مرتبنا فى يده صعده
سنانها مشتمل لحظه ه وقدها منتحل قده
يزحف للنسائك فى جحفل ه من حسنه وهو يرى وحده
قلت لنفسى حين مدت لها الآمال والآمال ممتده
لا تطمعى فيه كما الشمس لا ه يطمع فى تدنيسه حدته

وقال

عجبا للمدام ماذا استعارت ه من سجايا معذبى وصفاته
طيب أنفاسه وطعم ثنايا ه وسكر العقول من لحظاته
وسنا وجهه وتورد خديه ه ولطف الدياج من بشراته
والتداوى منها بها التداوى ه برضا من هويت من سطواته
وهى من بعد ذا على حرام ه مثل تحريمه جنى رشفاته

ومن تآليفه نكت الكامل للمبرد وقد مر ذكر هذا الرجل الفرد قبل هذا وحضر يوما مجلس ابن ذى النون فقدم نوع من الحلوى يعرف بآذان القاضى فهافت جماعة من خواصه عليها يقصدون التنديرفيه وجعلوا يكثرون من أكلها وكان فيما قدم من الفاكهة طبق فيه نوع يسمى عيون البقر فقال له المأمون يا قاضى أرى هؤلاء يأكلون أذنيك فقال وأنا أيضا آكل عيونهم وكشف عن الطبق وجعل يأكل منه وكان هذا من الاتفاق الغريب ه وكان الفاضل أبو الحسين ابن الوزير أبى جعفر الوقشى آية الله فى الظرف وكيف لا ووالده الوزير أبو جعفر وصهره أبو الحسين بن جبير وشيخه فى علم الموسيقى والتهذيب والظرف والتدريب أبو الحسين بن الحسن بن الحباب شيخ هذه الطريقة وقد رزق أبو الحسين المذكور فيها ذوقا مع صوت بديع أشهى من الكاس للخليع قال أبو عمران بن سعيد ما سمعته الا تذكرت قول الرصافى

ومطارح مما تجس بنانه ه لحنا أفاض عليه ماء وقاره

قوله أبو الحسين فى نسخة أبو الحسن اه

يثنى الحمام فلا يروح لوكره * طربا ورزق بنيه فى منقاره

وكنت أرتاح الى لقائه ارتياح العليل الى شفائه ولم أزل أقرع بابا بابا وأخرق للاتصال حجابا حجابا حتى هجمت مع شفيع لا يرد عليه وجلست بين يديه فحينئذ حرضه حسبه على الاكرام وتلقى بما أوسع من البشر والسلام وقال ليعلم سيدى انى كنت أود الناس فى لقائه وأحبهم فى اخائه والحمد لله الذى جعلنى أنشد

وليس الذى يستتبع الوبل رائدا * كمن جاءه فى داره رائد الوبل

ثم قام الى خزانة فأخرج منها عود غناء يطرب دون أن تجس أوتاره وتلحن أشعاره واندفع يغنى دون أن أسأله ذلك ولا أتجشم تكليفه الدخول فى تلك المسالك

ومازلت أرجو فى الزمان لقاءكم * فقد يسر الرحمن ما كنت أرتجى

فذكركم مازلت أتلوه دائبا * اذا ذكروا ما بين سلمى ومنعج

فلما فرغ من استهلاله وعمله قبلت رأسه وقلت له لا أدرى علام أشكرك قبل هل على تعجيلك بما لم تدعنى أسألك فى شأنه أم على ما تفردت باحسانه فما هذا الصوت قال هذا نشيد خسروان من تلحينى قال وأنشدنى لنفسه

حننت الى صوت النوا غير سحرة * فأضحى فؤادى لا يقر ولا يهدا

وفاضت دموعى مثل فيض دموعها * أطار حمامات الصبابة والوجدا

وزاد غرامى حين أكثر عاذلى * فقلت له أقصر ولا تقدح الزندا

أهيم بهم فى كل واد صبابة * وأزداد مع طول البعاد لهم ودا

وأنشدنى لنفسه

ولقد مررت على المنازل بعدهم * أبكى وأسأل عنهم وأنوح

وأقول ان سألوا بحالى فى النوى * ما حال جسم فارقته الروح

وقال وكتب الى

يا حسرة ما قضت من لذة وطرا * أين الزمان الذى يرجى به الخلف

أبكيك مل مجفونى ثم يرجعنى * الى التصبر أبى سوف أنصرف

قال أبو عمران وكنت فى أيام الفتنة اذا ركنت الى الآمال هولت على نفسى ما ألقى من أهوالها بقولى مع خاطرى أين الزمان الذى يرجى به الخلف انتهى وكان أبو الحسين على بن الحمارة ممن برع فى الالحان وعلمها وهو من أهل غرناطة واشتهر عنه انه كان يعمد الى الشعراء فيقطع العود بيده ثم يصنع منه عودا للغناء وينظم الشعر ويلحنه ويغنى به فيطرب سامعيه ومن شعره قوله

اذا ظن وكرا مقلتى طائر الكرى * رأى هدبها فارتاع خوف الحبائل

وقال بعض العلماء فى حقه انه آخر فلاسفة الاندلس قال وأعجب ما وقع له فى الشعر أنه دخل سلا وقد فرغ ابن عشرة من بناء قصره والشعراء تنشده فى ذلك فارتجل ابن الحمارة هذين البيتين وأنشدهما بعدهم

يا واحد الناس قد شيدت واحدة * خجل فيها محل الشمس فى الحمل

فما كدارك في الدنيا لذي أمل • ولا كدارك في الاخرى لذي عمل

وسيأتي ذكر هذين البيتين • وكان أهل الاندلس في غاية الاستحضار للمسائل العلمية على البديهة قال ابن مسري أملى علينا ابن المناصف النحوي بدانية على قول سيبويه هذا باب ما الكلم العربية عشرين كراسا بسط القول فيها في مائة وثلاثين وجها انتهى وهذا وأشباهه يكفيك في تبحر أهل الاندلس في العلم وربما سئل العالم منهم عن المسئلة التي يحتاج في جوابها الى مطالعة وتطر فلم يحتج الى ذلك ويذكر من فكره ما لا يحتاج معه الى زيادة •(ومن الحكايات في مثل ذلك أن الاديب البليغ الحافظ أبا بكر بن حبيش لما قال في تخميسه المشهور بماذا على كل من الحق أوجبت اعترض عليه أبو زكريا اليفرني بما نصه استعمل المخمس ماذا في البيت تكثيرا وخبرا والمعروف من كلام العرب استعمالها استفهاما فجاوبه بقوله أما استعمالها استفهاما كما قال فكثير لا يحتاج الى شاهد وأما استعمالها في ألسن فصحاء العرب للكثرة فكثير لا يحتاج الى شاهد لو وصل بحث واستعمل مكث فلم يعترض علي ولي ولا تشكك في جلي

وليس يصح في الافهام شئ • اذا احتاج النهار الى دليل

قال الله تعالى في سورة يونس قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ووقع في صحيح البخاري في رثاء المقتولين من المشركين يوم بدر

وماذا بالقليب قليب بدر • من الفتيان والشرب الكرام

وماذا بالقليب قليب بدر • من الشيزى تكلل بالسنام

وفي السير في رثاء المذكورين أيضا

ماذا ببدر فالعقنقل من مرازبة جحاجح

وهذا الشعر لامية بن ابي الصلت الثقفي ووقع في الاغاني للوليد بن يزيد يرثي نديما له يعرف بابن الطويل

لله قبر ضمنت • فيه عظام ابن الطويل

ماذا تضمن اذ ثوى • فيه من الرأي الاصيل

والخير طويل وأجلى من هذا وأعلى وأحق بكل تقديم وأولى ولكن الواو لا تفيد رتبة ولا تتضمن نسبة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا أنزل الليلة من الفتن وهو في الصحاح ووقع في الحماسة وقد أجمعوا على الاستشهاد بكل ما فيها

ماذا أجال وثيرة بن عمالك • من دمع باكية عليه وبالك

وفي الحماسة أيضا واظنها لابي دهبل

ماذا رزئنا غداة الحل من زمع • عند التفرق من خيم ومن كرم

ووقع في نوادر القالي لكعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا • وماذا يرد الليل حين يؤوب

ووقع في شعر الخنساء ترثي أخاها صخرا

ألا تشكلت أم الذين غدوا به • الى القبر ماذا يحملون الى القبر

وماذا يوارى القبر تحت ترابه • من الجود فى بؤسى الحوادث والدهر

ولجرير وهو فى الحماسة

ان الذين غدوا بلبك غادروا • وشلا بعينك لايزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لى • ماذا لقيت من الهوى ولقينا

وفى الحماسة أيضا ماذا من البعد بين البخل والجود ووقع فى الحماسة أيضا وهو لامرأة

هوت أمهم ماذا بهم يوم صرعوا • بجيشان من أسباب مجد تصرما

أرادت ماذا تصرم لهم يوم صرعوا بجيشان من أسباب مجد تصرما ومما يستظهر به قول أبى الطيب المتنبى

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها • انى بما أنا باك منه محسود

وقوله أيضا

وماذا بمصر من المضحكات • ولكنه ضحك كالبكاء

ومن ملح المتأخرين كان بمرسية أبو جعفر المذكور فى المطمع وكان يلقب بالبقرة فقال فيه بعض أهل عصره

قالوا البقرة يهجونا فقلت لهم • ماذا دهيت به حتى من البقر

هذا وليس بثور بل هو ابنته • وأين منزلة الانثى من الذكر

وأنشد صاحب الزهر ولا أذكر قائله

ماذا لقيت من المستعربين ومن • قياس قولهم هذا الذى ابتدعوا

ان قلت قافية بكرا يكون لها • معنى يخالف ماقالوا وماوضعوا

قالوا الحنت وهذا الحرف منتصب • وذا الخفض وهذا ليس يرتفع

وضربوا بين عبد الله واجتهدوا • وبين زيد فطال الضرب والوجع

وقال صاحب الزهر أنشد أبو حاتم ولم يسم قائله

ألا فى سبيل الله ماذا تضمنت • بطون الثرى واستودع البلد القفر

هذا ما حضر بفضل الله من الاستشهاد على أن ماذا تستعمل بمعنى الخبر والتكثير ووالله الذى لا اله غيره ماطالعت عليه كتابا ولا فتحت فيه بابا وانما هو نتالة من حوض التذكار وصبابة مما علق به شرك الافكار وأثر مما سلك به السمع أيام خلو الذرع وعقدت عليه الحبى فى عصر الصبى ورحم الله من تصفح وتلمح فتسمح وصحح ماوقع اليه من الاعتلال وأصلح ماوضع لديه من الاختلال فخير الناس من أخذ بالبر والايناس فبصر من جهله واذكر عن وهله وانما المؤمنون اخوه وتحابهم فى الله رفعة وحظوه ولهم فى السلف الكريم ومحافظتهم على الود القديم اسوة كريمة وقدوه انتهى قال ابن الطراح انظر تحصيل هذا الامام والرئيس الاسمى النفيس واستحضاره كلام الادباء وسير النقاد البلغاء ومساجلته مع فرسان المعانى ووصفه تلك المغانى وقد كان حامل لواء الادب وفائق أبناء جنسه فى مراقب الطلب وهذه الكلمة أعنى ماذا جرت بسببها

مناظرة بين الاستاذ أبى الحسين بن أبى الربيع النحوى المشهور وبين مالك بن المرحل ببيتة حتى ألف مالك كتاب الرمى بالحصا والضرب بالعصا وفيه هنات لا ينبغى لعاقل أن يذكرها ولا الذى طى فى البيان أن ينشرها وفى ذلك قال الاستاذ أبو الحسين رحمه الله تعالى

كان ماذا ليتها عدم * جنبوها قربها ندم
ليتنى يا مال لم أرها * انها كالنار تضطرم انتهى

وقوله يا مال ترخيم مالك وحكى الاستاذ ابن غازى انهم اختلفوا هل يقال كان ماذا أم لا وقال ان الاستاذ ابن أبى الربيع تطفل على مالك بن المرحل فى الشعر كما ان ابن المرحل تطفل عليه فى النحو قال ومن نظم مالك بن المرحل فى هذه القضية

عاب قوم كان ماذا * ليت شعرى كان ماذا
ان يكن ذلك جهلا * منهم فكان ماذا انتهى

ومن نظم ابن حبيش المذكور قوله

اذا ماشئت أن تحيا هنيأ * رفيع القدر ذا نفس كريمه
فلا تشفع الى رجل كبير * ولا تشهد ولا تحضر وليمه

وله أيضا

لا عمان الى لقياكم قدمى * ولو تجشمت بين الطين والماء
لأن يسل ثيابى الغيث أهون بى * من أن تحرق نار الشوق أحشائى

وأبو زكريا المعترض على ابن حبيش هو الفقيه النحوى الاديب أبو زكريا يحيى بن على ابن سلطان اليفرنى ولد سنة ٦٤١ وبرع فى العربية وكان يلقب فى المشرق جبل النحو وكان عند نفسه مجتهدا وكان لا يجيز نكاح الكتابيات خلافا للامام مالك وهو مذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ويتمسك بقوله تعالى وجعل بينكم مودة ورحمة وكان يرى أن الطلاق لا يكون الا مرتين مرة للاستبراء ومرة للانفصال ولا يقول بالثلاث وهو خلاف الاجماع وكان يتول فى نهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل ذى ناب من السباع أى مأكول كل ذى ناب وتبقى هى على الاباحة ويدل عليه قوله تعالى وما أكل السبع وكان يقول فى قوله تعالى ان هذان لساحران الهاء اسم ان وذان لساحران جملة خبر لان ولا تحتاج لرابط لانها تفسيرية والمعنى عنده وأسروا النجوى قالوا انها أى نجوانا هذان لساحران أى قولنا هذان لساحران تثبيطا للناس عن اتباعهما وخط المصحف يرده لكن فى المصحف اشياء كتبت على غير المصطلح مثل مال هذا ولا اوضعوا ولا اذبحنه قال ابن الطراح ورأيت هذا المعنى لغيره وأظنه ابن النحاس وتوفى اليفرنى المذكور سنة ٧٠٠ ومن شعره

ماذا على الغصن المياس لو عطفا * على صبابة صب حالف الدنفا
يا رحمة لفؤادى من معذبه * كم ذا يحمله أن يحمل الكلفا
ويا رعى الله دهرا ظل يجمعنا * فى ظل عيش صفا من طيبه وضفا

مودة بيننا فى الحب كاملة • ونحن لا نعرف الاعراض والصلفا

• (رجع) الى كلام الاندلسيين قال صالح بن شريف الرندى رحمه الله تعالى فى سكين الكتابة

أنا صمصامة الكتابة مالى • من شبيه فى المرهفات الرقاق
فكانى فى الحسن يوم وصال • وكانى فى القطع يوم فراق

وقال فى المقص

ومصطحبين ما التهما بعشق • وان وصفا بضم واعتناق
لعمر أبيك ما اجتمعا لشئ • سوى معنى القطيعة والفراق

ولبعض الاندلسيين

هلا اقتدى ذو خلة بفعالنا • فيكون واصل خله كوصالنا
مهما يجئ أحد ليقطع بيننا • نقطعه ثم نعد لاحسن حالنا

وجرح بعض الكتاب يده بالمقص فأنشده أحد جلسائه وغالب ظنى انه اندلسى

عداوة لا لكفك من قديم • فلا تجب لمقراض لئيم
لئن أدماك فهو لا شبيه • وقد يعدو اللئيم على الكريم

ولما ألف ابن عصفور كتابه المغرب فى النحو انتقده جماعة من أهل قطره الاندلسيين وغيرهم منهم ابن الصائغ وابن هشام والجزيرى وله عليه المنهج المعرب فى الرد على المغرب وفيه تخليط كثير وتعسف

وفى تعب من يحسد الشمس نورها • ويأمل أن يأتى لها بضريب

ومنهم ابن الحاج وأبو الحسن حازم القرطاجنى الخزرجى وسماه شد الزيار على محفة الحمار وابن مؤمن القابسى وبهاء الدين بن النحاس • ومن شعر حازم الاندلسى المذكور قوله

لم تدر اذ سألتك ما أسلاكها • أبكت أسى أم قطعت أسلاكها

وعارضه التجانى بقوله

يا ساحر الالحاظ يا فتاكها • فتيا جواز الصد من أفتاكها

قوله ومن حكاياتهم الى آخر الابيات هو ثابت فى نسخة من الاصل وهو محيض تكرار اه

• (ومن حكاياتهم فى المجون وما يجرى مجراه أن الوزير أبا بكر بن المليح كان له ابن شاب فاسترسل مع الادب الى أن خرج من القول الى الفعل وأتى باشياء لا تليق بمثله فكتب اليه أبوه

يا سخنة العين يا بنيا • ليتك ما كنت لى بنيا
أبكيت عينى أطلت حزنى • أمت صيتى وكان حيا
حططت قدرى وكان أعلى • فى كل حال من الثريا
أما كفاك الزنا ارتكابا • وشرب مسكر ولذة الحيا
حتى ضربت الدفوف جهرا • وقمت للشرجى اليا
فاليوم أبكيك مل عينى • لو كان يغنى البكاء شيا

فأجابه ابنه بقوله

يالائم الصب في التصابي • ماعنك يغني البكاء شيا
أوجفت خيل العتاب نحوي • وقبل وثبتها اليا
وقلت عمر الهنا قصير • فاربح من العيش ماتهيا
قد كنت أرجو المتاب مما • فتنت جهلا به وغيا
لولا ثلاث شيوخ سوء • أنت وابليس والهوى انتهى

وقال أبو جعفر بن صفوان المالقي رحمه الله تعالى

سألته الاتيان نحوي مقبلا • فقال سل نحوي كي تحصلا
قرأت باب الجمع من شوقي له • وهو بالاشتغال عني قد سلا
للاستغاثة ابتدأت تاليا • وهو لافعال التعدي قد تلا
وكلما طلبت منه في الهوى • عطفا غدا يطلب مني بدلا
وان أرم محض اضافة له • أعمل في قطعي عنه الحبلا
في ألف الوصل ظللت باحثا • وهو بباب الفصل قد تكفلا
فلست موصولا وليس عائدا • وليس حالي عن أسى منتقلا
فيا مني نفسي ومن لفهمه • دانت فهوم الاذكياء النبلا
وجدي موقوف عليك لا أرى • عنك مدى الدهر له منتقلا
فما الذي يمنع من تسكينه • والوقف بالتسكين حكم أعملا
والحب مرفوع اليك مفرد • فلم ترى لضمتي مستثقلا
فالضم للرفع غدا علامة • في مفرد مثلي فأوضح مشكلا
لازلت للهيام عني رافعا • للوصل ناصبا القولي معملا
للشوق مسكنا الهجري صارفا • بالقرب من حال البعاد مبدلا
تجزم أمرا في الامانى ماضيا • وتبتدي بما تشا مستقبلا

وقال محمد بن ادريس القضاعي الاصطبوني

علاه رياض أورقت بمحامد • تنور بالجدوى وتثمر بالامل
تسح عليها من نداه غمامة • ترى المعروف بالعلي والنهل
وهل هو الا الشمس نفسا ورفعة • فيقرب بالجدوى ويبعد بالامل
تعم أياديه البرية كلها • فدان وفاض جود كفيه قد شمل

وقال محمد التطيلي الهذلي من أعيان غرناطة

جارت علي لواحظ الآرام • لما رمت أجفانها بسهام
حكمت علي بحكمها فتبسمت • الضعف منها الدى أحكام
يا قاتلي عمدا بسيف لحاظه • أنعم ظباه قبل وقع حسام
كم رمت وصلك والصدود يصدني • ويفل عزمي أمره ومرامي
اني عدمت النفس يوم فراقكم • والبين أسلمها الى الاعدام

قوله حكمت علي الخ هكذا في الاصل بالنقص ويمكن أن يقال في اصلاحه او بدلا عنه حكمت علي بحكمها جورا فما حال الضعف منها الدى الاحكام اه مصححه

كيف المقام وأصل جسمي ناحل * انّ النفوس مقيمة الاجسام
صعب العلاج فليس يمكن برؤها * حتى يعود الشهر مثل العام
قد كنت أفرح بالسلو فهاأنا * قد زمّ قلبي في الهوى بزمام
مالت به نحو الفتون بدائع * من شادن يحكيه بدر تمام
فقوام أنفسنا بلذة وصله * وجميع أعيننا عليه سوام
قد أبرزت خدّاه روض محاسن * عظمت على الافكار والاوهام
تندى بماء شبيبة وتنعم * فتروق روق الزهر في الاكمام
فكأنما وجناتها في لونها * ورد الرياض ربا بصوب غمام
وكأنما درع الدجا من شعره * قد حاكه منها يد الاظلام
وكأنما ريق حواه ثغره * مسك أذيف بعنبر ومدام
وكأنما سيف نضت ألحاظه * سيف الامير محمد الاسلام
ذاك الامير محمد بن محمد * ناهيك من ملك أغرّ همام
ملك علا فوق السماك علاؤه * وسما فأدرك غاية الاعظام
لو كان يعتقل السها لاتاه في * شكل الفتاة ملثما بلثام
أو كان يرضى بالمجرّة أجردا * لجرت الى الاسراج والالجام
فالسعد يفعل للامانى قولها * والنصر يخدمه مع الايام
واليوم يعشقه ويحسد ليله * فيه كعشق سيوفه للهام
نامت عيون الشرك خوف سنانه * لولاه ما اكتحلت بطيف منام
بهر الانام بسيفه وبباسه * فسبى وأنعم أيما انعام
فالمعتمى يجنى جزيل هباته * والمعتدى يصلى الردى بحسام
مهما استعنت به فضيم معرك * واذا استجرت به فطود شمام
أجرى مياه العدل بعد جفوفها * وأزال نار الظلم بعد ضرام
كم من كتيبة بحفل قد هدّها * في معرك بمهند صمصام
المقتنى الجرد المذاكى عدّة * للكرّ في الاعداء والاقدام
من كل مبيض كان أديمه * لون الصباح أتى عقيب ظلام

ومنها

يا خير من ركب الجياد وقادها * تحت اللواء وعبدة الاقوام
لازلتم والسعد يخدم أمركم * في غبطة موصولة بدوام
حتى يصير الأمن في أرجائنا * عبدا يقوم لنا على الاقدام
والله ينصركم ويعلى مجدكم * ما سح اثر الصحو ماء غمام

وكان يحيى السرقسطي أديبا فرجع الى الجزائر فأمر الحاجب ابن هود أبا الفضل ابن حسداى أن يوبخه على ذلك فكتب اليه

تركت الشعر من عدم الاصابه * ومِلت الى التجارة والقصابه

فاجابه

فأجابه يحيى

تعيب علىّ مألوف القصابه * ومن لم يدر قدر الشئ عابه
ولو أحكمت منها بعض شئ * لما استبدلت منها بالجرابه
ولو تدرى بها كلفى ووجدى * علمت غلام أحمل الصبابه
وانك لو طلعت علىّ يوما * وحولى من بنى كلب عصابه
لهالك ما رأيت وقلت هذا * هزبر صير الاوضام غابه
وكم شهدت لنا كلب وهز * بأن المجد قد حزنا لبابه
فتكنا فى بنى العنزىّ فتكا * أقر الدهر فيهم والمهابه
ولم نقلع عن الثورىّ حتى * مزجنا بالدم القانى لعابه
ومن يغترّ منهم بامتناع * فان الى صوارمنا ايابه
ويبرزوا لنا الا لاف منا * فيغلبهم وذلك من الغرابه

ومنها

أبا الفضل الوزير أجب ندائى * وفضلك ضامن عندك الاجابه
وأصغ الى شكوى شكور * أطلت على صناعته عتابه
وحقك ما تركت الشعر حتى * رأيت البخل قد أوصى صحابه
وحتى زرت مشتاقا خليلى * فأبدى لى التحيل والكآبه
وظن زيارتى لطلاب شئ * فنافرنى وغلظ لى جوابه

وقال الاديب أبو الحسن بن الحداد

قالت وأبدت صفحة * كالشمس من تحت القناع
بعت الدفاتر وهى آ * خر ما يباع من المتاع
فأجبتها ويدى على * كبدى وهمت بانصداع
لا تعجبى مما رأيت * فنحن فى زمن الضياع

قوله وقال الاديب الخ تقدم ذلك مع الابيات فليتنظر اه

وقال الاديب أبو زكريا بن مطروح من أهل مدينة باغة وقد عزل وال فنزل المطر على اثره وهو من أحسن شعر قاله وكان الوالى غير مرضىّ

ورب وال سرّنا عزله * فبعضنا هنأه البعض
قد واصلتنا السحب من بعده * ولذ فى أجفاننا الغمض
لو لم يكن من نجس شخصه * ما طهرت من بعده الارض

وقال القاضى أبو البركات بن الحاج البلفيقىّ رحمه الله تعالى

وعشية حكمت على من تاب من * أهل الخلاعة أن يعود لما مضى
جمعت لنا شمل السرور بفتية * جمعوا من اللذات شملا مرتضى
ما عاقنى عن أن أبسير بسيرهم * الا الرياء مع الخطابة والقضا

وقال أبو الحجاج يوسف الفهرىّ من أهل دانية

أبى الله الا أن أفارق منزلا * يطالعنى وجه المنى فيه سافرا

كأن على الايام أن لا احله • رويدا فما أغشاه الا مسافرا

وقال بعضهم فى الرثاء

عبرات تفيض حزنا وثكلا • وشجون تمض بعضا وكلا
ليس الا صبابة أخرمتها • حسرة تبعث الاسى ليس الا

ولابى جعفر البغيل أحد شعراء المرية وكاتبها

عزاء على هذا المصاب الذى دهى • وشتت شمل الانس من بعد ما التهى
بفرع علاء فى منابت سؤدد • تسامى رقيا فى المعالى الى السها
أصيبت به من بعد ما تم مجده • وقد شعفت منه الشمار يخ وازدهى
فأية شمس فيه للمجد كورت • وأى بناء للمكارم قد وهى
فصبرا عليه لا رزئت بمثله • فمثلك من يعزى الى الحلم والنهى

وقال الكاتب الماهر أبو جعفر أحمد بن أيوب اللمائى المالقى

طلعت طلائع للربيع فاطلعت • فى الروض وردا قبل حين أوانه
حيا أمير المؤمنين بشرا • ومؤملا للنيل من احسانه
ضنت سحائب عليه بمائه • فأتاه يستقيه ماء بنانه
دامت لنا أيامه موصولة • بالعز والتمكين فى سلطانه

وقال أبو جعفر أحمد بن طلحة من جزيرة شقر

ياهل ترى أظرف من يومنا • قد جيد الافق طوق العقيق
وأنطق الورق بعيدانها • مطربة كل قضيب وريق
والشمس لا تشرب خمر الندى • فى الروض الا بكؤس الشقيق

وقال أبو جعفر الغسانى من أهل وادى آش واستوطن غرناطة ثم مات بالمرية فكتب على حمالة قراب أوطا الامام مالك بعد ما استنجد قرائح أدباء عصره واستصرخ اختراعاتهم لنصره فكلهم قصر عن غرضه وأداء مفترضه فقال هو

ياطالبا لكمالك • حفظى أتم كمالك
فما تقلدت مثلى • اذ لم تقلد كمالك

وقال أبو بكر يحيى بن بقى

خذها على وجه الربيع المخصب • لم يقض حق الروض من لم يشرب
هى سحاء علا وهى مارد • فارجه من ثلث الكؤس بكوكب

وهو رحمه الله تعالى صاحب الابيات المشهورة

زحزحته عن أضلع تشتاقه • كيلا ينام على فراش خافق

وانتقد عليه بعض اللطفاء فقال انه كان جافى الطبع حيث قال زحزحته ولو قال باعدت عنه أضلعا تشتاقه لكان أحسن • وقال السلطان المتوكل بن الافطس صاحب بطليوس يستدعى

انهض أباطالب الينا • واسقط سقوط الندى علينا

قوله انهض الخ قد ذكرها فى غير هذا المحل اه

فنحن عقد بغير وسطى * مالم نكن حاضرا لدينا

وتذكرت هنا قول بعض المشارقة فيما أظن والله تعالى أعلم

نحن فى مجلس أنس * مابه غير محبك
فتصدق بحضور * واجمع الوقت بقربك
وخف الآن عتابى * مثل خوفى عند عتبك

(رجع) وقال أبو عبد الله بن خاصة الضرير

ولو جاد بالدنيا وثنى بمثلها * لظن من استصغارها انه ضنا
ولا عيب فى انعامه غير أنه * اذا من لم يتبع مواهبه منا

وله أيضا

ياما لكا حدث عليه زمانه * أم خلت من قبله وقرون
مالى أرى الآمال بيضا وضحا * ووجوه آمالى حوالك سجون
أنا آمن فرق وراج آيس * ورو صدو مسرح مسجون
لاتعدنى أنواء سيبك لاعدا * ك النصر والتأييد والتمكين

وقال ابن اللبانة

كرمت فلا بحر سحاك ولا حيا * وفت فلا هجم شأنك ولا عرب
وأولى بقى منك الجميل فوالله * عسى السح من نعماك يتبعه السكب

وقال أبو على اليمانى

أبنات الهديل أسعدن أو عد * ن قليل العزاء بالاسعاد
يـــــد أنى لا أرتضى ما فعلتن فأطوافكن فى الاجياد

وقال أبو جعفر أحمد بن الدودمن كلمه

فغدت غوادى الحى عنك بجانبا * وأسلن ألحاظ الرباب ربابا

وقال ابن أبى الخصال فى مليحة لها أربع جوار قبيحات

وليلة طولها على سنه * بات بها الجفن نادبا وسنه
بأربع بينهن واحدة * كبيثات وبينها حسنه

وقال غالب بن تمام الملقب بالحمام

صغار الناس أكثرهم قبيحا * وليس لهم بصالحة نهوض
ألم تر فى سباع الطير نسرا * يسامى ويؤذينا البعوض

وقال ابن عائشة

وروضة قد علت سماه * تطلع أزهارها نجوما
هفا نسيم الصبا عليها * فخلتها أرسلت رجوما
كأنما الجو غار لما * بدت فأغرى بها النسيما

وله يصف فرسا وهو من بدائعه

قصرت له تسع وطالت أربع * وزكت ثلاث منه للمتأمل

وكانما سال الظلام بمتنه * وبدا الصباح بوجهه المتهلل
وكان راكبه على ظهر الصبا * من سرعة أو فوق ظهر الشمأل

وقال

تربة مسك وجو عنبرة * وغيم ندوطش ماورد
كانما جائل الحباب به * يلعب فى جانبيه بالنرد

وتروى هذه الابيات لغيره وقال

هم سلبونى حسن صبرى اذ بانوا * بأقمار أطوارى مطالعها بان
لئن غادرونى باللوا ان مهجتى * مسايرة أظعانهم حيثما كانوا

وقال أبو محمد بن سفيان وهو من أبدع التخلص

فقلت وجفنى قد تداعت شؤنه * وحر ضلوعى مقعد ومقيم
لئن دهمت دهم الخطوب وآلمت * فان أباعيسى أغر كريم

وقال ابن الزقاق

بأبى وغير أبى أغن مهفهف * مهضوم ماتحت الوشاح خميصه
ليس الفؤاد ومزقته جفونه * فأتى كيوسف حين قد قميصه

قوله بأبى الخ كذلك هذان البيتان ذكرهما فى غير هذا المحل ولعل ذلك لمناسبة ويقال مثل ذلك فى كل مايظهر تكراره فتدبر اه مصححه

وقال

سلام على أيامكم مابكى الحيا * وسقيا لذاك العهد مذا بتسم الزهر
كأن لم نبت فى ظل أمن تضمنا * من الليلة الظلماء أردية خضر
ولم نغتبق تلك الاحاديث قهوة * وكم مجلس طيب الحديث به خمر
ألا فى ضمان الله فى كل ساعة * يجدد لى فيها بشوقى له ذكر
يذكريه البرق جذلان باسما * ويذكرنى اسفار غرته الفجر
ومارق زهر الروض الا تبسمت * لناظر عينى منه آدابه الزهر

وقال يحيى السرقسطى

هاتها عسجدية كوثريه * بنت كرم رحيقة عطريه
كلما شفها النحول تقوت * فاعجبوا من ضعيفة وقويه
رب خمارة سريت اليها * والدجا فى ثيابه الزنجيه

ومنها

كم عقار بدلته بعقار * وثياب صبغتها خمريه
ان خير البيوع ما كان نقدا * ليس ما كان آجلا بنسيه

وله

نسبتم الظلم لعمالكم * ونمتم عن قبح أعمالكم
والله لو حكمتم ساعة * ماخطر العدل على بالكم

وقال الرصافى فى الدولاب

وذى حنين يكاد شجوا * يختلس الانفس اختلاسا

اذا غدا للرياض جارا • قال لها المحل لا مساسا
يبتسم الروض حين يبكى • بأدمع مارأين باسا
من كل جفن بسل سيفا • صارله عقده رياسا

وخرج أبو بكر الصابونى لنزهة بوادى اشبيلية وكان يهوى فتى اسمه على فقال

أباحسن أباحسن • بعادك قد نفى وسنى
وما أنسى تذكره • فهل أنسى فيذكرنى

ويشبه هذا قول الطاهر بن أبى ركب

يقول الناس فى مثل • تذكر غائبا تره
فمالى لا أرى سكنى • وما أنسى تذكره

وكتب بعض الادباء الى ابن حزم الاندلسى بقوله

سألت الوزير الفقيه الاجل • سؤال مدل على من سال
فقلت أياخير مسترشد • ويا خير من عن امام نقل
أيحرم ان نالنى قبلة • غزال ترشف فيه الغزل
وعانقنى والدجا خاضب • فبتنا نجيعين حتى نصل
وجئتك أسأل مسترشدا • فبين فديت لمن قد سأل

فأجابه ابن حزم بقوله

اذا كان ماقلته صادقا • وكنت تحريت جهد المقل
وكان نجيعك طاوى الحشا • أعار المهاة احمرار المقل
قريب الرضا وله غنة • تميت الهموم وتحيى الجذل
فنى أخذ أشهب عن مالك • عن ابن شهاب عن الغير قل
بترك الخلاف على جمعهم • على أن ذلك حل وبل

ونظر الرصافى يوما الى صبى يبكى ويأخذ من ريقه ويدل عينيه كى يحكى أثر البكاء فارتجل الرصافى

عذيرى من جذلان يبدى كآبة • وأضاءه عما يحاوله صفر
أميلد عباس اذا قاده الصبا • الى ملح الادلال أيده السحر
يدل ما تحتى مقلتيه بريقه • ليحكى البكا عمدا كما يبتسم الزهر
أيوهم أن الدمع بل جفونه • وهل عصرت يوما من الجرس الخمر

وكان المذكور أعنى الرصافى يميل فى شبيبته لبعض فتيان الطلبة وأجمع الطلبة على أن يصنعوا نزهة بالوادى الكبير بمالقة فركبوا زورقا للسير الى الوادى فوافق أنه اجتمع فى الزورق شمل الرصافى بمحبوبه ثم ان الريح الغربية عصفت وهاج البحر ونزل المطر فنزلوا من الزورق وافترق شمل الرصافى من محبوبه فارتجل فى ذلك ويقال انها من أول شعره

غاربى الغرب اذ رآنى • مجتمع الشمل بالحبيب
فارسل الماء عن فراق • وارسل الريح عن رقيب

فلما سمع ذلك استاذه استنبله وقال له انك ستكون شاعر زمانك * وحكى ان أبا بكر ابن مجبر قال فى ابن لابى الحسن بن القطان بحضرة والده

جاء وفى يساره * قوس وفى اليمنى قدح
كانه شمس بدت * وحولها قوس قزح
يالائمى فى حبه * ما كل من لام نصح

فقال ابن عياش الكاتب هذه أبيات لاندلسى استوطن المشرق فى تركى فأقسم أبو بكر انه لم يسمع شيأ من ذلك وانما ارتجلها وقيل انها لابى الفتح محمد بن عبيد الله من أهل بغداد وأولها جد بقلبى ومزح فالله أعلم بحقيقة الامر * وخرج أبو بكر بن طاهر وأبو ذر الخشنى والقاضى أبو حفص بن عمر وهو اذذاك الوسيم فأثرت الشمس فى وجهه فقال أبو ذر

وسمتك الشمس ياقمر * سمة فى القلب تنتشر

فقال الآخر

علمك قدر الذى صنعت * فأنت صفراء تعتذر

قوله أبو الحسين فى نسبة أبو الحسن اه

وقال أبو الحسين البلنسى الصوفى كان لى صديق أمى لا يقرأ ولا يكتب فعلق فتى وكان خرج لنزهة فأثرت الشمس فى وجهه فأعجبه ذلك وأنشد

رأيت أحمد لما جاء من سفر * والشمس قد أثرت فى وجهه أثرا
فانظر لما أثرته الشمس فى قمر * والشمس لا ينبغى أن تدرك القمرا

واجتمع أبو الوليد الوقشى وأبو مروان عبد الملك بن سراج القرطبى وكانا فريدى عصرهما حفظا وتقدما فتعارفا وتسالما بادر أبو الوليد بالسؤال وقال كيف يكون قول القائل

ولو أن مابى بالحصا فعل الحصا * وبالريح لم يسمع لهن هبوب

ما ينبغى أن يكون مكان فعل الحصا فقال أبو مروان فلق الحصا فقال وهمت انما يكون فلق الحصا لكون مطابقا لقوله لم يسمع لهن هبوب يريد أن مابه يحرك ماشأنه السكون ويسكن ماشأنه الحركة فقال أبو مروان مايريد الشاعر بقوله

وراكعة فى ظل غصن منوطة * بلؤلؤة نيطت بمنقار طائر

وكان اجتماعهما فى مسجد فأقيمت الصلاة اثر فراغ ابن سراج من انشاد البيت فلما انقضت الصلاة قال له الوقشى ألغز الشاعر باسم أحمد فالراكعة الحاء والغصن كناية عن الالف واللؤلؤة الميم ومنقار الطائر الدال فقال له ابن سراج ينبغى أن تعيد الصلاة لشغل خاطرك بهذا اللغز فقال له الوقشى بين الاقامة وتكبيرة الاحرام فكتمه والبيت لعبد الله بن الدمينة وبعده

ولو أنى أستغفر الله كلما * ذكرتك لم تكتب على ذنوب

وقال الوزير أبو الحسن بن أضحى

ومستشفع عندى بخير الورى عندى * وأولاهم بالشكر منى وبالحمد

وصلى

وصلت فلما لم أقم بجـــــزائه • لفقت له رأسى حياء من المجد

وكان سبب قوله هذين البيتين انه كتب اليه أحـد الوزراء شافعا لاحد الاعيان فلما وصل اليه برّه وأنزله وأعطاه عطاء استعظمه واستجزله وخلع عليه خلعا وأطلعه من الجمال بدرا لم يكن مطلعا ثم اعتقد انه قد جاء مقصرا فكتب اليه معتذرا بالبيتين هكذا حكاه فى الفتح وقال بعد ذلك ماصورته ومن باهر جلاله وظاهر خلاله انه أعف الناس بواطن وأشرفهم فى التقى مواطن ماعلمت له صبوه ولاحلت له الى مستنكر حبوه مع عـدل لاشئ يعـدله وتحجب عما يتقى مما يرسل عليه حجابه ويسدله وكان لصاحب البلد الذى يتولى القضاء به ابن من أحسن الناس صوره وكانت محاسن الاقوال والافعال عليه مقصوره مع ماشئت من لسن وصوت حسن وعفاف واختلاط بالبهاء والتفاف قال الفتح وحملنا لاحـدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطـة فخلنا قرية على ضفة نهـر أحسـن من شادن مهر تشقها جداول كالاصلال ولاترمقها الشمس من تكاثف الظلال ومعنا جملة من أعيانها فأحضرنا من أنواع الطعام وأرانا من فرط الاكرام والانعام مالايطاق ولايحد ويقصر عن بعضه العـد وفى أثناء مقامنا بدا لى من ذلك الفتى المذكور ما أنكرته فقابلته بكلام اعتقده وملام أحققه فلما كان من الغد لقيت منه اجتنابه ولم أر منه ماعهدته من الانابه فكتبت اليه مداعبا له فراجعنى بهـذه القطعة

أتتنى أبا نصر تنيحة خاطـــر • سريع كرجع الطرف فى الخطرات
فأعربت عن وجد كمين طويته • بأهيـــف طاو فاتر اللحظات
غزال أحم المقلتـــين عرفته • بخيف منى للحسـن أو عـرفات
رمانى فاصمى والقلوب رميـة • لكل كحيل الطـرف ذى فتكات
وظن بأن القلب منـك محصب • فلبالـ من عينيـه بالجـمرات
تقـرب بالنسـك فى كل منسـك • وضحى غـداة النحر بالمهجات
وكانت له جيان مثوى فأصبحت • ضـلوعـك مثواه بكل فلاة
يعـز علينا أن تهـيم فتنطوى • كئيبا على الاشجان والزفرات
فلو قبلت للناس فى الحب فدية • فـديناك بالاموال والبشرات

ومن ايثار ديانته وعلامة حفظه للشرع وصيانته وقصـده مقصد المتورعين وجريه جرى المتشرعين أن أحـد أعيان بلده كان متصـلا به اتصال الناظر بسواده محتفلا فى عينه وفؤاده لايسلمه الى مكروه ولايفرده فى حادث يعروه وكان من الادب فى منزلة تقتضى اسعافه ولاتورده من تشفيعه فى مورد قد عافه فكتب اليه ضارعا فى رجل من خواصه اختلط بمرأة طلقها ثم تعلقها وخاطبه فى ذلك بشعر فلم يسعفه وكتب اليه مراجعا

أيا أيها السـيد المجتبى • ويا أيها الالمعى العـــلم
أتتنى أبياتك المحكمات • بما قد حوت من بديع الحكم

ولم أر من قبلها مثلها • وقد نفثت سحرها فى الكلم
ولكنه الدين لا يشترى • بنثر ولا بنظام نظم
وكيف أبيح حمى مانعا • وكيف أحل ما قد حرم
ألست أخاف عقاب الاله • ونارا مؤججة تضطرم
أأصرفها طالقا بتة • على انوك قد طغى واجترم
ولو أن ذا الغوى الذوى • تثبت فى أمره ما ندم
ولكنه طاش مستعجلا • فكان أحق الورى بالندم

انتهى كلام الفتح الذى أردت جلبه هنا ولا خفاء أن هذه الحكاية مما يدخل فى حكايات عدل قضاة الاندلس ومن نظم ابن أضحى المذكور ما كتب به الى بعض من يعز عليه

يا ساكن القلب رفقا كم تقطعه • الله فى منزل قد ظل مثوا كا
يشيد الناس لتحصين منزلهم • وأنت تهدمه بالعنف عينا كا
والله والله ما جى لفاحشة • أعاذنى الله من هذا وعافا كا

وله فى مثل ذلك

روحى اليك فردّيه الى جسدى • من لى على فقده بالصبر والجلد
بالله زورى كئيبا لا عزاء له • وشرّفيه ومثواه غداة غد
لو تعلمين بما ألقاه يا أملى • بايعتنى الود تصفيه بيا يد
عليك منى سلام الله ما بقيت • آثار عينيك فى قلبى وفى كبدى

• واذ وصلت الى هذا الموضع من كلام أهل الاندلس فقد رأيت أن أذكر جملة من نساء أهل الاندلس اللاتى لهنّ اليد الطولى فى البلاغة كى يعلم أنّ البراعة فى أهل الاندلس كالغريزة لهم حتى فى نسائهم وصبيانهم • (فمن النساء المشهورات بالاندلس أمّ السعد بنت عصام الحميرىّ من أهل قرطبة وتعرف بسعدونة ولها رواية عن أبيها وجدّها وغيرهما كما حكاه ابن الابار فى ترجمتها من التكملة وأنشدت لنفسها فى تمثال نعل النبىّ صلى الله عليه وسلم تكملة لقول غيرها

سألتم التمثال اذ لم أجد • للثم نعل المصطفى من سبيل

ما صورته

لعلنى أحظى بتقبيله • فى جنة الفردوس أسنى مقيل
فى ظلّ طوبى ساكنا آمنا • أسقى بأكواس من السلسبيل
وأمسح القلب به علّه • يسكن ما جاش به من غليل
فطالما استشفى باطلال من • يهواه أهل الحبّ فى كل جيل

وأنشدنى ابن جابر الوادى آشى عن شيخه المحدث أبى محمد بن هرون القرطبىّ بلدته سعدونة وأظنها هذه

آخ الرجال من الاباء • عدو الاقارب لا تقاربه
انّ الاقارب كالعقا • رب أو أشدّ من العقاربه

هكذا نقله الخطيب ابن مرزوق ورأيت نسبة البيتين لابن العميد فالله أعلم • ومنهن حسانة التميمية بنت أبي الحسين الشاعر تأدبت وتعلمت الشعر فلما مات أبوها كتبت الى الحكم وهي اذ ذاك بكر لم تتزوج

انى اليك أبا العاصي موجعة • أبا الحسين سقته الواكف الديم
قد كنت أرتع في نعماه عاكفة • فاليوم آوى الى نعمائك يا حكم
أنت الامام الذي انقاد الانام له • وملكته مقاليد النهى الامم
لا شئ أخشى اذا ما كنت لي كنفا • آوى اليه ولا يعروني العدم
لا زلت بالعزة القعساء مرتديا • حتى تذل لك العرب والعجم

فلما وقف الحكم على شعرها استحسنه وأمر لها باجراء مرتب وكتب الى عامله على البيرة فجهزها بجهاز حسن ويحكى انها وفدت على ابنه عبد الرحمن بشكية من عامله جابر بن لبيد والى البيرة وكان الحكم قد وقع لها بخط يده تحرير أملاكها فلم يفدها فدخلت الى الامام عبد الرحمن فأقامت بفنائه وتلطفت مع بعض نسائه حتى أوصلتها اليه وهو في حال طرب وسرور فانتسبت اليه فعرفها وعرف أباها ثم أنشدته

الى ذي الندى والمجد سارت ركائبي • على شحط تصلى بنار الهواجر
ليجبر صدعي انه خير جابر • ويمنعني من ذي الظلامة جابر
فاني وأيتامي بقبضة كفه • كذي ريش أضحى في مخالب كاسر
جدير لمثلي أن يقال مروعة • لموت أبي العاصي الذي كان ناصري
سقاه الحيا لو كان حيا لما اعتدى • على زمان باطش بطش قادر
أيمحو الذي خطته يمناه جابر • لقد سام بالاملاك احدى الكبائر

ولما فرغت رفعت اليه خط والده وحكت جميع أمرها فرق لها وأخذ خط أبيه فقبله ووضعه على عينيه وقال تعدى ابن لبيد طوره حتى رام نقض رأي الحكم وحسبنا أن نسلك سبيله بعده ونحفظ بعد مونه عهده انصرفي يا حسانة فقد عزلته لك ووقع لها بمثل توقيع أبيه الحكم فقبلت يده وأمر لها بجائزة فانصرفت وبعثت اليه بقصيدة منها

ابن الهشاميين خير الناس مأثرة • وخير منتجع يوما لرواد
ان هز يوم الوغى أثناء صعدته • روى أنابيبها من صرف فرصاد
قل للامام أيا خير الورى نسبا • مقابلا بين آباء وأجداد
جودت طبعي ولم ترض الظلامة لي • فهاك فضل ثناء رائح غاد
فان أقمت ففي نعمائك عاطفة • وان رحلت فقد زودتني زادي

• (ومنهن أم العلاء بنت يوسف الجبارية ذكرها صاحب المغرب وقال انها من أهل المائة الخامسة ومن شعرها

كل ما يصدر منكم حسن • وبعليا كم تحلى الزمن
تعطف العين على منظركم • وبذكراكم تلذ الاذن
من يعش دونكم في عمره • فهو في نيل الامانى يغبن

وعشقها رجل أشيب فكتبت اليه

الشيب لا يخدع فيه الصبي * بحيلة فاسمع الى نصحي
فلا تكن أجهل من في الورى * ببيت في الجهل كما يضحي

ولها أيضا

افهم مطارح أحوالي وما حكمت * به الشواهد واعذرني ولا تلم
ولا تكلفني الى عذر أبينه * نثر المعاذير ما يحتاج للكلم
وكل ما جئته من زلة فبما * أصبحت في ثقة من ذلك الكرم

والجارية بالراء المهملة نسبة الى وادي الجارة * (ومنهن أمة العزيز قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتاب المطرب من أشعار المغرب أنشدتني أخت جدي الشريفة الفاضلة أمة العزيز الشريفة الحسنية لنفسها

لحاظكم تجرحنا في الحشا * ولحظنا يجرحكم في الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا * فما الذي أوجب جرح الصدود انتهى

قلت هذا السؤال يحتاج الى جواب وقد رأيت لبلدينا القاضي الامام الفاضل أبي الفضل قاسم العقباني التلمساني رحمه الله تعالى جوابه والغالب انه من نظمه وهو قوله

أوجبه مني ياسيدي * جرح بخد ليس فيه الجحود
وأنت فيما قلته مدع * فأين ما قلت وأين الشهود انتهى

* (ومنهن أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح ملك المرية قال ابن سعيد في المغرب كانت تنظم الشعر وعشقت الفتى المشهور بالجمال من دانية المعروف بالسمار وعملت فيه الموشحات ومن شعرها فيه

يا معشر الناس ألا فاعجبوا * مما جنته لوعة الحب
لو لاه لم ينزل ببدر الدجا * من أفقه العلوي للترب
حسبي بمن أهواه لو أنه * فارقني تابعه قلبي

* (ومنهن الشاعرة الغسانية البجانية بالنون نسبة الى بجانة وهي كورة عظيمة وتشتهر باقليم المرية وهي من أهل المائة الرابعة نحن نظمها من أبيات

عهدتهم والعيش في ظل وصلهم * أنيق وروض الوصل أخضر فينان
ليالي سعد لا يخاف على الهوى * عتاب ولا يخشى على الوصل هجران

* (ومنهن العروضية مولاة أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون الكاتب سكنت بلنسية وكانت قد أخذت عن مولاها النحو واللغة لكنها فاقته في ذلك وبرعت في العروض وكانت تحفظ الكامل للمبرد والنوادر للقالي وتشرحهما قال أبو داود سليمان بن نجاح قرأت عليها الكتابين وأخذت عنها العروض توفيت بدانية بعد سنة ثمان في حدود الخمسين والاربعمائة رحمها الله تعالى * (ومنهن حفصة بنت الحاج الركونية الشاعرة الاديبة المشهورة بالجمال والحسب والمال ذكرها الملاحي في تاريخه وأنشد لها مما قالته في أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي ارتجالا بين يديه

يا سيد الناس يا من • يؤمّل الناس رفده
امنن على بطرس • يكون للدهر عبده
تخط يمناك فيه • الحمد لله وحده

وأشارت بذلك الى العلامة السلطانية عند الموحدين فانها كانت أن يكتب السلطان بيده بخط غليظ فى رأس المنشور الحمد لله وحده وتذكرت بذلك والشيء بالشيء يذكر انه لما قفل السلطان الناصر أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين يعقوب المنصور ابن أمير المؤمنين يوسف ابن عبد المؤمن بن على سلطان المغرب والاندلس من افريقية سنة ثلاث وستمائة بعد فتح المهدية هنأته الشعراء بذلك ثم اجتمع بو عبد الله بن مرج الكحل بالشعراء والكتاب فتذكروا الفتح وعظمه فأنشدهم ابن مرج الكحل فى الوقت لنفسه

ولما توالى الفتح من كل وجهة • ولم تبلغ الاوهام فى الوصف حده
تركنا أمير المؤمنين لشكره • بما أودع السر الالهى عنده
فلا نعمة الا تؤدى حقوقها • علامته بالحمد لله وحده

فاستحسن الكتاب له ذلك ووقع أحسن موقع • وحكى صاحب كتاب روح الشعر وروح السحر وهو الكاتب أبو عبد الله محمد بن الجلاب الفهرى أن أمير المؤمنين يعقوب المنصور لما قفل من غزوة الاراكة المشهورة وكانت يوم الاربعاء تاسع شعبان سنة احدى وتسعين وخمسمائة ورد عليه الشعراء من كل قطر يهنئونه فلم يمكن لكثرتهم أن ينشد كل انسان قصيدته بل كان يختص منها بالانشاد البيتين او الثلاثة المختارة فدخل أحد الشعراء فأنشده

ما أنت فى أمراء الناس كلهم • الا كصاحب هذا الدين فى الرسل
أحييت بالسيف دين الهاشمى كما • أحياه جدك عبد المؤمن بن على

فأمر له بألفى دينار ولم يصل أحدا غيره لكثرة الشعراء وأخذا بالمثل منع الجميع ارضى للجميع قال وانتهت رفاع القصائد وغيرها الى أن حالت بينه وبين من كان أمامه لكثرتها انتهى • (رجع الى أخبار حفصة وأنشد لها أبو الخطاب فى المطرب قولها

ثنائى على تلك الثنايا لانى • أقول على علم وأنطق عن خبر
وأنصفها الا أكذب الله انى • رشفت بها ريقا أرق من الخمر

وتولع بها السيد أبو سعيد عبد المؤمن ملك غرناطة وتغير بسببها على أبى جعفر بن سعيد حتى أدى تغيره عليه أن قتله وطلب أبو جعفر منها الاجتماع فطلته قد شهرين فكتب لها

يا من أجانب ذكر اسمه وحبى علامه
ما ان أرى الوعد يقضى • والعمر أخشى انصرامه
اليوم أرجوك لا أن • يكون لى فى القيامه
لو قد بصرت بحالى • والليل أرخى ظلامه
أنوح شوقا ووجدا • اذ تستريح الحمامه
صب أطال هواه • على الحبيب غرامه

لمن يثيبه عليه • ولا يرد سلامه
ان لم تنيلي أريحي • فاليأس يثني زمامه

فأجابته

يا مدعي في هوى الحسن والغرام الامامه
أقر يضك لكن • لم أرض منه نظامه
أمدعي الحب يثني • يأس الحبيب زمامه
ضلات كل ضلال • ولم تفدك الزعامه
مازلت تعجب مذ كنت في السباق السلامه
حتى عثرت وأخجلت باقتضاح السآمه
بالله في كل وقت • يبدي السحاب انسجامه
والزهر في كل حين • يشق عنه كمامه
لو كنت تعرف عذري • كففت غرب الملامه

ووجهت هذه الابيات مع موصل أبياته بعد ما لعنته وسبته وقالت له لعن الله المرسل والمرسل فما في جميعكما خير ولا لي برؤيتكما حاجة وانصرف بغاية من الخزي ولما أطل على أبي جعفر وهو في قلق لانتظاره قال له ما وراءك يا عصام قال ما يكون وراءه من وجهه خلف الى فاعلة تاركة اقرأ الابيات تعلم فلما قرأ الابيات قال للرسول ما أسخف عقلك وأجهلك انها وعدتني للقبة التي في جنتي المعروفة بالكمامة سر بنا فبادروا الى الكمامة فما كان الا قليلا واذا بها قد وصلت وأراد عتبها فأنشدت

دعي عنك الذنوب اذا التقينا • تعالي لا نعد ولا تعدي

وجلسا على أحسن حالة واذا برقعة الكندي الشاعر لابي جعفر وفيها

أبا جعفر يا ابن الكرام الأماجد • خلوت بمن تهواه رغما لحاسد
فهل لك في خل قنوع مهذب • كتوم عليم باختفاء المراصد
بيت اذا يخلو المحب بحبه • ممتع لذات بخمس ولائد

فقرأها على حفصة فقالت لعنه الله قد سمعنا بالوارش على الطعام والواغل على الشراب ولم نسمع اسم لمن يعلم باجتماع محبين فيروم الدخول عليهما فقال لها بالله سميه لنكتب له بذلك فقالت أسميه الحائل لانه يحول بيني وبينك ان وقعت عيني عليه فكتب له في ظهر رقعته

يا من اذا ما أتاني • جعلته نصب عيني
تراك ترضى جلوسا • بين الحبيب وبيني
ان كان ذاك فما ذا • تبغي سوى قرب حيني
والآن قد حصلت لي • بعد المطال بديني
فان أتيت فدفعا • منها بكلتا اليدين
أو ليس تبغي وحاشا • لك أن ترى طير بين

وفى مبيتك بالحمس كل قبح وشين
فليس حقك الا السخا وبالقمرين

وكتب له تحت ذلك ما كان منهما من الكلام وذيل ذلك بقوله

سمالك من أهواه حائل * ان كنت بعد العتب واصل
مع أن لونك مزعج * لو كنت تحبس بالسلاسل

فلما رجع اليه الرسول وجده قد وقع بطهورة نجاسة وصار هتكة فلما قرأ الابيات قال للرسول أعلمهما بحالى فرجع الرسول وأخبرهما بذلك فكاد أن يغشى عليهما من الضحك وكتبا اليه ارتجالا كل واحد بيتا بيتا وابتدأ أبو جعفر فقال

قل للذى خلصنا * من الوقوع فى الخرا
ارجع كما شاء الخرا * يا ابن الخرا الى ورا
وان تعد يوما الى * وصالنا سوف ترى
يا أسقط الناس ويا * أنذلهم بلا مرا
هذا مدى الدهر تلا * فى لو أتيت فى الكرا
يا لحية تشغف فى الخرء وتشنا العنبرا
لاقرب الله اجتما * عابك حتى تقبرا

ومن شعرها

سلام يفتح فى زهره الكمام وينطق ورق الغصون
على نازح قد ثوى فى الحشا * وان كان تحرم منه الجفون
فلا تحسبوا العبد ينساكم * فذلك والله ما لا يكون

قوله العبد ينساكم فى نسخة البعد ينسيكم وكل صحيح كما لا يخفى اه مصححه

وقولها من أبيات

ولو لم يكن نجما لما كان ناظرى * وقد غبت عنه مظلما بعد نوره
سلام على تلك المحاسن من ثبج * تناءت بنعماه وطيب سروره

وقولها

سلوا البارق الخفاق والليل ساكن * أطل بأحبابى يذكرنى وهنا
لعمرى لقد أهدى لقلبى خفقه * وأصطرنى منهل عارضه الجفنا

ونسب بعض اليها البيتين المشهورين

أغار عليك من عينى رقيبى * ومنك ومن زمانك والمكان
ولو أنى خبأتك فى عيونى * الى يوم القيامة ما كفانى

والله تعالى أعلم وكتبت الى أبى جعفر

رأست فحازال العداة بظلهم * وعلهم النامى يقولون لم رأس
وهل منكر أن ساد أهل زمانه * جوح الى العليا حرون عن الدنس

وقال ابن دحية حفصة من أشراف غرناطة رخيمة الشعر رقيقة النظم والنثر انتهى ومن قولها فى السيد أبى سعيد ملك غرناطة تهنئه بيوم عيد وكتبت بذلك اليه

ياذا العلا وابن الخليفة والامام المرتضى
يهنيك عيد قد جرى * فيه بما تهوى القضا
وأتاك من تهواه فى * قيد الانابة والرضى
لعبيد من لذاته * ماقد تصرم وانقضى

وذكر الملاحى فى تاريخه انها سألتها امرأة من أعيان غرناطة أن تكتب لها شيأ بخطها فكتبت اليها

ياربة الحسن بل ياربة الكرم * غضى جفونك عما خطه قلمى
تصفحيه بلحظ الود منعطفا * لا تحفلى بردى الخط والكلم

واتفق أن بات أبو جعفر بن سعيد معها فى بستان بحوز مؤتل على ما يبيت به الروض والنسيم من طيب النفحة ونضارة النعيم فلما حان الانفصال قال أبو جعفر وكان يهواها كما سبق

رعى الله ليلا لم يرح بمذمم * عشية وارانا بحوز مؤتل
وقد خفقت من نحو نجد أريحة * اذا انفحت هبت بريا القرنفل
وغرد قمرى على الدوح وانثنى * قضيب من الريحان من فوق جدول
يرى الروض مسرورا بما قد بداله * عناق وضم وارتشاف مقبل

وكتب بها اليها بعد الافتراق تجيبه على عادتها فى مثل ذلك فكتبت اليه بقولها

لعمرك ما مر الرياض بوصلنا * ولكنه أبدى لنا الغل والحسد
ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا * ولا غرد القمرى الا لما وجد
فلا تحسن الظن الذى أنت أهله * فما هو فى كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الافق أبدى نجومه * لأمر سوى كيما تكون لنا رصد

وقال ابن سعيد فى الطالع السعيد كتبت حفصة الركونية الى بعض أصحابها

أزورك أم تزور فدتك قلبى * الى ما تشتهى أبدا يميل
فثغرى مورد عذب زلال * وفرع ذؤابتى ظل ظليل
وقد أملت أن تظما وتضحى * اذا وافى اليك بى المقيل
فعجل بالجواب فما جميل * اباؤك عن بثينة يا جميل

قال التجانى تشبه أبيات حفصة هذه أبيات أنشدها ابن أبى الحسين فى تاريخه لسلمى بنت القراطيسى من أهل بغداد وكانت مشهورة بالجمال وهى

عيون مها العريم فداء عينى * وأجياد الظباء فداء جيدى
أزير بالعقود وان نحرى * لازين للعقود من العقود
ولا أشكو من الاوصاب ثقلا * وتشكو قامتى ثقل النهود

وبلغت هذه الابيات المقتفى أمير المؤمنين فقال اسألوا هل تصدق صفتها قولها فقالوا ما يكون أجمل منها فقال اسألوا عن عفافها فقالوا له هى أعف الناس فأرسل اليها مالا جزيلا وقال تستعين به على صيانة جمالها ورونق بهجتها انتهى *(رجع الى حفصة)

تولد ابن ابى الحسين فى نسخة ابن ابى الناصين بالصاد اه

وقال

وقال أبو جعفر بن سعيد أقسم ما رأيت ولا سمعت بمثل حفصة ومن بعض ما أجعله دليلا على تصديق عزمي وبرّ قسمي أني كنت يوما في منزلي مع من يجب أن يخلى معه من الاجواد الكرام على راحة سمحت بها غفلات الايام فلم نشعر الا بالباب يضرب فخرجت جارية تنظر من الضارب فوجدت امرأة فقالت لها ما تريدين فقالت ادفعي لسيدك هذه الرقعة فجاءت برقعة فيها

زائر قد أتى بجيد الغزال * مطلع تحت جنحه للهلال
بلحاظ من سحر بابل صيغت * ورضاب يفوق بنت الدوالى
يفضح الورد ما حوى منه خدّ * وكذا الثغر فاضح للآلى
ما ترى في دخوله بعد اذن * أو تراه لعارض في انفصال

قال فعلمت انها حفصة وقت مبادرا للباب وقابلتها بما يقابل به من يشفع له حسنه وآدابه والغرام به وتفضله بالزيارة دون طلب في وقت الرغبة في الانس به انتهى قلت واذ قد جرى ذكر أبي جعفر بن سعيد سابق الحلبة فلم يبعض أحواله فنقول هو أبو جعفر احمد ابن عبد الملك بن سعيد العنسي قال قريبه أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد في المغرب سمعت أبي يقول لا أعلم في بني سعيد أشعر منه بل لا أعلم في بلده وعشق حفصة شاعرة الاندلس وكانا يتجاوبان تجاوب الحمام ولما استبد والده بأمر القلعة حين ثار أهل الاندلس بسبب صولة بني عبد المؤمن على الملثمين اتخذه وزيرا واستنابه في اموره فلم يصبر على ذلك واستعفى فلم يعفه وقال أفي مثل هذا الوقت الشديد تركن الى الراحة فكتب اليه

مولاي في أيّ وقت * أنال في العيش راحه
ان لم أنلها وعمري * ما ان أنار صباحه
وللملاح عيون * تميل نحو الملاحه
وكأس راحي ما ان * تمل مني راحه
والخطب عني أعمى * لم يقترب لي ساحه
وأنت دوني ستور * من العلا والرجاحه
فأعفني وأقلني * مما رأيت صلاحه
ما في الوزارة حظ * لمن يريد ارتياحه
كلّ وقال وقيل * مما يطيل تباحه
أنسى أتى مستغيثا * فاترك قديت سراحه

فلما قرأ الابيات قال لا ينفع الله بما لا يكون مركبا في الطبع مائلة له النفس ثم وقع على ظهر ورقته قد تركناك سراح أنسك وألحقناك يومك بأمسك ولما رجع ثوار الاندلس الى عبد المؤمن وبايعه عبد الملك بن سعيد فغمره احسانا وبرا وولى السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن غرناطة طاب كاتبا من أهلها فوصف له فضل أبي جعفر وحسبه وأدبه فاستكتبه فطلب أن يعفيه فأبى الى أن شرب أبو جعفر يوما مع بعض خواصه وخرج

ثانى يوم الى الصيد وكان اليوم ذا غيم وبرد ولما اشتد البرد مالوا الى خيمة ناطور وجعلوا يصطلون ويشربون على ما اصطادوا فحمل أبا جعفر بقية السكر على أن قال يصف يومه ويستطرد بما فى نفسه

ويوم تجلى الافق فيه بعنبر * من الغيم لذ نافيه باللهو والقنص
وقد بقيت فينا من الامس فضلة * من السكر تغرينا بمنتهب الفرص
ركبنا له صحبا وليلا وبعضنا * أصيلا وكل ان شدا اجلجل رقص
وتهب برزاة قد رجنا بشهبها * طيورا يساغ اللهو ان شكت الغصص
وعن شفق تغزى الصباح أو الدجا * اذا أوثقت ما قد تحرك أو قص
وملنا وقد نلنا من الصيد سؤلنا * على قنص اللذات والبرد قد قرص
بخيمة ناطور توسط عذبها * جحيم به من كان عذب قد خلص
أدرنا عليه مثله ذهبية * دعته الى الكبرى فلم يجب الرخص
فقل لحريص أن يرانى مقيدا * بخدمته لا يجعل الباز فى القفص
وما كنت الا طوع نفسى فهل أرى * مطيعا لمن عن شأو نخرى قد نقص

فكان من أصحابه من حفظ هذين البيتين ووشى بهما للسيد فعزله أو أعزل ثم بلغه بعد ذلك انه قال لحفصة الشاعرة ما تحبين فى ذلك الاسود وأنا أقدر أن أشترى لك من سوق العبيد عشرة خيرا منه وكان لونه مائلا الى السواد فأسرها فى نفسه الى أن فر عبد الرحمن ابن عبد الملك بن سعيد الى ملك شرق الاندلس محمد بن مردنيش فوجد له بذلك سببا فقتله صبرا بمالقة وكان عبد الملك بن سعيد يذكر ابنه أبا جعفر لعبد المؤمن وينشده من شعره رغبة فى تشريفه بالحضور بين يديه وانشاده فى مجلسه فأمره بحضوره فعند ما دخل عليه قبل يده وأنشد قصيدة منها قوله

عليك أحالنى داعى النجاح * ونحوك حثنى حادى الفلاح
وكنت كساهر ليلا طويلا * ترنح حين بشر بالصباح
وذى جهل تغلغل فى قفار * شكا ظمأ فدل على القراح
دعانا نحو وجهك طيب ذكر * ويذكر للرياض شذا الرياح

وله فى غلام أسود ساق ارتجالا

أدار علينا الكاس ظبى مهفهف * غدا نشره واللون للعنبر الشحرى
وزاد لنا حسنا بزهر كؤسه * وحسن ظلام الليل بالانجم الزهر

وقوله فيه وقد لبس أبيض

وغصن من الآبنوس ارتدى * بعاج كليل علاه فلق
يحاكى لنا الكاس فى كفه * صباحا بجنح علاه شفق

وقوله مما كتب به الى أخيه محمد وقد ورد منه كتاب بانعام

وافى كتابك ينبى * عن سابغ الانعام
فقلت درّ ودرّ * من زاخر وغمام

وقوله

وقوله يذم حماما

يارب حمام لعنا بما * أبدى الينا كل حمام
أفق له قما رحيم كما * أصمت سهام من يدى رامى
يخرق سجفا للدخان الذى * لاح كغيم العارض الهامى
وقيم يجذبنى جذبة * وتارة يكسرا بهامى
ويجمع الاوساخ من لؤمه * فى عضدى قصد الاعلامى
وازدحم الانذال فيه وقد * ضجوا ضجيجا دون افهام
وجملة الامر دخلنا بنى * سام وعدنا كبنى حام

وله فى ضد ذلك والنصف الاخير لابن بقى

لا أنس ما عشت حماما ظفرت به * وكان عندى أحلى من جنى الظفر
نعمت جسمى فى ضدين مغتمما * تنم الغصن بين الشمس والمطر

وقال له السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة ما أنت الا حسن الفراسة وافر العقل فقال

نسبتم لمن هذ بقوه فراسة * وعقلا ولولاكم للازمه الجهل
وما هو أهل للثناء وانما * علاكم لتقليد الايادى له أهل
وما أنا الا منكم واليكم * وما فى من خير فأنتم له أصل

وقال

ولما رأيت السعد فى صفح وجهه * منيرا دعانى ما رأيت الى الشكر
وأقبل يدى لى غرائب نطقه * وما كنت أدرى قبله منزع السحر
فأصغيت اصغاء الجديب الى الحيا * وكان ثنائى كالرياض على القطر

وله

لا تكثرن عتابى * ان طال عنك فراقى
فما يضر بعاد * يطول والود باقى

وله

ما خدمناكم لأن تشفعوا فينا بدار الجزاء يوم الحساب
ذاك يوم أنا وأنت سواء * فيه كل يخاف سوء العقاب
انما الشان الذب فى هذه الدنيا بطاعتكم عن الاصحاب
واذا ما خذلتموهم بشكوى * وبخلتم عنهم برد الجواب
فاعذروهم ان يطلبوا من سواكم * نصرة وارفعوا اجمال العتاب
واذا أرض مجدب لفظته * فله العذر فى اتباع السحاب

وله وقد تقدم أمامه فى ليلة مظلمة أحد أصحابه فطفئ السراج فى يده فقال لوقته

لى من جبينك هادى * فى الليل نحو مرادى
فما أريد سراجا * يدلنى لرشاد

أنى وكفك سحب • يبدو بها اذا انقاد

وله فى قوادة

قوادة تفخر بالعار • أقود من ليل على سار
ولاجة فى كل دار وما • يدرى بها من حذقها دارى
ظريفة مقبولة الملتقى • خفيفة الوطء على الجار
لحافها لا ينطوى دائما • أقلق من رابة بيكار
قد رئيت مذ عرفت نفعها • ما بين فتال وشطار
جاهلة حيث ثوى مسجد • عارفة حانة خمار
بسامة مكثرة برها • ذات فكاهات وأخبار
علم الرياضات حوته وما • سمته بتقويم واعصار
مبتاعة للنعل من كيسها • موسرة فى حال اعسار
تكاد من لطف أحاديثها • تجمع بين الماء والنار

قوله مبتاعة الخ فى نسخة مناعة للفعل فى كيسها اهـ

وما سمعنا فى هذا الباب أحسن من هذا والبيت السائر

تقود من السياسة ألف بغل • اذا حرنت بخيط العنكبوت

وشرب ليلة مع أصحاب له وفيهم وسيم فأعرض بجانبه وقطب فتكدر المجلس فقال أبو جعفر

يا من نأى عنا الى جانب • صد اكيل الشمس عند الغروب
لا تزو عنا وجهك المجتلى • فالشمس لا يعهد منها قطوب
ان دام هذا الحال ما بيننا • فاشنا عما قليل تتوب
ما نشتكى الدهر ولا خطبه • لولاك ما دارت علينا خطوب

وله

أيا لائمى فى حل صحبة جاهل • قطوب المحيا سيئ اللحظ والسمع
لمنفعة ترجى لديه صحبته • وان كان ذا طبع يخالفه طبعى

كما احتمل الانسان شرب مرارة الدواء لما يرجو لديه من النفع

وله وقد أحسن ما شاء

تركتكم لا كارها فى جنابكم • ولكن أبى ردى الى بابكم دهرى
وطاحت بى الاطماع فى كل وجهة • تنقلنى من كل سهل الى وعر
وما باختيار فارق الخلد آدم • وما عن مراد لاذ أيوب بالصبر
ولكنها الايام ليست مقيمة • على ما اشتهاه مشته أمد العمر
وانك ان فكرت فيما أتيته • تيقنت أن الترك لم يك عن غدر
ولكن لجاج فى النفوس اذا انقضى • رجعت كما قد عاد طير الى وكر
وانى لمنسوب اليكم وان نأت • بى الدار عنكم والغدير الى القطر
وانى لمن بالذى نلت منكم • مقيم على ما تعلمون من البر

وان خنتكم يوما فخانتني المنى • وساءلديكم بعدا حامده ذكرى
على أنني أقررت أني مذنب • وذو الجد من يغنى المقر عن العذر

وله يصف نارا

تطرت الى نار تصول على الدجا • اذا ما حسبناها تدانت تبعدت
ترفعها أيدى الرياح وتارة • تخفضها مثل المكبر يسجد
والا فمن لا يملك الصبر قلبه • يقوم به غيظ هنالك ويقعد
لها ألسن تشكو بها ما أصابها • وقد جعلت من شدة القر ترعد

وله على لسان انسان أخلقت بردته

مولاى هذى بردتى أخلقت • وليس شئ دونها أملكه
وصرت من باس ومن فاقة • أبكى اذا أبصرتها تضحك

وله يستدعى أحد أبناء الرؤساء الى يوم اجتماع

تداركنا فانا فى سرور • وما بسواك يكتمل السرور
أهلة انسنا بك فى تمام • أليس تتم بالشمس البدور

وله وقد خطر على منزله من له اليه ميل وقال لولا أخاف التثقيل لدخلت وانصرف فلما علم أبو جعفر كتب اليه

مولاى لم تقصد تعذيب من • يهوى وما قصدك مجهول
طلبت تخفيفا يعد وفى • تخفيف من تهواه تثقيل
غيرك ان زار جفى ضجرة • ولج منه القال والقيل
وأنت ان زرت حياة وما • العيش اذا ما طال ممطول

وله وقد جلس الى جانبه رجل تكلم فأبان عن عاق قد رفع أله عن بلده فقال اشيلية ففكر ثم قال

ياسيدا لم أكن من قبل أعرفه • حتى تكلم مثل الروض بالعبق
وزادنى أن غدا فى حصن منشؤه • لقد تشاكل بين البدر والافق

قوله الغرب فى نسخة الغرباء اه

وله وقد حضر مجلسا مع اخوان له فى انبساط ومزاح فدخل عليهم أحد ظرفاء الغرب بوجه طلق وبشاشة فاهتز لما مع بينهم وجعل يصل ما يحتاج من مزاحهم الى صله بأحسن منزع وأنيل مقصد فأنشده أبو جعفر ارتجالا

ياسيدا قد ضمه مجلس • حل به للمزح اخوان
لم يلق من فجأته خجلة • ولا اشتباه عنه كتمان
كأنه من جمعنا واحد • لم يغب منا عنه انسان
ولم تكن تدريه لكن بدا • فى وجهه للظرف عنوان

وله وقد لقى أحد اخوانه وكان قد أطال الغيبة عنه فدار بينهما ما أوجب أن قال

ان لفت لم تلح سواك الاعين • أو غبت لم تذكر سواك الالسن
أنت الذى ما ان يمل حضوره • ومغيبه السلوان عنه يؤمن

وله وهو من آبائه

انى لاحمد طيفها وألومها * والفرق بينهما لدى كبير
هى ان بدت لى شيبة فى جفوة * والطيف فى حين المشيب يزور
واذا توالى صدها أو بينها * وافى على أن المزار عسير

وله وقد سار بعض الاراذل بماله فنكب فى سفره وعاد فقيرا بأسوأ أحواله

اغدو ولا يغنى عنك القيل والقال * فالجود مبتسم والفضل يختال
تقالوا فلان رماه الله فى سفر * رآه رأيا بما حالت به الحال
فآب منه سليبا مثل مولده * عليه ذل وتفجيع واقلال
فقلت لا خفف الرحمن عنه فلم * يكن لديه على القصاد اقبال
فقل له دام فى ذل ومسغبة * ولا أعيدت له فى المال آمال
قد كان حمقك حسن المال يستره * فاليوم أصبحت لا عقل ولا مال

وله وقد سافر أحد الرؤساء من أصحابه

أيا غائبا لم يغب ذكره * ولا حال عن ودنا حائل
لئن مال دهرى بى عنكم * فقلبى نحوكم مائل
فانى شاهدت منكم علا * من العجز قس بها باقل
لئن طال بى البعد عن لحظكم * فانى حياتى اذن طائل

وله وهو من حسناته

شفت جيوب فرحا عندما * آبت وفى البعد تشق القلوب
فقلت هذا موقف مايشق الجيب فيه غير صب طروب
فابتسمت زهوا وقالت كذا الافق لعود الشمس شق الجيوب

وله وقد أجمع رأيه على أن يفد على أمير المؤمنين عبد المؤمن فأخذ فى ذلك مع أصحاب له فجعلوا يثنونه عن ذلك وظهر عليهم الحسد له فقال

سر نحوما تختار لا تسمعن * ما قاله زيد ولا عمرو
كلهم يحسد مارمته * مهما يساعد رأيك الدهر
عجبت ممن رام صدر العلا * يروم أن يصفوله دهر

فقالوا له انهم متنافى الود فقال لو لم أتهمكم كنت أتهم عقلى والعياذ بالله تعالى من ذلك وكيف لا أتهمكم وقد غدوتم تثنونى عن زيارة خليفة لوالدى عنده مكان وله علينا احسان ولى شافع عنده متقرب لجلسه عقلى ولسانى ولكنى أنا المخطئ الذى عدلت عن العمل بقول القائل

ولم يستشر فى أمره غير نفسه * ولم يرض الا قائم النفس صاحبا

وله فى شعاع الشمس والقمر على النهر

ألا حبذا نهر اذا ما لحظته * أبى أن يرد اللحظ عن حسنه الانس
ترى القمر بن الدهر قد عن يابه * يفضضه بدر وتذهبه شمس

وله فى والده وقد شن عليه درعا

أيا قائد الابطال فى كل وجهة • تطير قلوب الاسد فيها من الذعر
لقد قلت لما أن رأيتك دارعا • أيا حسن ما لاح الحباب على البحر
وأنشدت والابطال حولك هالة • أيا حسن ما دار النجوم على البدر

وقوله وقد بلغه أن حاسدا شكره

متى سمعت ثناء • عمن غدا لك حاسد
فكان منك انخداع • به فرأيك فاسد
بصدره منك نار • لهيبها غير خامد
وغله لك مازد • ت فى السعادة زائد
وانما ذا لمنه • كالحب فى فخ صائد

وله

أبصره من يلوم فيه • فقال ذا فى الجمال فائق
أما ترى ما دهيت منه • كان عذولا فصار عاشق

وله فى أبيه وقد سجنه عبد المؤمن

مولاى ان يحبسك خير خليفة • فبذاك تخرك واعتلاء الشان
فالحفن يحبس نوره من غبطة • والمرهفات تصان فى الاجفان
فابشر فنزع الدر من أصدافه • يعليه للاسلاك والتيجان
ولئن غدا من ظل دونك مطلقا • ان القذى ملقى عن الاجفان
والعين تحبس دائما أجفانها • وهداية الانسان بالانسان
والطرس يختم ما حواه نفاسة • ويهان ما يبدو من العنوان
فاهنأ به لكن مليا مكثه • سجنا لغير مذلة وهوان
فلتعلون رغم الاعادى بعده • بذرى الخلافة فى ذرى كيوان

مولاى غيرك يعزى بما لم يزل يجرى على الكرام ويذكر تأنيسا له فى الوحشة بما يطرأ من الكسوف والخسوف على الشمس المنيرة والبدر التمام

وأنت تعلم الناس التعزى • وخوض الموت فى الحرب السجال

وقد كان مولاى أنشدنى لعلى بن الجهم قائلا ان أحدا لم يسل نفسه عما نالهمن السجن بمثله

قالوا سجنت فقلت ليس بضائرى • سجنى وأى مهند لا يغمد

الابيات ماذا نفيدك من العلم وصدرك ينبوعه وبحاطرك لا يزال غروبه وطلوعه وانما هى عادة تبعناها أدبا وقضينا بها فى النفس من الاعلام بالتوجع والتفجع أربا ولعل الله تعالى يتبع هذه التسلية بتهنئه ويعقب بالنعمة هذه المرزئه قال فامر الملك بتسريحه اثر ذلك فلما اجتمع وجهه بوجهه جعل يحمد الله تعالى جهرا ويغرد بهذه الابيات وكان سراحه بكرة

طلعت علينا كالغزالة بالضحى * وعزلك طماح ووجهك مشرق
فغفرا لذنب الدهر أجمع انه * أتى اليوم من حسناه ما هو أليق
فلح فى سماء العز بالسعد طالعا * وقدرك سام أفقه ليس يلحق
فقد سرحت لما غدوت مسرحا * قلوب وأفكار وسمع ومنطق

فاهتز أبوه من شدة الطرب وقال له والله انك لتملأ الدلو الى عقد الكرب * وله يعتذر وقد دعى الى مجلس أنس سيدى ساعدك سولك لما وصل الى أخيك المعتقبك رسولك قابله بما يجب من القبول وأبدى له من الشغل ما منع من الوصول

ومن ذا الذى يدعى لعدن فلا يرى * على الرأس اجلالا اليها يبادر

ولكن الاضطرار لا يكون معه اختيار وانى لأشوق الناس الى مشاهدة تلك المكارم وأحبهم فى محاضرة تلك الآداب المترادفة ترادف الغمائم ولكن شغلى عارض قاطع وبرغمى أنى لدعوتك عاص وله طائع وانى بعد ذلك لحامل على تلك السجية الكريمة فى الغفران مستجيرا بالخلاص الذى أعهد من خرق فلان ومكر فلان فانى متى غبت لا أعدم مترصدا قرحة يقع عليها ذبابه ومستجمعا اذا أبصر فرصة سل عليها ذبابه

ولكننى أدرى بانى نازح * ودان سواء عند من يحفظ العهدا

وانى لاقول وقد غبت عن تلك الحضرة العليه وجانبت ذلك الجناب السامى والمثابة السنيه

لئن غبت عن نوره نور ناظرى * فحسبى لديه أن أغيب عقابا
وسوف أوافيه مقرا بزلتى * وفى حلمه أن لا يطيل حسابا

وله فى قصر النهار ولو لم يكن له غيره لكفاه

لله يوم مسرة * أضوا وأقصر من ذباله
لما نصبنا للمنى * فيه بأوتار حباله
طار النهار به كمر * تاع وأجفلت الغزاله

وهذا المعنى لم يسبق اليه ولم يقدر أحد أن ينزعه من يديه * ولما وصل صحبة والده الى اشبيلية افتتن بوادبها واعتكف على الخلاعة فيها مصعدا ومنحدرا بين بساتينه ومنازهه فنزل يوما بطريانة فمال نحو منزه فيه طرب سمعه فاستوقفه هنالك وهو فى الزورق متكئ وأصحابه وأصحاب ابيه مظهرون انحطاطهم عنه فى المرتبة فأخرج رأسه أحد الانذال المعتادين بالنادر من شرجب والشرجب هو الدرابزين من خشب فيه طاقات وطريانة مقابلة اشبيلية وبها المنازه والابنية الحسنة فضرط له ذلك النذل بغاية ما قدر فرفع رأسه وقد أخذ منه السكر ولم يعتد مثل ذلك فى بلده وقال يا سفلة أتقدم على بهذا قبل معرفتى فنفى عليه واحدة أخرى ثم رفع ثوبه عن ذكره وهو منعظ وقال يا وزير اجعل هذا عندك وديعة حتى أعرف من تكون ثم رفع ما على استه من ثيابه وقال واعمل من هذا غلافا للحيتك فاذا عرفنا لك ذهبنا لك فغلبه الضحك على الخرج وجعل أصحابه يقولون له ما سمعت أن من دخل هذا الوادى يعول على هذا وأمثاله فمال عن ذلك المنزه قليلا وأطرق ساعة وقال

نهر حص لا عدمنا * لك مثلك نهر
فسلك يلتذ ارتياح * أبد الدهر وسكر
كل عمر قد خلا منك فذاك العمر
خصه الله بمعنى * فيه للالباب سر
يلعن الانسان فيه * وهو يصفى ويسر

ثم سأل بعد ذلك عن رب المنزل فسمى له وأعلم أن ابن سيد الشاعر المشهور باللص كان حاضرا وانه أملى على السفلة ما قال وصنع فكتب له أبو جعفر

يا سيدى وان أفاد اشتراك * غير ما يرتضيه فضل وود
أكذا يزدرى الخليل بأفق * أنت فيه ولم يكن منك ردّ
لا أرى من سلطت وغدا ولكن * ليس يخفى عليك من هو وغد

فلما وقف على هذه الابيات كتب له مولاى وسيدى وأجلّ ذخرى للزمان وعضدى الذى أفخر بمشاركة اسمه وتتيه هذه الصناعة بذكره ورسمه

وخير الشعر أشرفه رجالا * وشر الشعر ما قال العبيد

سلام كتسنيم على ذلك المقام الكريم ورحمة الله تعالى وبركاته وان كان مولاى لم يضاحكنى بالسلام ولا رآنى أهلا لمقاومة الكرام لكن حط قدرى عنده ما نسب لى من الذنب المختلق ولا والله ما نطقت بلسان ولا كنت ممن رمق بل الذى زور لسيدى فى هذه الوشاية كان المعين عليها والملقى اليها فبادر اليكم قبل أن أسبقه فاتسم باسقط خطتين النذالة الاولى والوشاية الاخرى ولولا أن المجالس بالامانات وأن الخلاعة بساط يطوى على ما كان فيه لكنت أسبق منه لكنى يأبى ذلك خلقى وما تادبت به ومع ذلك فانى أقول

فان كنت ذا ذنب فقد جئت تائبا * ومثلك غفار ومثلك قابل

ولولا ما أخشى من التثقيل وما أتوقع من الخجل اذا التقى الوجهان لاتيت حتى بلغت فى الاعتذار بالمشافهة ما لا يسع القرطاس لكننى متكل على حلم سيدى واغضائه متوسل فى الغفران اليه بعلائه وكتب تحت ذلك شعرا طويلا منه

ولا غرو أن تعفو وأنت ابن من غدا * تعوّد عفوا عن كبار الجرائم
لكم آل عمار بيوت رفيعة * تشيد من كسب الثنا بدعائم
اذا نحن أذنبنا رجونا توابكم * ولم نقتنع بالعفو دون المكارم
وانك فرع من اصول كريمة * ولا تلد الازهار غير الكمائم
وانى مظلوم لزور سعته * وقد جئت أرجو العفو فى زى ظالم

فأجابه أبو جعفر عنه سيدى الذى أكبر قدره وأجلّ ذكره وأجزل شكره وصل جوابك الذى لو كان لك من الذنب ما تحمله ابن ملجم لاضربت لك عنه صفحا ونسيت بما تأخر ما تقدم ومعاذ الله أن أنسب لفضلك عيبا فأذم لك حضورا أو غيبا * وانما قصدت بالمعاتبة ما تحتها من المطارحة والمداعبة على أن سيدى لو تيقنت أنه ظالم

فأنشدت

منذ غدا طرفك لي ظالما ٭ آليت لا أدعو على ظالم

لكنني أتيقن خلاف ذلك وأعلم حتى كأني حاضر ما كان هنالك وقد أطلت عليك وبعد هذا فلتعتمد على أن تصل الي أو أصل اليك فهذا يوم كما قال البستي

يوم له فضل على الايام ٭ مزج السحاب ضياءه بظلام
فالبرق يخفق مثل قلب هائم ٭ والغيم يبكي مثل جفن هام
فاختر لنفسك أربعا هن المنى ٭ وبهن تصف ولذة الايام
وجه الحبيب ومنزلا مستشرفا ٭ ومغنيا غردا وكاس مدام

وقد حضرت عند محبك الثلاثة فكن رابعها ونادت بك هم الامانى فكن بفضلك سامعها ومركز أفلاك هذه المسرة حين كتب هذه الرقعة الى مجدك منزه مطل على جزيرة ـ تبوس لا أزال أترنم فيه بقول ابن وكيع

قم فاسقنى والخليج مضطرب ٭ والريح تثنى ذوائب القضب
كأنها والرياح تعطفها ٭ صف قنا سندسية العذب
والجو فى لة ممسكة ٭ قد طرزتها البروق بالذهب

فان كان سيدى فى مثل هذا المكان جرينا اليه جرى الحلبة نحصل الرهان وان كان فى كسر بيته فليبادر الى محل تقصر عنه همة قيصر وكسرى وان أبطأ فان الرقاع بالاستدعاء لا تزال عليه تترى وان كان لا يجدى هذا الكلام فما نقنع من العقوبة المؤلمة بالملام وعلى الموتة المرعية الدعية أكمل ما يكون من السلام فعند ما قرأ الرقعة ركب اليه زورقا وصنع هذه الابيات فى طريقه فعند وصوله أنشده اياها

ركبت اليك النهر يا بحر فالقنا ٭ بما يتلقى جوده كل قادم
بفيض ولكن من مدام وهزة ٭ ولكن الى بذل الندى والمكارم
وكأنفسى قبل كونك حاتما ٭ ومذ حلت فينا لم نعد ذكر حاتم
يا كل سعيد يفخر السعد والعلا ٭ فأيديهم تلغى أيادى الغمائم

فامتلأ أبو جعفر سرورا وخلع عليه ما كان عنده هنالك ووعده بغير ذلك فأطرق ليلتظم شيأ فى شكره فأقسم عليه أن لا يشغل خاطره فى ذلك الوقت عن الارتياح وحث أكؤس الراح فاقبلوا على شأنهم وكان ابن سيد فى ذلك الحين متترا بشرب الراح وكان عند أبى جعفر خديم كثير النادر والالتفات يخاف أهل التستر من مثله فقال ابن سيد هات دواة وقرطاسا فاعطاه ذلك فكتب

يا سيدى قد علمت انى ٭ بهذه الحال لا أظاهر
أخشى اناسا لهم عيون ٭ نواظر منى المعاير
احذرهم طاقتى وانى ٭ وثقت بالله فهو غافر
ولا تقس حالتى بحال ٭ منك اعتذارا فالفرق ظاهر
فأنت ان كنت ذا جهار ٭ غير مبال فالجاه ساتر

٭ قوله ولا تقس الخ هكذا فى الاصل ولا يخفى ما فى الشطر الثانى معنى ووزنا ويمكن أن يقال بدله ولا تقسنى عليك فى ذا فالفرق عند الانام ظاهر وكذلك وزن الشطر الثانى من البيت بعده ويمكن تغييره بأن يقال فالجاه فى مثل ذا الساتر اللهم الا أن يقال ان هذه القصيدة ليست من مخلع البسيط بل من بحر ولا وزنه مستفعلاتن اربع مرات فتدبر اه مصححه ٭

لا تخش من قول ذى اعتراض • ولا حسود عليك قادر
وانى قد رأيت ممن • يكثر القول وهو ساخر
ما قد أراب العفيف منه • ضحك وظن به يجاهر
أخشى اذا قيل كيف كنتم • قال بحال تسر ناظر
والرقص ما بيننا صريعا • بكل كاس عليه دائر
مطرحا للصلاة يصغى • لصوت الدف والمزامر
فأغتدى سيدى مشارا • الى مهما مررت خاطر
وان أتيت المملوك أبغى • نوالهم قيل أى شاعر
يذكر فى شعره خلافا • وهو لزور المحال ذاكر
بالامس قد كان ذا انتهاك • فماله بعد ذاك عاذر
ان كان هذا فان حظى • وافى لربح فأب خاسر

فقال له ابو جعفر يا أبا العباس اشرب هنيئا غير مقدر ما قدرت فلو كان هذا المضحك على الصفة التى ذكرت كان الذنب منسوبا الى فى كونى أحضر فى مجلسى من يهتك ستر المستورين ومهما تره هنا بهذه الخفة والطيش والتسرع للكلام فانه اذا فارقنا أثقل من جبل وأصمت من سمكة متزى بزى خطيب فى نهاية من السكون والوقار (وتحت الثياب العار لو كان باديا) فكن فى امن ما شربت معى فانى والله لا أسمع أحدا من أصحابنا تكلم فى شأنك بأمر الا عاقبته أشد العقاب والذنب فى ذلك راجع الى فسكن ابن سيد وجعل يحث الاقداح ويمرح أشد المراح على ما كان يظهره من الانقباض تقية لما يخشاه من الاعتراض الى أن قاربت الشمس الغروب ومدلها فى النهر معصم مخضوب فقال أبو جعفر

انظر الى الشمس قد ألـ • ـصقت على الارض خدا

فقال ابن سيد

هى المراة لكن • من بعدها الافق يصدا

فقال أبو جعفر

مدت طرازا على النهـ • ـر عند مالاح بردا

فقال ابن سيد

أهدت لطرفك منه • ما للاكارم يهدى

فقال أبو جعفر

درع اللجين عليه • سيف من التبر مدا

فقال ابن سيد

فاشرب عليه هنيئا • وزد سرورا وسعدا

ثم لما أظلم الليل تطرحوا الى منارة سنتبوس قد عكست مصابيحها فى النهر والى النجوم قد طلعت فيه فقال ابن سيد

اخلع على النهر ثوب الشكر فذلك واجب

فقال أبو جعفر

وانظر الى السرج فيه • كالزهر ذات الذوائب

وحين صفق للأفق نقطته الكواكب

فقبل ابن سيد رأسه وقال ماتركت بعد هذا مقالا لقائل ثم جعلوا يشربون فقال أبو جعفر

سقني والافق برد • بنجوم الليل معلم

فقال ابن سيد

وبساط النهر منها • وهو فضي مدرهم

فقال أبو جعفر

ورواق الليل مرخى • والشذا بالروض قدتم

فقال ابن سيد

والندى في الزهر منثو • ر على عقد منظم

فقال أبو جعفر

والصبا جرت على مي • ت الطلى كف ابن مريم

فقال ابن سيد

كان مبهوتا فلما • نفخت فيه تكلم

فقال أبو جعفر

وكأن الكاس والنهـ • ـوة دينار ودرهم

فقال ابن سيد

وبدا الدف يناغي العـ • ـود والمزمار هيم

فقال أبو جعفر

فاذاع الانس منا • كل ماكان مكتم

فقال ابن سيد

أي عيش يهتك المسـ • ـتور لو كان ابن أدهم

فقال أبو جعفر

هكذا العيش ودعني • من زمان قد تقدم

فقال ابن سيد

حين لاخمر سوى ما • يكؤس البيض من دم

فقال أبو جعفر والله ماتعديت ماجال الساعة في خاطري فاني ذكرت أيام الفتنة وما كابدنا فيها من المحن وانا لم نزل في مصادمة ومقارعة ثم رأيت مانحن الآن فيه بهذه الدولة السعيدة التي أمنت وسكنت فشكرت الله تعالى ودعوت بدوامها ثم لما طلع الفجر قال أبو جعفر

نثر الطل عقوده • ونضا الليل برده

فقال ابن سيد

وبدا الصبح بوجه • مطلع فينا سعوده

فقال أبو جعفر

وغدا ينشر لما • فتر الليل بنوده

فقال ابن سيد

فهلم اشرب وقبل • من غدا ينطق عوده

فقال أبو جعفر

ثم صافحه على رغم النوى وافرك نهوده

فقال ابن سيد

واجعل الشكر على ما • نلته منه جحوده

فقال ابو جعفر يا أبا العباس انك أغرت على التهامي في هذا البيت في قوله

وشكر أيادي الغانيات جحودها قال فلم لقبت باللص لولا هذا وأمثاله ما كان ذلك واللص المذكور اسمه أحمد بن سيد يكنى أبا العباس وهو من مشهوري شعراء الاندلس ولما أنشد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بجبل الفتح قوله

غمض عن الشمس واستقصر مدى زحل • وانظر الى الجبل الراسي على جبل

قال له أنت شاعر هذه الجزيرة لولا أنك بدأت بغمض وزحل والجبل ومن بديع نظم اللص قوله

سلبت قلبي بلحظ • أيا الحسين خلوب

فلم أسمه بلص • وأنت لص القلوب

ولما اجتمع أبو جعفر بن سعيد المترجم به باللص أبي العباس المذكور في جبل الفتح عند ما وفد فضلاء الاندلس على عبد المؤمن واستنشده فجعل ينشده ما استجفاه به نظر وجه عن حلاوة منزع أبي جعفر الى أن أنشده قوله

وما أفنى السؤال لكم نوالا • ولكن جودكم أفنى السؤالا

فقال له أبو جعفر لا جعلك الله في حل من نفسك يكون في شعرك مثل هذا وتنشدني ما كان يحملني على أن أسأت معك الادب والله لو لم يكن لك غير هذا البيت لكنت به أشعر أهل الاندلس * وكتب لابي جعفر أبو الحكم بن هرون في يوم بارد بغرناطة

يا سعي في عل مجدك ما يحـ ـتاج فيه هذا النهار المطير

ندف الثلج فيه قطنا علينا • ففررنا بعدلكم نستجير

والذي أبتغيه في اللحظ منه • ورضاب الذي هو بيت نظير

يوم قر يود من حل فيه • لو تبدى لمقلتيه سعير

فوجه بما طلب وجاوبه بما كتب

أيها السيد الاجل الوزير • الذي قدره معلى خطير

قد بعثنا بما أشرت اليه • دمت للانس والسرور نشير

قوله هرون في نسخة هرورس اه

كان لغزا فككته دون فكر • ان فهمى بما تريد خبير

ومن نظم أبى الحكم

اذا ضاقت عليك فول عنها • وسر فى الارض واختبر العبادا
ولا تمسك رحالك فى بلاد • غدوت بأهلها خبرا معادا

ولما مدح أبو القاسم أخيل بن ادريس الرندى عبد المؤمن فى جبل الفتح بقصيدة أولها

ما الفخر الا لأهل عبد المؤمن • أثنى عليه كل عبد مؤمن

قال أبو جعفر بن سعيد دعاه التجنيس الى الضعف والخروج عن المقصود والاولى أن لو قال شاد الخلافة وهو أول مبتنى ومن هذه القصيدة

أما ابن سعد فهو أول مارق • ياليته بأبيه سعد يكتنى
ما قدر مرسية وحكمك نافذ • ان شئت من عدن لارض المعدن

فلما أكملها قال له عبد المؤمن أجدت فقال ارتجالا

من لى أمير المؤمنين بموقنى • هذا وقولك لى أجدت ولم تنى
فلقد مدحتك خائفا أن لا ينى • لسنى بما يعيى جميع الالسن

ولابن ادريس المذكور

أيها البدر هل علمت بأنى • لم أبت راعيا محياك وذا
انا لو بت من حكيت بجنبى • لم يكن عنه ناظرى يتعدى

وله

شتان ما بينى و بينك فى الهوى • أنا أبتغيك وأنت عنى تصدف
واذا عتبتك وارعويت يبين لى • فى الحين منك بأن ذا التكلف
ياليت شعرى كيف يقضى وصلنا • والعمر يفنى والمواعد تخلف

وقيل له لما هجره عبد المؤمن اكتب له واعتذر وبرهن عن نفسك فقال ما يكون أمير المؤمنين هجرنى الا وقد صح عنده ولا أنسبه فى أمرى لقلة التثبت والجور وانما أرغب فى عفوه ورحمته فكان هذا الكلام ألان عليه قلب عبد المؤمن لما بلغه وكان قد نقل عنه حساده انه قال كيف تصح له الخلافة وليس بقرشى • ولا بأس أن نزيد من أخبار اللص الذى جرى ذكرنا له مع أبى جعفر بن سعيد فنقول هو النصوى المبرزى الشعر أبو العباس أحمد ابن سيد الاشبيلى ذكره ابن دحية فى المطرب وأخبر انه شيخه وختم كتاب سيبويه مرتين على النصوى أبى القاسم بن الرماك واجتمع به أبو جعفر بن سعيد بجبل الفتح كما سبق ولقب اللص لاغارته على أشعار الناس وله

شاموا الردى فأشموا الترب أنفهم • ولم يبالوا بما فيها من الشمم

ثم جعل يقول قطع الله لسانى ان كان اليوم على وجه الارض من يعرف بسمعه فضلا عن أن يقوله وله القصيدة الشهيرة

ذاك الغيث ان محل توالى • وأنت الليث ان شاؤا القتالا
سلبت الليث شدة ساعديه • نعم وسلبت عينيه الغزالا

وما أفنى السؤال لكم نوالا * ولكن جودكم أفنى السؤالا

وقد تقدم هذا البيت فى حكايته مع ابن سعيد * وقال فى حلقة خياط وهو من محاسنه

كأنها بيضة وخز الرماح بها * بادو قونسها بالسيف قد قطعا

وقال

فالليل ان واصلت كالليل ان هجرت * أشكو من الطول ما أشكو من القصر

*(رجع الى أخبار ابى جعفر بن سعيد * قال فى الازهار المنثوره فى الاخبار المأثوره ما نصه لما قبض على الوزير أبى جعفر بن عبد الملك بن سعيد العنسى وثقف بمالقة دخل اليه ابن عمه ووصل الى الاجتماع به ريثما استؤذن السيد أبو سعيد ابن الخليفة عبد المؤمن فى أمره قال فدمعت عيناى حين رأيته مكبولا فقال لى أعلى تبكى بعد ما بلغت من الدنيا أطايب لذاتها فأكلت صدور الدجاج وشربت فى الزجاج ولبست الديباج وتمتعت بالسرارى والازواج واستعملت من الشمع السراج الوهاج وركبت كل هملاج وها أنا فى يد الحجاج منتظر محنة الحلاج قادم على غافر لا يحتاج الى اعتذار ولا الى احتجاج قال فقلت أقلا يوقف على من ينطق بهذا الكلام ثم يفقد وقت عنه فكان آخر العهد به انتهى *(رجع الى أخبار النساء ومن أشهرهن بالاندلس ولادة بنت المستكفى بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر لدين الله وكانت واحدة زمانها المشار اليها فى أوانها حسنة المحاضره مشكورة المذاكره كتبت بالذهب على الطراز الايمن

أنا والله أصلح للمعالى * وأمشى مشيتى وأتيه تيها

وكتبت على الطراز الايسر

وأمكن عاشقى من صحن خدى * وأعطى قبلتى من يشتهيها

وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف وفيها خلع ابن زيدون عذاره وقال فيها القصائد الطنانة والمقطعات وكانت لها جاريه سوداء بديعة المعنى فظهر لولادة أن ابن زيدون مال اليها فكتبت اليه

لو كنت تنصف فى الهوى ما بيننا * لم تهو جاريتى ولم تتخير

وتركت غصنا مثمرا بجماله * وجنحت للغصن الذى لم يثمر

ولقد علمت بأننى بدر السما * لكن ولعت لشقوتى بالمشترى

ولقبت ابن زيدون بالمسدس وفيه تقول

ولقبت المسدس وهو نعت * تفارقك الحياة ولا يفارق

فلو طسى ومأبون وزان * وديوث وقرنان وسارق

وقالت فيه

ان ابن زيدون على فضله * يعشق قضبان السراويل

لو أبصر الايرعلى نخله * صار من الطير الابابيل

وقالت فيه أيضا

ان ابن زيدون على فضله * يغتابني ظلما ولا ذنب لي
يلحظني شزرا اذا جئته * كأنني جئت لاخصي علي

وقالت ولادة تهجو الاصبحي

ياأصبحي اهنأ فكم نعمة * جاءتك من ذي العرش رب المنن
قد نلت باست ابنك مالم ينل * بفرج بوران أبوها الحسن

وكتبت اليه لما أولع بها بعد طول تمنع

ترقب اذا جن الظلام زيارتي * فاني رأيت الليل أكتم للسر
وبي منك مالو كان بالشمس لم تلح * وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

ووفت بما وعدت ولما أرادت الانصراف ودعته بهذه الابيات

ودع الصبر محب ودعك * ذائع من سره ما استودعك
يقرع السن على أن لم يكن * زاد في تلك الخطا اذ شيعك
ياأخا البدر سناء وسنا * حفظ الله زمانا أطلعك
ان يطل بعدك ليلي فلكم * بت أشكو قصر الليل معك

وكتبت اليه

آلاهل لنا من بعد هذا التفرق * سبيل فيشكو كل صب بمالقي
وقد كنت أوقات التزور في الشتا * أبيت على جمر من الشوق محرق
فكيف وقد أمسيت في حال قطعه * لقد عجل المقدور ما كنت أتقي
تمر الليالي لا أرى البين ينقضي * ولا الصبر من رق التشوق معتقي
سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا * بكل سكوب هاطل الوبل مغدق

فأجابها بقوله

سقى الله يوما لست فيه بملتقى * محالك من أجل النوى والتفرق
وكيف يطيب العيش دون مسرة * وأي سرور للكئيب المؤرق

وكتبت في أثناء الكلام بعد الشعر وكنت ربما حنثتني على أن أنبهك على ما أجد فيه عليك نقدا واني انتقدت عليك قولك سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا فان ذا الرمة قد انتقد عليه قوله مع تقديم الدعاء بالسلامة

ألا يا اسلمي يادار مي على البلا * ولازال منهلا بجرعائك القطر

اذ هو أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له وأما المستحسن فقول الآخر

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمي

انتهى

وبها خاطب ابن عبدوس بالرسالة المشهورة التي شرحها غير واحد من أدباء المشارقة كالجمال بن نباتة والصفدي وغيرهما وفيها من التلميحات والتنديرات مالا مزيد عليه وقد ذكر ولادة ابن بشكوال في الصلة فقال كانت أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر وكانت تناضل الشعراء وتساجل الادباء وتفوق البرعاء وعمرت عمرا طويلا ولم تتزوج قط وماتت لليلتين خلتا من صفر سنة ثمانين وقيل أربع وثمانين وأربعمائة رحمها الله تعالى

وكان

• وكان أبوها المستكفي بايعه أهل قرطبة لما خلعوا المستظهر كما ألمعنا به في غير هذا الموضع وكان خاملا ساقطا وخرجت هي في نهاية من الادب والظرف حضور شاهد وحرارة أوابد وحسن منظر ومخبر وحلاوة مورد ومصدر وكان مجلسها بقرطبة منتدى لاحرار المصر وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر يعشو أهل الادب الى ضوء غرتها ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها وعلى سهولة حجابها وكثرة منتابها تخلط ذلك بعلو نصاب وكرم أنساب وطهارة أثواب على انها أوجدت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها ولما مرت بالوزير أبي عامر بن عبدوس وأمام داره بركة تتولد عن كثرة الامطار وربما استقذت بشيء مما هنالك من الاقذار وقد نشر أبو عامر كميه وتطرف عطفيه وحشر أعوانه اليه فقال له

أنت الخصيب وهذه مصر • فتدفقا فكلاكما بحر

فتركته لا يحير حرفا ولا يرد طرفا • وقال في المغرب بعد ذكره أنها بالغرب كعلية بالشرق الا أن هذه تزيد بعزية الحسن الفائق وأما الادب والشعر والنادر وخفة الروح فلم تكن تقصر عنها وكان لها صنعة في الغناء وكان لها مجلس يغشاه أدباء قرطبة وظرفاؤها فيمر فيه من النادر وانشاد الشعر كثير لما اقتضاه عصرها من مثل ذلك وفيها يقول ابن زيدون

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا • شوقا اليكم ولا جفت مآقينا

وقال أيضا يخاطب ابن عبدوس لاشتراكه معه في هواها

اثرت هزبر الثرى اذ ربض • ونبهته اذ هدا فاغتمض
ومازلت تبسط مسترسلا • اليه يد البغي لما انقبض
حذار حذار فان الكريم • اذا سيم خسفا أبى فامتعض
وان سكون الشجاع النهو • ض ليس بمانعه أن يعض
عدت لشعري ولم تنتد • تعارض جوهره بالعرض
أضاقت أساليب هذا القريـ • ـض أم قد عفا رسمه فانقرض
لعمري فوقت سهم النضال • وأرسلته لو أصبت الغرض

ومنها

وغرك من عهد ولادة • سراب ترامى وبرق ومض
هي المايعز على قابض • ويمنع زبدته من مخض

• (ومن أخبار ولادة مع ابن زيدون ما قاله الفتح في القلائد ان ابن زيدون كان يكاتب ولادة ويهيم ويستضيء بنور محياها في الليل البهيم وكانت من الادب والظرف وتتميم السمع والطرف بحيث تختلس القلوب والالباب وتعيد الشيب الى أخلاق الشباب فلما حل بذلك الغرب وانحل عقدة صبره بيد الكرب فر الى الزهراء ليتوارى في نواحيها ويتسلى برؤية مواقيها فوافاها والربيع قد خلع عليها برده ونشر سوسنه وورده وأترع جداولها وأطلق بلابلها فارتاح ارتياح حميد بوادي القرى وراح بين روض يانع وريح طيبة السرى فتشوق الى لقاء ولادة وحن وخاف تلك النوائب والمحن فكتب

قوله فلما حل بذلك الغرب هكذا في الاصل وفيه سقط كما يظهر مما بعده فلعل الاصل فلما حل الكرب أو البلاء أو نحو ذلك تأمل اه مصححه

اليها يصف فرط قلقه وضيق أمده اليها وطلقه ويعلمها انه ماسلا عنها بخمر ولا خبا ما في ضلوعه من ملتهب الجمر ويعاتبها على اخفال تعهده ويصف حسن محضره بها ومشهده

انى ذكرتك بالزهراء مشتاقا * والافق طلق ووجه الارض قد راقا
وللنسيم اعتلال فى أصائله * كأنما رق لى فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضى مبتسم * كما حلت عن اللبات أطواقا
يوم كايام لذات لنا انصرمت * بتنا لها حين نام الدهر سراقا
نلهو بما يستميل العين من زهر * جال الندى فيه حتى مال أعناقا
كأن أعينه اذ عاينت أرقى * بكت لما بى فجال الدمع رقراقا
وردة تألق فى ضاحى منابته * فازداد منه الضحى فى العين اشراقا
سرت يناغمه نيلوفر عبق * وسنان نبه منه الصبح أحداقا
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا * اليك لم يعدها الصدران ضاقا
لو كان وفى المنى فى جمعنا بكم * لكان من أكرم الايام أخلاقا
لاسكن الله قلبا عن ذكركم * فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملى نسيم الريح حين هفا * وافاكم بفتى أضناه مالاقى
ياعلق الاخطر الاسنى الحبيب الى * نفسى اذا ما اقتنى الاحباب أعلاقا
كان التجازى بمحض الود مذ زمن * ميدان أنس جرينا فيه أطلاقا
فالآن أحدما كنا لعهدكم * سلوتم وبقينا نحن عشاقا انتهى

وقال أيضا ان ابن زيدون لم يزل يروم دنو ولادة فيعتذر ويباح دمه دونها ويهدر لسوء أثره فى ملا قرطبة ووليها وقبائح كان ينسبها اليه ويواليها أحقدت بنى جهور عليه وشدت أسنتهم اليه فلما يئس من لقياها وحجب عنه محياها كتب اليها يستديم عهدها ويؤكد ودها ويعتذر من فراقها بالخطب الذى غشيه والامتحان الذى خشيه ويعلمها انه ماسلا عنها بخمر ولا خبا ما فى ضلوعه من ملتهب الجمر وهى قصيدة ضربت فى الابداع بسهم وطلعت فى كل خاطر ووهم ونزعت منزعا قصر عنه حبيب وابن الجهم وأولها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضى علينا الاسى لولا تأسينا

وأخبار ولادة كثيرة وفيما ذكرناه كفاية * (ومن المشهورات بالاندلس اعتماد جارية المعتمد ابن عباد وأم أولاده وتشتهر بالرميكية وفى المسهب والمغرب انه ركب المعتمد فى النهر ومعه ابن عمار وزيره وقد زرّدت الريح النهر فقال ابن عباد لابن عمار أجز (صنع الريح من الماء زرد) فأطال ابن عمار الفكرة فقالت امرأة من الغسالات (أى درع اقتال لو جمد) فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به مع عجز ابن عمار ونظر اليها فاذا هى صورة حسنة فأعجبته فسألها أذات زوج هى فقالت لا فتزوجها وولدت له أولاده الملوك النجباء رحمهم

الله تعالى وحكى البعض منهم صاحب الهداية بسنده الى السلفى بسنده الى بعض أدباء الاندلس وسماه ولم يحضرنى الآن انه هو الذى قال للمعتمد (أى درع لقتال لو جد) قال فاستحسنه المعتمد وكنت رابعا فى الانشاد فجعلنى ثانيا وأجازنى بجائزة سنية قال ابن ظافر وقد أخذت هذا المعنى فقلت أصف روضا

فلو دام ذاك النبت كان زبرجدا * ولو جدت أنهاره كان بلورا

ولما قال ابن ظافر قد أذكت الشمس على المالها

قال القاضى الاعز فكسا الفضة منه ذهبا

*(رجع) ولما خلع المعتمد وسجن باغمات قالت له ياسيدى لقد هنا هنا فقال

قالت لقد هنا هنا * مولاى أين جاهنا * قلت لها الهنا * صيرنا الى هنا

* وحكى انها قالت له وقد مرض ياسيدى ما لنا قدرة على مرضاتك فى مرضاتك ولما قال الوزير ابن عمار قصيدته اللامية الشهيرة فى المعتمد والرميكية أغرت المعتمد به حتى قتله وضربه بالطبرزين ففلق رأسه وترك الطبرزين فى رأسه فقالت الرميكية قديقى ابن عمار هدهدا والقصيدة أولها

ألا حى بالغرب حيا حلالا * اناخوا جمالا وحازوا جمالا

وعرج بيومين أم القرى * ونم فعسى أن تراها خيالا

ويومين قرية باشبيلية كانت منها أولية بنى عباد وفى هذه القصيدة يقول معرضا بالرميكية

تخيرتها من بنات الهجان * رميكية ماتساوى عقالا

فجاءت بكل قصير العذار * لئيم النجارين عاوخالا

قصار القدود ولكنهم * أقاموا عليها قروناطوالا

أتذكر أيامنا بالصبا * وأنت اذا الحت كنت الهلالا

أعانق منك القضيب الرطيب * وأرشف من فيك ماء زلالا

وأقنع منك بدون الحرام * فتقسم جهدك أن لا حلالا

سأهتك عرضك شيأ فشيأ * وأكشف سترك حالا فحالا

ومنها

فيا عامر الخيل يازيدها * منعت القرى وأبحت العيالا

وسبب قول ابن عمار هذه القصيدة أن المعتمد تدرب وذيل على قصيدته الرائية المذكورة فى القلائد بعد قوله

كيف التفلت بالخديعة من يدى * رجل الحقيقة من بنى عمار

وضرب فى أبيات مشهورة قال الفتح فى حق المعتمد بعد كلام ومازالت عقارب تلك الداخلة تدب وريحها العاصفة تهب ونارها تقد وضلوعها تحنو وتعقد وتضمر الغدر وتعتقد حتى دخل البلد من واديه وبدت من المكروه بوادیه وكر عليه الدهر بعوائده وعواديه وهو مستمسك بعرى لذاته منغمس فيها بذاته ملقى بين جواريه مغتر بعوائد ملكه وعواريه التى استرجعت منه فى يومه ونبهه فواتها من نومه ولما انتشر

الداخلون فى البلد وأوهنوا القوى والجلد خرج والموت يتعرفى ألحاظه ويتصور من ألفاظه وحسامه بعد بمضائه ويتوقد عند انتضائه فلقيهم رجبة القصر وقد ضاق بهم فضاؤها وتضعضعت من رجتهم أعضاؤها فحمل فيهم حملة صيرتهم فرقا وملأتهم فرقا ومازال يوالى عليهم الكرّ المعاد حتى أوردهم النهر وما بهم جواد وأودعهم حشاه كانهم له فؤاد ثم انصرف وقد أيقن بانتهاء حاله وذهاب ملكه وارتحاله وعاد الى قصره واستمسك فيه يومه وليلته مانعا لحوزته دافعا للذل عن عزته وقد عزم على أقطع أمر وقال بيدى لا بيد عمرو ثم صرفه تقاه عما كان نواه فنزل من القصر بالقصر الى قبضة الاسر فقيد للحين وحان له يوم شرّ ماظن أنه يحين ولما قيدت قدماه وذهبت عنه رقة الكبل ورحماه قال يخاطبه

الملك فلو كانت فنونك أسعرت ٭ تضرّم منها كل كف ومعصم
مخافة من كان الرجال بسيفه ٭ ومن سيفه فى جنة أو جهنم

ولما آلمه عضه ولازمه كسره ورضه وأوهاه ثقله وأعياه نقله قال

تبدّلت من ظلّ عزّ البنود ٭ بذل الحديد وثقل القيود
وكان حديدى سنانا ذليقا ٭ وعضبا رقيقا صقيل الحديد
فقد صار ذاك وذا أدهما ٭ يعض بساقى عض الاسود

ثم جمع هو وأهله وحملتهم الجوارى المنشآت وضمتهم جوانحها كانهم أموات بعد ماضاق عنهم القصر وراق منهم العصر والناس قد حشروا بضفتى الوادى وبكوا بدموع كالغوادى فساروا والنوح يحدوهم والبرح باللوعة لا يعدوهم وفى ذلك يقول ابن اللبانة

تبكى السماء بمزن رائح غاد ٭ على البهاليل من أبناء عباد
على الجبال التى هدّت قواعدها ٭ وكانت الارض منهم ذات أوتاد
عريسة دخلتها النائبات على ٭ أساود لهم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تخدمها ٭ فاليوم لا عاكف فيها ولا باد
ياضيف أقفر بيت المكرمات فخذ ٭ فى ضمّ رحلك واجمع فضلة الزاد
ويا مؤمّل واديهم ليسكنه ٭ جف القطين وجف الزرع بالوادى
وأنت يافارس الخيل التى جعلت ٭ تختال فى عدد منهم وأعداد
ألق السلاح وخلّ المشرفىّ فقد ٭ أصبحت فى لهوات الضيغم العادى
لما دنا الوقت لم تخلف له عدة ٭ وكل شئ بميقات وميعاد
ان يخلعوا فبنو العباس قد خلعوا ٭ وقد خلت قبل حمص أرض بغداد
حوادر يهم حتى اذا غلبوا ٭ سيقوا على نسق فى حبل مقتاد
وأنزلوا عن متون الشهب واحتملوا ٭ فويق دهم لتلك الخيل أنداد
وعيث فى كل طوق من دروعهم ٭ فصيغ منهنّ أغلال لاجياد
نسبت الاغداة النهر كونهم ٭ فى المنشآت كاموات بألحاد

والناس

والناس قد ملؤا البرين واعتبروا • من لؤلؤ طافيات فوق أزباد
حط القناع فلم تستر مخدرة • ومزقت أوجه تمزيق أبراد
حان الوداع ففجعت كل صارخة • وصارخ من مقدات ومن فاد
سارت سفائنهم والنوح يصحبها • كأنها ابل يحدو بها الحادى
كم سال فى الماء من دمع وكم حملت • تلك القطائع من قطعات أكباد

انتهى ما قصدت جلبه من كلام الفتح رحمه الله تعالى وسامحه * وقال ابن اللبانة فى كتاب نظم السلوك فى مواعظ الملوك فى أخبار الدولة العبادية ان طائفة من أصحاب المعتمد خامرت عليه فأعلم باعتقادها وكشف له عن مرادها وحض على هتك حرمها وأغرى بسفك دمها فابى ذلك مجده الاثيل ومذهبه الجميل وماخصه الله تعالى به من حسن اليقين وصحة الدين الى أن أمكنتهم الغرة فانتصروا وابتغاث مستنصر وقاموا بجمع غير مستبصر فبرز من قصره متلفعا بالامره عليه غلالة ترف على جسده وسيفه يتلظى فى يده

كان السيف راق وراع حتى • كان عليه شيمة منتضيه
كان الموت أودع فيه سرا • ايرفعه الى يوم كريه

فلقى على باب من أبواب المدينة فارسا مشهورا بنجدة فرماه الفارس برمح التوى على غلالته وعصمه الله تعالى منه وصب هو سيفه على عاتق الفارس فشقه الى اضلاعه فخر صريعا مريعا فرأيت القائمين عند ما تسنموا الاسوار تساقطوا منها وبعد ما أمسكوا الابواب تخلوا عنها وأخذوا على غير طريق وهوت بهم ريح الهيبة فى مكان سحيق فظننا أن البلد من أقذائه قد صفا وثوب العصمة علينا قد ضفا الى أن كان يوم الاحد الحادى والعشرون من رجب فعظم الخطب فى الامر الواقع واتسع الخرق فيه على الراقع ودخل البلد من جهة واديه وأصيب حاضره بعادية باديه بعد أن ظهر من دفاع المعتمد ويأسه وترامية على الموت بنفسه مالا مزيد عليه ولا انتهى خلق اليه فشنت الغارة فى البلد ولم يبق فيه على سبد لاحد ولا لبد وخرج الناس عن منازلهم يسترون عوراتهم بأناملهم وكشف وجوه المخدرات العذارى ورأيت الناس سكارى وما هم بسكارى ورحل بالمعتمد وآله بعد استئصال جميع ماله لم يصحب معه بلغة زاد ولا بغية مراد فأمضيت عزيمتى فى اتباعه فوصلت اليه باغمات عقب ثقاف استنقذه الله منه فذكرت به شعرا كان لى فى صديق اتفق له مثل ذلك فى الشهر بعينه من العام الماضى وهو الامير أبو عبد الله بن الصفار وهو

لم نقل فى الثقاف كان ثقافا • كنت قلبابه وكان شغافا
يمكث الزهر فى الكمام ولكن • بعد مكث الكمام يذوق نافا
واذا ما الهلال غاب لغيم • لم يكن ذلك المغيب انكسافا
انما أنت درة للمعالى • ركب الدهر فوقها أصدافا
حجب البيت منك شخصا كريما • مثل ما تحجب الدنان السلافا

أنت للفضل كعبة ولوانى * كنت أسطيع لاستطعت الطوافا

قال أبو بكر وجرت بيني وبينه مخاطبات ألذ من غفلات الرقيب وأشهى من رشفات الحبيب وأدل على السماح من بحر على صباح انتهى ثم قال ولما خلع المعتمد وذهب الى اغمات طلب من حواء بنت تاشفين خباء عارية فاعتذرت بأنه ليس عندها خباء فقال

هم أوقدوا بين جفنيك نارا * اطالوا بها فى حشاك استعارا
أما يخجل المجد أن زوروك * ولم يصحبوك خباء معارا
فقد قنعوا المجد ان كان ذاك * وحاشاهم منك خزيا وعارا
يقل لعينيك أن يجعلوا * سوادا العيون عليكم شعارا

ثم انه بقى ماسورا باغمات الى سنة ٤٨٢ فأخذ بمالقة رجل كبير يعرف بابن خلف فسجن مع أصحاب له فنقبوا السجن وذهبوا الى حصن منت ميور ليلا فأخرجوا قائدها ولم يضروه وبينما هم كذلك اذ طلع عليهم رجل فسألوه فاذا هو عبد الجبار بن المعتمد فولوه على أنفسهم وظن الناس انه الراضى فبقى فى الحصن ثم أقبل مركب من الغرب يعرف بمركب ابن الزرقاء فانكسر بمرسى الشجرة قريبا من الحصن فأخذوا بنوده وطبوله وما فيه من طعام وعدة فاتسعت بذلك حالتهم ثم وصلت أم عبد الجبار اليه ثم خاطبه أهل الجزيرة وأهل أركش فدخلها سنة ٤٨٨ ولما بلغ خبر عبد الجبار الى ابن تاشفين أمر بنقاف المعتمد فى الحديد وفى ذلك يقول

قيدى أما تعلمنى مسلما * أبيت أن تشفق أو ترحما
يبصرنى فيك أبو هاشم * فينثنى القلب وقد هشما

وبقى الى أن توفى رحمه الله سنة ٤٨٨ وقد ساق الفتح قضية ثورة عبد الجبار بن المعتمد بمبارنه البارعة فقال وأقام بالعدوة برهة لا يروع له سرب وان لم يكن آمنا ولا يثور له كرب وان كان فى ضلوعه كامنا الى أن ثار أحد بنيه بأركش معقل كان مجاورا الاشبيلية مجاورة الانامل للراح ظاهرا على بساطه وبساط لا يمكن معه عيش ولا يتمكن من منازلته جيش فغدا على أهلها بالمكاره وراح وضيق عليهم المتسع من جهاتها والبراح فسار نحوه الامير سير بن أبى بكر رحمة الله عليه قبل أن يرتد طرف استقامته اليه فوجده وشره قد تشمر وصرده قد تنمر وجمره متسعر وأمره متوعر فنزل عدوته وحل للعزم حبوته وتدارك داءه قبل اعضاله ونازله وما أعد آلات نضاله وانحشدت اليه الجيوش من كل قطر وأفرغ فى مسالكه كل قطر فبقى محصورا لا يشد اليه الا سهم ولا يتقذعنه الا نفس أووهم وامتسك شهورا حتى عرضه أحد الرماه بسهم فرماه فأصماه فهوى فى مطلعه وخر قتيلا فى موضعه فدفن الى جانب سريره وأمن عاقبة تغريره وبقى أهله ممتنعين مع طائفة من وزرائه حتى اشتد عليهم الحصر وارتد عنهم النصر وعمهم الجوع وأغب أجفانهم الهجوع فنزلت منهم طائفة منتهافته وولت بأنفاس خافته فتبعهم من بقى ورغب فى التنعم من شقى فوصلوا الى قبضة المسلمات وحصلوا فى غصة الممات فوسمهم الحيف وتقسمهم السيف ولما زأر الشبل خيفت سورة

الاسد ولم يرح صلاح الكل والبعض قد فسد فاعتقل المعتمد خلال تلك الحال وأثناءها وأحل ساحة الخطوب وفناءها وحين أركبوه أساودا وأورثوه حزنابات له معاودا قال

غنتك اغماتية الالحان • ثقلت على الارواح والابدان
قد كان كالثعبان قيدك في الورى • فغدا عليك القيد كالثعبان
متمددا بجذالك كل تمدد • متعطفا لارحمة للعاني
قلبي الى الرحمن يشكو بثه • ما خاب من يشكو الى الرحمن
ياسائلا عن شأنه ومكانه • ما كان أغنى شانه عن شان
هاتيك قينته وذلك قصره • من بعد أي مقاصر وقيان

ولما فقد من كان يجالسه وبعد عنه من كان يؤانسه وتمادى كربه ولم تسامه جربه قال

تؤمل للنفس الشجية فرجة • وتأبى الخطوب السود الا تماديا
لياليك من زاهيك أصفى صحبتها • كذا صحبت قبل الملوك الليالي
تعيم وبؤس ذا لذاك ناسخ • وبعدهما نسخ المنايا الامانيا

ولما امتدت مدته واشتدت عليه قسوة الكبل وشدته وأقلقته همومه وأطبقته غمومه وتوالت عليه الشجون وطالت لياليه الجون قال

أنباء أسرك قد طبقن آفاقا • بل قد عممن جهات الارض اقلاقا
سرت من الغرب لا يطوى لها قدم • حتى أتت شرقها تنعاك اشراقا
فأحرق الفجع أكبادا وأفئدة • وأغرق الدمع آماقا وأحداقا
قد ضاق صدر المعالي اذ نعيت لها • وقيل ان عليك القيد قد ضاقا
اني غلبت وكنت الدهر ذا غلب • للغالبين وللسباق سباقا
قلت الخطوب اذ التقى طوارقها • وكان غربي الى الاعداء طرّاقا
متى رأيت صروف الدهر تاركة • اذا انبرت لذوي الاخطار أرماقا

وقال لي من أثقه لما ثار ابنه حيث ثار وأثار من حقد أمير المسلمين عليه ما أثار جزع جزعا مفرطا وعلم أنه قد صار في أنشوطة الشر متورطا وجعل يتشكى من فعله ويتظلم ويتوجع منه ويتألم ويقول عرّض بي للمحن ورضي لي أن أمتحن ووالله ما أبكي الا انكشاف من أتخلفه بعدي وتخيفه بعدي ثم أطرق ورفع رأسه وقد تمثلت أمرّ نه وظللته مسرّ نه ورأيته قد استجمع وتشوّف الى السماء وتطلع فعلمت أنه قد رجا عودة الى سلطانه وأوبة الى أوطانه فما كان الا بمقدار ما تنداح دائره أو تلتفت مقلة حائره حتى قال

كذا يهلك السيف في جفنه • الى هزكني طويل الحنين
كذا يعطش الرمح لم أعتقله • ولم تروه من نجيع يميني
كذا يمنع الطرف عهد الشكيم • مرتقبا غرّة في كمين
كأن الفوارس فيه ليوث • تراعي فرائسها في عرين

ألا شرف يرحم المشرفى بما به من سمات الوتين
ألا كرم ينعش السمهرى * ويشفيه من كل داء دفين
ألا حنة لابن محنية * شديد الحنين ضعيف الانين
يؤمل من صدرها ضمة * تبوئه صدر كبر معين

وكانت طائفة من أهل فاس قد عاثوا فيها وفسقوا وانتظموا فى سلك الطغيان واتسقوا ومنعوا جفون أهلها السنات وأخذوا البنين من حجور آبائهم والبنات وتلقبوا بالامارة وأركبوا السوء نفوسهم الامارة حتى كادت أن تقفر على أيديهم وتدثر رسومها بافراط تعديهم الى أن تدارك أمير المسلمين رحمه الله تعالى أمرهم وأطفأ جمرهم وأوجعهم ضربا وأقطعهم ماشاء حزنا وكربا وسجنهم باغمات وضمتهم جوانح الملمات والمعتمد اذذاك معتقل هنالك وكانت فيهم طائفة شعريه مدينة أوبريه فرغبوا الى سجانهم أن يستريح وامع المعتمد من أشجانهم فخلى ما بينهم وبينه وغمض لهم فى ذلك عينه فكان المعتمد رحمه الله تعالى يتسلى بمجالستهم ويجد اثر مؤانستهم ويستريح اليهم بجواه ويبوح لهم بسره ونجواه الى أن شفع فيهم وانطلقوا من وثاقهم وانفرج لهم مبهم أغلاقهم وبقى المعتمد يشتكى من ضيق الكبل ويبكى بدمع كالوبل فدخلوا عليه مودعين ومن بثه متوجعين فقال

أما لانسكاب الدمع فى الخد راحة * لقد آن أن يفنى ويفنى به الخد
هبوا دعوة يا آل فاس لمبتلى * بما منه قد عافاكم الصمد الفرد
تخلصتم من سجن اغمات والتوت * على قيود لم يحن فكها بعد
من الدهم أما خلقها فأساود * تلوى وأما الايد والبطش فالاسد
فهنيئتم النعماء دامت لكلكم * سعادته ان كان قد خانني سعد
خرجتم جماعات وخلفت واحدا * ولله فى أمرى وأمركم الحمد

ومر عليه فى موضع اعتقاله سرب قطا لم يعلق لها جناح ولا تعلق بها من الايام جناح ولا عاقها عن أفراخها الاشراك ولا أعوزها البشام ولا الاراك وهى تمرح فى الجو وتسرح فى مواقع النو فتشكد بما هو فيه من الوثاق وما دون أحبته من الرقباء والاغلاق وما يقاسيه من كبله ويعانيه من وجده وخبله وفكر فى بنائه وافتقارهن الى نعيم عهدنه وحبور حضرنه وشهدنه فقال

بكيت الى سرب القطا اذ مررن بى * سوارح لا سجن يعوق ولا كبل
ولم تشك والله المعيد حسادة * ولكن حنينا ان شكلى لها شكل
فأسرح لا شملى صديع ولا الحشا * وجيع ولا عيناى يبكيهما ثكل
هنيئا لها اذ لم يفرق جميعها * ولا ذاق منها البعد عن أهلها أهل
واذ لم تبت مثلى تطير قلوبها * اذا اهتز باب السجن أو صلصل القفل
وما ذاك مما يعتريه وانما * وصفت التى فى جبلة الخلق من قبل
لنفسى أن ألقى الحمام تشوف * سواى يحب العيش فى ساقه كبل

الاعصم الله القطافى فراخها * فان فراخى خانها الماء والظل

وفى هذه الحالة زاره الاديب أبو بكر بن اللبانة وهو أحد شعراء دولته المرتضعين دررها المتجمعين دررها وكان المعتمد رحمه الله تعالى يميزه بالشفوف والاحسان ويجوزه على فرسان هذا الشان فلما رآه وحلتات الكبل قد عضت بساقيه عض الاسود والتوت عليه التواء الاساود السود وهو لا يطيق اعمال قدم ولا يريق دمعا الا مزوجا بدم بعد ما عهده فوق منبر وسرير ووسط جنة وحرير تحفق عليه الالوية وتشرق منه الاندية وتكف الامطار من راحته وتشرف الاقدار بحلول ساحته ويرتاع الدهر من أوامره ونواهيه ويقصر النسر أن يقارنه أو يضاهيه ندبه بكل مقال يلهب الاكباد ويثير فيه لوعة الحرث ابن عباد أبدع من أناشيد معبد وأصدع للكبد من مراثى أبى دؤاد أو بكاء ذى الرمة بالمربد سلك فيها اللاحتفاء طريقا لاحبا وغدا فيها الذيول الوفاء ساحبا فمن ذلك قوله

انفض يديك من الدنيا وساكنها * فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا

وقل لعالمها السفلى قد كتمت * سريرة العالم العلوى اغتمات

طوت مظلتها لابل مذلتها * من لم تزل فوقه للعز رايات

من كان بين الندى والبأس أنصله * هندية وعطاياه هنيدات

رماه من حيث لم تسنره سابغة * دهر مصيباته نبل مصيبات

أنكرت الا التوا آت القيود به * وكيف تنكر فى الروضات حيات

غلطت بينهما بين عقدن له * وبينها فاذا الانواع أشتات

وقلت هن ذؤابات فلم عكست * من رأسه نحو رجليه الذؤابات

حسبتها من قناه أو أعنته * اذا بها لثقاف المجد آلات

دروه ليشا خافوا منه عادية * عذرتهم فلعدو الليث عادات

لو كان يفرج عنه بعض آونة * قامت بدعوته حتى الجمادات

بحر محيط عهدناه تجيء له * كنقطة الدارة السبع المحيطات

لهفى على آل عباد فانهم * أهلة مالها فى الافق هالات

راح الحمى وغدا منهم بمنزلة * كانت لنا بكر فيها وروحات

أرض كأن على أقطارها سرجا * قد أوقدتهن بالادهان أنبات

وفوق شاطئ واديها رياض ربا * قد ظللتها من الانشام دوحات

كان واديها سلك بلبتها * وغاية الحسن أسلاك ولبات

نهر شربت بعبريه على صور * كانت لها من قبيل الراح سورات

وربما كنت اسمو للخليج به * وفى الخليج لاهل الراح راحات

وبالغروسات لاجفت منابتها * من النعيم غروسات جنيات

ولم تزل كبده تتوقد بازفرات وخلده يتردد بين النكبات والعثرات ونفسه تتقسم بين الاشجان والحسرات الى أن شفته منيته وجاءته بها أمنيته فدفن باغمات وأريح من تلك الازمات (وعطلت المآثر من حلاها * وافردت المفاخر من علاها) ورفعت مكارم

الاخلاق وكسدت نفائس الاعلاق وصار أمره عبرة فى عصره وصاب أندى عبرة فى مصره وبعد أيام وافى أبو بحر بن عبد الصمد شاعره المتصل به المتوصل الى المنى بسببه فلما كان يوم العيد وانتشر الناس ضحى وظهر كل متوار وضحا قام على قبره عند انفصالهم من مصلاهم واختيالهم بزينتهم وحلاهم وقال بعد أن طاف بقبره والتزمه وخر على تربه ولثمه

ملك الملوك أما سمع فأنادى * أم قد عدتك عن السماع عوادى
لما خلت منك القصور فلم تكن * فيها كما قد كنت فى الاعياد
قبلت من هذا الثرى لك خاضعا * وتخذت قبرك موضع الانشاد

وهى قصيدة أطال انشادها وبنى بها اللواعج وشادها فانحشر الناس اليه وانحفلوا وبكوا ببكائه وأعولوا وأقاموا أكثر نهارهم مطيفين به طواف الحجيج مديمين للبكاء والعجيج ثم انصرفوا وقد زفوا اماءهم وأقروا ما قيهم بفيض شؤنهم وهذه نهاية كل عيش وغاية كل ملك وجيش والايام لا تدع حيا ولا تألوا كل نشر طيا تطرق رزاياها كل سمع وتفرق منحاياها كل جمع وتصمى كل ذى أمر ونهى وترمى كل مشيد بوهى ومن قبله طوت النعمان بن الشقيقة ولوت مجازه فى تلك الحقيقة انتهى ما قصدنا جلبه من كلام الفتح مما يدخل فى أخبار المعتمد بن عباد لمناسبة ما مر وكلام الفتح كله الغاية وليس الخبر كالعيان ولذا قال بعض من عرف به انه أراد أن يفضح الشعراء الذين ذكرهم فى كتبه بنثره مسامحه الله تعالى وأخبار المعتمد رحمه الله تعالى تحتمل مجلدات وآثاره الى الآن بالغرب مخلدات وكان من النادر الغريب قولهم فى الدعاء للصلاة على جنازته الصلاة على الغريب بعد اتساع ملكه وانتظام سلكه وحكمه على اشبيلية وأنحائها وقرطبة وزهرائها وهكذا شأن الدنيا فى تدريسها لمحمودتها واغرائها * وقد توجه لسان الدين الوزير ابن الخطيب الى اغمات لزيارة قبر المعتمد رحمه الله تعالى ورأى ذلك من المهمات وأنشد على قبره أبياته الشهيرة التى ذكرتها فى جملة نظمه الذى هو أرق من النسيم وأبهج من المحيا الوسيم * قلت وقد زرت أنا قبر المعتمد والمسكينة أم أولاده حين كنت بمراكش المحروسة عام عشرة والف وعمى على أمر القبر المذكور وسألت عنه من نظن معرفته له حتى هدانى اليه شيخ طعن فى السن وقال لى هذا قبر ملك الاندلس وقبر حظيته التى كان قلبه بحبها خفاقا غير مطمئن فرأيته فى ربوة حسبما وصفه ابن الخطيب رحمه الله تعالى فى الابيات وحصلت لى من ذلك المحل خشية وادكار وذهبت بى الافكار فى ضروب الآيات فسبحان من يؤتى ملكه من يشاء لا اله غيره وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين * وما أحسن قول الوزير ابن عبدون فى مطلع رائيته الشهيرة

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

(وهو القائل)

يا نائم الليل فى فكر الشباب أفق * فصبح شيبك فى أفق النهى بادى

غضت عنانك أيدى الدهر ناعسة * عما يجهل واصلاحا بافساد
وأسلمت للمنايا آل مسلمة * وعبدت للرزايا آل عباد
لقد هوت منك خاتها قوادمها * بكوكب فى سماء المجد وقاد

ومنها

ومالك كان يحيى شول قرطبة * أستغفر الله لا بل شول بغداد
شق العلوم نطافا والعلا زهرا * فبين ما بين رواد وورّاد

وأين هذه القصيدة فى مدحهم من قصيدة الغض منهم وهى قول أبى الحسن جعفر بن ابراهيم ابن الحاج اللورقى

تعزعن الدنيا ومعروف أهلها * اذا عدم المعروف فى آل عباد
حللت بهم ضيفا ثلاثة أشهر * بغير قرى ثم ارتحلت بلا زاد

وهذا يدلك على أن الشعراء لم يسلم من لسانهم من أحسن فضلا عمن أساء من العظماء والرؤساء وما أمدح قول أبى محمد بن غانم فيهم

ومن الغريب غروب شمس فى الثرى * وضياؤها باق على الآفاق

وقال فى المطمح فى حق بنى عباد وأوليتهم ما صورته الوزير أبو القاسم محمد بن عباد هذه بقية منتماه فى نظم ومرتماها الى مفخر ضخم وجدهم المنذر ابن ماء السماء ومطلعهم فى جو تلك السماء وبنو عباد ملوك أنس بهم الدهر وتنفس منهم عن أعبق الزهر وعمروا ربع الملك وأمروا بالحياة والهلاك ومعتضدهم أحد من أقام وأقعد وتبوأ كاهل الارهاب واقتعد وافترش من عريشته وافترس من مكايد فريسته وزاحم بعود وهذ كل طود وأخمل كل ذى زى وشاره وختل بوحى واشاره ومعتمدهم كان أجود الاملاك وأحد نيرات تلك الافلاك وهو القائل وقد شغل عن منادمة خواص دولته بمناددة العقائل

لقد حننت الى ما اعتدت من كرم * حنين أرض الى مستأخر المطر
فهاتها خلعا أرضى السماح بها * مجفوفة فى أكف الشرب بالبدر

وهو القائل وقد حن فى طريقه الى فريقه

اداره النوى كم طال فيك تلذذى * وكم عقتنى عن دار أهيف أغيد
حلفت به لو قد تعرض دونه * كماة الاعادى فى النسيج المسرّد
لجردت للضرب المهند فانقضى * مرادى وعزما مثل حد المهند

والقاضى أبو القاسم هذا جدهم وبه سفر مجدهم وهو الذى اقتنص لهم الملك النافر واختصهم منه بالحظ الوافر فانه أخذ الرياسة من أيدى جابر وأضحى من ظلالها أعيان أكابر عندما أناخت بها أطماعهم وأصاخت اليها أسماعهم وامتدت اليها من مستحقيها اليد وأتلعوا أجيادا زانها الجيد ونفر عليها منه حتى هجا بيت العبدى وتصدى اليها من تحضر وتبدى فاقتعد سنامها وغاربها وأبعد عنها عجمها وأعاربها وفازمن الملك بأوفر حصه وغدت سمته به صفة مختصه فلم يمح رسم القضاء ولم يتسم بسمة الملك مع ذلك النفوذ والمضاء ومازال يحمى حوزته ويجلو عزته حتى حوته

الرجام وخلت منه تلك الآجام وانتقل الملك الى ابنه المعتضد وحل منه فى روض نمق له ونضد ولم يعمر فيه ولم يدم ولاه وتسمى بالمعتضد بالله وارتمى الى أبعد غايات الجود بما أناله وأولاه لولا بطش فى اقتضاء النفوس كذر ذلك المنهل وعكر أثناء ذلك صفو العلل والنهل ومازال للارواح قابضا وللوثوب عليها رابضا يخطف أعداءه اختطاف الطائر من الوكر وينتصف منهم بالدهاء والمكر الى أن أفضى الملك الى ابنه المعتمد فاكتحل منه طرفه الرمد وأحمد مجده وتقلد منه أى باس ونجده ونال به الحق مناه وجدد سناه وأقام فى الملك ثلاثا وعشرين سنه لم تعدم له فيها حسنة ولا سيرة مستحسنه الى أن غلب على سلطانه وذهب به من أوطانه فنقل الى حيث اعتقل وأقام كذلك الى ان مات ووارته تربة اغمات وكان للقاضى جده أدب غض ومذهب مبيض ونظم يرتجله كل حين وينفثه أعطر من الرياحين فمن ذلك قوله يصف النيلوفر

يا ناظرين لذا النيلوفر البهج * وطيب مخبره فى الفوح والارج
كأنه جام در فى تألقه * قد أحكموا وسطه فصا من السبج

انتهى المقصود منه وهو أعنى الفتح يشيد قصور الشرف اذا مدح ويهدم معاقلها اذا هجا وقدح * ومن أغراضه قوله فى المطمح فى حق الاديب أبى جعفر بن البنى رافع رايات القريض وصاحب آيات التصريح والتعريض أقام شرائعه وأظهر بدائعه اذا نظم ازرى بالعقود وأتى بأحسن من رقم البرود وكان أليف علمان وحليف كفر لا ايمان ما نطق متشرعا ولا رمق متورعا ولا اعتقد حشرا ولا صدق بعثا ولا نشرا تنسك مجونا وفتكا وتعبد باسم التقى وقد هتك هتكا لا يبالى كيف ذهب ولا بم تمذهب وكانت له أهاجى جرع بها صابا ودرع منها أوصابا وقد أثبت له ما يرشف ريقا ويشرب تحقيقا فمن ذلك قوله يتغزل

من لى بغرة فاتن يختال فى * حلل الجمال اذا بدا وحليه
لو شمت فى وضح النهار شعاعها * ما عاد جنح الليل بعد مضيه
شرقت لآلى الحسن حتى خلتها * ذهبية فى الخد من فضيه
فى صفحتيه من الجمال أزاهر * غذيت بوسمى الحيا وولية
سلت محاسنه لقتل محبه * من سحر عينيه حسام حميه

وله فيه

كيف لا يزداد قلبى * من جوى الشوق خبالا
واذا قلت على * بهر الناس جمالا
هو كالغصن وكالبد * ر قواما واعتدالا
أشرق البدر كمالا * وانثنى الغصن اختيالا
ان من رام سلوى * عنه قد رام محالا
لست أسلو عن هواه * كان رشدا أو ضلالا
قل لمن قصر فيه * عذل نفسى أو أطالا

قوله نمق فى نسخة رنق اه

قوله وكالبدر كذا فى الاصل ولعل الاونق بما بعده أن يقول وكالرمح تأمل اه مصححه

دون أن تدرك هذا * تسلب الافق الهلالا

وكنت بميورقة وقد حلها متسما بالعباده وهو أسرى الى الفجور من خيال أبي عباده وقد لبس أسمالا ولبس منه أقوالا وأفعالا بجوده هجوده واقراره بالله بجوده وكانت له رابطة لم يكن للوازمها مرتبطا ولا بسكاها مغتبطا سماها بالعقيق وسمى فتى كان يتعشقه بالحمى وكان لا يتصرف الا فى صفاته ولا يقف الا بعرفاته ولا يؤرقه الاجواء ولا يشوقه الاهواء فاذا بأحد دعاة حبيبه ورواة تشبيبه فقال له كنت البارحة بحماه وذكر له خبرا ورى به عنى وعماه فقال

تنفس بالحمى مطلول أرض * فأودع نشره نشرا شمالا
فصبحت العيون الى كسلى * تجرر فيه أردانا خضالا
أقول وقد شممت الترب مسكا * بنفحتها يمينا أو شمالا
نسيم جاء يبعث منك طيبا * ويشكو من محبتك اعتلالا

ولما تقرر عند ناصر الدولة من أمره ما تقرر وتردد على سمعه انتهاكه وتكرر أخرجه من بلده ونفاه وطمس رسم فسقه وعفاه فأقلع الى المشرق وهو جار فلما صار من ميورقة على ثلاثة بحار نشأت له ريح صرفته عن وجهته الى فقد مهجته فلما لحق بميورقة أراد ناصر الدولة اماحته وأخذ ثار الدين منه واراحته ثم آثر صفحه وأخمد ذلك الجمر ولفحه وأقام أياما ينتظر ريحا علها تزجيه ويستهديها التخلصه وتنجيه وفى أثناء بلوته لم يتجاسر أحد على اتيانه من اخوته فقال يخاطبهم

أحبتنا الالى عتبوا علينا * فأقصرنا وقد أزف الوداع
لقد كنتم لنا جذلا وأنسا * فهل فى العيش بعدكم انتفاع
أقول وقد صدرنا بعد يوم * أشوق بالسفينة أم نزاع
اذا طارت بنا حامت عليكم * كان قلوبنا فيها انصراع

وله يتغزل

بنى العرب الصميم الارعيتم * ما آثركم با آثار السماح
رفعتم ناركم فعشا اليها * بوهن فارس الحمى الوقاح
فهل فى القعب فضل تنضحوه * به من محض ألبان اللقاح
لعل الرسل شائبة الثنايا * بشهد من ندى نور الاقاح

وله أيضا

وكانما رشا الحمى لما بدا * لك فى مضاعة الحديد المعلم
غصب الغمام قسيه فاراكها * من حسن معطفه قويم الاسهم

وله أيضا

نظرت اليه فاتقانى بمقلة * ترد الى نحرى صدور رماح
سحبت الجفون النوم يا رشا الحمى * وأظلمت أيامى وأنت صباحى

وقال

قالوا اتصيب طيور الجو أسهمه • اذا رماها فقلنا عندنا الخبر
تعلمت قوسها من قوس حاجبه • وأيد السهم من ألحاظه الحور
يروح فى بردة كالنفس حالكة • كما أضاء بجنح الليلة القمر
وربما راق فى خضراء مورقة • كما تفتح فى أوراقه الزهر

انتهى * وقال فى ترجمة ابن اللبانة أبو الحسن شاعر سمح متقلد بالاحسان متشح أتم الملوك والرؤساء ويمم تلك السعادة القعساء فانتجع مواقع خيرهم واقتطع ماشاء من ميرهم وتمادت أيامه الى هذا الاوان فجالت به فى ميدان الهوان فكسد نفاقه وارتدت آفاقه وتوالى عليه حرمانه واخفاقه وأدركته وقد خبته سنونه وانتظرته منونه ومحاسنه كعهدها فى الانتقاد وبعدها من الانتقاد وقد أثبت منها ما يعذب جنى وقطافا ويستعذب استنزالا واستلطافا فمن ذلك قوله يستنجد الامير الاجل أبا اسحق ابن أمير المسلمين

قل للامير ابن الامير بل الذى • أبدى به فى المكرمات وفى الندى
والمجتنى بالزرق وهى بنفسج • ورد الجراح مضعفا ومنضدا
جاءتك آمال العفاة ظوامئا • فاجعل لها من ماء جودك موردا
وانثر على المداح سيبك انهم • نثروا المدائح لؤلؤا وزبرجدا
فالناس ان ظلموا فأنت هو الحمى • والناس ان ضلوا فأنت هو الهدى

أخبرنى وزير السلطان أن هذه القطعة لما ارتفعت اعتنت بجملة الشعراء وشفعت فأنجز لهم الموعود وأورق لهم ذلك العود وكثر اللغط فى تعظيمها واستجادة نظيمها وحصل له بها ذكر وانصقل له بسببها فكر وله من قطعة يصف بها سيفا

كل نهر توقدت شفرتاه • كانقضاد الشهاب فى الظلماء
فهو ماء مركب فوق نار • أو كنار قد ركبت فوق ماء

وكتب الى معزيا عن والدته

على مثله من مصاب وجب • على من أصيب به المنتجب
وقاب فروق ولب خفوق • ونفس تشب وهم تصب
فقد خشعت لتقى هضبة • ذؤابتها فى صميم العرب
من الجاعلات محاريبها • هوادجها أبدا والقتب
من القائمات بظل الدجا • ولا من تسامر الا الشهب
فكم ركعت اثرها فى الدجا • تناجى بهاربها من كتب
وكم سكبت فى أوانى السجود • مدامع كالغيث لما انسكب
وقد خلفت ولدا باسلا • فصيحا اذا ما قرأ أو خطب
يفل السيوف فيأتى قلامه • ويكسر ضم القنا بالقصب

وكان القائد أبو عمرو عثمان بن يحيى بن ابراهيم أجل من جال فى خلد واستطال على جلد رشأ يحيى باحتشامه ويستر البدر بلثامه ويزرى بالغصن تثنيه ويثمر الحسن لو دنت

قطوفه لجتنيه مع لوذعية تخالها جريالا وسجية يحتال فيها الفضل اختيالا وكان قد بعد عن أنسنا بحمص وانتضى من تلك القمص وكان بثغر الاشبونة فسدده ولم ينفرج لنا من الانس بعده ما يسدده الى أن صدر فأسرع الينا وابتدر فالتقينا وبتنا ليلة نام عنها الدهر وغفل وقام لنا بما شئنا فيها وتكفل فبينا نحن نقض ختامها وننفض عنا غبار الوحشة وقتامها اذا أنا بابن لبان هذا وقد دخل اذنه علينا فأمرناه بالنزول وتلقيناه بالترحيب وأنزلناه بمكان من المسرة رحيب وسقيناه صغارا وكبارا وأريناه اعظاما واكبارا فلما شرب طرب وكلما كرعها التحف السلوة وتدرعها ومازال يشرب أقداحا وينشدنا أمداحا ويفدى بنفسه ويستهدى الاستزادة من أنسه فهتكنا الظلام بما أهداه من البديع واجتلينا محاسنه كالصريع وانفصلت ليلته عن أتم مسرة وأعم مبرة وارتحل عثمان أعزه الله الى ثغره وأقام به برهة من دهره فشيعت بها اليه مجددا عهدا ومتضلعا من مؤانسته شهدا فكتب ابن لبان هذه القطعة من القصيدة يذهب الى شكره ويجتهد فى تجديد ذكره

ما شام انسان انسان كعثمان * ولا كبغيته من حسن احسان
بدر السيادة يبدو فى مطالعه * من المحاسن محفوفا بشهبان
له التمام وما بالافق من قمر * متمم دون أن يرمى بنقصان
به الشبيبة تزهى من نضارتها * كما تساقطل فوق بستان
معصفر الحسن للابصار ناصعه * كأنه فضة شيبت بعقيان
تبيت عنه بأنباء اذا نفحت * تعطلت نفحات المسك والبان
قامت عليه براهين تصدقها * كالشمس قام عليه كل برهان
قد زادها ابن عبيد الله من وضح * ما زادت الشمس نور الفجر للرانى
بالله بلغه تسليمى اذا بلغت * تلك الركاب وعجل غير ليان
وليت أنى لو شاهدت أنسكما * على كؤس وطاسات وكيزان
فألفظ الكلم المنثور بينكما * كانما هو من در ومرجان
لله درك ياذا الخطتين لقد * خططت بالمدح فيه كل ديوان
كلا كما البحر فى جود وفى كرم * أو الغمامة تسقى كل ظمآن
ان كان فارس هيجاء ومعترك * فأنت فارس افصاح وتبيان
فاذكر أبا نصر المعمور منزله * بالرفد ما شئت من مثنى ووحدان
قصائدا لا أخى ود وان نزحت * بك الركاب الى أقصى خراسان

انتهى * وقال فى ترجمة الاديب أبى بكر عبد المعطى بيت شعر وباهه وابو بكر ممن انتبه خاطره للبدائع أى انتباهه وله أدب باهر ونظم كما سفرت أزاهر وقد أثبت له جملا يبلغ آمالا فمن ذلك قوله وقد اجتمعنا فى ليلة لم يضرب لها وعد ولم يعزب عنها سعد وهو قعدى قد شب عن طوق الانس فى الندى وما قال خلا عمرو ولا عدا والكهولة قد قبضته وأقعدته عن ذلك وما أنهضته

قوله بابن لبان هكذا فى الاصل هنا وانظره مع ما سبق فيه من انه ابن اللبانة اه مصححه

امام النثر والمنظوم فتح * جميع الناس ليل وهو صبح
له قلم جليل لايجارى * يقر بفضله سيف ورمح
يبارى المزن ماسحت سماحا * وان شحت فليس لديه شح

وكان من تسمى فى عسكر قرطبة وكان ابن سراج يقوم له بكل ما يبقى تطلبه خيفة من لسانه ومحافظة على احسانه ولما خرج الى اقليش خرج معه وجعل يسايره من شيعه فلما حصلوا بفحص سرادق وهو موضع توديع المفارق للمفارق قرب منه أبو الحسين بن سراج لوداعه وأنشده فى تفرق الشمل وانصداعه

هم رحلوا عنا لامر لهم عنا * فما أحد منهم على أحد حنا
وما رحلوا حتى استفادوا نفوسنا * كأنهم كانوا أحق بها منا
قياسا كفى نجد لتبعد داركم * ظننا بكم ظنا فأخلفتم الظنا
غدرتم ولم أغدر وخنتم ولم أخن * وقلتم ولم أعتب وجرتم وما جرنا
وأقسمتم أن لاتخونون فى الهوى * فقد وذمام الحب خنتم وما خنا
ترى تجمع الايام بيني وبينكم * ويجمعنا دهر نعود كما كنا

فلما استتم انشاده لحق بالسلطان واعتذر اليه بمريض خلفه وهو يخاف تلفه فاذن له بالانصراف وكتب الى أبي الحسين بن سراج

أما والهدايا مارحلنا ولاحلنا * وان عز من دون الترحل ماعنا
تركنا ثواب الفضل والعز للعزا * على مضض منا وعدنا كما كنا
وليس لنا منكم على البين سلوة * وان كان أنتم عندكم سلوة عنا

وجمعتنا عشية بربض الرحال بقرطبة ومعنا لمة من الاخوان وهو فى جلتهم مناهض لاعيانهم وجلتهم بفضل أدبه وكثرة سحبه فجعل يرتجل ويروى وينشر محاسن الآداب ويطوى ويمتعنا بتلك الاخبار ويقطعنا منها جانب اعتبار ويطلعنا على اقبال الايام وعلى الادبار

أيا ابن عبد الله يا ابن الاكارم * لقد بخلت يمناك صوب الغمائم
لك القلم الاعلى الذى عطل القنا * وفل ظبات المرهفات الصوارم
وأخلاقك الزهر الازاهر بالربا * ترف بشؤبوب الغيوث السواجم
بقيت لتشييد المكارم والعلا * تظاهرها بالسالف المتقادم

واجتمع عنده أيضا لمة من أهل الادب وذوى المنازل والرتب فى عشية غيم أعقب مطرا وخط فيه البرق أسطرا والبرد يتساقط كدر من نظام ويترا أى كتنا ياغادة ذات ابتسام وهو غلام مانضا برد شبابه ولا انتضى مرهف آدابه فقال معترضا بهم ومتعرضا لتحقق أدبهم

كأن الهواء غدير رجد * بحيث البرود تذيب البرد
خيوط وقد عقدت فى الهوا * وراحة ريح تحل العقد

وشرب فى دار ابن الاعلم فى يوم لم ير للدهر فيه اساءه وليل نسخ نور أنسه مساءه ومعهم

جملة من الشعراء وجماعة من الوزراء منهم أبناء القبطرنة فوقع بينهم عتاب وتعذال وامتهان فى ميدان المشاجرة وابتذال آل به الى تجريد السيف وتكدير ما صفا بذلك الحيف فسكنوه بالاستنزال وثنوه عن ذلك النزال * وقال فى المطمح فى حق أبى بكر يحيى ابن بقى القرطبى صاحب الموشحات البديعة كان نبيل السيرة والنظام كثير الارتباط فى سلكه والانتظام أحرز خصالا وطرز بمحاسنه بكرا وآصالا وجرى فى ميدان الاحسان الى أبعد أمد وبنى من المعارف أثبت عمد الا أن الايام حرمته وقطعت حبل رعايته وصرمته فلم تبق له وطرا ولم تسجم عليه الحظوة مطرا ولا سوغت من الحرمة نصيبا ولا أنزلته مرعى خصيبا فصار راكب صهوات وقاطع فلوات لا يستقر يوما ولا يستحسن نوما مع توهم لا يظفره بأمان وتقلب ذهن كالزمان الا أن يحيى بن على بن القاسم نزعه من ذلك الطيش وأقطعه جانبا من العيش ورقاه الى سمائه وسقاه صيب نعمائه وفيأ ظلاله وبوأه أثر النعمة يجوس خلاله فصرف به أقواله وشرف بعواقبه فعاله وأفرده منها بأنفس درة وقصده منها بقصائد غر انتهى المقصود من ترجمته فى المطمح * وقال فى حقه فى القلائد رافع راية القريض وصاحب آية التصريح فيه والتعريض أقام شرائعه وأظهر روائعه وصار عصيه طائعه اذا نظم أزرى بنظم العقود وأتى بأحسن من رقم البرود وطغا عليه حرمانه فحاصفاله زمانه انتهى * وابن بقى المذكور هو القائل

بأبى غزال غازلته مقلتى * بين العذيب وبين شطى بارق

الابيات المذكورة فى غير هذا الموضع ومن موشحاته قوله

عبث الشوق بقلبى فاشتكى * ألم الوجد فلبت أدمعى

أيها الناس فؤادى شغف
وهو من بغى الهوى لا ينصف
كم أداريه ودمعى يكف

أيها الشادن من علمكا * بسهام اللحظ قتل السبع

بدر تم تحت ليل أغطش
طالع فى غصن بان منتشى
أهيف القد بخد أرقش

ساحر الطرف وكم ذا فتكا * بقلوب الاسد بين الاضلع

أى ريم رمته فاجتنبا
وانثنى يهتز من سكر الصبا
كقضيب هزه ريح الصبا

قلت هب لى يا حبيبى وصلكا * واطرح أسباب هجرى ودعا

قال خدى زهره مذ ذوفا
جردت عيناى سيفا مرهفا

حذرا منه بأن لا يقطفا
ان من رام جناه هلكا * فأزل عنك علال الطمع
ذاب قلبي في هوى ظبي غرير
وجهه في الدجن صبح مستنير
وفؤادي بين كفيه أسير
لم أجد للصبر عنه مسلكا * فانثصاري بانسكاب الادمع

وقال رحمه الله تعالى

خذ حديث الشوق عن نفسي * وعن الدمع الذي هما
ما ترى شوقي قد انتقدا
وهمى بالدمع واطردا
واعتدى قلبي عليك سدا
آه من ماء ومن قبس * بين طرفي والحشا جمعا
بأبي ريم اذا سفرا
أطلعت أزراره قمرا
فاحذروه كلما نظرا
فبالحاظ الجفون قسى * انا منها بعض من صرعا
أرتضيه جار أو عدلا
قد خلعت العذر والعذلا
انما شوقي اليه جلا
كم وكم أشكو الى اللعس * ظمئي لو أنه نفعا
صال عبد الله بالحور
وبطرف فاتر النظر
حكمه في أنفس البشر
مثل حكم الصبح في الغلس * ان تجلى نوره صدعا
شبهته بالرشا الاهم
فلعمري انهم ظلموا
فتغنى من به السقم
أي ظبي القفر والكنس * من غزال في الحشا رتعا

انتهى وله أيضا

مارد تني لابس * ثوب الضنا الدارس * الاغر
في غصن ماتس * شعاعه عاكس * ضوء البصر
أسير كالسيل * اليه لا باع * الا وداد
والطيف في خيل * لهن امراع * مع الرقاد

يا كوكب الليل * ان كنت ترتاع * فلم فؤادى
كالاسد العابس * لكنه خانس * من الحور

ومن نظمه قصيدة مدح يحيى بن على بن القاسم المذكور بها منها فى المديح قوله

نوران ليسا يحجبان عن الورى * كرم الطباع ولاجمال المنظر
وكلاهما جمعا ليحيى فليدع * كتمان نور علائه المتشهر
فى كل أفق من جمال شمائله * عرف يزيد على دخان المجمر
ورد فى شمائله ورد فى جوده * بين الحديقة والغمام الممطر
بدر عليه من الوقار سكينة * فيها القيطة كل ليث مخدر
مثل الحسام اذا انطوى فى غمده * ألقى المهابة فى نفوس الحضر
أربى على المزن الملث لانه * أعطى كما أعطى ولم يستعبر

ومنها

أقبلت مرتادا الجود فانه * صوب الغمامة بل زلال الكوثر
ورأيت وجه النجح عندك أبيضا * فركبت نحوك كل لج أخضر

وهى طويلة وقوله أربى على المزن الملث البيت هو معنى تلاعب الشعراء بكرته وأورده كل منهم على حسب مقدرته فقال بعض

من قاس جدواك بالغمام فما * أنصف فى الحكم بين شيئين
أنت اذا جدت ضاحك أبدا * وهو اذا جاد دامع العين

وقال آخر

ما نوال الغمام يوم ربيع * كنوال الامير يوم عطاء
فنوال الامير بدرة عين * ونوال الغمام قطرة ماء

وهما من شواهد البديع وقال أبو عبد الله الحوضى التلمسانى فى قصيدة مدح بها سلطان تلمسان أبا عبد الله الزيانى

أصبح المزن من عطائك يحكى * يوم الاثنين للانام عطاء
كيف يدعى لك الغمام شبيها * ولقد فقته سنا وسناء
أنت تعطى اذا تقصر مالا * وهو يعطى اذا تطول ماء

(رجع) وذكر العماد فى الخريدة ابن بقى المذكور وأورد له جملة من المقطعات ومحاسنه كثيرة رحمه الله تعالى وبقى على وزن على (رجع الى بنى عباد رحمهم الله تعالى) وقال ابن اللبانة فى بنى عباد ما نصه بماذا أصفهم وأحليهم وأى منقبة من الجلالة أوليهم فهم القوم الذين تجل مناقبهم عن العد والاحصاء ولا يتعرض لها بالاستيفاء والاستقصاء ملوك جهم زينت الدنيا وتحلت وترقت حيث شاءت وحلت ان ذكرت الحروب فعليهم يوقف منها الخبر اليقين أو عدت المآثر فهم فى ذلك فى درجة السابقين أصبح الملك بهم مشرق القسام والايام ذات بهجة وابتسام حتى أناخ بهم الحمام وعطل من محاسنهم الوراء والامام فنقل الى العدم وجودهم ولم يرع بأسهم وجودهم وكل ملك آدمى مفقود وما

نؤخره الا لاجل معدود فاتول ناشئة ملكهم ومحصل الامر تحت ملكهم عظيمهم الاكبر وسابقة شرفهم الاجل الاشهر وزينهم الذى يعد فى الفضائل بالوسطى والخنصر محمد بن عباد ويكنى أبا القاسم واسم والده اسمعيل ومن شعره قوله

ياحبذا الياسمين اذ يزهر * فوق غصون رطيبة نضر
قد امتطى للجمال ذروتها * فوق بساط من سندس أخضر
كانه والعيون ترمقه * زمرد فى خلاله جوهر

انتهى ولنذكر كلام ابن اللبانة وغيره فى حقهم فنقول وصف المعتضد رحمه الله تعالى بما صورته المعتضد أبو عمرو عباد رحمه الله تعالى لم تخل أيامه فى أعدائه من تقييد قدم ولا عطل سيفه من قبض روح وسفك دم حتى لقد كانت فى باب داره حديقة لا تثمر الا رؤسا ولا تنبت الا رئيسا ومرؤسا فكان نظره اليها أشهى مقترحاته وفى التلفت اليها استعمل جل بكره وروحاته فبكى وأرق وشتت وفرق ولقد حكى عنه من أوصاف التحير ما ينبغى أن تصان عنه الاسماع ولا يتعرض له بتصريح ولا الماع ومن نظمه عفا الله عنه

أتتك أم الحسن * تشدو بصوت حسن
تمد فى ألحانها * من الغناء المدنى
تقود منى ساكنا * كأننى فى رسن
أوراقها أستارها * اذا شدت فى فنن

وقوله

شربنا وجفن الليل يغسل كحله * بماء صباح والنسيم رقيق
معتقة كالتبر أما بخارها * فضيم وأما جسمها فرقيق

وقوله

قد وجدنا الحبيب يصفى وداده * وجدنا ضميره واعتقاده
قرب الحب من فؤاد محب * لا يرى هجره ولا ابعاده

وقال عند حصول رندة فى ملكه

لقد حصنت يارنده * فصرت للكاعنده
أفادتنا لذ أرماح * وأسياف لها حده

وقال رحمه الله تعالى

اشرب على وجه الصباح * وانظر الى نور الاقاح
واعلم بانك جاهل * مالم تقل بالاصطباح
فالدهر شئ بارد * مالم تسخنه براح

انتهى * ومن حكايات المعتضد عباد ماذكره غير واحد أن ابن جاخ الشاعر ورد على حضرته فدخل الدار المخصوصة بالشعراء فسألوه فقال انى شاعر فقالوا أنشدنا من شعرك فقال

انى قصدت اليك ياعباد * قصد الغليق بالجرى للوادى

فضحكوا منه وازدروه فقال بعض عقلائهم دعوه فان هذا شاعر وما يبعد أن يدخل مع الشعراء وينـدرج فى سلكهم فلم يبالوا بكلام الرجل وتنادروا على المذكور فبقى معهم وكان لهم فى تلك الدولة يوم مخصوص لا يدخل فيه على الملك غيرهم وربما كان يوم الاثنين فقال بعض لبعض هذه شـنعة بنا أن يكون مثل هذا البادى يقدم علينا ويجترئ على الدخول معنا فاتفقوا على أن يكون هو أول متكلم فى اليوم المخصوص بهم عند جلوس السلطان وقد رأوا أن يقول مثـل ذلك الشعر المضحك فيطرده عنهـم ويكون ذلك حسما لعلة اقدام مثله عليهـم فلما كان اليوم المذكور وقعد السلطان فى مجلسه ونصب الكرسى لهم رغبوا منه أن يكون هـذا القادم أول متكلم فى ذلك اليوم فأمر بذلك فصعد الكرسى وانتظروا أن ينشد مثل الشعر المضحك المتقدم فقال

قطعت يا يوم النوى أكبادى * وحرمت عن عينى لذيذ رقادى
وتركتنى ارعى النجوم مسهدا * والنار تضرم فى صميم فؤادى
فكأنما آلى الظلام أليـة * لا ينجـلى الا الى ميعاد
لى بين بين أين تقـتاد النوى * ابل الذين تحـملوا بسـعاد
ولرب خرق قد قطعت نياطه * والليـل يرفل فى ثياب حداد
بشملة حرف كـان زميلها * سرح الرياح وكل برق غادى
والنجم يحدوها وقد ناديتها * يا ناقـتى عوجى علـى عباد
ملك اذا ما أضرمت نار الوغا * وتلاقت الاجـناد بالاجناد
فـترى الجسوم بلا رؤس تثنى * وترى الرؤس لقى بلا أجساد
يا أيها الملك المؤمـل والذى * قدما سما شرفا على الانداد
ان القريض لكاسد فى أرضنا * وله هنا سوق بغـير كساد
فجلبت من شعرى اليك قوافيا * يفنى الزمان وذكرها متمادى
مـن شاعـر لم يضطلع أدبا ولا * خطت يداه صحيفـة بمـداد

فقال له الملك أنت ابن جاخ فقال نعم فقال اجلس فقد وليتك رياسة الشعراء وأحسـن اليه ولم يأذن فى الكلام فى ذلك اليوم لاحد بعده انتهى (رجع الى اخبار بقية بنى عباد) المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد أبى عمرو عباد ابن القاضى أبى القاسم بن عباد رحمه الله تعالى ملك مجيد وأديب على الحقيقة مجيد وهـمام تحلى به للملك لبة وللنظم جيد افنى الطغاة بسيفه وأباد وانسى بسيبه ذكر الحرث بن عباد فاطلع ايامه فى الزمان بحولا وغررا ونظم معاليه فى اجيادها جواهر ودررا وشيد فى كل معلوة فناءه وعمر بكل نادرة مستغربة وبادرة مستظرفة أوقاته وآناءه فنفقت به للمحامد سوق وبسقت ثمرات احسانه أى بسوق منع وقرى وراش وبرى ووصل وفرى وكان له من أبنائه عدة أقمار نظمهم نظم السلك وزين بهم سماء ذلك الملك فكانوا معاقل بلاده وحماة طارفه وتلاده الى أن استدار الزمان كهيئته وأخذ البؤس فى فيئته واعتز الخلاف وظهر وسل الشتات سيفه وشهر والمعتمد رحمه الله تعالى يطلب نفسه أثناء ذلك بالثبات بين تلك الثبات والمقام فى ذلك

المقام الى أن بدل القطب بالواقع واتسع الخرق على الراقع فاستعضد بابن تاشفين فورد عليه كتابه يشعره بالوفاء فثاب اليه فكر خاطره ووفاه وثبت خلال تلك المدة للنزال ودعا من رام حربه نزال الى أن أصبح والحروب قد نهبته والايام تسترجع منه ماوهبته فثل ذلك العرش واعتدت الليالى حين أمنت من الارش فنقلى من صهوات الخيول الى بطون الاجفان وهذه الدنيا جميع مالديها زائل وكل من عليها فان فما اغنت تلك المملكة ومادفعت وليتها ماضرت اذ لم تكن نفعت وكل يلقى مجدله وموجله ويبلغ الكتاب أجله * وقال الفقيه القاضى أبو بكر بن خميس رحمه الله تعالى حين ذكر تاريخ بنى عباد وقد ذكر الناس للمعتمد من أوصافه مالا يبلغ مع كثرته الى انصافه وانا الآن أذكر نبذا من أخباره وأردفها بما وقفت عليه من منظومات أشعاره فانه رحمه الله تعالى جم الادب رائقه عالى النظم فائقه كان يسمى بمحمد ويكنى بابى القاسم على كنية جده القاضى استبد بالامر عند موت أبيه المعتضد وفى ذلك يقول الحصرى رحمه الله تعالى

مات عباد ولكن * بقى الفرع الكريم * فكان الميت حيّ * غير أن الضاد ميم

قال ابن اللبانة رحمه الله تعالى ولم يزل المعتمد يخبر الى أن كانت سنة خمس وسبعين وأربعمائة ووصل اليهودى ابن شاليب لقبض الجزية المعلومة مع قوم من رؤساء النصارى وحملوا ببابه من أبواب اشبيلية فوجه لهم المعتمد المال مع جماعة من وجوه دولته فقال اليهودى والله لا اخذت هذا العار ولا آخذه منه الا مسحرا وبعد هذا العام لا آخذ منه الا اجفان البلاد وردوه اليه فرد المال الى المعتمد وأعلم بالقصة فدعا بالجند وقال ايتونى باليهودى وأصحابه واقطعوا حبال الخباء ففعلوا وجاؤا بهم فقال اسجنوا النصارى واصلبوا اليهودى الملعون فقال اليهودى لا تفعل وأنا أفتدى منك بزنتى مالا فقال والله لو اعطيتنى العدوة والاندلس ماقبلتهما منك فصلب فبلغ الخبر النصرانى فكتب فيهم فوجه اليه بهم فاقسم النصرانى أن يأتى من الجنود بعدد شعر رأسه حتى يصل الى بحر الزقاق وأمير المسلمين يوسف بن تاشفين اذ ذاك محاصر سبتة فجاز المعتمد اليه ووعده بنصرته فرجع وحث ملوك الاندلس على الجهاد ثم وصل الى ابن تاشفين فكانت غزوة الزلاقة المشهورة ورجع ابن تاشفين الى المغرب ثم جاز بعد ذلك الى الاندلس وتوهم ابن عباد انه اذا أخذ البلاد يأخذ أموالها ويترك الاجفان فعزم ابن تاشفين على أن يخلع ملوك الاندلس ودارت اذ ذاك مكايد جمة ثم وجه ابن تاشفين من سبتة الى المعتمد يطلب منه الجزيرة الخضراء وفيها ابنه يزيد فكتب اليه معتذرا عنها فلم يكن الا كلمح البصر واذا بمائة شراع قد أطلت على الجزيرة فطير ابنه الحمام اليه فأمره باخلائها فظهر عند ذلك ابن تاشفين وقيل انه لم يجز المرة الاولى حتى طلب من المعتمد الجزيرة لتكون عدة له وكان ذلك بدسيسة بعض أهل الاندلس نصحا لابن تاشفين ثم شرع ابن تاشفين فى خلع ملوك الاندلس وقتالهم وأرسل الى كل مملكة جماعة من أهل دولته وأجناده يحاصرونها وأرسل الى حضرة المعتمد اشبيلية وشرع فى قتالها والناس قد ملوا الدولة العبادية وسئموها على ماجرت به العادة من حب الجديد لاسيما وقد ظهر من ابن عباد من التهتك فى الشرب والملاهى

مالا يخفى أمره فمنى أكثر الناس الراحة من دولتهم ولما اشتد مخنق المعتمد وجه عن النصارى فأعدلهم ابن تاشفين من لقيهم فى الطريق فهزمهم وجهز ابن تاشفين القطائع لاشبيلية وجد فى حصارها والمعتمد مع ذلك منغمس فى لذاته وقد ألقى الامور بيد ابنه الرشيد فلم يشعر ابن عباد الا والعسكر معه فى البلد فافاق من نومه وصحا من سكره وركب فرسه وحسامه فى يده ولبس عليه الاثوب واحد فوافق العسكر قد دخل من باب الفرج ووافى هنالك طبالا فضربه بسيفه ضربة قسمه بها نصفين فقتل الناس أمامه وتراموا من السور ووقف حتى بان الباب وفى ذلك يقول الابيات المذكورة فيما يأتى ان يسلب التوم العدا الى آخره فلما وصل الى الصباغين وجد ابنه مالكا مقتولا فاسترحم له ودخل القصر وزاد الامر بعد ذلك ودخل البلد من كل جهاته فطلب الامان له ولمن معه فامن وجميع من له وأعدت له مراكب واجتاز الى طنجة فلقيه الحصرى الشاعر وكان قد ألف له كتاب المستحسن من الاشعار فلم يقض بوصوله اليه الا وهو على تلك الحالة فلما أخذ المعتمد الكتاب قال للحصرى ارفع ذلك البساط فخذ ما تحته فوالله ما أملك غيره فوجد تحته جملة مال فأخذه ثم انتقل حتى وصل اغمات ولم يزل بها الى أن مات رحمه الله تعالى * وقال الفتح فى ترجمته ما نصه ملك قمع العدا وجمع الباس والندى وطلع على الدنيا بدر هدى لم يتعطل يوما كفه ولا بنانه آونة يراعه وآونة سنانه وكانت ايامه مواسم وثغوره بواسم ولياليه كلها درر وللزمان حجولا وغررا لم يغفلها من سمات عوارف ولم يضحها من ظل ايناس وارف ولا عطلها من مآثر يبقى اثرها باديا ولقى مقتفيه منها الى الفضل هاديا وكانت حضرته مطمعا للهمم ومسرحا لآمال الامم ومقدفا للكل كمى وموقفا لكل ذى اتف حمى لم تخل من وفد ولم يصح جوها من انسجام رفد فاجتمع تحت لوائه من جماهير الكماه ومشاهير الحماه أعداد يغص بهم الفضاء وأنجاد يزهى بهم النفوذ والمضاء وطلع فى سمائه كل نجم متقد وكل ذى فهم منتقد فاصبحت حضرته مدانا لرهان الاذهان ومضمار الاحراز الخصل فى كل معنى وفصل فلم يلتحق بزمامه الاكل بطل نجد ولم يتسق فى نظامه الا ذكاء ومجد فاصبح عصره أجل عصر وغدا مصره أكمل مصر تسفح فيه ديم الكرم ويفصح فيه لسان سيف وقلم ويفضح الرضافى وصفه ايام ذى سلم وكان قومه وبنوه تلك الحلبة زينا ولتلك الجملة عينا ان ركبوا خلت الارض فلكا يحمل نجوما وان وهبوا رأيت الغمام سجوما وان اقدموا الجم عنترة العبسى وان فخروا أفحم عرابة الاوسى ثم انحرفت الايام فالوت بانبراقه واذوت يانع ايراقه فلم يدفع الرمح ولا الحسام ولم تنفع تلك المتن الجسام فتملك بعد الملك وحط من فلكه الى الفلك فاصبح خائضا تحدوه الرياح وناهضا يزجيه البكاء والصياح قد ضجت عليه أياديه وارتجت جوانب ناديه واضحت منازله قد بان عنها الانس والحبور وألوت ببهجتها الصبا والدبور فبكت العيون عليه دما وغاد موجود الحياة عدما وصار أحرار الدهر فيه خدما فسحقا لدنيا مارعت حقوقه ولا ابقت شروقه فكم احياها لبنيها وأبداها رائقة لجنيها وهى الايام لا يبقى من تجنيها ولا تبقى على مواليها ومدانيها ادرت آثار جلق واخمدت نار المحلق

قوله وجه عن النصارى هكذا فى الاصل ولا يخفى ما فيه فلعله محرف والاصل وجه الى النصارى أو نحو ذلك وليحرر اه مصححه

وذللت عزة ابن شداد وعدت القصر ذا الشرفات من سنداد ونعمت بؤس النعمان وأكنت غدرها له فى طلب الامان انتهى ثم ذكر الفتح من أخباره وأشعاره ومجالس انسه وغير ذلك من أمره نبذا ذكرنا بعضها فى هذا الكتاب * وقال فى ترجمة ابنه الراضى بالله أبى خالد يزيد بن المعتمد مانصه ملك تفرع من دوحة سناء أصلها ثابت وفرعها فى السماء وتحدر من سلالة أكابر ورقاة اسرة ومنابر وتصرف أثناء شبيبته بين دراسة معارف وافاضة عوارف وكلف بالعلم حتى صار لهج لسانه وروضة أجفانه لايستريح منه الا الى فرس سائل الغرة ميمون الاسرة يسابق به الرياح ويحاسن بغرته البدر اللياح عريق فى السناء عتيق الاقتناء سريع الوخد والارتقال من آل عوج أو ولد العقال الى أن ولاه أبوه الجزيرة الخضراء وضم اليها رندة الغراء فانتقل من متن الجواد الى ذروة الاعواد واقلع عن الدراسة الى تدبير الرياسة ومازال يدبرها بجوده ونهاه ويورد الامل فيها مناه حتى غدت عراقا وامتلأت انهارا الى أن اتفق فى أمر الجزيرة ما اتفق وخاب فيها الرجاء واخفق واستحالت بهجتها واحالت عليها من الحال لجتها فانتقل الى رندة معقل أشب ومنزل للسمالك منتسب واقام فيها رهين حصار ومهين حماة وانصار ولقيت ريحه كل اعصار حتى رمته سهام الخطوب عن قسيها وامكنت منه يدى مسيها فخواه رمسه وطواه عن غده امسه حسبما بسطنا القول فيه فيما مر من أخبار أبيه انتهى والذى اشار اليه هنا وأحال عليه فيما تقدم له من أخبار المعتمد هو قوله بعد حكايته قتل المأمون بن المعتمد بقرطبة وسياقه أخبار ذلك مانصه ثم انتقلوا الى رندة احدى معاقل الاندلس الممتنعه وقواعدها السامية المرتفعه تطرد منها على بعد مرتقاها ودنو النجوم من ذراها عيون لانصبابها ادوى كالرعد القاصف والرياح العواصف ثم تتكون وديا يلتوى بجوانبها التواء الشجاع ويزيدها فى التوعر والامتناع وقد تجونت نواحيها وأقطارها وتكونت فيها البانانها واوطارها لايتعذر لها مطلب ولايتضور فيها عدو الا عقله ناب أو مخلب فلما أناخوا منها على بعد وأقاموا من الرجاء فيها على غير وعد وفيها ابنه الراضى لم يحفل بانا ختهم بازائه ولاعدها من أرزائه لامتناعه من منازلتهم وارتفاعه عن مطاولتهم الى أن انقضى فى أمر اشبيلية ما انقضى وافضى أمر أبيه الى ما أفضى فحمل على مخاطبته لينزل عن صياصيه ويمكنهم من نواصيه فنزل بزابابيه وأبقى على أرماق ذويه بعد أن عاقدهم مستوثقا وأخذ عليهم عهدا من الله وميثاقا فلما وصل اليهم وحصل فى يديهم مالوا به عن الحصن وجزعوه الردى واقطعوه الثرى حين أودى وفى ذلك يقول المعتمد يرثيهما وقد رأى قرية نائحة بشجنها فانحة بفننها على سكنها وأمامها وكرقيه طائران يرددان نغما ويغردان ترحة وترنما

بكت أن رأت القين ضمهما وكر * مساء وقد أخنى على الفها الدهر
وناحت فباحت واستراحت بسرها * وما نطقت حرفا يباح به سر
فمالى لاأبكى أم القلب صخرة * وكم صخرة فى الارض يجرى بها نهر
بكت واحدا لم يشجها غير فقده * وابكى لآلاف عديدهم كثر

بنى صغير أو خليل موافق * يمزق ذا فقر ويغرق ذا بحر
ونجم ان زين الزمان احتواهما * يقر طبة النكداء أو ربدة القبر
غدرت اذن ان ضن جفنى بقطرة * وان لؤمت نفسى فصاحبها الصبر
فقل للنجوم الزهر تبكيهما معى * لمثلهما فلتحزن الانجم الزهر

انتهى * وقال فى ترجمة الراضى ماصورته وكان المعتمد رحمه الله تعالى كثيرا ما يرميه بملامه ويصميه بسهامه فربما استلطفته بمقال أفصح من دمع المحزون وأملح من روض الحزون فانه كان ينظم من بديع القول لآلى وعقودا تسل من النفوس سخائم وحقودا وقد أثبت من كلامه فى بث آلامه واستجارة عذله وملامه ماتستبدعه وتحله النفوس وتودعه فمن ذلك ماقاله وقد أنهض جماعة من اخوته وأقعده وأدناهم وأبعده

اعيذك أن يكون بنا خمول * ويطلع غيرنا ولنا أفول
حنانك ان يكن جرمى قبيحا * فان الصفح عن جرمى جميل
الست بفرعك الزاكى وماذا * يرجى الفرع خانته الاصول

ثم قال الفتح بعد كلام ومرت عليه يعنى الراضى هوادج وقباب فيها حبائب كن له وأحباب الفهن أيام خلائه من دوله وجال معهن فى ميدان المنى أعظم جوله ثم انتزعوا منه بعده واودعوا الهوادج من بعده ووجهوا هدايا الى العدوه والمواجها المام قريش بدار الندوه فقال

مروا بنا أصلا من غير ميعاد * فاوقدوا نار قلبى أى ايقاد
وأذكروني اياما لهوت بهم * فيها ففازوا بايثارى واحمادى
لاغروان زاد فى وجدى مرورهم * فرؤية الماء تذكى غلة الصادى

قوله لاغرو الخ فى نسخة لاغرو أن زاد وجدى فى مرورهم اه

ولما وصل العدو لورقة أعلم أن العدو قد جيش لها واحتشد وتهدنحوها وقصد ليتركها خاوية على عروشها طاوية الجوانح على وحوشها فتعرض له العدو دون بغيته وطلع عليه من ثنيته وأمر الراضى بالخروج اليه فى عسكر جرده لمحاربته واعده لمصادمته ومضاربته فاظهر التعرض والتشكى وأضمر التقاعس والتلكى فرارا من المصادمه واحجاما عن المساومه وجزعا من منازلة الاقران ومقابلة ذوابل المران ومقاساة الطعان وملاقاة أبطال كالرعان ورأى أن المطالعه أربح من المقارعه ومعاناة العلوم أربح من مداواة الكلوم فقد كان عاكفا على تلاوة ديوان عارفا باجادة صدر وعنوان فعلم المعتمد ماوراه وتحقق مالواه فاعرض عنه ونفض يده منه وتوجه المعتمد مع ذلك الجيش الذى لم تنشر بنوده ولا نصرت جنوده فعند ماالاقوا العدو لاذوا بالفرار وعاذوا باعطاء الغرة بدلا من القرار وتفرقوا فى تلك الاقاريت وفرقوا من تخطف أولئك العفاريت فتحيف العدو من بقى مع المعتمد واهتضمه وخضم مافى العسكر وهضمه وغدت مضاربه مجزعوا ليه ومجرى مذاكيه وآب اخسر من بائع الدين ومضيع الامانه فانطبقت سماء المعتمد على أرضه وشغلته عن اقامة نوافله

وفرضه فكتب اليه الراضى

لايكرثنك خطب الحادث الجارى * فما عليك بذا الخطب من عار
ماذا على ضيغم أمضى عزيمته * ان خانه حد أنياب واظفار
لئن أتولك فن جبن ومن خور * قد ينهض العير نحو الضيغم الضارى
عليك للناس أن تبقى لنصرتهم * وما عليك لهم اسعاد اقدار
لو يعلم الناس فيما أن تدوم لهم * بكوا لانك من توب الصباعارى
ولو اطاقوا انتقاصا من حياتهم * لم يتحفوك بشئ غير أعمار

فحجب عنه وجه رضاه ولم يستنزله بذلك ولا استرضاه وتمادى على اعراضه وقعد عن اظهاره وانهاضه حتى بسطته سوانح السلو وعطفته عليه جوانح الحنو فكتب اليه بهزل غلب فيه كل منزع جزل وهو

قوله السلو والحنو فى نسخة السلق والحنق اه

الملك فى طى الدفاتر * فتخل عن قود العساكر
طف بالسرير مسلما * وارجع لتوديع المنابر
وازحف الى جيش المعا * رف تقهر الحبر المقامر
واطعن باطراف اليرا * ع تصرت فى ثغر المحابر
واضرب بسكين الدوا * ة مكان ماضى الحد باتر
أولست اسطاليس ان * ذكر الفلاسفة الاكابر
وأبو حنيفة ساقط * فى الرأى حين تكون حاضر
وكذاك ان ذكر الخليل فأنت نحوى وشاعر
من هرمس من سيبويه من ابن فورك اذ تناظر
هذى المكارم قد حويت فكن لمن حاباك شاكر
واقعد فانك طاعم * كاس وقل هل من مفاخر
لجبت وجه رضاى عنك وكنت قد تلقاه سافر
أولست تذكر وقت لو * رقة وقلبك ثم طائر
لايستقر مكانه * وأبوك كالضرغام خادر
هلا اقتديت بفعله * واطعته اذ ذاك آمر
قد كان ابصر بالعوا * قب والموارد والمصادر

فكتب اليه الراضى مراجعا بقطعة منها

مولاى قد أصبحت كافر * بجميع ما تحوى الدفاتر
وفلت سكين الدوا * ة وظلت للاقلام كاسر
وعلمت أن الملك ما * بين الاسنة والبواتر
والمجد والعلياء فى * ضرب العساكر بالعساكر
لاضرب أقوال باقـ * ـوال ضعيفات مناكر
قد كنت أحسب من سفا * هنها أصل المفاخر

فاذا

فادابها افـــرع لها * والجهـل للانسان عاذر
لايدرك الشرف الفتى * الابعـــــال وباتر
وهجرت من سميتهم * وجدت انهم اكابر
لو كنت تهوى منيتى * لوجدتنى للعيش هاجر
ضحـك الموالى بالعبيـد اذا تؤمل غـير ضائر
ان كان لى فضـــل فمنـك وهـل لذاك النور ساتر
أوكان بى نقص فمنى غير أن الفضـل غامر
ذكرت عبدك ساعة * يبقى لها ماعاش ذاكر
باليتـــه قد غيبتـه عندها احدى المقابر
أتريد مـنى أن أكو * ن كمن غدا فى الدهر قادر
هيهات ذلك مطمع * يعيى الاوائل والاواخر
لاتنس يامولاى قو * لة ضارع لاقول فاخر
ضبط الجزيرة عندما * نزلت بقفرتها العساكر
أيام ظلت بها فـــريـدا ليس غـير الله ناصر
اذ كان يعشى ناظرى * لمع الاسنة والبواتر
ويصم اسماعى بها * قرع الحجارة بالحوافر
وهى الحضيض سهولة * لكن ثبت بها مخاطر
هبـنى اسأت كما اسأ * ت أما لهـذا العتب آخر
هب زلـتى لبنوتى * واغفـر فان الله غافـر

فقربه وأدناه وصفح عما كان جناه ولم تزل الحال آخذة فى البوار والامور معتلة اعتلال حب الفرزدق للنوار حتى مضوا الغيرطيه وقضوا بين الصوارم والرماح الخطيه حسما سردناه وعلى ما أوردناه واذا أراد الله سبحانه انفاذ أمر سبق فى علمه فلا مرد له ولا معقب لحكمه لااله الاهو رب العالمين انتهى كلام الفتح * وعلى الجملة فكانت دولة بنى عباد بالاندلس من أبهج الدول فى الكرم والفضل والادب حتى قال ابن اللبانة رحمه الله تعالى ان الدولة العبادية بالاندلس أشبه شئ بالدولة العباسية ببغداد سعة مكارم وجمع فضائل ولذلك ألف فيها كتابا مستقلا سماه الاعتماد فى أخبار بنى عباد ولا يلتفت لكلب عقور نبح بقوله

عما زهدنى فى أرض اندلس * اسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة فى غير موضعها * كالهر يحكى انتفاخا صورة الاسد

لان هذه مقالة متعسف كافر للنعم ومثل ذلك فى حقهم لايقدح ومازالت الاشراف تهجى وتمدح * وللمعتمد أولاد ملوك منهم المأمون والرشيد والراضى والمعتمد وغيرهم وقد سردنا خبر بعضهم وكان الدانى المذكور مائلا الى بنى عباد بطبعه اذ كان المعتمد هو الذى جذب بضبعه وله فيه المدائح الانيقه التى هى أزكى من زهر الحديقه فمن ذلك قوله من قصيدة

يمدحه بها ويذكر أولاده الاربعه الذين عمروا من المجد أربعه وهم الرشيد عبيد الله والراضى يزيد والمأمون والمؤتمن وكانوا نجوم ذلك الافق وغيوث ذلك الزمن ولقد أجاد فى ذلك كل الاجاده وأطال لمجدهم نجاده

يغيثك فى محل بعينك فى ردى * يروعك فى درع ويوقك فى برد
جمال واجمال وسبق وصولة * كشمس الضحى كالمزن كالبرق كالرعد
بمهجته شاد العلى ثم زادها * بناء بابناء بها جده اشد
بأربعة مثل الطباع تركبوا * لتعديل ذكر المجد والشرف العد

والمأمون بن المعتمد قتله المتونة بقرطبة والراضى يزيد قتلوه برندة كما سقنا خبره آنفا وفى حالتهم هذه يقول الشاعر المشهور عبد الجبار بن حديس الصقلى

ولما رحلتم بالندى فى اكفكم * وقلقل رضوى منكم وثبير
رفعت لسانى بالقيامة قد دنت * فهذى الجبال الراسيات تسير

وفى قضية المعتمد يقول الدانى المذكور

لكل شئ من الاشياء ميقات * وللمنى فى منايا هذه غايات
والدهر فى صفة الحرباء منغمس * لو أن حالاته فيها استحالات
ونحن من لعب الشطرنج فى يده * وطالما قربت بالبيدق الشاة
انفض يديك من الدنيا وزينتها * فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها الارضى قد كتمت * سريرة العالم العلوى اغمات

وهى طويلة ذكرها الفتح وغيره وللدانى أيضا قصيدة عملها فى المعتمد وهو باغمات سنة ٤٨٦

تنشق بريحان السلام فانما * افضى به مسكا عليك مختما
وقل لى مجازا ان عدمت حقيقة * لعلك فى نعمى فقد كنت منعما
افكر فى عصر مضى بك مشرقا * فيرجع ضوء الصبح عندى مظلما
وأعجب من افق المجرة اذ رأى * كسوفك شمسا كيف أطلع انجما
لئن عظمت فيك الرزية انها * وجدنا لك منها فى الرزية أعظما
قناة سعت للطعن حتى تقصمت * وسيف اطال الضرب حتى تثلما

ومنها

يبكى آل حمود ولا كمحمد * وأولاده صوب الغمامة اذهمى
حبيب الى قلبى حبيب وقومه * عسى طلل يدنو بهم ولعلما
صباحهم كانت بمحمد السرى * فلما عدمناهم سرينا على عمى
وكنا رعينا العز حول حماهم * فقد أجدب المرعى وقد أقفر الحمى
وقد ألبست أيدى الليالى قلوبهم * مناسج سدى الغيث فيها وألحما
قصور خلت من ساكنيها فغابها * سوى الادم تمشى حول واقفة الدمى
تجيب بها الهام الصدى ولطالما * اجاب القيان الطائر المترنما
كان لم يكن فيها أنيس ولا التقى * بها الوفد جمعا والخميس عرمرما

ومنها

ومنها

حكيت وقد فارقت ملكك مالكا * ومن ولهى احكى عليك مقسما
مصاب هوى بالنيرات من العلى * ولم يبق فى أرض المكارم معلما
تضيق على الارض حتى كانما * خلقت واياها سوارا ومعصما
ندبتك حتى لم يخل لى الاسى * دموعا بها أبكى عليك ولادما
وانى على رسمى مقيم فان امت * ساجعل للباكين رسمى موسما
بكاك الحيا والريش شقت جيوبها * عليك وناح الرعد باسمك معلما
ومزق ثوب البرق واكتست الضحى * حدادا وقامت أنجم الجو اتما
وحار ابنك الاصباح وجدا فما اهتدى * وغار أخوك البحر غيضا فما طمى
وما حل بدر التم بعدك دارة * ولا أظهرت شمس الظهيرة مبسما
قضى الله أن حطولك عن ظهر أشقر * بشم وان امطولك اشأم أدهما

وكان قد انفكت عنه القيود فاشار الى ذلك بقوله فيها

قيودك ذابت فانطلقت لقد غدت * قيودك منهم بالمكارم أرحما
عجبت لأن لان الحديد وان قسا * لقد كان منهم بالسريرة أعلما
سينجيك من نجى من السجن يوسفا * ويؤويك من آوى المسيح ابن مريما

ولابى بكر الدانى المذكور فى البكاء على أيامهم وانتثار نظامهم عدة مقطعات وقصائد هى قرة عين الطالب ونجعة الرائد وقد اشتمل عليها جزء لطيف صدر عنه فى هيئة تصنيف سماه السلوك فى وعظ الملوك ووفد على المعتمد وهو باغمات عدة وفادات لم يخل فى جميعها من افادات وقال فى احداها هذه وفادة وفاء لا وفادة اجتداء قال غير واحد من النادر الغريب انه نودى على جنازته الصلاة على الغريب بعد عظم سلطانه وسعة أوطانه وكثرة صقالبته وحبشانه وعظم أمره وشانه فتبارك من له العزة والبقاء والدوام واجتمع عند قبره جماعة من الاقوام الذين لهم فى الادب حصه ولقضية المعتمد فى صدورهم غصه منهم البالغ فى البلاغة الامد شاعره أبو بحر عبد الصمد وكان به خصيصا وكم ألبسه من برزه حلة وقميصا فقال من قصيدة طويلة أجاد فيها ماشا وجلب بها الى أنفس الحاضرين بعد الانس ايحاشا مطلعها

ملك الملوك أسامع فأنادى * أم قد عدتك عن السماع عوادى
لما خلت منك القصور ولم تكن * فيها كما قد كنت فى الاعياد
قبلت فى هذا الثرى لك خاضعا * وجعلت قبرك موضع الانشاد

فلما بلغ من انشاده الى مراده قبل الثرى ومرغ جسمه وعفر خده فبكى كل من حضر وحذفه ذلك عن سرور العيد وصده اذ كانت هذه القصة يوم عيد فسبحان المبدئ المعيد * ويحكى ان رجلا رأى فى منامه اثر الكائنة على المعتمد بن عباد كان رجلا صعد منبر جامع قرطبة فاستقبل الناس وأنشد هذه الابيات متمثلا

رب ركب قد أناخوا عيسهم * فى ذرى مجدهم حين بسق

سكت الدهر زمانا عنهم * ثم أبكاهم دما حين نطق

وعاش أبو بكر بن اللبانة المعروف بالدانى المذكور آنفا بعد المعتمد وقدم ميورقة آخر شعبان سنة ٤٨٩ ومدح ملكها مبشر بن سليمان بقصيدة مطلعها

ملك يروعك فى حلى ريعانه * راقت برونقه صفات زمانه

وأين هذا من أمداحه فى المعتمد * وتذكرت هنا من أحوال الدانى انه دخل على ابن عمار فى مجلس فأراد أن يندر به وقال له اجلس يا دانى بغير ألف فقال له نعم يا ابن عمار بغير ميم وهذا هو الغاية فى سرعة الجواب والاخذ بالثار فى المزاح * ونظيره وان كان من باب آخر ان المعتمد مر مع وزيره ابن عمار ببعض أرجاء اشبيلية فلقيتهما امرأة ذات حسن مفرط فكشفت وجهها وتكلمت بكلام لا يقتضيه الحياء وكان ذلك بموضع الجباسين الذين يصنعون الجبس والجيارين الصانعين للجير باشبيلية فالتفت المعتمد الى موضع الجيارين وقال يا ابن عمار الجيارين ففهم مراده وقال فى الحال يا مولاى والجباسين فلم يفهم الحاضرون المراد وتحيروا فسألوا ابن عمار فقال له المعتمد لاتبعها منهم الاغالية وتفسيرها ان ابن عباد صحف الجيارين بقوله الجيارين اشارة الى أن تلك المرأة لو كان لها حياء لازدانت فقال له والجباسين وتصحيفه والخناشين أى هى وان كانت جميلة بديعة الحسن لكن الخناشانها وهذا شأو لا يلحق * ومن أخبار المعتمد انه جلس يوما والبزاة تعرض عليه فاستحث الشعراء فى وصفها فصنع ابن وهبون بديها

لصيد قبلك سنة . أثورة * لكنها بك أبدع الاشياء

تمضى البزاة وكلما أمضيتها * عاطيتها بخواطر الشعراء

فاستحسنها وأسنى جائزته * وذكر ابن بسام ان أبا العرب الصقلى حضر مجلس المعتمد يوما وقد حمل اليه سول وافرة من قراريط الفضة فأمر له بكيسين منها وكان بين يديه تماثيل عنبر من جملتها جمل مرصع بالذهب واللآلى فقال له ابو العرب معرضا بما يحمل هذين الكيسين الاجمل فتبسم المعتمد وأمر له به فقال ابو العرب بديها

أجد يتنى جملا جونا شفعت به * جملا من الفضة البيضاء لو جملا

تتاج جودك فى اعطان مكرمة * لا قد تصرف من منع ولا عقلا

فاعجب لشانى فشأنى كله عجب * رفهتنى فحملت الجل والجملا

قوله أجد يتنى فى نسخة أهد يتنى وقد ذكر ذلك فى غير هذا المحل اه

وذكر الجارى هذه القصة فقال قعد المعتمد فى مجلس احتفل فى تنضيده واحضار الظرائف الملوكية وكان فى الجملة تمثال جمل من بلور وله عينان من ياقوتتين وقد حلى بنفائس الدر فأنشده أبو العرب قصيدة فأمر له بذهب كثير مما كان بيده من السكة الجديدة فقال معرضا بذلك الجمل ما يحمل هذه الصلة الاجمل فقال خذ هذا الجمل فانه حمال أثقال فارتجل شعرا منه * رفهتنى فحملت الجل والجملا * وذكر أن ذلك الجمل بيع بخمسمائة مثقال فسارت بهذا الخبر الركائب وتهادته المشارق والمغارب * وتباحث المعتمد مرة مع الجلساء فى بيت المتنبى الذى زعم انه أمير شعره

أزورهم وسواد الليل يشفع لى * وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

فقال

فقال ماقصر فى مقابلة كل لفظة بضدها الا أن فيه نقدا خفيا ففكروا فيه فلما فكروا قالوا له ماوقفنا على شئ فقال الليل لايطابق الا بالنهار ولايطابق بالصبح لان الليل كلى والصبح جزئى فتعجب الحاضرون وأثنوا على تدقيق انتقاده قال الصفدى قلت ليس هذا بنقد صحيح والصواب مع أبى الطيب لانه قال أزورهم وسواد الليل يشفع لى فهذا محب يزور أحبابه فى سواد الليل خوفا ممن يشى به فاذا لاح الصبح أغرى به الوشاة ودل عليه أهل النمية والصبح أول مايغرى به قبل النهار وعادة الزائر المريب أن يزور ليلا وينصرف عند انفجار الصبح خوفا من الرقباء ولم تجر العادة ان الحائف يتلبث الى أن يتوضح النهار ويتلئ الافق نورا فذكر الصبح هنا أولى من ذكر النهار والله أعلم انتهى قلت كان يحتلج فى صدرى ضعف ماقال الصفدى حتى وقفت على ما كتبه البدر البشتكى ومن خطه نقلت ماصورته هو ماانتقد عليه المعنى انما انتقد عليه مطابقة الليل بالصبح فان ذلك فاسد انتهى فحمدت الله على الموافقة انتهى * وقال فى بدائع البدائه جلس المعتمد للشرب وذلك فى وقت مطر أجرى كل وهدة نهرا وحلى جيد كل غصن من الزهر جوهرا وبين يديه جارية تسقيه وهى تقابل وجهها بنجم الكاس فى راحة كالثريا تخجل الزهر بطيب العرف والريا فاتفق أن لعب البرق بحسامه وأجال سوطه المذهب يسوق به ركامه فارتاعت لخطفته وذعرت من خيفته فقال المعتمد بديها

روعها البرق وفى كفها * برق من القهوة لماع
عجبت منها وهى شمس الضحى * كيف من الانوار ترتاع

واستدعى عبد الجليل بن وهبون المرسى وأنشده البيت الاول مستجيزا فقال عبد الجليل

ولن أرى أعجب من آنس * من مثل مايسلك يرتاع

فاستحسنه وأمر له بجائزة قال ابن ظافر وبيته عندى أحسن من بيت المعتمد انتهى * وقال ابن بسام كان فى قصر المعتمد فيل من الفضة على شاطئ بركة يقذف الماء وهو الذى يقول فيه عبد الجليل بن وهبون من بعض قصيدة

ويفرغ فيه مثل النصل بدع * من الافيال لايشكو ملالا
رعى رطب اللجين فجاء صلدا * تراه قلما يخشى هزالا

فجلس المعتمد يوما على تلك البركة والماء يجرى من ذلك الفيل وقد أوقدت شمعتان من جانبيه والوزير أبو بكر بن الملح عنده فصنع الوزير فيهما عدة مقاطيع بديهيا منها

ومشعلين من الاضواء قد قرنا * بالماء والماء بالدولاب منزوف
لاحا لعينى كالنجمين بينهما * خط المجرة ممدود ومعطوف

وقال أيضا

كانما النار فوق الشمعتين سنا * والماء من منفذ الانبوب منسكب
غمامة تحت جنح الليل هامعة * فى جانبيها خفاق البرق يضطرب

وقال أيضا

وانبوب ماء بين نارين ضمنا * هوى لكؤس الراح تحت الغياهب

وبين يديه الخ هكذا فى الاصل والذى رأيته فى البدائع مانصه وبين يديه ساقية تخجل الزهر بطيب العرف والريا وتقابل بدر وجهها بشهاب الكاس فى راحة الثريا فاتفق أن لعب البرق بحسامه وأجال سوطه المذهب ليسوق به ركاب ركامه الخ اه

كأن اندفاع الماء بالماء حية * يحتز كها فى الماء لمع الحباحب

وقال أيضا

كأن مراجى مربهم فى التفاتها * وأثبوب ماء الفيل فى سيلانه
كريم تولى كبره من كليهما * لثيمان فى انفاقه بعد لانه

ولما مات والد المعتمد واستقل بالملك قال ذو الوزارتين بن زيدون يرثى المعتضد ويمدح المعتمد بقصيدة طويلة أولها

هو الدهر فاصبر للذى أحدث الدهر * فمن شيم الاحرار فى مثلها الصبر
ستصبر صبر اليأس أو صبر وحشة * فلا تؤثر الوجه الذى معه الوزر
حذارك من أن يعقب الرزء فتنة * يضيق بها عن مثل ايمانك العذر
اذا أسف الثكل اللبيب فشفه * رأى أن مدح الثكلين أن يذهب الاجر
مصاب الذى يأسى بموت نوابه * هو البرح لا الميت الذى أحرز القبر
حياة الورى نهج الى الموت مهيع * لهم فيه ايضاع كما يوضع السفر

ومنها

اذا الموت أضحى قصد كل معمر * فان سواء طال أو قصر العمر
ألم تر أن الدين ضيم ذماره * فلم يغن أنصار عديدهم دثر
بحيث استقل الملك ثانى عطفه * وجرر من أذياله العسكر المجر
هو الضيم لو غير القضاء يرومه * ثناه المرام الصعب والمسلك الوعر
اذا عثرت جرد العناجيج فى القنا * بليل بجاج ليس يصدعه فجر

ومنها

أعباد يا أوفى الملوك لقد عدا * عليك زمان من مهيبته الغدر

الى أن قال بعد أبيات كثيرة

الا أيها المولى الوصول عبيده * لقد رابنا أن يتلوا الصلة الهجر
يغاديك داعينا السلام كعهده * فما يسمع الداعى ولا يرفع الستر
أعتب علينا ذاوعن ذلك الرضا * فتسمع أم بالمسمع المعتلى وقر

ومنها

وكيف بنسيان وقد ملأت يدى * جسام أياد منك أيسرها الوفر
وان كنت لم أشكر لك المن التى * تمليتها تترى فلا بقى الكفر
فهل علم الشلو المقدس انى * مدى غ حال حارق كنهها الدهر
وان متانى لم يضعه محمد * خليفتك العدل الرضى وابنك البر
هو الظافر الاعلى المؤيد بالذى * له فى الذى وفاه من صنعه سر
له فى اختصاصى مارأيت وزادنى * مزية زانى من نتائجها الفخر
وأرغم فى برى أنوف عصابة * لقاؤهم جهم ولحظهم شزر
اذا ما انتوى فى الدست عاقد حبوة * وقام سماطا حفله فلى الصدر

وفى نفسه العلياء لى متبوأ * بساحتى فيه السماكان والنسر

ومنها

لك الخير ان الرزء كان غيابة * طلعت لنا فيها كما طلع البدر
فقرت عيون كان أمضها البكا * وقرت قلوب كان زلزلها الذعر

ومنها

ولما قدمت الجيش بالامر أشرقت * اليك من الآمال آفاقها الغبر
فقضيت من فرض الصلاة لبانة * فشيعها نسك وقارنها طهر
ومن قبل ما قدمت مشى نوافل * يلاقى بها من صام من غيره فطر
ورحت الى القصر الذى غض طرفه * بعيد التسامى أن غداغيره القصر
وأجل عن التاوى العزاء فان توى * فانك لا الوانى ولا الضرع الغمر
وما أعطت السبعون قبل أولى الحجا * من اللب ما أعطاك عشرولك العمر
ألست الذى ان ضاق ذرع بحادث * تبلج منه الوجه واتسع الصدر
فلا تمض الدنيا جناحك بعده * فحنك لمن هاضت نوائبها جبر
ولازلت موفور العديد بقرة * لعينك مشدودا بها ذلك الأزر
فانك شمس فى سماء رياسة * تطلع منها حولنا أنجم زهر
شككنا فلم تثبت لايام دهرنا * بها وسن أم هز أعطافها سكر
وما ان تغشتها مغازلة الكرا * وما ان تمشت فى معاطفها الخمر
سوى نشوات من حصايا ممالك * يصدق فى علياتها الخبر الخبر
أرى الدهر ان يعطش فأنت يمينه * وان تضحك الدنيا فأنت لها ثغر
وكم سائل بالغيب عنك أجبته * هنالك الايادى الشفع والسود الوتر
هنالك التقى والعلم والحلم والنهى * وبذل اللها والبأس والنظم والنثر
همام اذا لاقى المنايا رددنه * واقباله خطر وادباره حصر
محاسن ما للروض سامره الندى * رواء اذا نصت حلاها ولا نشر
متى انتشقت لم تدر دارين مسكها * حياء ولم يفخر بعنبره الشحر
عطاء ولا من وحكم ولا هوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر
قد استوفت النعماء فيك تمامها * علينا فنحمد الله والشكر

وكتب ابن زيدون المذكور الى المعتمد رحمهما الله تعالى يشوقه الى تعاطى الحميا فى قصوره البديعة التى منها المبارك والثريا

فزيا النجاح وأحرز الآمالا * وخذ المنى وتحيز الآمالا
وليهنك التأييد والظفر الذى * صدقاك فى السمة العلية فالا
يا أيها الملك الذى لولاه لم * تجد العقول الناشدات كمالا
أما الثريا فالثريا نسبة * وافادة وانافة وجمالا
قد شاقها الاعجاب حتى انها * لو تستطيع سرت اليك خيالا

رفد ورودكها لتغنم راحه * واطل مزاركها لتسم بالا
وتأمل القصر المبارك وجنة * قد وسطت فيها الثريا خالا
وأدر هنالك من المدام كؤسها * وأعبها وأشفها جريالا
قصر يقر العين منه مصنع * يهج الجوانب لو مشى لاختالا
لازالت تفترش السرور حدائقا * فيه وتلتحف النعيم ظلالا

وأهدى اليه تفاحا واعتقد أن يكتب معه قطعة فبدأ بها ثم عرض له غيرها فتركها ثم ابتدا

دونك الراح جامده * وفدت خيروافده
وجدت سوق ذوبها * عندك اليوم كاسده
فاستحالت الى الجو * دوجاءت مكايده

وكتب الى المعتمد

يا أيها الظافر نلت المنى * ولا اتانا فيك محذور
ان الخلال الزهر قد ضمها * ثوب عليك الدهر مزرور
لازال للمجد الذى شدته * ربع بتعميرك معمور
وافاك نظم لى فى طيه * معنى معمى اللفظ مستور
مرامه يصعب مالم يبح * بالسر قرى وشعر رور

وذكر أبيا تا فيها أسماء طيور عمى بها عن بيت طيره فيها والبيت المطير فيه

أنت ان تغز ظافر * فليطع من ينافر

ففكه المعتمد وجاوبه

يا خير من يلحظه ناظرى * شهادة ما شانها زور
ومن اذا خطب دجا ليله * لاح به من رأيه نور
جاءتنى الطير التى سرها * نظم به قلبى مسرور
شعر هو السحر فلا تنكروا * انى به ماعشت مسحور
اللفظ والقرطاس ان شبها * قيل هما مسك وكافور
هوى لحسن الطير من فكرتى * صقر تولى وهو مقهور
ولاح لى بيت فؤادى له * دأبا على وذلك مقصور
حظك من شكرى ياسيدى * حظ تعالى منك موفور
قصرت فى نظمى فاعذر فمن * ضاهاك فى التقصير معذور
فأنت ان تنظم وتنثر فقد * أعوز منظوم ومنثور
لايعدكم روض من الحظ فى الاكرام والترفيع ممطور

فكتب اليه ابن زيدون

حظى من نعماك موفور * وذنب دهرى بك مغفور
وجانبى ان رامه أزمة * جر لدى ظلك مجبور

يا ابن الذى سرب الهدى آمن * منذ انبرى يحميه مخفور
وآمر الدهر الذى لم يزل * يصغى اليه منه مأمور
ألبس منك الدهر أسنى الحلى * بظافر منحاه منصور
قام وفى المأثور يا من له * مجد مع الايام مأثور
عبدك ان أكثر من شكره * فهو بما توليه مكثور
ان تعف عن تقصيره منعما * فاليسر أن يقبل معسور
ان حلال السحر ان صغته * فى صحف الانفس مسطور
نظم زهانى به اذ جانى * علق عظيم القدر مذخور
لاغروان أفتن اذ لاحظت * فكرى منه أعين حور
ثم عن معناه ألفاظه * كما ونى بالراح بلور
جهلت اذ عارضته غير أن * لابد أن ينفث مصدور
يا آل عباد موالاتكم * ذا الثمن الاعمال مبرور
ان الذى يرجو موازاتكم * من المناوين لمغرور
مكانه منكم كما انحط عن * منزلة المرفوع مجرور
لازلتم فى غبطة ما انجلى * عن فلق الاصباح ديجور
ولا يزل يجرى بما شئتم * أعماركم لله مقدور

وكتب المعتمد الى ابن زيدون بعد أن قلت معى كتب به اليه ابن زيدون ما صورته

العين بعدك تقذى * بكل شئ تراه
فليجل شخصك عنها * ما بالمغيب جناه

وقد قدمنا من كلام أبى الوليد بن زيدون رحمه الله تعالى ما فيه كفاية (رجع الى بنى عباد) قال ابن حديس لما قدمت وافدا على المعتمد بن عباد استدعانى وقال افتح الطاق فاذا بكبير زجاج والنار تلوح من بابه وواقده يفتحهما تارة ويسدهما أخرى ثم أدام سد أحدهما وفتح آخر فحين تأملتهما قال لى أجز

انظر هما فى الظلام قد نجما * فقلت * كمارنا فى الدجنة الاسد

فقال

يفتح عينيه ثم يطبقها * فقلت * فعل امرئ فى جفونه رمد

فقال

فابتزه الدهر نور واحدة * فقلت * وهل نجا من صروفه أحد

فاستحسن ذلك وأطربه وأمر لى بجائزة وألزمنى الخدمة * وعلى ذكر ابن حديس فما أحسن قوله

أرانى ركبت فى الاهوال بحرا * عظيما ليس يؤمن من خطوبه
تسير فلكه شرقا وغربا * وتدفع من صباه الى جنوبه
واصعب من ركوب البحر عندى * أمورا لجأتك الى ركوبه

قوله قام وفى المأثور الخ هكذا فى الاصل ولعله محرف والاصل فعاد فى المأثور أو نحو ذلك وليحرر اه مصححه

ولغيره

ان ابن ادم طين ● والبحر ماء يذيبه
لولا الذى فيه يتلى ● ماجاز عندى ركوبه

وقال ابن حديس فى هذا المعنى

لاأركب البحر أخشى ● على منه المعاطب
طين انا وهو ماء ● والطين فى الماء ذائب

(رجع الى بنى عباد رحمهم الله تعالى) قال ابن بسام أخبرنى الحكيم النديم المطرب أبو بكر الاشبيلى قال حضرت مجلس الرشيد بن المعتمد بن عباد وعنده الوزير أبو بكر بن عمار فلما دارت الكاس وتمكن الانس وغنيت أصواتا ذهب الطرب بابن عمار كل مذهب فارتجل يخاطب الرشيد

ماضر ان قيل اصحق وموصله ● ها أنت أنت وذى حمص واسحق
أنت الرشيد فدع من قد سمعت به ● وان تشابه أخلاق وأعراق
لله درك دار كها مشعشعة ● واحضر بساقيك ماقامت بناساق

وكان الرشيد هذا أحد أولاد المعتمد النجباء وله أخبار فى الكرم يقضى الناظر فيها من أمرها عجبا وكذلك اخوته وقد ألممنا فى هذا الكتاب بجملة من محاسنهم وأتممنا اعتماد الملقبة بالرميكية هى التى ترجمناها فى هذا الموضع واقتضت المناسبة ذكر أمر بنى عباد فلنعد الى ماكنا بصدده من أخبارها رحمها الله تعالى فنقول قال ابن سعيد فى بعض مصنفاته كان المعتمد كثيرا مايأنس بها ويستظرف نوادرها ولم تكن لها معرفة بالغناء وانما كانت مليحة الوجه حسنة الحديث حلوة النادر كثيرة الفكاهة لها فى كل ذلك نوادر محكية وكانت فى عصرها ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن وهى أبدع منها محلا وأحسن اقتنانا وأجل منصبا وكان أبوها أمير قرطبة ويلقب بالمستكفى بالله وأخبار أبى الوليد بن زيدون معها وأشعاره فيها مشهورة انتهى ملخصا * ومن أخبار الرميكية القصة المشهورة فى قولها ولايوم المطين وذلك انها رأت الناس يعشون فى الطين فاشتهت المشى فى الطين فأمر المعتمد فسحقت أشياء من الطيب وذرت فى ساحة القصر حتى عمته ثم نصبت الغرابيل وصب فيها ماء الورد على أخلاط الطيب وعجنت بالايدى حتى عادت كالطين وخاضتها مع جواريها وغاصبها فى بعض الايام فاقسمت انها لم ترمنه خيرا قط فقال ولايوم المطين فاستحيت واعتذرت وهذا مصداق قول نبينا صلى الله عليه وسلم فى حق النساء لو احسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت مارأيت منك خيرا قط قلت ولعل المعتمد اشار فى أبياته الرائية الى هذه القضية حيث قال فى بنانه

يطأن فى الطين والاقدام حافية ● كانهن لقد أسكرن كافورا

ويحتمل أن يكون اشار بذلك الى ماجرت به عادة الملوك من ذر الطيب فى قصورهم حتى يطؤه باقدامهم زيادة فى التنعم وسبب قول المعتمد ذلك ماحكاه الفتح فقال وأول عيد أخذه يعنى المعتمد بأغمات وهو سارح وماغير الشجون له مبارح ولازى الاحالة الذهول

واستحالته

واستحالة الحول فدخل اليه من يسليه ويسلم عليه وفيهم بناته وعليهن أطمار كانها كوف وهن أقمار يكنين عند التساؤل ويدين الخشوع بعد التضايل والضياع قد غير صورهن وحير نظرهن وأقدامهن حافيه وآثار نعيمهن عافيه فقال

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا • فساءك العيد في اغمات مأسورا
ترى بناتك في الاطمار جائعة • يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة • أبصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن في الطين والاقدام حافية • كانهن لطامسكا وكافورا
لاخد الا تشكى الجدب ظاهرة • وليس الا مع الانفاس ممطورا
افطرت في العيد لا عادت مسراته • فكان فطرك للاكباد تفطيرا
قد كان دهرك ان تأمره ممتثلا • فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك في ملك يسر به • فانما بات بالاحلام مغرورا

انتهى • وقال الفتح أيضا ولما انتقل المعتمد من بلاده واعرى من طارفه وتلاده وحل في السفين وأحل في العدوة محل الدفين تندبه منابره وأعواده ولا يدنو منه زواره ولا عواده بقي اسفا تتصعد زفراته وتطرد اطراد المذانب عبراته لا يخلو بموانس ولا يرى الا عربيا بدلا من تلك المكانس ولما لم يجد سلوا ولم يؤمل دنوا ولم ير وجه مسرة مجلوا تذكر منازله فشاقته وتصور بهجتها فراقته وتخيل استيحاش اوطانه واجهاش قصره الى قطانه واظلام جوه من انواره وخلوه من حراسه وسماره فقال

بكى المبارك في اثر ابن عباد • بكى على اثر غزلان وآساد
بكت ثرياه لما غمت كواكبها • بمثل نوء الثريا الرائح الغادى
بكى الوحيد بكى الزاهي وقبته • والنهر والتاج كل منه بادى
ماء السماء على افنائه درر • باجة البحر دوحى ذات ازهاد

وفي ذلك يقول ابن اللبانة

أستودع الله أرضا عند ما وضحت • بشائر الصبح فيها بدلت حبكا
كان المؤيد بستانا بساحتها • يجنى النعيم وفي علياتها فلكا
في أمره لملوك الدهر معتبر • فليس يغتر ذو ملك بما ملكا
تبكيه من جبل شرقت قواعده • فكل من كان في بطحائه هلكا

وكان القصر الزاهي من أجل المواضع لديه وابهاها وأحبها اليه واشهاها لاطلاله على النهر واشرافه على القصر وجماله في العيون واشتماله بالزهر والزيتون وكان له به من الطرب والعيش المزري بحلاوة الضرب ما لم يكن بحلب لبني حمدان ولا لسيف ابن ذي يزن في رأس غمدان وكان كثيرا ما يدير به راحه ويجعل فيه انشراحه فلما امتد الزمان اليه بعدوانه وسد عليه أبواب سلوانه لم يحن الا اليه ولم يتمن غير الحلول لديه فقال

غريب بارض المغربين أسير • سيبكى عليه منبر ومسير

وتندبه البيض الصوارم والقنا * وينهل دمع بينهن غزير
مضى زمن والملك مستأنس به * وأصبح منه اليوم وهو نفور
برأى من الدهر المضال فاسد * متى صلحت للصالحين دهور
اذل بنى ماء السماء زمانهم * وذل بنى ماء السماء كبير
فيالبت شعرى هل أبيتن ليلة * أمامى وخلفى روضة وغدير
بمنبتة الزيتون مورقة العلى * تغنى حمام أو ترن طيور
بزاهرها السامى الذى جاده الحيا * تشير الثريا نحونا ونشير
ويلحظنا الزاهى وسعد سعوده * غيورين والصب المحب غيور
تراه عسيرا لا يسيرا منالة * ألا كل ماشاء الاله يسير

انتهى * وقال الحجارى فى المسهب ان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اهدى الى المعتمد جارية مغنية قد نشأت بالعدوة وأهل العدوة بالطبع يكرهون أهل الاندلس وجاء بها الى اشبيلية وقد كثر الارجاف بان سلطان الملثمين ينتزع بلاد ملوك الطوائف منهم واشتغل خاطر ابن عباد بالفكر فى ذلك فخرج بها الى قصر الزهراء على نهر اشبيلية وقعد على الراح فخطر بفكره أن غنت عند ما انتشى هذه الابيات

حملوا قلوب الاسد بين ضلوعهم * ولووا عمائمهم على الاحجار
وتقلدوا يوم الوغا هندية * امضى اذا انتضيت من الاقدار
ان خوفوك لقيت كل كريهة * أو أمنوك حللت دار قرار

فوقع فى قلبه انها عرضت بسادتها فلم يملك غضبه ورمى بها فى النهر فهلكت انتهى فقدر الله تعالى أن كان تمزيق ملكه على يدهم تصديقا للجارية فى قولها (ان خوفوك لقيت كل كريهة) وحصره جيوش لمتونة الملثمين حتى أخذوه قهرا وسيق الى أمير المسلمين والقصة مشهورة * وقال الفتح فى شأن حصار المعتمد ماصورته ولما تم فى الملك أمده وأراد الله تعالى أن تخترم عمده وتنقرض ايامه وتتقوض عن عراص الملك خيامه نازلته جيوش أمير المسلمين ومحلاته وظاهرته فساطيطه ومقلاته بعد ما ثرت حصونه وقلاعه وسعرت بالنكاية جوانحه واضلاعه وأخذت عليه الفروج والمضايق والقت اليه الموانع والعوائق وطرقته طوارقها بالاضرار وأمطرته من النكاية كل ديمة مدرار وهوساه بروض ونسيم لاه براح ومحياوسيم زاه بفتاة تنادمه ناه عن هدم انس هو هادمه لايصيخ الى تباشعه ولا يتيح الاعلى لهو يفترق جوعه جمعه وقد ولى المدامة ملامه وثنى الى ركنها طوافه واستلامه وتلك الجيوش تجوس خلاله وتقلص ظلاله وحين اشتد حصاره وعجز عن المدافعة أنصاره ودلس عليه ولاته وكثرت ادواؤه وعلاته فتح باب الفروج وقد لاح شواظ الهرج فدخلت عليه من المرابطين زمره واشتعلت من التقلب جمره تاج اضطرامها وسهل بها ايقاد الفتنة واضرامها وعند ما سقط الخبر عليه خرج حاسرا عن مفاضته جامحا كالمهر قبل رياضته فلحق أوائلهم عند الباب المذكور وقد انتشروا فى جنباته وظهروا على البلد من أكثر جهاته وسيفه فى يده يتلظ للطلى والهام وبعد بانفراج ذلك

الاستبهام فرماه أحد الداخلين برمح تخطاه وجاوز مطاه فبادره بضربة أذهبت نفسه وأغربت شمسه ولقى ثانيا فضربه وقسمه وخاض جيش ذلك الدم وحسمه فاجلوا عنه وولوا فرارا منه فأمر بالباب فسد وبنى منه ما هدم ثم انصرف وقد أراح نفسه وشفاها وأبعد الله تعالى عنه الملامة ونفاها وفى ذلك يقول عند ما خلع وأودع من المكروه ما أودع

ان يسلب القوم العدا * ملكى وتسلمنى الجموع
فالقلب بين ضلوعه * لم تسلم القلب الضلوع
قد رمت يوم نزالهم * أن لا تحصننى الدروع
وبرزت ليس سوى القميـ * ـص على الحشا منى دفوع
اجلى تاخر لم يكن * بهواه ذلى والخضوع
ما سرت قط الى الفتا * ل وكان من أملى الرجوع
شيم الالى انا منهم * والاصل تتبعه الفروع

وما زالت عقارب تلك الداخلة تدب ثم ذكر الفتح تمام هذا الكلام فراجعه فيما مر بنحو ثلاث ورقات * ومن حكايات مجالس انسه ايام ملكه قبل أن ينظمه صرف الدهر فى سلكه ما حكاه الفتح عن ذخر الدولة انه دخل عليه فى دار المزينية والزهر يحسد اشراق مجلسه والدر يحكى اتساق تانسه وقد ردت الطير شدوها وجودت طربها اولهوها وجددت كلفها وشجوها والغصون قد التصفت بسندسها والازهار تحيى بطيب تنفسها . والنسيم يلم بها فتضعه بين أجفانها وتودعه أحاديث آذارها ونيسانها وبين يديه فتى من فتيانه ينتفى تثنى القضيب ويحمل الكاس فى راحة أبهى من الكف الخضيب وقد توشح وكان الثريا وشاحه وانارفكان الصبح من محياه كان اتضاحه فلما ناوله الكاس خامرته سوره وتخيل أن الشمس تهديه نوره فقال المعتمد

قد ساق مهفهف عنج * قد قام بسقى فجاء بالعجب
اهدى لنا من لطيف حكمته * فى جامد الماء ذائب الذهب

ولما وصل لورقة استدعى ذا الوزارتين القائد أبا الحسن بن البسع ليلته تلك فى وقت لم يخف فيه زائر من مراقب ولم يبد فيه غير نجم ثاقب فوصل وما للا من الى فؤاده وصول وهو يتخيل أن الجو صوارم ونصول بعد أن وصى بما خلف وودع من تخلف فلما مثل بين يديه آنسه وازال توجسه وقال له خرجت من اشبيلية وفى النفس غرام طويته بين ضلوعى وكفكفت فيه غرب دموعى بفتاة هى الشمس أو كالشمس اخالها لا يحول قلبها ولا خلفا لها وقد قلت فى يوم وداعها عند تفطر كبدى وانصداعها

ولما التقينا للوداع غدية * وقد خفقت فى ساحة القصر رايات
بكينا دما حتى كان عيوننا * تجرى الدموع الحمر منها جراحات

وقد زارتنى هذه الليلة فى مضجعى وأبرأتنى من توجعى ومكنتنى من رضابها وقبلتنى بدلالها وخضابها فقلت

أباح لطيفى طيفها الخدّ والنهدا * فعض بها تفاحة واجتنى وردا
ولو قدرت زارت على حال يقظة * ولكن حجاب البين ما بيننا مدّا
أما وجدت عنا الشجون معرّجا * ولا وجدت منا خطوب النوى بدّا
سقى الله صوب القطر أمّ عبيدة * كما قد سقت قلبى على حرّه بردا
هى الظبى جيدا والغزالة مقلة * وروض الرياعرفا وغصن النقا قدّا

فكرّر استجادته وأكثر استعادته فأمر له بخمسمائة دينار وولاه لورقة من حينه قال الفتح وأخبرنى ابن اللبانة انه استدعاه ليلة الى مجلس قد كساه الروض وشيه وامتثل الدهر فيه أمره ونهيه فسقاه الساقى وحياه وسفره الانس عن مونق محياه فقام للمعتمد ماد حا وعلى دوحة تلك النعماء صادحا فاستجاد قوله وأفاض عليه طوله فصدر وقد امتلأت يداه وغمر جوده ونداه فلما حل بمنزله وافاه رسوله بقطيع وكاس من بلار قد أترعا بصرف العقار ومعهما

جاءتك ليلا فى ثياب نهار * من نورها وغلالة البلار
كالمشترى قد لفّ من مرّيخه * اذ لفه فى الماء جذوة نار
لطف الجود لذا وذا فتألفا * لم يلق ضدّ ضدّه بنفار
يتحير الراؤن فى نعتيهما * أصفاء ماء أم صفاء درارى

وقال الفتح أيضا وأخبرنى ذخر الدولة انه استدعاه فى ليلة قد ألبسها البدر رواءه وأوقد فيها أضواءه وهو على الحيرة الكبرى والنجوم قد انعكست فيها تخالها زهرا وقابلتها المجرّة فسالت فيها نهرا وقد رجت نوافح الند وماست معاطف الرند وحسد النسيم الروض فوشى بامراره وأفشى حديث آسه وعراره ومشى مختالا بين لبات النور وأزراره وهو وجم ودمعه منسجم وزفراته تترجم عن غرامه وتجمجم عن تعذر مرامه فلما نظر اليه استدناه وقرّبه وشكا اليه من الهجران ما استغربه وأنشده

أيا نفس لا تجزعى واصبرى * والا فان الهوى متلف
حبيب جفاك وقلب عصاك * ولاح لحاك ولا منصف
شجون منعن الجفون الكرا * وعوّضنها أدمعا تنزف

فانصرف ولم يعلمه بقصته ولا كشف له عن غصته انتهى * وقال الفتح أيضا أخبرنى ذخر الدولة بن المعتضد انه دخل عليه فى ليلة قد امتطى السرور صنامها وامتطى الحبور غاربها وسنامها وراع الانس فؤادها وستر رياض الاماني سوادها وغازل نسيم الروض زوارها وعوّادها ونور السراج قد قلص اذيالها ومحا من جنبتى الارض نيالها والمجلس مكتس بالمعالى وصوت المثانى والمثالث عالى والبدر قد كمل والتحف بضوئه القصر واشتمل وتزين بسناه وتجمل فقال المعتمد

ولقد شربت الراح يسطع نورها * والليل قد مدّ الظلام رداء
حتى تبدّى البدر فى جوزائه * ملكا تناهى بهجة وبهاء
وتناهضت زهر النجوم يحفه * لألاؤها فتكمل اللألاء

قوله نيالها فى نسخة تيالها بالموحدة وانظره اه

لما أراد تنزها فى غـــــربة * جعل المظلة فوقه الجوزاء
وترى الكواكب كالمواكب حوله * رفعت ثرياها عليـــه لواء
وحكيته فى الارض بين كواكب * وكواعب جمعت سنا وسناء
ان نشرت تلك الدروع حنادسا * ملأت لناهذى الكؤس ضياء
واذا تغنت هـذه فى مزهر * لم تال تلك على التريك غناء

وأخبرنى ابن اقبال الدولة انه كان عنده فى يوم قد نشر من عيمه رداء ند واسكب من قطره ماء ورد وأبدى من برقه لسان نار وأظهر من قزحه حنايا قوس آس حفت بنرجس وجلنار والروض قد بعث رياه وبث الشكر لسقياه فكتب الى الطبيب الاديب أبى محمد المصرى

أيها الصاحب الذى فارقت عيشـ ـنى ونفسى منه السنا والسناء
نحن فى المجلس الذى يهب الرا * حة والمسمع الغنى والغناء
تتعاطى التى تنسى من الرقة واللـذة الهـوى والهواء
فأنه تلف راحـــة ومحيا * قد أعدّ الك الحيا والحياء

فوافاه وألفى مجلسه وقد اتلعت فيه الاباريق أجيادها وأقامت فيه خيل السرور طرادها واعطته الاماني انطباعها وانقيادها واهدت الدنيا اليومه مواسمها وأعيادها وخلعت عليه الشمس شعاعها ونشرت فيه الحدائق ايناعها فادبرت الراح وتعوطيت الاقداح وخامر النفوس الابتهاج والارتياح واظهر المعتمد من ايناسه ما استرق به نفوس جلاسه ثم دعا بكبير فشربه كما غربت الشمس فى ثبير وعند ما تناولها قام المصرى ينشد أبياتا يمنها

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفقا * بشاد مهز ودع غمدان للبمن
فانت أولى بتاج الملك تلبسه * من هوذة بن على وابن ذى يزن

فطرب حتى زحف عن مجلسه وامر فى تانسه وأمر فخلعت عليه خلع لا تصلح الا للخلفاء وأدناه حتى اجلسه مجلس الاكفاء وأمر له بدنانير عددا وملأه بالمواهب يدا * وله فى غلام رآه يوم العروبة من تثنيات الوغى طالعا وطلى الابطال قارعا وفى الدماء رائغا ولمستبشع كؤس المنايا سائغا وهو ظبى قد فارق كناسه وعاد أسدا قد صارت القنا أخياسه ومتكاثف العجاج قد مزقه اشراقه وقلوب الدارعين قد شككتها أحداقه فقال

ابصرت طرفك بين مشتجر القنا * فبدا الطريق انه فلك
أو ليس وجهك فوقه قمرا * يجلى بنير نوره الحلك

وقال فيه

ولما اقتحمت الوغى دارعا * وقنعت وجهك بالمغفر
حسبنا محياك شمس الضحى * عليها سحاب من العنبر

وقد جمع بنا القلم فى ترجمة المعتمد بن عباد بعض جموح وماذلك الا لما علمنا أن نفوس

الادباء الى أخباره رحمه الله تعالى شديدة الطموح وقد جعل الله تعالى له كما قال ابن الابار في الحلة السيراء رقة في القلوب وخصوصا بالمغرب فان أخباره وأخبار الرميكية الى الآن متداولة بينهم وان فيها الاعظم عبرة رحم الله تعالى الجميع (رجع الى أخبار النساء) • (ومنهن) العبادية جارية المعتضد عباد والد المعتمد اهداها اليه مجاهد العامري من دانية وكانت أديبة ظريفة كاتبة شاعرة ذاكرة لكثير من اللغة قال ابن عليم في شرحه لادب الكاتب لابن قتيبة وذكر الموسعة وهي خشبة بين حبالين يجعل كل واحد منهما طرفها على عنقه ماصورته وبذكر الموسعة اغربت جارية لمجاهد اهداها الى عباد كاتبة شاعرة على علماء اشبيلية بالغرمة التي تظهر في أذقان بعض الاحداث وتعتري بعضهم في الخدين عند الضحك فاما التي في الذقن فهي النونة ومنه قول عثمان رضي الله تعالى عنه وسموا نونته لتدفع العين وأما التي في الخدين عند الضحك فهي الفحصة فما كان في ذلك الوقت في اشبيلية من عرف منهما واحدة • وسهر عباد ليلة لامر حزبه وهي نائمة فقال

تنام ومد نفها يسهر • وتصبر عنه ولا يصبر

فاجابته بديهة بقولها

لئن دام هذا وهذا له • سيهلك وجدا ولا يشعر

ويكفيك هذا شاهدا على فضلها رحمها الله تعالى وسامحها • (ومنهن) بثينة بنت المعتمد بن عباد وأمها الرميكية السابقة الذكر وكانت بثينة هذه نحوا من أمها في الجمال والنادرة ونظم الشعر ولما أحيط بابيها ووقع النهب في قصره كانت في جملة من سبي ولم يزل المعتمد والرميكية عليها في وله دائم لا يعلمان ما آل اليه أمرها الى أن كتبت اليهما بالشعر المشهور المتداول بين الناس بالمغرب وكان أحد تجار اشبيلية اشتراها على انها جارية سرية ووهبها لابنه فنظر من شأنها وهيئت له فلما أراد الدخول عليها امتنعت واظهرت نسبها وقالت لا أحل لك الا بعقد النكاح ان رضي أبي بذلك واشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها اليها وانتظار جوابه فكان الذي كتبته بخطها من نظمها ماصورته

اسمع كلامي واستمع لمقالتي • فهي الرسول لبدت من الاجياد
لا تنكروا أني سبيت وأنني • بنت لملك من بني عباد
ملك عظيم قد تولى عصره • وكذا الزمان يؤول للافساد
لما أراد الله فرقة شملنا • واذاقنا طعم الاسى من زاد
قام النفاق على أبي في ملكه • فدنا الفراق ولم يكن بمراد
فخرجت هاربة فحازني امرؤ • لم يأت في ابعاله بسداد
اذ باعني بيع العبيد فضمني • من صانني الامن الانكاد
وأرادني لنكاح نجل طاهر • حسن الخلائق من بني الانجاد
ومضى اليك يسوم رأيك في الرضا • ولانت تنظر في طريق رشادي
فعساك يا أبتي تعرفني به • ان كان ممن يرتجى لوداد
وعسى رميكية الملوك بفضلها • تدعو لنا باليمن والاسعاد

قوله لادب الكاتب في نسخة لآداب الكتاب اه

فلما وصل شعرها لابيها وهو بانمات واقع فى شراك الكروب والازمات سرّه وأتمها بحياتها ورأيا أن ذلك للنفس من أحسن امنياتها اذ علما ما آل أمرها وجبر كسرها اذ ذاك أخف الضررين وان كان الكرب قد ستر القلب منه حجاب رين وأشهد على نفسه بعقد نكاحها من الصبى المذكور وكتب اليها أثناء كتابه مايدل على حسن صبره المشكور

بنيتى كونى به بترة * فقد قضى الدهر باسعافه

وأخبار المعتمد بن عباد تذيب الاكباد فلنرجع الى ذكر نساء الاندلس فنقول *(ومنهن) حفصة بنت حمدون من وادى الحجارة ذكرها فى المغرب وقال انها من أهل المائة الرابعة ومن شعرها

رأى ابن جميل أن يرى الدهر مجملا * فكل الورى قد عمهم صيب نعمته
له خلق كالخمر بعد امتزاجها * وحسن فما احلاه من حين خلقته
يوجه كمثل الشمس يدعو ببشره * عيونا ويعشيها باقراط هيبته

ولها أيضا

لى حبيب لا يتقى لعتاب * واذا ما تركته زاد تيها
قال لى هل رأيت لى من شبيه * قلت أيضا وهل ترى لى شبيها

ولها تذم عبيدها

يارب انى من عبيدى على * جر الغضا مافيهم من نجيب
انما جهوك ابله متعب * أو فطن من كيده لا يجيب

وقال ابن الابار انها كانت أديبة عالمة شاعرة وذكرها ابن فرج صاحب الحدائق وأنشد لها أشعارا منها قولها

ياوحشتى لاحبتى * ياوحشة متماديه
ياليلة ودعتهم * يا ليلة هى ماهيه

*(ومنهن) زينب المرية كانت أديبة شاعرة وهى القائلة

ياأيها الراكب الغادى مطيته * عرج أنيخك عن بعض الذى أجد
ماعالج الناس من وجد تضمنهم * الا ووجدى بهم فوق الذى وجدوا
حسبى رضاه وانى فى مسرته * ووده آخر الايام أجتهد

*(ومنهن) غاية المنى وهى جارية أندلسية متأدبة قدمت الى المعتصم بن صمادح فاراد اختبارها فقال لها ما اسمك فقالت غاية المنى فقال لها أجيزى اسألوا غاية المنى فقالت من كساجسمى الضنا وأرانى سولها * سيقول الهوى انا هكذا أورد السالمى هذه الحكاية فى تاريخه قال ابن الابار وقرأت بخط الثقة حاكيا عن القاضى أبى القاسم بن حبيش قال سبقت لابن صمادح جارية لبيبة تقول الشعر وتحسن المحاضرة فقال تحمل الى الاستاذ ابن الفراء الخطيب ليختبرها وكان كيفما فلما وصلته قال ما اسمك فقالت غاية المنى فقال أجيزى

سل هوى غاية المنى • من كساجسمى الضنا
فقالت تجيزه وأرانى متيما • سيقول الهوى انا

فحكى ذلك لابن صعادح فاشتراها انتهى • (ومنهن) حمدة ويقال حمدونة بنت زياد المؤدب من وادى آش وهى خنساء المغرب وشاعرة الاندلس ذكرها الملاحى وغيره وممن روى عنها أبو القاسم بن البراق ومن عجيب شعرها قولها

ولما أبى الواشون الافراقنا • وما لهم عندى وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة • وقل حماتى عند ذاك وأنصارى
غزوتهم من مقلتيك وادمعى • ومن نفسى بالسيف والسيل والنار

وبعض يزعم أن هذه الابيات لمهجة بنت عبد الرزاق القرناطية وكونها لحمدة أشهر والله سبحانه وتعالى أعلم • وخرجت حمدة مرة للوادى مع صبية فلما نضت عنها ثيابها وعامت قالت

اباح الدمع أسرارى بوادى • له للحسن آثار بوادى
فمن نهر يطوف بكل روض • ومن روض يرف بكل وادى
ومن بين الظباء مهاة انس • سبت لبى وقد ملكت فؤادى
لها لحظ ترقده لامر • وذاك الامر يمنعنى رقادى
اذا سدلت ذوائبها عليها • رأيت البدر فى أفق السواد
كان الصبح مات له شقيق • فمن حزن تسربل بالحداد

وقال ابن البراق فى سوق هذه الحكاية أنشدتنا حمدة العوفية لنفسها وقد خرجت متنزهة بالرملة من نواحى وادى آش فرأت ذات وجه وسيم أعجبها فقالت وبين الروايتين خلاف اباح الدمع الى آخره ونسب بعضهم الى حمدة هذه الابيات الشهيرة بهذه البلاد المشرقية وهى

وقانا لفحة الرمضاء واد • سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فحنا علينا • حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا • ألذ من المدامة للنديم
بصدة الشمس أنى واجهتنا • فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى • فتلمس جانب العقد النظيم

وممن جزم بذلك الرعينى وقال ان مؤرخى بلاد الاندلس نسبوها لحمدة من قبل أن يوجد المنازى الذى ينسبها له أهل المشرق وقد رأيت أن أذكر كلامه برمته ونصه كانت من ذوى الالباب وفحول أهل الآداب حتى ان بعض المتحلين تعلق بهذه الاهداب وادعى نظم هذين البيتين يعنى ولما أبى الواشون الى آخره لما فيهما من المعانى والالفاظ العذاب وما غره فى ذلك الا بعد داره وخلو هذه البلاد المشرقية من أخبارها وقد تلبس بعضهم أيضا بأشعارها وادعى غير هذا من أشعارها وهو قولها وقانا لفحة الرمضاء واد الى آخره وان هذه الابيات نسبها أهل البلاد للمنازى من شعرائهم وركبوا التعصب فى جادة ادعائهم

قوله هذين البيتين الخ الذى تقدم آنفا ثلاثة أبيات فلعل الرعينى لم يثبت الوسط وليحرر انه مصحفه

وهى أبيات لم يحلها غير لسانها ولا رقم برديها غير احسانها ولقد رأيت المؤرخين من أهل بلادنا وهى الاندلس أثبتوها لها قبل أن يخرج المنازى من العدم الى الوجود ويتصف بلفظة الموجود انتهى * وهو أبو جعفر الاندلسى الغرناطى نزيل حلب وحكى ابن العديم فى تاريخ حلب ما نصه وبلغنى أن المنازى عمل هذه الابيات ليعرضها على أبى العلاء المعرى فلما وصل اليه أنشده الابيات يجعل المنازى كلما أنشده المصراع الاول من كل بيت سبقه أبو العلاء الى المصراع الثانى الذى هو تمام البيت كما نظمه ولما أنشده قوله

قوله نزلنا الذى سبق حللنا اه مصححه

نزلنا وده فحفنا علينا قال أبو العلاء * حنوا الوالدات على الفطيم * فقال المنازى انما قلت على اليتيم فقال أبو العلاء الفطيم أحسن انتهى * وهذا يدل على ان الرواية عنده حنوا الوالدات وقد تقدم المرضعات والله تعالى أعلم * وقال ابن سعيد يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة العربيات لحافظتهن على المعانى العربية ومن أشهرهن زينب بنت زياد الوادى آشى واختها حمدة وحمدة هذه هى القائلة وقد خرجت الى نهر منقسم الجداول بين الرياض مع نسائها فسبحن فى الماء وتلاعبن (أباح الدمع أسرارى بوادى) الابيات انتهى * (ومنهن) عائشة بنت أحمد القرطبية قال ابن حيان فى المقتبس لم يكن فى زمانها من حرائر الاندلس من يعدلها علما وفهما وأدبا وشعرا وفصاحة تمدح ملوك الاندلس وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف وماتت عذراء لم تنكح سنة أربعمائة * وقال فى المغرب انها من عجائب زمانها وغرائب أوانها وأبو عبد الله الطبيب عمها ولو قيل انها أشعر منه لجاز * ودخلت على المظفر بن المنصور بن أبى عامر وبين يديه ولد فارتجلت

أراك الله فيه ما تريد * ولا برحت معاليه تزيد
فقد دانت مخايله على ما * تؤمله وطالعه السعيد
تشوقت الجياد له وهز السمهرى وأشرقت البنود
وكيف يخيب ثم قد غمته * الى العلياء اغمة أسود
فسوف تراه بدرا فى سماه * من العليا كواكبه الجنود
فأنتم آل عامر خير آل * زكا الابناء منكم والجدود
وليدكم لدى رأى كشيخ * وشيخكم لدى حرب وليد

وخطبها بعض الشعراء ممن لم ترضه فكتبت اليه

أنا لبوة لكننى لا ارتضى * نفسى منا خاطول دهرى من أحد
ولو انى أختار ذلك لم أجب * كلبا وكم خلقت سمى عن أسد

* (ومنهن) مريم بنت أبى يعقوب الانصارى سكنت اشبيلية وأصلها والله أعلم من شلب وذكرها ابن دحية فى المطرب وقال انها أديبة شاعرة مشهورة وكانت تعلم النساء الادب وتحتشم لدينها وفضلها وعمرت عمرا طويلا سكنت اشبيلية واشتهرت بها بعد الاربعمائة وذكرها الحميدى وأنشد لها جوابها لما بعث المهدى اليها بدنانير وكتب اليها

مالى بشكر الذى أوليت من قبل * لو انى حزت نطق اللسن فى الحلل

ياخذة الطرف فى هذا الزمان ويا * وحيدة العصر فى الاخلاص فى العمل
أشبهت مريما العذرا فى ورع * وفقت خنساء فى الاشعار والمثل

ونص الجواب منها

من ذا يجاريك فى قول وفى عمل * وقد بدرت الى فضل ولم تسل
عالى بشكر الذى نظمت فى عنقى * من اللآلى وما أوليت من قبل
حليتنى بحلى أصبحت زاهية * بها على كل أنثى من حلى عطل
لله أخلاقك الغر التى سقيت * ماء الفرات فرقت رقة الغزل
أشبهت مروان من غارت بدائعه * وانجدت وغدت من أحسن المثل
من كان والده العضب المهند لم * يلد من النسل غير البيض والاسل

ومن شعرها وقد كبرت

وما يرتجى من بنت سبعين حجة * وسبع كنسج العنكبوت المهلهل
تدب دبيب الطفل تسعى الى العصا * وتغشى بها مشى الاسير المكبل

*(ومنهن) أسماء العامرية من أهل اشبيلية كتبت الى عبد المؤمن بن على رسالة نعت فيها اليه بنسبها العامرى وتسأله فى رفع الانزال عن دارها والاعتقال عن مللها وفى آخرها قصيدة أولها

عرفنا النصر والفتح المبينا * لسيدنا أمير المؤمنينا
اذا كان الحديث عن المعالى * رأيت حديثكم فينا شجونا

ومنها

رويتم حملة فعلتموه * وصنتم عهده فغدا مصونا

*(ومنهن) أم الهناء بنت القاضى أبى محمد عبد الحق بن عطية سمعت أباها وكانت حاضرة النادرة سريعة الخاطر من أهل العلم والفهم والعقل ولها تاليف فى القبور ولما ولى أبوها قضاء المرية دخل داره وعيناه تذرفان وجد المفارقة وطنه فأنشدته متمثلة

ياعين صار الدمع عندك عادة * تبكين فى فرح وفى أحزان

وهذا البيت من جملة أبيات هى

جاء الكتاب من الحبيب بأنه * سيزورنى فاستعبرت أجفانى
غلب السرور على حتى انه * من عظم فرط مسرتى أبكانى

وبعده البيت وبعده

فاستقبلى بالبشر يوم لقائه * ودعى الدموع لليلة الهجران

*(ومنهن) مهجة القرطبية صاحبة ولادة رحمهما الله تعالى وكانت من أجمل نساء زمانها وعلقت بها ولادة ولازمت تأديبها وكانت من أخف النساس روحا ووقع بينها وبين ولادة ما اقتضى ان قالت

ولادة قد صرت ولادة * من غير بعل فضح الكاتم
حكت لنا مريم لكنه * نخلة هذى ذكر قائم

قال

قال بعض الاكابر لو سمع ابن الرومى هذا لاقرلها بالتقدم ومن شعرها

لئن قد حمى عن ثغرها كل حائم * فما زال يحمى عن مطالبه الثغر
فذلك تحميه القواضب والقنا * وهذا حماه من لواحظها السحر

وأهدى اليها من كان يهيم بها خوخا فكتبت اليه

يا متحفا بالخوخ أحبابه * أهلا به من مثلج للصدور
حكى ندى الغيد تقبيله * لكنه أخزى رؤس الايور

*(ومنهن) هند جارية أبى محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبى وكانت أديبة شاعرة كتب اليها أبو عامر بن نيق يدعوها للحضور عنده بعودها

يا هند هل لك فى زيارة فتية * نبذوا المحارم غير شرب السلسل
سمعوا البلابل قد شدوا فتذكروا * نغمات عودك فى النقيل الاول

فكتبت اليه فى ظهر رقعته

يا سيدا حاز العلا عن سادة * شم الانوف من الطراز الاول
حسبى من الامراع نحولك أننى * كنت الجواب مع الرسول المقبل

*(ومنهن) الشلبية قال ابن الابار ولم أقف على اسمها وكتبت الى السلطان يعقوب المنصور تتظلم من ولاة بلدها وصاحب خراجها

قد آن أن تبكى العيون الآبيه * ولقد أرى ان الحجارة باكيه
يا قاصد المصر الذى يرجى به * ان قد ر الرحمن رفع كراهيه
نادى الامير اذا وقفت ببابه * يا راعيا ان الرعية فانيه
أرسلتها هملا ولا مرعى لها * وتركتها نهب السباع العاديه
شلب كلا شلب وكانت جنة * فأعادها الطاغون نارا حاميه
خافوا وما خافوا عقوبة ربهم * والله لا تخفى عليه خافيه

فيقال انها ألقيت يوم جمعة على مصلى المنصور فلما قضى الصلاة وتصفحها بحث عن القضية فوقف على حقيقتها وأمر للمرأة بصلة * وحكى ان بعض قضاة لوشة كانت له زوجة فاقت العلماء فى معرفة الاحكام والنوازل وكان قبل أن يتزوجها ذكر له وصفها فتزوجها وكان فى مجلس قضائه تنزل به النوازل فيقوم اليها فتشير عليه بما يحكم به فكتب اليه بعض أصحابه مداعبا بقوله

بلوشة قاض له زوجة * وأحكامها فى الورى ماضيه
فياليته لم يكن قاضيا * وياليتها كانت القاضيه

فأطلع زوجته عليه حين قرأه فقالت ناولنى القلم فناولها فكتبت بديهة

هو شيخ سوء مزدرى * له شيوب عاصيه
كلا لئن لم ينته * لنسفعا بالناصيه

وسمعت بعض أشياخنا يحكى القضية عن لسان الدين بن الخطيب وانه هو الذى كتب يداعب زوج المرأة فكتبت اليه

قوله شيوب هكذا فى الاصل ولعله محرف عن شؤن أو غير ذلك مما يلائم ويحرر اه مصححه

ان الامام ابن الخطيب كتب له شيوب عاصيه الى آخره فالله أعلم

*(ومنهن) نزهون الغرناطية قال فى المغرب من أهل المائة الخامسة ذكرها الحجارى فى المسهب ووصفها بخفة الروح والانطباع الزائد والحلاوة وحفظ الشعر والمعرفة بضرب الامثال مع جمال فائق وحسن رائق وكان الوزير أبو بكر بن سعيد أولع الناس بمحاضرتها ومذاكرتها ومراسلتها فكتب لها مرة

يا من له الف خل * من عاشق وصديق
أرانك خليت للنا * س منزلا فى الطريق

فأجابته

حاشا أبا بكر محلا منعته * سواك وهل غير الحبيب له صدرى
وان كان لى كم من حبيب فانما * يقدم أهل الحق حب أبى بكر

قيل لو قالت وان كان خلانى كثيرا الخ لكان أجود وما قال فيها المخزومى

على وجه نزهون من الحسن مسحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا
قواصد نزهون توارك غيرها * ومن قصد البحر استقل السواقيا

قالت

ان كان ما قلت حقا * من بعض عهد كريم
فصار ذكرى ذميما * يعزى الى كل لوم
وصرت أقبح شئ * فى صورة المخزومى

وقد تقدمت حكايتها فى الباب الاول من هذا فلتراجع * وقال لها بعض الثقلاء ما على من أكل معك خمسمائة سوط فقالت

وذى شقوة لما رآنى رأى له * تمنيه يصلى معى جاحم الضرب
فقلت له كلها هنيئا فانما * خلقت الى لبس المطارف والشرب

وقال ابن سعيد فى طالعه لما وصف وصول ابن قزمان الى غرناطة واجتماعه بجنته بقرية الزاوية من خارجها بنزهون القلاعية الادبية وما جرى بينهما وانها قالت له بعقب ارتجال بديع وكان يلبس غفارة صفراء على زى الفقهاء حينئذ أحسنت يا بقرة بنى اسرائيل الا انك لا تسر الناظرين فقال لها ان لم أسر الناظرين فأنا أسر السامعين وانما يطلب سرور الناظرين منك يا فاعلة يا صانعة وتمكن السكر من ابن قزمان وآل الامر الى أن تدافعوا معه حتى رموه فى البركة فلما خرج الا وهو قد شرب كثيرا من الماء وثيابه تتهافل فقال اسمع يا وزير ثم أنشد

ايه أبا بكر ولا حول لى * بدفع أعيان وانذال
وذات فرج واسع دافق * بالماء يحكى حال أذيالى
غرقتنى فى الماء يا سيدى * كفره بالتغريق فى المال

فأمر بتجريد ثيابه وخلع عليه ما يليق به ومزلهم يوم بعد عهدهم بمثله ولم ينتقل ابن قزمان من غرناطة الا من بعد ما أجزل له الاحسان ومدحه بما هو ثابت له فى ديوان أجزاله *

قوله وبحت الثياب الذى تقدم له فى الباب الاول كما فى الاصل (وان كان قد أمسى من الضوء عاريا) وقوله ومن قصد البحر الذى سبق له ومن ورد البحر فليستنبه اه مصححه

قوله من بعض هكذا فى الاصل ولعله من بعد بالدال تامل اه مصححه

قوله اجزاله هكذا فى الاصل وليظر ولعله محرف عن أمداحه وليحرر اه مصححه

وحكى عنه فيما أظن أعنى ابن قزمان ويحتمل انه غيره انه تبع احدى الماجنات وكان أحول فأطمعته فى نفسها وأشارت اليه أن يتبعها فاتبعها حتى أتت به سوق الصاغة باشبيلية فوقفت على صائغ من صياغها وقالت له يامعلم مثل هذا يكون فص الخاتم الذى قلت لك عنه تشير الى عين ذلك الاحول الذى تبعها وكانت قد كلفت ذلك الصائغ أن يعمل لها خاتما يكون فصه عين ابليس فقال لها الصائغ جئينى بمثال فانى لم أر هذا ولا سمعت به قط وحكاها بعضهم على وجه آخر وانها ذهبت الى الصائغ وقالت له صور لى صورة الشيطان فقال لها ائتينى بمثال فلما تبعها ابن قزمان جاءته به وقالت له مثل هذا فسأل ابن قزمان الصائغ فخجل ولعنها * وكتب ابن قزمان على باب جنته

وقائل ياحسنها جنة * لايدخل الحزن على بابها
فقلت والحق له صولة * أحسن منها مجد أربابها

وله

كثير المال تمسكه فيفنى * وقد يبقى مع الجود القليل
ومن غرست يداه ثمار جود * فنى ظل الثناء له مقيل

(رجع) الى أخبار نزهون حكى انها كانت تقرأ على أبى بكر المخزومى الاعمى فدخل عليهما أبو بكر الكتندى فقال يخاطب المخزومى (لو كنت تبصر من تجالسه) فأفحم وأطال الفكر فما وجد شيأ فقالت نزهون لغدوت أخرس من خلاخله

البدر يطلع من ازرته * والغصن يمرح فى غلائله

وكانت ناجبة ومن شعرها قولها

لله در الليالى ما أحيسنها * وما أحيسن منها ليلة الاحد
لو كنت حاضر نافيها وقد غفلت * عين الرقيب فلم تنظر الى أحد
أبصرت شمس الضحى فى ساعدى قمرا * بل ريم خازمة فى ساعدى أسد

وهذا المعنى متفق مع قول ابن الزقاق

ومرتجة الارداف أما قوامها * فلدن وأما ردفها فرداح
ألمت فبات الليل من قصر بها * يطير ولا غير السرور جناح
فبت وقد زارت بانعم ليلة * يعانقنى حتى الصباح صباح
على عاتق من ساعديها حمائل * وفى خصرها من ساعدى وشاح

وابن الزقاق هذا له فى النظم والغوص على المعانى الباع المديد ومن نظمه قوله

رئيس الشرق محمود السجايا * يقصر عن مداه المحه البليغ
نسميه بحيى وهو ميت * كما ان السليم هو اللديغ
يعاف الورد ان ظمئت حشاه * وفى مال اليتيم له ولوغ

وقوله

كتبت ولو انى أستطيع * لاجلال قدرك بين البشر
قددت السراعة من أنملى * وكان المداد سواد البصر

وقوله

غر يبارى الصبح اشراق خده * وفى مفرق الظلماء منه نصيب
ترف بفيه ضاحكا القحوانة * ويهتز فى برديه منه قضيب

قوله فى برديه فى نسخة بالعطفين اه

وقوله

ومهفهف نبت الشقيق بخده * واهتز أملود النقا فى برده
ماء الشبيبة والغرام أرق من * صقل الحسام المنتقى وفرنده
يحيى الورى بتحيـة من وصله * من بعد ما وردوا الحمام بصده
ان كنت أهديت الفؤاد له فقل * أى الجوى بجوانح لم يهده

وقوله

أرق نسيم الصبا عرفه * وراق قضيب النقا عطفه
ومر بنا يتهادى وقد * نضى سيف أجفانه طرفه
ومد لبسمه راحة * نخلت الاقاح دنا قطفه
اشارت بتقبيلها للسلام * فقال فمى ليتنى كفه

وقوله

بابى من لم يدع لى لحظه * فى الهوى من رمق حين رمق
جمعت نكهته فى ثغره * عبقا فى نسق يسبى الحدق
وبدت بخلته فى خده * شفقا فى فلق تحت غسق

وقال

وعشية لبست ملاة شقيق * تزهى بلون للخدود أنيق
أبقت بها الشمس المنيرة مثل ما * أبقى الحياء بوجنتى معشوق
لو أستطيع شربتها كالمائها * وعدلت فيها عن كؤس رحيق

وقال فى مسامرة كتاب زعماء

لله ليلتنا التى استجدى بها * فلق الصباح لدفة الاظلام
طرأت على مع النجوم بأنجم * من فتية بيض الوجوه كرام
ان حوربوا فزعوا الى بيض الظبا * أو خوطبوا فزعوا الى الاقلام
فترى البلاغة ان نظرت اليهم * والبأس بين براعة وحسام

وقال

ومجدين فى السرى قد تعاطوا * غفوات الهوى بغير كؤس
جنحوا وانحنوا على العيس حتى * خلتهم يعتبون أيدى العيس
نبذوا الغمض وهو حلو الى أن * وجدوه سلافة فى الرؤس

قوله يعتبون هكذا فى الاصل ومعناه بعيد من المقام فلعله يتبعون بتقديم المثناة والموحدة على العين المهملة تأمل اه مصححه

وقال

وحبيب يوم السبت عندى أننى * بنادمنى فيه الذى أنا أحببت
ومن أعجب الاشياء أنى مسلم * حنيف ولكن خير أيامى السبت

ولنقتصر

ولنقتصر من نساء الاندلس على هذا المقدار ونعدل الى ما كان فيه من جلب كلام بلغاء الاندلس ذوى الاقدار فنقول قال الخفاجى رحمه الله تعالى

وهاتفة فى البان تملى غرامها * علينا وتتلو من صبابتها صحفا
عجبت لها تشكو الفراق جهالة * وقد جاوبت من كل ناحية الفا
ويشجى قلوب العاشقين أنينها * وما فهموا مما تغنت به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الاسى * لما لبست طوقا ولا خضبت كفا

وقال الاستاذ أبو محمد بن صارة

متى تلتقى عيناى بدر مكارم * تود الثريا انها من مواطئه
ولما أهل المدلجون بذكره * وفاح تراب البيد مسكا لواطئه
عرفنا بحسن الذكر حسن صنيعه * كما عرف الوادى بخضرة شاطئه

وقال يتغزل

يا من تعرض دونه شحط النوى * فاستشرفت لحديثه اسماعى
انى لمن يحظى بقربك حاسد * ونواظرى يحسدن فيك رقاعى
لم تطولك الايام عنى انما * نقلتك من عينى الى أضلاعى

وقال الاديب أبو القاسم بن العطار

عبرنا سماء الجو والنهر مشرق * وليس لنا الا الحباب نجوم
وقد ألبسته الايك بردا ظلالها * وللشمس فى تلك البرود رقوم

وله أيضا

لله بهجة نزهة ضربت به * فوق الغدير رواقها الانسام
فمع الاصيل النهر درع سابغ * ومع الضحى يلتاح فيه حسام

وقال أيضا

هبت الريح بالعشى فحاكت * زرد الغدير ناهيك جنه
وانجلى البدر بعد هذا فحاكت * كفه للقتال منه أسنه

وقال أيضا

لله حسن حديقة بسطت لنا * منها النفوس سوالف ومعاطفا
تختال فى حلل الربيع وحليه * ومن الربيع قلائد ومطارفا

وله

وسنان ما ان يزال عارضه * يعطف قلبى بعطفة اللام
أسلمنى للهوى فواحزنى * ان سرقنى عفق واسلامى
لحاظه أسهم وحاجبه * قوس وانسان عينه رامى

وارتجل أبو جعفر بن خاتمة رحمه الله تعالى لما بات فى قرية بيش

لله منزلنا بقرية بيش * كاد الهوى فيها اذكارا بى يشى
رحنا اليها والبطاح كانها * صحف مذهبة بابريز العشى

فأجازه الوزير ابن جزى بقوله

فى فتية هزت حميا الانس من * أعطافهم فالكل منها منتشى
ياتى علاهم بالصحيح ولفظهم * بالمنتقى وجمالهم بالمدهش

قوله سنة ٨٢٥ فى نسخة سنة ٨١٥ اه

وقال السلطان أبو الحجاج الناصر النصرى مرتجلا أيام مقامه بظاهر جبل الفتح سنة ٨٢٥

ولم يتركوا أوطانهم بمرادهم * ولكن لاحوال أشابت مفارقى
أقام بها ليل التهانى تقلبا * وقد سكنت جهلا نفوس الخلائق
فعوضتها ليل الصبابة بالسرى * وأنس التلاقى بالحبيب المفارق
ولم يثنى طرف من النور ناعس * ولا معطف للبان وسط الحدائق
ولا منهض الاشبال فى عقر غيرهم * ولا ملعب الغزلان فوق النمارق
وعاطيتها صبح الدياجى مدامة * تميل بها الركبان فوق الايانق
اذا ما قطعنا بالمطى تنوفة * دجلنا لاخرى بالجياد السوابق
بحيث التقى موسى مع الخضر آية * عسى ترجع العقبى كموسى وطارق

وله

من عاذرى من غزال زانه حور * قد هام لما بدا فى حسنه البشر
ألحاظه كسيوف الهند ماضية * لها بقلبى وان سالمتها أثر

وقال القاضى أبو القاسم بن حاتم

شكوت بعادها لما وكان سرا * لمن ليست مودته صحيحه
فقالت مصيبة عادت ثلاثا * لصحبتها الشماتة والفضيحه

وقال الفقيه محمد بن سعيد الاندلسى مخاطبا للفقيه الفخار

خفف علينا قليلا أيها العلم * فربما كان فينا من به ألم
لا يستطيع نهوضا من تألمه * وان تمادى قليلا خانت القدم
كفى وصية مولانا وسيدنا * محمد فاسمعوا ما قال والتزموا

وقال ابن جبير اليحصبى فيمن أهدى اليه تفاحا

خليل لم يزل قلبى قديما * يميل بفرط صاغية اليه
أتانى مقبلا والبشر يبدى * وسائل برة كرمت لديه
وجاء بعرف تفاح زكى * فقلت أتى الخليل بسيبويه
فأهدى من جناه بكل شكل * يلوح جمال مهديها عليه

وقال قاضى مالقة سيدى ابراهيم البدوى

قطعت ياسى فصنت وجهى * عن الوقوف لذى وجاهه
قصدت ربى فكان حسبى * ألبسنى فضله وجاهه
فلا يرى ينثنى عنانى * مدى حياتى الا تجاهه

وقال ابن خليل السكونى فى فهرسته شاهدت بجامع العدبس باشبيلية ربعة مصحف فى أسفار بخط به نحو خطوط الكوفة الا انه أحسن خطا وابينه وأبرعه وأتقنه فقال لى الشيخ

الاستاذ

الاستاذ أبو الحسين بن الطفيل بن عظيمة هذا خط ابن مقلة وأنشد

خط ابن مقلة من ارعاه مقلته * ودّت جوارحه لو انها مقل

ثم قسناه رونه بالضابط فوجدنا أنواعها تتماثل فى القدر والوضع فالالفات على قدر واحد واللامات كذلك والكافات والواوات وغيرها بهذه النسبة انتهى (قلت) رأيت بالمدينة المنوّرة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام مصحفا بخط ياقوت المستعصمى بهذه المثابة وهو من الاوقاف الرسمية ورأيت بالحجرة الشريفة على صاحبها الصلاة والسلام مصحفا مكتوبا فى آخره ماصورته كتبته بقلم واحد فقط ماقط قط الامرة فقط انتهى (رجع) وقال ابن عبدون رحمه الله تعالى

أذهبن من فرق الفراق نفوسنا * وتثرن من درّ الدموع نفيسا
فتبعتها نظر الشجىّ فخدّقت * رقباؤها نحوى عيونا شوسا
وحللن عقد الصبر اذ ودّعننى * فحللن أفلاك الخدور شموسا
حلته اذ حلته حتى خلته * عرشا لها وحسبتها بلقيسا
فازورّ جانبها وكان جوابها * لوكنت تهوانا صحبت العيسا

وهى طويلة (قلت) ما أظن لسان الدين نسج قصيدته من هذا البحر والروى الاعلى منوال هذه وان كان الحافظ التنسى قال انه نسجها على منوال قصيدة أبى تمام حسبما ذكرنا ذلك فى محله فليراجع * وقال أبو عبد الله بن المناصف قاضى بلنسية ومرسية رحمه الله تعالى

ألزمت نفسى خمولا * عن رتبة الاعلام
لايخسف البدر الا * ظهوره فى تمام

وتذكرت به قول غيره

ليس الخمول بعار * على امرئ ذى جلال
فليلة القدر تخفى * وتلك خير الليالى

وقال الوزير ابن عمار وقد كتب له أبو المطرف بن الدباغ شافه الغلام طرّة عذار

أتانى كتابك مستشفعا * بوجه أبى الحسن من ردّه
ومن قبل فضى ختم الكتاب * قرأت الشفاعة فى خدّه

وقال القاضى الاديب والفيلسوف الاريب أبو الوليد الرقشى قاضى طليطلة

يرحّب بى أنّ علوم الورى * قسمان ما ان فيهما من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها * وباطل تحصيله لايفيد

وقال أبو عبد الله بن الصفار وهو من بيت القضاء والعلم بقرطبة

لاتحسب الناس سواء متى * ما اشتبهوا فالناس أطوار
وانظر الى الاحجار فى بعضها * ماء وبعض ضمنه نار

وهذا مثل قول غيره

الناس كالارض ومنها هم * من خشن الطبع ومن لين
مرو تشكى الرجل منه الوجا * واتمد يجعل فى الاعين

قوله عظيمة فى نسخة عظيم اه

قوله مرو الخ فى نسخة (فجلمد تدمى به أو جل) اه

ومن نظم ابن الصفار المذكور

اذا نويت انقطاعا • فاعمل حساب الرجوع

وقال أبو مروان الجزيري

ومن العجائب والعجائب جمة • أن يلهج الاعمى بعيب الاعور

وقال حسان بن المصيصي كاتب الظافر بن عباد ملك قرطبة

لا تأمنن من العدو لبعده • ان امرأ القيس اشتكى الطماحا

وقال الشيخ الاكبر سيدي محيي الدين بن عربي قدس سره العزيز في كتابه الاسفار عن نتائج الاسفار أنشدني الكاتب الاديب أبو عمرو بن مهيب باشبيلية ابياتا عملها في حمود بن ابراهيم ابن أبي بكر الهرعي وكان أجمل أهل زمانه رآه عندنا زائرا وقد خط عذاره فقلت يا أبا عمرو ما تنظر الى حسن هذا الوجه فعمل الابيات في ذلك وهي

وقالوا العذار جناح الهوى • اذا ما استوى طار عن وكره

وليس كذلك نخبرهم • قياما بعذري أو عذره

اذا كمل الحسن في وجنة • فخاتمه ويك من شعره

انتهى • قال بعضهم رأيت آخر الكتاب المذكور وبعد فراغه شعرا نسبه اليه وهو

ايا حاضرا بجماله في خاطري • ومحجبا بجلاله عن ناظري

ان غبت عن عيني فانك نورها • وضمير سرك سائر في سائري

ومن العجائب أنني أبدا الى • رؤياك ذو شوق مديد وافر

مع انني ما كنت قط بمجلس • الا وكنت منادمي ومسامري

انتهى • وأنشد في الاحاطة لعبد الله الجذامي

ايا سيدي أشكو لمجدك انني • صددت مرارا عن مثولي ببابك

شكاة اشتياق أنت حقا طبيبها • وما راحتي الا بتقبيل راحتك

قال وهو عبد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمد الجذامي فاضل ملازم للقراءة عاكف على النظر مشارك في العربية خاطب للرياسة الاديبة اختص بالامير أبي علي المنصور ابن السلطان ايام مقامه بالاندلس ومما خاطبه به معتذرا اياسيدي البيتين انتهى • وقال في ترجمة عبد الله بن أحمد المالقي قاضي غرناطة وكان فقيها بارع الادب انه كتب الى أبي نصر صاحب القلائد والمطمح أثناء رسالة بقوله

تفتحت الكنابة عن نسيم • نسيم المسك في خلق كريم

ايا نصرا رسمت لها رسوما • تخال رسومها وضح النجوم

وقد كانت عفت فأثرت منها • سبيلا جالاح في الليل البهيم

فقمت من الصناعة كل باب • فصارت في طريق مستقيم

فكاب الزمان ولست منهم • اذا راموا مرامك في همومي

فما قص يابدع منسك لفظا • ولا عصبان مثلك في العلوم

قوله ابن عبد الله الخ في نسخة ابن أحمد باسقاط عبد الله اه

انتهى

انتهى * وقال الذهبي وقد جرى ذكر محمد بن المسن المذحجي الاندلسي بن الكناني انه أديب شاعر متفنن ذو تصانيف حمل عنه ابن حزم ومن شعره

الا قد هجرنا الهجر واتصل الوصل * وبانت ليالي البين واجتمع الشمل
فسعدى نديمي والمدامة ريقها * ووجنتها روضي وتقبيلها النقل

وقال العلامة محمد بن عبد الرحمن الغرناطي

الشعب ثم قبيلة وعمارة * بطن وفخذ والفصيلة تابعه
فالشعب مجتمع القبيلة كلها * ثم القبيلة للعمارة جامعه
والبطن تجمعه العمائر فاعلمن * والفخذ تجمعه البطون الواسعه
والفخذ يجمع للفصائل هاكها * جاءت على نسق لها متتابعه
فخزيمة شعب وان كنانة * لقبيلة منها الفصائل شائعه
وقريشها تسمى العمارة يافتى * وقصي بطن للاعادى قامعه
ذا هاشم فخذ وذا عباسها * أثر الفصيلة لاثنا طابسابعه

وكتبت هذه الابيات وان لم تشتمل على بلاغة لما فيها من الفائدة ولان بعض الناس مالى فيها الغرابتها والاعمال بالنيات * ولما دخل أبو محمد الكلبي الجياني على القاضي ابن رشد قام له وأنشده أبو محمد بديهة

قام لي السيد الهمام * قاضي قضاة الورى الامام
فقلت قم بي ولا تقم لي * فقلما يوكل القيام

قوله لغرابتها فى نسخة لعزتها اه

وقال أبو عبد الرحمن بن حجاف البلنسي

لئن كان الزمان أراد حطي * وحاربني بانياب وظفر
كفاني أن تصافيني المعالي * وان عاديتني يا أم دفر
فما اعتز اللئيم وان تسامى * ولا هان الكريم بغير وفر

وقال أبو محمد بن برطلة

الا انما سيف الفتى صفو نفسه * فنافس بأوفى ذمة واخاء
يزينك مرأى أو يعينك حاجة * فيحسن حالي شدة ورخاء

وقال أيضا

أنفسي صبرا لاير وعلك حادث * بارتاجه واستشعري عاجل الفتح
فرب اشتداد في الخطوب لفرجة * كما انشق ليل طال عن فلق الصبح

وقال أيضا

متى يدنو لوعدكم انجاز * ويبعد عن حقيقته المجاز
أيجمل أن يؤمكم رجائي * فموقف لا يرد ولا يجاز
وجدكم كفيل بالاماني * ومطلوبي قريب مستجاز
اذا ما امكنت فرص المساعي * فعجز أن يطاولها انتهاز
وها أنا قد هززتكم حساما * ويحسن للمهندة اهتزاز

فما الانصاف أن ينضى كهام * ويودع غمده العضب الجراز
كانهم العراق بعذب بحر * ويشقى بالظما البرح الحجاز
فأعيى الناس فى المقدار حلم * تجاذبه خمول واعتزاز

وأنشد الشيخ أبو بكر بن حبيش لابن وضاح البيت المشهور وهو

أسرى وأسير فى الآفاق من قمر * ومن نسيم ومن طيف ومن مثل

وابن حبيش المذكور هو أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش بفتح الحاء وقد عرف به تلميذه ابن رشيد الفهرى فى رحلته فقال بعد كلام أما النظم فبيده عنانه وأما النثر فان مال اليه توكف له بنانه مع تواضع زائد على صلة مخبره عائد لقيته بمنزله ليوم أو يومين من مقدمى على تونس فتلقى بكل فن يونس وصادفته بحالة مرض من وث فى رجله عرض وعنده جملة من العواد من الصدور الامجاد فأدنى وقرب ومهل ورحب وتفاوض أولئك الصدور فى فنون من الادب كانها الشذور الى أن خاضوا فى الاحاجى واستضاؤا بأنوار أفكارهم فى تلك الدياجى فخضت معهم فى الحديث وأنشدتهم بيتين كنت صنعتهما وأنا حديث القصة بلغنى عن أبى الحسن سهل بن مالك وهى انه كان يسائل أصحابه وهو فى المكتب ويقول لهم أخرجوا اسمى فكل ينطق على تقديره فيقول لهم انكم لم تصيبوه مع انه سهل فنظمت هذا المعنى فقلت

وما اسم فكه سهل يسير * يكون مصغرا نجم يسير
مصحفه له فى العين حسن * وقلبى عند صاحبه أسير

وكان الشيخ أبو بكر على فراشه فزحف مع مابه من ألم الى محبرة وطرس وقلم وكتب البيتين بخطه وقال للحاضرين اروا هذين البيتين عن قائلهما * ومن شيوخ ابن حبيش المذكور أبو عبد الله بن عسكر المالقى كتب له ولاخيه أبى الحسين بخطه اجازة جميع مايجوز له وعنه وضمن آخرها هذه الابيات

اجبتكما كن مقر اباننى * اقصر فيما رمتماعن مداكما
فانكما بدران فى العلم أشرقا * فسلم اذعانا وقسرا عداكما
فسيروا على حكم الوداد فانى * أجود بنفسى أن تكون فداكما

قال ابن رشيد وقد جمع صاحبنا أبو العباس الاشعرى لابن حبيش فهرسة جامعة ولما وقف عليها ابن حبيش كتب فى أولها ما نصه الحمد لله حق حمده أحسن هذا الفاضل فيما صنع أحسن الله اليه وبالغ فيما جمع بلغ الله تعالى به أشرف المراتب لديه غير أنى أقول واحمده ماسير رتى لها بجاحده وأصرح بمقال لايسعنى كتمه بحال والله ما أنا للاجادة بأهل ولا مرامها لدى بسهل اذ من شرط المجيز أن يعد فيمن كل ويعد العلم والعمل اللهم غفرا كيف ينيل من عدم وفرا أو يجيز من أصبح صدره من المعارف قفرا وصحيفته من الصالحات صفرا وكيف يرتسم فى ديوان الجله من يتسم بالافعال المخله ومتى يقترن الشبه بالابريز أو يوصف السكيت بالتبريز ومن ضعف النهى مجانسة الاقمار بالسهى ومن أعظم التوبيخ تشييخ من لايصلح للتشييخ وان هذا المجموع ليروق ويعجب ولكنه

جمع لمن لا يستوجب وان القراءة قد تحصلت ولكن القواعد ما تأصلت وان القارئ علم ولكن المقروء عليه عدم ولقد شكرت لهذا السرى ما جلب وكتبت مسعفاله بما طلب وقرنت الى درته هذا المخشلب قلت وحلي عطل ونطق عطل مكره أخاك لا بطل والله سبحانه وتعالى ينفع بما اخلص له عند الاعتقاد ويسمح للبهرج عند الانتقاد كتبه العبد المذنب محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش اللخمي حامدا لله تعالى ومصليا على نبيه الكريم المصطفى وعلى آله أعلام الطهارة والهدى ومسلما تسليما * وكتب أيضا رحمه الله تعالى في جواب استجازة المسؤل مبذول ان شاء الله تعالى على التجيز ولكن شروط الاجازة موجودة في المجاز معدومة في المجيز والله تعالى يصفح بكرمه ومنه ويشكر كل فاضل على تحصيل ظنه وهو المسؤل سبحانه أن يحفظ بعنايته مهجاتهم ويرفع بالعلم والعمل درجاتهم ويمتعهم بالكمال الرائق المعجب ويقر بالنجيبين عين المنجب كتبه ابن حبيش انتهى * وقال الوزير الكاتب أبو بكر بن القبطرنة يستجدي بازيا من المنصور بن الافطس صاحب بطليوس

قوله تحصيل ظنه هكذا في الاصل ولعل الاوفق تحسين تأمل اه مصححه

يا أيها الملك الذي آباؤه * شم الانوف من الطراز الاول
حليت بالنعم الجسام قسيمة * عنق كفحل يدى كذات الجدل
وامنين به ضافي الجناح كانما * جذبت قوائمه بريح شمأل
متلفتا والطل ينثر برده * منه على مثل اليماني المخمل
أغدو به عجبا أصرف في يدى * ريحا وآخذ مطلقا بمكبل

وأدخلت على المعتمد يوما باكورة نرجس فكتب الى ابن عمار يستدعيه

قد زارنا النرجس الذكي * وآن من يومنا العشي
وعندنا مجلس انيق * وقد ظمئنا وفيه ري
ولي خليل غدا سمي * يا ليته ساعد السمي

فأجابه ابن عمار

لبيك لبيك من مناد * له الندى الرحب والندي
ها أنا بالباب عبد قن * قبلته وجهك السني
شرفه والداه باسم * شرفته أنت والنبي

واصطبح المعتمد يوم غيم مع أم الربيع واحتجب عن الندماء فكتب اليه ابن عمار

تجهم وجه الافق واعتلت النفس * لان لم تلح للعين أنت ولا شمس
فان كان هذا منكما عن توافق * وضحكما انس فهنيكما الانس

فأجابه المعتمد بقوله

خليلي قولا هل على ملامة * اذا لم أغب الا لتحضرني الشمس
واهدي باكواس المدام كواكبا * اذا ابصرتها العين هشت لها النفس
سلام سلام أنتما الانس كله * وان غبتما أم الربيع هي الانس

واستدعى جماعة من اخوان ابن عمار منهم شرابا في موضع هو فيه مفقود فبعث لهم به

وبرمانتين وتفاحتين وكتب لهم مع ذلك

خذاها مثل ما استدعيتماها * عروسا لا ترف الى التمام

ودونكم بهائدي فتاة * اضفت اليهما خدي غلام

وشرب ذو الوزارتين القائد أبو عيسى بن لبون مع الوزراء والكتاب ببطحاء لورقة عند أخيه وابن البسع غائب فكتب اليه

لو كنت تشهد يا هذا معيشتنا * والمزن يسكن احيانا وينحدر

والارض مصفرة بالمزن طافية * ابصرت درا عليه التبر ينتثر

وقال الجباري من القصيدة المشهورة (عليك احالني الذكر الجميل) في وصف زيه البدوي المستثقل وما في طيه

ومثلي بدنت فيه خسر * يحف به ومنظره ثقيل

ولما انصرف ابن سعيد عن ابن هود عذله ابن هود على تحوله عنه فقال النفس تواقه ومالي بغير التغرب طاقه ثم قال

يقولون لي ماذا الملال تقيم في * محل فعند الانس تذهب راحلا

فقلت لهم مثل الحمام اذا شدا * على غصن امسى بآخر نازلا

وقد رأيت أن اكفر ما تقدم ذكره من الهزل الذي أتينا به على سبيل الاحماض بما لا بد منه من الحكم والمواعظ وما يناسبها (فنقول) قال ابو العباس بن الخليل

فهموا اشارات الحبيب فهاموا * وأقام أمرهم الرشاد فقاموا

وتوسموا بمدامع منهلة * تحت الدياجي والانام نيام

وتلوا من الذكر الحكيم جوامعا * جمعت لها الالباب والافهام

ياصاح لو ابصرت ليلهم وقد * صفت القلوب وصفت الاقدام

لرأيت نور هداية قد حفهم * فسرى السرور وأشرق الاظلام

فهم العبيد الخادمون مليكهم * نعم العبيد وافلح الخدام

سلموا من الآفات لما استسلموا * فعليهم حتى الممات سلام

وقال العالم الكبير الشهير صاحب التآليف أبو محمد عبد الحق الاشبيلي رحمه الله تعالى

قالوا صف الموت يا هذا وشدته * فقلت وامتد مني عندها الصوت

يكفيكم منه أن الناس ان وصفوا * امرا يروعهم قالوا هو الموت

وقال الخطيب الاستاذ أبو عبد الله محمد بن صالح الكناني الشاطبي نزيل بجاية

جعلت كتاب ربي لي بضاعه * فكيف أخاف فقرا أو اضاعه

واعددت القناعة رأس مال * وهل شئ أعز من القناعه

وقال القاضي الكبير الاستاذ الشهير أبو العباس أحمد بن الغماز البلنسي نزيل افريقية

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتة * وأنت على سوء من الفعل عاكف

واياك أن تمضي من الدهر ساعة * ولاحظة الا وقلبك واجف

وبادر باعمال تسرّك أن ترى * اذا نشرت يوم الحساب الصحائف
ولا تيأسن من رحمة الله انه * لربّ العباد بالعباد لطائف

وقال رحمه الله تعالى

أما آن للنفس أن تخشعا * أما آن للقلب أن يقلعا
أليس الثمانون قد أقبلت * فلم تبق فى لذة مطمعا
تقضى الزمان ولا مطمع * لما قد مضى منه أن يرجعا
تقضى الزمان فواحسرتى * لما فات منه وما ضيعا
ويا ويلتاه لذى شيبة * يطيع هوى النفس فيما دعا
وبعدا وصقالة اذ غدا * يسمع وعظا ولن يسمعا

وقال الاستاذ الزاهد أبو اسحق الالبيرى الغرناطى رحمه الله تعالى

كل امرئ فيما يدين يدان * سبحان من لم يخل منه مكان
ياعامر الدنيا ليسكنها وما * هى بالتى يبقى بها سكان
تفنى وتبقى الارض بعدك مثل ما * يبقى المناخ ويرحل الركبان
أأسرّ فى الدنيا بكل زيادة * وزيادتى فيها هى النقصان

وقال أيضا رحمه الله تعالى

وذى غنى أوهمته همته * ان الغنى عنه غير منفصل
يجرّ أذيال عجبه بطرا * واختال للكبرياء فى الحلل
بزته أيدى الخطوب بزته * فاعتاض بعد الجديد بالسمل
فلا تثق بالغنى فآفته الـ * ـفقر وصرف الزمان ذو دول
كفى بنيل الكفاف عنه غنى * فكن به فيه غير محتفل

وقال رحمه الله تعالى

لا شئ أخسر صفقة من عالم * لعبت به الدنيا مع الجهال
فغدا يفرّق دينه أيدى سبا * ويديله حرصا لجمع المال
لا خير فى كسب الحرام وقلما * يرجى الخلاص لكاسب الحلال
فخذ الكفاف ولا تكن ذا فضلة * فالفضل تسأل عنه أى سؤال

وقال رحمه الله تعالى

الشيب نبه ذا النهى فتنبها * ونهى الجهول فما استقام ولا انتهى
فالى متى ألهو وأخدع بالمنى * والشيخ أقبح ما يكون اذا لها
ما حسنه الا التقى لا أن يرى * صبا بالحاظ الجآذر والمها
أنى يقاتل وهو مفلول الشبا * كابى الجواد اذا استقل قناتها
محق الزمان هلاله فكأنما * أبقى له منه على قدر السها
فغدا حسيرا يشتهى أن يشتهى * ولكم جرى طلق الجموح كما اشتهى
ان أن أواه واجهش بالبكا * لذنوبه ضحك الجهول وقهقها

ليست تنبهه العظات ومثله • فى سنه قد ان ان يتنبها
فقد اللدات وزاد غيا بعدهم • هلا يتيقظ بعدهم وتنبها
يا ويحه ما باله لا ينتهى • عن غيه والعمر منه قد انتهى

قوله تنبهه وقوله يتنبها فى نسخة بدلها ما تنهنه ويتنهنها اه

وقال الاستاذ ولى الله سيدى أبو عبد الله بن العريف

من لم يشافه عالما باصوله • فيقينه فى المشكلات ظنون
من انكر الاشياء دون تيقن • وتثبت فعاند مفتون
الكتب تذكرة لمن هو عالم • وصوابها بمحالها مجنون
والفكر غواص عليها مخرج • والحق فيها لؤلؤ مكنون

قوله أبو عبد الله فى نسخة ابو العباس اه

وقال أبو القاسم بن الابرش

أيأسونى لما تعاظم ذنبى • أترا هم هم الغفور الرحيم
فذروني وما تعاظم منه • انما يغفر العظيم العظيم

وقال أبو العباس بن صقر الغرناطى أو المرى وأصله من سرقسطة

أرض العدو بظاهر متصنع • ان كنت مضطرا الى استرضائه
كم من فتى الفى بوجه باسم • وجوانحى تتقد من بغضائه

وقال الكاتب الشهير الشهيد أبو عبد الله محمد بن الابار القضاعى البلنسى رحمه الله تعالى من أبيات

ياشقيق النفس أوصيك وان • شئت فى الاخلاص ما تنتهجه
لا تبت فى كد من كيد • رب ضيق عاد رحبا مخرجه
وبلطف الله أصبح واثقا • كل كرب فعليه فرجه

ولابن الابار المذكور ترجمة طويلة استوفيت منها ما أمكننى فى أزهار الرياض فى أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل للنفس به ارتياح وللعقل ارتياض قال الغبرينى فى عنوان الدراية لو لم يكن له من الشعر الا قصيدته السينية التى رفعها للامير أبى زكريا رحمه الله تعالى يستجديه ويستصرخه لنصرة الاندلس لكان فيها كفاية وان كان قد نقدها ناقد وطعن عليه فيها طاعن ولكن كما قال أبو العلاء المعرى

تكلم بالقول المضل حاسد • وكل كلام الحاسدين هواء

ولو لم يكن له من التآليف الا كتابه المسمى بمعادن اللجين فى مراثى الحسين لكفاه فى ارتفاع درجته وعلو منصبه وسمو رتبته ثم قال توفى بتونس ضحوة يوم الثلاثا الموفى عشرين لمحرم سنة ٦٥٨ ومولده آخر شهر ربيع سنة ٥٩٥ ببلنسية رحمه الله تعالى وسامحه انتهى •

وقال ابن علوان انه يتصل سنده به من طرق منها من طريق الراوية ابى عبد الله محمد بن جابر القيسى الوادى آشى عن الشيخ المقرى المحدث المتبحر أبى عبد الله محمد بن حيان الاوسى الاندلسى نزيل تونس عنه ومن طريق والدى صاحب عنوان الدراية عن الخطيب أبى عبد الله بن صالح عنه انتهى (قلت) وسندى اليه عن العم عن التنسى عن أبيه عن ابن مرزوق عن جده الخطيب عن ابن جابر الوادى آشى به كما مر • وقال ابن عبد ربه

بادر الى التوبة الخلصاء مجتهدا * والموت ويحك لم يعدد اليك يدا
وارقب من الله وعدا ليس يخلفه * لابد لله من انجاز ماوعدا

وقال الصدر أبو العلاء بن قاسم القيسي

ياواقف الباب فى رزق يؤمله * لاتقنطن فان الله فاتحه
ان قدر الله رزقا أنت طالبه * لاتيأسن فان الله مانحه

وقال الاعمى التطيلي

تنافس الناس فى الدنيا وقد علموا * أن سوف تقتلهم لذاتها بددا
قل للمحدث عن لقمان أولبد * لم يترك الدهر لقمانا ولا لبدا
وللذى همه البنيان يرفعه * ان الردى لم يغادر فى الثرى أحدا
مالابن آدم لاتفنى مطامعه * يرجو غدا وعسى أن لايعيش غدا

وقال أبو العباس التطيلي

والناس كالناس الاأن تجربهم * وللبصيرة حكم ليس للبصر
كالليل مشتبهات فى مناتبها * وانما يقع التفضيل فى القمر

وقال القاضي أبو العباس بن العماز البلنسي

من كان يعلم لامحالة انه * لابد أن يودى وان طال المدى
هلا استعد لشهد يجزى به * من قد أعد من اهتدى ومن اعتدى

وقال أيضا

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتة * وأنت على سوء من الفعل عاكف
واياك أن تمضى من الدهر ساعة * ولاحظة الاوقلبك واجف
فبادر باعمال يسرك أن ترى * اذا طويت يوم الحساب الصحائف
ولاتيأسن من رحمة الله انه * لرب العباد بالعباد لطائف

ولما استوزر بادیس صاحب غرناطة اليهودى الشهير بابن نغولة وأعضل داؤه المسلمين قال زاهد البيرة وغرناطة أبو اسحق الالبيري قصيدته النونية المشهورة التى منها فى اغراء صنهاجة باليهود

الا قل لصنهاجة أجمعين * بدور الزمان وأسد العرين
مقالة ذى مقة مشفق * نصيح النصيحة دينا ودين
لقد زل سيدكم زلة * أقر بها أعين الشامتين
فصير كاتبه كافرا * ولو شاء كان من المؤمنين
فعز اليهود به وانتموا * وسادوا وتاهوا على المسلمين

وهى قصيدة طويلة فثارت اذذاك صنهاجة على اليهود وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وفيهم الوزير المذكور وعادة أهل الاندلس ان الوزير هو الكاتب فأراح الله العباد والبلاد ببركة هذا الشيخ الذى نور الحق على كلامه باد وقال أبو الطاهر الجياني المشهور بابن أبي ركب بفتح الراء وسكون الكاف

قوله هو الموت الخ قد تقدمت هذه الابيات قريبا ولذا أسقط فى نسخة من الاصل ماعدا البيت الاول وأحال على ذكرها فيما سبق غير أن البيت الثالث منها فيه تغيير يعلم بمراجعته فيما سبق اه مصححه

يقول الناس فى مثل * تذكر غائبا تره
فمالى لا أرى سكنى * ولا أنسى تذكره

وكان أبو الطاهر هذا فى جملة من الطلبة فمر بهم رجل معه محبرة أبنوس تانق فى حليتها واحتفل فى عملها فأراهم اياها وقال أريد أقصدبها بعض الاكابر وأريد أن تنظموا احتفالى بأن تصنعوا لى بنكم أبيات شعر أقدمها معها فأطرق الجماعة وقال أبو الطاهر

وافتك من عدد العلى زنجية * فى حلة من حلية تتبختر
صفراء سوداء الحلى كأنها * ليل تطرزه نجوم تزهر

فلم يغب الرجل عنهم الا يسيرا واذا به قد عاد اليهم وفى يده قلم نحاس مذهب فقال لهم وهذا أعددته للدفع مع هذه المحبرة فتفضلوا بابا كمال الصنيعة عندى بذكره فبدر أبو الطاهر وقال

حملت باصفر من نجار حليها * تخفيه احيانا وحينا تظهر
خرسان الا حين يرضع ثديها * فتراه ينطق ما يشاء ويذكر

قال ابن الابار فى تحفة القادم وحضر يوما فى جماعة من أصحابه وفيهم أبو عبد الله بن زرقون فى شعبان فى مكان فلما تملوا من الطعام قال أبو الطاهر لابن زرقون أجزنيا أبا عبد الله وأنشد

حمدت لشعبان المبارك شبعة * تسهل عندى الجوع فى رمضان
كما حمد الصب المتيم زورة * تحمل فيها الهجر طول زمان

فقال

دعوها بشعبانية ولوانهم * دعوها بشعبانية لكفانى

انتهى * وقال أبو عبد الله بن خميس الجزائرى

تحفظ من لسانك ليس شئ * أحق بطول سجن من لسان
وكن للصمت ملتزما اذا ما * أردت سلامة فى ذا الزمان

وقال أيضا

كن حلس بيتك مهما فتنة ظهرت * تخلص بدينك وافعل دائما حسنا
وان ظلمت فلا تحقد على أحد * ان الضغائن فاعلم تنشئ الفتنا

وقال

جد الى ان خير الناس عيشا * من آمنه الاله من الانام
فليس لخائف عيش لذيذ * ولو ملك العراق مع الشام

وله

جانب جميع الناس تسلم منهم * ان السلامة فى مجانبة الورى
واذا رأيت من امرئ يوما أذى * لا تجزه أبدا بما منه ترى

وله

قوله يقول الناس الخ قد ذكر هذان البيتان فى غير هذا الموضع اه

قوله خرسان فى نسخة غرثان بالغين المعجمة والمثلثة وكذلك سبق فى ذكر تلك الابيات وماهنا يناسب قوله فتراه ينطق الخ وما سبق يلائم قوله الا حين يرضع غير أن قياس اسم الفاعل من يخرس أخرس لا خرسان فلينظر اه مصححه

قوله من آمنه يلزم قراءته بنقل حركة الهمزة الى النون قبلها كما لا يخفى اه مصححه

قوله ترى فى نسخة جرى اه

من أدب ابنا له صغيرا * قرت به عينه كبيرا
وارغم الانف من عدو * يحسد نعماه كثيرا

وقال أبو محمد بن هرون القرطبي

بيد الاله مفاتح الرزق الذى * أبوابه مفتوحة لم تغلق
عجبا لذى فقر يكلف نفسه * فى الوقت شيأ عنده لم يخلق

وقال أيضا

لعمرك ما الانسان يرزق نفسه * ولكنما الرب الكريم يسخره
وما يد المخلوق فى الرزق حيلة * تقدمه عن وقته أو تؤخره

وقال الاديب الاستاذ أبو محمد بن صارة رحمه الله تعالى

يا من يصيخ الى داعى السقاة وقد * نادى به الناعيان الشيب والكبر
ان كنت لا تسمع الذكرى ففيم ثوى * فى رأسك الواعيان السمع والبصر
ليس الاصم ولا الاعمى سوى رجل * لم يهده الهاديان العين والاثر
لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الاعلى ولا النيران الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وان كرها * فراقها الشاويان البدو والحضر

وقال رحمه الله تعالى فى ابنة ماتت له

ألا يا موت كنت بنا رؤفا * فجددت الحياة لنا بزوره
حمدنا فعلك المشكور لما * كفيت مؤنة وسترت عوره
فأنكحنا الضريح بلا صداق * وجهزنا الفتاة بغير شوره

وأنشد أبو عبد الله بن الحاج البكرى الغرناطى فى بعض مجالسه قوله

يا غاديا فى غفلة ورائحا * الى متى تستحسن القبائحا
وكم الى كم لا تخاف موقفا * يستنطق الله به الجوارحا
يا عجبا منك وكنت مبصرا * كيف تجنبت الطريق الواضحا
كيف تكون حين تقرا فى غد * صحيفة قد ماتت فضائحا
أم كيف ترضى أن تكون خاسرا * يوم يفوز من يكون رابحا

وعن روى عنه هذه الابيات الكاتب الرئيس أبو الحسن بن الجياب وتوفى ابن الحاج المذكور سنة ٧١٥ رحمه الله تعالى * وقال حافظ الاندلس ومحدثها أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعى رحمه الله تعالى

الهى مضت للعمر سبعون حجة * ولى حركات بعدها وسكون
فيا ليت شعرى أين أو كيف أومتى * يكون الذى لابد أن سيكون

والصواب انهما لغيره كما ذكرته فى غير هذا الموضع وبالجملة فهما من كلام الاندلسيين وان لم يحقق ناظمهما بالتعيين * وقال أبو بكر يحيى التطيلى رحمه الله تعالى

اليك بسطت الكف فى لجة الدجا * نداء غريق فى الذنوب غريق
رجاء ضميرى كى تخاص جملتى * وكم من فريق شافع لفريق

وحكى ان بعض المغاربة كتب الى الملك الكامل بن العادل بن أيوب رقعة فى ورقة بيضاء ان قرئت فى ضوء السراج كانت فضية وان قرئت فى الشمس كانت ذهبية وان قرئت فى الظل كانت حبرا أسود وفيها هذه الابيات

لئن صدنى البحر عن موطنى * وعيسنى بأشواقها زاهره
فقد زخرف الله لى مكة * بأنوار كعبته الزاهره
وزخرف لى بالنبى يثربا * وبالملك الكامل القاهره

فقال الملك الكامل قل

وطيب لى بالنبى طيبة * وبالملك الكامل القاهره

وأظن أن المغربى أندلسى لقوله لئن صدنى البحر عن موطنى فلذلك أدخلته فى أخبار الاندلسيين على غير تحقيق فى ذلك والله أعلم * وأنشد ابو الوليد المعروف بابن الخليع قال أنشدنا أبو عمر بن عبد البر النمرى الحافظ

تذكرت من يبكى على مداوما * فلم ألف الا العلم بالدين والخبر
علوم كتاب الله والسنن التى * أتت عن رسول الله مع صحة الاثر
وعلم الالى من ناقديه وفهمها * له اختلفوا فى العلم بالرأى والنظر

وأنشد له أيضا

مقالة ذى نصح وذات فوائد * اذا من ذوى الالباب كان استماعها
عليكم بآثار النبى فانه * من أفضل أعمال الرشاد اتباعها

وقال أبو الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب الازدى اليابرى وسكن أبوه قرطبة

عصيت هوى نفسى صغيرا وعندما * رمتنى الليالى بالمشيب وبالكبر
أطعت الهوى عكس القضية ليتنى * خلقت كبيرا وانتقلت الى الصغر

قوله وانتقلت فى نسخة ثم عدت اه

وقيل ان ابنه أبا الحسن على بن عبد الملك قال بيتا مفردا فى معنى ذلك وهو

هنيئا له اذ لم يكن كابنه الذى * أطاع الهوى فى حالتيه وما اعتبر

وقيل ان هذا البيت رابع أربعة أبيات * وقال أبو اسحق بن خفاجة لما اجتمع به أبو العرب وسأله عن حاله وقد بلغ فى عمره احدى وثمانين سنة فانشده لنفسه

أى عيش أو غداء أو سنه * لابن احدى وثمانين سنه
قاص الشيب به ظل امرئ * طالما جر صبا حارسنه
تارة تسطو به سيئة * تسخن العين وأخرى حسنه

قوله ابن محمد فى نسخة ابن موسى اه

وقال أبو محمد عبد الوهاب بن محمد القيسى المالقى

الموت حصاد بلا منجل * يسطو على القاطن والمنجلى
لا يقبل العذر على حالة * ما كان من مشكل أو من جلى

قوله مشكل يلزم قراءته بغير تنوين للوزن كما لا يخفى اه مصححه

وقال الشيخ عبد الحق الاشبيلى الازدى صاحب كتاب العاقبة والاحكام وغيرهما

ان فى الموت والمعاد لشغلا * واذكارا الذى النهى وبلاغا
فاغتنم خطتين قبل المنايا * صحة الجسم يا أخى والفراغا

وقال

وقال أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني من أهل جليانة من عمل وادي آش

الا انما الدنيا بحار تلاطمت * فما أكثر الغرقى على الجنبات
وأكثر من صاحبت يغرق فيه * وقل فتى ينجي من الغمرات

وكان المذكور من أهل العلم والادب رحل وحج وتجول في البلاد ونزل القاهرة المعزية وكان أحد السياحين في الارض وله تآليف منها جامع انماط الوسائل في القريض والخطب والرسائل وأكثره نظمه ونثره رحمه الله تعالى * وقال عبد العليم بن عبد الملك ابن حبيب القضاعي الطرطوشي

وما الناس الا كالصحائف عبرة * وألسنهم الاكمثل التراجم
اذا اشتجر الخصمان في فطنة الفتى * فقوله في ذاك أعدل حاكم

وقال أبو الحكم عبد المحسن البلنسي

من كان للدهر خدنا في تصرفه * أبدت له صفحة الدهر الاعاجيبا
من كان خلوا من الآداب سربله * من الليالي على الايام تأديبا

وقال أبو حاتم عمر بن محمد بن فرج من أهل مبرتلة مدينة بقرب الاندلس يمدح شهاب الدين القضاعي

شهب السماء ضياؤها مستور * عنا اذا أفلت توارى النور
فانزع هديت الى شهاب نوره * متألق آماله تبشير
تشفي جواهره القلوب من العمى * ولطالما انشرحت بهن صدور
فاذا أتى فيه حديث محمد * خذ في الصلاة عليه يا مغرور
وترحم على القضاعي الذي * وضع الشهاب فسعيه مشكور

وقال الاستاذ أبو محمد غانم بن الوليد المخزومي المالقي

ثلاثة يجهل مقدارها * الأمن والصحة والقوت
فلا تثق بالمال من غيرها * لو انه در ويا قوت

وتذكرت بهذا قول الآخر

اذا ما القوت يأتي لك * والصحة والامن
وأصبحت أخا حزن * فلا فارقك الحزن

وكل ذلك أصله الحديث النبوي من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه معه قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها وأخبرنا شيخنا القصار أبو عبد الله محمد بن قاسم القيسي مفتي مدينة فاس وخطيبها سنة عشر وألف قال حدثنا شيخنا أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل التونسي نزيل فاس الشهير بخروف حدثنا الامام سيدي فرج الشريف الطحطحاني قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم يقول من أصبح آمنا في سربه الحديث * (رجع) * وقال الاستاذ العارف بالله سيدي أبو العباس أحمد بن العريف الاندلسي دفين مراكش وقد زرت قبره بها سنة ثمانية

اذا نزلت بساحتك الرزايا * فلا تجزع لها جزع الصبي
فان لكل نازلة عزاء * بما قد كان من فقد النبي

وقال رحمه الله تعالى

قوله باليم في نسخة باتين اه

شدوا الرحال وقد نالوا الذي بمنى * وكلهم بأليم الشوق قد باحا
راحت ركائبهم تندى روائحها * طيبا بما طاب ذاك الوفد اشباحا
نسيم قبر النبي المصطفى لهم * راح اذا سكروا من أجله فاحا
يا راحلين الى المختار من مضر * زرتم جسوما وزرنا نحن أرواحا
انا أقمنا على شوق وعن قدر * ومن أقام على عذر كمن راحا

وقال أبو محمد المحاربي

داء الزمان وأهله * داء يعز له العلاج
أطلعت في ظلمائه * رأيا كما سطع السراج
لعاشر أعيا ثقا * في من قناتهم اعوجاج
كالدر ما لم تختبر * فاذا اختبرت فهم زجاج

وقال أبو عبد الله غريب الثقفي القرطبي

تهددني بمخلوق ضعيف * يهاب من المنية ما أهاب
له أجل ولي أجل وكل * سيبلغ حيث يبلغه الكتاب
وما يدري لعل الموت منه * قريب أينما منه المصاب

وله

أيها الآمل ما ليس له * طالما غرّ جهولا أمله
ربما بات يمني نفسه * خانه دون مناه أجله
وفتى يكسر في حاجاته * عاجلا أعقب ريثا عجله
قل لمن مثل في أشعاره * يذهب المرء ويبقى مثله
نافس المحسن في احسانه * فسيكفيك مسيئا عمله

قال ابن الابار وهذا البيت الاخير في برنامج الطبني * وقال أبو الحسين سليمان بن الطراوة النحوي المالقي

وقائلة أتصبو للغواني * وقد أضحى بفرقك النهار
فقلت لها حننت على التصابي * أحق الخيل بالركض المعار

وقال الحافظ أبو الربيع بن سالم

اذا برمت نفسي بحال أحلها * على أمل نأى فقرّت به النفس
وأنزل أرجاء الرباء ركائبي * اذا رام الماما بساحتي اليأس
وان أوحشتني من أماني نبوة * فلي في الرضا بالله والقدر الانس

وقال أبو الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الباهلي الاشبيلي مما أنشده لنفسه في كتابه الذي سماه بالذخائر والاعلاق في أدب النفوس ومكارم الاخلاق

اذا تم عقل المرء تمت فضائله * وقامت على الاحسان منه دلائله
فلا تنكر الابصار ما هو فاعله * ولا تنكر الاسماع ما هو قائله

وكان أبو المذكور من وزراء المعتمد بن عباد رحم الله تعالى الجميع * وقال أبو بكر الزبيدي اللغوي

اترك الهم اذا ما طرقك * وكل الامر الى من خلقك
واذا أمّل قوم أحدا * فالى ربك فامدد عنقك

وقال القاضي أبو الوليد هشام بن محمد القيسي الشلبي المعروف بابن الطلاع وضت القاضي أبا محمد عبد الله بن شبرين ما يحذر من فتنة النظر الى الوجوه الحسان فقلت

لا تنظرن الى ذي رونق أبدا * واحذر عقوبة ما يأتي به النظر
فكم صريع رأيناه صريع هوى * من نظرة فادها يومًا له القدر

فاجابني في المعنى الذي انتحيته

اذا نظرت فلا تولع بتقليب * فربما نظرة عادت بتعذيب

ورب هنا للتكثير * وقال الاستاذ ابن حوط الله

أتدري انك الخطاء حقا * وانك بالذي تاتي رهين
وتغتاب الالى فعلوا وقالوا * وذاك الظن والافك المبين

قال في الاحاطة أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عمر بن حوط الله الانصاري الحارثي كان فقيها جليلا أصوليا كاتبا أديبا شاعرا متفننا في العلوم ورعا دينا حافظا ثبتا فاضلا درس كتاب سيبويه ومستصفى أبي حامد الغزالي وكان رحمه الله تعالى مشهورا بالعقل والفضل معظما عند الملوك معلوم القدر لديهم يخطب في مجالس الامراء والمحافل الجمهورية مقدما في ذلك بلاغة وفصاحة الى أبعد مضمار ولي قضاء اشبيلية وقرطبة ومرسية وسبتة وسلا وميورقة فتظاهر بالعدل وعرف بما أبطن من الدين والفضل وكان من العلماء العاملين مجانبا لاهل البدع والاهواء بارع الخط حسن التقييد وسمع الحديث فحصل له سماع لم يشاركه فيه أحد من أهل الغرب وسمع على الجهابذة كابن بشكوال وغيره وقرأ اكثر من ستين تأليفا بين كبار وصغار وكمل له على أبي محمد بن عبد الله بن قراءة وسماع نحو من ستة وثلاثين تأليفا منها الصحيحان وأكثر عن ابن حبيش وابن الفخار والسهيلي وغيرهم ومولده في محرم سنة ٥٤١ وتوفي بغرناطة سحر يوم الخميس ثاني ربيع الاول سنة ٦١٢ ونقل منها في تابوته الذي أحد فيه يوم السبت تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة الى مالقة فدفن بها رحمه الله تعالى انتهى وبعضه بالمعنى مختصرا وللمذكور ترجمة واسعة جدا وألممت بما ذكر على وجه النبذ لاذكره رحمه الله تعالى ورضي عنه * وقال أبو المتوكل الهيثم بن أحمد السكوني الاشبيلي

يجفى الفقير ويغشى الناس قاطبة * باب الغنى كذا حكم المقادير
وانما الناس أمثال الفراش فهم * يرون حيث مصابيح المذانير

وقال تلميذه ابن الابار أنشدني بعض أصحابنا عنه هذين البيتين ولم أسمعهما منه انتهى (قلت)

قوله سنة ٥٤١ في نسخة سنة ٥٤٨ اه

وبهذا تعرف وهم من نسب البيتين الى عبد المهيمن الحضرمي وقد أنشدهما أيضا ابن الجلاب الفهري في روح الشعر وروح الشعر وقال أبو محمد القاسم بن الفتح الجاري المعروف بابن افريولة

ركابي بارجاء الرجاء مناخة * ورائدها على بانك لي رب
وانك علام بما أنا قائل * كما أنت علام بما أضمر القلب
لئن آدها ذنب تولت بعبئه * لقد قرعت بابا به يغفر الذنب

وقال أيضا

عجبا لحبر قد تيقن انه * سيرى انتراف يديه في ميزانه
ثم استطى ظهر المعاصي جهرة * لم يثنه التأنيب عن عصيانه
أني عصى ولكل جزء نعمة * من نفسه وزمانه ومكانه

وقال الشاعر الكبير الشهير أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن مجبر الفهري

ان الشدائد قد تغشى الكريم لان * تبين فضل صبابا ويوضحه
كبرد القين اذ يعلو الحديد به * وليس يأكله الا ليصلحه

وقال

لا تغبطن المجد في علمه * وان رأيت الخصب في ماله
ان الذي ضيع من نفسه * فوق الذي ثمر من ماله

وقال أبو الحجاج يوسف بن أحمد الانصاري المنصفي البلنسي

قالت لي النفس أتاك الردى * وأنت في بحر الخطايا مقيم
هل اتخذت الزاد قلت اقصري * هل يحمل الزاد لدار الكريم

وكان المنصفي المذكور صالحا وله رحلة حج فيها ومال الى علم التصوف رحمه الله تعالى وله فيه أشعار حملت عنه * وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن الصائغ القرشي الاموي الاندلسي مخمسا أبيات عز الدين بن جماعة قاضي القضاة رحمه الله تعالى

همة الابي على مقدار منصبه * وبسط راحته في طي منصبه
ما أنت والدهر تشكو من تقلبه * يا مبتلى بقضاء قد بليت به
عليك بالصبر واحذر يا أخي جزعك
صبرا فللصبر في حرب العدا عدد * ذر العدو يعته الغيظ والحسد
ولا يكن لك الا الله معتمد * واعلم بأن جميع الخلق لو قصدوا
أذلك لم يقدروا والله قد رفعك
أعلاك في رتب غر معظمة * بالعرف معروفة بالعلم معلمة
ومن يناويك في بهماء مظلمة * فاصرف هواك وجانب كل مظلمة
واصحب قديمك من بالنصح قد نفعك
قد اجتلبت من الايام تبصرة * وقد كفاك الهدى والذكر تذكرة
فاشكر وقدم مع الاخلاص معذرة * واسال الهك في الاسحار مغفرة

منه وكن معه حتى يكون معك

قوله سنة ٧٤٩ هكذا في نسخة سنة ٤٤٩ اه

وتوفي المذكور بالقاهرة في الطاعون العام سنة ٧٤٩ هـ وقال أبو عبد الله الحميدي

الناس نبت وأرباب القلوب لهم * روض وأهل الحديث الماء والزهر
من كان قول رسول الله حاكمه * فلا شهود له الا الذي ذكروا

وقال أيضا

من لم يكن للعلم عندك شانه * أرج فان بشاشة كفنانه
بالعلم يحيا المرء طول حياته * فاذا انقضى احياه حسن ثنائه

وقال أيضا

دين الفقيه حديث يستضيء به * عند الحجاج والاكان في الظلم
ان تاه ذو مذهب في قفر مشكلة * لاح الحديث له في الوقت كالعلم

ولما تعرض بعض من لا يبالي بما ارتكب الى أصحاب الحديث بقوله

أرى الخير في الدنيا يقل كثيره * وينقص نقصا والحديث يزيد
فلو كان خيرا كان كالخير كله * ولكن شيطان الحديث مريد
ولابن معين في الرجال مقالة * يسأل عنها والمليك شهيد
فان يك حقا قوله فهي غيبة * وان يك زورا فالقصاص شديد

أجابه الامام أبو عبد الله الحميدي بقصيدة طويلة منها

واني الى ابطال قولك قاصد * ولي من شهادات النصوص جنود
اذا لم يكن خيرا كلام نبينا * لديك فان الخير منك بعيد
وأقبح شيء أن جعلت لما أتى * عن الله شيطانا وذا الشديد
ومازلت في ذكر الزيادة معجبا * بها تبدي التلبيس ثم تعيد
كلام رسول الله وحي ومن يرم * زيادة شيء فهو فيه عنيد

ومنها في ابن معين

وما هو الا واحد من جماعة * وكلهم فيما حكوه شهود
فان صد عن حكم الشهادة جاهل * فان كتاب الله فيه شهيد
ولولا رواة الدين ضاع وأصبحت * معالمه في الآخرين تبيد
هم حفظوا الآثار من كل شبهة * وغيرهم عما اقتفوه رقود
وهم هاجروا في جمعها وتبادروا * الى كل أفق والمرام صعود
وقاموا بتعديل الرواة وجرحهم * فدام صحيح النقل وهو جديد
بتبليغهم صحت شرائع ديننا * حدود تحروا حفظها وعهود
وصح لاهل النقل منها احتجاجهم * فلم يبق الا عاند وحقود
وحسبهم أن الصحابة بلغوا * وعنهم رووا والاستطاع جحود
فمن حاد عن هذا اليقين فمارق * مريد لاظهار الشكوك مريد
ولكن اذا جاء الهدى ودليله * فليس لموجود الضلال وجود

وان رام أعداء الديانة كيدها * فكيدهم بالمخزيات مكيد

وقال أبو بكر محمد بن محمد بن محرز الزهري البلنسي والتزم الراء في كل كلمة

اشكر لربك وانتظر * في اثر عسر الامر يسرا
واصبر لربك وادخر * في ستر ضر الفقر أجرا
فالدهر يعثر بالورى * والصبر بالاحرار احرى
والوفر أظهر معشرا * والفقر بالاخيار يغرى

وقال أيضا

اقنع بما أوتيته تنل الغنى * واذا دهتك ملمة فتصبر
واعلم بان الرزق مقسوم فلو * رمنا زيادة ذرة لم نقدر
والله أرحم بالعباد فلا تسل * بشرا تعش عيش الكرام وتؤجر
واذا سخطت لضر حالك مرة * ورأيت نفسك قد عدت فاستبصر
وانظر الى من كان دونك تذكر * لعظيم نعمته عليك فتشكر

وقال الحافظ أبو محمد بن حزم أنشدني والدي أحمد بن سعيد بن حزم

اذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

وقال القاضي أبو العباس أحمد بن الغماز البلنسي نزيل تونس

وقالوا أما تخشى ذنوبا أتيتها * ولم تك ذا جهل فتعذر بالجهل
فقلت لهم هبني كما قد ذكرتم * تجاوزت في قولي واسرفت في فعلي
أمافي رضى مولى الموالي وصفحه * رجاء ومسلاة لمقترف مثلي

وأنشد رحمه الله تعالى لنفسه في اليوم الذي مات فيه وهو آخر ما سمع منه ليلة عاشوراء سنة ٦٩٣

ادعوك يا رب مضطرا على ثقة * بما وعدت كما المضطر يدعوكا
دارك بعفوك عبد لم يزل أبدا * في كل حال من الاحوال يرجوكا
طالت حياتي ولما أتخذ عملا * الا محبة أقوام احبوكا

وقال ابن الزقاق ويقال انها مكتوبة على قبره

أاخواننا والموت قد حال دوننا * وللموت حكم نافذ في الخلائق
سبقتكم للموت والعمر طيبة * وأعلم أن الكل لابد لاحق
بعيشكم أو باضطجاعي في الثرى * ألم تك في صفو من العيش رائق
فمن مرتبي فليمض لي مترحما * ولا يك منسيا وفاء الاصادق

قوله صالح في دمحة صادق اه

وقال الخطيب أبو عبد الله محمد بن صالح الكناني الشاطبي ومولده سنة ٦١٤

أرى العمر يفنى والرجاء طويل * وليس الى قرب الحبيب سبيل
حباه الاله الخلق أحسن سيرة * فما الصبر عن ذاك الجمال جميل
متى يشتفي قلبي بلثم ترابه * ويسمح دهر بالمزار بخيل
دلالت عليه في أوائل أسطري * فذاك نبي مصطفى ورسول

وقال

وقال أيمن بن محمد الغرناطي تنزيل طيبة على ساكنها الصلاة والسلام

أرى حيرات قد احاطت عراصها * ببحر محيط حصره غير ممكن
بحار المعاني والمعالي وان طمت * لدى لجه تفنى وعن هوله تنى
محمد المحمود في كل موطن * أبو القاسم المختار من خير معدن
نبي اذا أبصرت غرة وجهه * تيقنت أن العز عز المهيمن
لك الله من بدر اذا الشمس غابت * محياه قالت ان ذا طالع سنى

وله

كل القلوب مطيعة لك في الهوى * جانب فديتك من تشا أووالى
ايلحسن وال والقلوب رعية * وعلى الرعية أن تطيع الوالى

وقال أيضا

الا أيها الباكي على ما يفوته * من الحظ في الدنيا جهلت وما تدرى
على فوت حظ من جوار محمد * حقيق بأن تبكي الى آخر العمر
ستدرى اذا متنا وقد رفع الغوا * وأحضرها دينا الى موقف الحشر
من الفائز المغبوط في يوم حشره * أجار النبي المصطفى أم أخو الوفر

وله

فررت من الدنيا الى ساكن الحمى * فرار محب لائذ بحبيب
ألجأت الى هذا الجناب وانما * ألجأت الى سامي العماد رحيب
وناديت مولاي الذي عنده الغنى * نداء عليل في الزمان غريب
أمولاي اني قد أتيتك لائذا * وأنت طبيبي يا أجل طبيب
فقال لك البشرى ظفرت من الرضا * بأوفر حظ مجزل ونصيب
تناومت في اطلال ليل شبيبتي * فأدركني بالفجر صبح مشيبي

وقال أبو بكر الزبيدي اللغوي

لولم تكن نار ولا جنة * للمرء الا انه يقبر
لكان فيه واعظ زاجر * ناطق لمن يسمع أو يبصر

ولقد صدق رحمه الله تعالى ورضي عنه * ولبعض فقهاء طليرة

رأيت الانقباض أجل شئ * وادعى في الامور الى السلامه
فهذا الخلق سالمهم ودعهم * فروثيتهم تؤول الى الندامه
ولا تعنى بشئ غير شئ * يقود الى خلاصك في القيامه

وأمر الكاتب أبو بكر بن مفاور بكتب هذه الابيات على قبره وهي له

أيها الواقف اعتبارا بقبري * استمع فيه قول عظمي الرميم
أودعوني بطن الضريح وخافوا * من ذنوب كلومها بادميم
قلت لا تجزعوا علي فاني * حسن الظن بالرؤف الرحيم
ودعوني بما اكتسبت رهينا * غلق الرهن عند مولى كريم

وقال الخطيب بن صفوان

رأيتك يدنيني اليك تباعدى * فأبعدت نفسى لابتغائى فى القرب
هربت اليه منى اليه فلم يكن * بى البعد فى قربى فصح به قربى
فيارب هل نعمى على العبد بالرضا * ينال بها فوزا من القرب بالقرب

وقال الوادى آشى وهذا النظم معناه جليل وتكرار القرب وان قبح عند العروضى فهو عند المحب جميل وهم القوم يسلم لهم فى الافعال والاقوال وترتجى بركتهم فى كل الاحوال انتهى * وقال بعض قدماء الاندلس

سئمت الحياة على حبها * وحق لذى السقم أن يسأما
فلا عيش الا لذى صحة * تكون له للتقى سلما

وذيل آخر منهم فقال

ولا داء الا لمن لم يزل * يقارب فى دينه مائما
فلست تعالج جرح الهوى * هديت بمثل التقى مرهما

وقال أبو جعفر أحمد السامى القيسى المرى

اذا ما جنى يوما عليك جناية * ظلوم يدق السمر بأسا ويقصف
فلا تتقدم يوما عليه بما جنى * وكل أمره للدهر فالدهر منصف

وقال أيضا

ليس حلم الضعيف حلما ولكن * حلم من لو يشاء صال اقتدارا
من تغاضى عن السفيه بحلم * أصبح الناس دونه أنصارا
من يزوج كريمة الهمة العلياء علوا فقد أجاد الخيارا
ستريه عند الولاد بنيها العلم والحلم والاناة كبارا

وقال الخطيب الصالح أبو اسحق بن أبى العاصى

اعمل بعلمك توت علما انما * جدوى علوم المرء منهج الاقوم
واذا الفتى قد نال علما ثم لم * يعمل به فكأنه لم يعلم

وقال موطئا على البيت الاخير

أمولاى أنت العفو الكريم * لبذل النوال وللمعذره
على ذنوب وصحيفها * ومن عندك الجود والمغفره

وقال الخطيب المتصوف الشهير أبو جعفر أحمد بن الزيات من بلش مالقة

يقال خصال أهل العلم ألف * ومن جمع الخصال الالف سادا
ويجمعها الصلاح فمن تعدى * مذاهبه فقد جمع الفسادا

وقال أيضا

ان شئت فوزا بمطلوب الكرام غدا * فاسلك من العمل المرضى منهاجا
واغلب هوى النفس لا يغررك خادعه * فكل شئ يحط القدر منهاجا

وقال الاديب الكبير الشهير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سارة البكرى الشنترينى رحمه الله

تعالى

قوله بلش هكذا فى الاصل والذى رأيته فى تقويم البلدان لابى الفداء ابليش بكسر الهمزة والموحدة وتشديد اللام بعدها مثناة تحتية فشين معجمة وهى مدينة ضخمة من أعمال مالقة فى شرقيها وليس فى أعمالها مثلها فلينظر اه مصححه

تعالى

بنو الدنيا بجهل عظموها * فجلت عندهم وهي الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها * مهارشة الكلاب على العقيره

وقال

أي عذر يكون لا أي عذر * لابن سبعين مولع بالصبابه
وهو ماء لم تبق منه الليالي * في اناء الحياة الا اصبابه

وقال أيضا

ولقد طلبت رضى البرية جاهدا * فاذا رضاهم غاية لا تدرك
وأرى القناعة للفتى كنزا له * والبر أفضل ما به يتمسك

وقال أبو محمد بن صاحب الصلاة الداني ويعرف بعبدون

وعجل شيبي ان ذا الفضل مبتلى * بدهر غداة ذو النقص فيه مؤمل
ومن نكد الدنيا على المرء أن يرى * بها الحر يشقى والئيم مؤمل
سقى ينعم المعتر عينا اذا اعتفى * جوادا مقلا أو غنيا مبخلا

وقال أبو الحكم عبيد الله الاموي مولاهم الاندلسي

اذا كان اصلاحي لجسمي واجبا * فاصلاح نفسي لا محالة أوجب
وان كان ما يفنى الى النفس محببا * فان الذي يبقى الى العقل أعجب

وقال الفقيه الزاهد أبو اسحق ابراهيم بن مسعود الالبيري رحمه الله تعالى

لله اكياس جفوا أوطانهم * فالارض أجمعها لهم أوطان
جالت عقولهم بحال تفكر * وجلالة فبدا لها الكتمان
ركبت بحار الفهم في فلك النهى * وجرى بها الاخلاص والايمان
فرست بهم لما التقوا بجفونهم * مرسى لهم فيه غنى وأمان

وقال أبو جعفر بن خاتمة رحمه الله تعالى

يا من يغيث الورى من بعد ما قنطوا * ارحم عبادا أكف الفقر قد بسطوا
عودتهم بسط أرزاق بلا سبب * سوى جميل رجاء نحوه انبسطوا
وعدت بالفضل في ورد وفي صدر * بالجود ان اقسطوا والحلم ان قسطوا
عوارف ارتبطت ثم الانوف لها * وكل صعب بقيد الجود يرتبط
يا من تعرف بالمعروف فاعترفت * بجمة انعامه الاطراف والوسط
وعالما بخفيات الامور فلا * وهم يجوز عليه لا ولا غلط
عبد فقير بباب الجود منكسر * من شأنه أن يوافي حين ينضغط
مهما أتى ليمد الكف أخجله * قبائح وخطايا أمرها فرط
يا واسع الخلق خطوا الخلق عن نعم * منه اذا خطبوا في شكرها خبطوا
وناشر اليد الاجمال رحمته * فليس يلحق منه مسرف قنط
ارحم عبادا بضنك العيش قد قنعوا * فانما سقطوا بين الورى لقطوا

اذا توزعت الدنيا لهالهم * غير الجنة لطف والثرى بسط
لكنهم من ذرى عليا لك فى نمط * سام رفيع الذرى مافوقه نمط
ومن يكن بالذى يهواه مجتمعا * فما يبالى اقام الحى أم شحطوا
نحن العبيد وأنت الملك ليس سوى * وكل شئ يرى بعد ذا شطط

وقال رحمه الله تعالى

ملاك الامر تقوى الله فاجعل * تقاه عدة لصلاح أمرك
وبادر نحو طاعته بعزم * فما تدرى متى يمضى بعمرك

وقال أيضا

اذا كنت تعلم أن الامور * بحكم الاله كما قد قضى
ففيم التفكر والحكم ماض * ولا رد للحكم مهما مضى
فخل الوجود كما شاءه * مدبره وابغ منه الرضى

وقال

اذا ما الدهر نابك منه خطب * وشد عليك من حنق عقاله
فكل لله أمرك لا تفكر * ففكرك فيه خبط فى حباله

وقال

عدو لك داره ما استطعت حتى * يعود لديك كالخل الشفيق
فما فى الارض أردى من عدو * وما فى الارض أجدى من صديق

وقال

ان اعرضت دنياك عنك بوجهها * وغدت ومنها فى رضاك نزاع
فاحذر بنيها واحتفظ من شرهم * ان البنين لامهم أتباع

وقال

يا مجيب المضطر عند الدعاء * منك دائى وفى يديك دوائى
جذبتنى الدنيا اليها بضبعى * ودعتنى لحتفى وشقائى
يا الهى وأنت تعلم حالى * لا تذرنى شماتة الاعداء

وقال الحافظ الكبير الشهير أبو عبد الله الحميدى صاحب الجمع بين الصحيحين رحمه الله تعالى

كتاب الله عز وجل قولى * وما صحت به الآثار دينى
وما اتفق الجميع عليه بدءا * وعودا فهو عن حق مبين
فدع ما صد عن هذى وخذها * تكن منها على عين اليقين

وقال

طريق الزهد أفضل ما طريق * وتقوى الله بادية الحقوق
فثق بالله يكفك واستعنه * يعنك وذر بنيات الطريق

وقال أبو بكر مالك بن جبير رحمه الله تعالى

رحلت وانني من غير زاد * وما قدمت شيا للمعاد
ولكني وثقت بجود ربي * وهل يشقى المقل مع الجواد

وتوفي المذكور برباريولة أعادها الله تعالى الى الاسلام سنة ٩٦٠ * وقال ابن جبير الحصبي وهو الكاتب أبو عبد الله محمد

كلما رمت أن أقدم خيرا * لمعادي ورمت أني أتوب
صرفتني بواعث النفس قسرا * فتقاعست والذنوب ذنوب
رب قلب قلبي لعزمة خير * لمتاب فني يديك القلوب

ولتعلم أن كلام أهل الاندلس بحر لا ساحل له ويرحم الله تعالى لسان الدين بن الخطيب حيث قال في صدر الاساطة وهذا الغرض الذي وضعناه هذا التاليف يطلبنا به ما قصدنا به من المباهاة والافتخار بالاكثار واستيعاب النظام والنثار ويحملنا فيه خوف السآمة على الاختصار والاقتصار وكفى بهذا اجلاء في الاعذار والله تعالى مقيل العثار وساتر العيب المشار بفضله انتهى * ونختم هذا الباب بقول أبي زكريا يحيى بن سعدين مسعود الفتى

عفوك اللهم عنا * خير شيء نتمنى
رب انا قد جهلنا * في الذي قد كان منا
وخطينا وخطلنا * ولهونا ومجنا
ان نكن رب أسأنا * ما أسأنا بك ظنا

قوله سعد في نسخة سعيد اه

وذيلته بقولي

فاختم اللهم بالحسنى وانعاما ومنا آمين

(الباب الثامن)

في ذكر تغلب العدو الكافر على الجزيرة الخضراء بعد صرفه وجوه الكيد اليها وتضريبه بين ملوكها ورؤسائها بمكره واستعماله في أمرها حيل فكره حتى استولى دمره الله تعالى عليها ومحا منها التوحيد واسمه وكتب على مشاهدها ومعاهدها وسمه وقرر مذهب التثليث والرأي الخبيث لديها واستغاث أهلها استغاثة ملهوف بالنظم والنثر أهل ذلك العصر من سائر الاقطار حتى تعذرت بحصارها مع قلة حماتها وأنصارها المآرب والاوطار وجاءها الاعداء من خلفها ومن بين يديها أعاد الله تعالى اليها كلمة الاسلام وأقام فيها شريعة سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ورفع يد الكفر عنها وعما حواليها آمين يا معين (قال) غير واحد من المؤرخين أول من جمع قل النصارى بالاندلس بعد غلبة العرب لهم علج يقال له بلاي من أهل اشتوريش من أهل جليقية كان رهينة عن طاعة أهل بلده فهرب من قرطبة أيام الحر بن عبد الرحمن الثقفي الثاني من امراء العرب بالاندلس وذلك في السنة السادسة من افتتاحها وهي سنة ثمان وتسعين من الهجرة وثار النصارى معه على نائب الحر بن عبد الرحمن فطردوه وملكوا البلاد وبقي الملك فيهم الى الآن وكان عدة من ملك منهم الى آخر أيام الناصر لدين الله اثنين

وعشرين ملكا انتهى * وقال عيسى بن أحمد الرازى فى أيام عنبسة بن سحيم الكلبى قام بأرض جليقية علج خبيث يقال له بلاى من وقعة أخذ النصارى بالاندلس وجد الفرنج فى مدافعة المسلمين عما بقى بأيديهم وقد كانوا لا يطمعون فى ذلك واقد استولى المسلمون بالاندلس على النصرانية وأجلوهم وافتتحوا بلادهم حتى بلغوا اربونة من أرض الفرنجة وافتتحوا بلبونة من جليقية ولم يبق الا الصخرة فانه لاذ بها ملك يقال له بلاى فدخلها فى ثلثمائة رجل ولم يزل المسلمون يقاتلونه حتى مات أصحابه جوعا وبقى فى ثلاثين رجلا وعشر نسوة ولا طعام لهم الا العسل يشتارونه من خروق بالصخرة فيقتاتون به حتى أعيا المسلمين أمرهم واحتقروا بهم وقالوا ثلاثون علجا ما عسى أن يجىء منهم فبلغ أمرهم بعد ذلك من القوة والكثرة ما لا خفاء به وفى سنة ٣٣ أهلك الله تعالى بلاى المذكور وملك ابنه فاقلة بعده وكان ملك بلاى تسع عشرة سنة وابنه سنتين فملك بعدهما اذفونش بن بيطر جتى اذفونش هؤلاء الذين اتصل ملكهم الى اليوم فأخذوا ما كان المسلمون أخذوه من بلادهم انتهى باختصار * وقال المسعودى بعد ذكره غزوة سمورة أيام الناصر ما صورته وأخذ ما كان بأيدى المسلمين من ثغور الاندلس مما يلى الفرنجة ومدينة اربونة خرجت عن أيدى المسلمين سنة ٣٣٠ مع غيرها مما كان بأيديهم من المدن والحصون وبقى ثغر المسلمين فى هذا الوقت وهو سنة ٣٣٦ من شرقى الاندلس طرطوشة وعلى سائر بحر الروم مما يلى طرطوشة آخذا فى الشمال افراغه على نهر عظيم ثم لاردة انتهى * ومن أول ما استرد الافرنج من مدن الاندلس العظيمة مدينة طليطلة من يد ابن ذى النون سنة ٤٧٥ وفى ذلك يقول عبد الله بن فرج اليحصبى المشهور بابن العسال

يا أهل اندلس حثوا مطيكم * فما المقام بها الا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وأرى * ثوب الجزيرة منسولا من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا * كيف الحياة مع الحيات فى سفط

ويروى صدر البيت الثالث هكذا

من جاور الشر لا يأمن بوائقه * كيف الحياة مع الحيات فى سفط

وتروى الابيات هكذا

حثوا رواحلكم يا أهل أندلس * فما المقام بها الا من الغلط
السلك ينثر من أطرافه وأرى * سلك الجزيرة منثورا من الوسط
من جاور الشر لا يأمن عواقبه * كيف الحياة مع الحيات فى سفط

وقال آخر

يا أهل اندلس ردوا المعارفا * فى العرف عارية الامر ذات
ألم تروا يبدق الكفار فرزنه * وشاهنا آخر الابيات شهمات

وقال بعض المؤرخين أخذ الاذفونش طليطلة من صاحبها القادر بالله بن المأمون يحيى بن ذى النون بعد أن حاصرها سبع سنين وكان أخذه لها فى منتصف محرم سنة ٤٧٨ انتهى وفيه بعض مخالفة لما قبله فى وقت أخذها وسيأتى قريبا بعد ما يؤيده قال وهى مدينة حصينة

قوله بلبلونة فى نسخة بلبونة اه

قوله سنة ٣٣٠ فى نسخة سنة ٣٣٦ اه

قديمة أزلية من بناء العمالقة على ضفة النهر الكبير ولها قصبة حصينة فى غاية المنعة ولها قنطرة واحدة عجيبة البنيان على قوس واحد والماء يدخل تحته بعنف وشدة جرى ومع آخر النهر ناعورة ارتفاعها فى الجو تسعون ذراعا وهى تصعد الماء الى أعلى القنطرة ويجرى الماء على ظهرها فيدخل المدينة وطليطلة هذه دار مملكة الروم وبها كان البيت المغلق الذى كانوا يحامون فتحه حتى فتحه لذريق فوجد فيه صورة العرب انتهى وقد تقدم شئ من هذا فيما مر من هذا الكتاب (وقد حكى) ابن بدرون فى شرح العبدونية أن المأمون يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة بنى بها قصرا تأنق فى بنائه وأنفق فيه مالا كثيرا وصنع فيه بحيرة وبنى فى وسطها قبة وساق الماء الى رأس القبة على تدبير احكمه المهندسون فكان الماء ينزل من أعلى القبة حواليها محيطا بها متصلا بعضه ببعض فكانت القبة فى غلالة من ماء منسكب لا يفتر والمأمون بن ذى النون قاعد فيها لا يمسه من الماء شئ ولو شاء أن يوقد فيها الشمع لفعل فبينما هو فيها اذ سمع منشدا ينشد

أتبنى بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها لو علمت قليل
لقد كان فى ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يعتريه رحيل

فلم يلبث بعد هذا الا يسيرا حتى قضى نحبه انتهى * وقال ابن خلكان ان طليطلة أخذت يوم الثلاثاء مستهل صفر سنة ٤٧٨ بعد حصار شديد انتهى * وقال ابن علقمة ان طليطلة اخذت يوم الاربعاء لعشر خلون من المحرم سنة ٤٧٨ وكانت وقعة الزلاقة التى نشأت فى السنة بعدها انتهى * وقد رأيت أن أذكر هنا وقعة الزلاقة التى نشأت عن أخذ طليطلة وما يتبع ذلك من كلام صاحب الروض المعطار وغيره فنقول انه لما ملك يوسف بن تاشفين اللمتونى المغرب وبنى مدينتى مراكش وتلمسان الجديدة واطاعته البربر مع شكيمتها الشديدة وتمهدت له الاقطار الطويلة المديدة تاقت نفسه الى العبور لجزيرة الاندلس فهم بذلك وأخذ فى انشاء المراكب والسفن ليعبر فيها فلما علم بذلك ملوك الاندلس كرهوا المامه بجزيرتهم وأعدوا له العدة والعدد وصعبت عليهم مدافعته وكرهوا أن يكونوا بين عدوين الفرنج عن شمالهم والمسلمين عن جنوبهم وكانت الفرنج تشتد وطأتها عليهم وتغير وتنهب وربما يقع بينهم صلح على شئ معلوم كل سنة يأخذونه من المسلمين والفرنج ترهب ملك المغرب يوسف بن تاشفين اذ كان له اسم كبير وصيت عظيم لنفاذ أمره وسرعة تملكه بلاد المغرب وانتقال الامر اليه فى أسرع وقت مع ما ظهر لابطال الملثمين ومشايخ صنهاجة فى المعارك من ضربات السيوف التى تقد الفارس والطعنات التى تنظم الكلى فكان له بسبب ذلك ناموس ورعب فى قلوب المنتدبين لقتاله وكان ملوك الاندلس يفيؤن الى ظله ويحذرونه خوفا على ملكهم مهما عبر اليهم وعاين بلادهم فلما رأوا ما دلهم على عبوره اليهم وعلموا ذلك راسل بعضهم بعضا يستجدون آراءهم فى أمره وكان مفزعهم فى ذلك الى المعتمد بن عباد لانه أشجع القوم وأكبرهم مملكة فوقع اتفاقهم على مكاتبته لما تحققوا انه يقصدهم يسألونه الاعراض عنهم وانهم تحت طاعته فكتب عنهم كاتب من أهل الاندلس كتابا (وهو) أما بعد فانك ان اعرضت عنا نسبت الى كرم ولم تنسب الى عجز وان أجبنا

قوله ابن بدرون فى نسخة ابن زيدون اه

داعيك نسبنا الى عقل ولم ننسب الى وهن وقد اخترنا لانفسنا أجل نسبتينا فاخترلنفسك أكرم نسبتيك فانك بالمحل الذى لايجب أن تسبق فيه الى مكرمة وانت فى استباقك ذوى البيوت ماشئت من دوام لامرك وثبوت والسلام فلما وصله الكتاب مع تحف وهدايا وكان يوسف بن تاشفين لايعرف باللسان العربى لكنه ذكى الطبع بجيد فهم المقاصد وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية فقال له أيها الملك هذا الكتاب من ملوك الاندلس يعظمونك فيه ويعترفون انهم أهل دعوتك وتحت طاعتك ويلتمسون منك أن لاتجعلهم فى منزلة الاعادى فانهم مسلمون وذوو بيوتات فلا تغيرهم وكفى بهم من وراءهم من الاعادى الكفار وبلدهم ضيق لايحتمل العساكر فأعرض عنهم اعراضك عمن أطاعك من أهل المغرب فقال يوسف بن تاشفين لكاتبه فما ترى أنت فقال أيها الملك اعلم أن تاج الملك وبهجته شاهده الذى لايرد فانه خليق بما حصل فى يده من الملك والمال أن يعفو اذا استعفى وأن يهب اذا استوهب وكلما وهب جليلا جزيلا كان لقدره أعظم فاذا عظم قدره تأصل ملكه واذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته واذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس ولم يتجشم المشقة اليهم وكان وارث الملك من غير اهلاك لاخزنه واعلم أن بعض الملوك الحكماء الاكابر البصراء بطريق تحصيل الملك قال من جاد ساد ومن ساد قاد ومن قاد ملك البلاد فلما القى الكاتب هذا الكلام على السلطان يوسف بلغته فهمه وعلم صحته فقال للكاتب أجب القوم واكتب بما يجب فى ذلك واقرأ على كتابك فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته تحية من سالمكم وسلم عليكم وانكم مما فى أيديكم من الملك فى أوسع اباحه مخصوصين منا باكرم ايثار وسماحه فاستديموا وفاءنا بوفائكم واستصلحوا اثناءنا باصلاح اخائكم والله ولى التوفيق لنا ولكم والسلام فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف بن تاشفين بلسانه فاستحسنه وقرن به مايصلح لهم من التحف ودرق اللمط التى لاتوجد الا ببلاده وانفذ ذلك اليهم فلما وصلهم ذلك وقرؤا كتابه فرحوا به وعظموه وسروا بولايته وتقوت نفوسهم على دفع الفرنج عنهم وازمعوا ان رأوا من الفرنج مايريبهم انهم يرسلون الى يوسف بن تاشفين يعبر اليهم أو يمدهم باعانة منه وكان ملك الافرنج الاذفونش لما وقعت الفتنة بالاندلس وثار الخلاف وكان كل من حاز بلدا وتقوى فيه ملكه وادعى الملك وصاروا مثل ملوك الطوائف فطمع فيهم الاذفونش بسبب ذلك وأخذ كثيرا من ثغورهم فقوى شأنه وعظم سلطانه وكثرت عساكره وأخذ طليطلة من صاحبها القادر بالله بن المأمون يحيى بن ذى النون بعد أن حاصرها سبع سنين وكان أخذه لها فى منتصف محرم سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فزاد لعنه الله تعالى بملكه طليطلة قوة الى قوته وأخذ يجوس خلال الديار ويستفتح المعاقل والحصون (قال) ابن الاثير فى الكامل وكان المعتمد بن عباد أعظم ملوك الاندلس ومملكته أكثر بلادها مثل قرطبة واشبيلية وكان مع ذلك يؤدى الضريبة الى الاذفونش كل سنة فلما ملك الاذفونش طليطلة ارسل اليه المعتمد الضريبة المعتادة فلم يقبلها منه وأرسل اليه يتهدده ويتوعده بالمسير الى قرطبة ليفتحها الا أن يسلم اليه جميع الحصون المنيعة ويسهل للمسلمين وكان الرسول فى جمع كثير نحو خمسمائة

فارس فانزله المعتمد وفرق أصحابه على قواد عسكره ثم أمر قواده أن يقتل كل منهم من عنده من الكفرة واحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فعادوا الى الاذفونش وأخبروه الخبر وكان متوجها الى قرطبة ليحاصرها فرجع الى طليطلة ليجمع آلات الحصار ويكثر العدد والعدة انتهى * وقال الفقيه أبو عبد الله عبد الله بن عبد المنعم الحميري في كتابه الروض المعطار في ذكر المدن والاقطار ما ملخصه انه لما اشتغل المعتمد بغزو ابن صمادح صاحب المرية حتى تأخر الوقت الذي كان يدفع فيه الضريبة للاذفونش وأرسلها اليه بعد ذلك استشاط الطاغية غضبا ونشط وطلب بعض الحصون زيادة على الضريبة وامعن في التجني وسأل في دخول امرأته القمجيطة الى جامع قرطبة لتلد فيه اذ كانت حاملا لما أشار عليه بذلك القسيسون والاساقفة لمكان كنيسة كانت في الجانب الغربي منه معظمة عندهم عمل عليها المسلمون الجامع الاعظم وسأل أن تنزل امرأته المذكورة بالمدينة الزهراء غربي مدينة قرطبة وهي التي أنشأ بناءها الناصر لدين الله وامعن في بنائها واغرب في حسنها وجلب اليها الرخام الملون والمرمر الصافي والحوض المشهور من البلاد والاقطار وكان يثيب على السارية بكذا وكذا غير الثمن وأجرة الحمل وأنفق فيها الاموال العظيمة واشتغل بها وكان يباشر الصناع بنفسه حتى تخلف عن حضور الجمعة ثلاث مرات متواليات وحضر في الرابعة وكان الخطيب يومئذ الفقيه الزاهد منذر بن سعيد البلوطي فعرض به في الخطبة ووبخه على رؤس الملا وقصته في ذلك مشهورة وبناء الزاهرا أيضا من أعظم مباني الاسلام فمن أراد الوقوف على ذلك فعليه بتاريخ ابن حيان (ولنرجع) الى الاذفونش فان الاطباء والقسوس لما اشاروا ان تكون المرأة المذكورة ساكنة بالزهراء وتتردد الى الجامع المذكور حتى تكون ولادتها بين طيب نسيم الزهراء وفضيلة موضع الكنيسة من الجامع المذكور وكان السفير في ذلك يهوديا كان وزير الاذفونش فامتنع ابن عباد من ذلك فراجعه فاباه وأيأسه من ذلك فراجعه اليهودي في ذلك وأغلظ له في القول وواجهه بما لم يحتمله ابن عباد فأخذ ابن عباد محبرة كانت بين يديه وضرب بها رأس اليهودي فأنزل دماغه في حلقه وأمر به فصلب منكوسا بقرطبة واستفتى لما سكن غضبه الفقهاء عن حكم ما فعله باليهودي فبادره الفقيه محمد بن الطلاع بالرخصة في ذلك لتعدي الرسول حدود الرسالة الى ما استوجب به القتل اذ ليس له ذلك وقال للفقهاء انما بادرت بالفتوى خوفا أن يكسل الرجل عما عزم عليه من منابذة العدو وعسى الله ان يجعل في عزيمته للمسلمين فرجا وبلغ الاذفونش ما صنعه ابن عباد فأقسم بآلهته ليغزونه باشبيلية وليحاصرنه في قصره فجرد جيشين جعل على أحدهما كلابا من مساعير كلابه وأمره أن يسير على كورة باجة من غرب الاندلس ويغير على تلك النخوم والجهات ثم يمر على لبلة الى اشبيلية وجعل موعده أمام طريانة للاجتماع معه ثم زحف الاذفونش بنفسه في جيش آخر عرمرم فسلك طريقا غير الطريق التي سلكها الآخر وكلاهما عاث في البلاد وخرب ودمر حتى اجتمعا لموعدهما بضفة النهر الاعظم قبالة قصر ابن عباد وفي ايام مقامه هنالك كتب الى ابن عباد زاريا عليه كثر بطول مقامي في مجالسي الذباب واشتد علي الحر فأتحفني من قصرك

قوله من أعظم الخ في نسخة من أغرب مباني في الاسلام اه

بمروحة أروح بها على نفسي وأطرد بها الذباب عن وجهي فوقع له ابن عباد بخطه في ظهر الرقعة قرأت كتابك وفهمت خيلاءك واعجابك وسأنظر لك في مراوح من الجلود اللمطية تروح منك لا تروح عليك ان شاء الله تعالى فلما وصلت الاذفونش رسالة ابن عباد وقرئت عليه وعلم مقتضاها أطرق اطراق من لم يخطر له ذلك ببال وفشا في الاندلس توقيع ابن عباد وما أظهر من العزيمة على جواز يوسف بن تاشفين والاستظهار به على العدو فاستبشر الناس وفرحوا بذلك وفتحت لهم أبواب الآمال وأما ملوك طوائف الاندلس فلما تحققوا عزم ابن عباد وانفراده برأيه في ذلك اهتموا منه ومنهم من كاتبه ومنهم من كلمه مواجهة وحذروه عاقبة ذلك وقالوا له الملك عقيم والسيفان لا يجتمعان في غمد واحد فأجابهم ابن عباد بكلمته السائرة مثلا رعي الجمال خير من رعي الخنازير ومعناه أن كونه مأكولا ليوسف بن تاشفين اسير ارعى جماله في الصحراء خير من كونه عزقا للاذفونش أسير اله يرعى خنازيره في قشتالة وقال لعذاله واقوامه يا قوم اني من أمري على حالين حالة يقين وحالة شك ولا بد لي من احداهما أما حالة الشك فاني ان استندت الى ابن تاشفين أو الى الاذفونش ففي الممكن أن يبقى لي ويبقى على وفائه ويمكن أن لا يفعل فهذه حالة شك وأما حالة اليقين فاني ان استندت الى ابن تاشفين فاني أرضي الله وان استندت الى الاذفونش اسخطت الله تعالى فاذا كانت حالة الشك فيها معارضة فلا ادع شيئا أدع ما يرضي الله وأتى ما يسخطه فحينئذ قصر أصحابه عن لومه ولما عزم أمر صاحب بطليوس المتوكل عمر بن محمد وعبد الله بن حبوس الصنهاجي صاحب غرناطة أن يبعث اليه كل منهما قاضي حضرته ففعلا واستحضر قاضي الجماعة بقرطبة أبا بكر عبد الله بن أدهم وكان أعقل أهل زمانه فلما اجتمع عنده القضاة باشبيلية اضاف اليهم وزيره أبا بكر بن زيدون وعرفهم أربعتهم انهم رسله الى يوسف بن تاشفين وأسند الى القضاة ما يليق بهم من وعظ يوسف بن تاشفين وترغيبه في الجهاد وأسند الى وزيره ما لا بد منه في تلك السفارة من ابرام العقود السلطانية وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تفد عليه وفود ثغور الاندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين بالله والاسلام مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته فيسمع اليهم ويصغي لقولهم وترق نفسه لهم فما عبرت رسل ابن عباد البحر الا ورسل يوسف بالمرصاد ولما انتهت الرسل الى ابن تاشفين أقبل عليهم وأكرم مثواهم واتصل ذلك بابن عباد فوجه من اشبيلية اسطولا نحو صاحب سبتة فانتظمت في سلك يوسف ثم جرت بينه وبين الرسل مراوضات ثم انصرفت الى مرسلها ثم عبر يوسف البحر عبورا سهلا حتى أتى الجزيرة الخضراء ففتحوا له وخرج اليه أهلها بما عندهم من الاقوات والضيافات وأقاموا له سوقا جلبوا اليه ما عندهم من سائر المرافق واذنوا للغزاة في دخول البلد والتصرف فيها فامتلأت المساجد والرحبات بالمطوعين وتواصوا بهم خيرا هذا مساق صاحب الروض المعطار وأما ابن الاثير فانه لما ذكر وقعة الزلاقة ذكر ما تقدم من فعل المعتمد بالارسال وقتلهم وتخوف أكابر الاندلس من الاذفونش وانه اجتمع منهم رؤساء وساروا الى القاضي عبد الله بن محمد وقالوا له ألا تنظر ما فيه المسلمون من الصغار والذلة واعطائهم الجزية بعد أن كانوا يأخذونها وقالوا قد غلب على البلاد الفرنج ولم يبق الا القليل

وان دام هذا الامر عادت نصرانية كما كانت أولا وقد رأينا رأيا نعرضه عليك قال وما هو قالوا نكتب الى عرب افريقية ونبذل لهم اذا وصلوا الينا شطر أموالنا ونخرج معهم مجاهدين فى سبيل الله فقال لهم انا نخشى ان وصلوا الينا أن يخربوا بلادنا كما فعلوا بافريقية ويتركوا الافرنج ويبدؤا بنا والمرابطون أصلح منهم وأقرب الينا فقالوا له فكاتب أمير المسلمين واسأله العبور الينا أو اعانتنا بما يتيسر من الجند فبينما هم فى ذلك يتراوضون اذ قدم عليهم المعتمد بن عباد قرطبة فعرض عليه القاضى بن أدهم ما كانوا فيه فقال له المعتمد ابن عباد أنت رسولى اليه فى ذلك فامتنع وانما أراد أن يبرئ نفسه من ذلك فألح عليه المعتمد فسار الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فوجده ببنتة وأبلغه الرسالة وأعلمه بما فيه المسلمون من الخوف من الاذفونش ففى الحال أمر بعبور العساكر الى الاندلس وأرسل الى مراكش فى طلب من بقى من العساكر فأقبلت اليه يتلو بعضها بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر واجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية وكان المعتمد قد جمع عساكره أيضا وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير وقصده المطوعة من سائر بلاد الاندلس ووصلت الاخبار الى الاذفونش فجمع عساكره وحشد جنوده وسار من طليطلة وكتب الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كتابا كتبه له بعض غواة ادباء المسلمين يغلظ له فى القول ويصف ما معه من القوة والعدد والعدد ويبالغ فى ذلك فلما وصل وقرأه يوسف أمر كاتبه أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه وكان كاتبا مفلقا فكتب وأجاد فلما قرأه على أمير المسلمين قال هذا كتاب طويل وأحضر كتاب الاذفونش وكتب فى ظهره الذى يكون ستراه وأرسله اليه فلما وقف عليه الاذفونش ارتاع له وعلم انه بلى برجل لا طاقة له به * وذكر ابن خلكان أن يوسف بن تاشفين أمر بعبور الجمال فعبر منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها الى عنان السماء ولم يكن أهل الجزيرة رأوا جملا قط ولا خيلهم فصارت الخيل تجمح من رؤية الجمال ومن رغائها وكان ليوسف فى عبور الجمال رأى مصيب فكان يحدق بها عسكره ويحضرها للحرب فكانت خيل الفرنج تجمح منها وقدم يوسف بين يديه كتابا للاذفونش يعرض عليه فيه الدخول فى الاسلام أو الجزية أو الحرب كما هى السنة ومن جملة ما فى الكتاب بلغنا يا اذفونش انك دعوت الى الاجتماع بنا وتمنيت أن تكون لك سفن تعبر فيها البحر الينا فقد عبرنا اليك وقد جمع الله تعالى فى هذه الساحة بيننا وبينك وسترى عاقبة دعائك ومادعاء الكافرين الا فى ضلال انتهى بمعناه وأكثره بلفظه *

ولنرجع الى كلام صاحب الروض المعطار فانه أقعد بتاريخ الاندلس اذ هو منهم وصاحب البيت أدرى بالذى فيه قال رحمه الله تعالى فلما عبر يوسف وجميع جيوشه الى الجزيرة الخضراء انزعج الى اشبيلية على أحسن الهيئات جيشا بعد جيش وأميرا بعد أمير وقبيلا بعد قبيل وبعث المعتمد ابنه الى لقاء يوسف وأمر عمال البلاد بجلب الاقوات والضيافات ورأى يوسف ما سره من ذلك ونشطه وتواردت الجيوش مع امرائها على اشبيلية وخرج المعتمد الى لقاء يوسف من اشبيلية فى مائة فارس ووجوه أصحابه فلما أتى محلة يوسف ركض نحو القوم وركضوا نحوه فبرز اليه يوسف وحده والتقيا منفردين وتصالحا وتعانقا وأظهر كل منهما لصاحبه المودة والاخلاص وشكرا نعم الله تعالى وتواصيا بالصبر

والرحمة وبشرا أنفسهما بما استقبلاه من غزو أهل الكفر وتضرعا الى الله تعالى في أن يجعل ذلك خالصا لوجهه مقربا اليه وافترقا فعاد يوسف لمحلته وابن عباد الى جهته وألحق ابن عباد ما كان أعده من هدايا وتحف وضيافات أوسع بها على محلة يوسف بن تاشفين وباتوا تلك الليلة فلما اصبحوا وصلوا الصبح ركب الجميع وأشار ابن عباد على يوسف بالتقدم نحو اشبيلية ففعل ورأى الناس من عزة سلطانهم ما سرهم ولم يبق من ملوك الطوائف بالاندلس الا من بادر أو أعان وخرج أو أخرج وكذلك فعل الصحراويون مع يوسف كل صقع من اصقاعه رابطوا وكابدوا وكان الاذفونش لما تحقق الحركة والحرب استنفر جميع أهل بلاده وما يليها وما وراءها ورفع القسيسون والرهبان والاساقفة صلبانهم ونشروا أناجيلهم فاجتمع له من الجلالقة والافرنجة ما لا يحصى عدده وجواسيس كل فريق تتردد بين الجميع وبعث الاذفونش الى ابن عباد ان صاحبكم يوسف قد تعنى من بلاده وخاض البحار وأنا أكفيه العناء فيما بقي ولا أكافكم تعبا أمضى اليكم وألقاكم في بلادكم رفقا بكم وتوفيرا عليكم وقال لخاصته وأهل مشورته اني رأيت اني ان مكنتهم من الدخول الى بلادي فتاجزوني فيها وبين جدرها وربما كانت الدائرة علي يستحكمون البلاد ويحصدون من فيها غداة واحدة ولكني أجعل يومهم معي في حوز بلادهم فان كانت علي اكتفوا بما نالوه وان كانت الدائرة عليهم كان مني فيهم وفي بلادهم ما خفت انا أن يكون في بلادي اذا تاجزوني في وسطها ثم برز بالمختار من جنوده وأنجاد جموعه على باب دربه وترك بقية جموعه خلفه وقال حين نظر الى ما اختاره منهم هؤلاء أقاتل الجن والانس وملائكة السماء فالمقلل يقول المختارون أربعون ألف دارع ولكل واحد أتباع وأما النصارى فيجبون ممن يزعم ذلك ويرون انهم أكثر من ذلك كله واتفق الكل أن عدد المسلمين أقل من الكفرة ورأى الاذفونش في نومه كأنه راكب فيل يضرب نقيرة طبل فهالته الرؤيا وسأل عنها القسوس والرهبان فلم يجبه أحد فدس ليهوديا ممن يعلم تأويلها من المسلمين فدل على معبر فقصها عليه ونسبها لنفسه فقال له المعبر كذبت ما هذه الرؤيا لك ولا أعبرها لك الا ان صدقتني بصاحب الرؤيا فقال له اكتم علي الرؤيا للاذفونش فقال المعبر صدقت ولا يراها غيره والرؤيا تدل على بلاء عظيم ومصيبة فادحة فيه وفي عسكره وتفسيرها قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل وأما ضربه النقيرة فتأويلها اذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير الآية فانصرف اليهودي وذكر للاذفونش ما وافق خاطره ثم خرج من بلاد الاندلس وتقدم السلطان يوسف نقصده وتأخر ابن عباد لبعض مهماته ثم انزعج يقفو أثره بجيش فيه حماة الثغور ورؤساء الاندلس وجعل ابنه عبد الله على مقدمته وسار وهو ينشد لنفسه متمثلا مكملا البيت المشهور

لا بد من فرج قريب * يأتيك بالعجب العجيب
غزو عليك مبارك * يعود بالفتح القريب
لله سعدك انه * نكس على دين الصليب

لابد من يوم يكو * ن له أخا يوم القليب

ووافت الجيوش كلها بطليوس فأناخوا بظاهرها وخرج اليهم صاحبها المتوكل عمر بن محمد ابن الافطس فلقيهم بما يجب من الضيافات والاقوات وبذل المجهود وجاءهم الخبر بشخوص الاذفونش ولما ازدلف بعضهم الى بعض أذكى المعتمد عيونه فى محلات العصراويين خوفا عليهم من مكايد الاذفونش اذهم غرباء لا علم لهم بالبلاد وجعل يتولى ذلك بنفسه حتى قيل ان الرجل من العصراويين لا يخرج على طرف المحلة لقضاء أمر أو حاجة الا ويجد ابن عباد بنفسه مطيفا بالمحلة بعد ترتيب الخيل والرجال على أبواب المحلات وقد تقدم كتاب السلطان يوسف الى الاذفونش يدعوه الى احدى الثلاث المأمور بها شرعا فامتلأ الكافر غيظا وعتوا وطغاورا جعه بما يدل على شقائه وقامت الاساقفة والرهبان ورفعوا صلبانهم ونشروا أناجيلهم وتبايعوا على الموت ووعظ يوسف وابن عباد أصحابهما وقام الفقهاء والصالحون مقام الوعظ وحضوهم على الصبر والثبات وحذروهم من الفشل والفرار وجاءت الطلائع تخبر أن العدو مشرف عليهم صبيحة يومهم وهو يوم الاربعاء فأصبح المسلمون وقد أخذوا مصافهم فكع الاذفونش ورجع الى اعمال المكر والخديعة فعاد الناس الى محلاتهم وباتوا ليلتهم ثم أصبح يوم الخميس فبعث الاذفونش الى ابن عباد يقول غدا يوم الجمعة وهو عيدكم والاحد عيدنا فليكن لقاؤنا بينهما وهو يوم السبت فعرف المعتمد بذلك السلطان يوسف وأعلمه انها حيلة منه وخديعة وانما قصده القتال يوم الجمعة فليكن الناس على استعداد له يوم الجمعة كل النهار وبات الناس ليلتهم على أهبة واحتراس وبعد مضى جزء من الليل انتبه الفقيه الناسك أبو العباس أحمد ابن رميلة القرطبى وكان فى محلة ابن عباد فرحا مسرورا يقول انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فى النوم فبشره بالفتح والموت على الشهادة فى صبيحة تلك الليلة فتأهب ودعا وتضرع ودهن رأسه وتطيب وانتهى ذلك الى ابن عباد فبعث الى يوسف يخبره بها تحقيقا لما توقعه من غدر الكافر بالله تعالى ثم جاء بالليل فارسان من طلائع المعتمد يخبران انهما أشرفا على محلة الاذفونش وسمعا ضوضاء الجيوش واضطراب الاسلحة ثم تلاحق بقية الطلائع متحققين بتحرك الاذفونش ثم جاءت الجواسيس من داخل محلتهم تقول استرقنا السمع فسمعنا الاذفونش يقول لاصحابه ابن عباد مع هذه الحروب وهؤلاء العصراويون وان كانوا أهل حفاظ وذوى بصائر فى الحروب فهم غير عارفين بهذه البلاد وانما قادهم ابن عباد فاقصدوه واهجموا عليه واصبروا فان انكشف لكم هان عليكم العصراويون بعده ولا أرى ابن عباد يصبر لكم ان قصدتموه الحملة فعند ذلك بعث ابن عباد الكاتب أبا بكر بن القصيرة الى السلطان يوسف يعرفه باقبال الاذفونش ويستحث نصرته فمضى ابن القصيرة يطوى المحلات حتى جاء يوسف بن تاشفين فعرفه بجلية الامر فقال له قل له انى سأقرب منه ان شاء الله تعالى وأمر يوسف بعض قواده أن يمضى بكتيبة رسمها له حتى يدخل محلة النصارى فيضرمها نارا مادام الاذفونش مشتغلا مع ابن عباد وانصرف ابن القصيرة الى المعتمد فلم يصله الا وقد غشيته جنود الطاغية فصدم ابن عباد صدمة قلعت آماله ومال الاذفونش

عليه بجموعه وأحاطوا به من كل جهة فهاجت الحرب وحمى الوطيس واستحر القتل في أصحاب ابن عباد وصبر ابن عباد صبرا لم يعهد مثله لاحد واستبطأ السلطان يوسف وهو يلاحظ طريقه وعضته الحروب واشتد عليه وعلى من معه البلاء وأبطأ عليه العصر اويون وساءت الظنون وانكشف بعض أصحاب ابن عباد وفيهم ابنه عبد الله وأثخن ابن عباد جراحات وضرب على رأسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت الى صدغه وجرحت يمنى يديه وطعن في أحد جانبيه وعقرت تحته ثلاثة افراس كلما هلك واحد قدم له آخر وهو يقاسي حياض الموت ويضرب يمينا وشمالا وتذكر في تلك الحالة ابنا له صغيرا كان مغرما به تركه في اشبيلية عليلا وكنيته أبو هاشم فقال

أبا هاشم هشمتني الشفار * فلله صبري لذات الاوار

ذكرت شخيصك تحت العجاج * فلم يثنني ذكره للفرار

ثم كان أول من وافى ابن عباد من قواد ابن تاشفين داود ابن عائشة وكان بطلا شجاعا شهما فنفس بمجيئه عن ابن عباد ثم أقبل يوسف بعد ذلك وطبوله تصعد أصواتها الى الجو فلما أبصره الاذفونش وجه حملته اليه وقصده بمعظم جنوده فبادر اليهم السلطان يوسف وصدمهم بجمعه فردهم الى مركزهم وانتظم به شمل ابن عباد واستنشق ريح الظفر وتباشر بالنصر ثم صدقوا جميعا الحملة فتزلزلت الارض بحوافر خيولهم وأظلم النهار بالعجاج والغبار وخاضت الخيل في الدماء وصبر الفريقان صبرا عظيما ثم تراجع ابن عباد الى يوسف وحمل معه حملة جاء معها النصر وتراجع المنهزمون من أصحاب ابن عباد حين علموا بالتحام الفئتين وصدقوا الحملة فانكشف الطاغية ومزهار بامنهزما وقد طعن في احدى ركبتيه طعنة بقي يخنع بها بقية عمره وعلى سياق ابن خلكان أن ابن تاشفين نزل على أقل من فرسخ من عسكر العدو في يوم الاربعاء وكان الموعد في المناجزة في يوم السبت فغدر الاذفونش ومكر فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب أقبلت طلائع ابن عباد والروم على أثرها والناس على طمأنينة فبادر ابن عباد للركوب وبث الخبر في العساكر فماجت بأهلها ووقع البهت ورجفت الارض وصار الناس نوضى على غير تعبية ولا أهبة ودهمتهم خيل العدو فأحاطت بابن عباد وحطمت ما تعرض لها وتركت الارض حصيدا خلفها وجرح ابن عباد جرحا أساءه وفر رؤساء الاندلس وتركوا محلاتهم وأسلموها وظنوا انه وهي لا يرقع ونازلة لا تدفع وظن الاذفونش أن السلطان يوسف في المنهزمين ولم يعلم أن العاقبة للمتقين فركب أمير المسلمين وأحدق به جياد خيله ورجله من صنهاجة رؤساء القبائل وقصدوا محلة الاذفونش فاقتحموها ودخلوها وقتلوا فيها وقتلوا وضربت الطبول وزعقت البوقات فاهتزت الارض وتجاوبت الجبال والآفاق وتراجع الروم الى محلاتهم بعد أن علموا أن أمير المسلمين فيها فصدموا أمير المسلمين فخرج لهم عنها ثم كروا عليهم فأخرجهم منها ثم كروا عليه فخرج لهم عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى الى أن أمر أمير المسلمين حشمه السودان فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعترك بدرق اللمط وسيوف الهند ومزاريق الزان فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها وأجمت عن اقرانها وتلاحق الاذفونش

قوله وأجمت في نسخة وجمت اه

بأسود نفذت مرادته فأهوى ليضربه بالسيف فلصق به الاسود وقبض على عنانه وانتضى خنجرا كان متمنطقا به فأثبته فى فخذه فهتك حلق درعه ونفذ من فخذه مع بداد سرجه وكان وقت الزوال وهبت ريح النصر فأنزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه القويم وصدقوا الحملة على الاذفونش وأصحابه فأخرجوهم عن محلتهم فولوا ظهورهم وأعطوا أعناقهم والسيوف تصفعهم والرماح تطعنهم الى أن لحقوا بربوة لجؤا اليها واعتصموا بها وأحدقت بهم الخيل فلما أظلم الليل انساب الاذفونش وأصحابه من الربوة وافلتوا بعد ما تشبثت بهم أظفار المنية واستولى المسلمون على ما كان فى محلتهم من الآلات والسلاح والمضارب والاوانى وغير ذلك وأمر ابن عباد بضم رؤوس القتلى المشركين فاجتمع من ذلك تل عظيم انتهى وبعضه بالمعنى (رجع) الى كلام صاحب الروض المعطار قال ولجأ الاذفونش الى تل كان يلى محلته فى نحو خمسمائة فارس كل واحد منهم مكلوم وأباد القتل والاسر من عداهم من أصحابهم وعمل المسلمون من رؤسهم ما آذن يؤذنون عليها والمخذول ينظر الى موضع الوقيعة ومكان الهزيمة فلا يرى الا نكالا محيطا به وبأصحابه وأقبل ابن عباد على السلطان يوسف وصافحه وهناه وشكره وأثنى عليه وشكر يوسف صبر ابن عباد ومقامه وحسن بلائه وجميل صبره وسأله عن حاله عند ما أسلمته رجاله بانهزامهم عنه فقال له هم هؤلاء قد حضروا بين يديك فليخبروك وكتب ابن عباد الى ابنه باشبيلية كتابا مضمونه كتابى هذا من المحلة المنصورة يوم الجمعة الموفى عشرين من رجب وقد أعز الله الدين ونصر المسلمين وفتح لهم الفتح المبين وهزم الكفرة المشركين وأذاقهم العذاب الاليم والخطب الجسيم فالحمد لله على ما يسره وسناه من هذه المسرة العظيمه والنعمة الجسيمه فى تشتيت شمل الاذفونش والاحتواء على جميع عساكره أصلاه الله نكال الجحيم ولا أعدمه الوبال العظيم المليم بعد اتيان النهب على محلاته واستئصال القتل فى جميع أبطاله وسماته حتى اتخذ المسلمون من هاماتهم صوامع يؤذنون عليها فلله الحمد على جميع صنعه ولم يصبنى والحمد لله الا جراحات يسيرة آلمت لكنها فرجت بعد ذلك فلله الحمد والمنة والسلام واستشهد فى ذلك اليوم جماعة من الفضلاء والعلماء وأعيان الناس مثل ابن رميلة صاحب الرؤيا المذكورة وقاضى مراكش أبى مروان عبد الملك المصمودى وغيرهما رحمهم الله تعالى (وحكى) أن موضع المعترك كان على اتساعه ما كان فيه موضع قدم الا على ميت أو دم وأقامت العساكر بالموضع أربعة أيام حتى جمعت الغنائم واستؤذن فى ذلك السلطان يوسف فعفا عنها وآثر بها ملوك الاندلس وعرفهم أن مقصده الجهاد والاجر العظيم وما عند الله فى ذلك من الثواب المقيم فلما رأت ملوك الاندلس ايثار يوسف لهم بالغنائم استكرموه وأحبوه وشكروا له ذلك ولما بلغ الاذفونش الى بلاده وسأل عن أبطاله وشجعانه وأصحابه فقدهم ولم يسمع الا نواح الثكلى عليهم اهتم ولم يأكل ولم يشرب حتى هلك غما وهما وراح الى أمه الهاوية ولم يخلف الا بنتا واحدة جعل الامر اليها فتحصنت بطليطلة ورحل المعتمد الى اشبيلية ومعه السلطان يوسف ابن تاشفين فأقام السلطان يوسف بن تاشفين بظاهر اشبيلية ثلاثة أيام ووردت عليه من المغرب أخبار تقتضى العزم فسافر وذهب معه ابن عباد يوما وليلة فخلف ابن تاشفين وعزم

عليه فى الرجوع وكانت جراحاته توزمت عليه فسير معه ولده عبد الله الى أن وصل البحر وعبر الى المغرب ولما رجع ابن عباد الى اشبيلية جلس للناس وهنى بالفتح وقرأت القراء وقامت على رأسه الشعراء فانشدوه فقال عبد الجليل بن وهبون حضرت ذلك اليوم وأعددت قصيدة أنشدها بين يديه فقرأ القارئ الا تنصروه فقد نصره الله فقلت بعد الى واشعرى والله ما أبقت لى هذه الآية معنى أحضره وأقوم به ولما عزم السلطان يوسف بن تاشفين الى بلاده ترك الامير سيرى بن أبى بكر أحد قواده المشاهير وترك معه جيشا برسم غزو الفرنج فاستراح الامير المذكور اياما قلائل ودخل بلاد الاذفونش وأطلق الغارة ونهب وسبى وفتح الحصون المنيعة والمعاقل الصعبة العويصة وتوغل فى البلاد وحصل أموالا وذخائر عظيمة ورتب رجالا وفرسانا فى جميع ما أخذه وأرسل للسلطان يوسف جميع ما حصله وكتب له يعرفه أن الجيوش بالثغور مقيمة على مكابدة العدو وملازمة الحرب والقتال فى أضيق العيش وأنكده وملوك الاندلس فى بلادهم وأهليهم فى أرغد عيش وأطيبه وسأله مرسومه فكتب اليه أن يأمرهم بالنقلة والرحيل الى أرض العدو ففعل فذلك من أبى فحاصره وقاتله ولا تنفس عليه ولتبدأ بمن والى الثغور ولا تتعرض للمعتمد بن عباد الا بعد استيلائك على البلاد وكل بلد أخذته فول فيه أميرا من عساكرك فأول من ابتدأ به من ملوك الاندلس بنو هود وكانوا بروطه بضم الراء المهملة وبعدها واو وساكنة وطاء مهملة مفتوحة وبعدها هاء ساكنة وهى قلعة منيعة من عاصمات الذرى وماؤها ينبع من أعلاها وفيها من الاقوات والذخائر المختلفات مالا تفنيه الازمان فحاصرها فلم يقدر عليها ورحل عنها وجند أجنادا على هيئة الفرنج وزيهم وأمرهم أن يقصدوها ويغيروا عليها وكمن هو وأصحابه بقرب منها فلما رآهم أهل القلعة استضعفوهم فنزلوا اليهم ومعهم صاحب القلعة فخرج عليه سيرى المذكور وقبضه باليد وتسلم الحصن ثم نازل بنى طاهر بشرق الاندلس فاصلوا له البلاد وحاربوا العدوة ثم نازل بنى صمادح بالمرية ولها قلعة حصينة فحاصرهم وضيق بهم ولما علم ابن صمادح الغلب أسف ومات غبنا فأخذ القلعة واستولى على المرية وجميع أعمالها ثم قصد بطليوس وكان بها المتوكل عمر بن محمد بن الافطس المتقدم ذكره فحاصره وأخذه واستولى على جميع أعماله وماله ولم يبق له الا المعتمد بن عباد فكتب للسلطان يوسف يعرفه بما فعل ويسأله مرسومه فى ابن عباد فكتب اليه يأمره أنه يعرض عليه النقلة لبر العدوة بجميع الاهل والعشيرة فان رضى والا فحاصره وخذه وأرسل به كاسرا أصحابه فواجهه وعرفه بما رسم به السلطان يوسف وسأله الجواب فلم يجب بنفى ولا اثبات ثم انه نازل اشبيلية وحاصره بها وألح عليه فأقام الحصار شهرا ودخل البلد قهرا واستخرجه من قصره فحمل وجميع أهله وولده الى العدوة فانزل باغمات وأقام بها الى أن مات رحمه الله تعالى وعفا عنه * وأما ابن الاثير ففى كلامه تقديم وتأخير وبعض خلاف لما مر وأخبار المعتمد بن عباد وما رآه من الملك والعز فى كل حاضر وباد وما قاساه فى الاسر من الضيق والعسر وسوء العيش أمر عجيب يتعظ به العاقل الاريب وأما ما مدحته به الشعراء وأجوبته لهم فى حالى يسره وعسره وملكه وأسره وطيه ونشره وتجهمه وبشره فهو كثير وفى

كتب التواريخ منه تظليم وتنير وقد قدمنا منه فى هذا الكتاب ما يبعث الاعتبار ويثير وخصوصا فى الباب السابع من هذا التأليف الذى هو عند المنصف أثير وفى المعتمد وأبيه المعتضد يقول بعض الشعراء

من بنى منذر وذا النسب * زاد فى فخرهم بنو عباد
فتية لم تلدهم المعالى * والمعالى قليلة الاولاد

وقال ابن القطاع فى كتابه لمح الملح فى حق المعتمد انه اندى ملوك الاندلس راحه وأرحبهم ساحه وأعظمهم تمادا وأرفعهم عمادا ولذلك كانت حضرته ملتقى الرحال وموسم الشعراء وقبلة الآمال ومالف الفضلاء حتى انه لم يجتمع بباب أحد من الملوك من اعيان الشعراء وأفاضل الادباء ما كان يجتمع ببابه وتشتمل عليه حاشيتا جنابه * وقال ابن بسام فى الذخيرة للمعتمد شعر كما انشق الكمام عن الزهر لو صار مثله عمن جعل الشعر صناعه واتخذه بضاعه لكان رائقا معجبا ونادرا مستغربا فمنه قوله

اكثرت هجرك غير أنك ربما * عطفتك أحيانا على الأمور
فكأنما زمن التهاجر بيننا * ليل وساعات الوصال بدور

قال وهذا المعنى ينظر الى قول بعضهم من أبيات

اسفر ضوء الصبح عن وجهه * فقام ذا الخال فيه بلال
كأنما الخال على خده * ساعات هجر فى زمان الوصال

وعزم على ارسال حظاياه من قرطبة الى اشبيلية فخرج معهن يشيعهن فسايرهن من أول الليل الى الصبح فودعهن ورجع وأنشد أبياتا منها

سايرتهم والليل عقد ثوبه * حتى تبدى للنواظر معلما
فوقفت ثم مودعا وتسللت * منى يد الاصباح تلك الانجما

وهذا المعنى فى نهاية الحسن ثم ذكر من كلامه جملة (عود وانعطاف) ولما جاء أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الى ناحية غرناطة بعد ما حصر بعض حصون الفرنج فلم يقدر عليه خرج الى لقائه صاحب غرناطة عبد الله بن بلكين فسلم عليه ثم عاد الى بلده ليخرج له التقادم فغدر به ودخل البلد وأخرج عبد الله ودخل قصره فوجد فيه من الذخائر والاموال ما لا يحد ولا يحصى ثم رجع الى مراكش وقد أعجبه حسن بلاد الاندلس وبهجتها وما بها من المبانى والبساتين والمطاعم وسائر الاصناف التى لا توجد فى سائر بلاد العدوة اذ هى بلاد بربر واجلاف عربان فجعل خواص يوسف يعظمون عنده بلاد الاندلس ويحسنون له أخذها ويوغرون قلبه على المعتمد بأشياء نقلوها عنه فتغير على المعتمد وقصد مشارفة الاندلس (وحكى) ابن خلدون أن علماء الاندلس أفتوا ابن تاشفين بجواز خلع المعتمد وغيره من ملوك الطوائف وبقتالهم ان امتنعوا فجهز يوسف العساكر الى الاندلس وحاصر سيرى بن أبى بكر أحد عظماء دولة يوسف اشبيلية وبها المعتمد فكان من دفاعه وشدة ثباته ما هو معلوم ثم أخذ أسيرا وصار طرف الملك بعده حسيرا * وفى وصف ذلك يقول صاحب القلائد بعد كلام ثم جمع هو وأهله وحملتهم الجوارى المنشآت وضمتهم كانهم أسرات بعد ما ضاق عنهم القصر

قوله بلكين فى نسخة بلقين اه

وراق منهم المصر والناس قد حشروا بضفتى الوادى يكون بدموع كالغوادى فساروا والنوح يحدوهم والبوح باللوعة لا يعدوهم انتهى * ولما فرغ أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين من أمر غزوة الزلاقة المتقدم ذكرها ورجع تكرم له ابن عباد وسأله أن ينزل عنده فعرج الى بلاده اذ أجابه الى ماطلب فلما انتهى ابن تاشفين الى اشبيلية مدينة المعتمد وهى من أجل المدن وأحسنها منظرا وأمكن يوسف النظر فيها وفى محلها وهى على نهر عظيم متجر تجرى فيه السفن بالبضائع جالبة من بر المغرب وحاملة اليه وفى غربيها رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخا يشتمل على آلاف من الضياع كلها تين وعنب وزيتون وهذا هو المسمى بشرف اشبيلية وتمتار بلاد المغرب كلها بهذه الاصناف منه وفى جانب المدينة قصور المعتمد وأبيه المعتضد فى غاية الحسن والبهاء وفيها أنواع ما يحتاج اليه من المطعوم والمشروب واللبوس والمفروش وغير ذلك فأنزل المعتمد يوسف بن تاشفين فى أحدها وتولى من اكرامه وخدمته ما أوسع شكر ابن تاشفين له وكان مع ابن تاشفين أصحاب له ينبهونه على حسن تلك الحال وتأملها وما هى عليه من النعمة والاتراف ويغرونه باتخاذ مثلها ويقولون له ان فائدة الملك قطع العيش فيه بالتنعم واللذة كما هو المعتمد وأصحابه وكان ابن تاشفين عاقلا مقتصدا فى أموره غير متطاول ولا مبذر غير سالك نهج الترف والتأنق فى اللذة والنعيم اذ ذهب صدر عمره فى بلاده بالصحراء فى شظف العيش فأنكر على من اغراه بذلك الاسراف وقال له الذى يلوح لى من أمر هذا الرجل يعنى المعتمد انه مضيع لما فى يده من الملك لان هذه الاموال الكثيرة التى تصرف فى هذه الاحوال لا بد أن يكون لها أرباب لا يمكن أخذ هذا القدر منهم على وجه العدل أبدا فأخذه بالظلم واخراجه فى هذه الترهات من أفحش الاستهتار ومن كانت همته فى هذا الحد من التصرف فيما لا يعدو الاجوفين متى يستجد همة فى ضبط بلاده وحفظها وصون رعيته والتوفير لمصالحها ولعمرى لقد صدق فى كل ذلك ثم ان يوسف ابن تاشفين سأل عن أحوال المعتمد فى لذاته هل تختلف فتنقص عما عليه فى بعض الاوقات فقيل له بل كل زمانه على هذا فقال أفكل أصحابه وانصاره على عدوه ومنجديه على الملك فقيل له بل كل زمانه على هذا فقال أفكيف ترون رضاهم عنه فقالوا الارضى لهم عنه فاطرق يتمال حظا من ذلك فقالوا الاقال فكيف ترون رضاهم عنه فقالوا الارضى لهم عنه فاطرق وسكت وأقام عند المعتمد على تلك الحال اياما وفى اثنائها استأذن رجل على المعتمد فدخل وهو ذو هيئة رثة وكان من أهل البصائر فلما مثل بين يديه قال أصلحك الله أيها السلطان وان من أوجب الواجبات شكر النعمة وان من شكر النعمة اهداء النصائح وانى رجل من رعيتك حالى فى دولتك الى الاختلال أقرب منها الى الاعتدال ولكننى مع ذلك مستوجب لك من النصيحة ما للملك على رعيته فمن ذلك خبر وقع فى أذنى من بعض أصحاب ضيفك هذا يوسف بن تاشفين يدل على انهم يرون أنفسهم وملكهم أحق بهذه النعمة منك وقد رأيت رأيا فان اثرت الاصغاء اليه قلته فقال المعتمد له قله فقال له رأيت أن هذا الرجل الذى اطلعته على ملكك مستأسد على الملوك قد حكم على رفقائه ببر العدوة وأخذ الملك من أيديهم ولم يبق على واحد منهم ولا يؤمن أن يطمح الى المطامع فى ملكك بل فى ملك جزيرة الاندلس كلها الما قد عاينه من هناءة عيشك وانى لتخيل مثل ذلك لسائر ملوك الاندلس وان له من الولد والاقارب

وغيرهم

وغيرهم من يودّله الحلول بما أنت فيه من خصب الجناب وقد أردى الاذفونش وجيشه واستأصل شأفتهم واعدمك منه أقوى ناصر عليه لو احتجت اليه فقد كان لك منه أقوى عضد وأوفى مجن وبعد فانه ان فات الامر فى الاذفونش فلا يفتك الحزم فيما هو ممكن اليوم فقال له المعتمد وما هو الحزم اليوم فقال أن تجمع أمرك على قبض ضيفك هذا واعتقاله فى قصرك وتجزم انك لا تطلقه حتى يأمر كل من بجزيرة الاندلس من عسكره أن يرجع من حيث جاء حتى لا يبقى منهم أحد بالجزيرة طفل فمن فوقه ثم تتفق أنت وملوك الجزيرة على حراسة هذا البحر من سفينة تجرى فيه ثم بعد ذلك تستحلفه بأغلظ الايمان أن لا يضمر فى نفسه عودا الى هذه الجزيرة الا باتفاق منكم ومنه وتأخذ منه على ذلك رهائن فانه يعطيك من ذلك ما تشاء فنفسه أعز عليه من جميع ما يلتمس منه فعند ذلك يقتنع هذا الرجل ببلاده التى لا تصلح الا له وتكون قد استرحت منه بعد ما استرحت من الاذفونش وتقيم فى موضعك على خير حال ويرتفع ذكرك عند ملوك الجزيرة ويتسع ملكك ويذهب هذا الاتفاق لك الى سعادة وحزم وتهابك الملوك ثم اعمل بعد هذا ما يقتضيه حزمك فى مجاورة من عاملته هذه المعاملة واعلم انه قد تهيأ لك من هذا أمر سماوى تتفانى الامم وتجرى بحار الدم دون حصول مثله فلما سمع المعتمد كلام الرجل استصوبه وجعل يفكر فى انتهاز الفرصة وكان للمعتمد ندماء قد انهمكوا معه فى اللذات فقال أحدهم لهذا الرجل الناصح ما كان المعتمد على الله وهو امام أهل المكرمات ممن يعامل بالحيف ويغدر بالضيف فقال الرجل انما الغدر أخذ الحق من يد صاحبه لادفع الرجل عن نفسه المحذور اذا ضاق به فقال ذلك النديم ضيم مع وفاء خير من حزم مع جفاء ثم ان ذلك الناصح استدرك الامر وتلافاه فشكره المعتمد ووصله بصلة واتصل هذا الخبر بيوسف فاصبح غاديا فقدم له المعتمد الهدايا السنية والتحف الفاخرة فقبلها ثم رحل انتهى خبر وقعة الزلاقة وما يتبعه ملخصا من كتب التاريخ (ولما) انقرض بالاندلس ملك ملوك الطوائف بنى عباد وبنى ذى النون وبنى الافطس وبنى صمادح وغيرهم انتظمت فى سلك الملثمتين وكانت لهم فيها وقعات بالاعداء مشهورة فى كتب التواريخ (ولما) مات يوسف بن تاشفين سنة خمسمائة قام بالملك بعده ابنه أمير المسلمين على بن يوسف وسلك سنن أبيه وان قصر عنه فى بعض الامور ودفع العدو عن الاندلس مدة الى أن قيض الله تعالى للثورة عليه محمد بن تومرت الملقب بالمهدى الذى أسس دولة الموحدين فلم يزل يسعى فى هدم بنيان الملثمين الى أن مات ولم يملك حضرة سلطنتهم مراكش ولكنه ملك كثيرا من البلاد فاستخلف عبد المؤمن بن على فكان من استيلائه على مملكة الملثمين ما هو معروف ثم جاز الى الاندلس وملك كثيرا منها ثم أخرج الافرنج من مهدية افريقية وملك بلاد افريقية وضمها لملكه وتسمى بأمير المؤمنين ولما كانت سنة ٥٤٥ سار الاذفونش صاحب طليطلة وبلاد الجلالقة الى قرطبة ومعه أربعون ألف فارس فحاصرها وكان أهلها فى غلاء شديد فبلغ الخبر عبد المؤمن فجهز اليهم جيشا يحتوى على اثنى عشر ألف فارس فلما اشرفوا على الاذفونش رحل عنها وكان فيها القائد أبو الغمر الساتب فسلمها الى صاحب جيش عبد المؤمن يحيى بن ميمون فبات فيها فلما أصبح رأى الفرنج عادوا الى مكانهم

ونزلوا فى المكان الذى كانوا فيه فلما عاين ذلك رتب هنالك ناسا وعاد الى عبد المؤمن ثم رحل الفرنج الى ديارهم وفى السنة بعدها دخل جيش عبد المؤمن الى الاندلس فى عشرين ألفا عليهم الهنتاتى فصار اليه صاحب غرناطة ميمون وابن همشك وغيرهما فدخلوا تحت طاعة الموحدين وحرصوا على قصد ابن مردنيش ملك شرق الاندلس وبلغ ذلك ابن مردنيش فخاف وأرسل الى صاحب برشلونة من الافرنج يستنجده فتجهز اليه فى عشرة آلاف من الافرنج عليهم فارس وسار صاحب جيش عبد المؤمن الى أن قارب ابن مردنيش فبلغه أمر البرشلونى الافرنجى فرجع ونازل مدينة المرية وهى بايدى الروم فحاصرها فاشتد الغلاء فى عسكره فرجع الى اشبيلية فأقام فيها وسار عبد المؤمن الى سبتة فجهز الاساطيل وجمع العساكر ثم سار عبد المؤمن سنة ٥٤٧ الى المهدية فملكها وملك افريقية وضخم ملكه كما قدمناه * ولما مات بويع بعده ولده يوسف بن عبد المؤمن ولما تمهدت له الامور واستقرت قواعد ملكه رحل الى جزيرة الاندلس لكشف مصالح دولته وتفقد أحوالها وكان ذلك سنة ست وستين وخمسمائة وفى صحبته مائة ألف فارس من الموحدين والعرب فنزل بحضرة اشبيلية وخافه ملك شرق الاندلس مرسية وما انضاف اليها الامير الشهير أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش وحمل على قلب ابن مردنيش فرض مرضا شديدا ومات وقيل انه سم * ولما مات جاء أولاده وأهله الى أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وهو باشبيلية فدخلوا تحت حكمه وسلموا لاحكامه البلاد فصاهرهم وأحسن اليهم وأصبحوا عنده فى أعز مكان ثم شرع فى استرجاع البلاد التى استولى عليها الافرنج فاتسعت مملكته بالاندلس وصارت سراياه تعبر الى باب طليطلة وقيل انه حاصرها فاجتمع الفرنج كافة عليه واشتد الغلاء فى عسكره فرجع عنها الى مراكش حضرة ملكه ثم ذهب الى افريقية فهدها ثم رجع الى حضرته مراكش ثم جاز البحر الى الاندلس سنة ثمانين وخمسمائة ومعه جمع كثيف وقصد غربى بلادها فحاصر مدينة شنترين وهى من أعظم بلاد العدو وبقى محاصرا لها شهرا فاصابه المرض فمات فى السنة المذكورة وحمل فى تابوت الى اشبيلية وقيل أصابه سهم من قبل الافرنج والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال * وفى ابنه السيد اسحق يقول مطرف النجيبى رحمه الله تعالى

سعد كما شاء العلى والفخار * تصرف الليل به والنهار
مادانت الارض لكم عنوة * وانما دانت لامر كبار
مهدتموها فصفا عيشها * واتصل الابن فنم القرار

ومنها

فالشاة لا يحتلها ذئبها * وان اقامت معه فى وجار

ولما مات يوسف قام بالامر بعده ابنه الشهير أمير المؤمنين يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن فقام بالامر أحسن قيام ولما مات يوسف المذكور رثاه أديب الاندلس أبو بكر يحيى ابن مجبر بقصيدة طويلة أجاد فيها وأولها

جل الاسى فأسل دم الاجفان * ماء الشؤن لغير هذا الشان

قوله اسحق فى نسخة أبى اسحق اه

ويعقوب المنصور هو الذى أظهر أبهة ملك الموحدين ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وبسط الاحكام الشرعية وأظهر الدين وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقام الحدود على القريب والبعيد وله فى ذلك أخبار وفيه يقول الاديب أبو اسحق ابراهيم ابن يعقوب الكاتبى الاسود الشاعر المشهور

ازال حجابه عنى وعينى * تراه من المهابة فى حجاب
وقربنى تفضله ولكن * بعدت مهابة عند اقترابى

وكثرت الفتوحات فى ايامه وأول ما نظر فيه عند صيرورة الامر اليه بلاد الاندلس فنظر فى شأنها ورتب مصالحها وقرر المقاتلين فى مراكزهم ورجع الى كرسى مملكته مراكش المحروسة وفى سنة ٥٨٦ بلغه أن الافرنج ملكوا مدينة شلب وهى من غرب الاندلس فتوجه اليها بنفسه وحاصرها وأخذها وأنفذ فى الوقت جيشا من الموحدين والعرب ففتح أربع مدن مما بايدى الافرنج من البلاد التى كانوا أخذوها من المسلمين قبل ذلك باربعين سنة وخافه صاحب طليطلة وسأله الهدنة والصلح فهادنه خمس سنين وعاد الى مراكش وأنشد القائد أبو عبد الله بن وزير الشلبى وهو من امراء كتاب اشبيلية قصيدة يخاطب بها يعقوب المنصور فيما جرى فى وقعة مع الفرنج كان الشلبى المذكور مقدما فيها

ولما تلاقينا جرى الطعن بيننا * فمنا ومنهم طاعنون عديد
وجال غرار الهند فينا وفيهم * فمنا ومنهم قائم وحصيد
فلا صدر الا فيه صدر مثقف * وحول الوريد للحسام ورود
صبرنا ولا كهف سوى البيض والقنا * كلانا على حر الجلاد جليد
ولكن شددنا شدة فتبلدوا * ومن يتبلد لا يزال يحيد
فولوا وللسمر الطوال بهامهم * ركوع وللبيض الرقاق سجود

(رجع) الى أخبار المنصور بعد هدنة الافرنج ولما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها الا القليل خرج طائفة من الافرنج فى جيش كثيف الى بلاد المسلمين فنهبوا وسعوا وعاثوا عيثا فظيعا فانتهى الخبر اليه فتجهز لقصدهم فى جيوش موفرة وعساكر مكتبة واحتفل فى ذلك وجاز الى الاندلس سنة ٥٩١ فعلم به الفرنج فجمعوا جمعا كثيرا من أقاصى بلادهم وأدانيها وأقبلوا نحوه وقيل انه لما أراد الجواز من مدينة سلا مرض مرضا شديدا ويئس منه اطباؤه فعاث الاذفونش فى بلاد المسلمين بالاندلس وانتهز الفرصة وتفرقت جيوش المسلمين بسبب مرض السلطان فأرسل الاذفونش يتهدد ويتوعد ويرعد ويبرق ويطلب بعض الحصون المتاخمة له من بلاد الاندلس وخلاصة الامر أن المنصور توجه بعد ذلك الى لقاء النصارى وتزاحف الفريقان فكان المصاف شمالى قرطبة على قرب قلعة رباح فى يوم الخميس تاسع شعبان سنة ٥٩١ فكانت بينهم وقعة عظيمة استشهد فيها جمع كبير من المسلمين (وحكى) أن يعقوب المنصور جعل مكانه تحت الاعلام السلطانية الشيخ ابا يحيى ابن أبى حفص عم السلطان أبى زكريا الحفصى الذى ملك بعد ذلك افريقية وخطب له

ببعض الاندلس فقصد الافرنج الاعلام ظنا أن السلطان تحتها فانهزموا فى المسلمين أثرا قبيحا فلم يرعهم الا والسلطان يعقوب قد أشرف عليهم بعد كسر شوكتهم فهزمهم شر هزيمة وهرب الاذفونش فى طائفة يسيرة وهذه وقعة الارك الشهيرة الذكر (وحكى) أن الذى حصل لبيت المال من دروع الافرنج ستون ألفا وأما الدواب على اختلاف أنواعها فلم يحصر لها عدد ولم يسمع بعد وقعة الزلاقة بمثل وقعة الارك هذه وربما صرح بعض المؤرخين بانها أعظم من وقعة الزلاقة وقيل ان فل الافرنج هربوا الى قلعة رباح فتحصنوا بها فحاصرها السلطان يعقوب حتى أخذها وكانت قبل للمسلمين فأخذها العدو فردت فى هذه المرة ثم حاصر طليطلة وقاتلها أشد قتال وقطع أشجارها وشن الغارات على أرجائها وأخذ من أعمالها حصونا وقتل رجالها وسبى حريمها وخرب منازلها وهدم أسوارها وترك الافرنج فى أسوأ حال ولم يبرز اليه أحد من المقاتلة ثم رجع الى اشبيلية وأقام الى سنة ٥٩٣ فعاد الى بلاد الفرنج وفعل فيها الافاعيل فلم يقدر العدو على لقائه وضاقت على الافرنج الارض بما رحبت فطلبوا الصلح فأجابهم اليه لما بلغه من ثورة الميرقى عليه بافريقية مع قراقوش مملوك بنى أيوب سلاطين مصر والشام ثم توفى السلطان يعقوب سنة ٥٩٥ وما يقال انه ساح فى الارض وتخلى عن الملك ووصل الى الشام ودفن بالبقاع لا أصل له وان حكى ابن خلكان بعضه وممن صرح ببطلان هذا القول الشريف الغرناطى فى شرح مقصورة حازم وقال ان ذلك من هذيان العامة لولوعهم بالسلطان المذكور * وتولى بعده ولده محمد الناصر المشؤم على المسلمين وعلى جزيرة الاندلس بالخصوص فانه جمع جموعا اشتملت على ستمائة ألف مقاتل فيما حكاه صاحب الذخيرة السنيه فى تاريخ الدولة المرينيه ودخله الاعجاب بكثرة من معه من الجيوش فصادف الافرنج فكانت عليه وعلى المسلمين وقعة العقاب المشهورة التى خلا بسببها أكثر المغرب واستولى الافرنج على أكثر الاندلس بعدها ولم ينج من الستمائة ألف مقاتل غير عدد يسير جدا لم يبلغ الالف فيما قيل وهذه الوقعة هى الطامة على الاندلس بل المغرب جميعا وماذا الالوم والتدبير فان رجال الاندلس العارفين بقتال الافرنج استخف بهم الناصر ووزيره فشتق بعضهم ففسدت النيات فكان ذلك من بخت الافرنج والله غالب على أمره وكانت وقعة العقاب هذه المشؤمة سنة ٦٠٩ ولم تقم بعدها للمسلمين قائمة تحمد * ولما مات الناصر سنة عشرين وستمائة ولى بعده ابنه يوسف المستنصر وكان مولعا بالراحة فضعفت الدولة فى ايامه * وتوفى سنة ٦٢٠ فتولى عم أبيه عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن فلم يحسن التدبير وكان اذ ذاك بالاندلس العادل بن المنصور فرأى انه أحق بالامر فاستولى على ما بقى فى أيدى المسلمين من الاندلس بغير كلفة ولما خلع عبد الواحد وخنق بمراكش ثارت الافرنج على العادل بالاندلس وتصاف معهم فانهزم ومن معه من المسلمين هزيمة شنعاء فكانت الاندلس قرحا على قرح فهرب العادل وركب البحر يروم مراكش وترك باشبيلية أخاه أبا العلاء ادريس ودخل العادل مراكش بعد خطوب ثم قبض عليه الموحدون وقتلوه وايحيى بن الناصر صغير السن غير مجرب للامور فادعى حينئذ الخلافة أبو العلاء ادريس باشبيلية وبايعه أهل الاندلس ثم بايعه أهل مراكش وهو مقيم بالاندلس

قوله الذخيرة فى نسخة السيرة اه

فثار على أبي العلاء بالاندلس الامير المتوكل محمد بن يوسف الجذامي ودعا الى بني العباس فمال الناس اليه ورجعوا عن أبي العلاء فخرج عن الاندلس اعني أبا العلاء وترك ماوراء البحر لابن هود ولم يزل أبو العلاء يحارب مع يحيى بن الناصر الى أن قتل يحيى وصفا الامر لابي العلاء بالمغرب دون الاندلس ثم مات سنة ٦٣٠ * وبويع ابنه الرشيد وبايعه بعض أهل الاندلس ثم توفي سنة ٦٤٠ * وولي بعده أخوه السعيد وقتل على حصن بينه وبين تلمسان سنة ٦٤٦ * وولي بعده المرتضى عمر بن ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن وفي سنة ٦٦٥ دخل عليه الواثق المعروف بابي دبوس ففر ثم قبض وسيق الى الواثق فقتله ثم قتل الواثق بنو مرين سنة ٦٦٨ وبه انقرضت دولة بني عبد المؤمن وكانت من أعظم الدول الاسلامية فاستولى بنو مرين على المغرب وأما المتوكل بن هود فملك معظم الاندلس ثم كثرت عليه الخوارج قريب موته وقتله غدرا وزيره ابن الرميمي بالمرية واغتنم الافرنج الفرصة بافتراق الكلمة فاستولوا على كثير مما بقي بايدي المسلمين من البلاد والحصون ثم آل الامر الى أن ملك بنو الاحمر وخطب بعض الاندلس لابي زكريا الحفصي صاحب افريقية وقد سبق الكلام على أكثر المذكور هنا وأعدناه لتناسق الحديث ولما في بعضه من زيادة الفائدة على البعض الآخر وذلك لا يخفى على المتأمل وقد بسطنا في الباب الثالث أحوال ابن هود وابن الاحمر وغيرهما رحمهم الله تعالى الجميع * ثم استقل ملك يعقوب بن عبد الحق صاحب المغرب وحضرة ملك فاس فانتصر به أهل الاندلس على الافرنج الذين تكالبوا عليهم فاجتاز الى الاندلس وهزم الافرنج أشد هزيمة حتى قال بعضهم ما نصر المسلمون من العقاب حتى دخل يعقوب المريني وقتل في بعض غزواته بملك من النصارى يقال له ذونند ويقال انه قتل من جيشه أربعين ألفا وهزمهم أشد هزيمة ثم تتابعت غزواته بالاندلس وجوازه للجهاد وكان له من بلاد الاندلس رندة والجزيرة الخضراء وطريف وجبل طارق وغير ذلك وأعز الله تعالى به الدين بعد تمرد الفرنج المعتدين * ولما مات ولي بعده ابنه يوسف بن يعقوب ففزع اليه الاذفونش ملك النصارى لائذا به وقبل يده ورهن عنده تاجه فاعانه على استرجاع ملكه ولم يزل ملوك بني مرين يعينون أهل الاندلس بالمال والرجال وتركوا منهم حصة معتبرة من أقارب السلطان بالاندلس غزاة فكانت لهم وقائع في العدوة مذكورة ومواقف مشكورة وكان عند ابن الاحمر منهم جماعة بغرناطة وعليهم رئيس من بيت ملك بني مرين يسمونه شيخ الغزاة (ولما) افضى الملك الى السلطان الكبير الشهير أبي الحسن المريني وخلص له المغرب وبعض بلاد الاندلس أمر بانشاء الاساطيل الكثيرة برسم الجهاد بالاندلس واهتم بذلك غاية الاهتمام فقضى الله تعالى أن استولى الافرنج على كثير من تلك المراكب بعد أخذهم الجزيرة الخضراء وكان الافرنج جمعوا جموعا كثيرة برسم الاستيلاء على ما بقي للمسلمين بالاندلس فاستنفر أهل الاندلس السلطان أبا الحسن المذكور فجاء بنفسه الى سبتة فرضة المجاز ومحل أساطيل المسلمين فاذا بالافرنج جاؤا بالسفن التي لا تحصى ومتنوه العبور وأغاثه أهل الاندلس حتى استولوا على الجزيرة الخضراء وانكوه في مراكبه أعظم نكاية ولله الامر وقد افصح عن ذلك كتاب صدر من السلطان أبي الحسن المذكور الى سلطان مصر والشام والحجاز الملك الصالح

ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالحي الالفي رحم الله تعالى الجميع وهذه نسخة الكتاب المذكور الذي خاطب به أمير المسلمين السلطان أبو الحسن المريني المذكور ملك المغرب رحمه الله تعالى السلطان الملك الصالح ابن السلطان الملك الشهير الكبير الناصر محمد ابن قلاوون ووصل الى مصر في النصف وقيل في العشر الاواخر من شعبان المكرم سنة ٧٤٥ بعد البسملة والصلاة من عند أمير المسلمين المجاهد في سبيل الله رب العالمين المنصور بفضل الله المتوكل عليه المعتمد في جميع أموره لديه سلطان البرين حامي العدوتين مؤثر المرابطة والمثاغره موازر حزب الاسلام حق الموازره ناصر الاسلام مظاهر دين الملك العلام ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين فخر السلاطين حامي حوزة الدين ملك البرين امام العدوتين مهد البلاد مبدد شمل الاعاد مجند الجنود المنصور الرايات والبنود محط الرحال مبلغ الآمال أبي سعيد ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين حسنة الايام حسام الاسلام أبي الاملاك منجي أهل العناد والاشراك مانع البلاد رافع علم الجهاد مدوخ أقطار الكفار مصرخ من ناداه للانتصار القائم لله باعلاء دين الحق أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق اخلص الله لوجهه جهاده ويسر في قهر عداة الدين مراده الى محل ولدنا الذي طلع في أفق العلا بدرا تما وصدع بانواع الفخار فجلا ظلاما وظلما وجمع شمل المملكة الناصرية فاعلى منها علما وأحيا لها رسما حائط الحرمين القائم بحفظ القبلتين باسط الامان قابض كف العدوان الجزيل النوال الكفيل تامينه بحياطة النفوس والاموال قطب المجد وسماكه حسب الحمد وملاكه السلطان الجليل الرفيع الاصيل الحافل العادل الفاضل الكامل الشهير الخطير الاضخم الانخم المعان الموزر المؤيد المظفر الملك الصالح أبو الوليد اسمعيل ابن محل أخينا الشهير علاؤه المستطير في الآفاق ثناؤه زين الايام والليال كمال عين انسان المجد وانسان عين الكمال وارث الدول التالف بصحيح رأيه في عقود أهل الملل والنحل حامي القبلتين بعدله وحسامه الناهي في حفظ الحرمين أجراضطلاعه بذلك وقيامه هازم احزاب المعاندين وجيوشها هادم الكنائس والبيع فهي خاوية على عروشها السلطان الاجل الهمام الاحفل الانخم الاضخم الفاضل العادل الشهير الكبير الرفيع الخطير المجاهد المرابط المقسط عدله في الجائر والقاسط المؤيد المظفر المنعم المقدس المطهر زين السلاطين ناصر الدنيا والدين أبي المعالي محمد ابن الملك الارضى الهمام الامضى والد السلاطين الاخيار عاقد لواء العنصر في قهر الارمن والفرنج والتتار محيي رسوم الجهاد معلي كلمة الاسلام في البلاد جمال الايام نمال الاعلام فاتح الاقالم صالح ملوك عصره المتقادم الامام المؤيد المنصور المسدد قسيم أمير المؤمنين فيما تقلد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون مكن الله له تمكين أوليائه ونمى دولته التي أطلعها له السعد شمسا في سمائه واحسن ايزاعه للشكر ان جعله وارث آبائه سلام كريم يفاوح زهر الرياض سراه ويناغي نسيم الصبا مجراه يصحبه رضوان يدوم مادامت تقل الفلك حركاته ويتولاه روح وريحان تحييه به رحمة الله وبركاته (أما بعد) حمد الله مالك

الملك جاعل العاقبة للتقوى صدعا باليقين ودفعا للشك وخاذل من أسر فى النفاق النجوى قاصر على الدخن والافك والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الذى محا بانوار الهدى ظلم الشرك ونبيه الذى ختم به الانبياء وهو واسطة ذلك السلك ودحابه حجة الحق فسادت بالكفرة محولة الافلاك وماجت بهم حاملة الفلك والرضى عن آله وصحبه الذين سلكوا سبيل هداه فسلك فى قلوبهم أجل السلك وملكوا اعنة هواهم فلزموا من محجة الصواب انجح السلك وصابروا فى جهاد الاعداء فزاد خلوصهم مع الابتلاء والذهب يزيد خلوصا على السبك والدعاء لاولياء الاسلام وحمانه الاعلام بنصر امضائه فى العدا أعظم الفتك ويسر بقضائه درك آمال الظهور وأحفل بذلك الدرك فكتبناه اليكم كتب الله لكم رسوخ القدم وسبوغ النعم من حضرتنا بمدينة فاس المحروسة وصنع الله سبحانه يعرف مذاهب الالطاف ويكيف مواهب تلهج الالسنة فى القصور عن شكرها بالاعتراف ويصرف من أمره العظيم وقضائه الملتقى بالتسليم ما يكون بين النون والكاف ومكانكم العتيد سلطانه وسلطانكم المجيد مكانه وولاكم الصحيح برهانه وعلاكم الفسيح فى مجال الجلال ميدانه والى هذا زاد الله سلطانكم تمكينا وأفاد مقامكم تحصينا وتحسينا وسلك بكم من سنن من خلفتموه سبيلا مبينا فلا خفاء بما كانت عقدته أيدى التقوى ومهدته الرسائل التى على الصفاء تطوى بيننا وبينكم والذكم نعم الله روحه وقدسه وبقربه مع الابرار فى عليين آنسه من مواخاة احكمت منها العهود تالية الكتب والفاتحه وحفظ عليها محكم الاخلاص معوذتاها المحبة والنية الصالحه فانعقدت على التقوى والرضوان واعتضدت بتعارف الارواح عند تنازح الابدان حتى استحكمت وصلة الولاء والتأمت كلمة النسب لحمة الانتماء فما كان الاوشيكا من الزمان ولا عجب قصر زمن الوصلة أن يشكوه الخلان وردوارد أو ورد رنق المشارب وحقق قول ومن يسأل الركبان عن كل غائب أنبأ باستئثار الله تعالى بنفسه الزكيه وامكان درته السنيه وانقلابه الى ما أعده له من المنازل الرضوانيه بجليل ما وقر لفقده فى الصدور وعظيم ما تأثرت له النفوس لوقوع ذلك المقدور حنانا للاسلام بتلك الاقطار واشفاقا من أن يعتور قاصدى بيت الله الحرام من جراء الفتن عارض الاضرار ومساهمة فى مصاب الملك الكريم والولى الحميم ثم عميت الاخبار وطويت طى السجل الاثار فلم نر مخبرا صدقا ولا معلما بمن استقر له ذلكم الملك حقا وفى اثناء ذلك حفزنا للحركة عن حضرتنا استصراخ أهل الاندلس وسلطانها وتواتر الاخبار بان النصارى أجمعوا على خراب أوطانها ونحن اثناء ذلكم الشان نستخبر الوراد من تلكم البلدان عما أجلى عنه ليل الفتن بتلكم الاوطان فبعد لاى وقفنا منها على الخبير وجاءنا بوقايه حرم الله بكم البشير وتعرفنا أن الملك استقر منكم فى نصابه وتداركه الله تعالى منكم بفاتح الخير من أبوابه فاطفأ بكم نار الفتنة وأخمدها وأبر أمن أدواء النفاق ما أعل البلاد وأفسدها فقام سبيل الحج سابلا وتعبر طريقه لمن جاء قاصدا وقافلا ولما احتفت بهذا الخبر القرائن وتواتر بنقل الحاضر المعاين اثار حفظ الاعتقاد البواعث والود الصحيح تجزء حقا الموارث فاصدرنا اليكم هذه

المخاطبة المتفننة الاطوار الجامعة بين الخبر والاستخبار الملبسة من العزاء والهناء ثوبي الشعار والدثار ومثل ذلكم الملك رضوان الله عليه من تجل المصائب لفقدانه وتحل عرى الاصطبار بموته ولات حين أوانه لكن الصبر أجمل ما ارتداه ذو عقل حصين والاجر أولى ما اقتناه ذو دين متين ومثلكم من لا يخف وقاره ولا يشف عن ظهور الجزع الحادث اصطباره ومن خلفكم فمامات ذكره ومن قام بامره فما زال بل زاد فخره وقد طالت والحمد لله العيشة الراضية بالحقب وطاب بين مبداه ومحتضره هنيأ بما من الاجر اكتسب وصار حميدا الى خير المنقلب ووفد من كرم الله على أفضل ما مخ موقنا ووهب فقد ارتضاكم الله بعده لحياطة أرضه المقدسه وحماية زواريته مقيله أو معرسه ونحن بعد بسط هذه التعزيه نهنيكم بما خولكم الله أجل التهنيه وفي ذات الله الايراد والاصدار وفي مرضاته سبحانه الاضمار والاظهار فاستقبلوا دولة أتى العز عليها رواقه وعقد الظهور عليها نطاقه وأعطاها أمان الزمان عقده وميثاقه ونحن على ما عاهدنا عليه الملك الناصر رضوان الله عليه من عهود موثقه وموالاة محققه وثناء كامنه عن أزكى من الزهر غب القطر مفتقه ولم يغب عنكم ما كان من بعثنا المصحفين الاكرمين اللذين خطتهما منا اليمين وأوت بهما الرغبة من الحرمين الشريفين الى قرار مكين وانه كان لوالدكم الملك الناصر تولاه الله برضوانه وأورده موارد احسانه في ذلكم من الفعل الجميل والصنع الجليل ما ناسب مكانه الرفيع وشاكله فضله من البر الذي لا يضيع حتى طبق فعله الآفاق ذكرا وطوق أعناق الورى ادا والقصاد يترا وكان من أجل ما به تحفى وأتحف وأعظم ما بعرفه الى رضى الملك العلام في ذلك تعرف اذنه للمتوجهين اذ ذاك في شراء رباع توقف على المصحفين ورسم المراسم المباركة بتحرير ذلك الوقف مع اختلاف الجديدين فجرت أحوال القراء فيهما بذلك الخراج المستفاد ريثما يصلحهم من خراج ما وقفناه عليهم بهذه البلاد على ما رسمه رحمة الله عليه من عناية بهم متصله واحترام في تلك الاوقاف فوائدها به متوفرة متحصله وقد أمرنا مؤدي هذا الكما لكم وموفده على جلالكم كاتبنا الاسنى الفقيه الاجل الاحظى الاكمل أبا المجد ابن كاتبنا الشيخ الفقيه الاجل الحاج الاتقى الارضى الافضل الاحظى الاكمل المرحوم أبي عبد الله بن أبي مدين حفظا الله عليه رتبته ويسر في قصد البيت الحرام بغيته بأن يتفقد أحوال تلك الاوقاف ويتعرف تصرف الناظر عليها وما فعله من سداد واسراف وأن يخبرلها من يرتضى لذلك ويحمد تصرفه فيما هنالك وخاطبنا سلطانكم في هذا الشان جريا على الود الثابت الاركان واعلاما بما لوالدكم رحمه الله تعالى في ذلك من الافعال الحسان وكما لكم يقتضي تخليد ذلكم البر الجميل وتجديد عمل ذلكم الملك الجليل وتشييد ما اشتمل عليه من الشراء الاصيل والاجر الجزيل والتقدم بالاذن السلطاني في اعانة هذا الوافد بهذا الكتاب على ما يتوخاه في ذلك الشان من طرق الصواب وثناؤنا عليكم الثناء الذي يفاوح زهر الربا ويطارح نغم حمام الايك مطربا وبحسب المصافاه ومقتضى الموالاه نشرح لكم المتزايدات بهذه الجهات وننبئكم بوجوب ابطاء انفاذ هذا الخطاب

على

على ذلكم الجناب وذلك انه لما وصلنا من الاندلس الصريخ ونادى منا للجهاد عزما لمثل ندائه يصيخ أنبأنا أن الكفار قد جمعوا احزابهم من كل صوب وحتم عليهم بأيأسهم اللعين التناصر من كل أوب وأن تقصدطوائفهم البلاد الاندلسية بايجافها وتنقص بالمنازلة أرضها من أطرافها ليمحوا كلمة الاسلام منها ويقلصوا ظل الايمان عنها فقد منا من يشتغل بالاساطيل من القواد وسرنا على أثرهم الى سبتة منتهى الغرب الاقصى وباب الجهاد فما وصلناها الاوقد أخذ أخذه العدو والكفور وسدت أجفان الطواغيت على التعاون مجاز العبور وأتوا من أجفانهم بما لا يحصى عددا وأرصدوها بمجمع البحر حيث المجاز الى دفع العدا وتقلصوا عن الانبساط فى البلاد واجتمعوا الى الجزيرة الخضراء أعادها الله بكل من جمعوه من الاعاد لكامع انسداد تلك السبيل وعدم أمور نستعين بها فى ذلكم العمل الجليل حاولنا امداد تلكم البلاد بحسب الجهد وأصرخناهم بمن أمكن من الجند وجهزنا أجفانا مختلسين فرصة الاجازه تتردد على خطر بمن جهز للجهاد جهازه وأمرنا لصاحب الاندلس من المال بما يجهزبه حركته لمدانا محلة حزب الضلال وأجريناله وبجيشه العطاء الجزل مشاهره وأرضخنا لهم فى النوال ما نرجو به ثواب الآخره وجعلت أجفاننا تتردد فى مينا السواحل وتلج أبواب الخوف العاجل لاحرازالامن الآجل مشحونة بالعدد الموفوره والابطال المشهوره والخيل المسومه والاقوات المقومه فمن ناح حارب دونه الاجل وشهد مضى لما عند الله عزوجل ومازالت الاجفان تتردد على ذلك الخطر حتى تلف منها سبع وستون قطعة غزوية أجرها عند الله يدخر ثم لم نقتنع بهذا العمل فى الامداد فبعثنا أحد أولادنا أسعدهم الله تعالى مساهمة به لاهل تلك البلاد فلقى من هول البحر وارتجاجه والحاح العدو ولجاجه ما به الامثال تضرب وبمثله يتحدث ويستغرب ولما خلص لتلك العدوة بمن أبقته الشدائد نزل بازاء الكافر الجاحد حتى كان منه بفرسخين أو أدنى وقد ضرب بعطن يصايح العدو ويماسيه يحرب بها يمنى وقد كان من مددنا بالجزيرة جيش شريت شرارته وقويت فى الحرب ادارته يبلون البلاء الاصدق ولا يبالون بالعدو وهم منه كالشامة البيضاء فى البعير الاورق الا ان المطاولة بحصرها فى البحر مدة ثلاثة أعوام ونصف ومنازالتها فى البر نحو عامين معقود اعليها الصف بالصف أدى الى فناء الاقوات فى البلد حتى لم يبق لاهله قوت شهر مع انقطاع المدد وبه من الخلق ما يربى على عشرة آلاف دون الحرم والولد فكتب الينا سلطان الاندلس يرغب فى الاذن له فى عقد الصلح ووقع الاتفاق على انه لاستخلاص المسلمين من وجوه النجح فاذنا له فيه الاذن العام اذ فى اصراخه واصراخ من بقفاره من المسلمين توخينا ذلك المرام هنالك دعى النصارى الى السلم فاستجابوا وقد كانوا علموا افناء القوت وما استرابوا فتم الصلح الى عشر سنين وخرج من بها من فرسان ورجال وأهل وبنين ولم يرزؤا مالا ولا عدده ولا اقوا فى خروجهم غير النزوح عن أول أرض مس الجلد ترابها شدده ووصلوا الينا فاجزلنا هم العطاء وأسلمناهم عما جرى بالجباء فمن خيل تزيد على الالف عتاقها وخلع تربى على عشرة آلاف

أطواقها وأموال عمت الغنى والفقير ورعاية شملت الجميع بالعيش النضير وكف الله ضر الطواغيت عما عداها وما انقلبوا بغير مدرة عفار سمها وصم صداها وقد كان من لطف الله حين قضى بأخذ هذا الثغر أن قدرلنا فتح جبل طارق من أيدى الكفر وهو المطل على هذه المدره والفرصة منها ان شاء الله تعالى متيسره حتى يفرق عقد الكفار ويفرج بهذه الجهة منهم مجاور وهذه الاقطار فلولا اجلابهم من كل جانب وكونهم سدوا مسالك العبور بما جمعهم من الاجفان والمراكب لما بانينا باصعاقهم ولحللنا بعون الله عقد اتفاقهم ولكن للموانع أحكام ولاراد لما جرت به الاقلام وقد أمرنا لذلك الثغر بمزيد المدد وتخيرنا له ولسائر تلك البلاد العدد والعدد وعدنا لحضر تنا فاس لتستريح الجيوش من وعثاء السفر وترتبط الجياد وتنتخب العدد لوقت الظهور المنتظر وتكون على اهبة الجهاد وعلى مرقبة الفرصة عند تمكنها فى الاعادة وعند عودنا من تلك المحاوله تيسر الركب الحجازى موجها الى هنالكم رواحله فاصدرنا اليكم هذا الخطاب اصدار الود الخالص والحب اللباب وعندنا لكم ما عند أحنى الآباء واعتقادنا فيكم فى ذات الله لا يخشى جديده من البلاء وما لكم من غرض بهذه الانحاء فوق قصده على أكمل الاهواء موالى تميمه على أجمل الآراء والبلاد باتحاد الود متحده والقلوب والايدى على ما فيه مرضاة الله عز وجل منعقده جعل الله ذلكم خالص الرب العباد مدخورا اليوم التناد مسطورا فى الاعمال الصالحة يوم المعاد بمنه وفضله وهو سبحانه يصل اليكم سعدا تتفاخر به سعود الكواكب وتتضافر على الانقياد له صدور المواكب وتتقاصر عن نيل مجده متطاولات المناكب والسلام الاتم يخصكم كثيرا أثيرا ورحمة الله وبركاته وكتب فى يوم الخميس السادس والعشرين لشهر صفر المبارك من عام خمسة وأربعين وسبعمائة وصورة العلامة وكتب فى التاريخ المؤرخ * ونسخة الجواب عن ذلك من انشاء خليل الصفدى شارح لامية العجم فى سادس شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة بعد البسملة فى قطع النصف بقلم الثلث عبد الله وواليه صورة العلامة ولده اسمعيل بن محمد السلطان الملك الصالح السيد العالم العادل المؤيد المجاهد المرابط المظفر المنصور عماد الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين محيى العدل فى العالمين منصف المظلومين من الظالمين وارث الملك ملك العرب والعجم والترك فاتح الاقطار واهب الممالك والامصار اسكندر الزمان مملك أصحاب المنابر والاسرة والتخوت والتيجان ظل الله فى أرضه القائم بسنته وفرضه مالك البحرين خادم الحرمين الشريفين سيد الملوك والسلاطين جامع كلمة الموحدين ولى أمير المؤمنين أبو الفداء اسمعيل ابن السلطان الشهيد السعيد الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبى الفتح محمد ابن السلطان الشهيد السعيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون خلد الله تعالى سلطانه وجعل الملائكة أنصاره وأعوانه يخص المقام العالى الملك الاجل الكبير المجاهد المؤيد المرابط المثاغر المعظم المكرم المظفر المعمر الاسعد الاصعد الاوحد الامجد الانجد السنى السرى المنصور أبا الحسن على ابن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق أمده الله

بالظفر وقرن عزمه بالتأييد فى الآصال والبكر سلام وشت البروق وشائعه واذخرت الكواكب ودائعه واستوعب الزمان ماضيه ومستقبله ومضارعه وثناه اتخذ النغمات المكية طلائعه ونبه للتغريد فى الروض سواجعه وجلى فى كاسه من الشفق المحمر مدامه ومن النجوم فواقعه أما بعد حمد الله على نعم أدت لنا الامانة فى عود سلطنة والدنا الموروثه وأجلستنا على سرير مملكة زرابيها بين النجوم مبثوثه وأحسنت بنا الخلف عن سلف عهوده فى الاعناق غير منكورة ولا منكوثه وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه الذين بلغ بجهادهم فى الكفرة غاية أمله ورسوله صلاة تحط بالرضوان سيولها وتجر بالغفران ذيولها ما تراسل أصحاب وتواصل أحباب ويوضع للعلم الكريم ورود كتابكم العظيم وخطابكم الفائق على الدر النظيم تفاخر الخمائل سطوره ويصبغ خد الورد بالخجل منثوره ويحكى الرياض اليانعة فالالفات غصونه والهمزات عليها طيوره ويخلع على الآفاق حلل الايام والليالى فالطرس صباحه والنقس ديجوره لفظه يطرب ومعناه يعرب فيغرب وبلاغته تدل على انه آية لان شمس بيانها طلعت من المغرب فاتخذنا سطوره ريحانا ورجعنا ألفاظه ألحانا ورجعنا الى الجذ فشبهنا الفانه بظلال الرماح وورقه بصقال الصفاح وحروفه المفرقة بافواه الجراح وسطوره المنتظمة بالفرسان المزدحمة فى يوم الكفاح وانتهينا الى ما أودعتموه من اللفظ المسجوع والمعنى الذى يطرب طائره المسموع والبلاغة التى فضح المتطبع بيانها المطبوع فاما العزاء باخيكم الوالد قدس الله روحه وسقى عهده وأحسن لسلفه خلفا بعده فلنا برسول الله اسوة حسنه ولولا الوثوق بأنه فى عدة الشهداء ما رأى القلب قراره ولا الطرف وسنه عاش سعيدا يملك الارض ومات شهيدا يفوز بالجنة يوم العرض قد خلد الله ذكره يسير مسير الشمس فى الآفاق ويوقف على نضارة حدائقه نظرات الاحداق وورثنا منه حسن الاخاء لكم والوفاء بعهود مودة تشبه فى اللطف شمائلكم وأما الهناء بوراثة ملكه والانخراط مع الملوك فى سلكه فقد شكرنا لكم منحى هذه المنحه وقابلناها بثناء يعطر النسيم فى كل نفحه ووفقنا عليها حمدا جعل الود علينا ايراده وعلى انفاس سرحة الروض شرحه وتحققنا به حسن ودكم الجميل وكريم اخائكم الذى لا يميد طود رسوخه ولا يميل وأما ما ذكرتموه من أمر المصحفين الشريفين اللذين وقفتموهما على الحرمين المنيفين وانكم جهزتم كاتبكم الفقيه الاجل الاسنى الاسمى أبا المجد ابن كاتبكم أبى عبد الله بن أبى مدين أعزه الله تعالى لتفقد أحوالهما والنظر فى أمر أوقافهما فقد وصل المذكور عن معه فى حرز السلامة وأكرمنا نزلهم وسهلنا بالترحيب سبلهم وجعنا على بذل الاحسان اليهم شملهم وحضر المذكور بين أيدينا وقربناه وسمعنا كلامه وخاطبناه وأمرنا فى أمر المصحفين الشريفين بما أشرتم وسمنا النواب فى نواحى أوقافهما بما ذكرتم وهذا الوقف المبرور جار على أحسن عادة الفها وأثبت قاعدة عرفها مرعى الجوانب محمى المنازل والمضارب آمن من ازالة رسمه أو اذالة حكمه بدره أبدا فى مطالع تمه وزهره دائما يرقص فى كمه لا يزداد الا تخليدا ولا اطلاق ثبوته الا تقييدا ولا عنق اجتهاده الا تقليدا جريا على

قاعدة أوقاف ممالكنا وعادة نصرة فاتنا في مسالكنا وله مزيد الرعاية وافادة الحماية ووفادة العناية وأتلما وصفتموه من أمر الجزيرة الخضراء ومالاقاه أهلها ومني به من الكفار حزنها وسهلها فانه شق علينا سماعه الذي انكى أهل الايمان وعقد به نوب الزمان كل قلب بانامل الخفقان وطالما فزتم بالظفر ورزقتم النصر على عدوكم فجر ذيل الهزيمة وفر ولكن الحروب سجال وكل زمان لدولة ولرجاله رجال ولو أمكنت المساعدة لطارت بنا اليكم عقبان الجياد المسومة وسالت على عدوكم أباطحهم بقسينا المعوجة وسهامنا المقومة وكحلنا عيون النجوم بمراود الرماح وجعلنا ليل الهجاج ممزقا ببروق الصفاح واتخذنا رؤسهم لصوالج القوائم كرات وفرجنا مضايق الحرب بتوالي الكرات وعطفنا عليهم الاعنة وخضنا جداول السيوف ودسنا شوك الاسنة وفلقنا الصخرات بالصرخات وأسلنا العبرات بالرعبات ولكن أين الغاية من هذا المدى المتطاول وأين الثريا من يد المتناول ومالنا غير امدادكم بجنود الدعاء الذي نرفعه نحن ورعايانا والتوجه الصادق الذي تعرفه ملائكة القبول من محبانا وأتما ما فقدتموه من الاجفان التي طرقها طيف التلاف وأتم حرم فنائها الفناء وطاف به بعد الالطاف فقد روع هذا الخبر قلب الاسلام ونوع له الحزن على اختلاف الاصباح والاظلام وهذه الدار ما يخلو صفوها من كدر القدر وطالما انامت بالامن أول الليل وخاطبت بالخطب في السحر ولكن في بقائكم ما يسلي من خطب العطب ومع سلامة نفسكم الكريمة فالامر هين لان الدر يفدى بالذهب وأتما ما رأيتموه من الصلح فرأي عقده مبارك وأمر ما فيه فارط عزم وان كان فيتدارك والامر يجيء كما يحب لا كما نحب والحروب يزورها نصرها تارة ويغب ومع اليوم غدا وقدير الله الردى ويعيد الظفر بالعدا وأتما عودكم الى فاس المحروسة طلبا للراحة من عندكم من الجنود وتجهيزا لمن يصل من عندكم الى الحجاز الشريف من الوفود فهذا أمر ضروري التدبير سروري التعبير لان النفوس تمل وتثير المهاد فكيف ملازمة صهوات الجياد وتسأم من مجالسة الشرب فكيف بممارسة الحرب وتعرض عن دوام اللذة فكيف بمباشرة المنايا الفذة وهذا جبل طارق الذي فتح الله به عليكم وساق هدى هديته اليكم لعله يكون سببا الى ارتجاع ما شرد وحسما لهذا الطاغية الذي مرد ورد الهذا النازل الذي قدم ورد الصبر لما ورد فعادة الالطاف الالهية بكم معروفه وعزماتكم الى جهات الجهاد مصروفه وقد تفاءلنا لكم من هذا الجبل بانه طارق خير من الرحمن يطرق وجبل يعصم من سهم يرمي من قسي الكفار ويمرق وأتما ما منحتموه من الخيل العتاق والملابس التي تطلع بدور الوجوه من مشارق الاطواق والاموال التي زكت عند الله تعالى ونمت على الانفاق فعلى الله عز وجل خلفها ولكم في منازل الدنيا والآخرة شرفها وشرفها واليكم تساق هدايا أنيتها وتحفكم تحفها واذا وصل وفدكم الحاج وأنار له بوجه اقبالنا عليهم ليلهم الداج كانوا مقيمين تحت ظل اكرامنا وشمول اسعافنا لهم وانعامنا يتخولون تحفا انتم سيبها ويتناولون طرفا في كؤس الاعتناء بهم تنضد حبها واذا كان أوان الرحيل الى الحج فسحنا

لهم الطريق وسهلنا لهم الرفيق وبلغناهم بحول الله تعالى مناهم من منى وسؤلهم ممن اذا زاروا حجرته الشريفة حازوا الراحة من العناء وفازوا بالغنى واذا عادوا عاملناهم بكل جميل ينسيهم مشقة ذلك الدرب ويخيل اليهم أن لا مسافة لمسافر بين الشرق والغرب وغمرناهم بالاحسان فى العود اليكم وأمرناهم بما ينهونه شفاها اليكم وعناية الله تعالى تحوط ذاتكم وتوفر لاخذ الثار حماتكم وتخصكم بتأييد تنزلون روضه الانضر وتجنون به ثمر النصر اليانع من ورق الحديد الاخضر وتحفكم بسعد لا يلى قشيبه وعز لا يعرو شبابه مشيبه وتحيته المباركة تغاديكم وتراوحكم وتفاوحكم انفاسها المعنبرة وتنافحكم بمنه وكرمه انتهى (ورأيت) بخط منشئ هذا الجواب الصلاح الصفدى رحمه الله تعالى اثر ذكره ما نصه أما بعد حمد الله تعالى على نعمائه وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله خاتم أنبيائه فقد قرأ الشيخ الامام العالم العامل العلامة المفيد القدوة عز الدين أبو يعلى حمزة ابن الرئيس الكبير الفاضل القاضى قطب الدين موسى بن أحمد ابن شيخ السلامية الاحدى أمتع الله بفوائده الكتاب الوارد من سلطان المغرب الملك المجاهد المرابط أبى الحسن المرينى صاحب مراكش تغمده الله تعالى برحمته والجواب عنه عن السلطان الشهيد الملك الصالح عماد الدين اسمعيل ابن السلطان الشهيد الملك الناصر محمد قدس الله تعالى روحهما من انشائى وأنا أسمع ذلك جميعا من أوله لهما الى آخرهما قراءة اطربت السمع لفصاحتها وأمالت العطف لرجاحتها

وأخجلت ورق الحمى بالملوا * ان صدحت فى ذروة الغصن
تكاد من لطف ومن رقة * تدخل فى الاذن بلا اذن

وذلك فى مجلس واحد فى ذى القعدة سنة ٧٥٦ بالجامع الاموى بدمشق المحروسة فان رأى رواية ذلك عنى فله علق الرأى فى تشريفى بذلك وكتبه خليل بن ايبك الصفدى الشافعى عفا الله عنه انتهى * وكان السلطان أبو الحسن المرينى المذكور كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخطه وأرسلها الى المساجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال ووقف عليها أوقافا جليلة كتب توقيعه سلطان مصر والشام بمسامحتها من انشاء الاديب الشهير جمال الدين ابن نباتة المصرى ونص ما يتعلق به الغرض منه هنا قوله وهو الذى مد يمينه بالسيف والقلم فكتب فى أصحابها وسطر الختمات الشريفة فايد الله حزبه بما سطر من أحزابها واتصلت ملائكة النصر بلوائه تغدو وتروح وكثرت فتوحه لاملياء الغرب فقالت أوقاف الشرق لابد للفقراء من فتوح ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد المجدى وخط سطورها بالعربى وطالما خط فى صفوف الاعداء بالهندى ورتب عليها أوقافا تجرى اقلام الحساب فى اطلاقها وطلقها وحبس املاكا شامية تحدث بنعم الاملاك التى سرت من مغرب الارض الى مشرقها والله تعالى يمتع من وقف هذه الختمات بما سطره فى أكرم الصحائف وينفع الجالس من ولاة الامور فى تقريرها ويتقبل من الواقف انتهى * قلت وقد رأيت أحد المصاحف المذكورة وهو الذى بيت المقدس وربعته فى نهاية الصنعة * وقال بعض المشارقة فى حق السلطان أبى الحسن ما صورته ملك أضاء المغرب بانوار هلاله

وبرت الى المشرق أنواء نواله وطابت نسماته واشتهرت عزماته كان حسن الكتابه كثير الاناب ذا بلاغة وبراعه وشهامة وشجاعه كتب بخطه ثلاثة مصاحف ووقفها على المساجد الثلاثة أقام فى الملك عشر سنين وسبعة أيام ثم صرف بولده أبى عنان بعد حروب بطول شرحها انتهى من كتاب نزهة الانام * ولما ذكر الامام الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق فى كتابه المسند الصحيح الحسن من أخبار السلطان أبى الحسن أمر الربعة التى أرسلها السلطان أبو الحسن بخطه قال ما ملخصه وأرسل معها السلطان الملك الناصر بن قلاوون صاحب الديار المصرية من أحجار الياقوت العظيم القدر والثمن ثمانمائة وخمسة وعشرين ومن الزمرذ مائة وثمانية وعشرين ومن الزبرجد مائة وثمانية وعشرين ومن الجوهر النفيس المسلوكى ثلثمائة وأربعة وستين وأرسل حللا كثيرة منها مذهبة ثلاثة عشر ومن الاناق عشرين مذهبة ومن الخلادى ستة وأربعين ومن القنوع ستة وعشرين مذهبة ومن المحززات المخممة ثمانمائة ومن الرصان عشرين شقة والاكسية المحززة أربعة وعشرين والبرانس المحززة ثمانية عشر والمشققات مائة وخمسين واحرام الصوف المحززة عشرين ومن شقق الملف الرفيع ستة عشر ومن الفضالى المنوعة والفرش والمخاد المنبوق والحلل ثمانمائة وأوجه اللحف المذهبة عشرين وسائطان حله وحنابل مائة واثنى عشر كلها حرير وفرش جلد مخروز بالذهب والفضة ومن السيوف المحلاة بالذهب المنظم بالجوهر عشرة والسروج عشرة بركب ذهب والمهاميز الذهب كذلك وثلاث ركب فضة وستة مزججة ومذهبة ومضمتان من ذهب مما يليق بالملوك وشاشية حديد بذهب مكلل بالجوهر ومن لزمات الفضة عشرة وسرج مخروزة بالفضة عشرة وعشر علامات معششة مذهبة وعشر رايات مذهبة وعشر براقع مذهبة وعشر امثلة مرقومة وثلاثين جلد اشرك وأربعة آلاف درقة اط منها مائتان بنهود الذهب وثمانية عشر بنهود الفضة وخباء قبة كبيرة من مائة بنيقة لها أربعة أبواب وقبة أخرى مضربة من ست وثلاثين بنيقة مبطنة بجلة مذهبة وهى حرير أبيض ومرابطها حرير ملون وعمودها عاج وابنوس واكبارها من فضة مذهبة ومن البزاة الاحرار المنتقات أربعة وثلاثين ومن عتاق الخيل العراب ثلثمائة وخمسا وثلاثين ومن البغال الذكور والاناث مائة وعشرين ومن الجمال سبعمائة وتوجهت مع هذه الهدية أم برسم الحج مع الربعة المكرمة واعطى الحرة أم أخته أم ولد أبيه مريم ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهبا ولقاضى الركب ثلثمائة وكسوة ولقائد الركب أربعمائة وكساوى متعددة وبغلات وللرسول المعين للهدية ألفا ولشيخ الركب أحمد بن يوسف بن أبى محمد صالح خمسمائة ولجماعة الضعفاء من الحجاج ستمائة وبرسم العطاء للعرب ثلاثة آلاف وثمانمائة ولشراء ربع ستة عشر ألفا وخمسمائة ذهبا انتهى * وذكر فى الكتاب المذكور أن السلطان أبا الحسن الموصوف اهدى هدايا غير هذه لكثير من الملوك ومنها الصاحب الاندلس صلة وصدقة وهدية فى مرات ومنها الملوك النصارى بعد هداياهم ومنها السلاطين السودان كصاحب مالى ومنها الصاحب افريقية ومنها الصاحب تلمسان انتهى * وقال مؤرخ مصر المقريزى

قوله المنبوق فى نسخة المنبوت بالمثناة الفوقية ولعله راجع اه

قوله علامات هكذا فى الاصل ولعله علاقات ولعله ملاآ ولعله راجع اه

فى كتاب السلوك فى سنة ٧٣٨ ما نصه وفى ثانى عشرين من رمضان قدمت الحرة من عند السلطان أبى الحسن على بن عثمان بن يعقوب المرينى صاحب فاس تريد الحج ومعها هدية جليلة الى الغاية نزل لها من الاصطبل السلطانى ثلاثون قطارا من بغال النقل سوى الجمال وكان من جملتها أربعمائة فرس منها مائة بحجرة ومائة بحمل ومائتا بغل وجميعها بسرج ولجم مسقطة بالذهب والفضة وبعضها سرجها وركبها كلها ذهب وكذلك لجمها وعدتها اثنان وأربعون رأسا منها سرجان من ذهب مرصع بجوهر وفيها اثنان وثلاثون بازا وفيها سيف قرابه ذهب مرصع وحياصة ذهب مرصع وفيها مائة كساء وغير ذلك من القماش الغالى وكان قد خرج المهمندار الى لقائهم وأنزلهم بالقرافة قريب مسجد الفتح وهم جمع كثير جدا وكان يوم طلوع الهدية من الايام المذكورة ففرق السلطان الهدية على الامراء بأسرهم على قدر مراتبهم حتى نفدت كلها سوى الجواهر واللؤلؤ فانه اختص به فقدرت قيمة هذه الهدية ما يزيد على مائة ألف دينار ثم نقلت الحرة الى الميدان بمن معها ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلوى والفاكهة فى كل يوم بكرة وعشية ما عمهم وفضل عنهم فكان مرتبهم كل يوم عدة ثلاثين رأسا من الغنم ونصف اردب أرز وقنطار حب رمان وربع قنطار سكر وثمان فانوسيات شمع وتوابل الطعام وحمل اليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم وأجرة حمل أثقالهم مبلغ ستين ألف درهم ثم خلع على جميع من قدم مع الحرة فكانت عدة الخلع مائتين وعشرين خلعة على قدر طبقاتهم حتى خلع على الرجال الذين قادوا الخيول وحمل الى الحرة من الكسوة ما يجل قدره وقيل لها أن تملى ما تحتاج اليه ولا يعوزها شئ وانما تريد عناية السلطان باكرامها واكرام من معها حيث كانوا فتقدم السلطان الى النشو والى الامير أحمد أقبغا بتجهيزها اللائق بها فقاما بذلك واستخدما لها السقايين والضوية وهيآ كل ما تحتاج اليه فى سفرها من أصناف الحلاوات والسكر والدقيق والبقسماط وطلبا الجمالة لحمل جهازها وازودتها وندب السلطان للسفر معها جمال الدين متولى الجيزة وأمره أن يرحل بها فى مركب لها بمفردها ففعل ذلك وقام بحمل وبمتعلق كل ما تأمر به وكتب لامير مكة والمدينة بخدمتها أتم خدمة انتهى • وقال فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة ما نصه وفى نصف شعبان قدمت الحرة أخت صاحب المغرب فى جماعة كثيرة وعلى يدها كتاب السلطان أبى الحسن يتضمن السلام وأن يدعو له الخطباء فى يوم الجمعة ومشايخ الصلاح وأهل الخير بالنصر على عدوهم ويكتب الى أهل الحرمين بذلك وذلك أن فى السنة الخالية كانت بينه وبين الفرنج وقعة عظيمة قتل فيها ولده ونصره الله تعالى بمنه على العدو وقتل كثيرا منهم وملكوا منهم الجزيرة الخضراء فعمر الفرنج مائتى شينى وجمعوا طوائفهم وقصدوا المسلمين وأوقعوا بهم على حين غفلة فاستشهد عالم كثير ونجا أبو الحسن فى طائفة من أزامه بعد شدائد وملك الفرنج الجزيرة واسروا وسبوا وغنموا شيئا يجل وصفه ثم مضوا الى جهة غرناطة ونصبوا عليها مائة منجنيق حتى صالحهم أهلها على قطيعة يقومون بها وتهادنوا مدة عشر سنين اه كلامه وقد تقدم نص هذا الكتاب الموجه من السلطان أبى الحسن فليراجع قريبا • وقال ابن مرزوق فى المسند الصحيح بعد كلام

قوله ولا يعوزها شئ هكذا فى الاصل ولعله فلم يعوزها شئ بالتفريع على قوله وقيل لها الخ تأمل اه مصححه

ما ملخصه وكان يعنى السلطان أبا الحسن مجتهدا فى الجهاد بنفسه وحرمه وجاز للاندلس برسم ذلك بنفسه وأظهر آثاره الجميلة ومنها ارتجاع جبل الفتح ليد المسلمين بعد أن انفق عليه الاموال وصرف اليه الجنود والحشود اذ كان من عمالته هو والجزيرة ورندة ونازلته جيوشه مع ولده وخواصه وضيقوا به الى أن استرجعوه ليد المسلمين وأنفق على بنائه اجمال مال واعتنى بتحصينه وبنى حصنه وأبراجه وسوره وجامعه ودوره ومخازنه ولما كاد يتم ذلك نازله العدو برا وبحرا فصبر المسلمون صبر الكرام نخيب الله تعالى أمل العدو وعاد خاسرا والمنة لله فرأى أن يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع عدو فى منازلته ولا يجد سبيلا للتضييق عند محاصرته ورأى الناس ذلك من المحال فانفق الاموال وأنصف العمال فاحاط بمجموعه احاطة الهالة بالهلال وأتم بناؤه للمحاسن والطوالع فاصر غير مجهول اه (وقد رأيت) ان أذكر هنا بعض انشاء لسان الدين بن الخطيب فى شأن ما يتعلق بجبل الفتح وغيره من بلاد الاندلس وحال العدو الكافر وما يخترط فى هذا السلك فمن ذلك على لسان سلطانه يخاطب به أحد السلاطين من أولاد السلطان أبى الحسن المرينى (ونصه) المقام الذى يصرخ وينجد ويتهم فى الفضل وينجد ويسعف ويسعد ويبرق فى سبيل الله ويرعد فيأخذ الكفر من عزماته المقيم المقعد حتى ينجز من نصر الله تعالى الموعد مقام محل أخينا الذى حسن الظن بمجده جميل وحد الكفر بسعده كليل وللاسلام فيه رجاء وتأميل ليس للقلوب عنه عميل السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابقاه الله تعالى وعزمه الماضى لصولة الكفر قامعا وتدبيره الناجح لشمل الاسلام جامعا وملكه الموفق لنداء الله مطيعا سامعا معظم مقداره وملتزم اجلاله واكباره المعتد فى الله بكرم شيمته وطيب نجاره المستظهر على عدو الله باسراعه الى تدمير الكافر وبداره سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله مجيب دعوة السائل ومتقبل الوسائل ومتيح النعم الجلائل مريح من عامله فى هذا الوجود الزائف الزائل والايام القلائل بامتاع الدائم الطائل والنعيم غير الحائل ومقيم اود الاسلام المائل باولى المكارم من أوليائه والفضائل والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المنقذ من الغوائل المنجى من الروع الهائل الصادع بدعوة الحق الصائل بين العشائر والفصائل الذى ختم به وبرسالته ديوان الرسل والرسائل وجعله فى الاواخر شرف الاوائل فحبه كنز العائل والصلاة عليه زكاة القائل والرضى عن آله وصحبه وعترته وحزبه تيجان الاحياء والقبائل المتميزين بكرم السجايا وطيب الشمائل والدعاء لمقام اخوتكم فى البكر والاصائل بالسعد الصادق المخايل والصنع الذى تتبرج مواهبه تبرج العقائل والنصر الذى تهزه الصعاد الملد عطف المتراخ المتخايل فانا كتبناه اليكم كتب الله لكم عزايانع الخمائل ونصرا يتكفل للكتائب المدونة فى الجهاد ومرضاة رب العباد بسرد المسائل واقناع السائل من حراء غرناطة حرسها الله تعالى ولازائد بفضل الله سبحانه الا استبصار فى التوكل على من بيده الامور وتسبب مشروع تتعلق به باذن الله تعالى أحكام القدر المقدور ورجاء فيما وعد به من الظهور يتضاعف على توالى الايام وترادف

الشهور والحمد لله كثيرا كما هو أهله فلا فضل الا فضله ومقامكم المعروف محله الكفيل بالارواء منهله وعله والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وحرس مجدكم ووالى النعم عندنا وعندكم فانا فى هذه الايام أهمنا من أمر الاسلام مارنق الشراب ونغص الطعام وذاد المنام لما تحققنا من عمل الكفر على مكايدته وسعى الضلال والله الواقى فى استئصال بقيته وعقد النوادى للاستشارة فى شانه وشروع الحيل فى هدم أركانه ومن يؤمل من المسلمين لدفع الردى وكشف البلوى وبث الشكوى وأهله حاطهم الله تعالى وتولاهم وتمم عوائد لطفه الذى أولاهم فهو مولاهم فى غفلة ساهون وعن المغبة فيه لاهون قد شغلتهم دنياهم عن دينهم وعاجلهم عن آجلهم وطول الامل عن نافع العمل الا من نور الله تعالى قلبه بنور الايمان وتململ بمناصحة الله تعالى والاسلام تململ السليم واستدل بالشاهد على الغائب وصرف الكفر الى مطالب الامم النوائب فلما رأينا أن الدولة المرينية التى هى على ممر الايام شجا العدا ومتوعد من يكيد الهدى وفئة الاسلام التى اليها ينصبز وكهفه الذى اليه يلجأ قد أذن الله تعالى فى صلاح أمورها وانم شعثها واقامة صفاها بأن صرف الله تعالى عنها هنات الغدر وأراحها من مس الضر وردقوسها الى يد باريها وصير حقها الى وارثها وأقام لرعى مصالحها من حسن الظن بحسبه ودينه وربى الخير من ثمرات نصحه ومن لم يعلم الا الخير من سعيه والسداد من سيرته ومن لا يسترب المسلمون بصحة عقده واستقامة قصده أردنا أن نخرج لكم عن العهدة فى هذا الدين الحنيف الذى وسمت دعوته وجوه أحبابكم شملهم الله تعالى بالعافية وتشبث به أنفس من صار الى الله تعالى من السلف تغمدهم الله بالرحمة والمغفرة وفى هذا القطر الذى بلاده مابين مكفول يجب رعيه طبعا وشرعا وجار يلزم حقه دينا ودنيا وجبة وفضلا وعلى الحالين فعليكم بعد الله المعول وفيكم المؤمل فارعونا اسماعكم المباركة نقص عليكم ما فيه رضى الله والمنجاة من نكيره والفخر والاجر وحفظ النعم والخلف فى الذرية بهذا وعدت الكتب المنزلة والرسل المرسلة وهو أن هذا القطر الذى تعددت فيه المحاريب والمنابر والراكع والساجد والذاكر والعابد والعالم واللفيف والارملة والضعيف وقد انقطع عنه ارفاد الاسلام وشحت الايدى به منذ أعوام وسلم الى عبدة الاصنام وقوبلت ضرائره بالاعذار والمواعيد المستغرقة للاعمار وان عرضت شواغل وفتن وشواغب واحن فقد كانت بحيث لا يقطع السبب بجملته ولا يذهب المعروف بكليته

ولا بد من شكوى الى ذى مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

ولو كانت الاشغاب تقطع المعروف وتصرف عن الواجب لم يفتح المقدس والدكم جبل الفتح وهو منازل أخاه بسجلماسة ولا أمده والده السلطان أبو عنان وهو بمراكش وبالامس بعثنا الى الجبل وسماته فى جملة ما أهمنا مبلغ جهد وسداد من عوز وقد فضلت عن ضرائرنا أموال فرضت من أجل الله على عباده وطعام سعينا به على الاحتياج اليه فى سبيل جهاده فلم يسهم المتغلب منها لجانب الله بحبة ولا أقطعه منها ذرة مستخفا به جل وعلا منها وناب نكيره

الذى هو أحق أن يخشى فضاعت الامور واختلت الثغور وتشذبت الحامية وتبددت العدد وخلت المخازن وهلكت بها الجرائد وعظمت بها عسرة الاسلام أضعاف ماعظمت حيرته أيام ما كانت تكلفها هم الملوك الكرام والخلفاء العظام والوزراء والفصحاء والاشياخ الامجاد قدس الله تعالى أرواحهم وضاعف أنوارهم ولا كالحسرة فى الجبل باب الاندلس وركاب الجهاد وحسنة بنى مرين وما آثر آل يعقوب وكرامة الله للسلطان المقدس أبى الحسن والد الملوك وكبير الخلفاء والمجاهدين والدكم الذى تردعلى قبره مع الساعات والانفاس وفود الرحمة وهدايا الزلفة وريحان الجنة فلولا انكم على علم من أحواله لشرحنا المجمل وشكلنا المهمل اذهو اليوم شبح ماثل وظل بائد لولا أن الله تعالى شغل العداعنه بفتنة لم يصرف وجهه الا اليه ولا حوم طيره الا عليه ولكان بصدد أن يتخذه الصليب دارا وأن يقر به عينا والعدوة فضلا عن الاندلس قد أوسعها شرا وأرهق مايجاوره عسرا نسأل الله تعالى بنور وجهه أن لا يسود الوجوه بالفجع فيه ولا يسمع المسلمين الثكلة ومادونه فهو وان انغص بالتعليل عليه ووقع بالجهد خلقه لحم على وضم الا أن يصل الله تعالى وقايته ويوالى دفاعه وعصمته لا اله الا هو الولى النصير ومازلنا نشكو الى غير المصمت ونمد اليد الى المدبر عن الله المعرض ونخطب له زكاة الاموال من المبانى الفخمة والخزائن الثرة والاهراء الطامية والحظ التافه من المفترض برسمه فتمنى الايام لا تزيد الضرائر فيها الا ضيقا ولا الاحوال الا شدة ولا الثغر الا ضعة ولا نعلم أن نظرا وقع له ولا فكرا عمل فيه الا ما كان من تسخير رعيته الضعيفه وبلالة بجباه السخيفه فى بناء قصر بمنت ميور من جباله

شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير فى ذراه وكور

جلب اليه الزاليج واختلفت فيه الاوضاع فى رأس نيق لا مل نزوة وسوء فكرة فلما تم أقطع الهجران فهو اليوم يمتنع البوم وتظ الخراب فلا حول ولا قوة الا بالله حتى جاء أمر الله خالى الصحيفة من البر صفر اليد من العمل الصالح نعوذ بالله من ذلك ونسأله الالهام والسداد والتوفيق والرشاد وقد بذلنا جهدنا قولا وفعلا وموعظة ونصحا واستدعينا لتلك الجهة صدقة المسلمين محمولة على اكتاد العباد الضعفاء الذين كانت صدقات فانحبه رضى الله تعالى عنهم ترفدهم ونوافلهم تعهدهم فاحتزل ذلك الجؤار حلوبا ولا استدعى مطلوبا ولا رفد امجلوبا فالى متى تنتهى ركاب الصبر وقد بلغ الغاية واستنفد البلالة بعد أن أعاد الله تعالى العهد وجبر المال واصلح السعى واجرى ينابيع الخير وأنشق رياح الاقالة وجملة مانريد أن نقرره فهو الباب الجامع والقصد الشامل والداعى والباعث أن صاحب قشتالة لما عاد الى ملكه ورجع الى قطره جرت بيننا وبينه المراسلة التى اسفرت بعدم رضاه عن كد حنا لنصره ومظاهرتنا اياه على أمره وان كنا قد بلغنا جهدا وأبعدنا وسعا وأجللت عن شروط ثقيلة لم نقبلها وأغراض صعبة لم نكملها ونحن نحقق انه انما أن تهيج حفيظته وتثور احنته فيكشف وجه المطالبة مستكثرا بالامة التى داس بها أهل قشتالة فراجع أمره غلابا وحقه ابتزازا واستلابا اويصرفها ويهادن المسلمين بخلال مالا يدع جهة من

جهات

جهات دينه الغريب الاعقد معها صلحا وأخذ عليها باعانتها اياه عهدا ثم تفرغ الى شفاء غليله وبلوغ جهده ولاشك انها تجيبه صرفا لباسه عن نحورها ومقارضة كما وقع باطرية من مضيق صدورها ومؤسف جمهورها وكل من له دين ما فهو يحرص على التقرب الى من دانه به وكلفه وظائف تكليف رجاء لوعده وخوفا من وعيده وبالله ندفع مالا نطيق من جموع تداعت من الجزر ووراء البحور والبر المتصل الذى لا تقطعه الرفاق ولا تحصى ذرعه الحذاق وقد أصبحنا بدار غربة ومحل روعة ومفترس نبوة ومظنة فتنة والاسلام عدده قليل ومتجمعه فى هذه البقعة جديب وعهده بالارفاد والامداد من المسلمين بعيد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا الى آخر السورة واذا تداعت أمم الكفر نصرة لدينها المكذوب وحمية لصليبها المنصوب فمن يستدعى لنصر دين الله وحفظ امانة تنيه الا أهل ذلك الوطن حيث المآذن بذكر الله تعالى تملأ الآفاق وكلمة الاسلام قد عمت الرباط والوهاد انما الاسلام غريق قد تشبث باهدابكم يناشدكم الله فى بقية الرمق وقبل الرمى تراش السهام وهذا أوان الاعتناء واختيار الحماة واعداد الاقوات قبل أن يضيق المجال وتمنع الموانع وقد وجهنا هذا الوفد المبارك للحضور بين يديكم مقررا الضرورة منبها الرغبة مذكرا بما يقرب عند الله مذكرا لذمام الاسلام جالبا على من وراءهم بحول الله تعالى من المسلمين البشرى التى تشرح الصدور وتسنى الآمال وتستدعى الدعاء والثناء فالمؤمن كثير باخيه ويد الله مع الجماعة والمسلمون يد على من سواهم والمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا والتعاون على البر والتقوى مشروع وفى الذكر الحكيم مذكور وحق الجار مشهور وما كان جبريل يوصى به فى الصحيح مكتوب وكما راع المسلمين اجتماع كلمة الكفر فترجوا أن يروع الكفر من العز بالله وشد الحيازيم فى سبيل الله ونفير النفرة لدين الله والشعور لحماية الثغور وعمرانها وازاحة علتها وجلب الاقوات اليها وانشاء الاساطيل وجبر ما تلف من عدة البحر أمور تدل على ما وراءها وتخبر بمشيئة الله تعالى عما بعدها وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى ومن خطب على رضى الله تعالى عنه أما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فمن تركه رغبة البسه الله تعالى سيما الخسف وومعه بالصغار وما بعد الدنيا الا الآخرة وما بعد الآخرة الا احدى دارى البقاء أفى الله شك ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والاعتناء بالجليل عنوان هذا الكتاب ومقدمة هذا الباب والغفلة عنه منذ أعوام قد صيرتنا لا نقنع باليسير وقد ابرمته المواعيد وغير رسومه الانتظار ومن المنقول ارحموا السائل ولو جاء على فرس والاسراف فى الخير أرجح فى هذا المحل من عكسه وكان بعض الاجواد يقول وقد أقتر اللهم هب لى الكثير فان حالى لا تقوم على القليل وعسى أن يكون النظر له بنسبة الغفلة عنه والامتعاض حركا فنا للازراء به وخلو البحر يغتنم لامداده وارفاده قبل أن يثوب نظر الكفر الى قطع المدد وسد البحر ومن ضيع الحزم ندم ولا عذر لمن علم والله عز وجل يطلع من قبلكم على ما فيه شفاء الصدور وجبر القلوب وشعب الصدوع وما نقص مال من صدقة وما عام الواحد كالى الاثنين والدين دينكم والبلاد بلادكم ومحل رباطكم وجهادكم وسوق حسناتكم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن

يعمل منقال ذرة شر ايره وقد قلدنا العهد الحفيظ علينا المصروف العناية بفضل الله تعالى الينا والله المستعان وعليه التكلان والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى * وفى اعتقادى أن هذا المكتوب للسلطان أبى فارس عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن المرينى وأن المراد بالمتغلب الوزير عمر بن عبد الله الذى ظفر به أبو فارس المذكور واستقل بالملك بعد محاوراته حسبما ذكرناه فى غير هذا المحل والله سبحانه أعلم (ومن انشاء لسان الدين) على لسان سلطانه فى استنهاض عزم صاحب فاس السلطان المرينى لنصرة الاندلس (مانصه) المقام الذى يؤثر حفظ الله اذا اختلفت الحظوظ وتعددت المقاصد ويشرع الادنى منه اذا تفاضلت المشارع وتمايزت الموارد وتشمل عادة حلمه وفضله الشارد ويسع وارف ظله الصادر والوارد والغائب والشاهد ويعيد من نصر الله للاسلام العوائد ويبدّ الذرائع ويدرّ الفوائد مقام محل أخينا الذى حسنت فى الملك سيره وتعاضد فى الفضل خبره وخبره ودلت شواهد مداركه للحقوق وتفرده للعقوق على أن الله تعالى لا يهمله ولا يذره فسلك نحره متسقة درره ووجه ملكه شادخة غرره السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله رفيعا علاؤه هامية لديه منن الله تعالى وآلاؤه مزدانة بكواكب السعد سماؤه محروسة بعز النصر أرجاؤه مكملا من فضل الله تعالى فى نصر الاسلام وكبت عبدة الاصنام أمله ورجاؤه معظم قدره الذى يحق له التعظيم وموقر سلطانه الذى له الحسب الاصيل والمجد الصميم الداعى الى الله تعالى باتصال سعادته حتى ينتصف من عدو الاسلام الغريم ويتاح على يد سلطانه الفتح الجسيم فلان سلام كريم طيب عميم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا ولا يخيب أمل من أخلص الرغبة اليه أملا ووفى من ترك له حقه أجره المكتوب متمما مكملا وجاعل الجنة لمن اتقاه حق تقاته نزلا ملك الملوك الذى جل وعلا وجبار الجبابرة الذى لا يجدون عن قدره محيصا ولا من دونه موئلا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى أنزل الله تعالى عليه الكتاب مفصلا وأوضح طريق الرشد وكان مقفلا وفتح باب السعادة ولولاه كان مقفلا والرضا عن آله وأصحابه وعترته واحزابه الذين ساهموه فيما مرّ وما حلا وخلفوه من بعد بالسير التى راقت مجتلى ورفعوا عماد دينه فاستقام لا يعرف ميلا وكانوا فى الحلم والعفو مثلا والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذى يلفى نصه صريحا لا متأولا والصنع الذى يهر حالا ومستقبلا والعز الذى يرسو جبلا والسعد الذى لا يبلغ أمدا ولا أجلا فانا كتبناه اليكم أصحب الله تعالى ركابكم حلف التوفيق حلا ومرتحلا وعرّفكم عوارف اليمن الذى يثير جذلا ويدعو وافد الفتح المبين فيرد مستجلا من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم بما عندنا من التشيع لمقامكم حرس الله تعالى سلطانه ومهد أوطانه الا الخير الذى نسأل بعده تحسين العقبى ونوالى عادة الرحمى والحمد لله على التى هى أزكى وسدل جناح الستر الاضفى وصلة اللطائف التى هى أكمل وأكفى وأبرّ وأوفى ومقامكم عندنا العدة التى بها نصول ونرهب والعمدة التى نطيل فى ذكرها ونسهب وقد أوفدنا عليكم

كل مازاد لدينا أوفتح الله تعالى به علينا ونحن مهما شذا لمخنق بكم نستنصر أوتراخى فنى وذكم نستبصر أوفتح الله تعالى فابوابكم نرقى ونبشر وقررنا عندكم أن العدو فى هذه الايام توقف عن بلاد المسلمين فلم تصل منه البها سريه ولا بطشت له يد جويه ولا اقترعت من تلقائه ثنيه ولاندرى أ لمكيدة تدبر أم آراء تنقض بحول الله وتتبر أولشاغل فى الباطن لايظهر وبعد ذلك وردت على بابنا من بعض كبارهم وزعماء أقطارهم مخاطبات يتدبون فيها الى جنوحها للسلم فى سبيل النصح لاياد سلفت منا لهم قررها ورسائل ذكرها فلم يخف عنا أنه أمر دبر بليل وخبية تحت ذيل فظهر لنا أن نسبر الغور ونستفسر الامر فوجهنا اليه على عادتنا سامع سلفه لنعتبر مالديه ونتظر الى بواطن أمره ونبحث عن زيد قومه وعمره فتأتى ذلك وجرت مفاوضة فى الصلح أعدنا لاجلها الرساله واستشعرنا البساله ووازنا الاحوال واختبرنا واعتززنا فى الشروط ماقدرنا ونحن نرتقب مايخلق الله تعالى من مهادنة تحصل بها الاقوات المهيأة للاتساف وتسكن ماساء البلاد المسلمة من هذا الارجاف وتفرغ الوقت لمطاردة هذه الآمال الجحاف أوحرب يبلغ الاستبصار فيه غايته حتى يظهر الله تعالى فى نصر الفئة القليلة آيته ولم نجعل سبب الاعتزاز فيما أردناه وشموخ الانف فيما أصدرناه الا ما أشعنا من عزمكم على نصرة الاسلام وارتقاب خفوق الاعلام والنهوض الى دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام وان الارض جيبة لله تعالى قد اهتزت والنفرة قد غلبت النفوس واستفزت واستظهرنا بكتبكم التى تضمنت ضرب المواعد وشمرت عن الساعد وان الخيل قد اطلقت الى الجهاد فى سبيل الله الاعنه والثنايا سدتها بروق الاسنه وفرض الجهاد قد قام به المؤمنون والاموال قد سمح بها المسلمون وهذه الامور التى تمشت بقريبها أو بعيدها أحوال الاسلام والامانى المعدة لتزجية الايام ثم اتصل بنا الخبر الكارث بما كان من حور العزائم المؤمنة بعد كورها وتسويف مواعد النصرة بعد استشعار فورها وأن الحركة معملة الى مراكش الجهة التى فى يديكم زمامها واليكم وان تراخى الطول ترجع أحكامها والقطر الذى لايفوتكم مع الغفله ولايعجزكم عن الصوله ولا يطلبكم ان تركتموه ولا يمنعكم ان طرقتموه وعركتموه فسقط فى الايدى المعدوده واختلفت المواعد المحدوده وخشعت الابصار المرتقبه ورجفت المعاقل الاشبه وساءت الظنون وذرفت العيون وأكذب الفضلاء الخبر وتفوا أن يعتبر وقالوا هذا لايمكن حيث الدين الحنيف والملك المنيف والعلماء الذين أخذ الله تعالى ميثاقهم وحمل النصيحة أعناقهم هذا المفترض الذى يعد والقائم الذى يقعد باباء الله تعالى والاسلام وتاباء العلماء الاعلام وتاباء المآذن والمنابر وتاباء الهمم والاكابر فبادرنا نستطلع طلع هذا النبا الذى اذا كان باطلا فهو الظن وقله المن وان كان خلافه لرأى ترجح وتنفق بقرب الملك وتبجح فنحن نوفد كل من يقدم الى الله تعالى بهذا القطر فى شفاعه ويمد اليه كف ضراعه ومن يوسم بصلاح وعباده ويقصد فى الدين بث افاده يتطارحون عليكم فى نقض ماأبرم ونسخ ماأحكم فانكم تجنون به على من استنصركم عكس ماقصد وتحملون عليه ماعقد وهب العذر يقبل فى عدم الاعانه

وضرورة الاستعانة والاستكانه أى عذر يقبل فى الاطراح والاعراض الصراح كان الدين غير واحد كان هذا القطر لكلمة الاسلام جامع كان ذمام الاسلام غير جامع كان الله غير راء ولا سامع فنحن نسألكم بالله الذى تساءلون به والارحام ونأنف لكم من هذا الاحجام ونتطارح عليكم أن تتركوا حظكم فى أهل تلك الجهة حتى يحكم الله بيننا وبين العدو الذى يتكالب علينا بادباركم بعد ما تضاءل لاستنفاركم ولا تكافكم غير اقتراب داركم وما سامكم المسلمون بها شططا ولا جلوكم الا قصدا وسطا وما ذهبتم اليه لا يفوت ولا يبعد وقد تجاورت البيوت انما الفائت ما وراءكم من حديث تأنف من سماعه أوداؤكم ودين يشمت به أعداؤكم فأسعفوا بالشفاعة فيمن بتلك الجهة المزاكشية قصدنا وحاشى احسانكم أن يرى فيه ردنا وأنتم بعد بالخيار فيما يجريه الله على يديكم من قدره أويلهمكم اليه من نصره وجوابكم مرتقب بما يليق بكم ويجمل بحسبكم والله سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام الكريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى (ومن انشاء لسان الدين) أيضا فى مخاطبة سلطان فاس والمغرب على لسان سلطان غرناطة فيما يقرب من الانحاء السابقة (مانصه) المقام الذى أختار سعده فى انتظام واتساق وجياد عزه الى الغاية القصوى ذات استباق والقلوب على حبه ذات اتفاق وعناية الله تعالى عليه مديدة الرواق وأياديه الجمة فى الاعناق ألزم من الاطواق وأحاديث مجده سمر النوادى وحديث الرفاق مقام محل أعيننا الذى شان قلوبنا الاهتمام بشانه وأعظم مطلوبنا من الله تعالى سعادة سلطانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى والصنائع الالهية تحفها به والالطاف الخفية تعرس فى جنابه والنصر العزيز يحف بركابه وأسباب التوفيق متصلة باسبابه والقلوب الشجية لفراقه مسرورة باقترابه معظم سلطانه الذى له الحقوق المحتومه والفواضل المشهورة المعلومه والمكارم المسطورة المرسومه والمفاخر المنسوقه المنظومه الداعى الى الله تعالى فى وقاية ذاته المعصومه وحفظها على هذه الامة المرحومه الامير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد اسمعيل ابن فرج بن نصر سلام كريم طيب عميم كما سطعت فى غيهب الشدة أنوار الفرج وهبت نواسم ألطاف الله عاطرة الارج يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله جالى الظلم بعد اعتكارها ومقيل الايام من عثارها ومزين سماء الملك بشموسها المحتجبة وأقمارها ومريح القلوب من وحشة أفكارها ومنشئ سحاب الرحمة على هذه الامة بعد افتقارها وشدة اضطرابها واضطرارها ومتداركها باللطف الكفيل بتمهيد أوطانها وتيسير أوطارها والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله صفوة النبوة ومختارها ولباب مجدها السامى ونجارها نبى الملاحم وخائض تيارها ومذهب رسوم الفتن ومطفئ نارها الذى لم ترعه الشدائد باضطراب بحارها حتى بلغت كلمة الله ماشاءت من سطوع أنوارها ووضوح آثارها والرضى عن آله وأصحابه الذين تمسكوا بعهده على أحلاء الحوادث وأمرارها وباعوا نفوسهم فى اعلاء دعوته الحنيفية واظهارها والدعاء لمتامكم الاعلى باتصال السعادة واستمرارها وانسحاب العناية الالهية واسدال استارها

حتى تقف الايام ببابكم موقف اعتذارها وتعرض على مثابتكم ذنوبها راغبة فى اغتفارها فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم أوفى ما كتب لصالحى الملوك من مواهب اسعاده وعرفكم عوارف الآلاء فى اصدار أمركم الرفيع وايراده وأجرى الفلك الدوار بحكم مراده وجعل لكم العاقبة الحسنى كما وعديه فى محكم كتابه المبين للصالحين من عباده من حراء مغرناطة حرسها الله تعالى وليس بفضل الله الذى عليه فى الشدائد الاعتماد والى كنف فضله الاستناد ثم ببركة جاه نبينا الذى وضح بهدايته الرشاد الا الصنائع التى تشام بوارق اللطف من خلالها وتخبر سيماها بطلوع السعود واستقبالها وتدل مخايل يمنها على حسن مآلها فلله الحمد على نعمه التى نرغب فى كمالها ونستدر عذب زلالها وعندنا من الاستبشار باتساق أمركم وانتظامه والسرور بسعادة ايامه والدعاء الى الله تعالى فى اظهاره واتمامه مالا تفى العبارة باحكامه ولا تتعاطى حصر أحكامه والى هذا اليد الله تعالى أمركم وعلاه وصان سلطانكم وتولاه فقد علم الحاضر والغائب وخلص الخلوص الذى لا تغيره الشوائب ماعندنا من الحب الذى وضحت منه المذاهب وانتا لما اتصل بنا ما جرت به الاحكام من الامور التى صحبت مقامكم فيها العناية من الله والعصمه وجعل على العباد والبلاد الوقاية والنعمه لا يستفز بقلوبنا القرار ولا تتأنى بأوطاننا الاوطار تشوقا فالما تتيحه لكم الاقدار ويبرزه من سعادتكم الليل والنهار ورجاؤنا فى استئناف سعادتكم يشتد على الاوقات ويقوى علما بان العاقبة للتقوى وفى هذه الايام عميت الانباء وتكالبت فى البر والبحر الاعداء واختلفت الفصول والاهواء وعاقت الوارد الانواء وعلى ذلك من فضل الله الرجاء ولو كنا نجد للاتصال بكم سببا أو نلفى لاعانتكم مذهبا لما شغلنا البعد الذى بيننا اعترض والعدو بساحتنا فى هذه الايام ربض وكان خديمكم الذى رفع من الوفاء رايه خافقه واقتفى منه فى سوق الكساد بضاعة نافقه الشيخ الاجل الاوفى الاوحد الاخص الاصفى أبو محمد بن احباما سقى الله مأموله وبلغه من سعادة أمركم سوله وقد ورد على بابنا وتميز الى اللحاق بجنابنا ليتيسر له من جهتنا القدوم ويتأتى له باعانتنا الغرض المروم فبينما نحن ننظر فى تتميم غرضه واعانته على الوفاء الذى قام بفرضه اذ اتصل بنا خبر قرقورتين من الاجفان التى استعنتم بها على الحركه والعزمة المقترنة بالبركه حطت احداهما بمرسى المنكب والاخرى بمرسى المريه فى كنف العناية الالهيه فتلقينا من الواصلين فيها الانباء المحققة بعد التباسها والاخبار التى يغنى نصها عن قياسها وتعرفنا ما كان من عزمكم على السفر وحركتكم المعروفة باليمن والظفر وانكم استخرتم الله تعالى فى اللحاق بالاوطان التى يؤمن قدومكم خائفها ويؤاف طوائفها ويسكن راجفها ويصلح أحوالها ويسكن أهوالها وانكم سبقتم حركتها بعشرة أيام مستظهرين بالعزم المبرور والسعد الموفور واليمن الرائق السفور والاسطول المنصور فلا تسألوا عن انبعاث الآمال بعد سكونها ونهوض طيور الرجاء من وكونها واستبشار الامة المحمدية منكم بقرة عيونها وتحقق ظنونها وارتياح البلاد الى دعوتكم التى ألبستها ملابس العدل والاحسان وقلدتها

قلائد السير الحسان ومامنها الا من باح بما يخفيه من وجده وجهر بشكر الله تعالى وحمده واتهل اليه فى تيسير غرض مقامكم الشهير وتتميم قصده واستئناس نور سعده وكم مطل الانتظار بديوان آمالها والمطاولة من اعتسالها وأمانحن فلا تسألوا عمن استشعر دنو حبيبه بعد طول مغيبه انما هو صدر راجعه فؤاده وطرف ألفه رقاده وفكر ساعده مراده فلما بلغنا هذا الخبر بادرنا الى انجاز ما بذلنا لخديمكم المذكور من الوعد واغتنمنا ميقات هذا السعد ليصل سببه باسبابكم ويسرع لحاقه بجنابكم فعنده خدم نرجو أن ييسر الله تعالى أسبابها ويفتح بنيتكم الصالحة أبوابها وقد شاهد من امتعاضنا لذلك المقام الذى ندين له بالتشييع الكريم الوداد ونصل له على بعد المزار ونزوح الاقطار سبب الاعتداد مايغنى عن القلم والمداد وقد ألقينا اليه من ذلك كله مايلقيه الى مقامكم الرفيع العماد وكتبنا الى من بالسواحل من ولاتنا نحذلهم مايكون عليه عملهم فى بر من يرد عليهم من جهة ابوتكم الكريمه ذات الحقوق العظيمه والايادى الحديثة والقديمه وهم يعملون فى ذلك بحسب المراد وعلى شاكلة جميل الاعتقاد ويعلم الله تعالى اننا لولم تعق العوائق الكبيره والموانع الكثيره والاعداء الذين ذهبت بهم فى الوقت هذه الجزيره ماقدمنا عملا على اللحاق بكم والاتصال بسببكم حتى نوفى لابوتكم الكريمة حقها ونوضح من المسرة طرقها لكن الاعذار واضحة وضوح المثل السائر والله العالم بالسرائر والى الله تعالى نبتهل فى أن يوضح لكم من التيسير طريقا ويجعل السعد لكم مصاحبا ورفيقا ولايعدمكم عناية منه وتوفيقا ويتم سروركم عن قريب بتعريف أنبائكم السارة وسعودكم الدارة فذلك منه سبحانه غاية آمالنا وفيه اعمال ضراعتنا وابتهالنا هذا ماعندنا بادرنا لاعلامكم به اسرع البدار والله تعالى يوفد علينا أكرم الاخبار بسعادة ملككم السامى المقدار وييسر ماله من الاوطار ويصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * وكان طاغية النصارى الملعون لكثرة ماعارس من أمور ملوك الاندلس وسلاطين فاس كثيرا مايدس لاقارب الملوك القيام على صاحب الامر ويزين له الثورة وبعده بالامداد بالمال والعدة وقصده بذلك كله توهين المسلمين وافساد تدبيرهم ونصح الدول بعضها ببعض لماله فى ذلك من المصلحة حتى بلغ أبعده الله تعالى من أمله الغاية (ومن انشاء لسان الدين بن الخطيب) رحمه الله تعالى عن سلطان الاندلس الى سلطان فاس المرينى يعتذر عن فرار الامير أبى الفضل المرينى الذى كان معتقلا بغرناطة فتحيل الطاغية فى أمره حتى خرج طالبا للملك (مانصه) المقام الذى شهد الليل والنهار باصالة سعادته وجرى الفلك الدوار بحكم ارادته وتعود الظفر بمن ناويه فاطرد والحمد لله جريان عادته فوليه متحقق لافادته وعدوه مرتقب لابادته وحلل الصنائع الالهية تضفو على اعطاف مجادته مقام محل أخينا الذى سهم سعده صائب وأمل من كاده خاسر خائب وسير الفلك المدار فى مرضاته دائب وصنائع الله تعالى له تصحبها الالطاف العجائب فسبحان شاهد منه فى عصمة وغائب السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى مسدد السهم ماضى العزم تجل سعوده

من تصور الوهم ولا زال مرهوب الحد ممتثل الرسم موفورا لحظ من نعمة الله تعالى عند تعدد القسم فائزا بفلج الخاصم عند لدد الخصم معظم قدره وملتزم بره مبتهج بما يسببه الله تعالى له من اعزاز نصره واظهار أمره فلان سليم كريم طيب بر عميم يخص مقامكم الاعلى ومثابتكم الفضلى التي حازت في الفخر الامد البعيد وفازت من التأييد والنصر بالحظ السعيد ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذي فسح لملككم الرفيع في العز مدى وعرفه عوارف آلائه وعوائد النصر على أعدائه يوما وغدا وحرس سماء علائه بشهب من قدره وقضائه فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وجعل نجح آماله وحسن مآله قياسا مطردا فرب مريد ضر ضر نفسه وهاد اليه اهدى وما هدى والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيه ورسوله الذي ملأ الكون نورا وهدى وأحيا مراسم الحق وقد صارت طرائق قددا اعلى الانام يدا وأشرفهم محتدا الذي بجاهه نابس أثواب السعادة جددا وتظاهر بالنعيم الذي لا ينقطع أبدا والرضى عن آله وأصحابه الذين رفعوا لسماء سنته عمدا وأوضحوا من سبيل اتباعه مقصدا وتقبلوا شيمه الطاهرة ركعا وسجدا سيوفا على من اعتدى ونجوما لمن اهتدى حتى علت فروع ملته صعدا وأصبح بناؤها مديدا مخلدا والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذي يتوالى مثنى وموحدا كما جمع لملككم ما تفرق من الالقاب على توالي الاحقاب فجعل سيفكم سفاحا وعلمكم منصورا ورايكم رشيدا وعزمكم مؤيدا فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم صنعا يشرح للاسلام خلدا ونصرا يقيم للدين الحنيف أودا وعزما يلأ أفئدة الكفر كمدا وجعلكم ممن هيأله من أمره رشدا ويسر لكم العاقبة الحسنى كما وعد به في كتابه العزيز والله أصدق موعدا من جراءة غرناطة حرسها الله ولا زائد بفضل الله سبحانه الا استطلاع سعودكم في آفاق العنايه واعتقاد جميل صنع الله في البدايه والنهايه والعلم بان ملككم تحدى من الظهور على أعدائه بآيه واجرى جياد السعد في ميدان لا يحد بغايه وخرق حجاب المعتاد بما لم يظهر الا لاصحاب الكرامة والولايه ونحن على ما علمتم من السرور بما يهز لملككم المنصور عطفا ويسدل عليه من العصمة سجفا فقاسمه الارتياح لمواقع نعم الله تعالى نصفا ونصفا ونعقد بين أنباء مسرته وبين الشكر قه حلفا ونعد التشيع له مما يقرب بنا الى الله زلفى ونؤمل من امداده ونرتقب من جهاده وقتا يكفل به الدين ويكفى وتروى غال النفوس وتشفى والى هذا وصل الله سعدكم ووالى نصركم وعضدكم فانا من لدن صدر عن اخيكم أبي الفضل ما صدر من الانقياد لخدع الآمال والاغترار بموارد الآل وقال رأيه في اقتحام الاهوال وتورط في هفوة حار فيها حيرة أهل الكلام في الاحوال وناصب من أمركم السعد جبلا قضى الله له بالاستقرار والاستقبال ومن ذا يزاحم الاطواد ويزحزح الجبال وأخلف الظن منافي وفائه واضمر عملا استأثر عنا باخفائه واستعان من عدو الدين بعين قلما يرى لمن استنصر به زند ولا خفق لمن تولاه بالنصر بند وان الطاغية اعانه واتجده ورأى انه سهم على المسلمين سدده وعضب للفتنة جرده فسخر له الفلك وأمل أن يستخدمه بسبب ذلك الملك فاورده الهلك وانظم الحلك علما أن طرف سعادته

كعاب وعصاب آماله فيرذات انسكاب وقدم عزته لم يستقر من السداد فى غرز ركاب فان نجاح أعمال النفوس مرتبط بنياتها وغايات الامور تظهر فى بداياتها وعوائد الله تعالى فيمن نازع قدرته لا تجهل ومن غالب أمر الله خاب منه المعوّل فبينما نحن نرتقب خسار تلك الصفقة المعقوده ونخود تلك الشعلة الموقوده وصلنا كتابكم يشرح الصدور ويشرح الاخبار ويهدى طرف المسرّات على أكف الاستبشار ويعرب بلسان حال المسارعة والابتدار عن الودّ الواضح وضوح النهار والتحقق بخلوصنا الذى يعلمه عالم الاسرار فاعادفى الافادة وابدى وأسدى من الفضائل الجلائل ما أسدى فعلم منه ما آل من رام يقدح زند الشتات من بعد الالتئام ويثير عجاجة المنازعة من بعد ركود القتام هيهات تلك قلادة الله تعالى التى ما كان يتركها بغير نظام ولم يدر انكم نصبتم له من الحزم حبالة لا يفلتها قنيص وسددتم له من السعد سهاما له عنه من محيص بما كان من ارسال جوارح الاسطول السعيد فى مطاره حائلا بينه وبين أوطاره فما كان الا التسمية والارسال ثم الامساك والقتال ثم الاقتيات والاستعمال فيا له من زجر استنطق لسان الوجود فحدله واستنصر البحر فخذله وصارع القدر فجدله لما جدله وان خذامكم استولوا على ما كان فيه من مؤمّل غاية بعيده ومنتسب الى نسبة غير سعيده وشانئ نمرته من الكفار خدام الماء وأولياء النار تحكمت فيهم اطراف العوالى وصدور الشفار وتحصل منهم من تخطاه الحمام فى قبضة الاسار فعجبنا من تيسير هذا المرام واخماد الله لهذا الضرام وقلنا تكسف لا يحصل فى الاوهام وتسديد لا تستطيع اصابته السهام كلما قدح انخلاف زندا اطفأ سعدكم شعلته أو أظهر الشتات ألما برأيمن طائركم علته ماذاك الا لنية صدقت معاملتها فى جنب الله تعالى وصحت واسترسلت بركتها وسحت وجهاد نذرتموه اذا فرغت شواغلكم وتمت واهتمام بالاسلام يكفيه الخطوب التى اهمت فنحن نهنيكم بمنح الله ومننه ونسأله أن يلبسكم من اعانته أوقى جننه فاملنا أن تطرد آمالكم وتنجح فى مرضاة الله أعمالكم فمقامكم هو العمدة التى يدافع العدو بسلاحها وتبلج ظلمات صفاحها وكيف لا نهنيكم بصنع على جهتنا يعود وبأفاقنا تطلع منه السعود فتيقنوا ما عندنا من الاعتقاد الذى رسومه قد استقلت واكتفت وديمه بساحة الود قد وكفت والله عزوجل يجعل لكم الفتوح عاده ولا يعدمكم عناية وسعاده وهو سبحانه يعلى مقامكم وينصر أعلامكم ويهنى الاسلام ايامكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته

(وكان) سلطان الاندلس فى الازمان المتأخرة كثيرا ما يشمّ ارج الفرج فى سلم الكفار ومهادنتهم حيث لم يقدر فى الغالب على مقاومتهم ولذلك لما قتل السلطان أبو الحجاج الذى كان لسان الدين كاتبه ووزيره وقام بالامر بعده ابنه محمد الغنى بالله الذى ألقى مقاليده للسان الدين أكد أمر السلم وانتظر ما يبرمه القضاء الجزم والقدر الحتم

(ومن انشاء لسان الدين) فى ذلك على لسان الغنى مخاطبا السلطان فاس والمغرب أبى عنان

(ماصورته) المقام الذى يغنى عن كل مفقود بوجوده ويهز الى جميل العوائد اعطاف

باسه وجوده ونستضيء عند اظلام الخطوب بنور سعوده ونرث من الاعتماد عليه اسنى ذخيرثه الولد عن آبائه وجدوده مقام محل أبينا الذى يرعى الاذمة شانه وصلة الراعى سجية انفرد بها سلطانه ومواعد النصر ينجز هازمانه والقول والفعل فى ذات الله تعالى تكفلت بهما يده الكريمة ولسانه وتطابق فيهما اسراره واعلانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى محروسا من غير الايام جنابه موصولة بالوقاية الالهية أسبابه مسدولا على ذاته الكريمة ستر الله تعالى وحجابه مصروفا عنه من صروف القدر ما يعجز عن ردّه بوّابه ولازال ملجأ تتفق لديه الوسائل التى تدّخرها الاولادها أولياؤه وأحبابه ويسطر فى صحف الفخر ثوابه وتشتمل على مكارم الدين والدنيا أثوابه وتتكفل بنصر الاسلام وجبر القلوب عند طوارق الايام كاتبه وكتابه معظم ما عظم من حقه السائر من اجلاله وشكر خلاله على لاحب طرقه المستضيء فى ظلمة الخطب بنور أنفقه الامير عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبى الحجاج ابن أمير المسلمين أبى الوليد بن فرج ابن نصر سلام كريم طيب بزعيم يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذى لا راد لامره ولا معارض لفعله مصرّف الامر بقدرته وحكمته وعدله الملك الحق الذى بيده ملاك الامر كله مقدّر الآجال والاعمار فلا يتأخر شئ عن ميقاته ولا يبرح عن محله جاعل الدنيا مناخ قلعة لا يغتبط العاقل بمائه ولا بظله وسبيل رحلة فما أكثب ظعنه من حله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صفوة خلقه وخيرة أنبيائه وسيد رسله الذى نعتصم بسببه الاقوى ونتمسك بحبله ونعتقد الافتقار الى فضله ونجاهد فى سبيله من كذب به أو حاد عن سبله ونصل اليه ابتغاء مرضاته ومن أجله والرضا عن آله وأحزابه وأنصاره وأهله المستولين من ميدان الكمال على خصله والدعاء لمقامكم الاعلى بعز نصره ومضاء فضله فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم وقاية لا تطرق الخطوب حماها وعصمة ترجع عنها سهام النوائب كلما فوقها الدهر ورماها وعناية لا تغير الحوادث اسمها ولا مسماها وعزايا حسم أجرام الكواكب منتماها من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ونعم الله سبحانه تتوالد يناد فعا ونفعا وألطافه تتعرّفها وتراوشفعا ومقامكم الابوى هو المستند الاقوى والمورد الذى ترده آمال الاسلام فتروى وتهوى اليه أفئدتهم فتجد ما تهوى ومثابتكم العدة التى تأسست مبانيها على البر والتقوى والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وأبقى مجدكم فانا لما نعلم من مساهمة مجدكم التى تقتضيها كرام الطباع وطباع الكرم وندعو اليها ذمم الرعى ورعى الذمم نعرّفكم بعد الدعاء الملككم بدفاع الله تعالى عن ارتقائه وامتاع المسلمين ببقائه بما كان من وفاة مولانا الوالد نفعه الله تعالى بالسعادة التى ألبسه حلتها والشهادة التى فى أعماله الزكية كتبها والدرجة العالية التى حتمها له وأوجبها وبما نصير اليه امرنا من أمره وضمّ بنا من نشره وسدل على من خلفه من ستره وانها العبرة لمن ألقى السمع وموعظة تهز الجمع وترسل الدمع وحادثة أجل الله سبحانه فيها الدفع وشرح بجملها وان أخرس اللسان هولها وأسلم العبارة فوّتها وحولها انه رضى الله تعالى عنه لما برز لاقامة سنة هذا العيد مستشعرا شعار كلمة التوحيد مظهرا

سمة الخضوع للمولى الذى تضرع بين يديه رقاب العبيد آمنا بين قومه وأهله متسربلا فى حلل نعم الله تعالى وفضله قرير العين باكتمال عزه واجتماع شمله قد احترس باقصى استطاعته واستظهر بخلصان طاعته والاجل المكتوب قد حضر والارادة الالهية قد انفذت القضاء والقدر وسجد بعد الركعة الثانية من صلاته أتاه أمر الله ليقاته على حين الشباب غض جلبابه والسلاح زاخر عبابه والدين بهذا القطر قد ابتع بالامن جنابه وأمر من يقول للشئ كن فيكون قد بلغ كتابه ولم يرعه وقد اطمأنت بذكر الله تعالى القلوب وخلصت الرغبات الى فضله المطلوب الاشق قبضه الله لسعادته غير معروف ولا منسوب وخبيث لم يكن بمعتبر ولا محسوب تخلل الصفوف المعقوده وتجاوز الابواب المسدوده وخاض الجموع المشهوده والامم المحشورة الى طاعة الله المحشوده لا تدل العين عليه شارة ولا بزه ولا تحمل على الحذر من مثله انفة ولا عزه وانما هو خبيث ممرور وكلب عقور وحية سمها وحى محذور وآلة مصرفة لينفذ بها قدر مقدور فلما طعنه وأثبته وأعلق به شرك الحين فما افلته قبض عليه من الخلصان الاولياء من خبر ضميره وأحكم تقريره فلم يجب عند الاستفهام جوابا بعقل ولا عثر على شئ عنه ينقل لطفا من الله افاد براءة الذمم وتعاورته للعين ايدى التمزيق وأتبع شلوه بالتحريق واحتمل مولانا الوالد رحمه الله تعالى الى القصر وبه دماء لم يلبث بعد الفتكة العمرية الا أيسر من اليسير وتخلف الملك ينظر من الطرف الحسير وينهض بالجناح الكسير وقد عاد جمع السلامة الى التكسير الا أن الله تعالى تدارك هذا القطر الغريب بأن اقامنا مقامه لوقته وحينه ورفع بناء عماد ملكه ولم شعث دينه وكان جميع من حضر المشهد من شريف الناس ومشروفهم وأعلامهم ولفيفهم قد جمعه ذلك الملقات وحضر الاولياء الثقات فلم تختلف علينا كلمه ولا شذت منهم عن بيعتنا نفس مسلمة ولا أخيف برى ولا حذر جرى ولا فرى فرى ولا وقع لبس ولا استوحشت نفس ولا نبض للفتنة عرق ولا أغفل للدين حق فاستنفد النقل الى نصه ولم يعدم من فقيدنا غير شخصه وبادرنا الى مخاطبة البلاد نهدها ونسكنها ونقرر الطاعة فى النفوس ونمكنها وأمرنا الناس بها بكف الايدى ورفع التعدى والعمل من حفظ شروط المسالمة المعتودة بما يجدى ومن شره منهم للفرار عاجلناه بالانكار وصرفنا على النصارى ما أوصاه مصحبا بالاعتذار وخاطبنا صاحب قشتالة نرى ما عنده فى صلة السلم الى امدها من الاخبار واتصلت بنا البيعات من جميع الاقطار وعفى على حزن المسلمين بوالدنا ما ظهر عليهم بولايتنا من الاستبشار واستبقوا تطيرهم أجنحة الابتدار جعلنا الله تعالى ممن قابل الحوادث بالاعتبار وكان على حذر من تصاريف الاقدار واختلاف الليل والنهار واعاننا على اقامة دينه فى هذا الوطن الغريب المنقطع بين العدو الطاغى والبحر الزخار وألهمنا من شكره ما يتكفل بالمزيد من نعمه ولا قطع عنا عوائد كرمه وان فقدنا والدنا فانتم لنا من بعده الوالد والذخر الذى تكرم منه العوائد والحب يتوارث كما ورد فى الاخبار التى صحت منها الشواهد ومن أعد مثلكم لبنيه فقد تيسرت من بعد الممات أمانيه وتأسست قواعد ملكه وتشيدت مبانيه فالاعتقاد الجميل

موصول

موصول والفروع لها فى التشيع اليكم أصول وفى تقرير فخركم محصول وأنتم رد المسلمين بهذه البلاد المسلمة الذى يعينهم بارفاده وينصرهم بانجاده ويعامل الله تعالى فيها بصدق جهاده وعند ما استقر هذا الامر الذى تبعت المحنة فيه المنحه وراقت من فضل الله تعالى ولطفه فيه الصفحه وأخذنا البيعة من أهل حضرتنا بعد استدعاء خواصهم وأعيانهم وتزاحمت على رقها المنشور خطوط أيمانهم وتأصلت قواعد ألفاظها ومعانيها فى قلوبهم وآذانهم وضمنوا الوفاء بما عاهدوا الله عليه وقد خبر سلفنا والحمد لله وفاء ضمانهم بادرنا تعريف مقامكم الذى نعلم مساهمته فيما ساء وسر وأحلى وأمر عملا بمقتضى الخلوص الذى ثبت واستقر والحب الذى ما مال يوما ولا ازور وما أحق تعريف مقامكم بوقوع هذا الامر المحذور وانجلاء ليله عن صبح الصنع البادى السفور وان كانا قد خاطبنا من خدامكم من يبادر اعلامكم بالامور الا انه أمر له ما بعده وحادث يأخذ حده ونبعث الى بابكم من شاهد الحال ما بين وقوعها الى استقرارها رأى العيان وتولى تسديد الامور بأعماله الكريمة ومقاصده الحسان ليكون أبلغ فى البر وأشرح للصدر وأوعب للبيان فوجهنا اليكم وزير أمرنا وكاتب سرنا الكذا ابن فلان وألقينا اليه من تقرير ترتعو يلنا على ذلك المقام الاسنى واستنادنا من التشيع اليه الى الركن الوثيق المبنى ما نرجو أن يكون له فيه المقام الاعنى والثمرة العذبة المجنى فلا هتمامه بهذا الغرض الاكيد الذى هو أساس بنائنا وقاعم أعدائنا آثرنا توجيهه على توفر الاحتياج اليه ومدار الحال عليه والمرغوب من أبوتكم المؤملة أن يتلقاه قبولها بما يليق بالملك العالى والخلافة السامية المعالى والله عز وجل يديم أيامكم لصلة الفضل المتوالى ويحفظ مجدكم من غير الايام والليالى وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويوالى نصركم وعضدكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى * وقوله فى هذه الرسالة فوجهنا اليكم وزير أمرنا الى آخره هو لسان الدين رحمه الله تعالى اذ هو كان الوزير اذ ذاك والسفير فى هذه القضية ومن صفحات هذا الكلام يتضح لك ما نال لسان الدين رحمه الله تعالى من الرياسة والجاه ونفوذ الكلمة بالاندلس وبالمغرب رحمه الله تعالى وتدأكرمه السلطان أبو عنان فى هذه الوفادة وغيرها غاية الاكرام وكان المقصود الاعظم من هذه الوفادة استعانة سلطان الاندلس الغنى بالله بالسلطان أبى عنان على طاغية النصارى كما ألمعنا بذلك فى الباب الثانى من القسم الثانى الذى يتعلق بلسان الدين وكان السلطان أبو عنان ابن السلطان أبى الحسن معتنيا بالاندلس غاية الاعتناء وخصوصا بجبل الفتح حتى انه بلغ من اعتنائه به ان أمر على يده ولده أبا بكر السعيد وهو الذى تولى الملك بعده (ومن انشاء لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى) على لسان سلطانه ما خاطب به الامير السعيد المذكور اذ قلده والده جبل الفتح وهو الامارة التى أشرق فى سماء الملك شهابها واتصلت بأسباب العز أسبابها واشتملت على الفضل والطهارة أثوابها وأجيلت قداح المفاخر فكان الى جهة الله تعالى انتدابها امارة محل أخينا الذى تأسس على مرضاة الله تعالى أصيل فخره واتسم بالمرابط المجاهد على اقتبال سنه

وجدة عمره وبدأ بفضل الجهاد صحيفة أجره وافتتح بالرباط والصلاح ديوان نهيه وأمره لما يسره من سعادة نصبته وحباه من عز نصره الامير الاجل الاعز الارفع الاسنى الاطهر الاظهر الامنع الاصعد الاسمى الموفق الارضى محل أخينا العزيز علينا المهداة أنباء مأمول جواره الينا أبي بكر السعيد ابن محل والدنا الذى مقاصده للاسلام وأهله على مرضاة الله تعالى جاريه وعزائمه على نصر الملة الحنيفية متباريه السلطان الكذا أبو عنان ابن السلطان الكذا أبي الحسن ابن السلطان الكذا أبي سعيد ابن السلطان يعقوب بن عبد الحق أبقاه الله تعالى سديدة آراؤه ناجحة أعماله ميسرة أغراضه من فضل الله تعالى متممة آماله رحيبا فى السعد مجاله يكنفه من الله تعالى ومحل أبينا غمام وارفة ظلاله هامر نواله حتى يرضى الله تعالى مصاعه بين يديه ومصاله وتمضى فى الاعداء أمام رايته المنصورة نصاله أخوه المسرور بقربه المنطوى على مضمر حبه أمير المسلمين محمد ابن أمير المسلمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين أبي الوليد بن فرج بن نصر سلام كريم طيب بر عميم يخص اخوتكم الفضلى وامارتكم التى آثار فضلها بحول الله تتلى ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله عن ما كيف من ألطافه المشرقة الانوار ويسره لهذه الاوطان بنصرته من الاوطار فكلما دجت بها شدة طلع الفرج عليها طلوع النهار وكلما اضطرب منها جانب أعاده بفضل الله تعالى من أقامه لذلك واختاره الى حال السكون والقرار والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المصطفى المختار الذى أكد عليه جبريل صلوات الله عليه حق الجوار حتى كاد يلحقه بالوسائل والقرب الكبار الذى وصانا بالالتئام واتصال اليد فى نصرة الاسلام فنحن نقابل وصانه بالبدار ونجرى على نهجه الواضح الآثار ونرتجى باتباعه الجمع بين سعادة هذه الدار وتلك الدار والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه أكرم الآل والاصحاب والاحزاب والانصار الذين كانوا كما أخبر الله تعالى عنهم على لسان الصادق الاخبار رحماء بينهم أشداء على الكفار والدعاء لامارتكم السعيدة بالتوفيق الذى تجرى به الامور على حسب الاختيار والعز المنيع الذمار والسعد القويم المدار والوقاية التى يأمن من جرأ أهلها من الشرار فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم أسنى ما كتب للامراء الارضياء الاخيار ومتعكم من بقاء والدكم بالعدة العظمى والسيرة الرحمى والجلال الرفيع المقدار من حراء غرناطة حرسها الله تعالى ولازائد بفضل الله سبحانه ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد رسوله صلى الله عليه وسلم الذى أوضح برهانه الالطاف باهره وعناية من الله تعالى باطنة وظاهره وبشارة بالقبول واردة وبالشكر صادره والله تعالى يصل لدينا نعمه ويوالى فضله وكرمه والى هذا فانا نتصل بنا فى هذه الايام ما كان من عناية والدكم محل أبينا أبقاه الله تعالى بهذه البلاد المستندة الى تأميل مجده واقطاعها الغاية التى لا فوقها من حسن نظره وجميل قصده وتعيينكم الى المقام بجبل الفتح ابلاغا فى اجتهاده الدينى وجده فقلنا هذا خبران صدق مخبره وتحصل منتظره فهو خير تجددت أنوابه واعتناء تفتحت أبوابه وعمل عند الله تعالى ثوابه فان الاندلس عصمها الله تعالى وان أنجدته عدده وأمواله ونجحت فى نصرها مقاصده الكريمة وأعماله

لا تدرى موقع النظر لها من نفسه وزيادة يومه فى العناية على أمسه حتى يسمح لها بولده ويخصها بقرة عينه وفلذة كبده فلما ورد الخبر الذى راقت منه الحبر ووضحت من سعادته الغرر باجازتكم البحر واختياركم فى حال الشيبة الفخر وصدق مخيلة الدين فيكم واستقراركم فى الثغر الشهير الذى افتتحه سيف جدكم واستنقذه سعد أبيكم سررنا بقرب المزار ودنو الدار وقابلنا صنع الله تعالى بالاستبشار وواثقنا وان لم نزل على ثقة من عناية الله تعالى وعناية محل والدنا بهذه الاقطار وحمدنا الله تعالى على هذه الآلاء المشرقه والنعم المغدقه والصنائع المتألقه بادرنا نهنئ اخوتكم أولا بما يسره الله تعالى لكم من سلامة المجاز ثم بما منحكم الله تعالى من فضل الاختصاص بهذا الغرض والامتياز فامارتكم الامارة التى أخذت بأسباب السماء وركبت الى الجهاد فى سبيل الله تعالى جياد الخيل والماء وأصبحت على حال الشيبة شجا فى حلوق الاعداء ونحن أحق بهذا الهناء ولكنها عادة الود وسنة الاخاء فالله عز وجل يجعله مقدما ميمون الطائر متهلل البشائر تتهلل بصنع الله تعالى بعده وجوه القبائل والعشائر ويجرى خبر سعادتكم مجرى المثل السائر ويذكر محل والدنا فيما كان من اختياره ومزيد ايثاره ويجازيه اجزاء من سمح فى ذاته بمظنة ادخاره ومذر أينا ان هذا الغرض لا يجتزى فيه بالكتابه دون الاستنابه وجهنا لكم من يقوم بحقه ويجرى من تقرير ما لدينا على أوضح طرقه وهو القائد الكذا ومجدكم يصغى لما يلقيه ويقابل بالقبول ما من ذلك يؤديه والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام انتهى * وكان الطاغية الملعون أيام السلطان أبى عنان رحمه الله تعالى نازل جبل الفتح ثم كفى الله تعالى شره فى ذلك التاريخ (ومن انشاء لسان الدين) على لسان سلطانه أبى الحجاج يخاطب أبا عنان سلطان فاس والمغرب بما نصه المقام الذى رحى له الملك الاصيل بافلاذه وأدى منه الاسلام الى ملجئه الاحمى وملاذه وكفلت السعود بامضاء أمره المطاع وانفاذه وشأى حلبة الكرم فكان وحيد آحاده وفذ افذاذه وابتدع غرائب الجود فقال لسان الوجود نعمت البدعة هذه مقام محل أخينا الذى أركان مجده راسية راسخه وغرر عزه بادية باذخه وأعلام فخره سامية شامخه وآيات سعده محكمة ناسخه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى يجرى بسعده الفلك ويجلى بنور هديه الحلك ويسطر حسنات ملكه الملك ويشهد بفضل بأسه ونداه النادى والمعترك معظم حقوقه التى تأكد فرضها المثنى على مكارمه التى أعيا الاوصاف البليغة بعضها أمير المسلمين يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم طيب بر عميم يخص اخوتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذى هيأ ملك الاسلام بظاهرة ملككم المنصور الاعلام اظهارا واعزازا وجعل لها العاقبة الحسنى بيمن مقامكم الاسنى تصديقا لدعوة الحق وانجازا وسهل لها بسعدكم كل صعب المرام وقد سامتها صروف الايام لياواعوازا وأتاح لها منكم وليا يسوم أعداءها استلابا وابتزازا ويسكن آمالها وقد استشعرت انخفازا حدا يكون على حمل النعم العميمة والآلاء

الكريمة طرازا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذى بهرت آياته وضوحا واعجازا واستحقت الكمال صفاته حقيقة لا مجازا ونبيه الذى بين للخلق أحكام دينه الحق امتناعا وجوازا ويسر لهم وقد ضلوا فى مفاوز الشك مفازا والرضى عن آله وأصحابه المستولين على ميادين فضائل الدنيا والدين اختصاصا بها وامتيازا فكانوا غيوثا ان وجدوا محلا وليوثا أن شهدوا وابرازا والدعاء لمقامكم اخوتكم الاسمى بنصر على أعدائه تندى له الجياد الجرد ارتياحا والرماح الملد اهتزازا وعزيطأ من أكناف البسيطة وأرجائها المحيطة سهلا وعزازا وبمن يشمل من بلاد الايمان اقطارا نازحة ويعم أحوازا وسعد تجول فى ميدان ذكره المذاع أطراف ألسنة اليراع اسهابا وايجازا وتغرب جيوب جيوب الاقطار جوب المثل السيار عراقا وحجازا ولازالت كتائب سعده تنتهز فرص الدهر انتهازا وتوسع ملكات الكفر انتهابا واحتيازا فانا كتبناه الى مقامكم كتب الله تعالى لكم سعدا ثابت المراكز وعزا لا تلين قناته فى يد الغامز وثناء لا يثنى عنان سراه عرض المفاوز وصنعا رحيب الجوانب رغيب الجوائز من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وفضله عز وجل قد أدال العسر يسرا وأحال القبض بسطا وقرب نوازح الآمال بعد أن تناءت ديارها شحطا وراض مركب الدهر الذى كان لا يلين لمن استطى وقرب غريم الرجاء فى هذه الارجاء وكان مشتطا والتوكل عليه سبحانه وتعالى قد أحكم منه اليقين والاستبصار المبين ربطا ومشروط المزيد من نعمه قد لزم من الشكر شرطا ومقامكم هو عدة الاسلام اذا جد حفاظه وظله الظليل اذا لفح للكفر شواظه وملجؤه الذى تنام فى كنف امنه أيقاظه ووزره الذى الى نصره تمد أيديه وتشير ألحاظه فنى أرجاء ثنائه تسرح معانيه وألفاظه وتخطب تمجيده وتحميده بقول قسه وتحتفل عكاظه ونشيعنا الى ذلك الجناب الكريم طويل عريض ومقدمات ودنا اياه لا يعترضها انقباض وأفلاك تعظيمنا له ليس لاوجها الرفيع حضيض وأنوار اعتقادنا الجميل فيه يشف سواد الحبر عن أوجهها البيض والى هذا ألبسكم الله تعالى ثوب السعادة المعادة فضفاضا كما صرف بركة ايامكم الكريمة على ربوع الاسلام ووجوه الليالى والايام وقد ازورت اعراضا وبسطت آمالها وقد استشعرت انقباضا فاتانا وردعلينا كتابكم الذى كرم أنحاء وأغراضا وجالت البلاغة من طرسه الفصيح المقال رياضا ووردت الافكار من معانيه الغرائب وألفاظه المزرية بدر النحور والترائب بحورا صافية وحياضا فاجتلينا منه حلة من حلل الوشى سابغه وحجة من حجج المجد بالغه وشمسا فى فلك السعد بازغه الذى بين المقاصد الكريمة وشرحها وجلا الفضائل العميمة وأوضحها فما أكرم شيم ذلك الجلال وأسمحها وأفضل خلال ذلك الكمال وأرجحها حشتم فيه على احكام السلم التى تحوط الانفس والحريم بسياج ويداوى القطر العليل منها بأنجع علاج والحال ذات احتياج وساحة الجبل عصمه الله تعالى ميدان هياج ومتبوأ أعلاج ومظنة اختلاف للظنون الموحشة واختلاج فحضر لدينا محتمله وزيركم الشيخ الاجل الاعظم الموقر الاسمى الخاصة الاحظى أبو على ابن الشيخ الوزير الاجل الحافل الفاضل المجاهد

قوله محلى هكذا فى الاصل ولعله محرف عن على وليحرر اه

الكامل أبى عبد الله بن محلى والشيخ الفقيه الاستاذ الاعرف الفاضل الكامل أبو عبد الله ابن الشيخ الفقيه الاجل العارف الفاضل الصالح المبارك المبرور المرحوم أبى عبد الله القشتالى وصل الله سبحانه سعادتهما وحرس مجادتهما حالين من مراتب ترفيعنا أعلى محل الاعزاز وواردين على أحلى القبول الذى لاتشاب حقيقته بالمجاز عملا بما يجب علينا لمن يصل الينا من تلك الانحاء الكريمة والاحواز فتلقينا ما اشتملت عليه الاحالة السلطانية من الود الذى كرم مفهوما ومنصا والبر الذى ذهب من مذاهب الفضل والكمال الامد الاقصى وقد كان سبقهما صنع الله جل جلاله بما أخلف الظنون وشرح الصدور وأقر العيون فلم يصلا الينا الا وقد أهلك الله تعالى الطاغيه ومزق أحزابه الباغيه نعمة منه سبحانه وتعالى ومنة ملأت الصدور انشراحا وعمت الارجاء افراحا وعنوانا على سعد مقامكم الذى راق غررا فى المكرمات وأوضاحا ومتديه الى سهام المواهب الالهية فحاز أعلاها قداحا فتشوفت نفوس المسلمين الى ما كانت تؤمله من فضل الله تعالى وترجوه وبدت فى القضية التى أشرتم بما لها الوجوه وانبعثت الآمال الى ما آلت اليه هذه الحال انبعاثا والتأثت أمور العدة وقصمه الله تعالى التياثا وانتقض غزله من بعد قوته بفضل الله تعالى أنكاثا واحتملت المسئلة التى تفضلتم بعرضها وأشرتم الى فرضها مأخذا وأبحاثا فألقينا فى هذه الحال الى رسوليكم أعزهما الله تعالى ما يلقيانه الى مقامكم الاعلى ومنابكم الفضلى وما يتزيد عندنا من الامور فركائب التعريف بها اليكم محثوثه وجزئياتها بين يدى مقامكم الرفيع مبثوثه وقد اضطربت أحوال الكفر وفالت آراؤه واستحكم بالشتات داؤه وارتجت بزلزال الفتن أرجاؤه وتيسرت آمال الاسلام بفضل الله تعالى ورجاؤه وما هو الا السعد يذل لكم صعب العدو ويروضه والله سبحانه يهيئ لكم فضل الجهاد حتى تقضى بكم فروضه وأما الذى لكم عندنا من الخلوص الصافية شرائعه والثناء الذى هو الروض تأرج ذائعه فأوضح من فلق الصبح اذا أشرقت طلائعه جعله الله تعالى فى ذاته ووسيلة الى مرضاته ورسولاكم يشرحان لكم الحال بجزئياته ويقرران ما عندنا من الود الذى سطع نور آياته وهو سبحانه وتعالى يصل لكم سعدا سامى المراتب والمراقى ويجمع لكم بعد بعد المدى وتمهيد دين الهدى بين نعيم الدنيا والنعيم الباقى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى * وأبين من هذا فى القضية كتاب آخر من انشاء لسان الدين رحمه الله تعالى صورته من أمير المسلمين عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر الى محل أخينا الذى نثنى على مجادته أكرم الثناء ونجدد له ما سلف بين الاسلاف الكرام من الولاء ونتحفه من سعادة الاسلام وأهله بالاخبار السارة والانباء السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى رفيع المقدار كريم المآثر والآثار وعرفه من عوارف فضله كل مشرق الانوار كفيل بالحسنى وعقبى الدار سلام كريم يزعيم يخص جلالكم الارفع ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله على عميم آلائه وجزيل نعمائه ميسر الصعب بعد اباته والكفيل بتقريب الفرج وادنائه له الحمد والشكر ملء أرضه وسمائه

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم رسله الكرام وأنبيائه الهادى الى سبيل الرشد وسوائه مطلع نور الحق بعد ظلم الشك بضيائه والرضى عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه وخلفائه السائرين فى الدنيا والآخرة تحت لوائه الباذلين نفوسهم فى اظهار دينه القويم واعلائه والدعاء لمقامكم بتيسير أمله من فضل الله سبحانه ورجائه واختصاصه بأوفر الحظوظ من اعتنائه فانا كتبناه اليكم كتبكم الله تعالى فيمن ارتضى قوله وعمله من أوليائه وعرفكم عوارف السعادة المعادة فى نهاية كل أمر وابتدائه من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولازائد بفضل الله سبحانه ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم الذى أوضح برهانه وعظم أمره ورفع شانه ثم بما عندنا من الود الكريم وتجديد العهد القديم لمقامكم أعلى الله تعالى سلطانه الا الخير الهامى السحاب والتيسير المتين الاسباب واليمن المفتح الابواب والسعد الجديد الاثواب ومقامكم معتمد بترفيع الجناب متعمد بالود الخالص والاعتقاد اللباب معلوم له فضل الدين وأصالة الاحساب والى هذا وصل الله تعالى سعدكم مديد الاطناب ثاقب الشهاب وأطلع عليكم وجوه البشائر سافرة النقاب فانه قد كان بلغكم ما آلت الحال اليه بطاغية قشتالة الذى كاب على هذه الاقطار الغربية من وراء البحار وما سامها من الاوصاب والاضرار وانه جرى فى ميدان الامل والاغترار ومحص المسلمون على يده بالوقائع العظيمة الكبار وانه نكث العهد الذى عقده وحل الميثاق الذى أكده وحمله الطمع الفاضح على أن أجلب على بلاد المسلمين بخيله ورجله ودهمها بتيار سيله وقطع ليله وأمل أن يستولى على جبل الفتح الذى يدعى منه فتحها وطلع للملة المحمدية صبحها فضيقه حصارا واتخذه دارا وعند ما عظم الاشفاق وأظلت الآفاق ظهر فيها لقدرة الله تعالى الصنع العجيب ونزل الفرج القريب وقبل الدعاء السميع المجيب وطرق الطاغية جند من جنود الله تعالى أخذه أخذة رابية ولم يبق له من باقيه فهلك على الجبل حتف انفه وغالته غوائل حتفه فتفرقت جموعه وأحزابه وانقطعت أسبابه وتعجل لنار الله تعالى ما آبه وأصبحت البلاد مستبشرة ورأينا أن هذه البشارة التى يأخذ منها كل مسلم بالنصيب الموفور ويشارك فيما جلبته من السرور أنتم أولى من تحفه بطيب رياها وتطلع عليه جميل محياها لما تقرر عندنا من دينكم المتين وفضلكم المبين وعمالكم فى المساهمة على شاكلة صالحى السلاطين فاذلك الافضل نيتكم للمسلمين فى هذه البلاد وأثر ما عندكم من جميل الاعتقاد وقد ورد علينا رسولكم القائد أبو عبد الله محمد بن أبى الفتح أعزه الله تعالى مقررا ما لديكم من الود الراسخ القواعد والخلوص الصافى الموارد الواضح الشواهد وأثنى على مكارمكم الاصيلة وأنافى ما عندكم من المذاهب الجميلة فقابلنا ذلك بالشكر الذى يتصل سببه ويتضح مذهبه وسألنا الله تعالى أن يجعله ودا فى ذاته ووسيلة الى مرضاته وتعرفنا ما كان من تفضلكم بالطريدة المفتوحة المؤخر وما صدر عن الرئيس المعروف بالناظر من خدام دار الصنعة بالمرية من قبح محاولته وسوء معاملته فأمرنا بقطع جرايته وثقافه بطمورة القصبة جزاء لجنايته ولولا انا توقفنا أن يكون عظيم عقابه

عما لا يقع من مقامكم بوفقه لمشهور عفافه ورفقه لجعلناه نكالا لامثاله وعبرة لاشكاله وقد وجهنا جفنا سفريا لايساق الخيل التي ذكرتم وايصال ما اليه من ذلك أشرتم ويكمل القصد ان شاء الله تعالى تحت لحظ اعتنائكم وفضل ولائكم هذا ما تزيد عندنا عرفناكم به عملا على شاكلة الود الجميل والولاء الكريم الجملة والتفصيل فعرفونا بما يتزيد عندكم يكن من جملة أعمالكم الفاضلة ومكارمكم الحافلة والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى (ومن انشاء لسان الدين) فيما يتعلق بالاندلس وانقطاعها وانها الاغنى لها عن العدوة وغير ذلك ماصورته المقام الذي بنور سعادته تتجلى الغماء وتتصل النعماء من نيته قد حصل منها لجانب الله تعالى الانتماء واتفقت منها المسميات والاسماء مقام محل أبينا الذي تتغيأ هذه الجزيرة الغربية أفياء نيته الصالحة وعمله وتثق بحسن العاقبة اعتمادا على وعد الله تعالى المنزل على خيرة رسله وتجتني ثمار النجح من أفنان آرائه المتألقة تألق الصبح حالى ربته وعمله وتتعرف حالى المودود والمكروه عارفة الخير والخيرة من قبله أبقاه الله تعالى يحسم الادواء كلما استشرت ويحمي موارد العاقبة كلما أمرت ويعفي على آثار الاطماع الكاذبة مهما خدعت بخلبها وغرت ويضمن سعده عودة الامور الى أفضل ما عليه استقرت معظم مقامه الذي هو بالتعظيم حقيق وموقر ملكه الذي لا يلتبس منه في الفخر والعز طريق ولا يختلف في فضله العميم ومجده الكريم فريق أما بعد حمد الله المثيب المعاقب الكفيل لاهل التقوى بحسن العواقب المشيد بالعمل الصالح الى أرفع المراقي والمراقب يهدي من يشاء ويضل من يشاء فبقضائه وقدره اختلاف المسالك والمذاهب والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الحاشر العاقب ونبيه الكريم الرؤف الرحيم ذي المفاخر السامية والمناقب والرضى عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه الذين ظاهروه في حياته باعمال السمر العوالي والبيض القواضب وخلفوه في أمته بخلوص الضمائر عن شوب الشوائب فكانوا في سماء ملته كالنجوم الثواقب والدعاء لمقامكم الاسمى بالسعادة المعادة في الشاهد من الزمن والغائب والنصر الذي يقضي بعز الكتائب والصنع الذي تطلع من ثنايا ه غرر الصنائع العجائب من حراء عز ناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم بما عندنا من الاعتداد بعقامكم أعلى الله تعالى سلطانه وشمل بالتمهيد أوطانه الاتشيع ثابت ويزيد واخلاص ما عليه في ميدان الاستطاعة مزيد وتعظيم أشرق منه جيد وثناء راق فوق رياضه تحميد وتمجيد والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وحرس الطاهر الكريم مجدكم فقد وصلنا كتابكم الذي هو على الخلوص والاعتقاد عنوان وفي الاحتجاج على الرضى والقبول برهان تنطق بالفضل أصوله وتشير الى كرم العقد فروعه الزكية وأصوله ويحق أن ينسب الى ذلك الفخر الاصيل محصوله عرفونا بما ذهب اليه عيسى بن الحسين من الخلاف الذي ارتكبه وسبيل الصواب الذي انتكبه وتنبهون على ما حدده الحق في مثل ذلك وأوجبه حتى لا يصل أحد من جهتنا سببه ولا يظاهره مهما ندبه ولا يسعف في الايواء طلبه فاستوفينا ما استدعاه ذلك البيان الصريح وجلبه وخطه القلم الفصيح

وكتبه وليعلم مقامكم وهو من أصالة النظر غنى عن الاعلام ولكن لابد من الاستراحة بالكلام والتنفث بنفثات الاقلام انا انما نجرى أمورنا مع هذا العدو الكافر الذى رمينا بجواره وبلينا والحمد لله بمصادمة تياره على تعداد أقطاره واتساع براريه وبحاره بأن تكون الامة المحمدية بالعدوتين تحت وفاق وأسواق النفاق غير ذات نفاق والجماهير تحت عهد من الله تعالى وميثاق فهما تعرفنا ان اثنين اختلف منهما بالعدوتين عقد ووقع بينهما فى قبول الطاعة ردّ ساءنا واقعه وعظمت لدينا مواقعه وسألنا أن يتدارك الخرق راقعه لما نتوقعه من التشاغل عن نصرنا وتفرغ العدو الى ضرنا فكيف اذا وقعت الفتنة فى صقعنا وقطرنا انما هى شعلة فى بعض بيوتنا وقعت وحادثة الى جهتنا أسرعت وان كان لسوانا لفظها فلنا معناها وعلى وطننا يعود جناها فنحن أحرس الناس على اطفائها واخمادها وأسعى فى اصلاح فسادها والمثابرة على كفها واستئصادها وما الظن بدار فسد بابها وآمال رثت أسبابها وجزيرة لاتستقيم أحوال من بها الا بالسكون وسلم العدو المغرور المفتون حتى تقضى منه باعاتكم الديون وان اضطرابها انما هو داء نستنصر من رأيكم فيه بطبيب وهدف خطب نرميه من عزمكم بسهم مصيب وأمر نضرع فى تداركه الى سميع للدعاء مجيب ونحن فيه يد أمام يدكم ومقصدنا فيه تبع لقصدكم ونصرتنا على حد اشارتكم جار وعزمنا الى منتهى مرضاتكم متبار وعقدنا فى مشايعة أمركم غير متوار وقد كنا لاول اتصال هذا الخبر القبيح العين والاثر بادرنا تعريفكم بجميع ما اتصل بنا فى شانه ولم نطو عنكم شيأ من اسراره ولا اعلانه وبعثنا رسولنا الى بابكم العلى نستعد بسلطانه ونرتجى تمهيد هذا الوطر بتمهيد أوطانه وبادرنا بالمخاطبة من وجبت مخاطبته من أهل مربلة واسطبونة تثبت بصائرهم فى الطاعة وتقويها ونعدهم بتوجيه من يحفظ جهاتهم ويحميها وعجلنا الى بعضها مددا من الرماة والسلاح ليكون ذلك عدة فيها وعلما أوجب الله تعالى من الاعمال التى يزلف بها ويرتضيها وكيف لا تظاهر أمركم الذى هو العدة المذخوره والفئة الناصرة المنصوره والباطل سراب يخدع والحق اليه يرجع والبغى يردى ويصرع وكم تقدم فى الدهر منتزشذ عن الطاعه وخرج عن الجماعه ومخالف على الدول فى العصور الاول بارح الحق زائفه ورجم بشهب الاسنة طائفه وأخذت عليه الضيعة وهاده وتنائفه فتقاص ظله ونبابه عن الحق محله وكما قال يذهب الباطل وأهله لاسيما وسعادة ملككم قد وطأت المسالك ومهدتها وقهرت الاعداء وتعبدتها وأطفأت جداول سيوفكم النار التى اوقدتها وكأن بالامور اذا أعلمتم فيها رأيكم السديد وقد عادت الى خير أحوالها والبلاد بيمن تدبيركم قد شفى ما ظهر من اعتلالها وعلى كل حال فانما نحن الى تكميل مرضاتكم مبادرون وفى أغراضكم الدينية واردون وصادرون ولاشارتكم التى تتضمن الخير والخيرة منتظرون عندنا من ذلك عقائد لايحتمل نصها التأويل ولايقبل صحيحها التعليل فلتكن أبوتكم من ذلك على أوضح سبيل فشمس النهار لاتحتاج الى دليل والله تعالى يسنى لكم عوائد الصنع الجميل حتى لايدع عزمكم مفصوبا

الاردة ولا ثلما في ثغر الدين الاسدة ولا هدفا متعاصيا الا هدة ولا عرقا من الخلاف الا جدة وهو سبحانه يبقى ملككم ويصل سعده ويعلي أمره ويحرس مجده والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى (ومن انشائه رحمه الله تعالى) من جملة رسالة على لسان سلطانه أبي الحجاج يخاطب الرعايا مانص محل الحاجة منه والى هذا فقد علمتم ما كانت الحال آلت اليه من ضيقة البلاد والعباد بهذا الطاغية الذي جرى في ميدان الامل جرى الجموح ودارت عليه خمرة النخوة والخيلاء مع الغبوق والصبوح حتى طمح بسكره اغتراره ومحص المسلمون على يده بالوقائع التي تجاوز منتهى مقداره وتوجهت الى استئصال الكلمة مطامح أفكاره ووثق بانه يطفئ نور الله بناره ونازل جبل الفتح فشد مختنق حصاره وادار اشياعه في البر والبحر دور السوار على أسواره وانتهز الفرصة بانقطاع الاسباب وانبهام الابواب والامور التي لم تجر للمسلمين بالعدوتين على مألوف الحساب وتكالب التثليث على التوحيد وساءت الظنون في هذا القطر الوحيد المنقطع بين الامة الكافره والبحور الزاخره والمرام البعيد واتتاصابرنا بالله تعالى تبارسيله واستضأنا بنور التوكل عليه في جنح هذا الخطب ودجنة ليله ولجأنا الى من بيده نواصي الخلائق واعتلقنا من حبله المتين باوثق العلائق وفسحنا مجال الامل في ذلك الميدان المتضايق واخلصنا لله مقيل العثار ومؤوى أولى الاضطرار قلوبنا ورفعنا اليه أمرنا ووقفنا عليه مطلوبنا ولم نقصر مع ذلك في ابرام العزم واستشعار الحزم وامداد الثغور باقصى الامكان وبعث الجيوش الى ما يلينا من بلاد على الاحيان فرحم الله تعالى انقطاعنا الى كرمه والتجاءنا الى حرمه فجلى بفضله سبحانه ظلم الشدة ومد على الحريم والاطفال ظلال رحمته الممتدة وعرفنا عوارف الصنع الذي قدم به العهد على طول المدة ورماه بجيش من جيوش قدرته أغنى عن ايجاف الركاب واحتشاد الاحزاب وأظهر فينا قدرة ملكه عند انقطاع الاسباب واستخلاص العباد والبلاد من بين الظفر والناب فقد كان جمجم على الحق بابا طيله وسد المجاز باساطيله ورمى الجزيرة الاندلسية بشؤبوب شره وصيرها فريسة بين غربان بحره وعقبان بره فلم يخلص الى المسلمين من اخوانهم مرقبة الا على الخطر الشديد والافلات من يد العدو العنيد مع توفر العزائم والحدقة على العمل الحميد والسعي فيما يعود على الدين بالتأييد وبينما شفقتنا على جبل الفتح تقيم وتقعد وكلب الاعداء عليه يبرق ويرعد واليأس والرجاء خصمان هذا يقرب وهذا يبعد اذ طلع علينا البشير بانفراج الازمه وحل تلك العزمه وموت شاه تلك الرقعه وأبقاه الله تعالى على تلك البقعه وانه سبحانه أخذ الطاغية أكل ما كان اغترارا وأعظم أنصارا وزلزلت أرض عزه وقد اصابت قرارا وان شهاب سعده قد أصبح آفلا وعلم كبره انقلب سافلا وان من بيده ملكوت السموات والارض طرقه بحتفه وأهلكه برغم أنفه وان محلته عاجلها التباب والتبار وعاثت في منازلها النار وتمحص عن سوء عاقبتها الليل والنهار وان حماتها يخربون بيوتهم بايديهم وينادي بشتات الشمل لسان مناديهم وتلاحق

الفرسان من جبل الفتح المعقل الذى عليه من عناية الله تعالى رواق مضروب والرباط الذى من حاربه فهو المحروب فأخبرت بانفراج الضيق وارتفاع العائق عن الطريق وبرء الداء الذى أشرق بالريق وان النصارى دمرها الله تعالى جدت فى ارتحالها وأسرعت بجيفة طاغيتها الى سوء مآلها وحالها وسمحت للنار والنهب باسلابها وأموالها فبهرنا هذا الصنع الالهى الذى مهد الاقطار بعد رجفانها وأنام العيون بعد سهاد أجفانها وسألنا الله تعالى أن يعيننا على شكر هذه النعمة التى ان سلطت عليها قوى البشر فضحتها وربحتها ورأينا سر اللطائف الخفية كيف سريانه فى الوجود وشاهدنا بالعيان أنوار اللطائف الالهية والجود وقلنا انما هو الفتح الاول شفع بثان وقواعد الدين الحنيف ايدت من صنع الله تعالى بنيان اللهم لك الحمد على نعمك الباطنة والظاهره ومننك الوافره انك ولينا فى الدنيا والاخره انتهى (ومن انشاء لسان الدين رحمه الله تعالى) من أخرى مما يتعلق بضيق حال المسلمين بالاندلس ماصورته وان تشوفتم الى أحوال هذا القطر ومن به من المسلمين بمقتضى الدين المتين والفضل المبين فاعلموا انا فى هذه الايام ندافع من العدو تيارا ونكابر بحرا زخارا ونتوقع الان وفق الله تعالى خطوبا كبارا ونمد اليد الى الله تعالى انتصارا ونلجأ اليه اضطرارا ونستمد دعاء المسلمين بكل قطر استعدادا به واستظهارا ونستثير من خواطر الفضلاء ما يحفظ اخطارا وينشى ريح روح الله طيبة معطارا فان القوس الاعظم قيوم دين النصرانية الذى يأمرها فتطيع ومخالفته لا تستطيع رمى هذه الامة الغربية المنقطعة منهم بجراد لا يسد طريقها ولا يحصى فريقها التفت على أخى صاحب قشتالة وعزمها أن تملكه بدله وتبلغه أمله ويكون الكل يدا واحدة على المسلمين ومناصبة هذا الدين واستئصال شأفة المؤمنين وهى شدة ليس لاهل هذا الوطن بها عهد ولا عرفها نجد ولا وهد وقد اقتحموا الحدود القريبه والله تعالى ولى هذه الامة الغريبه وقد جعلنا مقاليد أمورنا بيد من يقوى الضعيف ويدره الخطب المخيف ورجونا أن نكون ممن قال الله تعالى فيهم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وهو سبحانه المرجو فى حسن العقبى والمآل وتصرفئة الهدى على فئة الضلال وما قل من كان الحق كثره ولا ذل من استمد من الله عزه قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الآية ودعاء من قبلكم من المسلمين مدد موفور والله سبحانه على كل حال محمود مشكور انتهى (ومن أخرى) طويلة من جملتها ماصورته وقد اتصل بنا الخبر الذى يوجب نصح الاسلام ورعى الجوار والذمام وما جعل الله تعالى للمأموم على الامام ايقاظكم من مراقدكم المستغرقه وجمع أهوائكم المتفرقه وتهيئكم الى مصادمة الشدائد المرعدة المبرقه وهو أن كبير دين النصرانية الذى اليه ينقادون وفى مرضاته يصادقون ويعادون وعند رؤية صليبه يكبرون ويسجدون لما رأى الفتن قد أكلتهم خضما وقضما وأوسعتهم هضما فلم تبق عصبا ولا عظما ونثرت ما كان نظما اعمل نظره فيما يجمع منهم ما افترق ويرفع ما طرق ويرفو ما مزق الشتات وخرق فرمى

الاسلام بامة عددها القطر المتثال وأمرهم وشأنهم الامتثال أن يدينوا لمن ارتضاه من أمته الطاعه ويجمعوا فى ملته الجامعه ويطلع الكل على هذه الفئة النليلة الغريبة بغتة كقيام الساعه وأنطقهم قطع الله تعالى بهم العباد والبلاد والطارف والتلاد وسوغهم الحريم والاولاد وباقه تعالى نستدفع مالا نطيقه ومنه نسأل عادة الفرج فاستدت طريقه الا انا رأينا غفلة الناس ونومة البوار واشفقنا الدين المنقطع من وراء البحار وقد أصبح مضغة فى لهوات الكفار واردنا ان نهزكم بالموعظة التى تكحل البصائر بميل الاستبصار فان جبر الله تعالى الخواطر بالضراعة اليه والانكسار ونسخ الاعسار بالايسار والنجد اليمين باختها اليسار والافقد تعين فى الدنيا والآخرة حظ الخسار فان من ظهر عليه عدو دين الله تعالى وهو من الله مصروف وبالباطل مشغوف وبغير العرف معروف وعلى الحطام المسلوب عنه ملهوف فقد تله الشيطان للجبين وقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ومن نفسد فيه أوله قدر الله فى أداء الواجب وبذل المجهود وأفرد بالعبودية وجه الواحد الاحد المعبود ووطن النفس على الشهادة المبوئة دار الخلود العائدة بالحياة الدائمة والوجود أو الظهور على عدوه المحشور اليه المحشود صبرا على المقام المحمود وبيعا من الله تعالى تكون الملائكة فيه الشهود حتى تعين يد الله فى ذلك البناء المهدوم بقوة الله والمهدود والسواد الاعظم الممدود كان على امرىء بالخيار المودود قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الآية انتهى ٭ (وقال) صاحب مناهج الفكر بعد وصفه لجزيرة الاندلس وأقطارها ماصورته ولم تزل هذه الجزيرة منتظمة لملاكها فى سلك الانقياد والوفاق الى ان طما بمترفيها سيل العناد والنفاق فامتاز كل رئيس منهم بصقع كان مسقط راسه وجعله معقلا يعتصم فيه من المخاوف بافراسه فصار كل منهم يشن الغارة على جاره ويحاربه فى عقر داره الى أن ضعفوا عن لقاء عدو فى الدين يعادى ويراوح معاقلهم بالعيث ويغادى حتى لم يبق فى أيديهم منها الا ما هو فى ضمان هدنة مقدره واتاوة فى كل عام على الكبير والصغير مقرره كان ذلك فى الكتاب مسطورا وقدرا فى سابق علم الله مقدورا انتهى ٭ وهذا قاله قبل أن يستولى العدو على جميعها والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين (ونرجع) الى ما كنا بصدده من أخذ النصارى قواعد الاندلس فنقول قد قدمنا أوائل هذا الباب أن طليطلة أعادها الله تعالى من أول ما أخذ الكفار من المدن العظام بالاندلس (قال) ابن بسام لما توالت على أهل طليطلة الفتن المظلة والحوادث المصطلمة وترادف عليهم البلاء والجلاء واستباح الفرنج لعنهم الله تعالى أموالهم وأرواحهم كان من أعجب ما جرى من النوادر الدالة على الخذلان أن الحنطة كانت تقيم عندهم مخزونة خمسين سنة لا تتغير ولا يؤثر فيها طول المدة بما يمنع من أكلها فلما كانت السنة التى استولى عليها العدو فيها لم ترفع الغلة من الاندر حتى اسرع فيها الفساد فعلم الناس أن ذلك بمشيئة الله تعالى لامر اراده من شمول البلوى وعموم الضراء فاستولى العدو على طليطلة وأنزل من بها على حكمه وخرج ابن ذى النون منها على أقبح صورة وأقطع سيرة ورآه الناس وبيده اصطرلاب يأخذ به وقتا يرحل فيه فتعجب منه المسلمون وضحك عليه الكافرون وبسط

قوله فاستدت فى نسخة فيما استدت اه

قوله نهزكم فى نسخة نميزكم اه

الكافر العدل على أهل المدينة وحبب التنصر الى عامتها فوجد المسلمون من ذلك مالا يطاق حمله وشرع فى تغيير الجامع كنيسة فى ربيع الاول سنة ست وتسعين وأربعمائة ومما جرى فى ذلك اليوم أن الشيخ الاستاذ المقامى رحمه الله تعالى صار الى الجامع وصلى فيه وأمر مريدا له بالقراءة ووافاه الفرنج لعنهم الله تعالى وتكاثروا لتغيير القبلة فما جسر أحد منهم على ازعاج الشيخ ولا معارضته وعصمه الله تعالى منهم الى أن أكمل القراءة وسجد سجدة ورفع رأسه وبكى على الجامع بكاء شديدا وخرج ولم يعرض أحد له بمكروه وقيل للملك النصارى ينبغى أن تلبس التاج كمن كان قبلك فى هذا الملك فقال حتى نأخذ قرطبتهم وأعد لذلك ناقوسا تأنق فيه وفيما رصع به من الجواهر فاكذبه الله وازعجه وورد أمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن تاشفين فما قصر فيما أثر من اذلال المشركين وارغام الكافرين واستدراك الأمور المسلمين انتهى ملخصا وقد مر مطولا * وكانت قبلها وقعة بطرنة سنة ست وخمسين وأربعمائة وذلك أن الفرنج خذلهم الله تعالى انتدبت منهم قطعة كثيفة ونزلت على بلنسية فى السنة المذكورة واهلها جاهلون بالحرب معرضون عن أمر الطعن والضرب مقبلون على لذات الملذات من الاكل والشرب وأظهر الفرنج الندم على منازلتها والضعف عن مقاومة من فيها وخدعوهم بذلك فانخدعوا واطمعوهم فطمعوا وكمن فى عدة أماكن جماعة من الفرسان وخرج أهل البلد بثياب زينتهم وخرج معهم أميرهم عبد العزيز بن أبى عامر فاستدرجهم العدو لعنهم الله تعالى ثم عطفوا عليهم فاستأصلوهم بالقتل والاسر وما نجا منهم الا من حصنه أجله وخلص الامير نفسه ومما حفظ عنه انه أنشد لما أعياه الامر

خليلى ليس الرأى فى صدر واحد * اشيرا على اليوم ماتريان

وفى أهل بلنسية يقول بعض الشعراء حين خرجوا فى ثياب الزينة والترفه

لبسوا الحديد الى الوغى ولبستم * حلل الحرير عليكم ألوانا
ما كان أقبحهم وأحسنكم بها * لو لم يكن بيطرنة ما كانا

قال ابن بسام وهكذا جرى لاهل طليطلة فان العدو خذله الله تعالى استظهر عليهم وقتل جماهيرهم وكان من جملة ما غنمه الفرنج من أهلها لما خرجوا اليهم فى ثياب الترفه ألف غفارة خارجا عما سواها انتهى (وقال) ابن حيان وكان تغلب العدو خذله الله تعالى على بربشتر قصبة بلد برطانية وهى تقرب من سرقسطة سنة ست وخمسين وأربعمائة وذلك أن جيش الاردمليش نازلها وحاصرها وقصر يوسف بن سليمان بن هود فى حمايتها ووكل أهلها الى نفوسهم فأقام العدو عليها أربعين يوما ووقع فيما بين أهلها تنازع فى القوت لقلته واتصل ذلك بالعدو فشدد القتال عليها والحصر لها حتى دخل المدينة الاولى فى خمسة آلاف مدرع فدهش الناس وتحصنوا بالمدينة الداخلة وجرت بينهم حروب شديدة قتل فيها خمسمائة انفر نجى ثم اتفق أن القناة التى كان الماء يجرى فيها من النهر الى المدينة تحت الارض فى سرب موزون انهارت وفسدت ووقعت فيها صخرة عظيمة سدت السرب بأسره فانقطع الماء عن المدينة ويئس من بها من الحياة فلاذوا بطلب الامان على أنفسهم خاصة دون مال وعيال فاعطاهم العدو الامان فلما خرجوا نكث بهم وغدر وقتل الجميع الا القائد ابن الطويل

والقاضى

والقاضى ابن عيسى فى نفر من الوجوه وحصل للعدو من الاموال والامتعة مالا يحصى حتى ان الذى خص بعض مقدمى العدو لحصنه وهو قائد خيل رومة نحو ألف وخمسمائة جارية ابكارا ومن اوقار الامتعة والحلى والكسوة خمسمائة جمل وقدر من قتل واسر مائة ألف نفس وقيل خمسون ألف نفس (ومن نوادر) ماجرى على هذه المدينة لما فقدت القناة وانقطعت المياه أن المرأة كانت تقف على السور وتنادى من يقرب منها أن يعطيها جرعة ماء لنفسها اولولدها فيقول لها أعطينى ما معك فتعطيه ما معها من كسوة وحلى وغيره قال وكان السبب فى قتلهم أنه خاف من يصل لنجدتهم وشاهد من كثرتهم ما هاله فشرع فى القتل اعنه الله تعالى حتى قتل منهم نيفا على ستة آلاف قتيل ثم نادى الملك بتامين من بقى وأمر أن يخرجوا فازدحموا فى الباب الى أن مات منهم خلق عظيم ونزلوا من الاسوار فى الحبال للخشبة من الازدحام فى الابواب ومبادرة الى شرب الماء وكان قد تحيز فى وسط المدينة قدر سبعمائة نفس من الوجوه وحاروا فى نفوسهم وانتظروا ما ينزل بهم فلما خلت ممن اسر وقتل وأخرج من الابواب والاسوار وهلك فى الزحمة نودى فى تلك البقية بان يبادر كل منهم الى داره باهله وله الامان وأرهقوا وازعجوا فلما حصل كل واحد منهم بمن معه من أهله فى منزله اقتسمهم الافرنج لعنهم الله تعالى بأمر الملك وأخذ كل واحد منهم دارا بمن فيها من أهلها نعوذ بالله تعالى وكان من أهل المدينة جماعة قد عاذوا برؤس الجبال وتحصنوا بمواضع منيعة وكادوا يهلكون من العطش فاشتهم الملك على نفوسهم وبرزوا فى صور الهلكى من العطش فأطلق سبيلهم فبينما هم فى الطريق اذ لقيتهم خيل الكفر ممن لم يشهد الحادثة فقتلوهم الا القليل ممن نجا بأجله قال وكان الفرنج لعنهم الله تعالى لما استولوا على أهل المدينة يقتضون البكر بحضرة أبيها والثيب بعين زوجها وأهلها وجرى من هذه الاحوال ما لم يشهد المسلمون مثله قط فيما مضى من الزمان ومن لم يرض منهم أن يفعل ذلك فى خادم أو ذات مهنة أو وحش اعطاهن خوله وغلمانه يعبثون فيهن عيشة وبلغ الكفرة منهم يومئذ ما لا تطيقه الصفة على الحقيقة ولما عزم ملك الروم على القفول الى بلده تخير من بنات المسلمين الجوارى الابكار والثيبات ذوات الجمال ومن صبيانهم الحسان الوفاعدة حملهم معه ليهديهم الى من فوقه وترك من رابطة خيله بيربشتر ألفا وخمسمائة ومن الرجالة ألفين (قال) ابن حيان وأختم هذه الاخبار الموقظة لقلوب أولى الالباب بنادرة منها يكتفى باعتبارها عما سواها وهى أن بعض تجار اليهود جاء بربشتر بعد الحادثة ملتمسا قديما بنات بعض الوجوه ممن نجا من أهلها حصلن فى سهم قومس من الرابطة فيها كان يعرفه قال فهديت الى منزله فيها واستأذنت عليه فوجدته جالسا مكان رب الدار مستويا على فراشه رافلا فى نفيس ثيابه والمجلس والسرير كما خلفهما ربهما يوم محنته لم يغير شيأ من رياشهما وزينتهما ووصائفه منضمومات الشعور قائمات على رأسه ساعيات فى خدمته فرحب بى وسألنى عن قصدى فعرفته وجهه واشرت الى وقور ما أبذله فى بعض اللواتى على رأسه ونهين كانت حاجتى فتبسم وقال بلسانه ما أسرع ما طمعت فيمن عرضناه لك أعرض عمن هنا وتعرض لمن شئت ممن صيرته لحصنى من سبيى واسراى من أقاربك فيمن شئت منهم فقلت له أما الدخول الى الحصن فلا رأى لى فيه وبقربك

أنست وفى كنفك اطمأنت فسمنى ببعض من هنا فانى أصير الى رغبتك فقال وما عندك قلت العين الكثير الطيب والبر الرفيع الغريب فقال كأنك تشهينى ما ليس عندى يا باجه ينادى ببعض أولئك الوصائف يريد يا بهجة فغيره بعجمته قومى فاعرضى عليه ما فى ذلك الصندوق فقامت اليه وأقبلت بيدر الدنانير وكيس الدراهم واسفاط الحلى فكشف وجعل بين يدى العلج حتى كادت تُوارى شخصه ثم قال لها أدنى الينا من تلك الثخوت فأدنت منه عدة من قطع الوشى والخز والديباج الفاخر مما حاز له ناظرى وبهت واستزدت ما عندى ثم قال لى لقد كثر هذا عندى حتى ما ألذ به ثم حلف بالهه انه لو لم يكن عنده شئ من هذا ثم بذل له باجمعه فى ثمن تلك ما سخت بها يدى فهى ابنة صاحب المنزل وله حسب فى قومه اصطفيتها المزيد جمالها لولادتى حسبما كان قومها يصنعون بنساءنا نحن أيام دولتهم وقد ردّ لنا الكرة عليهم فصرنا خيمائراه وأزيد لك بأن تلك الخودة الناعمة وأشار الى جارية أخرى قائمة الى ناحية مغنية والدها التى كانت تشدو له على نشوانه الى أن أيقظناه من نومانه يا فلانة يناديها بلكنة خذى عودك فغنى زائرنا يشجوك قال فأخذت العود وقعدت تسويه وانى لاتأمل دمعها يقطر على خدها فتسارق العلج مسحه واندفعت تغنى بشعر ما فهمته انا فضلا عن العلج فصار من الغريب أن حث شربه هو عليه وأظهر الطرب منه فلما يئست مما عنده مقت منطلقا عنه وارتدت لتجارتى سواه واطلعت لكثرة ما لدى القوم من السبى والمغنم على ما طال عجبى به فهذا فيه مقنع لمن تدبره وتذكر لمن تذكره (قال ابن حيان) قد أشفينا بشرح هذه الحالة الفادحة مصائب جليلة موذنة بوشك القلعة طالما حذر أسلافنا لحاقها بما احتقبوه عمن قبلهم من اثارة ولاشك عند ذوى الالباب أن ذلك عمادها نامن داء التقاطع وقد أمرنا بالتواصل والالفة فأصبحنا من استشعار ذلك والتمادى عليه على شفا جرف يؤدى الى الهلكة لامحالة انتهى بعض اختصاره وذكر بعده كلاما فى ذم أهل ذلك الزمان من أهل الاندلس وانهم يعللون أنفسهم بالباطل وأن من أدل الدلائل على جهلهم اغترارهم بزمانهم وبعدهم عن طاعة خالقهم ورفضهم وصية نبيهم وغفلتهم عن سد ثغورهم حتى أطل عدوهم الساعى لاطفاء نورهم يجوس خلال ديارهم ويستقرى بسائط بقاعهم ويقطع كل يوم طرفا ويبيد أمة ومن لدنا وحوالينا من أهل كلتنا صموت عن ذكرهم لهاة عن بثهم ما ان يسمع عندنا بمسجد من مساجدنا أو محفل من محافلنا مذكر لهم أو داع فضلا عن نافر اليهم أو ماش لهم حتى كانهم ليسوا منا أو كان بثقهم ليس بمفض الينا وقد بخلنا عليهم بالدعاء بخلنا بالغناء عجائب فاتت التقدير وعرضت للتغيير ولله عاقبة الامور واليه المصير انتهى واقد صدق رحمه الله تعالى فان البثق سرى اليهم جميعا كما ستراه ولاحول ولاقوة الا بالله (وقال) قبله ان بربشتر هذه تناهضها قرون المسلمين منذ ثلثمائة وثلاث وستين سنة من عهد الفتوح الاسلامية بجزيرة الاندلس فرسخ فيها الايمان وتدورس القرآن الى أن طرق الناحى بها قرطبتنا صدر رمضان من العام فصك الاسماع واطار الافئدة وزلزل أرض الاندلس قاطبة وصيرلكل شغلا يشغل الناس فى التحدث به والتساؤل عنه والتصور لحلول مثله ايا ما لم يغادر قوافيها عادتهم من استبعاد الوجل والاغترار بالامل والاستناد الى امراء الفرقة الهمل الذين هم منهم ما بين

قتل ووكل يصدونهم عن سواء السبيل ويلبسون عليهم وضوح الدليل ولم تزل آفة الناس منذ خلقوا فى صنفين هم كالملح فيهم الامراء والفقهاء بصلاحهم يصلحون وبفسادهم يفسدون فقد خص الله تعالى هذا القرن الذى نحن فيه من اعوجاج صنفيهم لدينا بما لا كفاية له ولا مخلص منه فالامراء القاسطون قد نكبوا عن نهج الطريق ذيادا عن الجماعة وبريا الى الفرقة والفقهاء أئمتهم صموت منهم صدوف عما أكده الله تعالى عليهم من التبيين لهم قد أصبحوا ما بين آكل من حلوائهم وخابط فى أهوائهم وبين مستشعر مخافتهم آخذ فى التقية من صدقهم وأولئك هم الاقلون فيهم فما القول فى أرض فسد ملحها الذى هو المصلح لجميع أغذيتها وما هى الا مشفية من بوارها ولقد طما العجب من افعال هؤلاء الامراء لم يكن عندهم لهذه الحادثة الا الفزع لحفر الخنادق وتعلية الاسوار وشد الاركان وتوثيق البنيان كاشفين لعدوهم عن السوأة السوأى من القاسم يوشذ بأيديهم اليه أمورا قبيحات الصور مؤذنات الصدور باجماز الغير

أمور لو تدبرها حكيم • اذا النهى وحبب ما استطاعا

انتهى باختصار • ثم قال ابن حيان فلما كان عقب جمادى الاولى سنة ٥٧ شاع الخبر بقرطبة برجوع المسلمين اليها وذلك أن أحمد المقتدر بن هود المفرط فيها والمتهم على أهلها لانحرافهم الى أخيه صد لها مع امداد الخليفة عباد وسمى لاصمات سوء المقالة عنه وقد كتب الله تعالى عليه منها ما لا يمحوه الا عفوه فذهب لقصد بشترفى جموع من المسلمين فجالدوا الكفار بهم اجلادا ارتاب منه كل جبان وأعز الله سبحانه أهل الحفيظة والشجعان وحمى الوطيس بينهم الى أن نصر الله تعالى أولياءه وخذل أعداءه وولوا الادبار مقتحمين أبواب المدينة فاقتحمها المسلمون عليهم وملكوهم أجمعين الامن فر من مكان الوقعة ولم يدخل المدينة فاجيل السيف فى الكافرين واستؤصلوا أجمعين الامن استرق من أصاغرهم وفدى من اعاظمهم وسبوا جميع من كان فيها من عيالهم وأبنائهم وملكوا المدينة بقدرة الخالق البارئ وأصيب فى منحة النصر المتاح طائفة من حماة المسلمين الجادين فى نصر الدين نحو الخمسين كتب الله تعالى شهادتهم وقتل فئة من أعداء الله الكافرين نحو ألف فارس وخمسة آلاف راجل فغسلها المسلمون من رجس الشرك وجلوها من صدا الافك انتهى وليت طليطلة البائسة استرجعت كهذه ومع هذا فقد غلب العدو بعد على الكل والله سبحانه المرجو فى الادالة (وقال) ابن البسع أخذ العدو مدينة تطيلة وأختها طرشونة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ولما صار أمرها بلنسية الى الفقيه القاضى أبى أحمد بن جحاف قاضيها صيرها الامير المسلمين يوسف بن تاشفين تحصر بها القادر ابن ذى النون الذى مكن اذفونش من طليطلة فهجم عليه القاضى فى لمة من المرابطين وقتله ودفع ابن جحاف لما لم يعهد من تدبير السلطان ورجعت عنه طائفة الملثمين الذين كان يعتد بهم وجعل يستصرخ الى أمير المسلمين فيبطئ عليه وفى أثناء ذلك انهض يوسف بن أحمد ابن هود صاحب سرقسطة ردريق الطاغية للاستيلاء على بلنسية فدخلها وعاهده القاضى ابن جحاف واشترط عليه احضار ذخيرة كانت للقادر بن ذى النون فأقسم أنها ليست عنده

فاشترط عليه انه ان وجدها عنده قتله فاتفق انه وجدها عنده فاحرقه بالنار وعاث فى بلنسية وفيها يقول ابن خفاجة حينئذ

عاثت بساحتك الظبا يادار * ومحا محاسنك البلى والنار
فاذا تردد فى جنابك ناظر * طال اعتبار فيك واستعبار
أرض تقاذفت الخطوب بأهلها * وتمخضت بخرابها الاقدار
كتبت يد الحدثان فى عرصاتها * لا أنت أنت ولا الديار ديار

وكان استيلاء القبنطور اعنه الله تعالى عليها سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وقيل فى التى قبلها وبه جزم ابن الابار قائلا فتم حصار القبنطور اياها عشرين شهرا وذكر انه دخلها صلحا وقال غيره انه دخلها وحرقها وعاث فيها وممن أحرق فيها الاديب أبو جعفر بن البناء الشاعر المشهور رحمه الله تعالى وعفا عنه فوجه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الامير أبا محمد مرزلى ففتحها الله تعالى على يديه سنة خمس وتسعين وأربعمائة وتوالى عليها أمراء الملثمين ثم صارت ليحيى بن غانية الملثم حين ولى جميع شرق الاندلس فقدم عليها أخاه عبد الله بن غانية ولما ثارت الفتنة فى المائة السادسة أخرجه منها مروان بن عبد العزيز الى أن قام عليه جيش بلنسية سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وبايعوا لابن عياض ملك شرق الاندلس ففر مروان الى المرية ثم رجعت بلنسية الى أبى عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس بعد ابن عياض وقدم عليه أخاه أبا الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش الى أن رجع أبو الحجاج الى جهة بنى عبد المؤمن الى أن ولى عليها السيد أبو زيد عبد الرحمن ابن السيد أبى عبد الله بن أبى حفص ابن أمير المسلمين عبد المؤمن بن على فلما ثار العادل بمرسية تمنع واعتز وأظهر طاعة فى باطنها معصية ودام على ذلك مع أبى العلاء المأمون وكان قائد الاعنة المشار اليه فى الدفاع عن بلنسية الامير زيان بن أبى الحملات بن أبى الحجاج بن مردنيش فأخرجه من بلنسية وملكها وفر السيد الى النصارى ولم يزل أمر بلنسية يضعف باستيلاء العدو على أعمالها الى أن حصرها ملك برشلونة النصرانى فاستغاث زيان بصاحب افريقية أبى زكريا بن أبى حفص وأوفد عليه فى هذه الرسالة كاتبه الشهير أبا عبد الله بن الابار القضاعى صاحب كتاب التكملة واعتاب الكتاب وغيرهما فقام بين يدى السلطان منشدا قصيدته السينية الفريدة التى فضحت من باراها وكاد دونها من جاراها وهى

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست * فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
وحاش مما تعانيه حشاشتها * فطالما ذاقت البلوى صباح مسا
يا للجزيرة أضحى أهلها جزرا * للحادثات وأمسى جدها نفسا
فى كل شارقة للمام بارقة * يعود مأتمها عند العدا عرسا
وكل غاربة اخجال شائبة * تنفى الامان حذارا والسرور أسى
تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم * الا عقائلها المحجوبة الانسا
وفى بلنسية منها وقرطبة * ما ينشف النفس أو ما ينزف النفسا

قوله أمير المسلمين فى نسخة أمير المؤمنين اه

مدائن حلها الاشراك مبتسما * جذلان وارتحل الايمان منبئسا
وصيرتها العوادى الغانيات بها * يستوحش الطرف منها ضعف ما انسا
فمن دساكر كانت دونها حرسا * ومن كنائس كانت قبلها كنسا
يا للمساجد عادت للعدا بيعا * وللنداء غدا أثناءها جرسا
لهفى عليها الى استرجاع فائتها * مدارسا للمثانى أصبحت درسا
وأربعا نمنمت أيدى الربيع لها * ماشئت من خلع موشية وكسا
كانت حدائق للاحداق مونقة * فصوح النصر من أدواحها وعسا
وحال ماحولها من منظر عجب * يستجلس الركب أو يستركب الجلسا
سرعان ماعاث جيش الكفر واحربا * عيث الربا فى مغانيها الستى كبسا
وابتزبزتها بما تحفيفها * تحيف الاسد الضارى لما افترسا
فأين عيش جنيناه بها خضرا * وأين عصر جلبناه بها اسلسا
محا محاسنها طاغ أتيح لها * ما نام عن هضمها حينا ولا نعسا
ورج أرجاءها لما احاط بها * فغادر الشم من أعلامها خنسا
خلاله الحق فامتدت يداه الى * ادراك مالم تطأ رجلاه محتلسا
وأكثر الزعم بالتثليث منفردا * ولو رأى راية التوحيد مانبسا
صل حبلها أيها المولى الرحيم فما * أبقى المراس لها حبلا ولا مرسا
وأحى ماطمست منها العداة كما * احييت من دعوة المهدى ماطمسا
أيام صرت لنصر الحق مستبقا * وبت من نور ذاك الهدى مقتبسا
وقمت فيها بامر الله منتصرا * كالصارم اهتز أو كالعارض انبجسا
تمحو الذى كثف التجسيم من ظلم * والصبح ماحية أنواره الغلسا
وتقتضى الملك الجبار مهجته * يوم الوغى جهرة لاترقب الخلسا
هذى رسائلها تدعوك من كثب * وأنت أفضل مرجو لمن يئسا
وافتك جارية بالنجح راجية * منك الامير الرضا والسيد الندسا
خاضت خضارة يعليها ويخفضها * عبابه فتعانى اللين والشرسا
وربما سبحت والريح عاتية * كما طلبت بأقصى شدة الفرسا
تؤم يحيى بن عبد الواحد بن أبى * حفص مقبلة من تربه القدسا
ملك تقلدت الاملاك طاعته * دينا ودنيا فغشاها الرضا لبسا
من كل غاد على يمناه مستلما * وكل صاد الى نعماه ملتمسا
مؤيد لو رمى نجما لاثبته * ولو دعا أفقا لبى وما احتبسا
تالله ان الذى تزجى السعود له * ما جال فى خلد يوما ولا هجسا
امارة يحمل المقدار رايتها * ودولة عزها يستصحب القعسا
يبدى النهار بها من ضوئه شنبا * ويطلع الليل من ظلمائه لعسا
ماضى العزيمة والايام قد نكلت * طلق المحيا ووجه الدهر قد عبسا

كأنه البدر والعلياء هالته • تحف من حوله شهب القنا حرسا
تدبيره وسع الدنيا وما وسعت • وعرف معروفه واسى الورى وأسا
قامت على العدل والاحسان دولته • وأنشرت من وجود الجود مارمسا
مبارك هديه باد سكينته • ماقام الا الى حسنى وماجلسا
قد نوّر الله بالنقوى بصيرته • فما يالى طروق الخطب ماانبسا
برى العصاة وراش الطائعين فقل • فى الليث مفترسا والغيث مرتجسا
ولم يغادر على سهل ولا جبل • حيا لقاها اذا وافيته بخسا
فرب أصيد لاتلقى به صيدا • ورب اشوس لاتلقى له شوسا
الى الملائك يغنى والملوك معا • فى نيعة أثمرت للمجد ماغرسا
من ساطع النور صاغ الله جوهره • وصان صيقله أن يقرب الدنسا
له الثرى والثريا خطتان فلا • أعز من خطتيه ماسما ورسا
حسب الذى باع فى الاخطار يركبها • اليه محياه ان البيع ماوكسا
ان السعيد امرؤ الق بحضرته • عصا، محتزما بالعدل محترسا
فظل يوطن من أرجائها حرما • وبات يوقد من أضوائها قبسا
بشرى لعبد الى الباب الكريم حدا • آماله ومن العذب المعين حسا
كانما يتطى واليمن يصحبه • من البحار طريقا نحوه يبسا
فاستقبل السعد وضاحا أسرّته • من صفحة فاض منها النور وانعكسا
وقبل الجود طفاحا غواربه • من راحة غاص فيها البحر وانغمسا
ياأيها الملك المنصور أنت لها • علياء توسع أعداء الهدى تعسا
وقد توائرت الانباء انك من • يحيى بقتل ملوك الصفر اندلسا
طهر بلادك منهم انهم نجس • ولاطهارة مالم تغسل النجسا
وأوطئ الفيلق الجرار أرضهم • حتى يعاطئ رأسا كل من رأسا
وانصر عبيدا بأقصى شرقها نزفت • عيونهم أدمعا تهمى زكا ودسا
هم شيعة الامر وهى الدار قد نهكت • راء متى لم تباشر جسمها انتكسا
فاملأ هنيئالك التأييد ساحتها • جردا سلاهب أوخطية دعسا
واضرب لها موعدا بالفتح ترقبه • لعل يوم الاعادى قد أتى وعسى

فبادر السلطان باعانتهم وشحن الاساطيل بالمدد اليهم من المال والاقوات والعدد فوجدوهم فى هوّة الحصار الى أن تغلب الطاغية على بلنسية ورجع ابن الابار بأهله الى تونس وكان تغلب العدو على بلنسية صبح يوم الثلاثاء السابع عشر لصفر من سنة ست وثلاثين وستمائة فهزت هذه القصيدة من الملك عطف ارتياح وحرّكت من جنانه أخفض جناح ولشغفه بها وحسن موقعها منه أمر شعراء حضرته بمعارضتها فعارضها واحد وحال العدو بين بلنسية وبينه وتعاهد أهلها مع النصرانى على أن يسلمهم فى أنفسهم وذلك سنة سبع وثلاثين وستمائة أعادها الله تعالى للاسلام • وكانت وقعة كتندة على

المسلمين قبل هذا التاريخ بمدة وكشندة ويقال قشندة بالقاف من حيز دورقة من عمل سرقسطة من الثغر الاعلى وكانت الهزيمة على المسلمين جبرهم الله تعالى قتل فيها من المطوعة نحو من عشرين ألفا ولم يقتل فيها من العسكر أحد وكان على المسلمين الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين الذى آلف الفتح باسمه قلائد العقبان وكانت سنة أربع عشرة وخمسمائة وممن حضرها الشيخ أبو على الصدفى السابق الذكر وقرينه فى الفضل أبو عبد الله بن الفراء خرجا غازيين فكانا ممن فقد فيها * وقال غير واحد ان العسكر انصرف مغلولا الى بلنسية وان القاضى أبا بكر بن العربى كان ممن حضرها وسئل مخلصه منها عن حاله فقال حال من ترك الخباء والعباء وهذا مثل عند المغاربة معروف يقال لمن ذهبت ثيابه وخيامه بمعنى انه ذهب جميع ماله * ودخل العدو لوشة سنة اثنتين وعشرين وستمائة مع السيد أبى محمد البياسى فى الفتنة التى كانت بينه وبين العادل فعاثوا فيها أشد العيث ثم ردها المسلمون الى أن أخذت بعد ذلك كما يأتى * ودخل العدو مدينة المرية يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الاولى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة عنوة (وحكى) أبو زكريا الجعيدى عن أبى عبد الله بن سعادة الشاطبى المعمر أن أبا مروان بن ورد أتاه فى النوم شيخ عظيم الهيئة فرمى يديه فى عضديه من خلفه وهزهزا عنيفا حتى أرعبه وقال له قل

ألا أيها المغرور ويحك لاتنم * فلله فى ذا الخلق أمر قد انبهم
فلابد أن يرزوا بأمر يسوءهم * فقد أحدثوا جرما على حاكم الامم

قال وكان هذا فى سنة أربعين وخمسمائة فلم يمض الا يسير حتى تغلب الروم على المرية فى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة بعد تلك الرؤيا بعامين أو نحوهما انتهى * وهو مما حكاه ابن الابار الحافظ فى كتاب التكملة * وفى وقعة المرية هذه استشهد الرشاطى الامام المشهور وهو أبو محمد عبد الله بن على بن عبد الله بن على بن خلف بن أحمد بن عمر اللخمى الرشاطى المرى وكانت له عناية كبيرة بالحديث والرجال والرواة والتواريخ وهو صاحب كتاب اقتباس الانوار والتماس الازهار فى نسب الصحابة ورواة الآثار أخذه الناس عنه وأحسن فيه وجمع وما قصر وهو على اسلوب كتاب أبى سعد بن السمعانى الحافظ المسمى بالانساب * وولد الرشاطى سنة ٤٦٦ بقرية من أعمال مرسية يقال لها اوريوله بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الراء وضم المثناة التحتية وبعد الالف لام مفتوحة وبعدها هاء وتوفى شهيدا بالمرية عند تغلب العدو عليها صبيحة الجمعة ٢٠ جمادى الاولى سنة ٥٤٢ والرشاطى بضم الراء وفتح الشين المخففة وذكر هو أن أحد أجداده كان فى جسمه شامة كبيرة وكانت حاضنته تجسمية فاذا لاعبته قالت رشاطة وكثر ذلك منها فقيل له الرشاطى انتهى ملخصا من وفيات الاعيان وبعضه بالمعنى * وبعد أخذ النصارى المرية هذه المرة رجعت الى ملك المسلمين واستنقذها الله تعالى على يد الموحدين وبقيت بأيدى أهل الاسلام سنين * وكان أول الولاة عليها حين استولى عليها أمير المسلمين عبد المؤمن بن على رجلا يقال له يوسف بن مخلوف فثار عليه أهل المرية وقتلوه وقتلوا على أنفسهم الرميحى فأخذها النصارى منه عنوة كما ذكرنا وأحصى عدد من سبى من أبكارها فكان أربعة عشر ألفا *

قوله اللخمى فى نسخة ابن الخم اه

قوله أبى سعد فى نسخة أبى سعيد اه

وقال ابن حبيش آخر الحفاظ بالاندلس كنت فى قلعة المرية لما وقع الاستيلاء عليها أعادها الله تعالى للاسلام فتقدمت الى زعيم الروم السلطين وهو ابن بنت الاذفونش وقلت له انى أحفظ نسبك منك الى هرقل فقال لى قل فذكرته له فقال لى اخرج أنت وأهلك ومن معك طلقاء بلا فيء * وابن حبيش شيخ ابن دحية وابن حوط الله وأبى الربيع الكلاعى رحمهم الله تعالى * ولما أخذت المرية أقبل اليها السيدان أبو حفص وأبو سعيد ابنا أمير المؤمنين عبد المؤمن فحسرا النصارى بها وزحف اليهما أبو عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس محاربا لهما فكانا يقاتلان النصارى والمسلمين داخلا وخارجا ثم رأى ابن مردنيش العار على نفسه فى قتالهم مع كونهم يقاتلون النصارى فارتحل فقال النصارى ما رحل ابن مردنيش الا وقد جاءهم مدد فاصطلموا ودخل الموحدون المدينة وقد خربت وضعفت الى أن أحياها رمقها الرئيس أبو العباس أحمد بن كمال وذلك ان أخته أخذت سبية فى دخلة عبد المؤمن لجانة فاختلت بقصره واعتنت بأخيها فولاه بلده فصلح به حالها وكان جوادا حسن المحاولة كثير الرفق واشتهر من ولاتها فى مدة بنى عبد المؤمن فى المائة السابعة الامير أبو عمران بن أبى حفص عم ملك افريقية أبى زكريا * ولما كانت سنة خمس وعشرين وستمائة ثارت الاندلس على مأمون بنى عبد المؤمن بسبب قيام ابن هود بمرسية قام فى المرية بدعوة ابن هود أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى يحيى بن الرميمى وجده أبو يحيى هو الذى أخذها النصارى من يده ولما قام بدعوة ابن هود وفد عليه بمرسية وولاه وزارته وصرف اليه سياسته وآل أمره معه الى أن أغراه بان يحصن قلعة المرية ويجعل لها له عدة وهو يبغى ذلك عدة لنفسه وترك ابن هود فيها جارية تعلق ابن الرميمى بها واجتمع معها فبلغ ذلك ابن هود فبادر الى المرية وهو مضمر الايقاع بابن الرميمى فتغدى به قبل أن يتعشى به وأخرج من قصره ميتا ووجهه فى تابوت الى مرسية فى البحر واستبد ابن الرميمى بملك المرية ثم ثار عليه ولده وآل الامر بعد أحوال الى أن تملكها ابن الاحمر صاحب غرناطة وبقيت فى يد أولاده بعده الى أن أخذها العدو الكافر عند ما طوى بساط بلاد الاندلس كما سننبه عليه والله غالب على أمره * وما أحسن قول أبى اسحق ابراهيم بن الدباغ الاشبيلى فى هزيمة العقاب باشبيلية

وقائلة أراك تطيل فكرا * كأنك قد وقفت لدى الحساب
فقلت لها أفكر فى عقاب * غدا سببا لمعركة العقاب
فما فى أرض أندلس مقام * وقد دخل البلا من كل باب

وقول القائد أبى بكر ابن الامير ملك شلب أبى محمد عبد الله ابن وزيرها يخاطب منصور بنى عبد المؤمن وقد التقى هو وأصحابه مع جماعة من الفرنج فنالوا صفوا ثم كان الظفر للمسلمين

ولما تلاقينا جرى الطعن بيننا * فمنا ومنهم طاعنون عديد
وجال غرار الهند فينا وفيهم * فمنا ومنهم قائم وحصيد
فلا صدر الا فيه صدر مثقف * وحول الوريد للحسام ورود
صبرنا ولا كهف سوى البيض والقنا * كلانا على حد الجلاد جليد
ولكن شددنا شدة فتبلدوا * ومن يتبلد لا يزال يحيد

قوله لما تلاقينا الخ قد سبقت هذه الابيات فتنبه اه مصححه

فولوا وللسمر الطوال بهامهم * ركوع وللبيض الرقاق سجود

وكان المذكور من فرسان الاندلس وكان ابنه الفاضل أبو محمد غير مقصر عنه فروسية وقدرا وأدبا وشعرا وولاه ناصر بنى عبد المؤمن مدينة قصر أبى دانس فى الجهة الغربية وقتله ابن هود باشبيلية وزعم انه يروم القيام عليه * ومن شعره قوله فى ابن صاحب أعمال اشبيلية

لاتيأسن من الخلافة بعدما * ولى ابن عمرو خطة الاشراف
تالله هذه أفعاله * يضع النوافج فى يدى كاف

قوله ودخل الخ هكذا فى الاصل ولعل صوابه وأخذ الخ فتأمل اه مصححه

(رجع) ودخل العدو كورة ماردة من محمد بن هود سنة ست وعشرين وستمائة وكان مفتتح المصائب على يده أعادها الله تعالى للاسلام وهى قاعدة بلاد الجوف فى مدة العرب والعجم والحضرة المستجدة بعدها هى مدينة بطليوس وبين ماردة وقرطبة خمسة أيام * وملك بطليوس وماردة وما اليها المظفر محمد بن المنصور بن الافطس مشهور وهو من رجال القلائد والذخيرة وهو أديب ملوك عصره بلا مدافع ولا منازع وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكار المظفرى خمسون مجلدا اشتمل على فنون وعلوم من مغازى وسير ومثل وخبر وجميع علوم الادب وقال يوما واقه ما يمنعنى من اظهار الشعر الا كونى لا أقول مثل قول أبى العشائر بن حمدان

أقرأت منه ما تخط يد الوغى * والبيض تشكل والاسنة تنقط

وقول أبى فراس ابن عمه

وجدنا العوالى فى مقام * تحدث عنه ربات الحجال
كان الخيل تعلم من عليها * فهى بعض على بعض تعالى

فأين هذا من قولى

أنفت من المدام لان عقلى * أعز على من أنس المدام
ولم أرتح الى روض وزهر * ولكن للحمائل والحسام
اذا لم أملك الشهوات قهرا * فلم أبغى الشفوف على الانام

وله رحمه الله تعالى

بالحظ زدفتورا * تزد على اقتدارا
فاللحظ كالسيف أمضا * ما يرق غرارا

وابنه المتوكل من رجال القلائد والمذهب وكان فى حضرة بطليوس كالمعتمد بن عباد باشبيلية قد أناخت الآمال بحضرتهما وشدت رحال الآداب الى ساحتهما يتردد أهل الفضائل بينهما كتردد النواسم بين جنتين ويتطارد الادب منهما عن مقلتين والمعتمد أشعر والمتوكل أكتب (رجع) وقال الفاضل الكاتب أبو عبد الله محمد الفازازى وقيل انها وجدت برقعة فى جيبه يوم موته

الروم تضرب فى البلاد وتغنم * والجور يأخذ ما بقى والمغرم
والمال يورد كله قشتالة * والجند تسقط والرعية تسلم

وذو والتعيين ليس فيهم مسلم * الا معين فى الفساد مسلم
أسفى على تلك البلاد وأهلها * الله يلطف بالجميع ويرحم

وقيل ان هذه الابيات رفعت الى سلطان بلاده فلما وقف عليها قال بعد ما بكى صدق رحمه الله تعالى ولو كان حيا ضربت عنقه * وهذا الفازازى أخو الشاعر الشهير الكاتب الكبير أبى زيد عبد الرحمن الفازازى صاحب الامداح فى سيد الوجود محمد صلى الله عليه وسلم وهو كما قال فيه بعضهم صاحب القلم الاعلى والقدح المعلى أبرع من ألف وصنف وأبدع من قرظ وشنف فقد طاع القلم ببنانه والنظم والنثر لبيانه كان نسيج وحده رواية واخبارا ووحيد نسجه رؤية وابتكارا وفريد وقته خبرا واخبارا وصدر عصره ايرادا واصدارا صاحب فهوم ورافع ألوية علوم أما الادب فلا يسبق فيه مضماره ولا يشق غباره ان شاء انشأ أنشا ووشى سائل الطبع عذب النبع له فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم بدائع قد خضع البيان لها وسلم أعجز بتلك المعجزات نظما ونثرا وأوجز فى تحبير تلك الآيات البينات فجلا سحرا ورفع للقوافى راية استظهار تخير فيها الاظهر فجسم وعشر وشفع وأوتر وأما الاصول ففى من فروعه فى متفرق منظومه ومنثوره بمجموعه وأما النسب فالى حفظه انتسب وأما الايام والدول ففى تاريخه الاواخر والاول وقد سبك من هذه العلوم فى منثوره وموزونه ما يشهد باضافتها الى فنونه وله سماع فى الحديث وروايه وفهم بقوانينه ودرايه سمع من أبى الوليد اليزيدبن عبد الرحمن بن بقى القاضى ومن أبى الحسن جابر بن أحمد القرشى التاريخى وهو آخر من حدث عنه ومن أبى عبد الله التجيبى كثيرا وهو أول من حدث عنه فى حياة الحافظ أبى الطاهر السلفى اذ قدم عليهم تلمسان وأجازه الحافظ السهيلى وابن خلف الحافظ وغيرهما وولد بعد الخمسين والخمسمائة وتوفى بمراكش سنة ٦٣٧ رحمه الله تعالى انتهى ملخصا (رجع) ولما ثارت الاندلس على طائفة عبد المؤمن كان الوالى بجزيرة ميورقة أبو يحيى بن أبى عمران التينملى فأخذها الفرنج منه كذا قال ابن سعيد وقال ابن الابار انها أخذت يوم الاثنين الرابع عشر من صفر سنة سبع وعشرين وستمائة انتهى * وقال المخزومى فى تاريخ ميورقة ان سبب أخذها من المسلمين أن أميرها فى ذلك الوقت محمد بن على بن موسى كان فى الدولة الماضية أحد أعيانها ووليها سنة ست وستمائة واحتاج الى الخشب المجلوب من يابسة فأنفذ طريدة بحرية وقطعة حربية فعلم بها والى طرطوشة فجهز اليها من أخذها فعظم ذلك على الوالى وحدث نفسه بالغزو لبلاد الروم وكان ذلك رأيا مشؤما ووقع بينه وبين الروم * وفى آخر ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وستمائة بلغه ان مسطحا من برشلونة ظهر على يابسة ومر كبا آخر من طرطوشة انضم اليه فبعث ولده فى عدة قطع اليه حتى نزل فى مرسى يابسة ووجد فيه لاهل جنوة مركبا كبيرا فأخذه وسار حتى أشرف على المسطح فقاتله وأخذه وظن انه غالب الملوك وغاب عنه انه أشأم من عاقر الناقة وأن الروم لما بلغهم الخبر قالوا لملكهم وهو من ذرية اذفونش كيف يرضى الملك بهذا الامر ونحن نقاتل بنفوسنا وأموالنا فأخذ عليهم العهد بذلك وجمع عشرين ألفا من أهل البلاد وجهز فى البحر ستة عشر ألفا

وشرط

وشرط عليها حمل السلاح * وفى سنة ست وعشرين وستمائة اشتهر أمر هذه الغزوة فاستعد لها الوالى وميز نيفا على ألف فارس ومن فرسان الحضر والرعية مثلهم ومن الرجالة ثمانية عشر ألفا وذلك فى شهر ربيع الاول من السنة ومن سوء الاتفاق أن الوالى أمر صاحب شرطته أن يأتيه بأربعة من كبراء المصر فساقهم وضرب أعناقهم وكان فيهم ابنا خاله وخالهما أبو حفص بن سيرى ذو المكانة الوجيهة فاجتمعت الرعية الى ابن سيرى فأخبروه بما نزل وعزوه فيمن قتل وقالوا هذا أمر لا يطاق ونحن كل يوم الى الموت نساق وعاهدوه على طلب الثار وأصبح الوالى يوم الجمعة منتصف شوّال والناس من خوفه فى أهوال ومن أمر العدو فى اهمال فأمر صاحب شرطته باحضار خمسين من أهل الوجاهة والنعمة فأحضرهم واذا بفارس على هيئة النذير دخل الى الوالى وأخبره بأن الروم قد أقبلت وانه عدّ فوق الاربعين من القلوع ومافرغ من اعلامه حتى ورد آخر من جانب آخر وقال ان اسطول العدو قد تظاهر وقال انه عدّ سبعين شراعا فصح الامر عنده فسمح لهم بالصفح والعفو وعرّفهم بخبر العدو وأمرهم بالتجهز فخرجوا الى دورهم كانما نشروا من قبورهم ثم ورد الخبر أن العدو قرب من البلد فانهم عدّوا مائة وخمسين قلعا ولما عبر وقصد المرسى أخرج الوالى جماعة تمنعهم النزول فبادروا على المرسى فى الرجل والخيل وفى الثامن عشر من شوّال وهو يوم الاثنين وقع المصاف وانهزم المسلمون وارتحل النصارى الى المدينة ونزلوا منها على الحربية الحزنية من جهة باب الكحل ولم يزل الامر فى شدّة وقد أشرفوا على أخذ البلد ولما رأى ابن سيرى ان العدو قد استولى على البلد خرج الى البادية ولما كان يوم الجمعة الحادى عشر من صفر قاتلوا البلد قتالا شديدا ولما كان يوم الاحد أخذ البلد وأخذ منه أربعة وعشرون ألفا قتلوا على دم واحد وأخذ الوالى وعذب وعاش بعد ذلك خمسة وأربعين يوما ومات تحت العذاب وأما ابن سيرى فانه صعد الى الجبل وهو منيع لا ينال من تحصن فيه وجمع عنده ستة عشر ألف مقاتل ومازال يقاتل الى أن قتل يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وستمائة وجدّه من آل جبلة بن الايهم الغسانى وأما الحصون فأخذت فى آخر رجب سنة ثمان وعشرين وستمائة وفى شهر شعبان لحق من نجا من المسلمين الى بلاد الاسلام انتهى ماذكره ابن عميرة المخزومى ملخصا * وكان بميورقة جماعة اعلام وشعراء ومن شعر ابن عبد الولى الميورقى

هل أمان من لحظك الفتان * وقوام يميل كالخيزران
مهجتى منك فى جحيم ولكن جفونى قد متعت فى جنان
فتنقى لواحظ ساحرات * لست أخشى من فتنة الشيطان

ولما استولى النصارى على ميورقة فى التاريخ المتقدم ثار بجزيرة ميورقة وهى قريبة منها الجواد العادل العالم أبو عثمان سعيد بن حكم التوشى وكان وليها من قبل الوالى أبى يحيى المتوكل وتصالح مع النصارى على ضريبة معلومة واشترط أن لا يدخل جزيرته أحد من النصارى وضبطها أحسن ضبط قال أبو الحسن على بن سعيد أخبرنى أحد من اجتمع به انه لقى منه بزا حبب اليه الاقامة فى تلك الجزيرة المنقطعة وذكر انه ركب معه فنظر الى

حمالة سيف ضيقة قد أثرت فى عنقه فأمر له باحسان وغنباز وكتب معه

حمالة السيف توهى جيد حاملها * لاسيما يوم امراع و انجاز
وخير ما استعمل الانسان يومئذ * لحسم علتها الباس غنباز

والغنباز عند أهل المغرب صنف من الملبوس غليظ يتراعنق * وأصل أبى عثمان من مدينة طليرة من غرب الاندلس وقد ألفت باسمه التاليف المشهورة بالمغرب ككتاب روح الشجر وروح الشعر وغيره * وأخذ العدو ميورقة بعد مدة * وأخذ العدو جزيرة شقر صلحا سنة تسع وثلاثين وستمائة فى آخرها * وأخذ العدو دمره الله تعالى مدينة سرقسطة يوم الاربعاء لاربع خلون من رمضان سنة اثنتى عشرة وخمسمائة * وكان استيلاء الافرنج على شرق الاندلس شاطبة وغيرها واجلاؤهم من بشاركهم من المسلمين فيما تغلبوا عليه منها فى شهر رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة * وكان استيلاء العدو دمره الله تعالى على مدينة قرطبة يوم الاحد الثالث والعشرين من شوال سنة ست وثلاثين وستمائة * وكان تملك العدو مرسية صلحا ظهر يوم الخميس العاشر من شوال قدم أحمد بن محمد بن هود ولد والى مرسية بجماعة من وجوه النصارى فملكهم اياها صلحا ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * وحصر العدو اشبيلية سنة خمس وأربعين وستمائة * وفى يوم الاثنين الخامس من شعبان المسنة بعدها ملكها الطاغية صاحب قشتالة صلحا بعد منازلتها حولا كاملا وخمسة أشهر أو نحوها * وقال ابن الابار فى ترجمة أبى على الشلوبين من التكملة ما صورته وتوفى بين يدى منازلة الروم اشبيلية ليلة الخميس منتصف صفر سنة خمس وأربعين وستمائة وفى العام القابل ملكها الروم انتهى * وكانت وقعة أنيجة التى قتل فيها الحافظ أبو الربيع الكلاعى رحمه الله تعالى يوم الخميس لعشر بقين من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وستمائة ولم يزل رحمه الله تعالى متقدما أمام الصفوف زحفا الى الكفار مقبلا على العدو ينادى بالمنهزمين أعن الجنة تفرون حتى قتل صابرا محتسبا برد الله تعالى مضجعه وكان دائما يقول ان منتهى عمره سبعون سنة لرؤيا رآها فى صغره فكان كذلك ورثاه تلميذه الحافظ أبو عبد الله بن الابار بقصيدته الميمية الشهيرة التى أولها

ألما باشلاء العلا والمكارم * تقد بأطراف القنا والصوارم
وعوجا عليها ماربا ومفازة * مصارع خصت بالطلى والجماجم
تحيى وجوها فى الجنان وجبهة * مجاسد من نسج الظبا واللهازم

وهى طويلة ومن شعر الحافظ أبى الربيع المذكور

توالت ليال للغواية جون * ووافى صباح للرشاد مبين
ركاب شباب أزمعت عنك رحلة * وجيش مشيب جهزته متون
ولا أكذب الرحمن فيما أجنه * وكيف ولا يخفى عليه جنين
ومن لم يخل أن الرباء بشينه * فمن مذهبى أن الرباء يشين
لقد ربع قلبى للشباب وفقده * كما ربع بالعلق الفقيد ضنين
وآنى وخط المشيب بلمتى * لخطت بقلبى للشجون فنون

وليل شبابى كان انضر منظرا * وآنق مهما لاحظته عيون
فآها على عيش تكدر صفوه * وأنس خلا منه صفا وحجون
ويا ويح نودى أو فؤادى كلما * تزيد شيبى كيف بعد يكون
حرام على قلبى سكون بغرة * وكيف مع الشيب الممض سكون
وقالوا شباب المرء شعبة جنة * فمالى عسرانى للمشيب جنون
وقالوا اشجال الشيب حدثان ما أتى * ولم يعلموا أن الحديث شجون

وقال أيضا

أمولى الموالى ليس غيرك لى مولى * وما أحد يارب منك بذا أولى
تبارك وجه وجهت نحوه المنى * فاوزعها شكرا وأوسعها طولا
وما هو الا وجهك الدائم الذى * أقل حلى عليائه يخرس القولا
تبرأت من حولى اليك وقوتى * فكن قوتى فى مطلبى وكن الحولا
وهب لى الرضا مالى سوى ذاك مبتغى * ولو لقيت نفسى على نيله الهولا

وكان رحمه الله تعالى حافظا للحديث مبرزا فى نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لاحكام أسانيده ذاكرا لرجاله ربان من الادب خطب بيلنسية واستقضى وكان مع ذلك من أولى الحزم والبسالة والاقدام والجزالة حضر الغزوات وباشر القتال بنفسه وابلى بلاء حسنا وروى عن أبى القاسم بن حبيش وطبقته وصنف كتبا منها مصباح الظلم فى الحديث والاربعون عن أربعين شيخا لاربعين من الصحابة والاربعون السباعية والسباعيات من حديث الصدفى وحلية الامالى فى الموافقات والعوالى وتحفة الزواد ونجعة الوراد والمسلسلات والانشادات وكتاب الاكتفاء فى مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازى الثلاثة الخلفاء ومسدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين فى غرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله والمعجم فيمن وافقت كنيته زوجه من الصحابة والاعلام باخبار البخارى الامام والمعجم فى مشيخة أبى القاسم بن حبيش وبرنامج رواياته وجنى الرطب فى سنى الخطب ونكتة الامثال ونفثة السحر الحلال وجهد التصيح فى معارضة المعرى فى خطبة الفصيح والامتثال لمثال المبهج فى ابتداع الحكم واختراع الامثال ومفاوضة القلب والعليل منابذة الامل الطويل بطريقة المعرى فى ملتقى السبيل ومجاز فتى اللحن للاحن الممتحن مائة مسئلة ملغزة ونتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم فى مثال النعل النبوية على لابسها الصلاة والسلام قال ابن رشيد لو قال وزكاة النثير والنظيم لكان أحسن وله كتاب العصف المنثور فى القطع المعشره وديوان رسائله سفر وديوان شعره سفر وكتب الى الاديب الشهير أبى بحر صفوان بن ادريس المرسى عقب انفصاله من بلنسية سنة ٥٨٧

أحن الى نجد ومن حل فى نجد * وماذا الذى يغنى حنينى أو يجدى
وقد أوطنوها وادعين وخلفوا * محبهم رهن الصبابة والوجد
تبين بالبين اشتياقى اليهم * ووجدى فساوى ما أجن الذى أبدى

وضاقت علىّ الارض حتى كأنها * وشاح بخصر أو سوار على زند
الى الله أشكو ما ألاقى من الجوى * وبعض الذى لاقيته من جوى يردى
فراق اخلاء وصد أحبة * كان صروف الدهر كانت على وعد
فيا سر حتى نجد ندا ممتيم * له أبدا شوق الى سر حتى نجد
ظمئت فهل طل يبرد لوعتى * ضحيت فهل ظل يسكن من وجدى
ويازمنا قد بان غير مذمم * لعل لانس قد تصرم من رد
ليالى نجنى الانس من شجر المنى * وتقطف زهر الوصل من شجر الصد
وسقيا لاخوان باكناف حاجر * كرام السجايا لا يحولون عن عهد
وكم لى بنجد من سرى ممجد * ولا كباب ادريس أخى البشر والمجد
أخو همة كالزهر فى بعد نيلها * وذو خلق كالزهر غب الحيا العد
تجمعت الاضداد فيه حميدة * فمن خلق سبط ومن حسب جعد
أيا راحلا أودى بصبرى رحيله * وفل من عزمى وثلم من حدى
أتعلم مايلقى الفؤاد لبعدكم * الا مذ نايتم مايعيد ولا يبدى
فيا بيت شعرى هل تعود لنا المنى * وعيش كما نمت حاشيتى برد
عسى الله أن يدنى السرور بقربكم * فيبدو ومنا الشمل منتظم العقد

انتهى * وقال الحافظ القاضى أبو بكر بن العربى فى أحكام القرآن عند تفسير قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا ماصورته ولقد نزل بنا العدو فصمه الله تعالى سنة سبع وعشرين وخمسمائة فجاس ديارنا وأسر جيرتنا وتوسط بلادنا فى عدد حدد الناس عدده فكان كثيرا وان لم يبلغ ماحددوه فقلت للوالى والمولى عليه هذا عدو الله قد حصل فى الشرك والشبكة فلتكن عندكم بركة ولتكن منكم الى نصرة الدين المتعينة عليكم حركة فليخرج اليه جميع الناس حتى لايبقى منهم أحد فى جميع الاقطار فيحاط بهم فانهالك لامحالة وان يسركم الله له فغلبت الذنوب وربجفت بالمعاصى القلوب وصار كل أحد من الناس ثعلبا يأوى الى وجاره وان رأى المكيدة بجاره فانا لله وانا اليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل انتهى * ولا خفاء أن هذا كان قبل أخذ العدو الجزيرة وشرق الاندلس وسرقسطة وميورقة وغيرها مما قدمنا ذكره والبدايات عنوان النهايات * وقال أبو جعفر الوقشى البلنسى نزيل مالقة يمدح أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على

ابت غير ماء بالنخيل وروردا * وهامت به عذب الحمام بروردا
وقالت لحاديها أتم زيارة * على العشر فى وردى له فازيدا
غلبتك ماهذا القنوع وما أنا * عهدتك لاتثنين عنه وريدا
أنونا اذا ما كنت منه قريبة * وضبا اذا ما كان عنك بعيدا
ردى حضرة الملك الظليل رواقه * لعمرى ففيها تحمدين ورودا
بحيث امام الدين يوسع فضله * جميع البرايا مبدئا ومعيدا
أعاد اليها الانس بعد شروده * وأحيا لنا ما كان منه أبيدا

ولين ايام الزمان بعده * وكانت حديدا فى الخطوب حديدا
فلا ليلة الا يروقك حسنها * ولا يوم الاعاد يفضل عيدا

ومنها يصف حال الاندلس ويبعث على الجهاد

الا ليت شعرى هل يمدن لى المدى * فابصر شمل المشركين طريدا
وهل بعد يقضى فى النصارى بنصرة * تغادرهم للمرهفات حصيدا
ويغزو أبو يعقوب فى شنت ياقب * يعيد عميد الكافرين عميدا
ويلقى على انفر نجهم عب كلكل * فيتركهم فوق الصعيد هجودا
يغادرهم جرحى وقتلى مبرحا * ركوعا على وجه الفلا وسجودا
ويفتك من أيدى الطغاة نواعما * تبدلن من نظم الحجول قيودا
وأقبلن فى خشن المسوح وطالما * سحبن من الوشى الرقيق برودا
وغيرن منهن التراب ترائبا * وخدد منهن الهجير خدودا
فحق لدمعى أن يفيض لازرق * تملكها دعج المدامع سودا
ويالهف نفسى من معاصم طفلة * تجاور بالقد الاليم نهودا
ويا أسفى ما ان يزال مردا * على شمل أعياد أعيد بديدا
وآها بعد الصوت منتحبا على * خلو ديار أو يكون مفيدا

وقال فى آخرها وهو مما استحسنه الناس

حملت اليه من نظامى قلادة * يلقبها أهل الكلام قصيدا
غدت يوم انشاد القريض وحيدة * كما قصدت فى المعلوات وحيدا

ولما تمهدت الاندلس لعبد المؤمن وبنيه كان لهم فيها وقائع مع عدو الدين واجتاز اليها عبد المؤمن ثم لما ولى بعده ملكها ابنه يوسف دخل الاندلس سنة ٥٦٦ وفى صحبته مائة ألف فارس من المغرب والموحدين فنزل باشبيلية فخافه الامير أبو عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش صاحب شرق الاندلس مرسية وأعمالها وما انضاف اليها فحمل على قلبه فرضخات وشرع السلطان يوسف فى استرجاع بلاد المسلمين من أيدى الفرنج فاتسعت مملكته بالاندلس واغارت سراياه على طليطلة اذهى قاعدة ملكهم ثم انه حاصرها فاجتمعت طائفة الفرنج عليه واشتد الغلاء فى عسكره فرحل عنها وعاد الى حضرة ملكه مراكش المحروسة * ولم يزل أهل الاندلس بعد ظهور النصارى دمرهم الله تعالى على كثير منها يستنهضون عزائم الملوك والسوقة لاخذ الثار بالنظم والنثار فلم ينفعهم ذلك حتى اتسع الخرق واعضل الداء أهل الغرب والشرق فمن القصائد الموجهة فى ذلك قول بعضهم لما أخذت بلنسية يخاطب صاحب افريقية أبا زكريا عبد الواحد بن أبى حفص

نادتك أندلس فلب نداءها * واجعل طواغيت الصليب فداءها
صرخت بدعوتك العلية فاجبها * من عاطفاتك ما يقى حوباءها
واشدد بجلبك جرد خيلك أزرها * تردد على أعقابها أرزاءها
هى دارك القصوى اوت لايالة * ضمنت لها مع نصرها ايواءها

وبها عبيدك لا بقاء لهم سوى * سبل الضراعة يسلكون سواءها
خلعت قلوبهم هنالك عزاءها * لما رأت أبصارهم ماساءها
دفعوا لابكار الخطوب وعونها * فهم الغداة يصابرون عناءها
وتنكرت لهم الليالى فاقتضت * سرّاءها وقضتهم ضرّاءها
تلك الجزيرة لا بقاء لها اذا * لم يضمن الفتح القريب بقاءها
رش أيها المولى الرحيم جناحها * واعقد بارشية النجاة رشاءها
اشفى على طرف الحياة ذماؤها * فاستبق للدين الحنيف ذماءها
حاشاك أن تفنى حشاشتها وقد * قصرت عليك نداءها ورجاءها
طافت بطائفة الهدى آمالها * ترجو يحيى المرتضى احياءها
واستشرفت أمصارها لامارة * عقدت لنصر المستضام لواءها
يا حسرتى لعقائل نسل معتولة * سُمّ الهدى نحو الضلال هداءها
انه بلنسية وفى ذكر الذما * يمرى الشؤن دماءها لا ماءها
كيف السبيل الى احتلال معاهد * شبّ الاعاجم دونها هيجاءها
والى ربا وأباطح لم تعر من * حلل الربيع مصيفها وشتاءها
طاب المعرّس والمقيل خلالها * وتطلعت غرر المنى أثناءها
بأبى مدارس كالطلول دوارس * نسخت نواقيس الصليب نداءها
ومصانع كف الضلال صباحها * فيخاله الرائى اليه مساءها
ناحت بها الورقاء تسمع شدوها * وغدت ترجع نوحها وبكاءها
عجبا لاهل النار حلوا جنة * منها تمدّ عليهم أفياءها
املت لهم فتعجلوا ما أمّلوا * أيامهم لا سوّغوا املاءها
بعد النفوس ابصرت اسلامها * فتوكفت عن حزبها اسلاءها
أمّا العلوج فقد أحالوا حالها * فمن المطيق علاجها وشفاءها
أهدى اليها بالمكاره جارح * للكفر كرّه ماءها وهواءها
وكفى أسى أن الفواجع جمة * فمتى يقاوم أسوها أسواءها
هيهات فى نظر الامارة كف ما * تخشاه ليث الشكر كان كفاءها
مولاى هالك معادة أبناءها * لتنيل منك معادة أبناءها
جرّد ظبالك لمحو آثار العدا * تقتل ضراغمها وتسب ظباءها
واستدع طائفة الامام لغزوها * تسبق الى أمثالها استدعاءها
لا غروان يعزى الظهور لملة * لم يبرحوا دون الورى ظهراءها
ان الاعاجم للاعارب نهبة * مهما امرت بغزوها أحياءها
ناقه لو دبت لها أدبابها * لطوت عليها أرضها وسماءها
ولو استقلت عوفها لقتالها * لاستقبلت بالمقربات عفاءها
أرسل جوارحها تجئك بصيدها * صيدا وناد لطعنها أرحاءها

هبوا لها يامعشر التوحيد قد * آن الهبوب وأحرزوا علياءها
ان الحفائظ من خلالكم التقى * لايرهب الداعى بهن خلاءها
هى نكتة الحيا فيهلا بها * تجدوا سناها فى غد وسناءها
أولوا الجزيرة نصرة ان العدا * تبغى على أقطارها استيلاءها
نقصت باهل الشرك من أطرافها * فاستخفظوا بالمؤمنين نماءها
حاشاكم أن تضمروا الغاءها * فى أزمة أو تضمروا اقصاءها
خوضوا اليها بحرها يصبح لكم * رهوا وجوبوا نحوها بيداءها
وافى الصريخ منوبا يدعوها * فلتجملوا قصد الثواب نواءها
دار الجهاد فلا تفتكم ساحة * ساوت بها أحياؤها شهداءها
هذى رسائلها تناجى بالتى * وقفت عليها ريثها ونجاءها
ولربما أنهت سوالب للنهى * من كائنات حملت انهاءها
وفدت على الدار العزيزة تجتنى * آلاءها أو تجتلى آراءها
مستسقيات من غيوث غيائها * ماوقعه يتقدم استسقاءها
قد امنت فى سبلها اهواءها * اذ سوغت فى ظلها أهواءها
ويحسبها أن الامير المرتضى * مترقب بفتوحها آناءها
فى الله ماينويه من ادراكها * بكلاءة يفدى أبى اكلاءها
بشرى لاندلس تحب لقاءه * ويحب فى ذات الاله لقاءها
صدق الرواة المخبرون بأنه * يشفى ضناها أو يعيد رواءها
ان دوخ العرب الصعاب مقادة * وأبى عليها أن تطيع اباءها
فكأن بفيلقه العرمرم قالقا * هام الاعاجم ناسفا أرجاءها
انذرهم بالبطشة الكبرى فقد * نذرت صوارمه الرقاق دماءها
لايعدم الزمن انتصار مؤيد * تنسوغ الدنيا به سراءها
ملك امد النيرين بنوره * وا فاده لالاؤه لالاءها
خضعت جبابرة الملوك لعزه * ونضت بكف صغارها خيلاءها
أبقى أبو حفص امارته له * فسما اليها حامدا أعباءها
سل دعوة المهدى عن آثاره * تنبيك أن ظباءها من ازاءها
فغزا عداها واسترق رقابها * وحمى حماها واسترد بهاءها
قبضت يداه على البسيطة قبضة * قادت له فى قبضه امراءها
فعلى المشارق والمغارب ميسم * لهداه شرف وسمه أسماءها
تطمو بتونسها بحار جيوشه * فيزور زاخر موجها زوراءها
وسع الزمان فضاق عنه جلالة * والارض طرا ضنكها وفضاءها
ما ازمع الايغال فى اكنافها * الا تصيد عزمه زعماءها
دانت له الدنيا وشم ملوكها * فاحتل من رتب العلى شماءها

وردت سعادته على أدراجها * ليل الزمان ونهنهت علداءها
ان يعتم الدول العزيزة بأسه * فالآن يولى جوده اعطاءها
تقع الجلائل وهو راس راسخ * فيها يوقع للسعود جلاءها
كالطود فى عصف الرياح وقصفها * لاردوها يخشى ولا هوجاءها
سامى الذوائب فى أعز ذؤابة * أعلت على قمم النجوم بناءها
بركت بكل محلة بركاته * شفعا يبادر بذلها شفعاءها
كالغيث صب على البسيطة صوبه * فسقى عمائرها وجاد قواءها
يممه عبد الواحد الارضى الى * عليا فتمخ بأسها وسخاءها
فى بعشة كرمت وطابت مغرسا * وسمت وطالت نضرة نظراءها
ظهرت لمحتدها السماء وجاوزت * لسراد قات نخارها جوزاءها
فئة كرام لا تكف عن الوغى * حتى تصرع حولها أكفاءها
وتكب فى نار القرى فوق الذرى * من عزة الوبها وكباءها
قد خلقوا الايام طيب خلائق * فنفت اليهم حمدها وثناءها
ينضون فى طلب النفائس أنفسا * حبسوا على احرازها امضاءها
واذا انتضوا يوم الكريهة بيضهم * ابصرت فيهم قطعها ومضاءها
لا عذر عند المكرمات لهم متى * لم يستبن لعفاتكم عذراءها
قوم الامير فمن يقوم بمالهم * من صالحات أخفت شعراءها
صفحا جميلا أيها الملك الرضى * عن محكمات لم نطق احصاءها
تقف القوافى دونهن حسيرة * لا عيها تخفى ولا اعياءها
فلعل عليا كم تسامح راجيا * اصفاءها ومؤملا اغضاءها

ومن ذلك قول بعضهم يندب طليطلة أعادها الله تعالى للاسلام

لشكلك كيف تبتسم الثغور * سرورا بعد ما يبست نغور
اما وأبى مصاب هد منه * ثبير الدين فانصل الثبور
لقد قصمت ظهور حين قالوا * أمير الكافرين له ظهور
ترى فى الدهر مسرورا بعيش * مضى عنا لطيته السرور
أليس بها أبى النفس شهم * يدير على الدوائر اذ تدور
لقد خضعت رقاب كن غلبا * وزال عتوها ومضى النفور
وهان على عزيز القوم ذل * وساح فى الحريم فتى غيور
طليطلة أباح الكفر منها * حماها ان ذا نبأ كبير
فليس مثالها ايوان كسرى * ولا منها الخورنق والسدير
محصنة محسنة بعيد * تناولها ومطلبها عسير
ألم تك معقلا للدين صعبا * فذل له كما شاء القدير
وأخرج أهلها منها جميعا * فصاروا حيث شاء بهم مصير

وكانت

قوله لم يستبن الخ هكذا فى الاصل ولا يخفى ما فيه فلعل الاولى أن يقال (ما يستبين عفاتهم عذراءها) أو نحو ذلك تأمل اه مصححه

وكانت دار ايمان وعلم * معالمها التى طمست تنير
فعادت دار كفر وصلفاة * قد اضطربت بأهليها الامور
مساجدها كنائس أى قلب * على هذا يقر ولا يطير
فيا أسفاه يا أسفاه حزنا * يكرر ما تكررت الدهور
وينشر كل حسن ليس يطوى * الى يوم يكون به النشور
اديلت قاصرات الطرف كانت * مصونات مساكنها القصور
وأدركها فتور فى انتظار * لسرب فى لواظه فتور
وكان بناؤها بالقينات أولى * لو انضمت على الكل القبور
لقد سخنت بحالتهن عين * وكيف يصح مغلوب قرير
لئن غبنا عن الاخوان انا * باحزان وأشجان حضور
نذور كان للايام فيهم * بهلكهم فقد وفت النذور
فان قلنا العقوبة أدركتهم * وجاءهم من الله النكير
فانا مثلهم وأشد منهم * نجور وكيف يسلم من يجور
أنامن أن يحل بنا انتقام * وفينا الفسق أجمع والفجور
وأكل للحرام ولا اضطرار * اليه فيسهل الامر العسير
ولكن جرأة فى عقر دار * كذلك يفعل الكلب العقور
يزول الستر عن قوم اذاما * على العصيان أرخيت الستور
يطول على ليلى رب خطب * يطول لهوله الليل القصير
خذوا ثار الديانة وانصروها * فقد حامت على القتلى النسور
ولا تهنوا وسلوا كل عضب * تهاب مضاربا عنه النحور
وموتوا كلكم فالموت أولى * بكم من أن تجاروا أو تجوروا
اصبرا بعد سبى وامتهان * يلام عليهما القلب الصبور
فأم الصبر مذ كارولود * وأم الصقر مقلات نزور
نخور اذا دهينا بالرزايا * وليس بمجب بقر يخور
ونجبن ليس نزأر لو شجعنا * ولم نجبن لكان لنا زئير
لقد ساءت بنا الاخبار حتى * أمات المخبرين بها الخبير
أتتنا الكتب فيها كل شر * وبشرنا بحسنا البشير
وقيل تجمعوا لفراق شمل * طليطلة تملكها الكفور
فقل فى خطة فيها صغار * يشيب لكربها الطفل الصغير
لقد صم الجميع فلم يعوّل * على نبأ كما عمى البصير
تجاذبنا الاعادى باصطناع * فينجذب المخوّل والفقير
فباق فى الديانة تحت خزى * تثبطه الشويهة والبعير
وآخر مارق هانت عليه * مصائب دينه فله السعير

كفى حزنا بأن الناس قالوا * الى أين التحول والمسير
أنترك دورنا ونفر عنها * وليس لنا وراء البحر دور
ولا نم الضياع تروق حسنا * نباكرها فيجبينا البكور
وظل وارف وخرير ماء * فلا قر هنالك ولا حرور
ويؤكل من فواكهها طريا * ويشرب من جداولها غمير
يؤدى مغرم فى كل شهر * ويؤخذ كل سابعة عشور
فهم أحمى لحوزتنا وأولى * بناوهم الموالى والعشير
لقد ذهب اليقين فلا يقين * وغر القوم بالله الغرور
فلا دين ولا دنيا ولكن * غرور بالمعيشة ما غرور
رضوا بالرق بالله ماذا * رآه وما أشار به مشير
مضى الاسلام فابك دما عليه * فما ينفى الجوى الدمع الغزير
ونح واندب رفاقا فى فلاة * حيارى لا تحط ولا تسير
ولا تصغ الى سلم وحارب * عسى أن يجبر العظم الكسير
أتعمى عن مراشدنا جميعا * وما ان منهم الا بصير
ونلقى واحدا ويفر جمع * كما عن قانص فرت جمير
ولو أنا ثبتنا كان خيرا * ولكن مالناكرم وخير
اذا ما لم يكن صبر جميل * فليس بنافع عدد كثير
الا رجل له رأى أصيل * به مما نحاذر نستجير
يكر اذا السيوف تناولته * وأين بنا اذا ولت كرور
ويطعن بالقنا الخطار حتى * يقول الرمح ما هذا الخطير
عظيم أن يكون الناس طرا * باندلس قتيل أو أسير
اذكر بالقراع الليث حرصا * على أن يقرع البيض الذكور
يبادر خرقها قبل اتساع * لخطب منه تخسف البدور
يوسع للذى يلقاه صدرا * فقد ضاقت بما تلقى صدور
تنغصت الحياة فلا حياة * وودع جيرة اذ لا مجير
فليل فيه هم متكن * ويوم فيه شر مستطير
ونرجو أن يتيح الله نصرا * عليهم انه نعم النصير

ومن مشهور ما قيل فى ذلك قول الاديب الشهير أبى البقاء صالح بن شريف الرندى رحمه الله تعالى

لكل شئ اذا ما تم نقصان * فلا يغر بطيب العيش انسان
هى الامور كما شاهدتها دول * من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد * ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابغة * اذا نبت مشرفيات وخرصان

وينتضى كل سيف للفناء ولو * كان ابن ذى يزن والغمد غمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يمن * وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ماشاده شداد فى ارم * وأين ماساسه فى الفرس ساسان
وأين ماحازه قارون من ذهب * وأين عاد وشداد وقحطان
أتى على الكل أمر لامرد له * حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك * كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على كسرى وفاتله * وأم كسرى فما آواه ايوان
كذا قضت الدهر أن لا يدوم رخا * ولا يدوم على حال لها شان
فجائع الدهر أنواع منوعة * وللزمان مسرات وأحزان
وللحوادث سلوان يسهلها * وما لما حل بالاسلام سلوان
دهى الجزيرة أمر لاعزاء له * هوى له أحد وانهد ثهلان
أصابها العين فى الاسلام فارتزأت * حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بلنسية ماشان مرسية * وأين شاطبة أم أين جيان
وأين قرطبة دار العلوم فكم * من عالم قد سما فيها له شان
وأين حمص وما تحويه من نزه * ونهرها العذب فياض وملآن
قواعدكن أركان البلاد فما * عسى البقاء اذا لم تبق أركان
تبكى الحنيفية البيضاء من أسف * كما بكى لفراق الالف هيمان
على ديار من الاسلام خالية * قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما * فيهن الا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكى وهى جامدة * حتى المنابر ترثى وهى عيدان
ياغافلا وله فى الدهر موعظة * ان كنت فى سنة فالدهر يقظان
وماشيا مرحا يلهيه موطنه * أبعد حمص تغر المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ماتقدمها * ومالها مع طول الدهر نسيان
ياراكبين عتاق الخيل ضامرة * كأنها فى مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة * كأنها فى ظلام النقع نيران
وراتعين وراء البحر فى دعة * لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أهل أندلس * فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم * قتلى وأسرى فما يهتز انسان
ماذا التقاطع فى الاسلام بينكم * وأنتم ياعباد الله اخوان
ألا نفوس أبيات لها همم * أما على الخير أنصار وأعوان
يامن لذلة قوم بعد عزهم * أحال حالهم كفر وطغيان
بالامس كانوا ملوكا فى منازلهم * واليوم هم فى بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لادليل لهم * عليهم من ثياب الذل ألوان

ولو رأيت بكاهم عند بيعهم * لها لك الامر واستهوتك أحزان
يارب أم وطفل حيل بينهما * كما تفرق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس اذ طلعت * كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة * والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد * ان كان في القلب اسلام وايمان

انتهت القصيدة الفريدة ويوجد بأيدي بعض الناس زيادات فيها ذكر غرناطة وبسطة وغيرهما مما أخذ من البلاد بعد موت صالح بن شريف وما اعتمدته منها نقلته من خط من يوثق به على ما كتبته ومن له أدنى ذوق علم أن ما يزيدون فيها من الابيات ليست تقارب في البلاغة وغالب ظني أن تلك الزيادة لما أخذت غرناطة وجميع بلاد الاندلس اذ كان أهلها يستنهضون هم الملوك بالمشرق والمغرب فكان بعضهم لما أعجبته قصيدة صالح بن شريف زاد فيها تلك الزيادات وقد بينت ذلك في أزهار الرياض فليراجع وصالح بن شريف الرندي صاحب القصيدة من أشهر أدباء الاندلس ومن بديع نظمه قوله

سلم على الحي بذات العرار * وحي من أجل الحبيب الديار
وخل من لام على حبهم * فما على العشاق في الذل عار
ولا تقصر في اغتنام المنى * فما لياني الانس الا قصار
وانما العيش لمن رامه * نفس تدارى وكؤس تدار
وروحه الراح وريحانه * في طيبه بالوصل أو بالعقار
لا صبر للشيء على ضده * والخمر والهم كماء ونار
مدامة مدينة للمنى * في رقة الدمع ولون النضار
سما أبو ريق أبا ريقها * تنافست فيها النفوس الكبار
معلقي والبر من علقي * ما أطيب الخمرة لولا الخمار
ما أحسن النار التي شكلها * كالماء لو كف شرار الشرار
وبي وان عذبت في حبه * بعده على اقتراب المزار
ظبي غرير نام عن لوعتي * ولا أذوق النوم الا غرار
ذو وجنة كأنها روضة * قد بهر الورد بها والبهار
رجعت للصبوة في حبه * وطاعة اللهو وخلع العذار
ياقوم قولوا بذمام الهوى * أهكذا يفعل بالصغار
وليلة بهت أجفانها * والفجر قد فجر نهر النهار
والليل كالمهزوم يوم الوغى * والشهب مثل الشهب عند الفرار
كأنما استخفى الصباح خيفة * وطوالب النجم بثار فثار
كذا لما شابت نواصي الدجا * وطير النسر أخاه فطار
وفي الثريا قمر سافر * عن غرة غير منها السفار
كأن عنقودا تثنى به * اذ صار كالعرجون عند السرار

كأنها

كأنها تسبك دينارة * وكفها يفتل منه السوار
كأنما الظلماء مظلومة * تحكم الفجر عليها الجبار
كأنما الصبح لمشتاقه * عز غنى من بعد ذل افتقار
كأنما الشمس وقد أشرقت * وجه أبى عبد الاله استنار
محمد محمد كاسمه * شخص له فى كل معنى يشار
أما المعالى فهو قطب لها * والقطب لاشك عليه المدار
مؤثل المجد صريح العلى * مهذب الطبع كريم النجار
تزهى به نخم وساداتها * وتنتمى قيس له فى الفخار
يفيض من جود يديه على * عافيه مامنه تحار البحار
اليمن من يمناه حكم جرى * واليسر من شيمة تلك اليسار
أخ صفا منه لنا واحد * فالدهر مما قد جنى فى اعتذار
فان شكرنا فضله مرة * فقد سكرنا من نداه مرار
ونحن منه فى جوار العلى * تدور للسعد بنا منه دار
الحافظ الله وأسماؤه * لذلك الجار وذاك الجوار

(رجع) وقد رأيت أن أثبت هنا رسالة خاطب بها الكاتب البارع القاضى أبو المطرف ابن عميرة المخزومى الشيخ الحافظ أبا عبد الله بن الابار يذكر له أخذ العدو مدينة بلنسية وهى

ألافئة للدهر تدنو بمن نأى * وبقيا يرى منها خلاف الذى رأى
ويا من عذيرى منه يعذر من أوى * اليه ولا يدرى سوى خلف من وأى
ذخائر ما فى البر والبحر صيده * فلا لؤلؤا بقى عليه ولا واى

أيها الاخ الذى دهش ناظرى لكتابه بعد أن أدهش خاطرى من اغترابه وسرنى من بشره ايماض بعد أن ساءنى من جهته اعراض جرت على ذكره الصلة فقوم قدح نبعتها وروى أكناف قلعتها وأحدث ذكرا من عهدنا الماضى فنقط وجه عروسه وشعشع خمر كؤسه وسقى بماء الشبيبة ثراه وأبرز مثال مرآة الغريبة مرآه فبورك فيه أحوذيا وصل رحمه وكسا منظره من البهجة ما كان حرمه وحيا الله تعالى منه وليا على سالف عهدى تمادى وبشعار ودى نادى وبين والاحسان شيمته وأبان والبيان لا تنجاب عنه ديمته ولا تغلو بغير قلة قيمته واعتذر عن كلمة تمنى تبديلها ودعوة ذكر وجوم النادى لها ثم أرسلها ترجف بوادرها من خيفه وتوغر زعم صدور رقم وصحيفه وتندر من ريحانة قريش أن تمنعه عرفها وتحدق اليه طرفها واتقى غارة على غره من الناجى برأس طمره ولم يأمن هجران المهاجر بعد وصله وعكر عكرمة المغطى بحمله على أبى جهله وعند ذكر كتيبة خالد أجم وذكر يوم أحاطت به فارس فاستلجم فاعتذر عما قال وأضمر الحذر الآن يقال فهلا أيها الموفى على علمه النافث بسحر قلمه أتقن منزلتك فى البلاغة ومهيعها لاحب ومنزعها بالعقول لاعب تسفل وقد ترفعت أو تخفى وان تلفعت

عرفنا لياسوده وشهرت حلة عطارد الملاحة والجوده فلم حين تهيب الاخ الاوحد من
قصى غطارفها ولو استشار من حفائظها تالدها وطارفها لم يأت كريد قومه عند أبيها
وقدرام خطة أشرف على تأبيها حين أهاب بكم لمهمه ودعا منكم أخاه لأمه ولولا ذلك
لما خلا له وجه الكعبه ولا خلص من تلك المضايق الصعبه وبأن أعرتموه نجدتكم
الموصوفه غلب على ما كان بأيدى صوفه فكيف نجحد اليد عندعنا أو نشحذ أسنة
الالسنة لذمتنا أو كيف نلقاكم بجحدنا وأبوكم بكر معدنا وما تيامنكم الى سبا بن يشجب
وان أطلنا فيه التعجب بالذى يقطع أرحامنا ويمنع اشتباكنا والتحامنا بعد أن شددنا
فعالنا بفعالكم ورأينا أقدامنا فى نعالكم ولو شئتم توعدتم بأسود سودد كم عند الاقدام
والحاح الحافكم فى ضرب الهام لكن نقول ان قومنا الكرام ولو شاؤا كان لنا فيكم
شره وعرام وأعود من حيث بدأ الاخ الذى أبثه شوقى وأتطعم حلاوة عشرته باقية
فى حاسة ذوقى طار حنى حديث ورد جف وقطين خف فيالله لاتراب درجوا
وأصحاب عن الاوطان خرجوا قصت الاجنحة وقيل طيروا وانما هو القتل أو الاسر
أو تسيروا فتفرقوا أيدى سبا وانتشروا ملء الوهاد والربا ففى كل جانب عويل وزفره
وبكل صدر غليل وحسره ولكل عين عبره لا ترقأ من أجلها عبره داهاض بلادنا حين
أتاها ومازال بها حتى سجى على موتاها وشجا اليومها الاطول كهلها وفتاها وأندبها
فى القوم بحران أنيجه يوم أثاروا أسدها المهيجه فكانت تلك الحطمة طل الشؤبوب
وباكورة البلاء المصبوب أثكلتنا اخوانا أبكانا نعيهم ولله أحوذيهم وألمعيهم ذاك
أبو ربيعنا وشيخ جميعنا سعد بشهادة يومه ولم يرما يسوءه فى أهله وقومه وبعد ذلك
أخذ من الام بالمخنق وهى بلنسية ذات الحسن والبهجة والرونق ومالبث أن أخرس من
مسجدها لسان الاذان وأخرج من جسدها روح الايمان فبرح الخفاء وقيل على آثار
من ذهب العفاء وانعطفت النوائب مفردة ومركبة كما نعطف الفاء فأودت الخفة
والحصافه وذهب الجسر والرصافه ومزقت الحلة والشمله وأوحشت الجسر
والرمله ونزلت بالحارة وقعة الحره وحصلت الكنيسة من جاذرها وظبائها على طول
الحسره فأين تلك الخمائل ونضرتها والجداول وخضرتها والاندية وأرجها والاودية
ومنعرجها والنواسم وهبوب مبتلها والاصائل وشجوب معتلها دارضا حكت الشمس
بحرها وبحيرتها وازهارتري من أدمع الطل فى أعينها تردد ها وحيرتها ثم زحفت كتيبة
الكفر بزرقها وشقرها حتى أحاطت بجزيرة شقرها فاها لمسقط الرأس هوى نجمه
ولفادح الخطب سرى كلمه وبالجنة أجرى الله تعالى النهر تحتها وروضة أجاد أبو اسحق
نعتها وانما كانت داره التى فيها دبت وعلى أوصاف محاسنها أكبت وفيها أتته منيته
كما شاء وأحبت ولم تعدم بعده محبين قشيهم البها ساقوه ودمعهم عليها أراقوه وقد
أثبت من النظم ما يليق بهذا الموضع وان لم يكن له ذلك الموقع

أقلوا ملامى أوفقولوا وأكثروا * ملومكم عما به ليس يقصر
وهل غير صب مات من عبراته * اذا صعدت أنفاسه تتحدر

يحن ومايجدى عليه حنينه * الى أربع معروفها متنكر
ويندب عهدا بالمشقر فاللوا * وأين اللوا منه وأين المشقر
تغير ذاك العهد بعدى وأهله * ومن ذا على الايام لايتغير
وأقفر رسم الدار الابقية * لسائلها عن مثل حالى تخبر
فلم تبق الازفرة اثر زفرة * ضلوعى لها تنقد أو تتفطر
والاشتياق لايزال يهزنى * فلا غاية تدنو ولا هو يفتر
أقول لسارى البرق فى جنح ليلة * كلانا بها قد بات يبكى ويسهر
تعرض مجتازا فكان مذكرا * بعهد اللوا والشئ بالشئ يذكر
أتأوى لقلب مثل قلبك خافق * ودمع سفوح مثل دمعك يقطر
وتحمل أنفاسا كومضة نارها * اذا رفعت تبدو لمن يتنور
يقر لعينى أن أعاين من نأى * لما أبصرته منك عيناى تبصر
وان يترا آك الخليط الذين هم * بقلبى وان غابوا عن العين حضر
كفى حزنا أنا كأهل محصب * بكل طريق قد نفرنا ونسفر
وان كلينا من مشوق وشائق * بنار اغتراب فى حشاه تسعر
ألا ليت شعرى والامانى ضلة * وقولى ألا ليت شعرى تحير
هل النهر عقد للجزيرة مثل ما * عهدناه هل حصباؤه وهى جوهر
وهل للصبا ذيل عليه تجره * فيزور عنه موجه المتكسر
وتلك المغانى هل عليها طلاوة * بما راق منها أو بما رق تسحر
ملاعب أفراس الصبابة والصبا * تروح اليها تارة وتبكر
وقبلى ذاك النهر كانت معاهد * بها العيش مطلول الخميلة أخضر
بحيث بياض الصبح أزرار جيبه * تطيب وأردان النسيم تعطر
ليال بماء الورد ينضح ثوبها * وطيب هواء فيه مسك وعنبر
وبالجبل الادنى هنالك خطى لنا * الى اللهو لاتكبو ولاتتعثر
جناب بأعلاه بهار ونرجس * فأبيض مفتر الثنايا وأصفر
وموردنا فى قلت قلب كقلة * حذارا علينا من قذى العين تستر
وكم قد هبطنا القاع نذعر وحشه * وياحسنه مستقبلا حين يذعر
نقود اليه طائعا كل جارح * له منخر رحب وخصر مضمر
اذا ما رميناه به عبث به * مدللة الاطراف عنهن تكشر
تضم لاروى النيق جرذان سهلها * وقد فقدت فيها مهاة وجؤذر
كذاك الى أن صاح بالقوم صائح * وأنذر بالبين المشتت منذر
وفرقهم أيدى سبا وأصابهم * على غرة منهم قضاء مقدر

ونعود الى حيث كنا من تبدد شمل الجزيرة وطى بساط الجزيرة أما شاطبة فكانت من قصبتها شوساء الطرف وبيطحائها عروسا فى نهاية الظرف فتخلى عن الذروة من أخلاها

وقيل للكافر شأنك وأعلاها فقبل أن تضع الحرب أوزارها كشط عنها ازارها فاستحل الحرمة أو تأولها وما انتظر أقصر المدة ولا أطولها وأماتد مير فجاد عودها على الهصر وأمكنت عدوها من القصر فداجى الكفر الايمان وناجى الناقوس الاذان وماوراءها من الاصقاع التى باض الكفر فيها وفرخ وأنزل بها ما أنسى التاريخ ومن أرخ فوصفكم على الحادثة فيها أتى وفى ضمان القدرة الانتصاف من عدو عشاوعتا وانا نرجوها كرة تفك البلاد من أسرها وتجبرها بعد كسرها وان كانت الدولة العامرية منعت بالقراع ذمارها ورفعت على البقاع نارها فهذه العمرية بتلك المنقبة أخلق والعدو لها أهيب ومنها أفرق ومايستوى نسب مع البقل نبت وبالمستفيض من النقل ماثبت وآخر علت سماؤه على اللمس ورسا ركنه فى الاسلام رسوقواعده الخمس وكان كما قال أبو حنيفة فى خبر المسح جاء نامثل الشمس والايام العمرية هى أتم الوقائع المحكيه ومن شاء عدها من اليرموكية الى الاركيه وهذه الايام الزاهرة هى زبدة حلاوتها وبجدة تلاوتها وامامتها العظمى أيدها الله تعالى تمهل الكافر مدة املائه ثم تشفى الاسلام من دائه وتطهر الارض بنجس دمائه بفضل الله تعالى المرجو زيادة نعمه قبلها وآلائه راجعت سيدى مؤديا مايجب أداؤه ومقتديا وما كل أحد يحسن اقتداؤه وانما ناضلت ثعلبا وعهدى بالنضال قديم وناظرت جدليا وما عندى للمقال تقديم وأطعته فى الجواب ولقد يحتى يعلم الله تعالى نكول ورويتى لولا حق المسئلة بطير الحوادث المرسلة عصف مأكول أتم الله تعالى عليه آلاءه وحفظ مودته وولاءه ومتع بخلته الكريمة اخلاءه بمنه والسلام انتهت الرسالة * ورأيت فى رحلة ابن رشيد لما ذكر أبا المطرف ماصورته وأما الكتابة فقد كان حامل لوائها كما قال بعض أصحابنا ألان الله تعالى له الكلام كما ألان الحديد لداود عليه السلام وأخبرنى شيخنا أبو بكر أن شيخه أبا المطرف رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم فأعطاه حزمة اقلام وقال استعن بهذه على كتابتك أو كما قال صلى الله عليه وسلم * وبعد كتبى لهذه الرسالة رأيت أن أذكر رسالة الحافظ ابن الابار التى هذه جواب عنها وهى من غرض مانحن فيه فلنقتبس نور البلاغة منها وهى سيدى وان وجم لها النادى وجمجم بها المنادى ذلك لصغرها عن كبره فى المعارف الاعلام وصدرها يوغر صدور الصحائف والاقلام وأعيذ يحانة قريش أن تروح من حفيظتها فى جيش قدهابتها مغاوير كل حى وأجابتها الغطاريف من قصى تدلف بين يديها كتيبة خالد وتحلف لاقدحت نار الهيجاء بزند صالد أوتنصف من غاطمها وتقذف به وسط غطامطها لاجرم انى من جريمتى احذر وعما وضحت به قيمتى للمجد معتذر الأأن يصوح من الروض نبته وجناته ويصرح بالقبول حمله وأناته الحديث عن القديم شجون والشأن بتقاضى الغريم شؤن فلا غرو أن أطار حمه اياه وأفاتحه الامل فى لقياه ومن لى بمقالة مستفله أو اخلة غير مخله أبت البلاغة الا عمادها ومع ذلك فسأنبئ عمادها درجت اللدات والاتراب وخرجت الروم بنا الى حيث الاعراب أيام دفعنا الاعظم الاخطار وجفعنا بالاوطان والاوطار فالام نذارى برح الالم وحتى م

نسارى

نسارى النجم فى الظلم جمع أوصاب ماله من انفضاض ومضض اغتراب شذ عن ابن مضاض فلو سمع الاول بهذا الحادث ماضرب المثل بالحارث يالله من جلاء ليس به يدان وتناء قما يسفر عن تدان وعدا لجد العاثر لقاء فأنجز ورام الجلد الصابر انقضاء فأعجز هؤلاء الاخوان مكثهم لايمتع به أوان وبينهم كنبت الارض ألوان بين هائم بالسرى ونائم فى الثرى من كل صنديد بطل أومنطيق غير ذى خطا ولا خطل قامت عليه النوادب لماقعدت به النوائب وهجمت بيوتها لفناء الجماجم والذوائب وأما الاوطان المحبب عهدها بحكم الشباب المشيب فيها بمحاسن الاحباب فقد ودعنا معاهدها وداع الابد وأخفى عليها الذى أخفى على لبد أسلمها الاسلام وانتظمها الانتشار والاصطلام حين وقعت أنسرها الطائره وطلعت أنحسها الغائره فغلب على الجذل الحزن وذهب مع المسكن السكن

كزعزع الريح صلت الدوح عاصفها * فلم يدع من جنى فيها ولا غصن

واها وواها يموت الصبر بينهما * موت المحامد بين البخل والجبن

أين بلنسية ومغانيها وأغاريد ورقها وأغانيها أين حلى رصافتها وجسرها ومنزلا عطائها ونصرها أين أفياؤها تندى غضاره وركاؤها تبدو من خضاره أين جداولها الطفاحة وخمائلها أين جنابيها التفاحة وشمائلها شذ ماعطل من قلائد أزهارها نحرها وخلعت شعشعانية ضحاها بحيرتها وبحرها فأية حيلة لاحيلة فى صرفها مع صرف الزمان وهل كانت حتى بانت الاروقى الحق وبشاشة الايمان ثم لم يلبث داء عقرها أن دب الى جزيره شقرها فامرعذبها النمير وذوى غصنها النضير وخرست حمائم أدواحها وركدت نواسم أرواحها ومع ذلك اقتحمت دانيه فنزحت قطوفها وهى دانيه وبالشاطبة وبطحائها من حيف الايام وانحائها ولهفاه ثم لهفاه على تدمير وتلاعها وجيان وقلاعها وقرطبة ونواديها وحمص ووادياها كلها رعى كلؤها ودهى بالتفريق والتمزيق ملؤها عض الحصار أكثرها وطمس الكفر عينها وأثرها وتلك البيرة بصدد البوار وريه فى مثل حلقة السوار ولامرية فى المرية وخفضها على الجوار الى بنيات لواحق بالامهات ونواطق بهالك الاول فاطق بهات ماهذا النفخ بالمعمور أهو النفخ فى الصور أم النفر عاريا من الحج المبرور ومالاندلس أصيبت بأشرافها ونقصت من أطرافها قوض عن صوامعها الاذان وصمت بالنواقيس فيها الآذان أجنت مالم تجن الاصقاع أعقت الحق فحاق بها الايقاع كلا بل دانت للسنه وكانت من البدع فى أحصن جنه هذه المروانية مع اشتداد أركانها وامتداد سلطانها ألقت حبة آل النبوة فى حبات القلوب وألوت ماظفرت من خلعة ولاقلعة بطلوب الى المرابطة بأقاصى الثغور والمحافظة على معالى الامور والركون الى الهضبة المنيعه والروضة المريعه من معاداة الشيعه ومعالاة الشريعه فليت شعرى بم استوثق تحيصها ولم تعلق بعموم البلوى تخصيصها اللهم غفرا لماضر فجر ومن الانباء مافيه مزدجر جرى بمالم تقدره

المقدور فاعسى أن ينفث به المصدور وربنا الحكيم العليم نحسبنا التفويض له والتسليم
وياعجبا لبنى الاصفر أنسيت مرج الصفر ورميها يوم اليرموك بكل أغلب غضنفر
دع ذا فالعهد به بعيد ومن اتعظ بغيره فهو سعيد هلا تذكرت العامرية وغزواتها وهابت
العامرية وهبواتها أما الجزيرة بخيلها محدقه وبأحاديث فتحها مصدقه هذا الوقت
المرتقب والزمان الذى زجيت له الشهور والحقب وهذه الامامة أيدها الله تعالى هى
المنقذة من أسرها والمنقذة لسلطانها مراسم نصرها فيتاح الاخذ بالثار ويراح عن
الجنة أهل النار ويعلم الكافر لمن عقبى الدار حاورت سيدى بمثار الفاجع الفاجع
وحاولت برء الجوى من جوابه بالعلاج الناجع وبودى لو تقع فى الارجاء مصاقبه فترفع
من الازراء معاقبه أليس لديه لسواء المكلوم وتدارك المظلوم وبيديه أزمة المنثور
والمنظوم خيال يخترق اقناع اياد وصوغ مالم يخطر على قلب زيد ولا بخاطر زياد بست
الجبال الطوامح لمابست وأبو فتحها وغيضت البحار الطوفح فمن يعبأ بالركايا ومتحها
أين أبو الفضل بن العميد من العماد الفاضل وصمصامة عمرو من قلمه الفاصل هذا
مدرهها الذى فعل الافاعيل وأحدها الذى سما على ابراهيم واسمعيل وهما اماما
الصناعه وهما ما البراعة واليراعه بهما نفخر من نطق بالضاد وبهما حسدت
الحروف الصاد لكن دفعهم بالراح وأعرى مدرعهم من المراح وشرف دونهم
ضعيف القصب على صم الرماح أبقاه الله تعالى وبيانه صادق الانواء وزمانه كاذب
الاسواء ولازال مكانه مجاوزا ذؤابة الجوزاء واحسانه مكافأ بأحسن الجزاء
والسلام * وقد عرفت بابن الابار فى ازهار الرياض بما لامزيد عليه غير انى رأيت هنا أن
أذكر فصولا مجموعة من كلامه فى كتابه المسمى بدرر السمط فى خبر السبط قال رحمه
الله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت فروع النبوة والرساله وينابيع السماحة
والبساله صفوة آل أبى طالب وسراة بنى لؤى بن غالب الذين جاءهم الروح الامين
وحلاهم الكتاب المبين فقل فى قوم شرعوا الدين القيم ومنعوا اليتيم أن يقهر والايم
ما قد من أديم آدم أطيب من أديمهم طينه ولا أخذت الارض أجل من مساعيهم زينه
لولاهم ماعبد الرحمن ولا عهد الايمان وعقد الامان ذؤابة غير أشابه فضلهم ماشانه
نقص ولا شابه سراة محلتهم سرة المطلوب وقرارة محبتهم حبات القلوب أذهب الله عنهم
الرجس وشرف بخلقهم الجنس فان تميزوا فبشريعتهم البيضاء أو تحيزوا فلعشيرتهم
الحمراء من كل يعسوب الكتيبه منسوب النجيب ونجيبه نجباء الكرم وداره الحرم
نمته العرانين من هاشم أبى الضب الامرح الاوضح الى نبعة فرعها فى السماء ومغرسها
سرة الابطح أولئك السادة أحيى وأفدى والشهادة بحبهم أوفى وأودى ومن يكتمها
فانه آثم قلبه انتهى (فصل) ما كانت خديجة لتأتى بخداج ولا الزهراء لتلد الا
أزاهر كالسراج مثل النحله لا تأكل الا طيبا ولا تضع الا طيبا خلدت بنت خويلد لبز كو
عقبها من الحاشر العاقب ويسمو مرقبها على النجم الثاقب لم تجد بمثلها المهارى ولم
يلد له غيرها من المهارى آنت من بعولتها قبله لتصل السعادة بحبلها حبله ملاك العمل

قوله لمابست وابو فتحها هكذا فى الاصل ولا يخفى تحريفه ولعل صوابه فغابس روابى سفحها أو نحو ذلك مما يناسب المقام والراجح ويحرر اه مصححه

خواتمه رب ربات حجال أنفذ من فحول رجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

هذه خديجة من أخيها حزام أحزم ولشعار الصدق من شعارات القص ألزم وكنت الى الركن الشديد ومددت للهدى كما هديت لتسديد يوم نبئ خاتم الانبياء ونبئ بالنور المنزل عليه والضياء (فصل) وكان قبيل المبعث وبين يدى لمع الشعث يثابر على كل حسنى وحسنه ويجاور شهرا من كل سنه يتحرى حراء بالتعهد ويزجى تلك المدة فى التعبد وذلك الشهر المقصور على التبرر المقدور فيه رفع التضرر شهر رمضان المنزل فيه القرآن فبيناه لاينام قلبه وان نامت عيناه جاءه الملك مبشرا بالنجح وقد كان لايرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح فغمره بالكلاءه وأمره بالقراءه وكلما تحبس له غطه ثم أرسله واذا أراد الله بعبد خيرا عسله

تريدون ادراك المعالى رخيصة * ولابد دون الشهد من ابر النحل

كذلك حتى عاد بالارق من الفرق وقد علق فاتحة العلق فلا يجرى غيرها على لسانه وكأنما كتبت كتابا فى جنانه (فصل) ولما أصبح يؤم الاهل ووسط الجبل يريد السهل وقد قضى الاجل ومانضا الوجل نوجى بما فى الكتاب المسطور ونودى كما نودى موسى من جانب الطور فعرض له فى طريقه ماشغله عن فريقه فرفع رأسه متأملا فأبصر الملك فى صورة رجل ممثلا يشرفه بالنداء ويعرفه بالاجتباء وانما عضد خبر الليلة بعيان اليوم وأرى فى اليقظة مصداق ما أسمع فى النوم ليحق الله الحق بكلماته وعلى ماورد فى الاثر وسير رواة السير فذلك اليوم كان عيد فطرنا الآن وغير بدع ولا بعيد أن يبدأ الوحى بعيد كما ختم بعيد اليوم أكملت لكم دينكم فبهت عليه السلام لما سمع نداءه وراءه وثبت لايتقدم أمامه ولا يرجع وراءه

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى * متقدم عنه ولا متأخر

ثم جعل فى الخوف والرجاء لايقلب وجهه فى السماء الا تعرض له فى تلك الصوره وعرض عليه ما أعطاه الله سبحانه من السوره فيقف موقف التوكل ويمسك حتى عن التأمل

تشوق ليلك النفس ثم أردها * حياء ومثلى بالحياء حقيق

أذود سواد الطرف عنك وماله * الى أحد الا اليك طريق

(فصل) وفطنت خديجة لاحتباسه فأمعنت فى التماسه تزوجوا الودود الولود ولفورها بل لفوزها بعثت فى طلبه رسلها وابعثت تأخذ عليه شعاب مكة وسبلها (ان الحب اذا لم يستزر زارا) طال عليها الامد فطار اليها الكمد والحب حقيقه من لايفيق فيقه بالنفس النفيسة سماحه وجوده وفى وجود المحبوب الاشرف وجوده

كان بلاد الله ما لم تكن بها * وان كان فيها الخلق طرا بلاقع

أقضى نهارى بالحديث وبالمنى * ويجمعنى والهم بالليل جامع

نهارى نهار الناس حتى اذا دجى * لى الليل هزتنى اليك المضاجع

لقد نبتت فى القلب منك محبة * كما نبتت فى الراحتين الاصابع

(فصل) وبعد لاى ماورد عليها وتعد مضيفا اليها فطفقت بحكم الاجلال تمسح أركانه وتفسح مجال السؤال عما خلف له مكانه فباح لها بالسر المغيب وقد لاح وسم الكرامة على الطيب المطيب فعلمت انه الصادق المصدوق وحكمت بأنه السابق لا المسبوق انقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ومازالت حتى أزالت مابه من الغمه وقالت انى لارجو أن تكون نبى هذه الامه

انى تفرست فيك الخير أعرفه * والله يعلم أن ماخاننى البصر
أنت النبى ومن يحرم شفاعته * يوم الحساب فقد أزرى به القدر

لاترهب فسوف تبهر وسيد وأمر الله تعالى ويظهر أنت الذى بشرت به الكهان ونزلت له من صوامعها الرهبان وسارت بخبر كرامته الركبان أنت الذى ماحملت أخف منه حامل ودرت ببركته الشاة فاذا هى حافل

وأنت لما ولدت أشرقت الارض وضاءت بنورك الافق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النور وسبل الرشاد نخترق

(فصل) ومالبثت أن غلقت أبوابها وجمعت عليها أثوابها وانطلقت الى ورقة بن نوفل تطلبه بتفسير ذلك المجمل وكان يرجع الى عقل حصيف ويبحث عن بيعث بالدين الحنيف فاستبشر به ناموسا وأخبر أنه الذى كان يأتى موسى فازدادت ايمانا واقامت على ذلك زمانا ثم رأت أن خبر الواحد قد يلحقه التفنيد ودرت أن المجتهد لايجوز له التقليد طلب العلم فريضة على كل مسلم فرجعت أدراجها فى ارتياد الاقناع وألقى فى روعها القاء الخمار والقناع فهنالك وضح لها البرهان وسمع لها أن الاتى ملك لاشيطان

تولى عليه الروح من عند ربه * ينزل من جو السماء ويرفع
نشاوره فيما نريد ونقتدى * اذا ما اشتهى أنا نطيع ونسمع

(فصل) سبقت لها من الله تعالى الحسنى فصنعت حسنا وقالت حسنا ومن يؤمن بالله يهد قلبه مافتر الوحى بعدها ولا مطل الحق الحى وعدها وعد الله لايخاف الله وعده دانت لحب ذى الاسلام فحياها الملك بالسلام من الملك السلام من كان لله كان الله له أغنت غناء الابطال فغناها لسان الحال

هل تذكرين فدتك النفس مجلسنا * يوم التقينا فلم أنطق من الحصر
لاأرفع الطرف حولى من مراقبة * بقى على وبعض الحزم فى الحذر

يسرت لاحتمال الاذى والنصب فبشرت ببيت فى الجنة من قصب هل امنت اذ آمنت من الرعب حتى غنيت عن الشبع بما فى الشعب

لاتحسب المجد تمرا أنت آكله * لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

واها لها احتملت عض الحصار وما اطاقت فقد النبى المختار

يطول اليوم لا القاك فيه * وشهر نلتقى فيه قصير

والحبيب سمع المحب وبصره وله طول محياه وقصره

انت كل الناس عندى فاذا * غبت عن عينى لم ألق أحد

مكثت للرياسة مواسية وآسيه فثلثت فى بحبوحة الجنة مريم وآسيه ثم ربعت البتول فبرعت نطقت بذلك الآثار وصدعت خبر نساء العالمين أربع * (فصل) * الى البتول سيرا بالشرف التالد وسبق الفخر بالام الكريمة والوالد حلت فى الجيل الجليل وتجلت بالمجد الاثيل ثم تولت الى الظل الظليل

وليس يصح فى الافهام شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

وأيها ان أم أيها لا تجد لها شبيها نثرة النبى وطلبة الوصى وذات الشرف المستوى على الامد القصى كل ولد الرسول درج فى حياته وحملت هى ما حملت من آياته ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء لا فرع للشجرة المباركة من سواها فهل جدوى أوفر من جدواها الله أعلم حيث يجعل رسالاته حفت بالتطهير والتكريم وزفت الى الكفؤ الكريم فوردا صفو العارفة والمنه وولدا سيدى شباب أهل الجنه عوضت من الامتعة الفاخره بسيدى الدنيا والآخره ما أثقل نحوها ظهرا ولا بذل غير درعه مهرا كان صفر اليدين من البيضاء والصفراء وبحالة لا حيلة معها فى اهداء الحلة السيراء فصاهره الشارع وخاله وقال فى بعض صعلوك لا مال له نرفع درجات من نشاء (فصل)

أتنتهب الايام أفلاذ احمد * وافلاذ من عاداهم تتوقد

ويضحى ويظما أحمد وبناته * وبنت زياد وردها لا يصرد

افى دينه فى أمنه فى بلاده * تضيق عليهم فسحة تتورد

وما الدين الا دين جدهم الذى * به أصدروا فى العالمين وأوردوا

انتهى ما سنح لى ذكره من درر السمط وهو كتاب نهاية فى بابه ولم أورد منه غير ما ذكرته لان فى الباقى ما تشم منه رائحة التشيع والله سبحانه يسامحه عنه وكرمه ولطفه (رجع) الى ما كنا بصدده فنقول قد ذكرنا فى الباب الثانى رسالة أبى المطرف بن عميرة الى أبى جعفر بن أمية وهى مشتملة على التلهف على الجزيرة الاندلسية حين أخذ العدو بتلابيبها وظهرت له مخايل الاستيلاء على ما بقى من الاندلس فراجعها فيما سبق وان كان التناسب التام فى ذكرها هنا فالمناسبة هنا لاحقة أيضا والله سبحانه الموفق وذكرنا هنالك أيضا جملة غيرها من كلامه رحمه الله تعالى نتملق بهذا المعنى وغيره فلتراجع ثمة * ورأيت أن أثبت هنا ما رأيته بخط الاديب الكاتب الحافظ المؤرخ أبى عبد الله محمد بن الحداد الوادى اشى نزيل تلمسان رحمه الله تعالى ما صورته حدثنى الفقيه العدل سيدى حسن ابن القائد الزعيم الافضل سيدى ابراهيم العراف انه حضر مرة لانزال الطلسم المعروف بفروج الرواح من العلية بالقصبة القديمة من غرناطة بسبب البناء والاصلاح وانه عاينه من سبعة معادن مكتوبا فيه

ايوان غرناطة الغراء معتبر * طلسمه بولاة الحال دوار

وفارس روحه ريح تدبره * من الجماد ولكن فيه أسرار

فسوف يبقى قليلا ثم تطرقه * دهياء يخرب منها الملك والدار

انتهى * وقد صدق قائل هذه الابيات فانه طرقت الدهياء ذلك القطر الذى ليس له فى الحسن

مثال ونسل الخطب اليه من كل حدب وانثال وكل ذلك من اختلاف رؤسائه وكبرائه ومقدميه وقضاته وامرائه ووزرائه فكل يروم الرياسة لنفسه ويجز نارها القرصه والنصارى لعنهم الله تعالى يضربون بينهم بالخداع والمكر والكيد ويضربون عرامنهم بزيد حتى تمكنوا من أخذ البلاد والاستيلاء على الطارف والتلاد قال الرائس القاضي العلامة الكاتب الوزير أبو يحيى بن عاصم رحمه الله تعالى في كتابه جنة الرضا في التسليم لما قدر الله تعالى وقضى ماصورة محل الحاجة منه ومن استقراء التواريخ المنصوصه وأخبار الملوك المقصوصه علم أن النصارى دمرهم الله تعالى لم يدركوا في المسلمين ثارا ولم يدحضوا عن أنفسهم عارا ولم يخربوا من الجزيرة منازل وديارا ولم يستولوا عليها بلادا جامعة وأمصارا الا بعد تمكينهم لاسباب الخلاف واجتهادهم في وقوع الافتراق بين المسلمين والاختلاف وتضريبهم بالمكر والخديعة بين ملوك الجزيره وتحريشهم بالكيد والخلابة بين حماتها في الفتن المبيره ومهما كانت الكلمة مؤتلفه والآراء لامفترقة ولا مختلفه والعلماء بعمانا تتفاق القلوب الى الله مزدلفه فالحرب اذ ذاك سجال ولله تعالى في اقامة الجهاد في سبيله رجال وللممانعة في غرض المدافعة ميدان رحب ومجال ورويه وارتجال الى أن قال وتطاولت الايام مابين مهادنة ومقاطعه ومضاربة ومقارعه ومنازلة ومنازعه وموافقة وممانعه ومحاربة وموادعه ولا أمل للطاغية الا في التمرس بالاسلام والمسلمين واعمال الحيلة على المؤمنين واضمار المكيدة للموحدين واستبطان الخديعة للمجاهدين وهو يظهر انه ساع للوطن في العاقبة الحسنى وانه منطو لاهله على المقصد الاسنى ومهتم بمراعاة أمورهم وناظر بنظر المصلحة لخاصتهم وجمهورهم وهو يسر حسوا في ارتغائه ويعمل الحيلة في التماس هلاك الوطن وابتغائه فتبا لعقول تقبل مثل هذا المحال وتصدق هذا الكذب بوجه أو بحال وليت المغرور الذي يقبل هذا لو فكر في نفسه وعرض هذا المسموع على مدركات حسه وراجع أوليات عقله وتجريبيات حدسه وقاس عدوه الذي لا ترجى مودته على ابناء جنسه فانا ناشده الله هل بات قط بمصالح النصارى وسلطانهم مهتما وأصبح من خطب طرقهم مغتما ونظرلهم نظر المفكر في العاقبة الحسنه اوقصدلهم قصد المدبر في المعيشة المستحسنه أوخطر على قلبه أن يحفظ في سبيل القربة أربابهم وصلبانهم أوعمر ضميره من تمكين عزهم بما ترضاه أحبارهم ورهبانهم فان لم يكن ممن يدين بدينهم الخبيث ولم يشرب قلبه حب التثليث ويكون صادق اللهجه منصفا عند قيام الحجه فسيعترف أن ذلك لم يخطر له قط على خاطر ولا مر له ببال وان عكس ذلك هو الذي كان به ذا اغتباط وبفعله ذا اهتبال وان نسب لذلك المعنى فهو عليه أثقل من الجبال وأشد على قلبه من وقع النبال هذا وعقده التوحيد وصلاته التحميد وملته الغراء وشريعته البيضاء ودينه الحنيف القويم ونبيه الرؤف الرحيم وكتابه القرآن الحكيم ومطلوبه بالهداية الصراط المستقيم فكيف نعتقد هذه المرية الكبرى والمنقبة الشهرى لمن عقده التثليث ودينه الملبث ومعبوده الصليب وتسميته التصليب وملته المنسوخه

وقضيته

وقضيته المفسوخه وختامه التغطيس وغافر ذنبه القسيس وربه عيسى المسيح ورأيه ليس البين ولا الصحيح وأن ذلك الرب قد ضرج بالدماء وسقى الحل عوض الماء وان اليهود قتلته مصلوبا وأدركته مطلوبا وقهرته مغلوبا وانه جزع من الموت وخاف الى سوى ذلك مما يناسب هذه الاقاويل السخاف فكيف يرجى من هؤلاء الكفرة من الخير مقدار الذره أو يطمع منهم فى جلب المنفعة أو دفع المضره اللهم احفظ علينا العقل والدين واسلك بنا سبيل المهتدين ثم قال بعد كلام ماصورته كانت خزانة هذه الدار النصرية مشتملة على كل نفيسة من الياقوت وتيمة من الجوهر وفريدة من الزمرد وثمينة من الفيروزج وعلى كل واق من الدروع وحام من العدة وماض من الاسلحة وفاخر من الآلة ونادر من الامتعة فمن عقود فذة وسلوك لجة وأقراط تفضل على قرطى مارية نفاسة فائقة وحسنا راتقا ومن سيوف شواذ بالابداع غرائب فى الاعجاب منسوبات الصفائح فى الطبع خالصات الحلى من التبر ومن دروع مقدرة السرد متلاحمة النسج واقية للناس فى يوم الحرب مشهورة النسبة الى داود نبى الله ومن جواشن سابغة اللبسة ذهبية الحلية هندية الضرب ديباجية الثوب ومن بيضات عسجدية الطرق جوهرية التنضيد زبرجدية التقسيم ياقوتية المركز ومن مناطق لجينية الصوغ عريضة الشكل مزججة الصفح ومن درق لطيفة مصمتة المسام لينة الجسة معروفة المنعة صافية الاديم ومن قسى ناصعة الصبغة هلالية الخلقة منعطفة الجوانب زارية بالحواجب الى آلات فاخرة من اوتار نحاسية ومنا بلورية وطيافير مشقية وسبحات زجاجية وصحاف صينية أكواب عراقية واقداح طباشيرية وسوى ذلك مما لا يحيط به الوصف ولا يستوفيه العد وكل ذلك التهبه شواظ الفتنة والتقمه تيار الخلاف والفرقة فرزئت الدار منه بما يتعذر اتيان الدهور بمثله وتقصر ديار الملوك المؤثلة النعمة عن بعضه فضلا عن كله انتهى كلامه رحمه الله تعالى (رجع) ولما أخذت قواعد الاندلس مثل قرطبة واشبيلية وطليطلة ومرسية وغيرها انحاز أهل الاسلام الى غرناطة والمرية ومالقة ونحوها وضاق الملك بعد اتساعه وصار تنين العدو يلتقم كل وقت بلدا أو حصنا ويهصر من دوح تلك البلاد غصنا وملك هذا النزر اليسير الباقى من الجزيرة ملوك بنى الاحمر فلم يزالوا مع العدو فى تعب وممارسة كما ذكره ابن عاصم قريبا وربما أنخنوا فى الكفار كما علم فى أخبارهم وانتصروا بملوك فاس بنى مرين فى بعض الاحايين ولما قصد ملوك الافرنج السبعة فى المائة الثامنة غرناطة ليأخذوها اتفق أهلها على أن يبعثوا لصاحب المغرب من بنى مرين يستنجدونه وبعثوا للرسالة الشيخ أبا اسحق بن أبى العاصى والشيخ أبا عبد الله الطنجالى والشيخ ابن الزيات البلشى نفع الله تعالى بهم ثم بعد سفرهم نازل الافرنج غرناطة بخمسة وثلاثين ألف فارس ونحو مائة ألف راجل مقاتل ولم يوافقهم سلطان المغرب فقضى الله تعالى ببركة المشايخ الثلاثة أن كسر النصارى فى الساعة التى كسروا طرهم فيها صاحب المغرب وظهرت فى ذلك كرامة لسيدى أبى عبد الله الطنجالى رحمه الله تعالى * ثم ان بنى الاحمر ملوك الاندلس الباقية بعد استيلاء الكفار على الجل كانوا فى جهاد وجلاد فى غالب أوقاتهم ولم يزل ذلك شأنهم حتى ادركهم الهرم الذى يلحق

٢ قوله ومنا هكذا فى الاصل ولعله بعض كلمة ولينظر وكذلك قوله وسبحات محل نظر اه

الدول فلما كان زمان السلطان أبي الحسن علي بن سعد النصري الغالبي الاحمري واجتمعت الكلمة عليه بعد أن كان أخوه أبو عبد الله محمد بن سعد المدعو بالزغل قد بويع بمالقة بعد أن جاءه بعض القواد من عند النصارى وبقي بمالقة برهة من الزمان ثم ذهب الى أخيه وبقي من بمالقة من القواد والرؤساء فوضى وآل الحال الى أن قامت مالقة بدعوة السلطان أبي الحسن وانقضت الفتنة واستقل السلطان أبو الحسن بملك ما بقي بيد المسلمين من بلاد الاندلس وجاهد المشركين وافتتح عدة أماكن ولاحت له بارقة الكرة على العدو الكافر وخانوه وطلبوا هدنته وكثرت جيوشه فأجمع على عرضها كلها بين يديه وأعد لذلك مجلسا أقيم له بناؤه خارج الحمراء قلعة غرناطة وكان ابتداء هذا العرض يوم الثلاثاء تاسع عشر الحجة عام اثنين وثمانين وثمانمائة ولم تزل الجنود تعرض عليه كل يوم الى الثاني والعشرين من محرم السنة التي تليها وهو يوم ختام العرض وكان معظم المتنزهين والمتفرجين بالسبيكة وما قارب ذلك فبعث الله تعالى سيلا عرما على وادي حدره بحجارة وماء غزير كأفواه القرب عقابا من الله سبحانه وتأديبا لهم لمجاهرتهم بالفسق والمنكر واحتمل الوادي ما على حافتيه من المدينة من حوانيت ودور ومعاصر وفنادق وأسواق وقناطر وحدائق وبلغ تيار السيل الى رحبة الجامع الاعظم ولم يسمع بمثل هذا السيل في تلك البلاد وكان بين رؤساء الافرنج في ذلك الوقت اختلاف فبعضهم استقل بملك قرطبة وبعض باشبيلية وبعض بشريش وعلى ذلك كان صاحب غرناطة السلطان أبو الحسن قد استرسل في اللذات وركن الى الراحات واضاع الاجناد وأسند الامر الى بعض وزرائه واحتجب عن الناس ورفض الجهاد والنظر في الملك ليقضي الله تعالى ما شاء وكثرت المظالم والمغارم فانكر الخاصة والعامة ذلك منه وكان أيضا قد قتل كبار القواد وهو يظن أن النصارى لا يغزون بعد البلاد ولا تنقضي بينهم الفتنة ولا ينقطع الفساد واتفق أن صاحب قشتالة تغلب على بلادها بعد حروب وانقاد له رؤساء الشرك المخالفون ووجدت النصارى السبيل الى الافساد والطريق الى الاستيلاء على البلاد وذلك انه كان للسلطان أبي الحسن ولدان محمد ويوسف وهما من بنت عمه السلطان أبي عبد الله الايسر وكان قد اصطفى على أمهما رومية كان لها منه بعض ذريته وكانت حظيه عنده مقدمة في كل قضيه فخيف أن يقدم أولاد الرومية على أولاد بنت عمه السنيه وحدث بين خدام الدولة التنافر والتعصب ليميل بعضهم الى أولاد الحرة وبعض الى أولاد الرومية وكان النصارى أيام الفتنة ينهم هادنوا السلطان لا مدحدوه وضربوه ولما تم أمد الصلح وافق وقته هذا الشان بين أولياء الدولة بسبب الاولاد وتشكى الناس مع ذلك بالوزراء والعمال لسوء ما عاملوا به الناس من الحيف والجور فلم يصغ اليهم وكثر الخلاف واشتد الخطب وطلب الناس تأخير الوزير وتفاقم الامر وصح عند النصارى لعنهم الله تعالى ضعف الدولة واختلاف القلوب فبادروا الى الحامة فأخذوها غدرا آخر أيام الصلح على يد صاحب قادس سنة سبع وثمانين وثمانمائة وغدوا للقلعة وتحصنوا بها ثم شرعوا في أخذ البلد فغلوا الطرق خيلا ورجالا وبذلوا السيف فيمن ظهر من المسلمين ونهبوا الحريم والناس في غفلة نيام من غير استعداد كالسكارى فقتل من قضى الله تعالى بقتله

أجله وهرب البعض وترك أولاده وحريمه واحتوى العدو على البلد بما فيه وخرج العامة والخاصة من أهل غرناطة عند ما بلغهم العلم وكان النصارى عشرة آلاف بين ماش وفارس وكانوا عازمين على الخروج بما غنموه واذا بالسر عان من أهل غرناطة وصلوا فرجع العدو الى البلد فحاصرهم المسلمون وشددوا في ذلك ثم تكاثر المسلمون خيلا ورجالا من جميع بلاد الاندلس ونازلوا الحامة وطمعوا في منع الماء عن العدو وتبين للعامة أن الجند لم ينصحوا فاطلقوا ألسنتهم بأقبح الكلام فيهم وفي الوزير وبينما هم كذلك واذا بالنذير جاء ان النصارى أقبلوا في جمع عظيم لاغاثة من بالحامة من النصارى فاقلع جند المسلمين من الحامة وقصدوا ملاقاة الواردين من بلاد العدو ولما علم بهم العدو ولوا الادبار من غير ملاقاة محتجين بقلتهم وكان رئيسهم صاحب قرطبة * ثم ان صاحب اشبيلية جمع جندا عظيما من جيش النصارى الفرسان والرجال وأتى لنصرة من في الحامة من النصارى وعند ما سمع هذا عند العسكر اجتمعوا وأشاعوا عند الناس أنهم خرجوا بغير زاد ولا استعداد والصلاح الرجوع الى غرناطة ليستعد الناس ويأخذوا ما يحتاج اليه الحصار من العدة والعدد فعند ما أقلع المسلمون عنها دخلتها النصارى الواردون وتشاوروا في اخلائها أو سكناها واتفقوا على الاقامة بها وحصنوها وجعلوا فيها جميع ما يحتاج اليه وانصرف صاحب اشبيلية وترك اجناده وفرق فيهم الاموال ثم عاد المسلمون لحصارها وضيقوا عليها وطمعوا فيها من جهة موضع كان النصارى في غفلة عنه ودخل على النصارى جملة وافرة من المسلمين وخاب السعد بذلك بأن شعر بهم النصارى فعادوا عليهم وتردى بعضهم من أعلى الجبل وقتل أكثرهم وكانوا من أهل بسطة ووادي آش فانقطع أمل الناس من الحامة ووقع الاياس من ردها * وفي جمادى الاولى من السنة تواترت الاخبار أن صاحب قشتالة أتى في جنود لا تحصى ولا تحصر فاجتمع الناس بغرناطة وتكاموا في ذلك واذا به قد قصد لوشة ونازلها قصدا أن يضيفها الى الحامة وجاء بالعدة والعدد واغارت على النصارى جملة من المسلمين فقتلوا من لحقوه وأخذوا جملة من المدافع الكبار ثم جاءت جماعة أخرى من أهل غرناطة وناوشوا النصارى فالجؤهم الى الخروج عن الخيام وأخذوها وغيرها فهرب النصارى وتركوا طعاما كثيرا وآلة ثقيلة وذلك في السابع والعشرين من جمادى الاولى من السنة المذكورة * وفي هذا اليوم بعينه هرب الاميران أبو عبد الله محمد وأبو الحجاج يوسف خوفا من أبيهما أن يفتك بهما باشارة حظيته الرومية ثريا واستقرا بوادي آش وقامت بدعوتهما ثم بايعتهما ثلاث البلاد المرية وبسطة وغرناطة وهرب أبوهما السلطان أبو الحسن الى مالقة * وفي صفر سنة ثمان وثمانين وثمانمائة اجتمع جميع رؤساء النصارى وقصدوا قرى مالقة وبلش في نحو الثمانية آلاف وفيهم صاحب اشبيلية وصاحب شريش وصاحب استجة وصاحب الثغرة وغيرهم فلم يتمكنوا من أخذ حصن ونشبوا في اوعار ومضايق وخنادق وجبال واجتمع عليهم أهل بلش ومالقة وصار المسلمون ينالون منهم في كل محل حتى بلغوا مالقة ففرق كبيرهم ومن بقي أسر أو قتل وكان السلطان أبو الحسن في ذلك الوقت قد تحرك لنواحي المنكب وبقي أخوه أبو عبد الله بمالقة ومعه بعض الجند وقتل من النصارى في هذه الوقعة نحو ثلاثة آلاف وأسر نحو ألفين من

جملتها خال السلطان وصاحب اشبيلية وصاحب شريش وصاحب النقيرة وغيرهم وهم نحو الثلاثين من الاكابر وغنم المسلمون غنيمة وافرة من الانفس والاموال والعدة والذهب والفضة وبعقب ذلك سافر أهل مالقة لبلاد النصارى فكسروا هنالك كسرة شنيعة قتل فيها أكثر قواد غرب الاندلس * ولما استقر السلطان أبو عبد الله ابن السلطان أبي الحسن بغرناطة وطاعت له البلاد غير مالقة والغربية تحرك السلطان أبو الحسن على المنكب ونواحيها واتى ابنه السلطان أبو عبد الله فى جند غرناطة والجهة الشرقية والتقوا فى موضع يعرف بالدب فكسر السلطان أبو عبد الله * ولما سمع السلطان أبو عبد الله صاحب غرناطة بأن عمه بمالقة غنم من النصارى أعمل السفر للغزو بأهل بلاده من غرناطة والشرقية وذلك فى ربيع الاول من السنة الى أن بلغ نواحى لشانة وقتل وأسر وغنم فتجمعت عليه النصارى من جميع تلك النواحى ومعه كثير قبرة وحالوا بين المسلمين وبلادهم فى جبال وأوعار فانكسر الجند وأسر من الناس كثير وقتل آخرون وكان فى جملة من أسر السلطان أبو عبد الله ولم يعرف ثم علم به صاحب لشانة وأراد صاحب قبرة أن يأخذه منه فهرب به ليلا وبلغه الى صاحب قشتالة ونال بذلك عنده رفعة على جميع القواد وتفاءل به فقلما توجه لجهة أو بعث سرية الا وبعثه فيها * ولما أسر السلطان أبو عبد الله اجتمع كبراء غرناطة وأعيان الاندلس وذهبوا لمالقة للسلطان أبي الحسن وذهبوا به لغرناطة وبايعوه مع انه كان اصابه مثل الصرع الى أن ذهب بصره وأصابه ضرر ولما تعذر أمره قدم أخاه أبا عبد الله وخلع له نفسه ونزل بالمنكب فأقام بها الى أن مات واستقل أخوه أبو عبد الله المعروف بالزغل بالملك بعده * وأما أبو عبد الله ابن السلطان أبي الحسن فهو فى أسر العدو * وفى شهر ربيع الآخر من سنة تسعين وثمانمائة خرج العدو فى قوة الى نواحى مالقة بعد أن كان فى السنة قبلها استولى على حصون فاستولى هذه السنة على بعض الحصون وقصد ذكوان فهدّ أسوارها وكان بها جملة من أهل الغربية ورندة ودخل ألف مدرع ذكوان عنوة فاظفر الله تعالى بهم أهل ذكوان فقتلوهم جميعا ثم طلبوا الامان وخرجوا * ثم انتقل فى جمادى الاولى الى رندة وحاصرها وكان أهلها خرجوا الى نصرة ذكوان وسواها فحاصر رندة وهدّ اسوارها وخرج أهلها على الامان وطاعت له جميع تلك البلاد ولم يبق بغربى مالقة الا من دخل فى طاعة الكافر وتحت ذمته وضيق بمالقة وفرق حصصه على بعض الحصون ليحاصر مالقة وعاد الى بلاده * وفى تاسع عشر شعبان من العام سافر صاحب غرناطة لحصين بعض البلاد وبينما هو كذلك اذ اباه الخبر جاءه ان محلة العدو خارجة لذلك الحصن * وفى صبيحة الثانى والعشرين من شعبان أصبحت جنود النصارى على الحصن كانوا قد سروا اليه ليلا وأصبحوا عند الفجر مع جند المسلمين فقاتلهم المسلمون من غير تعبية فاختل نظام المسلمين ووصل النصارى الى خباء السلطان ثم التحم القتال واشتد وقوى الله تعالى المسلمين فهزموا النصارى شر هزيمة وقتل منهم خلائق وقصر المسلمون خوفا من محلة سلطان النصارى اذ كانت قادمة فى اثره وما رجعت اليهم الفلول رجعوا القهقرى واستولى المسلمون على غنائم كثيرة وآلات وجعلوا ذلك كله بالحصن ولم يحدث شيء بعد الى رمضان فتوجه الكافر لحصن قبيل ونازله وهدّ اسواره

ولما

ولما رأى المسلمون أن الحصن قد دخل طلبوا الامان وخرجوا بأموالهم وأولادهم مؤمنين وفرّ الناس من تلك المواضع من البراجلة هاربين واستولى العدو على عدّة حصون مثل مشاقر وحصن اللوز وضيق العدو بجميع بلاد المسلمين ولم يتوجه لناحية الا استأصلها ولا قصد جهة الا أطاعته وحصلها ثم ان العدو دبر الحيلة مع ما هو عليه من القوة فبعث الى السلطان أبي عبد الله الذي تحت أسره وكساه ووعده بكل ما يتمناه وصرفه لشرقي بسطة وأعطاه المال والرجال ووعده أن من دخل تحت حكمه من المسلمين وبايعه من أهل البلاد فانه في الهدنة والصلح والعهد والميثاق الواقع بين السلاطين وخرج لبلش فأطاعه أهلها ودخلت بلش في طاعته ونودي بالصلح في الاسواق وصرخت به في تلك البلاد الشياطين وسرى هذا الامر حتى بلغ أرض البيازين من غرناطة وكانوا من التعصب وحمية الجاهلية والجهل بالمقام الذي لا يخفى وتبعهم بعض المفسدين المحبين تفريق كلمة المسلمين وممن مال الى الصلح عامة غرناطة لضعف الدولة ووسوس للناس شياطين الفتنة وسماسرتها بتقبيح وتحسين الى أن قام ربض البيازين بدعوة السلطان الذي كان مأسورا عند المشركين ووقعت فتنة عظيمة في غرناطة نفسها بين المسلمين لما أراده الله تعالى من استيلاء العدو على تلك الاقطار ورجموا البيازين بالحجارة من القلعة وعظم الخطب وكانت الثورة ثالث شهر ربيع الاول عام أحد وتسعين وثمانمائة ودامت الفتنة الى منتصف جمادى الاولى من العام وبلغ الخبر أن السلطان الذي قاموا بدعوته قدم على لوشة ودخلها على وجه رجاء الصلح بينه وبين عمه الزغل صاحب قلعة غرناطة بأن العم يكون له الملك وابن أخيه تحت ايالته بلوشة أو بأي المواضع أحب ويكونون يدا واحدة على عدو الدين وبينما هم كذلك اذا بصاحب قشتالة قد خرج بجند عظيم ومحلة قوية وعدد وعدد ونازل لوشة حيث السلطان أبو عبد الله الذي كان أسيرا وضيق عليها الحصار وقد كان دخلها جماعة من أهل البيازين بنية الجهاد ولمعاضدة وليهم وخاف أهل غرناطة وسواها من أن يكون ذلك حيلة فلم يأت لنصرتهم غير البيازين واشتد عليهم الحصار وكثرت الاقاويل وصرخت الالسن بأن ذلك باتفاق بين السلطان المأسور وصاحب قشتالة ودخل على أهل لوشة في ربضهم وخافوا من الاستئصال فطلبوا الامان في أموالهم وأنفسهم وأهليهم فوفى لهم صاحب قشتالة بذلك وأخذ البلد في السادس والعشرين لجمادى الاولى سنة احدى وتسعين وهي أعني لوشة كانت بلد سلف الوزير لسان الدين بن الخطيب كما ذكرناه مستوفى في غير هذا الموضع وهاجر أهل لوشة الى غرناطة وبقي السلطان أبو عبد الله الذي كان مأسورا مع النصراني بلوشة فصرح عند ذلك أهل غرناطة بأنه ما جاء للوشة الا ليدخل اليها العدو الكافر ويجعلها فداء له وقيل انه صرح له حينئذ بأنه اذ كان مرهونا في الفداء وكثر القيل والقال بينهم وبين أهل البيازين في ذلك وظهر بذلك ما كان كامنا في القلوب ثم رجع صاحب قشتالة الى بلاده ومعه السلطان المذكور * وفي نصف جمادى الثانية خرج الى البيرة فهد بعض الاسوار وتوعد الناس فاعطاه أهله الحصن على الامان فخرجوا وقدموا على غرناطة ثم فعل بحصن التلين مثل ذلك وقاتلوا قتالا شديدا وامتاضا قوا ذرعا أعطوه بالمقادة على الامان فخرجوا الى غرناطة

قوله التلين في نسخة المثلين اه

وأطاع أهل قلنبيرة من غير قتال فخرجوا الى غرناطة ثم وصل العدو الى متن فريد فرمى عليهم بالمحرقات وغيرها وأحرق دار العدة فطلبوا الامان وخرجوا الى غرناطة وانتقل للصخرة فأخذها وحصن هذه الحصون كلها وشحنها بالرجال والعدة ورتب فيها الخيل لمحاصرة غرناطة ثم عاد الكافر لبلاده وتعاهد مع السلطان الذى فى أسره بأن من دخل فى حكمه وتحت أمره فهو فى الامان التام وأشاعوا أن ذلك بسبب فتنة وقعت بينه وبين صاحب افرنسية فخرج لبلش وأطاعته ثم بعث لمن والاه من البلاد انه أتى بصلح صحيح وعقد وثيق وأن من دخل تحت أمره أمن من حركة النصارى عليه وأن معه وثائق بخطوط السلاطين فلم يقبل الناس ذلك الا القليل منهم مثل أهل البيازين فلهجوا بهذا الصلح وأقاموا على صحته الدلائل وتكلموا فى أهل غرناطة بالكلام القبيح مع تمكن الفتنة والعداوة فى القلوب فبعث له أهل البيازين انه اذا قدم بهذه الحجج لتلك الجهات اتبعه الناس وقاموا بدعوته من غير التباس فأتى على حين غفلة ولم يكن يظن اتيانه بنفسه فأتى البيازين ودخلها ونادى فى أسواقها بالصلح التام الصحيح فلم يقبل ذلك منه أهل غرناطة وقالوا ما بعهد لوشة من قدم ودخل ربض البيازين بالرجال سادس عشر شوال سنة احدى وتسعين وثمانمائة وعمه بالحمراء وانتقل للقلعة واشتد أمر الفتنة ثم ان صاحب قشتالة أمد صاحب البيازين بالرجال والعدة والمال والقمح والبارود وغيرها واشتد أمره بذلك وعظمت أسباب الفتنة وفشا فى الناس القتل والنهب ولم يزل الامر كذلك الى السابع والعشرين من محرم سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة فعزم أهل غرناطة مع سلطانهم على الدخول على البيازين عنوة وتكلم أهل العلم فيمن انتصر بالنصارى ووجوب مدافعته ومن أطاعه عصى الله ورسوله ودخلوا على أهل البيازين دخول فشل ثم ان صاحب غرناطة بعث الى الاجناد والقواد من أهل بسطة ووادى آش والمرية والمنكب وبلش ومالقة وجميع الاقطار وتجمعوا بغرناطة وتعاهدوا وتحالفوا على أن يدهم واحدة على أعداء الدين ونصرة من قصده العدو من المسلمين وخاف صاحب البيازين فبعث لصاحب قشتالة فى ذلك فخرج بجملته قاصدا نواحى بلش وكان صاحب البيازين بعث وزيره الى ناحية مالقة والى حصن المنشأة يذكر ويخوف ومعه النسخة من عقود الصلح فقامت مالقة وحصن المنشأة بدعوته ودخلوا فى ايالته خوفا من صاحب قشتالة وصولته وطمعا فى الصلح وصحته ثم اجتمع بكار مالقة مع أهل بلش وذكروا لهم سبب دخولهم فى هذه الدعوة والسبب الحامل لهم على ذلك فلم يرجع أهل بلش عما عاهدوا عليه أهل غرناطة وسائر الاندلس من العهود والمواثيق وخرج صاحب قشتالة قاصدا بلش مالقة ونزل عليها فى ربيع الثانى سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة وحاصرها والناصح عند صاحب غرناطة ذلك اجتمع بالناس فأشاروا بالمسير لاغاثة بلش للعهد الذى عقدوه وأتى أهل وادى آش وغيرها وحشود البشرات وخرج صاحب غرناطة منها فى الرابع والعشرين لربيع الثانى من السنة ووصل بلش فوجد العدو نازلا عليها برا وبحرا فنزل بجبل هنالك وكثر لغط الناس وحملوا على النصارى من غير تعبية وحين حركتهم للحملة بلغ السلطان الزغل أن غرناطة بايعت صاحب البيازين فالتقوا

مع

مع النصارى فشلين وقبل الالتحام انهزموا وتبددت جموعهم مع كون النصارى خائفين وجلين منهم ولاحول ولاقوة الاباالله فرجعوا منهزمين وقد شاع عند الخواص ثورة غرناطة على السلطان فقصدوا وادى آش وعاد النصارى الى بلش بعد أن كانوا رتبوا جيوشهم للقاء السلطان وأهل غرناطة فلما عادوا الى بلش دخلوا عنوة ربضها وضيقوا بها وكانت ثورة غرناطة خامس جمادى الاولى ولما رأى أهل بلش تكالب العدو عليهم وادبار جيوش المسلمين عنهم طلبوا الامان فخرجوا يوم الجمعة عاشر جمادى الاولى من السنة وأطاعت النصارى جميع البلاد التى بشرقى مالقة وحصن قارش ثم انتقل العدو الى حصار مالقة وكان أهل مالقة قد دخلوا فى الصلح وأطاعوا صاحب البيازين وأتى اليها النصارى بالميرة ولما نزل بلش بعثوا هدية لصاحب قشتالة مع قائدهم وزير صاحب البيازين وقائد شريش الذى كان مأسورا عندهم فلم يلتفت اليهم صاحب قشتالة لقيام جبل فارة وهو حصن مالقة بدعوة صاحب وادى آش وارتحل صاحب قشتالة الى مالقة ونازلها برا وبحرا وقاتله أهلها قتالا عظيما بمدافعهم وعدتهم وخيلهم ورجلهم وطال الحصار حتى أداروا على مالقة من البر الخنادق والسور والاجفان من البحر ومنع الداخل اليها ولم يدخلها غير جماعة من المرابطين حال الحصار وحاربوا حربا شديدا وقربوا المدافع ودخلوا الارباض وضيقوا عليهم بالحصار الى أن فنى ما عندهم من الطعام فأكلوا المواشى والخيل والحمير وبعثوا الكتب للعدوتين وهم طامعون فى الاغاثة فلم يأت اليهم أحد وأثر فيهم الجوع وفشا فى أهل نجدتهم القتل ولم يظهروا مع ذلك هلعا ولا ضعفا الى أن ضعف حالهم ويئسوا من ناصر أو مغيث من البر والبحر فتكاموا مع النصارى فى الامان كما وقع ممن سواهم فعوتبوا على ما صدر منهم وما وقع من الجفاء وقيل لهم لما تحقق العدو التجاءهم لورقة من الموت وتعطون مفتاح القلعة والحصن والسلطان مايعاملكم الا بالخير اذا فعلتم وهذا خداع من الكفار فلما تمكن العدو منهم أخذهم أسرى وذلك أواخر شعبان سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ولم يبق فى تلك النواحى موضع الا وملكه النصارى * وفى عام ثلاثة وتسعين وثمانمائة خرج العدو الكافر الى الشرقية وبلش التى كانت فى الصلح فاستولى عليها واحتجوا بالصلح فلم يلتفت اليهم وأخذ تلك البلاد كلها صلحا ثم رجع لبلاده * وفى عام أربعة وتسعين خرج لبعض حصون بسطة فأخذها بعد حرب واستولى على ما هنالك من الحصون ثم نازل بسطة وكان صاحب وادى آش لما تعين العدو بجملته بعث جميع جنده وقواده وحشد أهل نجدة تلك البلاد من وادى آش والمرية والمنكب والبشرات فلما نزل العدو ببسطة أتت الحشود المذكورة ودخلوها ووقعت بين المسلمين والنصارى حروب عظيمة حتى تفقر العدو عن قرب بسطة ولم يقدر على منع الداخل والخارج وبقى الامر كذلك رجب وشعبان ورمضان ومحلات المسلمين نازلة خارج البلد ثم ان العدو شد الحصار وجد فى القتال وقرب المدافع والآلات من الاسوار حتى منع الداخل والخارج بعض منع واشتد الحال فى القعدة والحجة وقل الطعام وفى آخر الحجة اختبروا الطعام فى خفية فلم يجدوا الا القليل وكانوا طامعين فى اقلاع العدو عند دخول فصل الشتاء واذا بالعدو بنى

وعزم على الاقامة وقوى اليأس على المسلمين فتكلموا فى الصلح على ما فعل غيرهم من الاماكن وظن العدو ان الطعام لم يبق منه شئ وأن ذلك هو الملجئ لهم للكلام وفهموا عنه ذلك فاحتالوا فى اظهار جميع أنواع الطعام بالاسواق وأبدوا للعدو القوة مع كونهم فى غاية الضعف والحرب خدعة فدخل بعض كبار النصارى للتكلم معهم وهو عين لبرى ما عليه البلد وما صفة الناس وعند تحققهم بقاء الطعام والقوة أعطوهم الامان على أنفسهم دون من أعانهم من أهل وادى آش والمنكب والمرية والبشرات فان دفعوا هؤلاء عنهم صح لهم الامان والا فلا فلم يوافق أهل البلد على هذا وطال الكلام وخاف أهل البلد من كشف الستر فاتفقوا على أن تكون العقدة على بسطة ووادى آش والمرية والمنكب والبشرات ففعلوا ذلك ودخل جميع هؤلاء فى طاعة العدو على شروط شرطوها وأمور أظهروا بعضها للناس وبعضها مكتوم وقبض الخواص مالا وحصلت لهم فوائد * وفى يوم الجمعة عاشر محرم سنة خمس وتسعين وثمانمائة دخل النصارى قلعة بسطة وملكوها ولم يعلم العوام كيفية ما وقع عليه الشرط والالتزام وقالوا لهم من بقى بموضعه فهو آمن ومن انصرف خرج بماله وسلاحه سالما ثم أخرج العدو المسلمين من البلد وأسكنهم بالربض خوف الثورة ثم ارتحل العدو للمرية وأطاعته جميع تلك البلاد ونزل صاحب وادى اش للمرية ليلقاه بها فلقيه وأخذ الحصون والقلاع والبروج وبايع له السلطان أبو عبد الله على أن يبقى تحت طاعته فى البلاد التى تحت حكمه كما أحب فوعده بذلك وانصرف معه الى وادى آش ومكنه من قلعتها أوائل صفر من العام المذكور وأطاعته جميع البلاد ولم يبق غير غرناطة وقراها وجميع ما كان فى حكم صاحب وادى آش صار للنصارى فى طرفة عين وجعل فى كل قلعة قائدا نصرانيا وكان قائد من المسلمين أصحاب هذه البلاد دفع لهم الكفار مالا من عند صاحب قشتالة اكراما منه لهم بزعمهم فتبا لعقولهم وما ذلك منه الا توفير لرجاله وعدته ودفع بالتى هى أحسن ثم أخذ يزيح الملاحة وغيره وبناه وحصنه وشحن الجميع بالرجال والذخيرة وأظهر الصحبة والصلح مع صاحب وادى آش وأباح الكلام بالسوء فى حق صاحب غرناطة مكرا منه وخداعا وعودها ثم بعث فى السنة نفسها رسلا لصاحب غرناطة أن يمكنه من الحمراء كما مكنه عمه من القلاع والحصون ويكون تحت ايالته ويعطيه مالا جزيلا على ذلك وأى بلاد شاء من الاندلس يكون فيها تحت حكمه قالوا وأطمعه صاحب غرناطة فى ذلك فخرج العدو فى محلاته لقبض الحمراء والاستيلاء على غرناطة وهذا فى سر بين السلطانين فجمع صاحب غرناطة الاعيان والكبراء والاجناد والفقهاء والخاصة والعامة وأخبرهم بما طلب منه العدو وأن عمه أفسد عليه الصلح الذى كان بينه وبين صاحب قشتالة بدخوله تحت حكمه وليس لنا الا احدى خصلتين الدخول فى طاعته أو القتال فاتفق الرأى على الجهاد والوفاء بما عقده من صلح وخرج بمحلته ثم ان صاحب قشتالة نزل على مرج غرناطة وطلب من أهل غرناطة الدخول فى طاعته والا أفسد عليهم زروعهم فاعلنوا بالمخالفة فأفسد الزرع وذلك فى رجب سنة خمس وتسعين ووقعت بين المسلمين والعدو حروب كثيرة ثم ارتحل العدو عند الاياس منهم ذلك الوقت وهدم بعض حصون وأصلح برج

همدان والملاحة وشحنهما بما ينبغي ثم رجع الى بلاده وعند انصرافه نزل صاحب غرناطة بمن معه الى بعض الحصون التي في يد النصارى ففتحها عنوة وقتل من فيها من النصارى وأسكنها المسلمين ورجع لغرناطة ثم أعمل الرحلة الى البشرات في رجب المذكور فأخذ بعض القرى وهرب من بها من النصارى والمرتدين أصحابهم ثم أتى حصن اندرش فتمكن منه وأطاعته البشرات وقامت دعوة الاسلام بها وخرجوا عن ذمة النصارى وهنالك عمه أبو عبد الله محمد بن سعد بجملة وافرة فقصدهم في شعبان من غرناطة واستقر عمه بالمرية واطاعت صاحب غرناطة جميع البشرات الى برجة ثم تحرك عمه مع النصارى الى اندرش فأخذوها رمضان وخرج صاحب غرناطة لقرية همدان وكان برجها العظيم مشحونا بالرجال والعدة والطعام فحاصره أهل غرناطة ونصبوا عليه أنواعا من الحرب ومات فيه خلق كثير منهم ونقبوا البرج الاول والثاني والثالث وألجؤهم للبرج الكبير وهو القلعة فنقبوها ثم أسروا من كان بها وهم ثمانون ومائة واحتووا على ما هنالك من عدة وآلات حرب * وفي آخر رمضان خرج صاحب غرناطة بقصد المنكب فلما وصل حصن شلوبانية نزله وأخذه عنوة بعد حصاره وامتنعت القلعة وجاءتهم الامداد من مالقة بحرا فلم تقدر على شئ وضيقوا بالقلعة فوصلهم الخبر ان صاحب قشتالة خرج بجملته لمرج غرناطة فارتحل صاحب غرناطة عن قلعة شلوبانية وجاء غرناطة ثالث شوال وبعد وصولهم غرناطة وصل العدو الى المرج ومعه المرتدون والمدجنون وبعد ثمانية أيام ارتحل العدو لبلاده بعد هدم برج الملاحة واخلائه وبرج آخر وتوجه الى وادي آش فأخرج المسلمين منها ولم يبق بها مسلم في المدينة ولا الربض وهدم قلعة اندرش وحاف على البلاد ولما رأى ذلك السلطان الزغل وهو أبو عبد الله محمد بن سعد عم سلطان غرناطة بادر بالجواز لبر العدوة فجاز لوهران ثم لتلمسان واستقر بها وبها نسله الى الآن يعرفون ببني سلطان الاندلس ودخل صاحب قشتالة لاقاصي مملكته بسبب فتنة بينه وبين الافرنج ثم تحرك صاحب غرناطة على برشانة وحاصرها وأخذها وأسر من كان بها من النصارى وأرادت فتيانه القيام على النصارى فجاء صاحب وادي آش ففتك فيهم * وفي القعدة من السنة رفع صاحب غرناطة من السند وخلت تلك الاوطان من الانس * وفي ثاني عشري جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وثمانمائة خرج العدو بجملاته الى مرج غرناطة وأفسد الزرع ودوخ الارض وهدم القرى وأمر ببناء موضع بالسور والحفير وأحكم بناءه وكانوا يذكرون انه عزم على الانصراف فاذا به صرف الهمة الى الحصار والاقامة وصار يضيق على غرناطة كل يوم ودام القتال سبعة أشهر واشتد الحصار بالمسلمين غير أن النصارى على بعد والطريق بين غرناطة والبشرات متصلة بالمرافق والطعام من ناحية جبل شلير الى أن تمكن فصل الشتاء وكاب البرد ونزل الثلج فانسد باب المرافق وانقطع الجالب وقل الطعام واشتد الغلاء وعظم البلاء واستولى العدو على أكثر الاماكن خارج البلد ومنع المسلمين من الحرث والسبب وضاق الحبال وبان الاختلال وعظم الخطب وذلك أول عام سبعة وتسعين وثمانمائة وطمع العدو في الاستيلاء على غرناطة بسبب الجوع والغلاء دون الحرب ففر ناس كثيرون من الجوع الى البشرات ثم اشتد الامر في شهر صفر

من السنة وقل الطعام وتفاقم الخطب فاجتمع ناس مع من يشار اليه من أهل العلم وقالوا انظروا فى أنفسكم وتكلموا مع سلطانكم فأحضر السلطان أهل الدولة وأرباب المشورة وتكلموا فى هذا المعنى وان العدو يزداد مدده كل يوم ونحن لا مدد لنا وكان ظننا أنه يقلع عنا فى فصل الشتاء فخاب الظن وبنى وأسس وأقام وقرب منا فانظروا لانفسكم وأولادكم فاتفق الرأى على ارتكاب أخف الضررين وشاع أن الكلام وقع بين النصارى ورؤساء الاجناد قبل ذلك فى اسلام البلد خوفا على نفوسهم وعلى الناس ثم عقدوا مطالب وشروطا أرادوها وزادوا أشياء على ما كان فى صلح وادى آش منها ان صاحب رومة يوافق على الالتزام والوفاء بالشرط اذا مكنوه من حمراء غرناطة والمعاقل والحصون ويحلف على عادة النصارى فى العهود وتكلم الناس فى ذلك وذكروا أن رؤساء أجناد المسلمين لما خرجوا للكلام فى ذلك امتن عليهم النصارى بمال جزيل وذخائر ثم عقدت بينهم الوثائق على شروط قررت على أهل غرناطة فانقادوا اليها ووافقوا عليها وكتبوا البيعة لصاحب قشتالة فقبلها منهم ونزل سلطان غرناطة من الحمراء * وفى ثانى ربيع الاول من السنة أعنى سنة سبع وتسعين وثمانمائة استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد أن استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الاعيان رهنا خوف الغدر وكانت الشروط سبعة وستين منها تأمين الصغير والكبير فى النفس والاهل والمال وابقاء الناس فى أماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم ومنها اقامة شريعتهم على ما كانت ولا يحكم على أحد منهم الا بشريعتهم وان تبقى المساجد كما كانت والاوقاف كذلك وأن لا يدخل النصارى دار مسلم ولا يغصبوا أحدا وأن لا يولى على المسلمين نصرانى أو يهودى ممن يتولى عليهم من قبل سلطانهم قبل وأن يفتك جميع من أسر فى غرناطة من حيث كانوا وخصوصا أعيانا نص عليهم ومن هرب من أسارى المسلمين ودخل غرناطة لا سبيل عليه لمالكه ولا سواه والسلطان يدفع ثمنه لمالكه ومن أراد الجواز للعدوة لا يمنع ويجوزون فى مدة عينت فى مراكب السلطان لا يلزمهم الا الكراء ثم بعد تلك المدة يعطون عشر مالهم والكراء وأن لا يؤخذ أحد بذنب غيره وأن لا يقهر من أسلم على الرجوع للنصارى ودينهم وان من تنصر من المسلمين يوقف أياما حتى يظهر حاله ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى فان أبى الرجوع الى الاسلام تمادى على ما أراد ولا يعاتب على من قتل نصرانيا أيام الحرب ولا يؤخذ منه ما سلب من النصارى أيام العداوة ولا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى ولا يسخر لجهة من الجهات ولا يزيدون على المغارم المعتادة وترفع عنهم جميع المظالم والمغارم المحدثة ولا يطلع نصرانى للسور ولا يتطلع على دور المسلمين ولا يدخل مسجدا من مساجدهم ويسير المسلم فى بلاد النصارى آمنا فى نفسه وماله ولا يجعل علامة كما يجعل اليهود واهل الذمة ولا يمنع مؤذن ولا مصل ولا صائم ولا غيره من أمور دينه ومن ضحك منهم يعاقب ويتركون من المغارم سنين معلومة وأن يوافق على كل الشروط صاحب رومة ويضع خط يده وأمثال هذا مما تر كنا ذكره وبعد ابرام ذلك ودخول النصارى للحمراء والمدينة جعلوا قائدا بالحمراء وحكاما ومقدمين بالبلد ولما علم ذلك أهل البشرات دخلوا فى هذا الصلح وشملهم حكمه على هذه

الشروط

الشروط ثم أمر العدو الكافر ببناء ما يحتاج اليه فى الحمراء وتحصينها وتجديد بناء قصورها واصلاح سورها وصار الطاغية يختلف الى الحمراء منها را ويبيت بمحلته ليلا الى أن اطمأن من خوف الغدر فدخل المدينة وتطوف بها وأحاط خبرا بمايرومه ثم أمر سلطان المسلمين أن ينتقل لسكنى البشرات وانها تكون له فى سكناه باندرش فانصرف اليها وأخرج الاجناد منها ثم احتال فى ارتحاله لبر العدوة وأظهر ان ذلك طلبه منه المذكور فكتب لصاحب المرية انه ساعة وصول كتابى هذا لاسبيل لاحد أن يمنع مولاى أبا عبد الله من السفر حيث أراد من بر العدوة ومن وقف على هذا الكتاب فليصرفه ويقف معه وفاء بما عهد له فانصرف فى الحين بنص هذا الكتاب وركب البحر ونزل بمليلة واستوطن فاسا وكان قبل طلب الجواز لناحية مراكش فلم يسعف بذلك وحين جوازه لبر العدوة لقى شدة وغلاء وبلاء ثم ان النصارى نكثوا العهد ونقضوا الشروط عروة عروة الى أن آل الحال لحلهم المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعمائة بعد أمور وأسباب أعظمها وأقواها عليهم أنهم قالوا ان القسيسين كتبوا على جميع من كان أسلم من النصارى أن يرجعوا قهرا للكفر ففعلوا ذلك وتكلم الناس ولا جهد لهم ولا قوة ثم تعدوا الى أمر آخر وهو أن يقولوا للرجل المسلم ان جدك كان نصرانيا فأسلم فترجع نصرانيا ولما فحش هذا الامر قام أهل البيازين على الحكام وقتلوهم وهذا كان السبب للتنصر قالوا لان الحكم خرج من السلطان ان من قام على الحاكم فليس الا الموت الا أن يتنصر فينجو من الموت وبالجملة فانهم تنصروا عن آخرهم بادية وحاضرة وامتنع قوم من التنصر واعتزلوا النصارى فلم ينفعهم ذلك وامتنعت قرى وأماكن كذلك منها بلفيق واندرش وغيرهما فجمع لهم العدو الجوع واستأصلهم عن آخرهم قتلا وسبيا الا ماكان من جبل بللنقة فان الله تعالى أعانهم على عدوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة مات فيها صاحب قرطبة وأخرجوا على الامان الى فاس بعيالهم وما خف من أموالهم دون الذخائر ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله فى خفية ويصلى فشدد عليهم النصارى فى البحث حتى انهم أحرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك ومنعوهم من حمل السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد وقاموا فى بعض الجبال على النصارى مرارا ولم يقيض الله تعالى لهم ناصرا الى أن كان اخراج النصارى اياهم بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر وألف فخرجت ألوف بفاس وألوف أخر بتلمسان من وهران وجمهورهم خرج بتونس فتسلط عليهم الاعراب ومن لا يخشى الله تعالى فى الطرقات ونهبوا أموالهم وهذا بلاد تلمسان وفاس ونجا القليل من هذه المضرة وأما الذين خرجوا بنواحى تونس فسلم أكثرهم وهم لهذا العهد عمروا قراها الخالية وبلادها وكذلك بتطاون وسلا وفيجة الجزائر ولما استخدم سلطان المغرب الاقصى منهم عسكرا جرارا وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد فى البحر ما هو مشهور الآن وحصنوا قلعة سلا وبنوا بها القصور والحمامات والدور وهم الآن بهذا الحال ووصل جماعة الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام وغيرها من بلاد الاسلام وهم لهذا العهد على ما وصف والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين والسلطان المذكور الذى أخذت على يده غرناطة هو أبو عبد الله محمد الذى انقرضت بدولته

مملكة الاسلام بالاندلس ومحيت رسومها ابن السلطان أبي الحسن ابن السلطان سعد ابن الامير علي ابن السلطان يوسف ابن السلطان محمد الغني بالله واسطة عقدهم ومشيد مبانيهم الانيقه وسلطان دولتهم على الحقيقه وهو المخلوع الوافد على الاصقاع المرينية بفاس العائد منها الملكه في أرفع الصنائع الرحمانية العاطرة الانفاس وهو سلطان لسان الدين ابن الخطيب وقد ذكرنا جملة من أخباره في غير هذا الموضع ابن السلطان أبي الحجاج يوسف ابن السلطان اسمعيل قاتل سلطان النصارى دون بطرة بمرج غرناطة ابن فرج بن اسمعيل بن يوسف بن نصر بن قيس الانصاري الخزرجي رحمهم الله تعالى جميعا وانتهى السلطان المذكور بعد نزوله بمليلة الى مدينة فاس بأهله وأولاده معتذرا عما أسلفه متلهفا على ما خلفه وبنى بفاس بعض قصور على طريق بنيان الاندلس رأيتها ودخلتها وتوفي رحمه الله تعالى بفاس عام أربعين وتسعمائة ودفن بازاء المصلى خارج باب الشريعة وخلف ولدين اسم أحدهما يوسف والآخر أحمد وعقب هذا السلطان الى الآن بفاس وعهدي بذريته بفاس الى الآن سنة ١٠٣٧ يأخذون من أوقاف الفقراء والمساكين ويعدون من جملة الشحاذين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * وقد رأيت أن أذكر هنا الرسالة التي كتب بها المخلوع المذكور الى سلطان فاس الشيخ الوطاسي وهي من انشاء الكاتب المجيد البارع البليغ أبي عبد الله محمد بن عبد الله العربي العقيلي رحمه الله تعالى وسماها بالروض العاطر الانفاس في التوسل الى المولى الامام سلطان فاس ونصها بعد الافتتاح

مولى الملوك ملوك العرب والعجم * رعيا لما مثله يرعى من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار أنت لمن * جار الزمان عليه جور منتقم
حتى غدا ملكه بالرغم مستلبا * وأقطع الخطب ما يأتي على الرغم
حكم من الله حتم لا مرد له * وهل مرد لحكم منه منحتم
وهي الليالي وقال الله صولتها * تصول حتى على الآساد في الاجم
كنا ملوكا لنا في أرضنا دول * تمنا بها تحت أفنان من النعم
فأيقظتنا سهام للردى صيب * يرمي بأجمع حتف من بهن رمى
فلا تنم تحت ظل الملك نومتنا * وأي ملك بظل الملك لم ينم
يبكي عليه الذي قد كان يعرفه * بأدمع مزجت أمواهها بدم
كذلك الدهر لم يبرح كما زعموا * يشم بؤ الصغار الانف ذا الشمم
وصل أواصر قد كانت لنا اشتبكت * فالملك بين ملوك الارض كالرحم
وابسط لنا الملق المرجو باسطه * واعطف ولا تنحرف واعذر ولا تلم
لا تأخذونا بأقوال الوشاة ولم * نذنب ولو كثرت أقوال ذي الوخم
فما أطقنا دفاعا للقضاء ولا * ارادت أنفسنا ما حل من نقم
ولا ركوبا بازعاج لسابحة * في زاخر بأكف الموج ملتطم
والمرء مالم يعنه الله أضيع من * طفل تشكى بفقد الام في اليتم
وكل ما كان غير الله يحرسه * فان محروسه لحم على وضم

كن كالسموأل اذ سار الهمام له * في جحفل كسواد الليل مرتكم
فلم يجد أدرع الكندي وهو يرى * ان ابنه البرّ قد أشفى على الرجم
أو كالمعلى مع الضليل الاروع اذ * أجاره من أعاريب ومن عجم
وصار يشكره شكرا يكافئ ما * أسدى اليه من الآلاء والنعم
ولا تعاتب على أشياء قد قدرت * وخط مسطورها في اللوح بالقلم
وعد عما مضى اذ لا ارتجاع له * وعد أحرارنا في جملة الندم
ايه حنانيك يا ابن الاكرمين علي * ضيف ألمّ بفناس غير محتشم
فأنت أنت ولولا أنت ما نهضت * بنا اليها خطى الوخادة الرسم
رحماك يا راحما يفي الى رحما * في النفس والاهل والاتباع والحشم
فكم مواقف صدق في الجهاد لنا * والخيل عالكة الاشداق باللجم
والسيف يخضب بالمحمرّ من علق * ما ابيض من سبل واسود من لمم
ولا ترى صدر عضب غير منقصف * ولا ترى متن لدن غير منحطم
حتى دهينا بدهيا لا اقتدار بها * سوى على الصون للاطفال والحرم
فقال من لم يشاهدها فربما * يخال جامحها يقتاد بالخطم
هيهات لو زينته الحرب كان بها * أعيي يدا من يد جالت على رحم
تالله ما أضمرت غشا ضمائرنا * ولا طوت صحة منها على سقم
لكن طلبنا من الامر الذي طلبت * ولا تناقبلنا في الاعصر الدهم
نخاتنا عنده الجدّ المخوّن ومن * تقعد به نكبات الدهر لم يقم
فاسود ما اخضرّ من عيش دهته عدا * بالاسمر اللدن أو بالابيض الخذم
وشتت البين شملا كان منتظما * والبين أقطع للموصول من جلم
فرب مبنى شديد قد أناخ به * ركب البلا فقرنه أدمع الديم
قمنا لديه أصيلانا نسائله * اعياجوابا وما بالربع من أرم
وما ظننا بأن نبقى الى زمن * نرى به غرر الاحباب كالحمم
لكن رضا بالقضا الجاري وان طويت * منا الضلوع على برح من الالم
لبيك يا من دعانا نحو حضرته * دعاء ابراهم الحجاج للحرم
واعط الامان الذي رضت قواعده * على أساس وفاء غير منهدم
خليفة الله والمالك العبيد فكن * في كل فضل وطول عند ظنهم
وبين أسلافنا ما قد علمت به * من اعتقاد بحكم الارث مقتسم
وأنت منهم كأصل مطلع غصنا * أو كالشراك الذي قد قدّ من أدم
وقد خطوت خطاهم في مآثرهم * فلم يذموا اذ فيها ولم تذم
وصيت مولى الورى الشيخ الامام غدا * في الناس أشهر من نار على علم
سلالة الامراء الجلة الكبرا * العلية الطهراء القادة البهم
بنو مرين ليوث في عرين أبوا * وؤيا قرين لهم في البأس والكرم

النازلين من البيضاء وسط حمى * احمى من الابلق السامى ومن ارم
والجائسين بدهم الخيل كل ذرى * والداعسين بسمر الخط كل كمى
يريك فارسهم ان هز عامله * فى مارق بلظى الهيجاء مضطرم
لشاعلى أجدل عار من آجنحة * يسطو بارقسم لذاع بغير فسم
فى اللام يدغم من عساله ألفا * ولم نجد ألفا أصلا يدغم
أهل الحفيظة يوم الروع يحفظهم * من عصمة الله ما يربى على العصم
يامن تطير شرارا منه محرقة * لكل مدرع بالحزم محتزم
هم وبطانة التثليث قد فتكوا * كمثل ما يفتك السرحان بالغنم
وان يلمهم يوم الوغى رهج * أنسوك ماذكروه عن ذوى اللمم
تضئ آراؤهم فى كل معضلة * اضاءة السرج فى داج من الظلم
هذا ولو من حياء ذاب محتشم * لذاب منهم حياء كل محتشم
طابت مدائحهم اذ طابت أنفسهم * فاشتقت النسمات اسمها من النسم
لله درهم والسحب باخلة * بدرهن على الانعام والنسم
بحيث آلافق يرى من لون حمرته * كالشيب يخضب بالحناء والكتم
هنالك تنهل أيديهم بصوب حيا * يحيا بالاجداث مافيها من الرمم
وان يبتى زياد طالما ذكروا * اذا الملت أحاديث بذكرهم
أحلام عادوا جسام مطهرة * من المعقبة والآفات والاثم
يرون حقا عليهم حفظ جارهم * فلم يضر نازل فيهم ولم يضم
فروعهم بالدواهى لايراع ولا * يغم منها بما يعرو من الغمم
هم البحار سما حاشا غيرأن بها * ماقد اناف على الاطواد من هضم
وليس يسلم من حتف محاربهم * حتى يكون اليهم ملقى السلم
كم فيهم من أمير أو حدندس * يقرطس الغرض المقصود بالفهم
ولا كسبط أبى حسون من حسنت * أمداحه حسن مافيه من الشيم
هذا كم ابن أبى ذكرى الهمام فقل * فى أصله المنتقى من مجده العمم
خليفة الله حقا فى خليقته * كنائب ناب فى حكم عن الحكم
مهما تنر قسمات منه نيرة * تنل بنازله ماجل من نعم
فوجهه بدجا أو كفه بجدى * أبهى من الزهر أو أندى من الديم
وفضله وله الفضل المبين جرى * كجرى آلامثال فى الاقطار والامم
وجوده المتوالى للبرية ما * وجوده بنهاط رائهدم
اذا ابتغت نعما منه العفاة له * لم يسمعوا كلمة منه سوى نعم
وان يعبس زمان فى وجوههم * لم يبصروا غير وجه منه مبتسم
وجه تبين سمات المكرمات به * كما تبين سمات الصدق فى الكلم
وراحة لم تزل فى كل آونة * فى نيلها راحة الشاكى من العدم

لله

لله ما الـــــ تزمته من نوافله * أيام لا فرض مفروض بملتزم
انسى الخلائف فى حلم وفى شرف * وفى سخاء وفى علم وفى فهم
فحاز معتمدا منهم ومعتضدا * وامتاز عن واثق منهم ومعتصم
وناصر الدين فى الاقبال فاق وفى * محبة العلم ازرى بابنه الحكم
افعال أعدائه معتلة أبدا * متى يرم جزمها بالحذف تنجزم
فويل أهل القلى من حية ذكر * للموتلب اللهام الجسر ملتقم
راموا عداوة من ان شاء غادرهم * مثل الاحاديث عن عاد وعن ارم
فسوف يأكلهم من جيشه بلجب * بكل قرم الى لحامهـــــم قرم
وان الاعراب اذ سارو الغابته * لسائرون الى لقم على لقم
وهم كما قاله ماض أرى قدمى * بسعيه نحو حتفى قد أراق دمى
فقل اذن للمناوى الناوالآن أذى * ياغر غرك ما أبصرت فى الحلم
له صوارم لونا جتك ألسنها * لبشرتك بعمر منك منصرم
وان روحك عن قرب سيقبضه * قبض المسلم ما قد حاز من سلم
فهو الذى ماله نـد يشابهـــه * من كل متصف بالدهى متسم
يدبر الامر تدبيرا يخلصه * مما عسى أن يرى فيه من الوهم
ويبصر الغيب لحظ الذهن منه اذا * تعمى عن ادراكه ألحاظ كل عمى
وينهم النظر المفضى بناظره * لصوب وجه صواب واضح اللقم
ذو منطق لم تزل تجلو نتائجه * عن مبطل بخصام المبطل الخصم
وسمع ليس يصغى للوشاة فلم * يتفق لديه الذى عنهم اليه نمى
فعقله لا توازيه العقول وهل * يوازن الطود ما قد طال من أكم
أيد جميع الورى من بدو وحضر * نداء مرتبطا بالنصر مرتسم
شدوا وجدوا ولا تعنوا ولا تهنوا * قد لفها الليل بالسواقة الحطم
هذا الامام المربى السعيد له * سعد يؤيده فى كل مصطدم
قد أقسمت أنه المنصور السنة * من نخبة الاولياء مبرورة القسم
فشيعوه ووالوه تروا عجبا * وتظفروا معه بالاجر والغنم
والحمد لله اذ أبقى خلافته * كهفا لنا من يخيم فيه لم يرم
حرز حريز وعز قائم وندى * غمر دراك بلا من ولا سأم
دامت ودام لها سعد يساعدها * فى كل مبتدأ منه ومختتم
فالله عز اسمه قد زانها بحلى * من عز أمداحه كالدر فى النظم
الواهب الالف بعد الالف من ذهب * كالجر يابع فى مستوقد الضرم
والفاعل الفعل لم يهمم به أحد * والقائل القول فيه حكمة الحكم
ذاكم هو الشيخ فاعجب انه هرم * جودا وحاشاه أن يعزى الى هرم

قوله ايد الخ فى نسخة ايه وكلاهما غير ملائمة لقوله نداء فاعله نادى الخ وليحرر اه مصححه

وحسبنا أن أيدينا به اعتصمت * من حبله بوثيق غير منفصم
فما مخالفه يوما بمغتبط * ولا موالفه يوما بمهتضم
ولا موافيه في جهد بمطرح * ولا مصافيه في ود بمتهم
ولا محاميه بمنكشف * ولا رجاء مرجيه بمنخرم
وما تكرمه سرا بمنكشف * ولا تنكره جهرا بمكتتم
وليس لامح مرآه بمكتئب * وليس راضع جدواه بمنفطم
ولا مقبل يمناه الكريمة في * محل ممتهن بل دست محترم
وما وسيلتنا العظمى اليه سوى * ما ليس ينكر ما فيها من العظم
وانما هي وما أدراك ما هي من * وسيلة ردها أدهى من الوخم
نبينا المصطفى الهادي بخير هدى * محمد خير خلق الله كلهم
داعي الورى من أولي خيم وأهل قرى * الى طريق رشاد لاحب أمم
عليه منا صلاة الله ما ذكرت * أمن تذكر جيران بذي سلم
وما تشفع فيها بالشفيع له * دخيل حرمته العلياء في الحرم

ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين وبنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم نعم المولى ونعم النصير أما بعد حمد الله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي طلع طلوع الفجر بل البدر فلاح يدعو الى سبيل كل فلاح أولى قلوب غافله ونفوس سواه والرضى عن آله وأصحابه وعترته الاكرمين وأحزابه الذين تلقوا بالقبول ما أورده عليهم من أوامر ونواه وعزروه ونصروه في حال قربه ونواه فيا مولانا الذي اولانا من النعم ما أولانا لاحط الله تعالى لكم من العزة أرواقا ولا أذوى لدوحة دولتكم اغصانا ولا أوراقا ولا زالت مخضرة العود مبتسمة عن زهرات البشائر متحفة بثمرات السعود ممطورة بسحائب البركات المتدارکات دون برق ولا رعود هذا مقام العائذ بقمامكم المتعلق باسباب ذمامكم المترجي لعواطف قلوبكم وعوارف انعامكم المقبل الارض تحت أقدامكم الملجلج اللسان عند محاولة مفاتحة كلامكم وماذا الذي يقول من وجهه خجل وفؤاده وجل وقضيته المقضية عن التنصل والاعتذار تجل بيد أني أقول لكم ما أقوله لربي واجترائي عليه أكثر واجترامي اليه أكبر اللهم لا برئ فاعتذر ولا قوي فانتصر لكني مستقيل مستنيل مستعتب مستغفر وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء هذا على طريق التنزل والانصاف بما تقتضيه الحال ممن يتحيز الى حيز الانصاف وأما على جهة التحقيق فأقول ما قالته الامة ابنة الصديق والله اني لاعلم أني ان اقررت بما يقوله الناس والله يعلم اني منه بريئة لاقول ما لم يكن ولئن انكرت ما تقولون لا تصدقوني فأقول ما قاله أبو يوسف صبر جميل والله المستعان على ما تصفون على اني لا انكر عيوبي فانا معدن العيوب ولا أجحد ذنوبي فانا جبل الذنوب الى الله أشكو عجزي وبجري وسقطاتي وغلطاتي ثم

كل شئ ولا ما يقوله المتقول المشنع المهول الناطق بفم الشيطان المسول ومن أمثالهم سبق واضدق ولا تفتر ولا تخلق الخلق كان يفعل امثالها ويحمل من الاوزار المضاعفة اجمالها ويهلك نفسه ويحبط أعمالها عياذا بالله من خسران الدين وايثار الجاحدين والمعتدين قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين وايم الله لو علمت شعرة في نودي تميل الى تلك الجهة لقطعتها بل لقطفت ما تحت عمامتي من هامتي وقطعتها غير أن الرعاع في كل وقت وأوان للملك أعداء وعليه أحزاب وأعوان كان أحمق أو أجهل من أبي ثروان أو أعقل أو أعلم من أشيم بني مروان رب متهم برى ومسربل بسربال وهو منه عرى وفي الاحاديث صحيح وسقيم ومن التراكيب المنطقية منتج وعقيم ولكن ثم ميزان عقل تعتبر به أوزان النقل وعلى الراجح الاعتماد ثم اساغة الاحماد المتصل المقاد والمرجوح الاطراح ثم التزام الصراح بعد النفض من الراح وأكثر ما تسمعه الكذب وطبع جمهور الخلق الامن عصمه الله تعالى اليه منجذب ولقد قذفنا من الاباطيل باحجار ورمينا بما لا يرمى به الكفار فضلا عن الفجار وجرى من الامر المنقول على لسان زيد وعمرو ما لديكم منه حفظ الجار واذا عظم الانكاء فعلى تكاءة التجلد الاتكاء أكثر المكثرون وجهد في تعثيرنا المتعثرون ورمونا عن قوس واحده ونظمونا في سلك الملاحده اكفرا أيضا كفرا غفرا اللهم غفرا أعد نظرا يا عبد قيس فليس الامر على ما خيل لك ليس وهل زدنا على أن طلبنا حقنا ممن رام محقه ومحقنا فطاردنا في سبيله عداة كانوا لنا غائظين فانفتق علينا فتق لم يمكنه رتق وما كنا للغيب حافظين وبعد فاسأل أهل الحل والعقد والتمييز والنقد فعند جهينتهم تلقى الخبر يقينا وقد رضينا بحكمهم يوثمنا فيوبقنا أو يبرئنا فيقينا ايه يا من اشرأب الى ملامنا وقدح حتى في اسلامنا رويدا رويدا فقد وجدت قوة وأيدا ويحك انما طال لسانك علينا وامتد بالسوء الينا لان الزمان لنا مصغر ولك مكبر والامر عليك مقبل وعنا مدبر كما قاله كاتب الحجاج المور وعلى الجملة فهبنا صرنا الى تسليم مقالك جدلا وذهبنا فأقررنا بالخطا في كل ورد وصدر فقد درّ القائل ان كنت أخطأت فما اخطأ القدر وكأنا بعسف اذا وصل الى هنا وعدم انصافه يعلمه الهنا قد ازور متجانفا ثم افترّ متهانفا وجعل يتمثل بقولهم اذا عيروا قالوا مقادير قدرت وبقولهم المرء يعجزه المحال فيعارض الحق بالباطل والحالي بالعاطل وينزع بقول القائل رب مسمع هائل وليس تحته طائل وقد فرغنا أول أمس من جوابه وتركنا الضغن يلصق حرارة الجوى به وسنلم الآن بما يوسعه تسكينا ويقطعه تبكيتا فنقول له ناشدناك الله تعالى هل اتفق لك قط وعرض خروج أمر ما عن القصد منك فيه والغرض مع اجتهادك أثناءه في اصدارك وايرادك في وقوعه على وفق اقتراحك ومرادك أو جميع ما تزاوله بادارتك لا يقع الا مطابقا لارادتك أو كل ما تقصده وتنويه تحرزه كما تشاء وتحويه فلا بد أن يقترّ اضطرارا بأن مطلوبه يشذ عنه مرارا بل كثيرا ما يفلت صيده من أشراكه ويطلبه فيعجز عن ادراكه فنقول ومسئلتنا من هذا القبيل أيها النبيه النبيل ثم نسرد له من الاحاديث النبوية ما شئنا مما يسايرنا في غرضنا منه

وعباشينا كقوله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقضاء وقدر حتى العجز والكيس وقوله أيضا لو اجتمع أهل السموات والارض على أن ينفعوك بشئ لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه أو كما قال صلى الله عليه وسلم فأخلق به أن يلوذ بأكناف الاحجام ويزم على نفثه فيه كاظما ألجم بلجام حينئذ تقول له والحق قد أبان وجهه وجلاه وقهره بحجته وعلاه ليس لك من الامر شئ قل ان الامر كله لله وفي محاجة آدم وموسى ما يقطع لسان الخصم ويرحض عن اثواب أعراضنا ما عسى أن يعلق بها من درن الوصم وكيف ما كانت الحال وان ساء الرأى والانتحال ووقعنا في أوجال وأوحال فنزل عرشنا وطويت فرشنا ونكس لوانا وملك مثوانا فنحن أمثل من سوانا وفي الشر خيار وبيد اللطائف تكسر من صولة الاغيار فحتى الآن لم نفقد من اللطيف تعالى لطفا ولا عدمنا أدوات أدعية تعطف بلامهلة على جملتنا المقطوعة جمل النعم الموصولة عطفا والا فتلك بغداد دار السلام ومتبوأ الاسلام المحفوف بفرسان السيوف والاقلام مثابة الخلافة العباسيه ومقر العلماء والفضلاء أولى السير الاويسيه والعقول الاياسيه قد نوزلت بالجيوش ونزلت وزوولت بالزحوف وزلزلت وتحيف جوانبها الحيف ودخلها كفار التتار عنوة بالسيف ولا تسل اذ ذاك عن كيف أيام تجلت عروس المنية كاشفة عن ساقها مبديه وجرت الدماء في الشوارع والطرق كالانهار والاوديه وقيد الائمة والقضاة تحت ظلال السيوف المنتضاه بالعمائم في رقابهم والاردية وللنجيع سيول تخوضها الخيول فتخضبها الى أرساغها وتهم ظماء بوردها فتنكل عن تجرعها ومساغها فطاح عاصمها ومستعصمها وراح ولم يغد ظالمها ومتظلمها وخربت مساجدها وديارها واصطلم بالحسام أشرارها وخيارها فلم يبق من جمهور أهلها عين تطرف حسما عرفت أو حسما تعرف فلا تلك متشككا متوقفا لحديث تلك الواقعة الشنعاء أشهر عند المؤرخين من قفا فاين تلك الجحافل والآراء المدارة في المحافل حين أراد الله تعالى بادالة الكفر لم تجد ولا قلامة ظفر اذن ممن سلمت له نفسه التي هي رأس ماله وعياله وأطفاله اللذان هما من أعظم آماله وكل أوجل أو أقل رياشه وأسباب معاشه الكفيلة بانتهاضه وانتعاشه ثم وجد مع ذلك سبيلا الى الخلاص في حال مياسرة ومساهلة دون تصعب واعتياص بعد ما ظن كل الظن أن لا محيد ولا مناص فالحقه حينئذ وأولاه أن يحمد خالقه ورازقه ومولاه على ما اسداه اليه من رفده وخيره ومعافاته مما ابتلى به كثيرا من غيره ويرضى بكل ايراد واصدار تتصرف فيهما الاحكام الالهية والاقدار فالدهر غدار والدنيا دار مشحونة بالاكدار والقضاء لا يرد ولا يصد ولا يغالب ولا يطالب والدائرات تدور ولا بد من نقص وكمال للبدور والعبد مطيع لا مطاع وليس يطاع الا المستطاع والخالق القدير جلت قدرته في خليقته علم غيب للاذهان عن مداه انقطاع ومالي والتكلف لما لا احتاج اليه من هذا القول بين يدي ذي الجلال والمجادة والفضل والطول فله من العقل الارجح ومن الخلق الامسح ما لا تلتاط معه تهمتي بصغره ولا تنفق عنده وشاية

الوانشي

الوانى لاعدّ من نفره ولافاز قدحه بظفره والمولى يعلم أن الدنيا تلعب باللاعب وتجز براحتها الى المتاعب وقديما للاكياس من الناس خدعت وانصرفت عن وصالهم اعقل ما كانوا وقطعت وفعلت بهم مافعلت بيسار الكواعب التى جبت وجدعت ولئن رهصت وعصرت فقد نبهت وبصرت ولئن قرعت ومعضت لقد ارشدت ووعظت وياويلنا من تنكرها النابزه ورميها النافى غمرة أى غمره أيام قلبت لناظهر المجن وغيم افقها المصحى وأدجن فسرعان ماعاينا حبالها منبته ورأينا منها مالم نحتسب كما تقوم الساعة بغته نحن استعاذ من شئ فليستعذ مما صرنا اليه من الحور بعد الكور والانحطاط من النجد الى الغور

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

فتبا لدنيا لايدوم نعيمها * تقلب تارات بنا وتصرف

وأيها لقد أرهقتنا ارهاقا وجرّعتنا من صاب الاوصاب كاسادهاقا ولم نفزع الى غير بابكم المنيع الجناب المنفتح حين سدّت الابواب ولم نلبس غير لباس نعمائكم حين خلعنا ما ألبسنا الملك من الاثواب والى امته يلجأ الطفل لجأ اللهفان وعند الشدائد تمتاز السيوف من الاجفان ووجه الله تعالى يبقى وكل من عليها فان والى هنا ينتهى القائل ثم يقول حسبى هذا وكفان ولاريب فى اشتمال العلم الكريم على ماتعارفته الملوك بينها فى الحديث والقديم من الاخذ باليد عند زلة القدم وقرع الاسنان وعض البنان من الندم دنيا تدينت مع اختلاف الاديان وعادة اطردت على تعاقب الازمان والاحيان ولقد عرض علينا صاحب قشتالة مواضع معتبرة خيرفيها واعطى من امانه المؤكد فيه خطه بأيمانه مايقنع النفوس ويكفيها فلم نرو نحن من سلالة الاحمر مجاورة الصفر ولاسوغ لنا الايمان الاقامة بين ظهرانى الكفر ماوجدنا عن ذلك مندوحة ولوشاسعه وأمنا من المطالب المشاغب حمة شمرّ لنا الاسعه واذكرنا أى اذكار قول الله تعالى المنكر لذلك غاية الانكار ألم تكن أرض الله واسعه وقول الرسول عليه الصلاة والسلام المبالغ فى ذلك بابلغ الكلام أنا برئ من مؤمن مع كافر لاتتراآى ناراهما وقول الشاعر الحاث على حث المطيه المتناقلة عن السير فى طريق منجاتها البطيه

وما انا والتلذذ نحو نجد * وقد غصت تهامة بالرجال

ووصلت أيضا من الشرق الينا كتب كريمة المقاصد تستدعى الانحياز الى تلك الجنبات وتتضمن مالامزيد عليه من الرغبات فلم نختر الادارنا التى كانت دار آبائنا من قبلنا ولم نرتض الانضواء الالمن يحبله وصل حبلنا وبريش نبله ريش نبلنا ادلالا على محل اخاء متوارث لاعن كلاله وامتثالا لوصاة اجداد لانظارهم وأقدارهم أصالة وجلاله اذ قد روينا عن سلف من أسلافنا فى الايصاء لمن يخلف بعدهم من أخلافنا أن لايبتغوا اذا دهمهم اهم بالحضرة المرينية بدلا ولايجدوا عن طريقها فى التوجه الى فريقها معدلا فاخترقنا الى الرياض الاريضة الفجاج ورسنا الى البحر الفرات ظهر البحر

الاجاج فلاغرو أن نردمنه على ما يقرّ العين ويشفي النفس الشاكية من ألم البين ومن توصل هذا التوصل وتوسل بمثل ذلك التوسل تطارحا على سدّة أمير المؤمنين المحارب للمحاربين والمؤتمن للمستأمنين فهو الخليق الحقيق بأن يسوغ اصغى مشاربه ويبلغ أوفى مآربه على توالى الايام والشهور والسنين ويخلص من النبور الى الحبور ويخرج من الظلمات الى النور خروج الجنين ولعل شعاع سعادته يفيض علينا ونفحة قبول اقباله تسرى الينا فتضامرنا أريحية تحملنا على أن نبادر لانشاد قول الشريف الرضى فى الخليفة القادر

عطفا أمير المؤمنين فانما * فى دوحة العلياء لا تتفرّق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت * أبدا كلانا فى المعالى معرق
الا الخلافة ميزتك فانني * أنا عاطل منها وأنت مطوّق

لابل الاحرى بنا والاجمى والانجح لسعينا والاربى أن نعدل عن هذا المنهاج ويقوم وافدنا بين يدى علاه مقام الخاضع المتواضع الضعيف المحتاج وينشد ما قال فى الشيرازى ابن حجاج

الناس يفدونك اضطرارا * منهم وافديك باختيارى
وبعضهم فى جوار بعض * وأنت حتى أموت جارى
فعش لخبزى وعش لمائى * وعش لدارى وأهل دارى

ونستوهب من الوهاب تعالى جلت أسماؤه وتعاظمت نعماؤه رحمة تجعل فى يد الهداية أعنتنا وعصمة تكون فى مواقف المخاوف جنتنا وقبولا يعطف علينا نوافر القلوب وصنعا يسنى لنا كل مرغوب ومطلوب ونسأله وطالما بلغ السائل سؤلا ومأمولا متابا صادقا على موضوع الندم محمولا ثم عزاء حسنا وصبرا جميلا عن أرض أورثها من شاء من عباده معقبا لهم ومديلا وسادلا عليهم من ستور الاملاء الطويلة سدولا سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فليطرطائر الوسواس المرفرف مطيرا كان ذلك فى الكتاب مسطورا لم نستطع عن مورده صدورا وكان أمر الله قدرا مقدورا الا وان لله سبحانه فى مقامكم العلى الذى أيده واعانه سرّا من النصر يترجم عنه لسان من النصل وترجع فروع البشائر الصادقه بالفتوحات المتلاحقه من قاعدته المتاصلة الى أصل فيمثله يجب اللياذ والعياذ ولشبهه يحق الالتجاء والارتجاء ولامر ما آثرناه واخترناه بعد أن استرشدنا الله سبحانه واستخرناه ومنه جلّ جلاله نرغب أن يخير لنا ولجميع المسلمين ويؤوب بنا من حمايته ووقايته الى معقل منيع وجناب رفيع آمين آمين آمين ونرجو أن يكون ربنا الذى هو فى جميع الامور حسبنا قد خار لنا حيث ارشدنا وهدانا وساقنا توفيقه وحدانا الى الاستجارة بملك حفى كريم وفى أعز جار من أبى دواد واحى انفا من الحرث بن عباد يشهد بذلك الدانى والقاصى والحاضر والباد ان أغاث ملهوفا فالاسود بن قنان يذكر وان انعش حشاشة هالك فاكعب بن مامة على فعله وحده يشكر جليسه كجليس القوم تباع بن شور ومذاكره كذا كر سفيان

المنتسب من الرباب الى نور الى التحلى بأمهات الفضائل التى أضدادها أمهات الرذائل وهى الثلاث الحكمة والعدل والعفة التى تشملها الثلاثة الاقوال والافعال والشمائل وينشأ منها ماشئت من عزم وحزم وعلم وحلم ويقظ وتحفظ واتقاء وارتقاء وصول وطول وسماح نائل فبنو رحلاء المشرق يفتخر المغرب على المشرق ويمجده السامى خطره فى الاخطار وهمته الذى ذكره فى النباهة والنجابة قد طار بها جميع ملوك الجهات والاقطار وكيف لا وهو الرفيع المنتمى والنجار الراضع من الطهارة صفو ألبان الناشئ من السراوة وسط أحجار فى ضمضمى المجد وبحبوح الكرم وسراوة أسرة المملكة التى أكنافها حرم وذؤابة الشرف التى مجاذبتها لم ترم من معشر أى معشر بخلوا ان وهبوا مادون أعمارهم وجبنوا ان لم يحموا سوى ذمارهم بنو مرين وما أدراك ما بنو مرين

سم العداة وآفة الجزر * النازلون بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

لهم من الهفوات اتقاء وعندهم من السير النبوية اكتفاء انتسبوا الى بزر بن قيس فخرجوا فى البر عن القيس مالهم القديم المعروف قد نفدوا فى سبيل المعروف وحديثهم الذى نقلته رجال الزحوف من طريق القنا والسيوف على الحسن من المقاصد موقوف تحمد من صغيرهم وكبيرهم ذابلهم ولدنهم فلله آباء أنجبوهم وأمهات ولدنهم شم الانوف من الطراز الاول اليهم فى الشدائد الاستناد وعليهم فى الازمات المعول ولهم فى الوفاء والصفاء والاحتفاء والعنايه والحماية والرعايه الخطو الواسع والباع الاطول كأنما عناهم بقوله جرول

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا * وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها * وان أنعموا الاكدروها ولا كدوا
وتعذلنى أبناء سعد عليهم * وما قتل الابالذى عملت سعد

وبقوله الوثيق مبناه البليغ معناه

قوم اذا عقدوا عقد الجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

يزيحون عن النزيل كل نازح قاصم وليس له منهم عائب ولا واصم فهو أحق بما قاله فى منقر قيس بن عاصم

لا يفطنون لعيب جارهم * وهم لحفظ جوارهم فطن

حلاهم هذه الغريزة التى ليست باستكراه ولا جعل وأمير المؤمنين دام نصره قسيمهم فيها حذو النعل بالنعل ثم هو عليهم وعلى من سواهم بالاوصاف الملوكية مستعل ارفض من نهم منه عن غيث ملث يمحو آثار المزبه وانشق غيلهم منه عن ليث ضار منقبض على براثنه للوثبه فقل لسكان الفلا لا تغرنكم أعدادكم وأمدادكم فلا يسالى السرحان المواشى سواء مشى اليها النقرى أو الجفلى بل يصدمهم صدمة تحطم منهم كل عرنين ثم يبتلع بعد أشلاءهم المعفرة ابتلاع التنين فهو هو كما عرفوه وعهدوه وألفوه أخو المنايا وابن جلا وطلاع الثنايا مجتمع أشده قد احتنكت سننه وبان رشده جاد مجد

محترم بحزام الحزم مشمر عن ساعد الجد

لا يشرب الماء الا من قليب دم * ولا يبيت له جار على وجل

أسدى القلب آدمى الروا لابس جلد النمر يزدى العناد والنوى

وليس بشارى عليه دمامة * اذا ماسعى يسعى بقوس وأسهم

ولكنه يسعى عليه مفاضة * دلاص كأعيان الجراد المنظم

فالنجباء سامعين له طائعين والوجل الوجل لاحقين به خاضعين قبل أن تساقوا اليه مقترنين فى الاصفاد ويعيا الفداء بنفائس النفوس والاموال على الفساد حينئذ يعض ذوا لجهل والفساد امه على يديه حسرة وندامه اذا رأى أبطال الجنود تحت خوافق الرايات والبنود قد لفحتهم نار ليست بذات خمود وأخذتهم صاعقة مثل صاعقة الذين من قبلهم عاد وثمود زعقات توزل الكتائب أزا وهمزا محققا للخيل بعد المد المشبع للاعنة همزا وسلا للهندية سلا وهزا للخطية هزا حتى يقول النسر للذئب هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ثق خليفة الله بذلك فى كل من رام أذى رعيتك أو أذالك فتلك عادة الله سبحانه وتعالى فى ذوى الشقاق والنفاق الذين يشقون عصا المسلمين ويقطعون طريق الرفاق وينصبون حبائل البغى والفساد فى جميع النواحى والآفاق فلن يجعلهم الله عز وجل من الآمنين أنى وكيف وقد أفسدوا وخانوا وهو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين ولا يهدى كيد الخائنين وها نحن قد وجهنا الى كعبة مجدكم وجوه صلوات التقديس والتعظيم بعد ما زينا معاطفها باستعطافكم بدر ثناء أجنى من درر العقد النظيم منتظمين فى سلك أوليائكم متنمرفين بخدمة عليائكم ولا فقد عزة ولا عدمها من قصد مثابتكم العزيزة وخدمها وان المترامى على سنائكم لجدير بحرمتكم واعتنائكم وكل ملهوف تبوأ من كنفكم حصنا حصينا عاش بقية عمره محروسا من الضيم مصونا وقد قيل فى بعض الكلام من قعدت به نكاية الايام اقامته اغاثة الكرام ومولانا أيده الله تعالى ولى ما يزفه الينا من مكرمة بكر ويصنعه لنا من صنيع حافل يخلد فى صحائف حسن الذكر ويروى معنعن حديث حمده وشكره طرس عن قلم عن بنان عن لسان عن فكر وغيره من ينام عن ذلك فيوقظ ويسترسل مع الغفلة حتى يذكر ويوعظ وما عهد منذ وجد الامر يعا الى داعى الندى والتكرم بريثا من الضجر بالمطالبة والتبرم حافظا للجار الذى أوصى النبى صلى الله عليه وسلم بحفظه مستغرقا وسعه فى رعيه المستمر ولحظه آخذا من حسن الثناء فى جميع الاوقات والآناء بحظه

فهو من دوحة السنا فرع عز * ليس يحتاج مجتنيه لهز

كفه فى الاهمال أغزر وبل * وذراه فى الخوف أمنع حرز

حلمه يسفر اسمه لك عنه * فتفهم يا مدعى الفهم لغزى

لا تسله شيأ ولا تستنله * نظرة منه فيك تغنى وتجزى

فنداه هو الفرات الذى قد * عام فيه الانام عوم الاوز

وسماه هو المنيع الذى تر * جع عنه الخطوب مرجع عجز

فدعوا ذهنه يزاول قولى * فهو أدرى بما تضمن رمزى
دام يحيى بكل صنع ومن * ويعافى من كل بؤس وربز

وكاتبه قد عمل على شاكلة جلاله من مقتظلاله وتمهيد خلاله وتلقى ورودنا بحسن تهلله واستهلاله وتأنيسنا بجميل قبوله واقباله وايرادنا على حوض كوثره المترع بزلاله والله سبحانه يسعد مقامه العلى ويسعد نابه فى حله وارتحاله وما له وحاله ويؤيد جنده المظفر ويؤيدنا بتأييده على نزال عدوه واستزاله وهز الذوابل لاطفاء ذباله وهو سبحانه وتعالى المسؤل أن يريه قرة العين فى نفسه وأهله وخدامه وأمواله وأنظاره وأعماله وكافة شؤنه وأحواله وأحق ما تصل بالسلام وأولى على المقام الجليل مقام الخليفة المولى أزكى الصلاة والسلام على خاتمة أنبيائه وأرسله سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أصحابه وآله صلاة وسلاما دائمين أبدا موصولين بدوام الابد واتصاله ضامنين لمجددهما ومردده ما صلاح فساد أعماله وبلوغ غاية آماله وذلك بمشيئة الله تعالى واذنه وفضله وافضاله انتهى * وكاتب هذه الرسالة على لسان السلطان المخلوع قال الوادى آشى فى حقه انه امام هذه الصناعه وفارس حلبة القرطاس واليراعه وواسطة عقد البلاغة والبراعه الذى قطف الكمال المانور ورتب محاسن البديع فى درر فقره وطوز وغرف من بحر بحاج واقتطف من خاطر وهاج أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربى العقيلى وما أحسن قوله فيمن قد ظفر به المسلمون

ألا رب مغرور تنصر ضلة * فحاق به شؤم الضلال وشره
فان يرتفع عند النصارى بالابتدا * فكم عندنا من حرف حبل يجره

وقال الوادى آشى أيضا فى موضع آخر ما نصه ولشاعر العصر مالك زمامى النظم والنثر الفقيه العالم المتقن المتفنن العارف الاوحد النبيه النبيل سيدى محمد العربى وصل الله تعالى رفعة قدره وحرس من غير الايام أشعة بدره

الحب فى جهور أنواره * فأين الاخوان والاحباب
وأين أين الاجتماعات قد * تهيأت لهن الاسباب
وأين بنت الجبن لما بدت * طارت اليها شوقا ألباب
وأين الالبان لا كوابها * فى برم الارز تسكاب
واللحم بالبساس قد ألفت * لطبخه فى القدر الاحطاب
والعود ذو دندنة يطربى * آثارها للطار دبداب
وملح الاصوات قد طورحت * وجاء معبد وزرياب
وفض للهوى ختام ولم * يبد فى وجه الهوى باب
وقيل للوقار قم قبل أن * تسلب عنك الآن الاثواب
وكل انسان وما يشتهى * ليس على مناه حجاب
مسترسلا ليس له عذل * كلا ولا عليه رقاب
فى راحة خلعت أرسانها * لمثلها تعصر الاعناب

فكل بستان قد استأسدت * فيه النواوير والاعشاب
وأطلع التراب أدواحه * كأنها العرب الاتراب
لما تحلت بحلى زهرها * داخلها بالحسن الاعجاب
عرائس ليس لها فى سوى * مائه اذ ينبسه خطاب
أمام تبدى ثمرات بدا * فى جنباتهن الارطاب
كأنه فى العين ياقوت أو * كأنه فى الفم جلاب
هيهات هيهات أمان لها * خلب برق لك خلاب
ماحوت الرؤس أمثالها * فكيف تحويهن الاذناب
قد عاق عن ذلك دهر به * تعدم الافراح والاطراب
يروم الانسان غلابا له * والدهر للانسان غلاب

وقال رحمه الله تعالى لما نزل النصارى لمحاصرة غرناطة

بالطبل فى كل يوم * وبالنفير نراع * وليس من بعد هذا * وذاك الا القراع
يارب خيرك نرجوه * من هيض منه الذراع * لا تسلبنى صبرا * منه لقلبى اذراع

وله رحمه الله تعالى فى الموشحات اليد الطولى فمن ذلك قوله

بدر أهل الزمان الرفيع القدر * لا تزل فى أمان من كسوف البدر

وله من أخرى

هل يصح الامان من شبيه البدر * وهو مثل الزمان منتم للغدر
لم يغر الاغر غير غمر جاهل * عيشه الحلو مر وهو فيه ناهل
والصبا الغض مر وهو عنه ذاهل
مرشف البهرمان فوق ثغر الدر * مطمع للامان باقتراب الدر

وعارض رحمه الله تعالى بهاتين الموشحتين الموشحة المشهورة

ضاحك عن جمان سافر عن بدر * ضاق عنه الزمان وحواه صدرى

ومن عارض هذه الموشحة ابن ارقم اذ قال

مبسم البهرمان فى المحيا الدرى * صاد قلبى وبان وأنا لم أدر

والانصاف أن معارضة العربى أحسن من هذه وله أيضا معارضتان غير ما تقدم الاولى قوله

بان لى ثم بان ذا خد ودمر * يتثنى مثل بان فى ثياب خضر

والثانية قوله

هل لمرآك ثان فى سنان الدر * أو لحوباى ثان عن هواها العذرى
يا مليحا جلا عن محيا جميل * همت فيه ولا هيمان جميل * مل قليلا الى من اليك يميل
عاشق فيك فان كاتم للسر * لك منه مكان فى صميم الصدر

ومن نظم العربى المذكور لما عرض عليه السلطان رياسة كتابه من قصيدة

أوجه سعدى انحط عنه اللثام * أم بدر أفق فض عنه الغمام

أم أتانى حالى لاعقل لى * أم حلم قد لاح لى فى المنام
يالك مرأى من رأى حسنه * هاج اقلبه غراما فهام
كأنما أقبس نورا لها * من وجه مولانا الامام الهمام
ابن أبى الحسن الاسرى الذى * قد كان للاملاك مسك الختام
ضرغام قد أنجب شبها له * فى صدق باس ومضاء اعتزام
حامى وسامى فاقاعيد له * تنقلها ابناء سام وحام
دام له النصر الذى جاءه * والسيف من طل أعاديه دام
فيا أمير المؤمنين الذى * له بعروة اليقين اعتصام
أبشر بمجد مقبل لم يزل * الى انصراف لاولا لانصرام
وعزة لم يقض بنيانها * الى انهداد لاولا لانهدام
لله منك ملك جنده * زهر النجوم وهو بدر التمام

ومنها

يطرب من مادحه مثل ما * يطرب قلب الصب سجع الحمام
فيفعل الشعر بأعطافه * ما ليس تفعل بهن المدام
وان حكى فى مدحه يوسفا * فحسنه يشبه زهر الكمام

ومنها

فداره ليست ببغداذهم * مع أنها تدعى بدار السلام

ومنها

أسأله الاعفاء من كل ما * أعجز عن حمل له والتزام

ومنها

مستشفعا له بخير الورى * محمد عليه أزكى السلام

ومنها

وكل انسان وما اختاره * ورب ذى عذر قد أضحى يلام

او آخرها

فالحمد لله على أن غدا * للشمل بعد الانصداع التئام

وانختم هذه الترجمة بقوله

جزنا البساتين والرياض فما * أبهج مرئيها وأحلاه
واعجب بها للنبات ولتدفى * أسفله ناظرا وأعلاه
وقدس الله عند ذا الذوق * سبحانه لااله الاهو

سبحان وارث الارض ومن عليها
وهو خير الوارثين والحمد
لله رب العالمين

تم

تم طبع الجزء الثانى بعون من أنزل السبع المثانى من
كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب
وكان تمام طبعه وحسن غسله
ووضعه بالمطبعة الميرية
المصريه فى الايام
السعيديه

م

ويليه الجزء الثالث أوله القسم الثانى

(هذا الجزء خالص الكمرك)

مركز الوثائق والبحوث
30018000012288
المكتبة